مُحاضَراتُ الأُدَباءِ
ومُحاوراتُ الشُّعراءِ والبُلغاءِ

للإمام الأديب الراغب الأصفهاني
أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل

حققه وضبط نصوصه وعلق حواشيه
الدكتور عمر الطباع

الجزء الثاني

الناشيء

محاضرات الأدباء

ومحاورات الشعراء والبلغاء

مُحاضَراتُ الأُدَباءِ
ومُحاوراتُ الشُّعراءِ والبُلَغاءِ

للإمامِ الأديبِ الرّاغبِ الأصْفهاني
أبي القاسمِ الحُسَيْن بن مُحَمّدِ بنِ المُفضّل

الناشيء

حقّقه وضبط نصوصه وعلّق حواشيه
الدكتور عمر الطبّاع

الجزء الثاني

جميع حقوق الطبع والصف والاخراج
محفوظة لـ :

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت . لبنان

الناشيء

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٦٩٧٦ - ٥٥٦٩٧٨ - ص.ب ٣٨٧٤
فاكس ٦٠٣٠١٣ كود بيروت ٠٠٩٦١١ -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحدّ الثاني عشر

في الإخوانيّات

(١)
حدودُ الأخوّة

سُئِلَ بَعْضُهُمْ عن الأخوة فقال: هي الموافقةُ في التَشاكُل. وقال إبراهيم الموصلي: قلت لاسباط الشيباني: صِفْ لي الأخوّة وأوْجزْ فقال: أغصان تغرس في القلوب فتثمر على قدر العقول.

قيل لبعض الحكماء: ما الأصدقاء؟ قال: نفس واحدة في أجساد متفرقة.

● الترغيبُ في اقتناءِ الإخوانِ

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: عليكم باقتناء الإخوان فهم عُدّة في الدين والدنيا. ألا ترى إلى قول الله عزّ وجل في حكاية عن أهل النار في النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[١]

قيل أغبط الناس من لا يزال رحله من صالح الإخوان موطأ، وقيل: المرء كثير بأخيه. وقيل لأبقراط[٢]: ما أفضل ما يقتني الإنسان؟ فقال: الصديق المخلص، وقال عمرو بن إبراهيم:

إن الســـرور إذا بَـلَـغْـتَ بـوصـفِـهِ كُـنْـهَ الـنِّـهـايَـه[٣]
خِـلٌ تُـؤانِـسُـه وذُو دٌ والـرجـوعُ إلـى الـكِـفـايَـه

قال شاعر:

أخـاكَ أخـاكَ إنَّ مـنْ لا أخـا لـه كـسـاعٍ إلى الـهـيـجـا بِـغَـيْـر سلاحِ[٤]

---

(١) القرآن الكريم: الشعراء/ ١٠٠.

(٢) أبقراط: من أشهر أطباء الإغريق الأقدمين (٤٦٠. ق.م)، هو من مواليد جزيرة كوس. اعتمد في تشخيص الأمراض على اكتشاف أثر الهواء والغذاء في اضطرابات الأخلاط. ترجمت بعض مؤلفاته إلى العربيّة ومنها طبيعة الإنسان.

(٣) الكنه: الحقيقة وجوهر الشيء.

(٤) الهيجا: مخفّف الهيجاء، يدعو الشاعر إلى حفظ رابطة الإخاء وأن يصون الأخ لأنه عماده في الحياة وملاذه ومشبّه الذي لا أخاله بالذي يخوض المعركة دونما سلاح.

وقد أحسن الذي **قال**: إن الأخ الصالح خيرٌ لك من نفسك لأن النفس أمارةٌ بالسوء والأخ لا يأمرك إلا بالخير.

- **الحثُّ على الإكثار منهم**

قال محمود الوراق:

تكثّر من الإخوان ما استطعتَ إنهم ... عمادٌ إذا استنجَدْتَهُم وظُهُورُ[1]
فما بكثيرٍ ألفُ خِلٍّ وصاحبٍ ... وإنّ عدوّاً واحداً لَكَثيرُ

- **تفضيل الصديق على النسيب**

قيل لعبد الله ابن المقفع[2]: أصديقك أحب إليك أم نسيبك؟ **فقال**: إنما أحب النسيب إذا كان صديقاً. **وقال**: الأخ نسيب الجسم والصديق نسيب الروح. **قال أبو فراس**:

نسيبُكَ مَنْ ناسَبْتَ بالودِّ قلبَهُ ... وجارُكَ من صافَيْتَهُ لا المُصَاقِبُ[3]

وقال آخر:

أخو ثقةٍ يسيرُ بحُسْنِ حالٍ ... وإن لم تُدْنِهِ منّي قَرَابَهْ
أحبّ إليّ من ألْفَيْ قريبٍ ... تبيتُ صدُورُهُمْ لي مُسْتَرَابَهْ[4]

قال بعضهم: الصديق الموافق خير من الشقيق المنافق.

قال بشار[5]:

يخونُكَ ذو القُرْبَى مراراً وربّما ... وفى لك عِندَ الجَهْلِ مَنْ لاَ تُقَارِبُه[6]

وفي المثل: ربّ أخٍ لَكَ لم تلدْهُ أمُّكَ.

---

(١) يدعو الشاعر إلى الإكثار من اتخاذ الأخوان واكتسابهم وادّخارهم للاعتماد عليهم في النوائب.

(٢) **عبد الله بن المقفع**: هو أحد كبار الكتّاب في أوائل العصر العبّاسي. وهو فارسي الأصل نشأ في العصر الأموي وتتلمذ لعبد الحميد الكاتب، ثم برز في أيام المنصور ويقال بأنّه قتل بإيعاز منه، قتله والي البصرة. عني بترجمة العديد من الكتب نقلاً عن الفارسية ومن آثاره كتاب كليلة ودمنة والأدبان الصغير والكبير ورسالة الصحابة مات سنة (٧٥٩ م).

(٣) **النسيب**: القريب ـ **الودّ**: المحبّة ـ **صافيته**: أخلصت له الودّ ـ **المصاقب**: الموافق من صاقبه مصاقبة أي قاربه.

(٤) **مسترابة**: اسم مفعول من استراب أي وقع في الريبة، والريبة القلق واضطراب النفس والشكّ.

(٥) **بشار**: بشار بن برد (٧١٤ ـ ٧٨٤م) شاعر هجاء من الكبار فارسيّ الأصل، عاش بالبصرة. أكثر من التشبيب بالنساء. هجا المهدي فسخط عليه. ورآه مرة سكران يؤذّن فرماه بالزندقة وضربه سبعين سوطاً حتّى مات. كان أعمى غليظ المنظر.

(٦) **من لا تقاربه**: من لا تناسبه، **يقول**: قد يخونك قريبك مراراً ويقابلك بالوفاء من هو بعيدٌ عنك.

● **إجراءُ الصديقِ مجرى الشقيق**

قال أبو تمّام[1]:

وإذا رأيـتَ صـديـقَـهُ وشـقـيـقَـهُ ... لـم تَـدْرِ أيُّـهـمـا ذوو الأرْحَـامِ

وقال رجل من خثعم[2]:

ذو الـودِ مـنّـي وذو الـقـربـى بـمـنـزلـةٍ ... وإخـوتـي أُسْـوَةٌ عـنـدي وإخـوانـي[3]

● **مدحُ مصاحبةِ الأخيارِ وتجنبُ الأشرار**

قيل: صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشرّ، كالريح إذا مرّت على النتن حملت نتناً وإذا مرّت على الطّيب حملت طيباً.

وقال النبي ﷺ: مَثَلُ الجليس الصالح كمثل الذي إن لا يجدكَ من عطره يعلقك من ريحه. ومثلُ الجليس السوء كمثل التّبن إنْ لم يحرقك بشرره يؤذِك بدخانه.

● **الحثّ على مصاحبة من يُنتفَعُ به**

قيل: لا تصاحب إلا رجلاً ترجو نواله أو تخاف يده أو تستفيد من علمه أو ترجو بركة دعائه. **وقال أبو جعفر بن محمد**: عليك بصحبة مَنْ إنْ صحبته زانَك، وإن خدمته صانك، وإن نزلت حاجة ما بك أعانك، وإن سألته أعطاك، وإن تركته بداك، إن رأى حسنة أظهرها أو سيئة سترها.

وقال بعض من سمع ذلك لابن عيينة: ما أراه إلا أمره أن لا يصحب أحداً، **فقال**: بلى إنه أدرك الناس وهذه الأخلاق فيهم، فأوصى بقدر ما عرف.

● **كونُ الإنسان مصاحباً شَكْلَهُ**[4]

قال النبي ﷺ: المرء على دين خليله فلينظر امرؤ من يخالل. **وقال إياس**: قدمنا بلدكم فعرفنا خياركم من شراركم في يومين. **قيل له**: كيف؟ **قال**: كان معنا خيار وشرار فلحق خيارنا بخياركم، وشرارنا بشراركم، فألّف كل شَكْله. **قال شاعر**:

وكـلُّ امرىءٍ يـصْـبـو إلـى مَـنْ يُـجَـانِـسُ

وقال آخر:

فـإنّـمـا الـنـاسُ أشـكـالٌ وألاّفُ

---

(١) **أبو تمّام**: حبيب بن أوس الطائي (٧٨٨ ـ ٨٤٥) شاعر عبّاسي. نشأ في دمشق وتوفي في الموصل. مدّاح الخلفاء ولا سيّما المعتصم. أهم آثاره الحماسة التي ضمنّها درر الشعر العربي حتّى عصره.

(٢) **خثعم**: بنو خثعم من قبائلة العرب.

(٣) **الأسوة**: القدوة، أو ما يتعزى به، والسّواء العدل وساوى فلان فلاناً ماثله.

(٤) **مصاحباً شكله**: الشكل أي المثل والمشابه أو النظير.

وقيل: اغلب المحبة ما كان عن تشاكل. بالمشاكلة دوام المواصلة. **قال شاعر**:

ولا يصحبُ الإنسانُ إلا نظيرَهُ … وإن لم يكونا من قبيلٍ ولا بَلَدِ

ومما يؤكد ذلك:

وإنّ البزاةَ البيضَ لا تألفُ القطا[1]

وقال آخر:

لكلّ امرئٍ شكلٌ من الناس مثلُهُ … وأكثرُهُمْ شكلاً أقلّهُمْ عَمَلا

وقيل: الشدّ بالقد أهونُ من مصاحبة الضدّ.

● **اعتبارُ المرءِ بإخوانه وأنّ من يصاحبُ صاحباً ينسبُ إليه**

قال شاعر:

وَمَنْ يُصَاحِبْ صاحِباً … يُنْسَبْ إلى مستصحِبِهْ

وربما عرّ صحيـ … ـحاً جربٌ بجَرَبِهْ

وأخذ جماعة من اللصوص **فقال أحدهم**: أنا كنت مغنياً لهم **فقيل له**: غنّ، فغنّى:

عن المرء لا تسألْ وسَلْ عن قرينه … فكل قرينٍ بالمُقارنِ يَقْتَدَى[2]

قيل له: صدقت وأمر بقتله. **قال شاعر**:

يقاسُ المرءُ بالمر … ء إذا ما هو ما شاهُ

وللناس على النا … س مقاييسٌ وأشباهُ

وقيل: انظر من تجانس، فقلّ حصاة طرحت مع حصاة إلا أشبهتها. **قال مسكويه**:

يقولونَ لي إن الرئيسَ محمداً … يؤولُ إلى رأي كريم المناسِبِ[3]

فقلتُ دعوني قد عرفت اختيارَه … بطلعةِ منصورٍ وخَطّ ابن كاتِبِ

● **الحثُّ على مصاحبةِ العُقَلاءِ**

قيل: جالس العقلاء أعداءً كانوا أم أصدقاء، فالعقل يقع على العقل.

وقيل: العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أشبه منه بلين العيش مع الجهّال، **وقيل**: آخ الكريم واسترسل إليه وعليك أن تصحب العاقل وإن لم يكن كريماً لتنتفع بعقله، واهرب كل الهرب من اللئيم الأحمق.

وقيل: من صبر مع الأحمق فهو مثله، وقد مضى في فضل العقل باب مثل هذا.

---

(١) **القطا**: الحمام البريّ، جمع قطاة. (٢) **القرين**: النظير والمثيل.

(٣) **آلَ يؤول إلى**: رجع.

الناشيء

● **صنوفُ الإخوان**

قال لقمان: الإخوان ثلاثة: مخالب ومحاسب ومراغب، فالمخالب الذي ينال من معروفك ولا يكافئك، والمحاسب الذي ينيلك بقدر ما يصيب منك، والمراغب الذي يرغب في مواصلتك بغير طمع.

وقال المأمون: الإخوان ثلاثة: أخ كالغذاء لا يحتاج إليه كل وقت، وأخ كالدواء يحتاج إليه أحياناً، وأخ كالداء لا يحتاج إليه أبداً.

● **اختبارُ الصديقِ عند الغضبِ**

قيل: إذا أردت مصافاة رجل فأغضبه، فإن ملك نفسه فصاحبه، وإلا فلا تصاحبه.
قال الشاعر:

لا تـحـمـدنّ امـرأً يُـرْضِـيـكَ ظـاهـرُه وَاْخْبرْ مودَّتهُ في العتب والغَضَبِ[1]

وقيل: كان بين حاتم طيىء وبين أوس بن حارثة ألطف ما كان بين اثنين. **فقال النعمان لجلسائه**: لأفسدّن ما بينهما فدخل على أوس، **فقال**: إن حاتماً يزعم أنه أفضل منك، **فقال**: أبيت اللعن صدق ولو كنت أنا وأهلي وولدي لحاتم لوهبنا في يوم واحد. وخرج فدخل على حاتم، **فقال** له: مثل ذلك، **فقال**: صدق وأين أقع من أوس وله عشرة ذكور دونهم أفضل مني؟ **فقال النعمان**: ما رأيت أفضل منكما.

● **اعتبارُ من تريدُ مصادقتَهُ بصديقه قبلك**

قيل: إذا أردت أن تعرف صاحباً كيف يكون لك، فانظر كيف كان من قبلك، فإن أحمدته فاستخلصه لك وإن ذممته فتنكّبه.

● **الأعتبارُ بالعينِ والاعتمادُ على ما في القلب**

قيل: اعتبر ما في قلب أخيك بعينه، فالعين عنوان القلب. **وقيل**: شاهد الحب والبغض اللحظ، فاستنطق العيون تعلم المكنون. **قال شاعر**:

تـقـلُّـبُ أحـوالِ الـفـتـى فـي أمـورِه تـبَـيَّـنُ عـمّـا تـقـتـضـيـه ضـمـائـرُهْ
وفـي لـحْـظ عـيـنَـيْـه وفـي حـركـاتِـهِ دلـيـلٌ عـلـى مـا تـخـتـويـه سـرائِـرُهْ

قال إسحاق:

سـتـورُ الـضّـمـائـرِ مَـهْـتُـوْكَـةٌ إذا مـا تـلاحَـظَـتِ الأعـيُـنُ[2]

---

(١) يدعو الشاعر إلى عدم الركون إلى ظاهر الأشخاص مشدّداً على اختبارهم في أوقات اللوم والغضب.
(٢) مهتوكة: من هتك الستر خرقه ليكشف ما وراءه وهتك الله ستره فضحه ـ يقول إن العيون حين تتلاحظ قادرة على كشف ما يجول في الضمائر والبواطن.

وقال ابن بسام[1]:

ألا إنّ عيْنَ المرء عنوانُ قَلْبِهِ ... تُخَبِّرُ عن أسرارِهِ شاءَ أمْ أَبَى

وقال كشاجم:

ويأبى الذي في القلب ألا تبيْنا ... وكُلُّ إناءٍ بالذي فيه يَرْشَحُ[2]

- **متابعةُ الصديقِ في رشدِهِ دون غيّهِ**

استشهد ابن الفرات أيام وزارته علي بن عيسى بغير حقّ، فلم ينصره، فلّما رجع كتب إليه لا تُلمني عل نكوصي في نصرتك بشهادة زور، فإنه لا بقاء لاتفاق على نفاق ولا وفاء لذي مين واختلاق، وأحرى بمن تعدّى الحق في مسرتك إذا رضي أن يتحرى الباطل في مساءتك إذا غضب، وقد تقدم هذا الخبر. قال شاعر:

ألم تعلمي أنّي إذا الإِلْفُ قادَني ... إلى الجَوْر لا أنقادُ والإِلْفُ جائِرُ

ودعا أعرابي **فقال**: اللهمّ أني أعوذ بك ممّن لا يلتمس خالص مودّتي إلا بالتأتّي لمواقع شهوتي.

- **متابعتُه في غيّه ورشدِهِ**

قال عروة[3]:

وخِلٍّ كُنْتُ عينَ الرشْدِ منْهُ ... إذا نظرتُ، ومستمِعاً سَمِيْعَا

أطافَ بغيةٍ فنهَيْتُ عنْها ... وقُلْتُ لهُ أرى أمراً فظِيْعا

أردْتُ رشادَهُ جُهْدِي فلمّا ... أبى وعَصَى عَصَيْنَاهُ جَمِيْعا

قال بشّار:

وما كنتُ إلا كالزّمان فإن صحا ... صَحَوْتُ وإن ماقَ الزمانُ أمُوقُ[4]

قال أحمد بن صالح:

أنا كالمرآة ألقى كُلّ وجهٍ بمثالِهِ

وقال رجل لصديقه: ما رأيك في كذا؟ **فقال**: أنا من غزيّة. يريد أني تابع لك إشارة إلى قول دريد:

وهل أنا إلا من غزيّةَ إن غَوَتْ ... غَوَيْتُ وإن تَرْشُدْ غزيةُ أرْشُدِ[5]

---

(١) **ابن بسّام**: علي بن محمد (٨٤٤ ـ ٩١٥) أديب وشاعر بغدادي هجّاء خدم المعتضد ومن تصانيفه: «أخبار عمر بن أبي ربيعة».

(٢) **كل إناء يرشح**: وفي رواية ينضح أي يخرج ما فيه.

(٣) **عروة بن الورد العبسي**: توفي نحو ٥٩٦م من شعراء الجاهلية الصعاليك قُتل في إحدى غزواته.

(٤) **ماق يموق**: تظاهر بالموق أي الحمق.

(٥) **غزية**: قبيلة ـ **غوت**: ضلّت ـ وفي هذا البيت دلالة على العصبية القبلية.

● **الحثُّ على نصرةِ الصديق على جميعِ الأحوالِ**

قال النبي ﷺ: انصرْ أخاكَ ظالماً أوْ مظلوماً. **وقيل**: حافظْ على الصديق ولو على الحريق.

وقيل: أفضلُ الكرَم أن يكون الرجلُ عند النائبة أكْرَمَ وَفَاءً وأمْحَض صفاءً ولتكن معاونتك أخاك بمهجتك عند البلاء، أكثر منها عند الرَخاء.

● **مماراةُ[1] الصّديق والحثُّ على تركِهَا**

قيل: مع الاختلاف طمعٌ في الائتلاف ورُب مخالفةٍ دعت إلى محالفةٍ ومعاسرةٍ[2] تحمل على المعاشرة. وقيل بإحياء الملاطفة تُسْتَمَالُ القلوبُ العارفةُ. **وقيل**: إستدم مودّة أخيك بِتَرك الخِلاف عليه، ما لم تكن عليك منقصةٌ أو غضاضةٌ. **وقال** يموت بن مزروع: سمعت أبي يقول قرأت خمسين ألف بيت وما وقع لي مثل قوله:

وما أنا بالشيءِ الذي ليْس نافِعي ... ويَغْضَبُ مِنْهُ صاحبي بقؤول

● **الأمرُ بالإغضاءِ على عيْبِ الصديقِ**

قيل إن جعفراً الصادق كان **يقول**: لا تفتّش على عيب الصديق، فتبقى بلا صديق. وأحسن ما قيل في هذا المعنى **قول بشار**:

إذا كُنْتَ في كلّ الأمور معاتباً ... صديقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تعاتبُهْ

فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنّه ... مقارفُ ذَنْبٍ مرةً ومجانبُهْ[3]

إذا أنْتَ لم تشربْ مِراراً على القذى ... ظَمِئْتَ وأيُّ النّاسِ تصفو مشاربُهْ؟[4]

وقال آخر:

ومن لا يُغْمِضْ عَيْنَهُ عن صديقِه ... وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عَاتِبُ

ومن يتتبع جاهداً كلَّ عثرةٍ ... يَجدها ولا يسلمْ له الدّهرَ صاحبُ

وقيل: لا يجد رفيقاً من لم يزدرد ريقاً. **وقيل**: من عاتب في كل وقت أخاه فجدير أن يملّه ويقلاه[5] وعلى عكس ذلك **قال الشافعي** ـ رحمه الله ـ: ليس بأخيك من احتَجْتَ إلى مداراته.

---

(١) **المماراة**: مصدر مارى مراء ومماراة (فلاناً): جادله ونازعه ولاجّه.

(٢) **المعاسرة**: المخالفة والمضايقة.

(٣) **مقارف**: من قارف الذنب أي اقترفه وارتكبه وخلاف ذلك المجانبة أي الترك.

(٤) **يقول**: إنّ الناس لا تصفو مشاربهم دائماً وأنت محمول على مواصلتهم لأن المرء لا يسعه أن يعيش وحيداً وقد شبّه بشار هذا بالحاجة إلى الماء فأحدنا قد يشرب الماء أحياناً كدرا على ما فيه من القذى دفعاً للظمأ.

(٥) **يقلاه**: يكرهه ويبغضه.

● **محافظةُ منَ يُوَفِّي بِمَحاسنه على مقابحه**

قال لقمان: إذا أردْتَ مصاحبة رجلٍ فانظر، فإن كانت محاسنه أكثر فارتبطْهُ، **وقال ابن المقفع**: إنّ في الناس طبائع أربعاً فارتبطْ مَنْ رجحت محاسِنه.

وقيل لبزرجمهر: هل صديق لا عيب فيه؟ **فقال**: الذي لا عيب فيه يجب أن لا يموت. **قال شاعر**:

وحيثُ اختبرْتَ النّاسَ حقّ اختبارِهِمْ رَجَعْتَ إلى وصْلي وأنتَ ذمِيْمُ

ونحوه:

وتُرْجِعُني إليكَ وإن نأَتْ بي ديارٌ عنكَ، تَجْرِبةُ الرجالِ

● **الإغضاءُ على إساءةِ الصديقِ المحسن**

قال ابن المقفع، وقد بلغه عن رجل شيء يكرهه: ينبغي للرجل أن يكذّب سوءَ الظن بصديقه ليكون ذا ودّ صحيح وقلب مستريح. **قال منصور التيمي**:

إذا ما الصّديق أسا مرّةً وقد كان من قبْلها مجملا[1]

حفِظْتُ المقدّمَ من فعلِهِ ولم يُفسِدِ الآخرُ الأولا

وقيل: احتمل لأخيك ثلاثة: الغضب والدالة والهفوة. وقيل من صحّت مودته احتمِلَتْ جفوتُهُ.

● **حَمْدُ المعاتبةِ بين الإخوان وذمُّها**

قيل: ترك المعاتبة دليلٌ على قلّة الأكتراث بالصديق. المعاتبةُ تزيلُ الموجدة. أفضل المحبة ما كان بعد المعتبة. **قال شاعر**:

ويبقى الودّ ما بقِي العِتَابُ العتابُ حدائق الأحبابِ

وقال ابن المعتز[2]:

نعاتبُكم يا أمّ عمروٍ لحبّكُمْ ألاَ إنّما المقلي منْ لا يُعاتِبُ[3]

ولآخر:

علامةُ كلّ اثنين بينهما هوىً عتابُهما في كلّ حقّ وباطِلِ

وقيل العتاب ضربان: عتاب يحيي المودّة، وهو ما كان في نفس الودّ

---

(١) **أسا يأسو (هنا)**: أي أساء وخلاف ذلك أجمل أي أحسن.

(٢) **ابن المعتز**: أبو العباس عبد الله ٨٦١ ـ ٩٠٨ أمير عبّاسي شاعر وأديب ولي الخلافة يوماً وبعض يوم. لقّب المرتضى بالله مات خنقاً، له **طبقات الشعراء وكتاب البديع**.

(٣) **المقلي**: المبغض.

وعتاب يميتها وهو ما كان في ذنب وموجدة[١]

التقى أعرابيان فتعاتبا وإلى جنبيهما شيخ، فقال: انعما عيشاً، إن العتاب يبعث التجني والتجني ذرء[٢] المخاصمة والمخاصمة أخت العداوة فانتهيا عمّا ثمرته العداوة. وقال العبّاس:

إن بعض العتاب يدعو إلى البغض ويؤذي به المحبّ الحبيبا

وقيل: التجنّي وافد القطيعة. قال شاعر:

ودعِ العتابَ فربّ أمر هاج أوّلَه العِتاب

وقال الآخر:

وبدءُ الصَّرمِ من مَلَلِ العِتَاب[٣]

وقيل: العتابُ بدء العقاب.

● النهيُ عن تضييعِ حقوقِ الإخوان

قيل: أقلّ الناس عقلاً من فرّط في اكتساب الإخوان. وأقلّ منه عقلاً من ظَفر بأخي صِدْقٍ فضيّعه. وقال عمر: إذا رزقك الله ودّاً من رجل فتمسّك به.

وقيل: لا يقطع الرجل أخاه إلا لواحد من اثنين لا خير فيهما: لملاله أو لسوء اختياره للصداقة.

● الحثُّ على المصافاةِ وتركُ المداجاةِ[٤]

قال سفيان لرجل: لا تكوننّ صديق عين وعدوّ غيب[٥] وسُئِلَ خالد بن صفوان عمّا يجب للإخوان، قال: تجنّب طريق النفاق ولا تقصر عن الاستحقاق قال إبراهيم بن عباس:

خلِّ النفاقَ لأهله ... وعليكَ فانتهجِ الطَّريقَا
واذهبْ بنفسِك أنْ تَرَى ... إلاّ عدواً أو صديقا

وفي مدحِ من يحفظ أخاه بظهر الغيب، قال بعضهم:

موكلُ النفسِ بظهرِ المغيبِ ... أقصى رفيقَيْه له كالقريب

قال المثقب العبدي:

فإمّا أن تكونَ أخي بصدقٍ ... فأعرف منك غثّي من سميني
وإلاّ فاجتنبْني واتخذْني ... عدوّاً أتّقيك وتتّقيني

---

(١) الموجدة: الغضب.
(٢) ذرء المخاصمة: خلفها.
(٣) الصرم: القطيعة والجفاء.
(٤) المداجاة: المراءاة والممالطة والتملّق.
(٥) عدوّ الغيب: أي العدو الذي لا يواجهك في عداوته بل يطعن بك دون أن يواجهك.

وقال آخر:

ولا تَكُ ممّن إن نأى عنه صاحبٌ فغاب عن العينين غابَ عن القلبِ

● الحثُّ على مداجاةِ العدوّ

قيل: إذا صافاك عدوّك رياءً فتلقّى مصافاته بأوكد مودة، فإنه إذا ألف ذلك اعتاده وخلصت مودّته. **وقال ابن السماك:** لِنْ لِمَنْ يجفو فقلّ من يصفو.

وقال ابن الحنفية: ليس بحكيمٍ من لم يعاشرْ مَنْ لم يجدْ عن معاشرتهُ بُدّاً حتى يجعل له فرجاً ومخرجاً. **قال التنوخي:**

ألقى العدوَّ بوجهٍ لا قُطُوبَ به يكاد يقطرُ من ماءِ البَشَاشَاتِ[1]

فأحزَمُ الناسِ من يلقى أعاديه في جسم حقدٍ وثوبٍ من موَدّاتِ

● وصفُ أخوّةٍ صادقةٍ

مدح أعرابي صديقاً **فقال:** مجالسته غنيمة وصحبته سليمة ومؤاخاته كريمة، هو كالمسك إن بِعْتَهُ نفق وإن تركته عبق[2]

وعاتب رجل خليله **فقال:** لو علمت أن يومي أهنأ من يومك لاخترت أن أوثرك به.

قال شاعر:

وذي لطفٍ لو كان يعلمُ أنّه شفائي دَمٌ من جوْفه لَسَقَاني

وقال آخر:

قد تخللتَ مسلكَ الرّوحِ منّي وبذا سُمّي الخليلُ خليلا

وقيل: لم يُسمَعْ بأطيب وأعذب من **قول البحتري**[3]:

وجدتُ نفسَكَ من نفسي بمنزلةٍ هي المُصَافَاةُ بين الماءِ والرّاحِ[4]

وقال يصف خليلاً:

أخٌ وأبٌ لي ثم أمّ شفيقةٌ تفرّقُ في الأحبابِ ما هو جامِعُهْ

سلَوْتُ به عن كلِّ مَنْ كان قَبْلَهُ وأذهَلَني عن كائنٍ هو تابِعُهْ

ولآخر:

ونحنُ كروحٍ بين جسْمَيْنِ قُسّمَا فجسْماهما جسْمان والروحُ واحدُ

---

(١) **القطوب:** العبوس.
(٢) **عبق:** فاح وانْتَشَرت رائحته.

(٣) **البحتري:** أبو عبادة (٨٢٠ ـ ٨٩٧) شاعر عربي طائي وُلد في منبج اختص بالمتوكل ووزيره الفتح بن خاقان. اشتهر بالوصف وله كتاب الحماسة على مثال حماسة أستاذه أبي تمام.

(٤) **المصافاة:** التصافي ـ **الراح:** الخمر ـ **يقول:** إن نفسينا في صفاءٍ وانسجام كالماء والخمر.

● **متآخيان اختلف مذهباهُمَا**

قال الجاحظ[1]: لم يُرَ أعجب حالاً من الكميْت والطرمّاح، فإن الكمَيت كان عدنانياً شيعياً يتعصب لأهل الكوفة، والطرماح كان قحطانياً خارجياً يتعصب لأهل الشام، وكان بينهما من المخالطة ما لم يكن بين اثنين قط ولم تَجْرِ بينهما جفوةٌ ولا قطيعة ولا اعتراض. **وقيل لهما**: كيف اتفقتما مع الخلاف بينكما؟ **فقالا**: اتفقنا على بغض العامة. ووصفهما جعفر المصري **فقال**:

فنحن من وُدٍّ وحُبٍّ كما ... كان كميتٌ والطِّرمّاحُ

وكان عبد الله الأباضي وهشام بن الحكم شريكين في البزّ وبينهما من الخلاف ما لم يكن بين اثنين، كان الأباضي يزعم أن علياً لم يزل مستتراً بالكفر حتى أظهره يوم التحكيم وهشام يثبت الإمامة لعلي رضي الله عنه. **قال هشام**: ما خالفني إلا مرة: اشترينا جارية **فقلت**: أجعلها لي، **فقال**: أنت عندي كافر وهذا فرج، ولا أحبُّ أن أبيحه لك. **قال العباس بن الأحنف وهو مما يتمثّل به ههنا**:

زاوج حيتانها الضّبابَ بها ... فهذه كنّة وذا خَتَنُ[2]

● **اصطحابُ نَذْلَين**

في المثل: وافق شنّ طبقة. وافقه فاعتنقه. **قال شاعر**:

كأنسِ الخنافيسِ بالعَقْرَبِ

ولأبي الحسن:

كلا كُما بالمجد مستهترٌ ... وبابتِنَاءِ المَجْدِ مفتونُ
وفرّقُ ما بينكما واحدٌ ... أنت رقيعٌ وهو مأفونُ[3]
وأنتَ لوطيّ على ظنّه ... وذاك بالإجماعِ مأبونُ[4]

● **استبقاءُ الإخوانِ بالإفضاءِ[5] عليهم**

قيل: إذا سرّك أن يثبت لك الصديق، فليكن لك عليه الفضل. **قال شاعر**:

إذا أنتَ لم تفضلْ على ذي مودّةٍ ... وكنتَ وإيّاه بمنزلةٍ سَوَا

---

(١) **الجاحظ**: أبو عثمان (٧٧٥ ـ ٨٦٨) من أئمة الأدب العبّاسي وُلد في البصرة. نُسبت إليه الجاحظيّة من فرق المعتزلة. صوّر أحوال عصره وحياة أهل زمانه تصويراً يمتزج فيه الجدّ بالدعابة من مؤلفاته: «الحيوان» و «البيان والتبيين» و «البخلاء».

(٢) **الختن**: الزوج.

(٣) **الرقيع**: الأحمق الذي أخلق عقله ـ **المأفون**: ناقص العقل.

(٤) **المأبون**: المعاب.

(٥) **الإفضاء**: مصدر أفضى عليه أي أعطاه وغمره بنواله.

فلاتَكُ ذا عتبِ عليه وإنّما ... يُعَاقِبُ بالذَّنْبِ المُثيب على الرِّضَا

- **الحثُّ على مشاركةِ الصديقِ في سرّائِهِ دون ضرّائه**

قالت امرأة يحيى بن طلحة له: أما ترى أصحابك إذا أيسرت لزموك وإذا أعسرت تركوك؟ **فقال**: هذا من كرمهم يأتوننا في حال القوة منّا على الإحسان إليهم ويتركوننا في الضعف عنهم:

يعرَفُ الأبعدُ إنْ أثرى ولا ... يعرفُ الأقربُ إنْ يفتقِر

ولآخر:

أبو مالك قاصرٌ فَقْرَه ... على نفسه ومُشِيعٌ غِنَاه

وقيل: فلان يتحسى المرّ ويسقي إخوانه العذب.

- **الحثُّ على مشاركةِ الصديقِ في ذات اليدِ**

رأى بعض الحكماء رجلين لا يفترقان فسأل عنهما **فقيل**: هما صديقان. **قال**: ما بال أحدهما غني والآخر فقير؟ **وقيل**: لا خير في صحبة من لا يرى لك مِثْلَ ما يرى لنفسه.

وقال محمد بن علي: أيدخِلُ أحَدُكُمْ يده في كمّ أخيه فيأخذ حاجته؟ **قالوا**: لا **قال**: فلستم إذاً بإخوان.

- **الحثُّ على أن تشارِكَ في السرّاء مَنْ يشاركُكَ في الضرّاء**

قال أكثم بن صيفي: حقّ أن تشارك في النعم من يشاركك في المكاره. **قال أبو تمّام**:

إن الكرام إذا ما أيسَروا ذكَرُوا ... من كانَ يألَفُهُمْ في المنزلِ الخَشنِ(١)

وقال جحظة البرمكي:

قلْ للوزير أدام اللهُ دولتَهُ ... أذكرْ مُنَادمتي والخبزُ خُشْكَارُ(٢)

إذا ليسَ بالباب برذونٌ لنوبتِكم ... ولا غلامٌ ولا بالباب طيّارُ(٣)

وقال آخر:

شركْناكَ في مرُّ الزّمان فكنْ لنا ... إذا الحلوُ منه درّ غير شَرِيكِ

- **ذمُّ مَنْ أعرَضَ عنك في حالِ يسارِهِ**

صَبَغَتْ أميّةُ في الدماء رِمَاحَنا ... وطَوَتْ أميّةُ دُونَنا دُنْيَاهَا

---

(١) إن الكرام لا ينسون في غناهم من كان يعرفهم في فقرهم.

(٢) الخشكار: من الخشكر وهو ما خشن من الطحين واللفظة فارسيّة.

(٣) البرذون: دابة الحمل الثقيلة، والتركيّ من الخيل ـ الطيّار: الفرس السريع.

وقال آخر:

رأيتُكَ لما نِلْتُ مالاً وعضبا ... زمانٌ نرى في حدّ أنيابه شَغْبا
جعلت لنا ذنْباً لتمنعَ نائِلاً ... فأمسِكْ ولا تجعلْ غِناك لنا ذنْبا

قال محمود:

وكنتَ أخي أيامَ عُودُك يابِسٌ ... فلمّا اكتسى واخْضَرّ صِرْتَ معَ الدّهْرِ

ولآخر:

إبْتاعَ وذي وهو ذو عُسْرَةٍ ... حتّى إذا نالَ الغِنى باعَهُ

وكتب المعروف بالزغل إلى بعض السلاطين:

رآني بعينِ النّقصِ أن صارَ ذا غِنَى ... وأغفلَ قبْلَ اليومِ نَقْصَ يَدَيْهِ
وما نالَ إلا حظّه غيرَ أنّه ... توهّم أنّ الرزْقَ صارَ إليْهِ
فَكِلْهُ إلى مُرِّ الليالي وصرفِها ... ستأتي على ما عِنْدهُ وعَلَيْه

وقال آخر:

صديقُكَ مَنْ يَرْعاكَ عند شديدةٍ ... فكُلٌّ تراه في الرَّخاءِ مُراعِيا

وقال آخر:

فلا يغرّنْكَ إخوانٌ تعدّهم ... أنتَ العدوّ لِمَنْ كلّفْتَهُ حاجَه

- **ذمُّ مَنْ تكبّر على أصدقائه لغِناهُ وسُلْطانه**

قال صالح بن عبد القدوس[1]:

تاهَ على إخوانِهِ كلِّهِم ... فصارَ لا يطْرَفُ من كِبْرِهِ
أعادَهُ اللّهَ إلى حالِهِ ... فإنّهُ يَصْلُحُ في فَقْرِهِ

قال الخوارزمي[2]:

وصلْتُكَ بالسّلطان حتّى إذا اعْتلَى ... مكانُكَ واستمكنْتَ لم تَمْلِكِ الحِقْدَا
كمُقْتَدِحٍ ناراً بزنْدٍ لحاجةٍ ... فلما تلظّتْ نارُه أحْرقَ الزّنْدَا

- **تغيّرُ الإخوانِ في حالِ العلاء**

قال زياد: إذا كان لك صديق فولي ولاية وبقي لك واحد من عشرة، فليس بصديق سوء.

---

(١) صالح بن عبد القدوس: (توفي نحو ٧٧٧) من شعراء بغداد صلبه المهدي لزندقته اشتهر بقصيدته الزينبية أكثر شعره في الحكمة.

(٢) الخوارزمي: أبو عبد الله (توفي ٩٩٧) باحث عالم من أهل خراسان أوّل من ألّف موسوعة بالعربيّة هي «مفاتيح العلوم».

وقال بعضهم: إذا كان لك أخ صافي الودّ فلا تتمنّى له منزلة، ففي ذلك تغيّر له عن الوداد.

قال شاعر:

وكـــلُّ إمــــارةٍ إلا قـــلـــيـــلاً مـغـيّـرة الـصـديـقَ عـن الـصـديـق

وقال آخر:

إذا مــــا أردتَ ودادَ امـــــرىءٍ فــلا تــدعــوَنَّ لــه بــارْتــقــاءِ

● **نهيُ مَنْ بلغ صديقه منزلةً مِنَ التدلُّلِ عليه**

قال منصور:

إذا رأيـتَ امـرأً فـي حـال عـسْـرَتِـهِ صـافـي الـمـودّة مـا فـي ودّه وَغَـلُ(1)

فـلا تـمـنّ لـه حـالاً يُـسَـرُّ بـهـا فـإنّـه بـانـتـقـالِ الـدّهْـرِ يَـنْـتَـقِـلُ

قيل: لا تنظر إلى صديقك إذا بلغ منزلة بعينك الذي نظرت إليه بها قبل، وإذا جعلك أباً فاتخذه ربًّا. وقيل: ذو الحرمة مَلُوَمٌ على الإفراط في الدالة كما أن المحترم له ملومٌ على تناسي المودّة والحرمة.

وقال أبو عباد يوماً لأبي بكر المقري: إيّاك والدالّة في غير مكانها فنحن بالليل إخوان وبالنهار ذوو سلطان. فرط الادلال يدعو إلى الملال.

● **مَدْحُ مَنْ لَمْ يتغيّر لمنزلةٍ نالها**

فتى زادَه السلطانُ في الحمد رغبةً إذا غـيّـر الـسـلـطـانُ كُـلَّ خَـلِـيْـلِ

وقال الموسوي:

وغـيْـري إذا مـا طـار خـلْـفَ صـحـبـه دُويـن الـمـعـالـي واقـعِـيـن وحـلّـقـا

ولما بشّر هشام بالخلافة سجد من حوله شكراً لذلك، غير الأبرش الكلبي فقال له هشام: ما منعك أن تسجد معي؟ قال: إني معك ليلاً ونهاراً وغداً ترقى إلى السماء فتنكرني. قال: بل أصعد بك، فقال: أما الآن فإني أسجد عشرين سجدة.

● **مَدْحُ مَنْ نزّه إخوانَهُ عن استخدامِهِمْ في سلطانِهِ**

كان هشام يعتمّ فقام إليه الأبرش ليسوّي عمامته، فقال: مه(2) فإنّا لا نتخذ الإخوان خولاً(3)

وقام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بنفسه فأصلح سراجه، فقال واحد من جلسائه: ألا أمرتني، فكنت أكفيك. قال: ليس من المروءة أن يستخدم الرجل جليسه.

---

(1) العسرة: الضيق ـ الوغل: الدنيء، الضعيف. (2) مه: اسم فعل بمعنى انكفف.

(3) الخول: الخدم.

- **الحثُّ على خدمةِ الإخوانِ ومدح ذلك**

قال النبي ﷺ: سيد القوم خادمهم. **وفي المثل**: إذا عزّ أخوك فَهُن.

قال ابن المعتمر:

إذا أنت رافقْتَ الرجال فكُنْ فتىً ... كأنك مملوكٌ لكلّ رَفِيقِ
وكُنْ مثلَ طعمِ الماء غضّاً وبارداً ... على الكبد الحرّى لكلّ صَدِيْقِ

وقال آخر:

كأنَّهُ عَبْدٌ لإخوانِهِ ... وليسَ فيه خُلُقُ العَبْدِ

ونحوه:

وعَبْدٌ للصحابة غَيْرُ عَبْدِ

- **النهيُ عن ذلك**

قال بعضهم: إنّ لكل قوم كلباً فلا تَكُنْ كَلْبَ إخوانك. **قال عبد الله بن معاوية**:

لا تُهينَنَّ للصديق مَكْرُمَةً ... نفسك، حتى تُعَدّ مِن خَوَلِهْ
يحملُ أثقالَهُ عليك كما ... يحمل أثقالهُ على جَمَلِهْ

- **احتمالُ أذى الصديقِ ما لمْ يَكُنْ فيه هَوَانٌ**

قال صالح:

أرضى عنِ المرءِ يُصْفِيني مَوَدّتَه ... وليْسَ شيءٌ من البغضاءِ يُرضِيْنِي (1)(2)

وقال آخرَ:

سأصْبِرُ عنْ رَفيقي إنْ جفاني ... علَى كلّ الأذى إلا الهَوانِ

قال جحظة:

تذَلّلْ لِمَنْ إنْ تذلّلْتَ له ... يرَى ذاك لِلفَضلِ لا لِلْبَلَه
وجانبْ صداقةَ مَنْ لا يزالُ ... علَى الأصْدقاءِ يرَى الفَضْلَ لَه

- **كونُ الناسِ أصدقاءَ ذي المالِ**

قيل لبعض الفضلاء: كم لك من صديق؟ **قال**: لا أعلم لأن الدنيا مقبلة عليّ والأموال موجودة لديّ، وإنما أعرف ذلك لو ولّتِ الدنيا. ألَمْ تَسْمَعْ إلى **قولِ طريح**:

الناسُ أعداءٌ لكل مُدْقِعٍ ... صفرِ اليدين وإخوةٌ للمُكْثِرِ (3)

---

(1) لا تدعُ لأحدهم بالمراتب العالية فتتغير مودّته وتخسره.

(2) يقول: أرض بصفاء المحبة لا بالكراهية والبغضاء.

(3) المدقع: الفقير المعوز - يقول إنّ الناس أعداء للفقير وأخوة للغني.

ولما نُكِبَ علي بن عيسى لم يَطِرْ بناحيتِهِ أحد، فلما رُدّتْ إليه الوزارة رأى الناس حوله، فأنشد:

ما الناسُ إلا معَ الدنيا وصاحبِها | فأينما انقلبَتْ يوماً به انقلبُوا

وقال عبد الملك لأصحابه: أيكُم يصف لي عامّة الناس؟ **فقال الوليد ابنه:** إخوان طمع وأعداء نعم.

وقيل: إذا احتاج إليك عدوك أحبّ بقاءك، وإذا استغنى عنك وليُّكَ هان عليه موتُك. الإخوان عند الجفان كثير وعند الحقائق قليل.

● ذمُّ المودّة التي يجلبُها الطمعُ

كلُّ مودة عَقَدها الطمع حلّها اليأس. **وقيل:** إياك وَمَنْ مودّتُه لك لحاجة.

قال إبراهيم بن العباس:

وكُنْتَ أخي كالدّهر حتى إذا نبَا | نبوْتَ فلّما عاد عُدْتَ مَعَ الدّهْرِ (١)
فلا يومَ إقبالي عَدَدْتُكَ طائلاً | ولا يومَ إدباري عَدَدْتُكَ من أمْري

● حَمْدُ الغيرةِ على الإخوان

سأل الرشيد رجلاً عن بني أمية **فقال:** كانوا يتغايرون على الإخوان كتغايرهم على القيان(٢) **وقيل:** لتكن غيرتك على صديقك كغيرتك على صديقتك.

وقال شاعر:

وكُنْ عالماً أني أغار على أخي | وخلّي كما أنّي أغارُ على عِرسي (٣)
ووفّرْ عليّ الحظّ منك فإنّني | خَصَصْتُكَ بالحَظّ الموفرِ مِنْ نَفْسي

● ذمُّ مَنْ يصاحبُ من أصدقائك أعداءَك

في كتاب الهند: من علامة الصديق أن يكون لصديقه صدوقاً ولعدوه عدواً. **قال شاعر:**

تؤاخي عدوّي ثم تزعمُ أنّني | صديقُكَ إنّ الرأي منك لَعَازِبُ

وقيل: ليس من المروءة أن تحبّ ما يبغضه حبيبك. **وقيل:** لا يحبُّك من يُحِبّ عدوّك.

وقال أيوب بن جعفر للمأمون: أنا أودّكَ مودّةَ حرةً وأبغض أعداءَكَ بغضةَ مرّةً، **فقال:** إنك تقول فتحسن وتحضر فتزين وتغيب فتؤمن.

---

(١) نبا نبوّاً: تجافى وتباعد.
(٢) القيان جمع قينة: المغنية ـ القينة الماشطة. (٣) العرس: الزوجة ـ عازب: بعيد.

قال السريّ:

وليس يكونُ المرءُ سلمَ صديقِه إذا لم يَكُنْ حربَ العدوّ المُخالِفِ

- **حَمْدُ مَنْ يصاحب منهم أعداءك**

قال ابن المقفع: إذا رأيت صديقك مع عدوّك فلا يوحشنّك ذلك، فإنما هو أحد رجلين إذا كان من إخوان الثقة فانفع مواطنه قربه من عدوّك شرّ يلفّه وعورة يسترها وغائبة يطلع عليها، وإن كان غير ثقة فهو أولى[1] به فَهَبْهُ له.

- **مدحُ رفضِ الحشمةِ بين الأصدقاء**

قال علي رضي الله عنه: شرّ الإخوان من يحتشم منه ويتكلّف له. **قال المرجيّ الصوفي:** إذا صحّ الود سقطت شروط الأدب. **وقال الحسن بن وهب:** إعلم أن المودة لا تتم ما دامت الحشمة عليها مسلّطة.

وقال بعضهم: أسقط عن نفسي نصف همّ الدنيا بعشرة من لا أحتشمه، **وقال الجنيد** رضي الله عنه لا تصحب من تحتاج أن تكتمه ما يعرف الله منك.

- **ذمّ فَرْطِ الانبساطِ**

قيل: صن الاسترسال منك حتى تجد له مستحقاً، واجعل أنسك آخر ما تبذل من ودّك. **وقال جعفر بن محمد:** إيّاك وسقطة الاسترسال فإنها لا تستقال.

في كتاب كليلة ودمنة: بعضُ المقاربة حزمٌ وكلِ المقارنة عجز، كالخشبة المنصوبة في الشمس تُمَالُ فيزيد ظلُّها وتفرط في الإمالة فيرتد ظلُّها.

وقال أكثم: الانقباض[2] عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، أخذه الحارث. **فقال:**

إذا ما عممتَ النّاسَ بالأنس لم تزَل لصاحبِ سُوء مستفيداً أو كاسباً
فإن تُقْصِهِم أرمَوْكَ عن ظهر بِغضةٍ فكنْ خلطاً إنْ شِئْت أوْ كُنْ مُجَانِبًا[3]
ولا تنتبذْ عنهم ولا تَدنُ منهم ولكنّ أمراً بين ذاك مقاربًا[4]

وقال: إذا أقبل عليك مقبل بودّه فَسَرّك أن لا يُدْبِرَ عنك، فلا تكثرْ الإقبال عليه، فالإنسان من شأنه التباعد ممن قَرُبَ منه، والدنوّ مِمّن يتباعدُ منه.

- **مُباسطةُ الكرام والانقباضُ عن اللئام**

ومالي وجهٌ في اللئام ولا يَدٌ ولكنّ وجهي في الكرامِ عَريضُ

---

(١) **أولى به:** أجدر به، أحق به.
(٢) **الانقباض عن الناس:** اعتزالهم والانكماش عنهم.
(٣) **إن تقصهم:** أن تبعدهم.
(٤) **تنتبذ عنهم:** تبتعد عنهم ـ **الكاشح:** العدوّ المبغض ـ **الصرم:** القطيعة والهجر.

أهشُّ إذا لاقَيتُهُم وكأنني إذا أنا لاقيتُ اللئام مريضُ

وقال ابن كناسة:

فيّ انقباضٌ وحشمةٌ فإذا أبصرتُ أهلَ الوقار والكرمِ
أرسلتُ نفسي على سجيّتها وقُلتُ ما قُلتُ غيرَ محتشِمِ

● النهيُ عن فرط[1] المودّةِ والعداوةِ

قيل: من أحببت فلا تأمَنْهُ وَمَنْ أبغضتَ فلا تهجره. وقيل خالط الناس وزايلهمْ. **وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه:** لا يكن حبّك كلفاً ولا بغضك تلفا.

قال زياد بن زيد:

وإن امرأً قد جرّب الدهرَ لم يَخُنْ تقلّب عصريه لغَيْرُ لَبيبِ
فلا تيأسنَّ الدهر من حبّ كاشحٍ ولا تأمننَّ الدهر صَرْمَ حَبِيْبِ[2]

وقال آخر:

فهونك في حُبٍّ وبغضٍ فربّما بدا جانبٌ من صاحب بعد جانِبِ

● ذمُّ الاستكثارِ مِن الأصدقاءِ

قيل: لتكن الإخوان عندك كالنار قليلُها متاع وكثيرها بوار[3] **وقال الفضيل:** من سخافة عقلِ المَرْءِ كثرة معارفِهِ. **وقال حفص بن حميد:** من لم ينقص كل يوم صديقاً لا يُفلحْ[4] أبداً:

عدوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فلا تَسْتَكْثِرَنْ مِنَ الصِّحَابِ[5]
فإنَّ الداءَ أكثر ما تَرَاهُ يكونُ من الطَّعَام أو الشَّرَابِ

● إعوازُ صديق صادق

قال الفضيل لسفيان رحمهما الله: دلّني على صديق أرْكُنُ إليه إذا غبت وآمَنُ معه إذا حضرت، **فقال** تلك ضالةٌ لا توجد.

وقيل لرجل: مَنْ أبعد الناس سفراً؟ **فقال:** من كان سفره في طلب أخ صالح وسمع **المأمون أبا العتاهية ينشد:**

وإني لمحتاجٌ إلى ظلّ صاحبٍ يروقُ ويصفو إنْ كَدَرْتُ عليهِ

فقال خذ منّي الخلافة وأعطني هذا الصاحب.

---

(١) **فرط**: كثرة.
(٢) **الكاشح**: العدوّ الباطن العداوة.
(٣) **بار بواراً**: هلك، كسد.
(٤) **يفلح**: أفلح، نجح.
(٥) **مستفاد منه**: مقتنى ـ يدعو ناصحاً إلى عدم الإكثار من الأصحاب.

وقيل لفيلسوف ما الصديق؟ فقال: اسم على غير معنى. قال أبو فراس[1]:

نَعَمْ دَعَتِ الدنيا إلى الغَدْرِ دعوةً ... أجابَ إليها عالمٌ وجَهُولُ
فَيَا حسرتي من لي بخلٍّ مُوافِقٍ ... أقول بِشَجْوي مرّةً ويقولُ

قال الصابىء[2]:

أيا ربُّ كلُّ الناس أولادُ علّةٍ ... أما تغلطُ الدنيا لنا بصديقِ
وجوهٌ بها من مُضْمَرِ الغلّ شاهدٌ ... ذواتُ أديمٍ في النِّفاقِ صَفِيقِ[3]

● **التخويفُ مِنْ دَغَلِ الإخوان**

قال أعرابي: اللهمّ اكفِني بوائق[4] الثقات والاغترارِ بظاهر المودّات. وقال آخر: اللهم احفظني من الصديق. فقيل: كيف؟ قال: لأني متحرّز من العدّو. قال علي بن عيسى:

إحْذَرْ عدوَّك مرّةً ... واحذَرْ صديقَك ألفَ مرّهْ
فلربّما انقلبَ الصديقُ ... فكانَ أعْلَمَ بالمضرّهْ

وقيل: احذر من تأمنه، فودائع الناس لا تضيع إلا عند الثقات. وقيل: قلّ من يؤذيك إلا مَنْ تعرفه.

● **ذمُّ مَنْ يستعدُّ حين الصداقةِ للعداوة**

ذمّ العبّاس رجلاً فقال هو يترصّد في صداقته ما يتوثّب به في عداوته. قال شاعر:

احذرْ أخوّةَ كلِّ من ... شابَ المرارةَ بالحَلاوَهْ
يُحْصِي الذنوبَ عليك ... أيامَ الصداقةِ للعداوَهْ

● **قلّة نَفْعِ مودةٍ مكرهةٍ**

فلا خيرَ في وُدّ امرىءٍ متكارهٍ ... عليك ولا في صاحبٍ لا تُوافِقُه

وقال آخر:

ألا إنّ خيرَ الودّ ودٌّ تطوّعتْ ... به النفسُ لا ودٌّ أتى وهو مُتْعَبُ

● **ذم من يُضْمرُ عداوةً ويظهر صداقةً**

قال بعضهم: تظن فلاناً يضحك لك وهو يضحك منك فإن لم تتخذه عدواً في

---

(١) أبو فراس الحمداني (٩٣٢ ـ ٩٦٨) وُلد في الموصل هو ابن عمّ سيف الدولة صاحب حلب الذي قلّده إمارة منبج. أسره البيزنطيون أربع سنوات. استولى على حمص بعد وفاة سيف الدولة فقُتِل: أشهر قصائده: «الروميّات».

(٢) الصابىء: إسحاق إبراهيم (٩٢٥ ـ ٩٩٤) كاتب حرّاني خدم بني بويه. اشتهر برسائله. له ديوان شعر.

(٣) الغلّ: الحقد والكراهية والغشّ.

(٤) البوائق: جمع بائقة وهي الشرّ.

علانيتك فلا تتخذه صديقاً في سريرتك. **وقيل**: مَنْ عاشر الإخوان بالمكر كافأوه بالغدر.

قال يزيد الحكمي:

لسانُك لي أَرْيٌ وقلبُك عَلْقَمُ ... وشَرُّكَ مَبْسُوطٌ وخيرُكَ ملْتَوي[١]

وقال آخر:

زعمت صديقى طاب مرأىً ومسمعًا ... صَدَقْتَ ولكنّ المغيبَ معيبُ[٢]

وقال آخر:

إذا أنتَ فتَّشتَ القلوبَ وجدْتَها ... قلوبَ أعادٍ في جُسُومِ أَصَادقِ

● **تأسّف من تكدّر ودّهُ بعد الصّفَاء**

أخٌ كنتُ آوي منه عند ادّكَارِه ... إلى ظلِّ آباء من العزّ شامخ

سَعَتْ نُوَبَ الأيام بيْني وبينه ... فأقلعْنَ منّا عن عدوٍّ وصارخِ[٣]

وقال أعرابي: يا حسرتي فقد صفرت من فلان عياب[٤] ودّي بعد امتلائها واكفهرت[٥] وجوه كانت بمائها. فأدبر ما كان مقبلاً وأقبل ما كان مُدْبِراً.

● **ذمّ مَنْ يتجنّى على صَديقه طَلباً لصرمه**

إن الملولَ إذا أرادَ قَطيعةً ... ملَّ الوصالَ وقالَ كان وكانا[٦]

وقال آخر

زماني كلُّهُ غَضَبٌ وعتْبٌ ... وأنت عليّ والأيام إِلْبُ[٧]

وقال ابن المقفع: ينبغي للعاقل أن يكذب سوء الظن بصديقه ليكون ذا ودّ صحيح وقلب مستريح. **وقال ابن سيرين**: إذا بلغك عن صديقك ما تكرهه فالتمسْ له عذراً، فإن لم تجد فقل: لعلّ له عذراً وأنت تلوم.

● **معاتبةُ مَنْ أساءَ الظنّ بصديقه**

قيل لرجل ما ظنك بأخيك؟ قال: ظني بنفسي. **قال المتنبي**:

إذا ساء فِعْلُ المرءِ ساءت ظنونُهُ ... وصَدَّقَ ما يعتادُه من تَوَهمِ

---

(١) **الأري**: الشهد والعسل ـ **العلقم**: الحنظل، وكل ما مرّ فهو علقم.

(٢) **المغيب**: الغيبة والنميمة.

(٣) **نوب**: جمع نائبة مصيبة.

(٤) **العياب**: العيوب، والعياب الصدور والقلوب تشبيهاً بعياب الثياب وعياب الودّ من باب المجاز.

(٥) **اكفهرّ اكفهراراً الليل**: اشتدّ ظلامه.

(٦) **القطيعة**: الصرم والجفاء ـ **لصرمه**: لهجره والانقطاع عن صحبته.

(٧) **الإلب**: القوم تجمعهم عداوة واحدة، وألب إلبا: جمع وألّب: أفسد، وألّب من الأضداد ويفيد الجمع أيضاً.

وعـادى مـحـبّـيـه بِـقَـولِ عـداتـه فـاصـبـحَ في داجٍ مـن الـشـكّ مُـظْـلـمِ

وله:

ومـن يـكُ ذا فـمٍ مُـرٍّ مـريـضٍ يـجـدْ مُـرّاً بـه الـمـاءَ الـزُلالا[1]

قال الموسوي:

مـن سـاءَ ظـنّـاً بـمـا يـهْـواه فـارقَـه وحـرّضَـتْـهُ عـلـى إبـعـاده الـتـهَـمُ

• معاتبةُ مَنْ سلا عن صديقه

مـالـي جُـفـيـتُ وكـنـتُ لا أُجْـفـى ودلائـلُ الـهـجـران لا تَـخْـفَـى

وأراك تـشـربُـنـي فـتـمـزجُـنـي ولـقـد عـهـدْتُـك شـاربـي صِـرْفـا

من كفّ عنك أذاه فهو صديق صدق. خيرُ ما في اللئيم أن يكفَّ ضَرَرَهُ.

قال المتنبي[2]:

إنّـا لـفـي زمـنٍ تَـرْكُ الـقـبـيـحِ بـه مـن أكـثـر الـنّـاس إحـسـانٌ وإجـمـالُ

وقال آخر:

لـي صـديـق لـديْـه نـصـحٌ وودّ غـيـر أنّ الـدمـاغَ فـيـه مَـرمّـه

فـإذا مـا سَـعَـى لـيـدفـعَ عـنْـه في الـمـلـمّـات صَـارَ عَـوْنَ الـمُـلِـمّـه

لـيـتَـه كـفَّ خَـيْـرَهُ وأذاه ورعـى لـي بِـذاك حـقّـاً وحُـرْمَـهْ

وقال آخر:

قـد جـنَـاهـا أخٌ عـلـيّ كـريـمٌ وعـلـى أهـلِـهـا بـراقـشُ تـجْـنـي[3]

• ذمُّ مَنْ يُعَادي أصدقاءَهُ

قال السري الكندي:

رأيْـتُـكَ تـبْـري لـلـصّـديـق نـوافِـذا عـدوُّك مـن أوصـابِـهـا الـدّهـرَ آمـنُ[4]

وقال آخر:

لـنـا أخٌ يـطـلـبُ غـيـرَ ثـارِه يـطْـوي الـعِـدا ويـنـتـحـي لـجـارِه

والـكـلـبُ لا يـنـبَـحُ مـن فـي دارِهِ

---

(١) الماء الزلال: العذب، الصافي، والزلال: الكثير الزلق، وزلّ: سقط وزلق.

(٢) المتنبي: أبو الطيب (٩١٥ ـ ٩٦٥) من كبار شعراء العرب وُلد في محلّة كندة بالكوفة. وقتل في طريقه من فارس إلى بغداد. امتدح سيف الدولة ثم كافوراً ثم عضد الدولة. كان شجاعاً طموحاً متكبّراً. أفضل شعره في المدح والهجاء والفخر والحكمة.

(٣) براقش: جمع برقش، طائر صغير ملوّن الريش. ويقال جنَت على أهلها براقش وهو: مثل أصله أنّ قوماً كانوا هاربين من أعدائهم والوقتُ ليل فنبحت كلبتهم براقش فاهتدى إليهم الأعداء وأوقعوا بهم، فذهب القول مثلاً.

(٤) الأوصاب: الأوجاع والآلام، جمع وصب.

● **تفضيلُ صداقة مَنْ قدُم إخاؤُهُ**

قال معاوية لكاتب له: عليك بصاحبك الأقدم فإنّك تجده على مودّة واحدة وإن قَدُمَ العهد وبعدت الدار. وإيّاك وكلّ مستحدث فإنه يجْري مع كل ريح. وقيل لا تستبدلَنّ بأخٍ لك قديم، أخا مستفاداً ما استقام لك. **قال شاعر**:

كيْف يبْقى لك الجديدُ من النا ... س إذا كنْت تطرح الخلقانا[1]

قال أبو الشيص[2]:

نَقِّلْ فؤادَك حَيثُ شِئتَ منَ الهوى ... ما الحُبُّ إلاّ للحبيبِ الأوَّلِ[3]

كَمْ مَنْزِلٍ في الأرضِ يألفُهُ الفتَى ... وحنينُه أبداً لأوّل منزلِ

● **عكسُ ذلك**

قيل: عليك بمستظرف الإخوان تستفيد منهم مستطرف الإحسان، وتأمن منهم بوائق[4] الشقاق:

فللعيْن ملهىً في التّلاد ولم يقِد ... هوى النفس شيءٌ كافتياد الظرائف

ولهذا الباب وما تقدّم نظير في حَدّ الغزل.

● **العتَبُ على المتلوّنِ وذمُّهُ**

قيل: مودّته متنقلة كتنقل الأفياء وأخوّته متلونة كلون الحرباء. **قال صالح**:

قلْ للذي لسْت أدري من تلوّنه ... أناصِحٌ أم على غشّ يُداجيني

تغتابني عنْد أقوامٍ وتمدَحُني ... في آخرين وكلٌّ منك يأتيني

وقال آخر:

أخٌ لي كأيّام الحياة إخاؤُه ... تلوّنَ ألواناً على خطُوبها

إذا عبْتُ منه عيْبةً فتركتُه ... دعتْني إليه خلّة لا أعيبُها

وكتب عبد الله بن معاوية: قد عاقني الشكّ في أمرك عن عزيمة الرأي فيك، فإنك ابتدأتني بلطف من غير خبرة، وأعقبتني بجفاء من غير ذنب، فأطمعني أوّلك في أخائك وأيأسني آخرك من وفائك. فسبحان من لو شاء كشف الغطاء، فأقمنا على ائتلاف أو افترقنا

---

(١) **الخلقان**: البالية.

(٢) **أبو الشيص محمد**: (توفي ٨١١) شاعر عباسي مطبوع من أهل الكوفة ابن عمّ الشاعر دعبل. عمي في آخر حياته. امتاز بوصف الخمرة والمديح.

(٣) **يقول**: مهما تتقلّب في حبّك فالحبّ الأمثل لا يكون إلا للحبيب الأوّل. ولئن ألف الفتى في حياته الوجدانية منازل شتى فرجوعه دائماً للحبيب الأول وهذا الشعر منسوب إلى شعراء منهم أبو تمّام.

(٤) **البوائق**: المهالك، جمع بائقة.

على اختلاف.

وقيل لئن أُبْتَلَى بمائة جموح لجوج أحبّ إليّ من أن ابتلى بمتلوّنٍ.

قال إبراهيم بن العباس:

يا أخاً لم أرَ في الناس خِلاً ... مثلَه أسرعَ هجراً ووصلا
كنتَ لي في صدرِ يومي صديقاً ... فعلى عهدك أمسيْتُ أمْ لا؟

وقال بعضهم لمغنية:

مرحباً ثم مرحباً ... بحبيبٍ تَغضَبا

فأجابته:

أنتَ كالريحِ لا تدو ... مُ جنوباً ولا صَبَا[1]

● **عَتبُ مَنْ ترعاهُ وهو يجفوكَ**

وأعجَبُ من جفَائك لي وصبْري ... على طولِ ارتفاعِك وانخفاضِيْ
سُروري أن تدومَ لكَ الليالي ... بما تهوى كأنّي عنك راضِي

● **الحثُّ على مصارمةِ مَنْ تبغضُهُ**

قال رجل لآخر: لي أخ إذا كلّمته آذاني وأثمت، وإذا كرهته أراحني وسلمت **فأنشده:**

وفي البعْد مسلاةٌ وفي الصّرْم راحةٌ ... وفي النّاس أبدالٌ سواهُ كثِيرُ[2]

وقال آخر:

ودّ ما لا تشتهيه النفس تعجيلُ الفراق

● **المسرّةُ بفراقِ مَنْ لا تحبُّهُ**

قال منصور الفقيه:

ومستوجبٍ شكري بإعراضه عنّي ... أجلّ يدٍ عندي له بُعْدُهُ عنّي
تلافى بهجْري بعضَ ما كان جرّه ... عليّ بوصْلي قبل إعراضه عنّي[3]

واعتذر رجل إلى آخر بتأخره عنه **فقال:** ما رأيت إحساناً يعتذر منه سوى هذا. **وقال إسحاق الموصلي:** ذكرت للعبّاس العلوي رجلاً **فقال:** دعني أتذوّق طعم فراقه فهو والله لا تشجى له النفس ولا يُدْمى لفراقه الجفن. **قال شاعر:**

كلانا غنيٌّ عن أخيه حياته ... ونحن إذا متنا أشدّ تغانِيَا

---

(١) **الصبا:** ريح مهبّها جهة الشرق. (٢) **الصرم:** الهجر والقطيعة.

(٣) **بوصلي:** وصله ضدّ هجره ـ **إعراضه:** أعرض عنه: تجنبه وابتعد عنه.

● **الحثُّ على مصارمةِ مَنْ رثَّ حَبْلُ وُدِّهِ**

في المثل: خلِّ سبيل من وهى سقاؤه. **وقيل**: لا تصحب من لا يرى لك في الودّ مثل ما ترى له. **وقيل**: شغل المرء بمشتغل عنه مسقطة من العيون، وإقباله على معرض عنه معرضة به لسوء الظنون. **وقيل**: جدعاً لمن أعطى الرغبة من أعطاه الزهادة وما أدري أيهما ألأم. **قال شاعر**:

مَــــن لـــم يُــرِدْكَ فـــلا تُـــرِدْهُ ... هَــبْــهُ كَــمَــنْ لَــمْ تَــســتَــفِــدْهُ

قال البحتري:

شَرِّقْ وغَرِّبْ تجِدْ من مُغرِضٍ عِوَضاً ... فالأرضُ من تربةٍ والنّاس من رجلِ

وقال آخر:

أرى الغبْنَ كلَّ الغبْنِ وصْلي صارِما ... وإن كـانَ ذا فـضْـل ويُـرَى جَـافِـيـا

وقال آخر:

ولرُبَّ مـصـحـوبٍ تـرفـتُ بـلـونـه ... فـلـفَـظْـتُـه قـبْـل الـتـطـعـم عـاجِـلا

● **المجاملةُ في إعراضِ مَنْ رام صَرْمَ حبالِكَ**

يستحسنُ في ذلك قولُ الأقرع بن حابس:

أصـدُّ صـدودَ امـرىءٍ مـجـمِـلٍ ... إذا حـالَ ذو الـودِّ عـن حـالِـهِ

ولـسـتُ بـمـسـتـعـتـبٍ صـاحِـبـا ... إذا جـعـلَ الـهـجـرَ مـن بـالِـهِ

ولـكـنـنـي قـاطـعٌ حَـبْـلَـه ... وذلـك فِـعْـلـي بـأمـثـالِـهِ

ومـا أن أدلَّ بـحـقٍّ لـه ... عـرفْـتُ لـه حـقَّ إدلالِـهِ

وإنّـي عـلَـى كـلِّ حـال لَـهُ ... مـن إدبـارِ ودٍّ وإقـبـالِـهِ

لـراضٍ لأحْـسِـنَ مـا بـيـنـنـا ... بـحـفـظِ الأخـاء وإجـلالِـهِ

● **فصلُ إيثارِ الوحدةِ والحثِّ عليهِ**

قال النبي ﷺ: أحبُّ العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا شهدوا لم يقربوا، أولئك أمة الهدى ومصابيح الظُّلَم.

وقال مالك بن دينار لراهب: عِظْني، **فقال**: إن استطعت أن تجعل بينك وبين الناس سوراً من حديد فافعل. **وقيل لسقراط**: ألا تشاهد الملوك؟ **فقال**: وجدت الإنفراد بالخلوة أجمع لدواعي السلوة. **وقيل لآخر**: ما تجد في الخلوة؟ **قال**: الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرّهم:

وقـالـوا لـقـاءُ الـنـاسِ أنسٌ وراحـةٌ ... ولو كنْتُ أرضي الناس ما عِشْتُ خاليًا

وقيل: العزلة توفر العِرْض وتستر الفاقة، وترفع ثقل المكافأة. **وقيل**: ما احتنك أحدٌ قطّ إلا أحبّ الخلوة.

وقيل توحّد ما أمكنك فمن وطئته الأعين وطئته الأرجل.

وقال حكيم: العاقل مستوحش من زمانه منفرد عن إخوانه. **وقيل**: استوحش من الناس كما تستوحش من السبع.

وقال الجنيد دخلت على السري فقلت أوصني **فقال**: لا تكن مصاحباً للأشرار ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار.

وقيل لذي النون رحمه الله: متى أقوى على عزلة الأخيار؟ **فقال**: إذا قويتَ على عزلةِ النفس. **قيل**: ومتى يصح الزهد؟ **قال**: إذا كنت زاهداً في نفسك هارباً من جميع ما يشغلك.

● **من أنسَ في الخلْوة بالعبادة والقراءة**

قال حاتم الأصم: إلزم بيتك فإذا أردت الصاحب فالله يكفيك، وإن أردت الرفيق فرفيقاك رقيباك، وأن أردت أنيساً فالقرآن يؤنسك، وذكر الموتِ يعظُك:

تــركــتُ الأنــسَ بــالأنــسِ ... فــمــا فــي الأنــسِ مــنْ أنــسِ
وأقــبــلــتُ عــلــى الــقــرآ ... نِ درســاً أيــمــا درسِ
عــسَــى يــؤنــسُــنــي ذاكَ ... إذا اســتــوحــشْــتُ فــي رمــسِــي

● **ذمُّ الخلوةِ والوحدة**

قيل: أجهلُ الناس من استأنس بالوحدة واستكثر من الخلوة. **وقيل**: إيّاكم والعزلة فإن في ملاقاة الناس معتبراً نافعاً ومتعظاً واسعاً، فإن البيت رمس ما لزمته.

وحــدةُ الإنــســان خــيــرٌ ... مــن جَــلــيــسِ الــســوءِ عــنــدَه
وجــلــيــسُ الــخــيْــرِ خــيــرٌ ... مــن جــلــوسِ الــمــرءِ وحــدَه

وفي الحديث: المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس.

● **الشكوى من ذهاب الناس**

دخل عبيد الله بن شبرمة على معاوية وقد أتت عليه مائتان وعشرون سنة، **فقال له**: يا عبيد ما شهدت من الزمان وما أدركت؟ **فقال**: أدركت الناس يقولون ذهب الناس ذهب الناس فلا مرتع ولا مفزع، وقيل ما بقي من الناس إلا كلب نابح أو حمار رامح أو أخ فاضح.

وكانت عائشة تنشد قول لبيد:

ذهبَ الـذيـن يُـعـاش فـي أكـنـافِـهـم ... وبَـقـيـتُ فـي خـلـد كـجـلْـد الأجـربِ

فقال ابن عباس: لئن شكت في زمانها فقد شكت قوم عاد في زمانهم إذ قد وجدوا في خزائنهم سهماً مكتوباً عليه:

بـلادٌ بـهـا كـنّـا ونـحـنُ نـحـبّـهـا إذ الـنـاس نـاسٌ والـبـلادُ بـلادُ

قال أبو الدرداء: كان الناس ورقاً لا شوك فيه، فقد صاروا شوكاً لا ورق فيه إن نافرتَهم نفروك، وإن تركتَهم ما تركوك.

وقال عدي بن حاتم لمعاوية: معروفك الذي نعده اليوم منكراً معروف لم يأت. وعن أبي صالح في قول الله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾(١) أي بسراة الناس.

قال شاعر:

ذهبَ الرجالُ المقتدى بفعالِهم والـمـنـكـرونَ لـكـل أمـرٍ مـنـكـرِ

وبقيت في خلف يزينُ بعضُهم بـعـضـاً لـيـدفـعَ مـعـورٌ عَـنْ مـعـورِ

قال بعضهم: كأنّ الله تعالى ما عنى بقوله ـ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾(٢) في البخل والجهل ـ إلا أهل زماننا فإنهم ما تفاوتوا في البخل والجهل.

● **ذمّ الناس**

لما قدم محمد بن عبد الله بن طاهر مدينة السلام كتب إلى أخيه وهو بخراسان يشكو إليه قلّة الأنيس وتأذّيه بمضرة الجليس، فكتب إليه:

طِـبْ عـن الأمـة نـفْـسـا وارضَ بـالـوحـدةِ أنـسـا

لـسـتَ بـالـواجـد خِـلاً أو تـردَ الـيـومَ أمـسـا

مـا رأيـنـا أحـداً سـا وى عـلـى الـخـبْـرة فَـلْـسـا

وقيل: خير الناس من لم تجرّبه. إخبر الناس تقليهم(٣)

قال المتنبي:

وصـرتُ أشـكّ فـيـمَـنْ أصـطـفِـيـه لِـعِـلْـمـي أنـه بَـعْـضُ الأنـامِ

وقال الآخر:

لـيـس فـي الـدنـيـا وفـاءٌ لا ولا فـي الـنّـاسِ خـيـرُ

قـد بـلـوتُ الـنـاسَ فـالـنـا سُ كـسـيـرٌ وعـويـسـرُ

وقال الآخر:

بـلـونَـاهـم واحـداً واحِـداً فـكـلّـهـم ذلـك الـواحـدُ

---

(١) **القرآن الكريم**: طه/ ٦٣. (٢) **القرآن الكريم**: الملك/ ٣.

(٣) **أي تبغضهم من قلى يقلي قِلىً (الرجلَ)**: أبغضه فهو قالٍ وذاك على الشرّ. وهذا شبيه بقول الفيلسوف هوبز: الإنسان ذئب للإنسان.

وقيل لسفيان: دلّنا على رجل نجلس إليه. **فقال** تلك ضالة لا توجد. **وقال بعضهم:** الناس كلاب فإذا وجدت سلوقياً فاحتفظ به.

وكتب بعضهم: أما بعد فإني أحمد الله إلى الناس وأذم الناس إلى الله. **وقال حكيم:** من لم يستطع مزايلة الناسُ بجسده فليزايلهم بقلبه.

قال المتنبي:

كلما أنبتَ الزمانُ قناةً ركّبَ الدهرُ في القناةِ سنانا[1]

● قلّةُ الاستغناءِ عن الناس والأمرُ بمداراتهم

قال رجل لابن عبّاس: ادع الله أن يغنيني عن الناس. **فقال:** إن حوائج الناس. تتصل بعضها ببعض كاتصال الأعضاء فمتى يستغني المرء عن بعض جوارحه. ولكن قلْ: إغنني عن شرار الناس.

وقيل: كان بعضهم يطوف ويقول: من يشتري مني بضائع بعشرة آلاف درهم؟ فدعاه بعض الملوك وبذل له المال، **فقال** له: اعلم أن الله لم يخلق خلقاً شراً من الناس وإن لم يكن لك بدّ من الناس فانظر كيف تحتاج أن تعامل ما لا بد منه، ولا غنى بك عنه. ثم **قال:** هل يساوي هذا الكلام عشرة آلاف درهم؟ **قال:** دونك المال ولم يأخذه.

● أصنافُ الناس

قال معاوية للأحنف: صفْ لي الناس وأوجز. **فقال:** رؤوس رفعَها الحظّ وكواهل عظمهم التدبير، وأعجاز شهّرهم المال، وأذناب أتحفهم الأدب ثم الناس بعدهم بهائم إن جاعوا ساموا وإن شبعوا ناموا.

وقال سلمان: الناسُ أربعة أصناف: آسادٌ وذئاب وثعالب وضأن. **فأما الآساد** فالملوك **وأما الذئاب** فالتجار، **وأما الثعالب** فالقراء المخادعون، **وأما الضأن** فالمؤمن ينهشه كل من يراه.

وقال أمير المؤمنين: الناس ثلاثة: عالم ومتعلم وما سواهما همج.

قال امرؤ القيس:

عصافيرٌ وذبابٌ ودودٌ وآخرُ من مجلجلةِ الذئابِ

وقال علان العتابي: رأيت كلثوماً يأكل خبزاً في الطريق، **فقلت له:** أما تستحي؟ تأكل بحضرة الناس، **فقال:** أرأيت لو كنت في دار فيها بقور أما كنت تأكل بحضرتهم **قلت:** فهؤلاء بقور؟ ثم **قال:** إن شئت أريتك دلالة ذلك ثم قام ووعظ وجمع قوماً. ثم **قال:** روي عن غير وجه أنّ من بلغ لسانه أرنبة أنفه أدخله الله الجنة فلم يبق أحد إلا أخرج لسانه ينظر هل يبلغ.

---

(١) **وفي رواية:** ركّب المرء ـ يذم طبائع الناس لأنها مطبوعة حسب رأيه.

وقال رجل للشاعر: أين سكة الحمير؟ فقال اسلك أي سكة شئت فكلها دروب الحمير. وقال بعض العرب طلبت الراحة فلم أجد أروح لنفسي من تركها ما لا يعنيها، وتوحشت في البادية فلم أر أوحش من قرين السوء.

(٢)
وممّا جاء في محبّة المعاشرين وبغضهم

●

● **المحبوبُ إلى الناس**

قيل: فلان مودود في الورى مخصوص بالهوى.

كأنّ قلوبَ الناس في حبّه قلبُ.

وقال التنوخي:

كأنك في كلّ القلوبِ محبّبُ ... فأنتَ إلى كلّ القلوب حبيبُ

وقال الرفاء:

ودّ البريّة أن عمرَك دائمٌ ... وكذا الربيعُ يُحبّ منهُ دوامُه

وقال آخر:

محبّب في جميعِ الناسِ إن ذكرَتْ ... أخلاقُه الغُرُّ حتّى في أعادِيه

وقال آخر:

محببٌ في قلوب الناس كلهم ... فكلٌ قلب إليه مائل كلف

● **اعتبارُ مودّة صاحبك بما عندك**

في الأثر الأرواحُ جنودٌ مجندة فما تعارفَ منها ائتلف، وما تناكرَ منها اختلف. **وقال بعضهم لآخر**: إني أحبك. **فقال**: رائد ذلك عندي. **وقال**: رجل لعبد الله بن جعفر: إن فلاناً **يقول** إنه يحبني فبماذا أعلم صدقه؟ **قال**: امتحن قلبه بقلبك فإن كنت تودّه فإنه يودّك، وشاهد ذلك **قول بكر بن النطاح**:

وعلى القلوبِ من القلوبِ دلائلُ ... بالودّ قبل تشاهدِ الأرواحِ

وقال آخر:

قلْ للتي وصفَت مودّتها ... للمستهامِ بذكرها الصبّ

ما قلت إلا الحق أعرفه:

إنّ الدليلَ عليهِ من قلبي ... قلبي وقلبُك بدعَة خلِقا

يتجاريان بصادقِ الحب

وقال آخر:

لعمري لقد زعمُ الزاعمون ... بأن القلوبَ تُجاري القلوبَا
فلوْ كان حقًّا كما تعلمون ... لما كان يجْفو حبيبٌ حبيبَا

● **المدّعي محبّة صديقه**

قال المتنبّي:

أحبّك يا بدرَ الزمان وشمسَه ... وإن لامَني فيك السّها والفراقدُ
وذاكَ لأن الفضلَ عندك باهرٌ ... وليس لأن العيشَ عنك باردُ
وإن قليلَ الحبّ بالعقل صالِحٌ ... وإنّ كثيرَ الحبّ بالجهْل فاسدُ

وقال إبراهيم بن العباس:

وأنتَ هوى النفسِ من بينِهم ... وأنتَ الحبيبُ وأنتَ المُطاعُ
وما بِكَ إن بعدوا وحشةٌ ... ولامعهُم إن بعدْت اجتماعُ

وقال آخر:

فيا ليتَ ما بيني وبينَك عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خرابُ
وليتَك تحلو والحياةُ مريرةٌ ... وليتك تَرضَى والأنامُ غضابُ

● **النهيُ عن فرطِ الحبّ والبغْض**

قال رجل لأرسطاليس: عِظْني، **قال:** لا يملأن قلبك محبة شيء ولا يستولينّ عليك بغضه، واجعلهما قصداً. فالقلب كاسمه يتقلّبَ، **وفي الأثر:** أحبِبْ حبيبك هوْناً ما، عسى أن يكون بغيضَك يوماً ما وابغِض بغيضَك هوْناً ما، عسى أن يكونَ حبيبَك يوماً ما.

● **قلةُ المبالاة ببغضِ مَنْ لا يقصدُ ضرّك**

قال عمر بن الخطاب[1] **رضي الله عنه لطليحة الأسدي:** قتلت عكاشة فقلبي لا يحبك أبداً. **قال:** فما عشرة جميلة، فإن الناس يتعاشرون على البغضاء. **وقال الوليد لرجل:** إني أبغضك. **فقال:** إنما تجزع النساء من فقد المحبة، ولكن عدلٌ وانصافٌ يا أمير المؤمنين.

وقال ابن أبي الحواري لأبي سليمان: إن فلاناً لا يقع من قلبي، **فقال:** ولا من قلبي، ولكنّا لعلنا أتينا من قبل أنه ليس فينا خير فلسنا نحب الصالحين.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل هم بطلاق امرأته: لِمَ تطلقها؟ **قال:** لا أحبها. **قال:** أو كُلُّ بيت يُبْنَى على المحبة، أين الرعاية والذمَم؟

---

(١) **عمر بن الخطاب:** ثاني الخلفاء الراشدين ـ أوّل من لُقّب بأمير المؤمنين. خلف أبا بكر الصديق. اشتهر بعدله. اغتاله أبو لؤلؤة الفارسيّ في المسجد، وكانت وفاته سنه ٢٣ هـ (٦٤٤م).

● أسبابُ المحبةِ والبغضُ ومضرتُهما ونفعُهما

رُوي في الخبر أن الله إذا أحب عبداً ألقى محبته في الملأ، فلا يمرّ به أحد إلا أحبه.
وقالت عائشة رضي الله عنها: جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها.

وقال يحيى بن خالد: إذا كرهتم الرجل من غير سوء أتاه إليكم فاحذروه وإذا أحببتم الرجل من غير خيرٍ سبق منه إليكم فأرجوه.

● كونُ المبغضِ معيباً

قيل لما أراد أنوشروان[1] أن يصير ابنه ولي عهده استشار وزراءه فكلٌ ذَكَرَ عيباً:

فقال بعضهم: إنه قصير وذلك لا يصلح للملك. **فقال أنوشروان محتجاً له**، إنه لا يكاد يرى ألا راكباً أو جالساً.

فقال آخر إنّه ابن رومية، **فقال**: الأبناء ينسبون إلى الآباء وإنما الأمهات أوعية.

فقال الموبذ: إنّه مبغض إلى الناس، **فقال**: حينئذٍ هذا هو العيب. فقد قيل إن من كان فيه خير ولم يكن ذلك الخير محبّة الناس له فلا خير فيه، ومن كان فيه عيب ولم يكن ذلك العيب بغض الناس فيه، فلا عيب فيه.

وقال الأحنف يوماً: فقير صدوق خير من غنيّ كذوب. **وقال بعض مجالسيه** ووضيع محبّب، خَيْرٌ من شريف مبغّض. **فقال الأحنف**: هذه مثل هذه.

● وصفُ بغيضٍ

قيل: فلانٌ لا تحبّه النّاس حتى تحبّ الأرض الدم، وذلك لأن الأرض لا تشرب الدم.

قال الشاعر اليتامي:

يا بغيضاً زادَ في البغْضِ على كلّ بغيضِ ... أنتَ عندي قدحُ اللبابِ في كفّ المريضِ[2]

وقال آخر:

رُمِينَا بأقلى من جهنم منظراً ... وأقبحَ آثاراً من الحَدَثَانِ[3]
وأكره في الأبصار من طالعِ الردى ... وأنحسَ آثاراً من الدبرانِ[4]

وقال آخر:

ولو أن ذا فضل لجا في حرامه ... لجاءَ نفيل في الحرامُ يُزَاحِمُهْ

وقد مرّ من ذلك كثير.

---

(١) **أنوشروان**: كسرى أنوشروان هو ابن قباذ أحد الملوك الساسانيين (٥٣١ ـ ٥٧٩م) احتل أنطاكية واستولى على اليمن (٥٧٠م) اشتهر بعدله وإصلاحاته.

(٢) **اللباب**: جمع لبّ وهو الجوهر، والخالص من كلّ شيء.

(٣) **أقلى**: أبغض ـ **الحدثان**: اللّيل والنهار.

(٤) **الدبران**: منزل للقمر يشتمل على خمسة كواكب في برج الثور، سمّي بهذا الاسم لأنه يتبع الثريّا.

● **التعريضُ بثقيلٍ أو بغيضٍ**

كان أبو هريرة إذا رأى ثقيلاً **قال**: اللهم اغفر له وأرِحْنا منه. **وقال** ثقيل لمريض ما تشتهي؟ **قال**: أشتهي أن لا أراك. وقيل أن ثقيلاً قال لأعمى إنّ الله لم يأخذ من عبد كريمتيه إلا عوضه عنهما شيئاً فما الذي عوضك؟ **قال**: أن لا أرى أمثالك وكان لابن سيرين خاتم منقوش عليه أُبرِمَت فقم، فإذا استثقل إنساناً دفعه إليه. **وقيل** من ثقل عليك بنفسه وغمك بسؤاله فوَلِهِ أذناً صمّاء وعينا عمياء.

(٣)

وممّا جاءَ في الزيارةِ

●

● **وصفُ الزيارةِ بأنها تغرسُ المحبةَ**

في كتب الهند ثلاثة تزيد في الأنس: الزيارة والمؤاكلة والمحادثة.

● **ما قيل في استزارةِ المحبوبِ**

قال بشّار:

يا رحمةَ الله حِلّي في منازلنا   وجاورينا فَدَتْكِ النَفْسُ من جارِ

وقال آخر:

واسقطْ علينا كسقوطِ النّدى   لَيْلَةَ لا ناهٍ ولا آمرُ

وقال بشّار:

قد زُرْتنا مرّةً في الدّهر واحدةً   ثنّي ولا تجعليها بيضةَ الديكِ[1]

وقال بعضهم: إذا رأيت أن تحدّد لي ميعاداً لزيارتك أتقوّته إلى وقت زيارتك فعلت. **وكتب ابن المعتز إلى صديق له**: طالت علتك أو تعاللك، وقد اشتد شوقنا إليك فعافاك الله من المرض في بدنك أو أخاتك، فإنك إن أتيت فبارٌ مشكور، وإن تأخرت عنّا فجافٍ غير معذور.

وقال إبراهيم الصولي: لا أعرف شعراً أحسن من قول العبّاس:

تَعَالَي نجدّدْ دارسَ الوصْلِ بيْننا   كلانا على طُولِ البعادِ مَلُوَمُ

وكتب الصاحب إلى إبي إسماعيل بجرجان:

يا أبا بشرٍ تأخرتَ عنّا   قد أسأنا لبعْدِ عهدِك ظنّا

كمْ تمنيتُ لي صديقاً صَدوقا   فإذا أنتَ ذلكَ المتمنّى

---

(١) **بيضة الديك**: كناية عن المستحيل الوجود أو الذي لا يكون إلا مرّة واحدة.

فبغصنِ الشبابِ لما تثنّى ... وبعهدِ الصبا وإن بانَ عنّا
كنْ جوابي لكيْ تردّ شبابي ... لا تقلْ للرسولِ كانَ وكنّا

- **المسرّةُ بزيارةِ الصاحبِ**

فالوا تجشّم زائراً من بيتِه ... فأجبتُهمْ والنجمُ بينَ سُعودي(1)
لو كانَ ملّكني الكرامُ خدودَهم ... لفرشتُ أرضاً تحتَه بخدودِ

وقال ثعلب:

الفتحُ علقمة البكريّ خبّرنا ... أنّ الوزيرَ أبا مروان قد حَضَرا
فقلتُ للنفسِ هذي مُنيَةٌ قدرتْ ... وقد يوافقُ بعضُ المنيةِ القَدَرا

وقال البحتري:

حبيبٌ سرَى في خفيةٍ وعلى ذعْر ... يجوبُ الدّجى حتّى التقيْنا على قدْرِ
فشككتُ فيه من سرورٍ وخِلْتُهُ ... خيالاً سرى في النّوم من طيفهِ يسْري

وله:

فرِحتُ حتّى استخصّني فرَحِي ... فشبّتْ عينُ اليقينِ بالوَهْمِ
أمسحُ عيْني مستثبتاً نظري ... أخالُني نائماً ولم أنَمِ

وقال:

وما زارني إلاّ ولَهتُ صبابةً ... إليه وإلا قلتُ أهلاً ومرحبَا(2)

- **البشارةُ بورود الحبيبِ**

قال الخبزارزي:

ومُبَشّرِي بقدوم مَنْ أهواهُ ... لا زالَ وهو مبشّرٌ بمناه
عندي له بشْرى ولو ملكْتُهُ ... روحي وقلبي قلّ عن بُشْراهُ

- **زيارةُ منْ لا يزورُكَ**

كتب بعضهم إلى آخر: كلّ جفوة منك مغفورةٌ للثقة بك وسنأخذ بقول قيس بن الأسلت:

ويكرمُها جاراتُها فيزُرْنَها ... وتغفلُ عن إتيانهنّ فتُعْذَرُ

وقال ابن الحجّاج:

وإنّي لزوّار لمَن لا يزورُني ... إذا لم يَكُن في وُدّهِ بِمُرِيبِ

---

(1) **سعود**: جمع سعد، وهو نقيض النحس، **سعود النجوم**: كواكب عشر يُقال لكلّ منها سعد.

(2) **الصبابة**: شدّة الشوق والحنين إلى المحبوب.

وقال ابن ميّادة:

فإنْ هو لمْ يهمُمْ بِنا اليومَ قادماً ... قدِمْنا عليْه نحْنُ في داره غدًا[١]

● **الاعتذارُ إلى من قللت زيارتُهُ**

لئنْ عاقَ جسْمي عنْ لقائك مانعٌ ... فما عاقَ قلْبي عن لقائِك عائِقُ

فإنْ ظهرَتْ منّي دلائلُ جفْوةٍ ... فَمَا أنا إلاّ مخْلصُ الودِّ صادِقُ

وقال أبو حكيمة:

فلا تنكِرْ فدتْكَ النفسُ أني ... أغبّك في اللقاءِ وفي المَزار

فإنّي حيْث كنتُ فليْس وِدّي ... بممنوحٍ سِواكَ ولا مُعَار

وقال جحظة:

فإنْ يكُ عن لقائِك غابَ وجْهي ... فلم تَغِب المودةُ والإخاءُ

ولم يزَلِ الثناءُ عليْك يتْرى ... بظَهْرِ الغيبِ يتبعُه الثَّنَاءُ[٢]

وقال الخوارزمي:

وما بي فيك من زُهْدٍ ولكِن ... أُخفِّفُ عنْك أعباءَ المَلالِ[٣]

وقال:

إنْ كنْتَ في ترْكِ الزيارةَ تاركاً ... حظّي فإني في الدّعاء لجاهِدُ

ولربّما تركَ الزيارةَ مشفِقٌ ... وأنى على غلي الضمير الحاسدُ[٤]

اعتذر بعض الأدباء إلى أخ له في تأخره فأجابه:

إذا صحّ الضمير فكل هَجْرٍ ... وإعراضٍ يكون له انقضاءُ

وقال:

إن مخْض الودّ لا يز ... رى به طولُ تناءِ[٥]

وانقطاعُ منْ كتابٍ ... وتراخٍ من لقاءِ

إنما الوامق من يحمل أثقال الجفاء ... والذي تضجِره الجفوة مدخول الأخاءِ[٦]

وقال آخر:

أغيبُ عنك بودٍّ لا بغيره ... نأيُ المحَل ولا صَرْفٌ منَ الزمنِ[٧]

---

(١) إذا لم يزرنا اليوم زرناه غداً. (٢) يترى: يأتي تباعاً.

(٣) الملال: الملل أو السأم.

(٤) المشفق: الخائف ـ المحض: الخالص من كلّ شيء ـ التنائي: التباعد أو التجافي.

(٥) زرى زرياً (فلاناً): احتقره. (٦) الوامق: المحبّ.

(٧) النأي: البعد، نأى بَعُدَ بُعاد ـ صرف الزمن: خطبه.

- **الشكوى مِمّن يقلّل الزيارة**

في المثل أنت كبارح الأروى قلّما يرى. **قال شاعر:**

وحـظـك لـقـيـةٌ فـي كـلّ عـامٍ ... مـوافـقـةٌ عـلـى ظـهـر الـطـريـقِ
سـلامـاً خـالـيـاً عـن كـلّ شـيء ... يـعـودُ بـه الـصـديـقُ عـلى الـصـديـقِ

قال أبو الجهم:

زائـــر يُـــهْـــدي إلـــيـــنـــا ... نَـــفْـــسَـــه فـــي كـــلّ عـــامِ

- **استقرابُ الطريقِ في زيارَة الحبيبِ**

وكنتُ إذا ما جئتُ سعْدى أزورها ... أرى الدارَ تُطْوى لي ويدْنو بَعِيْدُهَا

وقال ابن ميادة:

تـقـرّبُ لـي دارُ الـحـبـيـبِ وإن نـأى ... ومـا دارُ مـن أبـغـضـتُـه بـقـريـبِ

وقال العبّاس:

يـقـربُ الـشّـوْقُ داراً وهـي نـازحـة ... من عالج الشوق لم يَسْتَبْعِدِ الدار(١)

وقال العبّاس:

ترى الرجْلَ قد تسعى إلى من تحبّه ... وما الرجْلُ إلا حَيْثُ يسعَى بها القلبُ

- **مَنْ حَثهُ شوقُهُ نحو محبوبِهِ**

قال الموصلي:

يـحـثّ مـطـايـاه تـذكـرُكُـم ... ولـيْـس يـنـسـاكـم إنْ حـلّ أوْ سـارا(٢)

وقال آخر:

يـعـتـادُنِـي طـرَبـى إلـيْـك ويـعـتـلـي ... وجْـدي ويَـدْعُـوْنـي هـواكَ فـأتـبـعُ

وقال عمرو بن شاس:

إذا نـحـنُ أدلـجْـنـا وأنـتَ أمـامَـنـا ... كـفَـى لـمـطـايـانـا بـذكـراكَ حَـادِيَـا(٣)

وقال العباس:

لا يـهـتَـدي قـلْـبـي إلـى غـيـرِكـم ... كـأنّـمـا سُـدّ عـلـيـه الـطـريـقُ

---

(١) **نازحة:** بعيدة ونائية.

(٢) **مطايه:** جمع مطية، الدابة التي تركب ويستوي فيه المذكّر والمؤنث.

(٣) **أدلجنا:** سرْنا في اللّيل ـ **الحادي:** سائق الإبل.

● **متابعةُ المحبُوب**

قال أعرابي:

وإن تـدْعـي نـجْـداً أدعُـه وَمَـنْ بـه وإن تسكُني نجْداً فيا حبّذاً نجدُ(١)

وقال المهلّبي:

إن كـنـتِ أزمـعـتِ الـرحـيـلَ فـإنّ رأيـي فـي الـرحـيـلِ(٢)
أو كـنْـتِ قـاطـنـةً أقـمْـتُ وإن مـنَـعْـت دنـوّ سـولـي
كـالـنّـجـم يُـصحَـبُ فـي الـمَـسيـرِ ولا يـزورُ لـدى الـنـزُولِ

● **معاتبةُ مَنْ ذكر شوقَهُ**

يـا مـنْ شـكـا عَـبـثـاً إلـيـنـا شـوقَـهُ فـعـلَ الـمـشـوق ولـيـس بـالـمُـشْـتـاقِ
لـو كـنْـتَ مـشْـتـاقـاً إلـيّ تـريـدُنِـي مـا طِـبْـتَ نـفْـسـاً سـاعـةً بـفـراقِ
وحـفـظـتَـنـي حـفـظَ الـخـلـيـلِ خـلـيـلَـه ووفَـيْـتَ لـي بـالـعـهْـد والـمـيـثـاقِ

● **تفضيلُ التزاورِ على التجاورِ**

قال عمر رضي الله عنه: زاوروا ولا تجاوروا وقال: إدمانُ اللقاءِ سببُ الجفاء. **وفي المثل:** من يتجمّع يتقعقعَ، أي تقعُ الخصومة بين المتجاورين.

● **الحثُّ على تقليلِ الزيارةِ وكراهةُ مداومتها**

قال النبي ﷺ: زرْغِبًا تزدَدْ حباً.

قال شاعر:

اغـبـبْ زيـارتَـك الـصـديـقَ يـراكَ كـالـشّـيء اسـتـجـدّه(٣)
إنّ الـصـديـقَ يـمـلّ مـنْ أن لا يـزالُ يـراكَ عِـنْـدَه

وقيل: قلّة الزيارة أمانٌ من الملالة وكثرةُ التعاهُد سببُ التباعد.

قال أبو تمّام:

وطولُ مقام المرءِ في الحيّ مخلقٌ لـديـبـاجـتَـيْـه فـاغـتـربْ تـتـجـدّدِ(٤)
فـإنّي رأيْتَ الـشـمْـسَ زادت مـحـبّـةً إلى الناس أنْ ليْست علَيهم بسرمَدِ(٥)

---

(١) و (٢) **يقول:** إن القلب لا يهوى سواكم، وأنه لا يسكن إلا حيث تسكن المحبوبة. يقيم في نجد إن أقامت ويرحل عن نجد إن رحلت، وإن همّت بالرحيل همّ به كذلك.

(٣) **أغبب زيارتك:** أي لا تكثر من الزيارة، والإغباب الإقلال.

(٤) **ديباجتيه:** الديباجة الوجه والثوب، **وديباجة الكتاب:** فاتحته ـ **يقول:** في الاغتراب تجدّد وعلى المرء أن لا يطيل في الحيّ لئلا يعتريه الخمول.

(٥) **ليست بسرمد:** أي ليست أبديّة فهي تشرق ثم تغيب، وفي هذا التحول تجدّد.

وقال آخر:

عليكَ بإغبابِ الزّيارة إنها ... تكونُ إذا دامَت إلى الهجرِ مَسْلَكا
فإني رأيتُ الغيثَ يُسأمَ دائماً ... ويسألُ بالأيدي إذا هو أمسكا

- **شكوى مَن خففَ الزيارةَ**

قال كشاجم:

بأبي وأمّي زائرٌ متقنّعٌ ... لم يخْفِ ضوءَ الشمس تحتَ قناعِهِ
لم أستَتمَّ عناقَه لقدومِهِ ... حتى ابتدأتُ عناقَهُ لِوَداعِهِ
فمضى وأبقى في فؤاديَ حَسْرَةً ... تركتُه موقوفاً على أوجاعِهِ

وقال آخر:

وزائرٌ زارَ وما زارا ... كأنّهُ مقتبِسٌ نارًا
ألمّ بالباب أخا نجوة ... ما ضرّه لو دخلَ الدارًا
نفسي فداً لك من زائرٍ ... ما حلّ حتى قِيلَ قد سارًا

وقال ابن أبي البغل:

حبيبٌ إذا ما زارنا قلَّ لبثُه ... وإنْ هوَ عنّا غابَ طالَ جفاؤُه

وفي عذر تخفيف الزيارة **قال أبو العيناء**: سلام معظّم، وجلوس مخفّف وانصرافُ متأسف.

- **شكايةُ مَنْ تأخر عنك**

حاذرتَ إذْ واصلت إملالَنا ... فخَفْ إذا ما غِبْتَ أن تسلو

وقال إسحاق: كنت أزور العبّاس بن الحسن فتأخرت عنه مدة مديدة فقال لي أذقتنا نفسك فلما استَعْذَبْنَاكَ لفظتنا.

وكان بعضهم يختلف إلى الأعشى فتأخّر عنه أياماً فلقيه، فأنشده:

ولجّ بك الهجرانُ حتّى كأنّما ... ترى الموْتَ في البيتِ الذي كنتَ تألَفُ

قال العبّاس بن الأحنف:

مَنْ ساءَلَ بدرَ الدجا ... ما بالُهُ تركَ الطُلُوعَا

وقال ابن الرومي[1]:

يعتلُّ بالشغل عنّا ما يُزَاوِرُنا ... والشغْلُ للقلبِ ليس الشغلُ لِلْبَدَنِ[2]

---

(١) ابن الرومي: عليّ بن العبّاس (٨٣٦ - ٨٩٦) شاعر بغداديّ من أعظم الشعراء في الدولة العباسية. وُلد في بغداد من أبٍ رومي وأمّ فارسية. أثر تراثه اليوناني في شعره. كان ضيق الأخلاق متشائماً متطيراً، وقد أكثر من التغنّي بالطبيعة.

(٢) يقول: إن المحبوب يتذرّع بالانشغال حتى لا يزورنا، والانشغال في نظر الشاعر هو للقلب وليس للبدن.

● شكوى مَن قلّ الإلتقاءُ مَعَهُ

قال ابن سكّرة[1]:

إن أغِب لم تغِبْ وإن لم تغِبْ غبْتُ
كأن افتراقَنا باتفاق

قال الصنوبري[2]:

إذا حضَرْنا غبْتَ أو لم تغِبِ — نحضرُ فنحن الوردُ والنرجِسُ
لم يُجْمَعا للعيْن في روضةٍ — قطّ ولم يجمَعْهُمَا مَجْلِسُ

قال منصور الفقيه:

هجرتُ المسجدَ الجامـ — ـعَ والهجْرُ له ريبَه
فأخبارُك تأتينا — على الأعلام منصوبَه[3]
فإن زدتَ من الغَيْـ — ـبَةِ زِدْناك من الغِيبَه[4]

● زيارةُ من لا تحبّه

قالت أعرابية:

فلا تحمدوني في الزّيارة إنّني — أزورُكم إنْ لم أجدْ متعَلّلا

وبعث عمرو بن مسعدة إلى أبي العتاهية فاستزاره فقال:

كسّلني اليأسُ منك عنك فمَا — أرفعُ عيْني إليْك من كَسَلي
إنّي إذا ما الصّديق أوحشَني — قطعْتُ منه حبائلَ الأملِ

وقال آخر:

يقُولون زرْنا واقض واجبَ حقّنا — وقد أسقطَتْ حالي حقوقَهم عنّي
إذا أبصروا حالي ولَم يأسَفوا لها — ولم يأنفوا منها أنِفتُ لهُم منّي[5]

---

(١) ابن سكّرة: هو ابن سكرة الهاشمي. من شعراء العصر البويهي، عصر الدويلات والإمارات. كان بارعاً في فنون شتى أبرزها الغزل والمدح قال فيه صاحب اليتيمة: شاعر متسع الباع في أنواع الإبداع، فائق في قول المدح والظرف (يتيمة الدهر: ٣/٣).

(٢) الصنوبري: هو أحمد بن محمد بن الحسن الضبيّ عرف بالصنوبري لذكائه وحدّة مزاجه. والصنوبريّ من أهل أنطاكية نشأ وربي في حلب مدح الكثير من رجالات عصره وعلى رأسهم سيف الدولة الحمداني.

(٣) تأتينا على الأعلام منصوبة: كناية عن الذيوع وقوّة الانتشار فهي ليست نكرة ولا مهملة.

(٤) الغيبة: من الغياب والغِيبة الاغتياب، وهو أن يذكر المرء بما فيه من السوء، أو يعاب. والشاعر يعتبر غياب المحبوب موجباً لغيبته أو اغتيابه.

(٥) أنف من حاله: كرهه، ومن العار ترفّع عنه وتنزه.

وقال آخر:

إذا ما تقاطعنا ونحن ببلدَةٍ	فما فضل قربِ الدار منا علَى البُعُدِ

● **القيامُ للصديق الزائر**

كان الأحنف مستنداً إلى سارية في المسجد وحده، فأقبل بعض إخوانه فتنحّى له عن مجلسه، فقال: يا أبا بحر ما عندك من أحد ولا مجلسك ضيقٌ فلِمَ تَنَحّيْتَ؟ قال: كرهت أن تظن أني لم أهشّ لزيارتك ومجيئك فشكرت ذلك بأقرب ما حضرني من الإكرام. وقال محمد بن يزيد. حضر بعض الناس مجلس كبير فنهض له فقال له في ذلك، فقال:

لئن قمْتُ ما في ذاك عندي غضاضةٌ	لديّ لأني للشريف مذلّلُ[(١)]
على أنه مني لغيرك هجنَةٌ	ولكنه مثلي لمثلِك يَجْمُلُ[(٢)]

وقال غيره:

فلما بَصُرْنا به ماثلاً	حللْنا الحبا وابتدرْنا القِيَاما[(٣)]
فلا تنكرنّ قيامي له	فإنّ الكريم يُجِلُّ الكِرَاما

● **كراهَةُ القِيام**

أقبل معاوية وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر جالسان، فقام ابن عامر ولم يقم ابن الزبير، فقال معاوية سمعت رسول الله ﷺ يقول من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ أمقعده من النار، وقال ﷺ: لا يقومنّ الرجل لغيره من مجلسه ثم يجلسه فيه. وقيل: الكراهة في أن يقعد الرجل ويقيم الناس بين يديه.

---

(١) **الغضاضة**: مصدر غض غضاً وغضاضة وغضاضاً طرفه أو صوته أي خفضه وكفّه، والغضَن كسره والغضاضة أيضاً الذلّة والمنقصة.

(٢) **الهجنة**: العيب والقبح.

(٣) **ماثلاً**: شاخصاً للعيان ـ حلّ الحبا: كناية عن النهوض.

الحدّ الثالث عشر

في الغزل وما يتعلّق به

•

(١)
ما جاءَ في أوصافِ الهوى وأحوالِ العُشّاقِ

•

• ماهيةُ العشقِ

سُئِلَ بعض الفلاسفة عن العشق **فقال**: جنون إلهي، لا محمود ولا مذموم. وسئل عنه آخر **فقال**: حركة النفس الفارغة. **قال شاعر**:

هـل الـحـبّ الأزفـرةٌ بـعـد زفـرةٍ　　وحَرٌ على الأحشاء ليس له بَرْدُ
وفـيـضُ دموعِ الـعـيـن يـامـيّ كـلّـمـا　　بدا علمٌ من أرضِكم لم يكن يبدُوْ

وقال بعض الصوفية: الهوى محنة امتحن الله بها خلقه يستدل به على طاعة خالقهم ورازقهم. **وقيل لبعضهم**: ما العشق؟ **فقال**: ارتياح في الخلقة وفرح يجول في الروح وسرور ينساب في أجزاء القوى.

وقال العيني: سألت أعرابياً عن الهوى **فقال**: هو أظهر من أن يخفى، وأخفى من أن يرى، كامنٌ كمون النار في الحجر، إنْ قدحته أورى وإن تركته توارى. وسئل يحيى بن معاذ عن حقيقته **فقال**: الذي لا يزيده البِرّ ولا ينقصه الجفاء.

• أحوالُ فروعِ الهوى وأنواعُهُ

قال العلماء: الهوى أنواع أوّلُه **العلاقة** وهو الشيء يحدثُه النظر والسمع فيخطر بالبال، ثم ينمو فيقوى فيصير **محبّة**، **والحبّ** اسم مشترك يجمع ضروباً من ميل النفس كحب الولد والمال، ثم **الهوى** ثم **المودة** ثم **الصبابة** ثم **العشق** ثم **الوله** **والهيام** **والتتيم** وهو أرفع درجات الحب لأنه **التعبّد**.[١]

---

(١) يشير في هذا السياق إلى مراتب الحبّ عند العرب، وقد حرص فقهاء العربيّة على اعتبار الهوى متباين الوجوه ومتعدّد الحالات قوّة وشدّة. وجاء في كتاب فقه اللغة للثعالبي قوله: أول مراتب الحبّ الهوى ـ

قال شاعر:

ثلاثةُ أحبابٍ فحبُّ علاقةٍ وحبُّ تملاقٍ وحُبٌّ هو القتلُ[1]

وسئل بعض الصوفية عن الحب والهوى **فقال**: الهوى يحلّ في القلب والمحبة يحلّ فيها القلب. **وقيل**: العشق اسم لما يفضل من المحبة، كما أن السخاء اسم لما جاوز الجود، والبخل اسم لما قصر عن الاقتصاد، والهوج اسم لما فَضُلَ عن الشجاعة.

وقال بعض الفلاسفة: الحب والعشق والهوى من جنس، لكن العشق اشتهار وتضرع، والوجد هو الحب الساكن الذي إذا رأى صاحبه شغف به وإذا غاب لهج بذكره، والهوى ما تتبعه النفس[2] غياً كان أم رشداً حسناً كان أو قبيحاً ولذلك ذمّه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[3]

● الأسبابُ المولّدةُ للعشقِ

زعم بعض المفلسفين أن الله تعالى خلق الأرواح كلّها كهيئة كرة ثم قطعها أنصافاً فجعل في كل جسد نصفاً[4] فكل جسد لقي الجسد الذي فيه نصفه حصل بينهما عشق وتفاوت حالهما في القوّة والضعف على حسب رقة الطبائع.

وزعم بعضهم أن الصداقة على ثلاثة أنواع: إمّا لاتفاق الأرواح فيكون لاتفاق الشمس والقمر في المولّدين في برج واحد، فلا يجد أحدهما بدّاً من حب صاحبه، وإمّا لمنفعة تحصل فتولد ذلك، ولهذا **قال النبي ﷺ**: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها وإما لإلفة تجتمع مواد الحرص إليها، ولهذا **قال المتنبيّ**:

وما العشق إلا غرّةٌ وطماعةٌ يعرّض قلبٌ نفسَهُ فيُصَابُ

وقال الصمد المري:

وما العشقُ إلا النارُ تُوقَدُ في الحشا وتُذْكَى إن انْضَمَتْ عليه الحوائجُ[5]

= ثم العلاقة ثم الكلف ثم العشق ثم الشغف فاللوعة واللاعج، ثم الشغف ثم الجوى فالتيم ثم التبل وهو الحبّ المسقم وأقصى الدرجات التدليه والهيوم وبهما ذهاب العقل من الهوى والسير على غير هدى، ويلاحظ أن الغالب الأصبهاني قد لامس بعض هذه المراتب.

(١) **الحبّ الذي هو القتل** هو الذي يهلك صاحبه وفي هذا قول رجل من بني عذرة عن قومه إذا أحب أحدنا هلك، إشارة إلى شدّة التعلّق والشغف والتدلّه.

(٢) **غيّا**: ضلالاً، وخلاف الغيّ الهواية والرشاد. (٣) **القرآن الكريم**: ص/ ٢٦.

(٤) **قوله**: «جعل في كل جسد نصفاً» يدلّ على التأثر بالنظرة الأفلاطونية في الحبّ، فقد ذهب أفلاطون إلى أنّ الإنسان كان يعيش في عالم علويّ ثم وقع في الخطيئة فأغضب الآلهة التي طردته من عالم المثال، وهبطت به إلى عالم المادة وشطرته إلى شطرين أو نصفين، وأن السعادة لا تتم إلا إذا تلاقى الشطران وهذه الناحية عند أفلاطون تمثل ضرباً من ضروب الحبّ، وجانباً من فلسفته في هذا الباب.

(٥) **تذكى النار**: تتأجج.

● **شدّة معاناةِ العشق**

قال أعرابي: ما أشدَّ جولة الرأي عند الهوى وفطام النفس عند الصبا، ولقد تصدّعت كبدي للمحبين فلوم العاذلين قرطةٌ في آذانهم ونارٌ مؤجّجة في أبدانهم، لهم دموع على المغاني كغروب[١] السواقي.

وقيل: كلّ شهوة تخطر فمداواتها سهلة ما خلا العشق.

● **ما يولّده العشقُ منَ الأخلاقِ الحميدةِ**

شكا معلم سعيد بن مسلمة ولدَه إليه، **فقال**: إنه مشتغل بالعشق **فقال**: دعه فإنه يلطف وينظف ويظرف. وكان ذو الرياستين[٢] يبعث أحداث أهله إلى شيخ يعلّمهم الحكمة، **فقال** لهم يوماً: هل فيكم عاشق؟ قالوا: لا. **قال**: اعشقوا وإياكم والحرامَ فالعشق يفصح الفتى ويذكي ويسخي البخيل ويبعث على التنظيف وتحسين الملبس، فلما انصرفوا قال لهم ذو الرياستين: ما استفدتم اليوم؟ قالوا: كذا وكذا. **قال**: نعم. وإنّما أخذه ممّا رُوي أن بهرام جور كان له ابن أهّله للملك بعده، وكان ساقط الهمة رديء النفس سيء الخلق فغمّه ذلك، ووكل به من يعلّمُه، فلم يكن يتعلّم. **فقال معلمه**: كنا نرجوه على حال فحدث منه ما أيأسنا وهو أنه عشق بنت المرزبان[٣] **فقال**: الآن رجوت فَلاَحَهُ.

ثم دعا أبا الجارية **فقال**: إنّي مستسرٌ إليك سراً، فلا يعدونك[٤] اعلم أنّ ابني عشق ابنتك وأريد أن أزوّجها منه فمُرْهَا بأن تطمعه من غير أن يراها فإذا استحكم طمعه فيها أعلمته أنها راغبة عنه لقلّة أدبه.

ثم قال للمعلم: خوّفه بي وشجّعه على مراسلة المرأة ففعلت المرأة ما أُمِرَتْ به. فقال الغلام في نفسه: أنا أجتهد في تحصيل ما أصل إليها به فأخذ في التأدب وتعلم الشجاعة ثم قال أبوه للمؤدب شجّعه على أن يرفع أمرها، ويسألني أن أزوجها منه، ففعل فزوّجها من ابنه. وقال لا تزدرينّ بها في مراسلتها إليك فإني أمرتُها بذلك وإنّ من صار سبباً لعقلك فهو أعظم الناس بركة عليك.

قال العرجي[٥]:

تجشّم المرءِ هولاً في الهوى كَرَمُ

(١) **الغروب**: الدموع وهو أصلاً عرق في العين يسقي لا ينقطع.

(٢) **ذو الرياستين**: هو ابن العبّاس الفضل بن سهل لأنه تقلّد الوزارة والسيف زمن المأمون.

(٣) **المرزبان**: أي الرئيس عند الفرس.

(٤) **يعدونك**: أي يتجاوزك إلى سواك.

(٥) **العرجي**: من شعراء الغزل المادّي في العصر الأموي، وهو منسوب إلى قرية تدعى العَرْج قرب الطائف واسمه عبد الله بن عمر، من أهل مكة. وقد جمع بين الحبّ والفروسية (**انظر أخباره في الأغاني ١/ ٣٨٣ طبعة دار الكتب**).

وقال آخر:

لا عار في الحبّ إن الحبّ مكرمةٌ ... لكنّه ربما أزرى بذي الخَطَر[1]

وقيل: لو لم يكن في العشق إلا أنه يشجع الجبان ويصقّي الأذهان ويبعث حزم العاجز لكفاه شرفا. قال شاعر:

الحبُّ شجّع قلبَ كلّ فروقةٍ ... والحبُّ حمّل عاجزاً فأطاقا[2]

● ذمّ مَنْ لا يعشقُ وكدرُ حياته

قال أعرابي: من لا يعشق فهو رديء التركيب جافي الطبع كزّ[3] المعاطف. كان ابن أبي مليكة يؤذّن فسمع غناء فطرب وقال:

إذا أنتَ لم تعشق ولم تَدْرِ ما الهوى ... فكُنْ حَجَراً من يابِس الصَّخْرِ جَلْمَدَا

وقال:

من عاشَ في الدنيا بغير حبيبِ ... فحياتُه فيها حياةُ غريبِ

ما تنظرُ العينان أحسنَ منظرٍ ... من طالب إلفاً ومن مطلوبِ

ما كان في حُور الجنان لآدم ... لو لم تكن حواءُ من مرغوبِ

قدْ كان في الفردوس يشكو وحشةً ... فيها ولم يَأْنَسْ بغير حبِيبِ

● ذكرُ مَنْ عشقَ مِنَ الكبار

قد علم ما كان من داود عليه السلام وعشقه امرأة أوريا والتحاكم إليه وقوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[4] الآية حتى فطن للقصة فاستغفر ربّه (الآية). وخبر يوسف وامرأة العزيز وقوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[5] وخبر النبي ﷺ مع زينب امرأة زيد قال العبّاس بن الأحنف:

أستغفر اللهَ إلاّ من محبّتِكُمْ ... فإنها حسناتي يومَ ألقاهُ

فإن زعمْتَ بان الحبَّ معصيةٌ ... فالحبُّ أحسنُ ما يُعْصَى بهِ اللّهُ

● مَنْ قَهَرَهُ الهوى عن عزّه

كان للرشيد ثلاث جوار اشتد شغفه بهنّ فقال:

ملكَ الثلاثُ الآنساتِ عِناني ... وحللْنَ من قلبي بكلّ مكانِ

مالي تطاوعُني البريّةُ كلُّها ... وأطيعهنّ وهنّ في عِصْياني

---

(١) أزرى به: استخفّ به واحتقره.
(٢) الفروقة: الشديد الفزع للمذكر والمؤنث.
(٣) الكزّ: اليابس والمنقبض، والوجه الكزّ القبيح، يقال: كزّ اليدين أي بخيل.
(٤) القرآن الكريم: ص/ ٢٣.
(٥) القرآن الكريم: يوسف/ ٣٠.

مـا ذاك إلا أنّ سـلـطـانَ الـهـوى ... وبـه قـويـن أعـزُّ مـن سُـلـطـانـي

قال عروة[1]:

وكـم مـن كـريـم قـد أضـرّ بـه الـهـوى ... فـعـوَّدَهُ مـا لـمْ يـكُـنْ يـتـعـوَّدُ

قال كثير:

ضـعـائـفُ يـقـتـلْـن الـرجـالَ بـلا دمٍ ... فـيـا عـجـبـاً لـلـقـاتِـلات الـضـعـائِـفِ

وقال الخبزارزي:

ولـربَّ عـبـدٍ فـي الـهَـوى ... يـسـتـعـبـد الـحـرَّ الـمُـطَـاعـا

قيل لرجل: إنّ ابنك قد عشق، **فقال**: عذّب قلبه وأبكى عينه وأطال سَقَمَهُ **قال بعض الفلاسفة**: لم أر حقاً أشبه بباطل من العشق، هزله جدّ وجدّه هزل، أوله لعِب وآخره عطب[2]:

إن الـهـوانَ هـو الـهَـوى جُـزم اسـمُـه ... فـإذا لـقـيـتَ هـوىً لـقـيـت هَـوانـا

وقال آخر:

ومـا كـيّـسٌ فـي الـنّـاس يُـحْـمَـدُ رأيـه ... فـيوجَد إلا وهو في الحبُّ أحْـمَـقُ[3]

● **حَمْدُ تحمُّلِ المذلّةِ في الهَوَى**

قال شاعر:

أن الـتـذلّـل فـي حـكْـم الـهـوَى شَـرَفُ

وقال آخر:

لا تـأنـفَـنّ مـن الـخُـضـوع لـذي الـهـوى ... واخـضـعْ لإلـفـك كـائـنـاً مَـنْ كـانـا

وقيل: التذلّل للحبيب من شيم الأريب[4]

ونقشت ظريفة على خاتمها:

قـصـيـرة مـن طـويـلـه ... نـفـسُ الـمـحـبّ ذلـيـلَـه

قال الأصمعي: غضب الفضل بن يحيى على جارية فبعثت إلي تسألني أن أسترضيه فسألته **فقال**: الذنب ذنبها **فقلت** وكيف موقعها من قلبك أيها الأمير. **قال** أحسن موقع وإنما أريد بهذا الهجر تهذيبها. قلت: فاستعمل فيها وصية العبّاس بن الأحنف قال: وما هي؟

---

(١) **عروة**: أي عروة بن الورد العبسي، من شعراء الجاهلية الصعاليك مات في إحدى المعارك سنة (٥٩٦م) (انظر ترجمته في مقدّمتنا لديوان عروة ـ منشورات دار الأرقم).

(٢) **العطب**: الهلاك والأذى.

(٣) **الكيّس**: الظريف الفطن.

(٤) **الأريب**: العاقل ذو البصيرة.

قلت:

تَحمّلْ عظيمَ الذنب ممّن تُحِبُّهُ ... وإن كنتَ مظلوماً فقلْ أنا ظالمُ
فإنكَ إنْ لَمْ تغفرِ الذّنْبَ في الهوى ... تفارقْ مَنْ تهْوى وأنفُكَ رَاغِمُ[1]

- **وصفُ الهوى بأنه جنونٌ**

وصف أعرابي الهوى **فقال:** هو طرف من الجنون، إن لم يكن عصارة السحر وعليه:

أَدَاءٌ عَرَانِي من جنابك أم سحرُ[2]؟

وقال غيلان بن عقبة:

هو السحرُ إلاّ أنّ للسحْرِ رقيةً ... وإنّي لا ألقى من الحب راقِيَا

وقال ابن الرومي:

أهوى الهوى كلّ ذي لبٍّ فلسْتَ ترى ... إلا صحيحاً له أفعالُ مَجْنُوْنِ

- **مَنْ شغفَ بقبيحٍ ليس فيه موضعٌ للعشقِ**

تَيقَّنَ من رآكَ تحبّ قَيْنا ... بأنَّ الحبَّ ضَرْبٌ من جُنُونِ[3]

- **مغالبةُ الهوى**

قيل: مُغالبُ الهوَى كمغالبِ الدنيا. **قال شاعر:**

قد كنت أعلو الحبّ حيناً فلم يزل ... بي النقْضُ والإبرامُ حتّى علانيا

وقال آخر:

فوالله ما أدري أيغلبُني الهوى ... إذا جدّ جِدُّ البيْنِ أم أنا غالبُهْ[4]
فإنْ أستطعْ أغلبْ فإن يغلبِ الهوى ... فمثلُ الذي لاقيت يغلبُ صاحبُهْ

- **استعظامُ المحبوبِ وجلالتُه في عين المُحبِّ**

يستحسن في ذلك قولُ بعضهم:

أهابُكَ إجْلالاً وما بِكَ قدْرةٌ ... عليّ ولكنْ ملءُ عيْنٍ حبيبُها

وقال آخر:

تمنيتُه حتّى إذا ما رأيتُه ... بُهِتُّ فلمْ أُعْمِلْ لِساناً ولا طَرْفَا
وأطرَقْتُ إجْلالاً لهُ ومهابةً ... وحاولتُ أن يُخفى الذي بي فلم يَخْفَا

---

(١) **أنفك راغم:** أي وأنت مرغم ومغلوب على أمرك.
(٢) **عراني:** أصابني وانتابني. (٣) **القين:** العبد، **والقين** الحدّاد.
(٤) **البين:** الفراق.

فلو أنني ملكتُ من ثغره الذي ... تمكَّنَ فيهِ الدرُّ قَبَّلتُه ألفَا[1]

- **وصفُ حبّ تمكّن في الحشا**

قال كثير[2]:

أباحَت حمىً لم ترْعَهُ الناسُ قبلَها ... وحلّت تِلاعاً لم تكن قبل حلّتِ[3]

قال العباس بن الأحنف:

لا تحسبنّي مَاذِقاً في الهوَى ... إنّي على حبّك مَطْبوعُ[4]

قال عبيد الله بن طاهر:

شققتُ القلبَ ثم ذَرَرْتُ فيه ... هواكَ فَلِيمَ فالتَأمَ الفطورُ[5]

تغلْغلَ حيثُ لمْ يبلغ شرابٌ ... ولا حزْنٌ ولم يبلُغ سرورُ

قيل لأبي العتاهية: أي شعرك أعجب إليك؟ **قال قولي:**

قالَ لي أحمَد ولم يدرِ ما بي ... أتحبّ الغداةَ عتْبةَ حقّا[6]

فتنفسْتُ ثم قلتُ: نعم حبـ ... ـاً جرى في العُروق عِرْقاً فعِرْقاً

قال رجل لمحبوبه: حبك متولّ على فؤادي وذكرك سميري، **فقال له محبوبه:** أما أنا فلا أحب أن يقع طرفي على سواك.

قال عمر بن أبي ربيعة[7]:

فمَنْ كان لا يغدو هواهُ لسانَه ... فقَدْ سار في قلْبِي هواكَ وخيَّما

وليْس بتزويقِ اللسانِ وصوغِه ... ولكنّه قد خالَط اللّحْمَ وَالدّمَا

قال المهلّبي:

وصِرنا في محبَّتِنا حَديثاً ... يُهجّنُ شرْحُه قيساً ولبْنى

---

(١) **الدرّ (هنا):** الأسنان الناصعة البيضاء، شبهها بالدرّ.

(٢) **كثيّر:** هو كثير بن عبد الرحمن من الشعراء العذريين، وصاحبته عزّة ولذا عرف بكثير عزّة، كما قيل جميل بثينة وقيس ليلى.

(٣) **التلاع:** جمع تلعة، وهي ما علا من الأرض، **وحلّت تلاعاً:** نزلت أو أقامت بها.

(٤) **الماذق في الهوى:** الذي لا يخلص في ودّه.

(٥) **ذررت في القلب هواك:** نثرت بذوره وغرستها.

(٦) **عتبة:** جارية كانت في بلاط الرشيد أحبّها أبو العتاهية وأنشد فيها أكثر شعره الغزلي.

(٧) **عمر بن أبي ربيعة:** من شعراء مخزوم ولد يوم مات عمر بن الخطّاب، فقيل لاحقاً: أي حق قد رفع وأي باطل قد وضع. وعمر بن أبي ربيعة زعيم الغزل الحضري الصريح بشهادة النقّاد في القديم والحديث.

● **من ذكرَ أن قلبه ناصرَ محْبوبةُ عليه**

قال العباسُ بن الأحنف:

قـلـبـي إلـى مـا ضـرّنـي داعـي ... يـكْـثِـرُ أسْـقـامـي وأوْجـاعـي
كـيْـفَ احـتـراسـي مـن عـدوّي إذا ... كـانَ عـدوّي بـيْـنَ أضْـلاعـي

أخذ ذلك من قول النبي ﷺ أعدي عدويك نفيسة بين جنبيك. **قال شاعر:**

يـوازرُه قـلْـبـي عـلـيّ ولـيْـس لـي ... يـدانِ عـلـى قـلْـبـي عـلـيْـه تـوازِرُه

وقال آخر:

أقامتْ على قلْبي رقيباً وناظري ... فليْسَ يؤدّي عنْ سِواها إلى قلْبي

● **قتيلُ الهوى شهيدٌ**

روي في الخبر: مَنْ عشق فعفّ فمات، مات شهيداً.

وقال الخبزارزي:

وحبّك ما استحْسنْتَ خيرُ مجرّبٍ ... عليْكَ إذا لم تنتهِكْ فيه مُحَرّما

وقال الفتح بن خاقان:

زَفْـرَةٌ فـي الـهَـوى أحـطُّ لـذنْـبٍ ... مـن غـزاةٍ وحـجّـةٍ مـبْـرورَه

وقال المهلّب:

أشتَهي الآن أن أصلّي على نعشِ محبٍّ قد مات في الحبّ وجدا

قيل: ذنوب العشّاق ذنوب اضطرار لا اختيار، وما كان كذلك لم يستحق عقوبة.

● **كوْن قتيلِ الهوى هدراً**

قال عبد الله بن جندب: خرجت فرأيت فساقاً فيهن امرأة كأنها منحوتة من فضة فتمثلت بقول قيس بن ذريح(١):

خـذوا بـدمـي إن مُـتّ كـلّ خـريـدة ... مريضة جفْن العين والطرفُ فاترُ(٢)

فقالت المرأة: يا ابن جندب إن قتيلنا لا يُوْدى(٣) وأَسيرنا لا يُفْدى. **وقال ابن عبّاس:** قتيل الهوى هدر ولا عقل ولا قودُ. وقال أبو حية النميري:

رَمَـيْـنَ فـأقْـصَـدْنَ الـقـلـوبَ مـا نـرى ... دمـاً مـائـرا إلا جـرى فـي الـحـيـازم

---

(١) **قيس بن ذريح:** من شعراء بني عذرة وصاحبته لبنى (**انظر سيرته وشعره في كتابنا أناشيد الحبّ والجمال في الشعر العربي ـ دار الأرقم**).

(٢) **الخريدة:** اللؤلؤة غير المثقوبة والخريدة (هنا): المرأة البكر لم تمسّ قط، **والخريد المرأة الحيّية**.

(٣) **لا يودى:** لا تقبل ديته لمنزلته وزعامته وهذا يوجب الثأر لدمه.

ولكن لعمر الله ماطلِ مسلماً ... كغرّ الثنايا واضحات الملاغم[١]
وإن دماً لو تعلمِينَ جنيته ... على الحيّ جاني مثله غيرُ سالمِ

قال مسلم بن الوليد:

أديرا عليّ الكأسَ لا تشربا قبلي ... ولا تطلُبا من عند قاتِلتي ذَحْلي[٢]

- **مَنْ أمر أن يقتصّ من محبوبِهِ**

قال شاعر:

خليليّ إن حانَتْ وفَاتي فاطْلُبَا ... دمِي من سلَيْمى واطلُبا بجميلِ

وقال الحسين بن الضحّاك:

غزالٌ ما اجتلاهُ الطَرْفُ إلاّ ... تَحيَّر في ملاحَة وجنتَيْهِ
خذوا بدمي محاسنه وخصّوا ... مقبَلَه وبرد ثِنيّتَيْهِ[٣]

- **الاشفاقُ مِنْ أن يلحق المحبوبَ إثمٌ في قتله**

وقال أحمد بن يوسف:

وفي الموْت لي من لوْعةِ الحُبّ راحةٌ ... ولكنّني أخْشى ندامتَها بغدي

- **استطابةُ الأذى في مُعاناة الهَوى**

قال المجنون:

يقولون ليلى عذبتْك بحبّها ... ألا حبّذا ذاك الحبيبُ المُعَذِّبُ

وقال آخر:

تشكّى المحبوبُ الصبابةَ ليْتني ... تحمّلْتُ ما ألقاهُ من بينهمْ وحْدي
فكانَتْ لنفسي لذةُ الحبّ كلّها ... فلم يَلْقَهَا قبْلي مُحِبٌّ ولا بعْدي

وقال آخر:

دع الحبَّ يصلى بالأذى من حبيبه ... فكلُّ أذىً ممّنْ تُحِب سُرورُ
ترابُ قطيعِ الشاملي عينِ ذئبها ... إذا ما تلا آثارهنّ ذرورُ

قال المتنبيّ:

سهادٌ أتانا منك في العينِ عندَنا ... رقادٌ وقلام رعى سربكم ورِدُ[٤]

---

(١) غرّ: بيض ـ الثنايا: أسنان مقدّم الفم ـ الملاغم: جمع ملغم وهو الفم والأنف وما حولهما.

(٢) الذحل: الثأر.

(٣) خذوا بدمي: أي أثأرو لي ـ المقبّل: الثغر.

(٤) السهاد: الأرق وعدم القدرة على النوم ـ الرقاد: النوم وهو ضد السهاد ـ القلام (بكسر القاف): سهم القمار ـ السرب: القطيع من الظباء، وهنا الجماعة.

وقال:

ضنى في الهَوى كالسمّ في الشهد كامناً ... لذذتُ به جهلاً وفي لذّتي حَتْفُ

وقال:

والعِشقُ كالمعشوقِ يعذُبُ قربُه ... للمبتلي وينال من حَوْبائِه[1]

لو قلت للدنِفِ الحَزين فَدَيْتُه ... ممّا به لأغرتُه بفدائِه

● **التبرُّم بالهَوى**

قال محمّد بن عبد الله بن طاهر:

ليْت الهوَى لَمْ يكُنْ بيني وبينكم ... وليتَ معرِفتي إيّاك لم تَكُنِ

وقال البحتري:

رحلُوا فأيّةُ عَبْرةٍ لم تُسْكَبِ ... أسفاً وأيّ عزيمَةٍ لم تُغلَبِ

لو كنتَ شاهدَنا وما صنعَ الهوى ... بقلوبنا لحسَدْتَ مَنْ لَمْ يُحبِبِ

● **التلذُّذُ بالهَوى عند المواصلةِ والتبرُّم به لدى المعارضةِ**

قال الخوارزمي:

وهذا الهَوى عيشُ المحبّ إذا صفَا ... ولكنْ إذ لم يصفُ كانَ له حَتْفَا

وقال وهب الهمداني:

ولي بين هجرانِ الحبيب ووصلِه ... مصيران موتٌ تارة ونُشُورُ[2]

● **التعبُّد للمحبوبِ وتذليلُ النفسِ فيه**

قد أجمع الأدباء على تفضيل قول أبي الشّيص:

وقفَ الهوى بي حيثُ أنتَ فليْس لي ... متأخَّرٌ عنه ولا مُتَقَدَّمُ

أجد المَلاَمَةَ في هواك لذيذةً ... حباً لذكرك فليلُمْني اللومُ

أشبَهتَ أعدائي فصرْتُ أحبّهم ... إذْ كان حظّي منك حظّي مِنْهُمُ

وأهنْتَني فأهنْتُ نفسي صاغراً ... ما من يهون عليك ممّن يُكْرَمُ

ويستعذب **قول المتنبي** حتى ما من أديب إلا وهو يرويه ولا مغن إلا وهو يغنّيه:

يا من يعزّ علينا أن نفارقَهُمْ ... وُجدانُنَا كلّ شيء بعدكم عدَمُ

---

(١) **الحوباء**: النفس، واللفظة من الحوبة ومعناها الحاجة، والنفس موضع الحاجات، والحوباء الآثمة وهي مؤنث الأحوب.

(٢) **النشور**: العودة إلى الحياة بعد الموت، وأراد بالنشور هنا تجدّد الحياة بعد فراق الأحبّة الذي اعتبره بمثابة الموت.

إن كان سرُّكُمُ ما قال حاسدُنا فما لجُرحٍ إذا أرضاكُمُ ألَمُ

- **المتبرّمُ بمحبوبِهِ عمَّن عَداه والمتبرمُ عند فقدِهِ بِسواه**

قال إبراهيم بن العباس:

وأنتَ هوى النفس من بينِهم وأنتَ الحبيب وأنتَ المُطَاعُ
ومالي إن بعدُوا وحشة ولا مَعهم إن بعدْتُ اجتماعُ

قال أبو فراس:

فيا ليت ما بيني وبينك عامرٌ وبيني وبين العالمين خَرَابُ
وليتَك تحلو والحياةُ مريرةٌ وليتَك ترضى والأنام غِضابُ

وقال آخر:

وكنتُ إذا داري بطيبك أسعفَتْ رَضِيتُ على الدنيا فما أستزيدُها(١)

قال الماهر:

النّاس أنتَ فأينَ عنك مَعرجي والأنسُ فيك فأينَ عنك أيمّمُ

وقال آخر:

فكلُّ حياةٍ مع سواكَ منيّةٌ وكلُّ ضُحىً في أرض غيرِكَ غَيْهَبُ(٢)

قالت أعرابية:

فما أحسنَ الدنيا وعندي خالد وأقبحَها لما تجهَّز غازيَا

وقال رجلٌ لامرأة: قد أخذت بمجامع قلبي(٣) فلستُ استحسنُ سواك. **فقالت:** إن لي أختاً هي أحسن منّي وها هي خلفي، فالتفت الرجل **فقالت:** يا كذّاب تدّعي هواناً وفيك فضلٌ لِسِوانَا.

- **الاستغناءُ بالحبيبِ عن كلِّ خير وطيب**

قال بعضهم:

ولو جاوزتنا لعام آخرَ لم نُبَل على جذبِنا أن لا يَصُوبَ ربيعُ(٤)

وقال كشاجم:

ما أرتجي بالرياض فيك غِنًى عنهُنّ لي منظر وحُسْنُ غِنَا

---

(١) **فما أستزيدها:** أي لا أطلب المزيد. (٢) **المعرج:** العدول ـ **أيمم:** أقصد وأتوجه.

(٣) **الغيهب:** الظلام الشديد، والليل الشديد السواد.

(٤) **لم نبل:** أي لم نأبه أو نكترث ـ **الجدب:** القحل ـ **يصوّب:** من صوّب الماء صبه والمقصود تصويب مطر الربيع الباعث على الخصب.

أُديـرُ طَـرْفِـي فـلا أرى حـسـنـاً ... إلا أرى فـيـك ذلـك الـحـسـنـا

● إجابةُ الهوى إذا دَعا

قال بعض بني أسد:

إذا أمَرَتْكَ النَفسُ أن تتَّبعَ الهَوى ... فقُل: سامِعٌ لِلأمرِ منكَ سمِيْعُ

وهذا خلاف قول الآخر:

إذا أنتَ لم تعْصِ الهوى قادَكَ الهوى ... إلى بعْضِ ما فيه عليْكَ مَقَالُ

ولهذا باب في أول الكتاب، ولتوبة:

ولو أنّ ليلى الأخيلية سلّمت ... عليّ ودوني جندلٌ وصفائحُ[1]

لسلّمْتُ تسليمَ البشَاشة أو زقا ... إليها صدى من جانب القبر صائحُ

فيقال: لما مات توبة ومضى على ذلك زمان وتزوجت ليلى مرّت مع زوجها يوماً بقبر توبة فقال: ألا تسلمين عليه لننظر هل صدق في قوله ولو أن ليلى (البيتين). فسلمت عليه فندّت هامة[2] من ناحية قبره وصرخت، فنفر جملها وسقطت فاندقّ عنقُها فماتَت فدفنَت بجانبه.

● جَهلُ المحبِ بمقابحِ محبوبِهِ

قال النبي ﷺ: حبّك الشيء يُعْمِي ويُصِمّ، أي يعمي عن الرشد ويصمّ عن سماع المواعظ على ذلك قال معاوية: لولا يزيد لأبصرت رشدي. قال شاعر:

يا عتب ما أنا عن فعالِك بي ... أعْمى ولكنّ الهوى أعْمى

وقال آخر:

وعينُ الرضا عن كل عيبٍ كليلَةٌ ... كمَا أنّ عيْن السخْط تبْدي المَساوِيا[3]

قال المتنبيّ:

ويَقْبُحُ منْ سِواكَ الفِعْلُ عندي ... وتفعلُهُ فَيَحْسُنُ منك ذاكا

قال علي بن عبد الله بن جعفر:

ولائمٌ لام فيه ... يبغي بذلك شَيْنِي[4]

(١) ليلى الأخيلية: شاعرة عربية من بني عقيل (انظر جانباً من سيرتها في تقديمنا لديوانها ـ منشورات دار الأرقم).

(٢) الهامة (هنا): طائر كالبوم يألف القبور والأماكن الخربة ويقال له الصدى، يقال: فلان صار هامة أي مات، والهامة طائر خرافيّ اعتقد الأقدمون أنه يخرج من رأس الميت قائلاً: اسقوني، أي من دم القتيل الذي مات دون أن يؤخذ بثأره.

(٣) عين كليلة: أي لا تبصر ـ يقول: إن رضى النفس عن شخص أو شيء يجعل العين تعمى عن رؤية العيوب، بخلاف عين الساخط والغاضب فهي لا ترى إلا المساوىء.

(٤) الشين: العيب، العار.

فــقــلــت إذ لامَ فــيــه هــلاّ نــظَــرْتَ بــعــيْــنــي[١]

وقال الأصمعي: سألني الرشيد عن حقيقة العشق **فقلت**: أن يكون البصل منها أطيبَ من المسك من غيرها.

● عُذْرُ مَنْ أحبّ قبيحاً

قيل لرجل: لِمَ اخترتَ من جواريك أقبحَهُنّ؟ **فقال**: لأن الهوى ليس نخَّاساً[٢] فيختار أثمنهنّ. وقال رجل للجماز: ابتلاك الله بحب فلانة وإنّها لامرأة قبيحة. **فقال** يا أحمق لو ابتلاني اللّهُ بحبها لكانت كالحور العين عندي، ولكن ابتلاك بأن تكون في بيتك وأنت تبغضها ولا يمكنك التخلّص منها. **وقيل** لرجل: اخترت فلانة مع قبحها **فقال**: لو صحّ لذي الهوى اختيار لاختار أن لا يعشق وقيل: العين إذا أبصرت الهوى عَمِيَتْ عن الاختيار.

● مَنْ جعل محبوبَهُ كمعبودِهِ

مذهب الحلوليين[٣] معروف فيما يدّعونه ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ **قال شاعر**:

لـمـا رآه الـنـصـارى لا شـبـيـهَ لـه وشـاهـدوه بـأسْـمَـاع وأبـصـارِ
خرُّوا سـجـوداً وقـالـوا حـلّ ثـانـيـةً في صورة الأنس ذاك الواحِدُ البارِي

وقال آخر:

أفدي بنفسي من بدرٍ على غُصُنٍ تـكـاد تـأكـلُـه عـيـنـاي بـالـنَـظَـرِ
إذا تـفـكّـرْتُ فـيـه عـنـد رؤيـتـه صدّقت قَوْلَ الحلوليين في الصُوَرِ

● هوى ثَبُتَ في الصغرِ وبقيَ على حالتِه في الكِبَرِ

كل هوى ثبت في الصغر فهو كالنقْش في الحجَر، لا تغيّره الأحوال ولا تبدّله الأعوام. **قال ابن الطثرية**:

أتـانـي هـواهـا قـبْـلَ أن أعـرِف الـهـوى فـصـادفَ قـلـبـاً خـالِـيـاً فـتـمَـكّـنـا

وقال:

وعـلـقـت لـيـلـى وهـي ذاتُ ذوائـب تـردّ عـلـيـنـا بـالـعـشـيّ الـمـرامـيـا[٤]

---

(١) يدعو الشاعر من أبغض حبيباً له أن يراه بعينه أي عين محبّه لأن عين المحبّ لا ترى المساوىء.

(٢) **نخاساً**: النخّاس: بائع العبيد.

(٣) **مذهب الحلوليين**: هو مذهب بعض المتصوفين الذين يعتقدون بأن الذات الإنسانية يمكن أن تحلّ في الذات الإلهية عندما تتّحد بها، والسبيل إلى ذلك العبادة والزهد والارتفاع فوق شهوات المادّة.

(٤) **الذوائب**: الضفائر جمع ذؤابة ـ **المرامي**: الأغراض، جمع مرمى.

فشبّ بنو ليلى وشبّ بنو ابنها   وأعلاقُ ليلى في الفؤادِ كَما هيا[1]

● **مَنْ ذكر أنّ هواه لا يزولُ إلا بموتٍ**

قال شاعر:

ستبقى لها في مضمرَ القلبِ والحَشا   سريرةُ ودٍّ يوم تَبْلى السَرائِرُ

وقال آخر:

يهيمُ فؤادي ما حييتُ بذكرها   ولو أنّني قد متّ جاوَبَها الصَدَى[2]

● **المفاضلةُ بين قديمِ الهَوى وحديثِهِ**

قال الأصمعي: رأيت في طريق الحج جاريتين كفلقتَي القمر، فلما كانت السنة الثانية رأيت إحداهما فسألتها عن أختها **فقالت** تزوج بها ابنُ عم لها، **فقلت**: لو أدركتها لتزوجتها **فقالت** ما يمنعك من شقيقتها في حسبها ونسبها وشريكتها في حسنها فقلت: **قول كثير**:

إذ واصلتنا خلّة كي تزيلَها   عرضنا وقلنا الحاجبيّةُ أوّلُ

فقالت بيننا كثير أليس هو القائل:

هل وصْلُ عزّةَ إلا وصلُ غانية   في وصْل غانيةٍ عن وصْلها خلفُ[3]

وحدّث **يحيى بن أكثم المأمون** أن كثيّراً اجتمع مع عزّة فتنكرت له متنقّبة **وقالت**: من أنت؟ قال كثير **فقالت**: وهل تركت عزّة فيك نصيباً لغيرها؟ **فقال**: لو أن عزة كانت أمة لي لجعلتها لك، فكشفت البرقع وقالت: أهذا أيضاً كذب الوشاة؟ فاستحيا، **فقال**: المأمون لقد استحييت له وأنا على سريري.

وقال جعفر بن سليمان: قَصَدْتُ المهدي يوماً **فقال**: دخلْتُ إلى جارية يُقال لها حسناء ودخلتُ أخرى يُقالُ لها ملكة، وأردت القيلولة **فقلت**: عند أيكما أقيل؟ فقالت حسناء: إن الله تعالى يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[4] فقالت ملكة لا تعجَل فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾[5] فقلت لو أن شريكاً حضرهما لم يقدر أن يقضي بينهما. **قال بشار**:

سَبَقَتْ بالحبِ سَلْمى غيرَهَا   وأحقّ الناس عندي من سَبَق

قال أبو تمام:

نَقلْ فُؤادك حيثُ شِئْتَ من الهَوى   ما الحبُّ إلاّ للحبيب الأوّلِ

كَمْ منزلٍ في الأرض يألفُهُ الفتى   وحنينُهُ أبداً لأوّلِ منزلِ

---

(١) **الأعلاق**: جمع علِق وهو الشيء النفيس.   (٢) **الصدى (هنا)**: الصوت من وراء القبر.

(٣) **يقول**: كثير رنه بأبي وصال أية غانية أو حسنها لأن قلبه لا يهيم إلا بحب صاحبه عزة.

(٤) **القرآن الكريم**: التغابن/ ١٠.   (٥) **القرآن الكريم**: الضحى/ ٤.

ونقضه ديك الجن فقال:

نَقِّل فؤادك حيث شئت فلن تَرَى ... كهوى جديد أو كوصل مقبلِ

- **مَنْ جَعلَ لكلّ من قديم الهوى وحديثِهِ نصيباً**

قال شاعر:

أنا مبتلىً ببليّتَيْن من الهوى ... شوْقي إلى الثاني وذكْرِ الأوّلِ
قُسِمَ الفؤادُ لحُرْمَةٍ ولِلذةٍ ... في الحبّ من ماضٍ ومن مستقْبَلِ

قال كثيّر:

وللعينِ ملهىً في البِلاد ولم يقد ... هوى النفْس شَيْءٌ كاقتيادِ الطّرائفِ

قال أبو تمّام:

وقالَتْ أنيسي البدْرُ قُلْتُ تجلّدا ... إذا الشمْسُ لم تغربْ فلا طَلَعَ البَدْرُ

- **مَنْ ذكر كثرةَ مَنْ يَهْوَاهُمْ**

قال ابن أبي طاهر:

عدمتُ فؤادِي من فؤادٍ فمَا أشقى ... وأكثر من يهوى وأعظَم ما يَلْقَى
فلو كانَ يَهْوى واحداً لعذرتُه ... ولكنّه من جهْله يعشَقُ الخَلْقَا
ثمَانون لي في كلّ يوْم أحبّهم ... وما في فؤادِي واحدٌ منهم يَبْقَى

وقال آخر:

قالوا بغانيَةٍ واصلْتَ غانيةً ... فقلْت: حزمٌ ورودُ الماءِ بالماءِ[1]

- **مساعفةُ المحبوبِ إذا ساعف والإعراضُ عنه إذا أَعْرَضَ**

هذه طريقة يختارها قوم فيطيب عيشهم وإن كان لا يرضاها من يتكلم في العشق من حكام أربابه. قال شاعر:

تمتّعْ بها ما ساعفَتْكَ ولا يكن ... عليْك شجىً في الصّدرِ حين تبِينُ

- **تأسّف من يحبّهِ مَنْ لا يحبُه**

قال شاعر:

إن كانَ ذا قدَرٌ أنْ يعطيكَ نافلةً ... منّا وتحرِمُنا ما أنْصَفَ القَدَرُ

وقال أبو الطحان:

أفي الحَقِّ أنّي مُغْرَمٌ بكَ هائمٌ ... وأنّكَ لا خِلٌّ هَواكَ ولا خَمْرُ

---

(١) الغانية: المرأة الحسناء التي أغناها حسنها عن الزينة، أو المرأة التي أغناها زوجها عن غيره من الرجال.

وقال أشجع:

وَمَوْتُ الفتى خَيْرٌ له من حياتِه ... إذا كانَ ذا حالَيْن يصبو ولا يُصْبى

ويُستظرف للمتنبي:

أنتَ الحبيبُ ولكنّي أعوذُ به ... مِنْ أن أكونَ محِبّاً غَيْرَ مَحْبُوْبِ

قال بعضهم: وجدت بمكة شاباً مصفراً ناحلاً فسألته عن حاله **فقال:** بُلِيْتُ بوصيفة فذهب رأس مالي في ثمنها ونفقتها وليست تحبني، **فقلت** استمتع بها وعدها بعض نعم الدنيا والآخرة هل تحبك العافية هل تحبك الصحة هل يحبك المال هل تحبك الجنة؟ **فقال:** لا **فقلت:** أليس تحب كل ذلك وتتمتع به مع أنه لا يحبك، **فهبها** بعض نعيم دنياك وآخرتك فقام كالمسرور وأوجع إليها وساهلها في سوء خلقها حتى رجع الله تعالى بقلبها إليه وطاب عيشه معها.

- **تأسفُ مَنْ يزدادُ صفاءً بجفاء محبوبِهِ**

قال إبراهيم بن العباس:

بنفسي من إساءَتُهُ اعتمادُ ... وَمَنْ إحسانُهُ من غيرِ عَمْدِ

ومن أصفَيْتُه في الودّ جُهْدي ... فعارضَ في الجَفاء بمثل جُهْدِي

وقال أبو العتاهية[1]:

ولي فؤادٌ إذا طالَ العذابُ به ... هامَ اشتياقاً إلى لُقيا مُعَذِّبِهِ

يفْديك بالنفس صبّ لو يكونُ له ... أعزّ من نفسه شيءٌ فَدَاكَ بِهِ[2]

- **من ذكر مساواة محبوبه في المحبّة**

إنّ التي زعمَتْ فؤادك مَلَّها ... خلقَت هواكَ كما خلقْتَ هوىً لَهَا

قال إبراهيم بن المهدي:

وتُخبِرني عن قلبِها فكأنّها ... إذا صدقت عنه تُحَدِّثُ عن قلْبي

قال أبو عنبسة:

كلانا سَواء في الهَوى غير أنّها ... تجلّدُ أحياناً وما بي تَجَلُّدُ

قال الرفاء:

شكَوْتَ الذي تشكو إليّ كأنّما ... تجِنُّ ضُلوعي ما تجِنُّ ضلوعُها

---

(١) أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم (٧٤٨ ـ ٨٢٥) شاعر مُكْثِر نشأ في الكوفة كُنِيَ بأبي العتاهية لميله إلى المجون. أغلب شعره في الزهد والشكر للدنيا. (انظر مقدّمة ديوانه ـ منشورات دار الأرقم).

(٢) صبّ: العاشق وذو الولع الشديد.

قال بعض الصوفية[1]:

روحُــه رُوحـــي ورُوحـــي روحُـــهُ　　إنْ يـشـا شِـئْـتُ وإن شِـئْـتُ يَـشَـأْ

● **تعارفُ القلوبِ مودّاتُ الأحبابِ**

قال ﷺ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف. وما تناكر منها اختلف. قال بكر بن النطاح:

وعلى القلوب من القلوب دلائلٌ　　بـالـودّ قـبـل تَـشَـاهُـدِ الأشْـبَـاحِ

قال العبّاس بن الأحنف:

قُـلْ لِـلّـتـي وصَـفَـتْ مـودّتـهـا　　لـلـمُـسْـتَـهـام بـذكـرهـا الـصّـبِ
مـا قُـلْـتُ إلا الـحَـقّ أعْـرفـه　　إنّ الـدلـيـل عـلـيْـه مـن قـلْـبـي
قَـلْـبي وقـلـبُـك بـدعَـةٌ خُـلِـقـا　　يـتـجـاريـانِ بـصـادقِ الـحـبّ

ثم نقضَ هذا بقوله:

فـلَـو كـنّ حـقّـاً كـمَـا يـزعـمُـون　　لـمـا كـان يـجـفـو حَـبِـيْـبٌ حَـبِـيْـبَـا

● **محبةُ مَنْ لا يعرفُ الهوى**

قال العبّاس بن الأحنف:

وجـاهـلـةٍ بـالـحـبّ لـمْ تـبلُ طعمَـه　　وقـدْ تـركَـتْـني أعْـلَـمَ النّـاس بـالحَب

وقال ابن المعتز:

قـد كـانَ غـراً بـقـتْـلـي لـيْـس مـحـسِـنَـه　　فالآن يـبدعُ في قتلي علـى البِدعِ[2]

● **محبة كل من مات بالمحبوب**

أحـبّ بـنـي الـقـوام طـرّاً لـحُـبّـهـا　　ومن أجْلِها أحبَبْت أخوالَها كلْبا[3]

قال قيس بن ذريح:

وداعٍ دعَـا إذْ نـحـنُ بـالـخـيف مِـنْ مِـنـي　　فـهـيّـج أشـجـانَ الـفـؤادِ ومـا يَـدْري[4]
دعـا بـاسـمِ لـيْـلـى غـيـرَهـا فـكـأنّـمـا　　أهـاج بـلـيـلـى طـائـراً كـان فـي صـدري

---

(١) **الصوفية**: مذهب يقهر الجسد ليطهّر الروح.

(٢) **الغرّ**: الشاب الذي لا خبرة له ـ **يبدع**: يبرع ويفتنّ في أساليبه.

(٣) **طرّاً**: جميعاً ـ **أخوالها كلباً**: أي من بني كليب.

(٤) **الخيف**: سفح الجبل والخيف من منى موضع في منى وهي من مناسك الحج قرب مكة ـ **هيّج**: حرّك ـ **الأشجان**: الأحزان، جمع شجن.

وقال المتنبي:

لولا ظباءُ عديّ ما شقيت بهم ... ولا بربربهم لولا جآذِرُهُ[1]

● مَنْ هَانَتْ نفسُهُ عليه لاستخفافِ محبوبِهِ بها

قال أبو الشيص:

أشبهت أعدائي فَصِرْتُ أُحبّهُمْ

وقال البيتين آخر:

إن الذين بخير كنت تذكرُهُم ... قد أهلكوك وعَنْهم كنْتُ أنهَاكا

لا تطلبَنَ حياةً عند غيرِهِم ... فليْس يُحْييك إلا منْ توفاكا

● المدعي عشقاً مِنْ غَيْرْ عَيان

وقال بشار:

يا قومُ أذني لبعض الحي عاشقةٌ ... والأذن تَعْشَقُ قبلَ العَيْنِ أحْيَانا

قالوا بمنْ لا ترى تهذي، فقلتُ لهم: ... الأذنُ كالعَيْن تؤتي القلبَ ما كَانا[2]

قال ابن الرومي:

هويتك ناشئاً قبْل التّلاقي ... هوى حدثاً تكهَّلَ باكتهالي[3]

وكُلُّ مودةٍ قبلَ اختبارٍ ... فتِلْك هوى طبائعِ لا انتحالِ[4]

● تأذي المحبوب بحبّهِ

قيل: المرأة إذا أحبتك آذتك وإذا أبغضتك خانتك. وقال رجل ليوسف الصديق: إني أحبّك، فقال: لا حاجة لي بمن يحبني فقد أحبني أبي فطُرِحْتُ لأجله في الجبّ وأحبتني امرأة العزيز فَحُبِسْتُ لأجلها في السجن بضعَ سنين.

● مَنْ فقدَتْهُ العينُ ولم يفقدْهُ القَلْبُ

قال بعض المحدثين:

والله ما شطّت نوى ظاعِنٍ ... إلا عنِ العَيْنِ إلى القَلْبِ[5]

وقال آخر:

بِنْتُم عن العينِ القريحةِ فيكُم ... وسكنْتُم منّي الفؤادَ الوالِهَ

---

(١) الربرب: القطيع من الظباء، والمراد هنا النساء الشبيهة بالظباء لحسنهن ـ الجآذر: جمع جؤذر وهو ولد الظبي أو البقرة الوحشية.

(٢) هذي: هذى هذياناً: أي تكلم بغير المعقول بسبب مرضه.

(٣) تكهل النبات: تم طوله ـ تكهّل الرجل: بلغ سن الكهولة، ما بعد الشباب.

(٤) الانتحال: ادعاء المرء شيئاً. (٥) شطت: نأت، ابتعدت.

قال ابن قتير:

إنْ كُنْتَ لَسْتَ معي فالذِكْرُ منْك سوى ... قلبي القريح وإن غُيّبْتَ عن بصري
العيْنُ تبصِرُ مَنْ تهوى وتحرِمُه ... وإنّما القَلْبُ لا يخلُو من الفِكرِ

وقال آخر:

يُجِدّ النأيُ ذكْرَك في فؤادِي ... إذا ذهلَتْ على النّأي القُلوبُ[1]

وقال البحتري:

إن جرى بيننا وبينك هجْرٌ ... وتناءت منّا ومنْك الديَارُ
فالغليلُ الذي عهدْتَ مُقيمٌ ... والدّموعُ التي عهدْتَ غِزَارُ[2]

● تذكُر المحبوب في جميعِ الأحوالِ

وقال شاعر:

تُذَكِّرنيكَ الخَيْر والشرّ والذي ... أخافُ وأرجُو والذي أتوَقّعُ

قال عمر بن أبي ربيعة:

إذا طَلَعتْ شمسُ النهار ذكرتُها ... وأحدَثُ ذكْراها إذا الشمْسُ تَغْرُبُ

قالت الخنساء[3]:

يذكّرُني طلوعُ الشمسِ صخْراً ... وأذكرُهُ لكلِّ غُروبِ شَمْسِ

● من لم يوجعهُ بُعْدُ محبوبه لتصوره

إن التباعُدَ لا يضرُّ إذا تقاربَتِ القلوبُ

قال ابن المعتز:

ما أُبالي بِظُنونِ ... وعيونٍ أتقِيْهَا
لي من ذِكْراك مرآ ... ةٌ أرَى وجْهَك فيها

(٢)
تذكُرُ المحبوبِ في اليقْظةِ والنومِ

●

لعليّ بن الجَهم، قوله:

آخرُ شيءٍ أنت في كل هَجْعَةٍ ... وأوّلُ شيءٍ أنت عند هُبوبي[4]

---

(١) النأي: البعد. (٢) الغليل: العطش الشديد.

(٣) الخنساء: توفيت نحو ٦٤٥ أعظم شواعر العرب قُتِلَ أخواها معاوية وصخر فرثتهما ثم رثت أولادها الأربعة الذين قتلوا في وقعة القادسيّة.

(٤) الهجعة: المرّة من هجع، أي رقد ونام - الهبوب: الاستيقاظ والنهوض من النوم.

قال ابن ميّادة:

فـمـا مـسّ جـنـبـي الأرضَ إلا ذكـرتُـهـا ... وإلا وجَـدْتُ ريـحـهـا فـي ثِـيَـابِـيـا

● **تذكّر المحبوبِ في الخفضِ والشدّةِ**

وقال بعضُهم:

أسجناً وقَـيْـداً واشـتـيـاقـاً وعـبـرةً ... ونـأي حـبـيـب إنّ ذا لـعـظـيـمُ

وأن أمـرأً دامـت مـواثـيـقُ عـهـدِهِ ... عـلـى مـثـلِ مـا قـاسـيْـتـه لـكـريْـمُ

قال بعض الصوفية:

ولـقـد ذكـرتُـك والـذي أنـا عـبـدُهُ ... والـسـيـفُ عـنـد ذؤابـتـي مَـسْـلُـوْلُ

● **تذكره بضرب من المشابهةِ من طيبِ**

كتب بعضُ البلغاء:

يذكرناكَ ريحُ الشمول وريحُ الشمال(١)

قال بشار:

إذا لاح الـصـوارُ ذكـرْت سـعْـدى ... وأذكـرُهـا إذا نُـفِـخَ الـصـوارُ(٢)

قال الخبزارزي:

نـصـبـاً لـعـيـنِـك لا تـرى حـسْـنـاً ... إلا ذكـرتَ بـه لَـهَـا شَـبَـهـا

قال البحتري:

كـأسٌ تـذكـرّنـي الـحـبـيـبَ بـلـونِـهـا ... وبـشـمّـهـا وبـطـعْـمِـهـا وحُـبـابِـهَـا(٣)

قال بعض المحدثين:

إذا مـا ظـمِـئـتُ إلـى ريـقِـهِ ... جـعـلْـتُ الـمُـدامـةَ مـنـه بَـدِيْـلا

وأيْـنَ الـمَـدامـةُ مـن ريـقِـهِ ... ولـكـن أعـلّـلُ قـلـبـاً عـلـيـلا

● **تعسر نسيان المحبوب**

قال المهدي يوماً لأصحابه: أي بيت أغزل؟ **فقال بعضهم** قول كثيّر:

أريـد لأنـسـى ذكـرَهـا فـكـأنّـمـا ... تـمـثّـل لـي لـيـلـى بـكـلّ سـبـيـلِ

فقال ماله يريد أن ينسى. **فقيل:** قول امرىء القيس في اعشار قلب مقتل فقال هذا جاف، **فقال** ابن بزيع عندي غرضك:

إذا قـلـت إنّـي مـشـتـفٌ بـلـقـائِـهـا ... وحـم الـتـلاقـي بـيـنـنـا زادنـي وجـدا

---

(١) **ريح الشمول:** ريح الخمر الباردة، **والشمال:** الريح التي تهب من ناحية الشمال وهي ريح باردة.

(٢) **الصوار:** قطيع البقر.

(٣) **الحباب:** الفقاعات التي تعلو كأس الخمر أو الماء.

فقال: أصبت.

- **الاستحياءُ من المحبوب بظهر الغيب لتصوّرِهِ**

قال جميل[1]:

وإنّي لأَسْتَحْيِيكِ حتى كأنّما ... عليّ بظهر الغَيْبِ منكِ رَقِيْبُ

قال أشجع:

ويمنعُني من لذّةِ العيش أنّني ... أخافُ إذا فارقتُ لهواً تَرانِيا

- **ذكرُهُ في الصلاةِ**

قال المجنون:

أصلّي فما أدري إذا ما ذكرتُها ... اثنتين صَلَّيْتُ الضّحَى أم ثمانيا

قال الخبزارزي:

ألفت هواك حتّى صِرْتُ أهذي ... بذِكْرك في الرّكوعِ وفي السّجودِ[2]

- **التلذُّذُ بذِكرِهِ**

اشربْ على ذِكْرِهِم إنْ حِيْلَ بينَهم ... عساكَ منهم على ذكرٍ إذا شَرِبُوا

قال محمد بن أمية:

أقولُ لهم كرّوا الحديثَ الذي مضَى ... وذكراك من بين الأنام أُريدُ

أناشِده ألا أعادَ حديثَه ... كأنّي بطيءُ الفَهْمِ حينَ يُعِيدُ

قيل لأبي المجنون: لو خرجت إلى مكة لتكون بعيداً عن ليلى، فعساه يتسلّى ففعل. فسمع يوماً إنساناً يقول يا ليلى فغشي عليه فلما أفاق قيل له مالك؟ فقال:

ودَاعٍ دعا بالخَيْفِ إذ نحن من منًى

وقال:

وإنّي تعروني لذِكْراكِ هِزّةٌ ... لها بين جِلْدي والعِظامِ دبيبُ[3]

- **مَنْ خَطَّ صورةَ محبوبِهِ وشكا إليها**

قال أبو نواس[4]:

إذا ما الشّوقُ أقلقَني إليه ... ولم أطمَعْ بِوَصْلٍ مِنْ لَدَيْهِ

---

(١) **جميل بن مهر**: جميل بثينة توفي نحو (٧٠١) شاعر أموي من بني عذرة تغنّى بمعشوقته بثينة فعرف بها توفي في مصر.

(٢) **ألفت**: اعتدت، أنس به وأحبه. (٣) **تعروني**) تنتابني وتصيبني.

(٤) **أبو نواس**: الحسن بن هانيء (٧٥٧ ـ ٨١٤) من كبار شعراء العصر العبّاسي، لقّب بشاعر الخمرة. قربه الرشيد وجعله الأمين شاعره. أسرف في اللهو ثم تاب في آخر أيامه. له ديوان.

خططتُ مثالَه في بطنِ كفّي | وقلتُ لمُقلتي فِيْضِي عليهِ

قال بشار:

خطَطتُ مِثالَها وجلسْتُ أشكُو | إليها ما لَقِيتُ على انْتحابِ
كأنّي عندها أشكو همومي | إليْها والشَكاةُ على التّرابِ

- **الاستقاءُ لماضي الزمن**

سقى الله أياماً لنا ولياليا | مَضَيْنَ فلا يُرجى لهنّ طُلُوعُ
إذ العيْشُ صافٍ والأحبّةُ جيرَة | جميعٌ وإذ كلّ الزمانِ ربيعُ
وإذ أنا أما للعواذل في الهوى | فعاصٍ وأما للهوى فَمُطِيْعُ

قال الصاحب في هذا الشعر: إن شئت كان أعرابياً في شملته وإن شئت فعراقي في حلّته. وقال البحتري:

والعَيْشُ غَضٌ والحياةُ لذيذَةٌ | والحادِثاتُ عن الزّمان بِمَعْزِلِ

وقال آخر:

سُقياً لأيام تولَّتْ بها | أحسن ما كانت صروفُ الزَمَنْ
ولَّتْ فما الدنيا بأقطارِها | لليومِ والساعَةِ منها ثَمَنْ

- **تمنّي عودُ الأيامِ السالفةِ**

قال بعضهم:

ولو أنني أعطيتُ من دهري أنني | وما كلّ ما يُعْطى المُنى بمسدّدِ
لقُلْتُ لأيام مَضَيْن ألا ارجعي | وقُلْتُ لأيام أتيْنَ ألا ابعِدي

وقال آخر:

خليليّ ما بالعيْشِ عتبٌ لو أننا | وجدْنا لأيامِ الحِمى من يُعِيدُهَا

وقال جحظة:

ألا ليتَ عيْشاً أولاً كرّ راجعاً | وإلا فعيشٌ آخرُ مثلُ أوّلِ

- **التلهفُ على أحوالِ سالفةِ**

قال منصور النميري:

ومجالِسٌ لكَ بالحمى | وبها الخليطُ نزولُ[1]
أيامُهن قصيرةٌ | وسرورهُنّ طويلُ
المالكيّةُ والشرا | ب وَقَينةٌ وشَمُولُ[2]

---

(١) الخليط: الصاحب والعشير والإلف. (٢) القينة: المغنية ـ الشمول: الخمر أو الباردة منها.

وقال آخر:

لولا ثلاثٌ هنّ عيشُ الدهر ... المالُ والخُبْزُ وأمُّ عمرِو

- **مَنْ هيَّجَه الحَمَامُ بتغريدِهِ**

أنشد ابن أبي طاهر وقال هو أحسن ما قيل في بكاء الحمام:

وقلْبِي أبكَى كُلَّ من كان ذا هَوى ... هتوفُ البواكي والديارُ البَلاقِعُ(١)
ومرَّ على الأطلال من كلّ جانبٍ ... نوائحُ ما تخضَل منها المَدامِعُ
مزَبْرجَةُ الأعناقِ غرّ بطونها ... مخطَمَةٌ بالدرّ خضرٌ روائعُ(٢)
ترى طرراً بين الخوافي كأنّما ... حواشي برودٍ أحكمتْها الوشَائعُ(٣)
ومن قطَعِ الياقوتِ صِيغَتْ عيونُها ... خواضبُ بالحنّاء منْها الأصابِعُ

قال حميد بن ثَوْر:

وما هاجَ هذا الشوقَ إلا حمامَةٌ ... دعَت ساق حرّ ترحَةً وترنّما
بكَتْ شجْوَ ثكلى قد أُصيبَ حميمُها ... مخافةَ بيْنٍ يترُكُ الحبْلَ أجْذمًا(٤)
فلم أرَ مثلي شاقهُ صوتُ مثلِها ... ولا عربياً شاقهُ صوْت أعْجَمَا

وقال آخر:

يا ويحَ قمريةٍ غنّت لنا هَزَجاً ... ممّا تغنّي بنظْم جدّ متزنِ
قد كنتِ واقعةً دهْراً على فنَنٍ ... فصِرْتِ في جوفِ منحوتٍ من القننِ
فخبّرينا وما ألقاكِ مخبرةً ... أتسجعين للهوِ منك أم شَجَنِ
وفي الفؤاد همومٌ لستُ مُظهرَها ... خوفَ الوُشاةِ وإشفاقاً من الزمنِ

- **التذكر بنارٍ مُوقدَةٍ**

نظر أعرابي إلى نار بأرض محبوبه فقال:

أنارٌ بدَتْ يا عبدُ في ساكِنِ الغضا ... مع الليْل أم برقٌ تلألأ ناضِبُ(٥)

---

(١) **البلاقع**: بلقع المكان: أي أقفر.

(٢) **مزبرجة**: مزيّنة، محسنة من زبرج الشيء خسته ـ **مخطّمه**: جعل الخطام على أنفه، والخطام ما يوضع في أنف البعير ليقاد به.

(٣) **حواشي**: أطراف ـ **البرود**: الثياب المخطّطة الموشاة جمع برد ـ **الوشائع**: جمع الوشيعة وهي خشبة يلف عليها لحمة الثوب لينسج.

(٤) **الأجذم**: المقطوع.

(٥) **الغضا**: جمع غضاة وهي شجرة الأثل، **وأهل الغضا**: سكان نجد.

فاحبِبْ بتلكَ النّارِ والموقدِ الذي ... له عنْدَ جرْعاء النميرةِ حَاطِبُ[1]

وقال:

يا موقدَ النارِ أوقدْها فإنَّ بها ... سناً يَهِيجُ فؤادَ العاشِقِ السَّدِمِ

- **التذكرُ بالبرقِ**

قال أبو سعيد بن فوقة:

أقولُ وقد شمْتُ البروقَ فلمْ أجِدْ ... كبرْقٍ بدا من أصبهانَ فأومَضَا[2]

سقى الرائحَ الغادي بلاداً رفضتُها ... ولم تكُ إلا أن نبتْ بي لتُرفَضَا

وهل هيَ إلا موطِنٌ لي مُحَبَّبٌ ... إليّ أعادته الخطوبُ مبغَضَا

وقال:

إذا أوْمَضَ البرْقُ من أرضِها ... تمثّل لي أنّها تبتسِمْ

وأذكرُها في المحلّ الجَدِيبِ ... فيخصِبُ من دمعِيَ المنسجِمْ

- **التذكرُ والشوقُ بهبوبِ الريحِ**

قال شاعر:

ألا يا صَبا نجدٍ متى هجْتَ من نَجْدِ ... لقد زادني مَسْرَاكَ وجداً على وَجْدِ[3]

وقال عبد الله بن أمية:

هبّتْ شمالاً فقيلَ من بلَدٍ ... أنْتَ بها طابَ ذلكَ البلدُ

فقبّلَ الريحَ منْ صَبابتِهِ ... ما قبّلَ الريحَ قَبْلَهُ أحَدُ

وقال:

إذا هبّ علويّ الرياحِ وجدتُني ... كأنّي لعلويّ الرّياحِ كَثِيبُ

- **تذكر المحبوبِ بالاختلاجِ العارضِ**

العرب تزعم أن من خدرت رجلهُ فذكر محبوبَه ذهب خِذرها. **قال عمر بن أبي ربيعة**:

إذا خدرَتْ رجلي أبوحُ بذِكْرِهِ

وقال:

إذا مُذِلَتْ رجْلي دعوتُكِ أشتَفي ... بذكراكِ من مذلٍ بها فَيَهُونُ[4]

ويقولون من اختلجت عينه أبصر محبوبه، **قال إبراهيم الصولي**:

اختلجَتْ عيني فأبصرتُه ... كأن عيني تعلمُ الغيبا

---

(١) **النميرة**: شملة أو بردة من صوف فيها خطوط بيض وسود.

(٢) **أصبهان أو أصفهان**: مدينة في وسط إيران بين طهران وشيراز مشهورة بالحرير والسجّاد والأغنام.

(٣) **الصَّبا**: ريح شرقية يقابلها الدّبُور. (٤) **مذلت الرجل**: خدرت ـ **والمذل** الخدر والفتر

قال ابن المعتز:

مرحباً باختلاجِ أجفانِ عينٍ ... بشّرتْ نفسَها برؤيةِ خيرِ

قال العباس:

ظلّت تبشّرني عيْنِي إذا اختلجَت ... بأنْ أراكَ وما زالَت على خَطَرِ

فقلتُ للعينِ أمَا كنتِ صادقةً ... إني ببشراك لي من أسعَدِ البَشَرِ

فما جزاؤك عندي لست أعرفه ... بلى جزاؤك أن تخلبن بالنظرِ

وأحجبُ المقلةَ الأخرى وأمنعُها ... وجهَ الحبيبِ كما لم تأتِ بالخَبَرِ

(٣)

وممّا جاء في التوديعِ والفراقِ

•

وقال لبعضهم:

تمتّعْ من حبيبٍ بالوداعِ ... فما بعدَ الفِراقِ منِ اجتِماعِ

فلم أرَ في الذي لاقيتُ شيئاً ... أمرَّ من الفِراق بلا وداعِ

قال بشّار:

إن الوداعَ من الأحبابِ نافلةٌ ... للظّاعنين إذا ما يمّموا بلَدا

ولستُ أدري إذا شطّ المزارُ بهم ... هلْ تجمَعُ الدارُ أم لا نلْتقي أبداً

قال الموسوي:

وأفجعُ النّاس مَنْ سارت حبائبُه ... ولا عناقٌ ولا ضمٌّ ولا قُبَلُ

- **التوديع بالإشارة**

قال الأصمعي سمع أعرابياً يخاطب آخر **يقول**: شيعنا الحي وفيهم أدوية السقام فاشرنا بالحدق إلى السلام وجمدت الألسن عن الكلام. خرج رجل في سفر وكانت له ابنة عم يحبّها فقال:

ولما تبدّت للرحيل جمالُنا ... وجدّ بنا سَيْرٌ وفاضَت مدامِعُ

أشارتْ بأطراف البَنان وسلّمَتْ ... وأومتْ بعينَيْها متى أنتَ راجعُ

فقلْتُ لها والقَلْبُ فيه حَرارةٌ ... فديتكِ ما علْمي بما اللهُ صانِعُ

- **استطابة التوديع طمعاً في لقاءِ الحبيبِ**

قال شاعر:

وسهَلَ التوْديعُ يَوْمَ النوى ... ما كانَ قد وَعّرَهُ الهَجْرُ[١]

---

(١) التوديع: الوداع ـ عرّ المكان: جعله وعراً أي صعباً من الوعورة ووعورة الطريق ما يعترضها من صعوبة.

وقال:

لَيس عنْدي خطبُ النوى بعظيمِ ... فيه روحٌ وفيه كَشْفُ غُمُومِ
إنّ فيه اعتناقةً لوداعٍ ... وانتظارَ اعتناقةٍ لقُدُوْمِ

وقال:

ولو فهم النّاسُ التّلاقي وحُسْنَهُ ... لحُبِّبَ من أجلِ التّلاقي التفرّقُ
فيا حسْنَنا والدّمْعُ بالدمع واشجٌ ... نمازَجُه والخدُّ بالخدِّ مُلصَقُ[1]
فلم ترَ إلا مخبِراً عن صبابَةٍ ... بشكوى وإلا عبْرةً تترقرقُ
ومنْ قبلِ قبْلَ التلاقي وبعْدَه ... نكادُ بها من شدّة اللثْمِ نَشْرقُ[2]

● عذر تارك توديع محبوبِهِ

كتب بعضهم: ما أعرضت عن تشييعك إلا استفظاعاً لتوديعك وما كرهت توديعك إلا كراهة تجديد العهد بفراقك. قال البحتري:

لا تعذلني في مسيـ ... ـركَ يوم سِرْتَ ولم ألاقِكْ
أني عرفتُ مواقفاً ... للبيْنِ تسفَعُ غربَ ماقِكْ[3]
وعلمت أن لقاءنا ... سبَبُ اشتياقِي واشتياقِكْ

قال الصنوبري:

بأبي من هربْتُ من توديعِه ... وبعثْتُ الدموعَ في تشييعِه

● البكاءُ عند التوديع

لما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب بن الزبير تعلقت به امرأته عاتكة فبكت وأبكت جواريها، فقال عبد الملك: قاتل الله ابن أبي جمعة حيث قال.

إذا ما أرادَ الغزْوَ لم يَثْنِ عَزْمَهُ ... حصانٌ عليها نَظْمُ درٍّ يزينُها[4]
نهتْه فلمّا لم ترَ النهيَ عاقَه ... بكَتْ فبكى ممّا دهاها قطينُها[5]

وقال:

وممّا دهانِي أنّها يومَ أعْرَضتْ ... تولّت وماءُ العين في الجفن حائرُ[6]

---

(١) واشج: ممتزج. (٢) نشرق: نغصّ - اللثم: التقبيل.
(٣) الغرب: الدمع - ماقك: مخفّف: مآقيك.
(٤) لم يثن عزمه: لم يمنعه - الحصان: المرأة العفيفة.
(٥) عاقه: منعه - القطين: أهل الدار والخدم والأتباع.
(٦) أعرضت: صدّت وجفت - ماء العين: الدمع.

فلمّا أعادَتْ من بعيدٍ بنظرةٍ ... إليّ التفاتاً أسلمته المحَاجِرُ

وقال آخر:

سقى الله رَكْباً ودّعوا يوم ودّعوا ... وعيْرُهم شوقي وحاديهم وَجْدي[(١)]

غداة مضَتْ واستوثقتْني عبْرةٌ ... أسائِلُ في سعدٍ عن القمر السعدي

- **إظهارُ التوجعِ لوداعِ الحبيبِ**

قال شاعر:

وداعُكِ مثْلُ وداع الربيعِ ... وفقدكِ مِثْلُ انفِقاد الدِّيَم[(٢)]

عليكَ السلامُ فكم من وفا ... نفارقُه منكِ أو مَنْ كَرَم

قال أبو تمّام:

النّاسُ غيرك ما تغيّر خيرتي ... لفِراقِهم هل أنجدُوا أم أَغَارُوا[(٣)]

- **صعوبةُ لقاءِ الإبلِ للفراقِ**

لو تعلمُ العِيسُ ما في يوم بَيْنِهِم ... أبَتْ على السائقِ الحادي فلم تَسِرِ

كأنّ أيدي مَطَاياهُم إذا وخذتْ ... يَقعنَ في حرّ وجهي أو على بصرِي

قال المتنبّي:

كأنّ العيسَ كانَتْ فوق جفْني ... مناخاتٍ فلما ثِرْن سَالا[(٤)]

وقد ذم بعضهم الإبل لما كانت سبباً للفراق فقال:

وما غرابُ البيْن إلا ناقةٌ أو جملُ

ونقضه جران العود فقال:

بأخفافِها يدْنو الفتَى من حبيبِه ... وتنقِذُه إن أذهلَتْه الشدائدُ[(٥)]

- **ارتحالُ القلبِ بارتحال المحبّ**

قيل: إنْ بانَ أخوكَ بان شطرك. قطيعة الوصال قطع الأوصال. **قال الصنوبري:**

ذكروا أنّ الفراقَ غداً ... وفراقُ النفْس بعد غَدِ

قال أبو تمّام:

قالُوا الرحيل فما شكَكتُ بأنّه ... نفْسي عن الدنيا تريدُ رحيلا

---

(١) **العير:** الحمار الأهلي جمع أعيار ـ **الحادي:** سائق الإبل.

(٢) **الدِّيم:** السحب الممطرة جمع ديمة.

(٣) **أنجدوا:** قصدوا أرض نجد ـ **أغاروا:** قصدوا الغور وأرض نجد عالية وأرض الغور منخفضة.

(٤) **مناخات:** باركة. (٥) **الشدائد:** المواقف العصيبة ونوائب الدهر.

قال التنوخي:

كأنما كان عُمْري في اقترانِك بي ... عاريةً فاستردتْه يَدُ البُعْدِ[1]

وكتب بعضهم يوم توديعك ودَّعتُ قلبي فهو يتصرف بتصرفك وينصرف بمنصرفك.

قال ابن الحجاج[2]:

رحلْتُ وما علِمْتُ بأنّ قلْبي ... على بعضِ الزوامل في الرحالِ[3]

وقال آخر

لئن بعدَتْ عنك أجسادُنَا ... لقد سافرت مَعَك الأنفُسُ

قال السلامي:

ما تنشدون وقلْبي في رحالِكم ... هو الصواعُ وبعْض العير سُرّاقُ[4]

قال أبو تمام:

تكاد تنتقلُ الأرواحُ لو تركت ... من الجسوم إليها حين تنتقلُ

● **مَنْ ارتحل فخلَّف قلبَهُ عِندَ حبّه. قال الخبزارزي:**

أنا غائبٌ والقلْبُ عنْدَك حاضرٌ ... سافَرْتُ عنْكَ وما الفؤادُ مسافِرُ

وقال آخر:

وإن يرتحِلْ جسْمي مع الركبِ مُكْرَهاً ... يُقِمْ عندَه قلبي وأَمضِي بلا قَلْبِ

قال المتنبي:

فجُدْ لي بقلبٍ إنْ رَحَلْتُ فإنّني ... أُخلِفُ قلْبِي عند من فَضْلُهُ عِندي[5]

ولو فارقتْ جسمي إليكَ حياتُهُ ... لقلتُ أصابَتْ غيرَ مذمومةِ العَهْدِ

● **شدّةُ الفرقةِ**

قيل لبعض الصوفية: لِمَ تصفرّ الشمس عند الغروب؟ **فقال:** خوفاً من الفراق وبه ألم. **قال الأستاذ الرئيس:**

لا تركنَنّ إلى الودا ... ع وإن سكنتَ إلى العناقِ

---

(١) **العارية:** ما تملك منفعته بغير ضرر ـ **استردّت:** استرجعت.

(٢) **ابن الحجّاج:** شاعران هما: عبد الله بن الحجاج الثعلبي، من صعاليك شعراء العرب. اشتهر بشجاعته وتأييده عبد الله بن الزبير. مات سنة (٧١٩م)، والآخر من شعراء بغداد الذين اشتهروا بالغزل والمجون، ومات سنة (١٠٠١م).

(٣) **الزوامل:** جمع الزاملة وهي الدّابة من الإبل وغيرها يحمل عليها.

(٤) **الصواع:** الصّاع، إناء يشرب فيه.

(٥) **أخلف قلبي:** أتركه ـ يعبّر عن وفائه للمحبوب ويقول بأنني إذا ارتحلت تركت قلبي عند من أحبّ.

فالشمسُ عند غروبِها تصفرُّ من خوفِ الفِراقِ

وقيل: ما أشد صدع الفراق بين الرفاق. وقيل بكف الفرقة تقدح نار الحرقة، كبدي بيد الشوق مخطوفة وعيني بقذى الفراق مطروفة. أنتن من ريح الفراق وأزكى من نسيم التلاق:

وما الدّهرُ إلا هكذا فاصْطِبرْ لَهُ رزيّة مالٍ أو فراقُ خليلِ[1]

● الحَذَرُ من الفراق

قال أشجع:

ومحاذِرٌ للبَيْنِ قد وقعَ الذي يُخْشى حذارُه[2]

وقال آخر:

كفى حزناً أنّ زوارَنا لوقْتِ الرّواحِ أرادُوا الغُروبا
فلو كنتُ بالشمْسِ ذا طاقةٍ لطالَ على النّاس حتّى تغيّبا

وقال:

وأشفِقُ من وشْكِ الفِراقِ وإنّني أظنّ كمحمولٍ عليه مَرَاكِبُهْ

● شِدّة سَمَاع الفرقةِ

وقال أبو نواس:

طرحْتُم من التّرحال أمراً فغمّنا فلوْ قدْ فعلتُم صبّحَ الموتُ بَعْضَنا

● كونُ الفرقةِ كالمنيّةِ

قيل: لكل جليلة دقيقة ودقيقة الموت الفراق. قال النميريّ:

أن المنيّةَ والفراقَ لواحدٌ أو توءمان تَراضعا بلبَانِ[3]
في فرقة الأحبابِ شغلٌ شاغلٌ والثكلُ حقاً فرقةُ الإخوانِ[4]

وقال أبو تمّام:

لو حارَ مرتادُ المنيّةِ لم يجدْ إلا الفراقَ على النفوس دَليلا

وقال المتنبيّ:

لولا مفارقةُ الأحْباب ما وَجَدَتْ لها المَنايا إلى أرواحِنا سُبُلاً

---

(١) الرزئة: المصيبة العظيمة.

(٢) البين: الفراق وقوله: محاذر اسم فاعل من حاذر أي تحرّز.

(٣) اللبان: الصدر.

(٤) يقول: إن أكثر ما يشغل المرء مفارقة الأحبّة فهي ضرب من الثكل، والثكل فقد الابن فالرجل ثاكل والأم ثكلى.

● **بُغضُ الوقتِ الذي يعرضُ في الفراقِ**

وقال أبو تمام:

أن يـوم الـفـراق يـومٌ عـبـوسُ ... أيّ سـيـلٍ تـسـيـلُ فـيـه الـنـفـوسُ
لـم أزلْ أبـغـضُ الـخـمـيـسَ ولـم أدْ ... رِ لـمـاذا حـتّـى دهـانـي الـخَـمِـيْـسُ (١)

● **استقباحُ الحياةِ بعد ارتحالِ الحبيبِ**

وقال التنوخي:

إذا بـانَ مـحـبـوبٌ وعـاشَ مـحـبُّـه ... فـذاكَ كـذوبٌ فـي الـهَـوى غـيـرُ صَـادِقِ

وقال:

أو لـيـس مِـنْ إحْـدى الـعـجَـائِـب أنّـنـي ... فـارقـتُـه وحَـيِـيْـتُ بـعْـدَ فِـراقِـهِ

● **اعتراضُ الفراقِ**

قال ابن الرومي:

أُخْـرجْـتُ مـن جـنّـتـي مـفـاجَـأةً ... آمَـنُ مـا كـنـتُ فـي حـدائـقِـهَـا
بـيـنَـا اسـتـمـاعـي هـديـلَ هـادلِـهـا ... إذ راعَ قـلـبـي نَـعِـيْـقُ نـاعـقِـهـا (٢)

وأنشد المأمون قول العبّاس بن الأحنف:

هـمْ كـتـمُـونـي سـرَّهـم ثـمّ أزْمَـعـوا ... وقـالُـوا اتـعـدنـا لـلـرّواحِ فـبـكّـروا

فقال سخروا بابي أفضل أعزّه الله.

وقال إبراهيم بن العباس:

وزالـتْ زوالَ الـشَّـمْـسِ عن مـسـتـقـرّهـا ... فـمَـنْ مُـخـبـري فـي أيّ أرضٍ غُـرُوْبُـهَـا

● **مفارقةُ المحبوبِ قبلَ التمتّعِ به**

قال الخبزارزي:

اسـتـودِعُ الـلّـهَ أحـبـابـاً فُـجِـعْـتُ بـهِـم ... بـانُـوا فـمـا زوّدونـي غـيْـرَ تـعـذِيْـبِـي (٣)
بـانـوا ولـم يـقـض زيـدٌ مـنـهـم وَطَـرا ... ومـا انـقـضَـتْ حـاجـةٌ فـي نـفـسِ يَـعْـقُـوبِ (٤)

وقال ابن الأحنف:

سـألُـونـا عـن حـالِـنـا كـيْـفَ أنـتُـم ... فـقـرنْـا وداعَـهـم بـالـسّـؤالِ
مـا أنـاخُـوا حـتّـى ارتـحَـلْـنـا فـمـا نـف ... ـرّقُ بـيـن الـنّـزول والارْتِـحَـالِ

---

(١) **دهاني**: انتابني، أصابني ـ **الخميس**: يوم الخميس **والخميس أيضاً**: الجيش الكبير المؤلف من خمس كتائب.

(٢) **راع قلبي**: أفزعه.

(٣) **زوّده**: أعطاه زاداً، **والزاد أصلاً** طعام السفر

(٤) **الوطر**: الحاجة.

وقال محمد بن أمية:

يـا فِـراقـا أتـى بُـعَـيْـدَ تـلاقِ ... واتّـفـاقـا جـرَى بـغـيْـر اتّـفـاقِ
حـيـنَ حـطّـتْ ركـابُـنـا لـتـلاقِ ... زمّـت الـعـيـسُ مـنـهـم لـفـراقِ[1]
إنّ نـفـسـي بـالـشـام إذْ أنـت فـيـهـا ... ليْسَ نفسي نفسي التي بالعراقِ
أشْـتـهـي أن يـرَى فـؤادي فـيـدري ... كيفَ وجْدي بهم وكيفَ احتِراقي

- **كونُ مَنْ تباعَد عن محبوبِهِ في غربةٍ**

فلا تحسَبي أنّ الغريبَ الذي نأى ... ولـكـنْ مَـنْ تـنـأيْـنَ عـنـه غـريـبُ

وقال الخبزارزي:

أني لفي غُرْبَة مذ غِبْتِ يا سَكَنِيْ ... وإن ظَلَلْتُ أرَى في الأهلِ والوطنِ[2]

قال المتنبيّ:

إذا تـرحّـلْـتَ عـن قـوم وقـد قـدَرُوا ... أن لا تـفـارِقَـهُـم فـالـرّاحـلـون هُـمُ

- **التلفت إلى المحبوب بعدَ الارتحال عنه**

قال شاعر:

ما سِرْتُ مِيلاً ولا جاوزتُ مرحلةً ... إلا وذكـرُك يـلْـوي دائـمـاً عُـنـقِـي

وقال المتنبيّ:

أفْـدي الـمـودّعـةَ الـتـي أتْـبـعْـتُـهـا ... نـظـراً فـرادى بـيـن زفـرات ثُـنـا[3]

قال ابن المعتزّ:

لـسـتُ أنـسـى الـتـفـاتَـهُ حـيـنَ ولّـى ... والـتِـفـاتـي وقـدْ نـظَـرتُ إلـيْـه
وكـلانـا مـن الـتـأسّـف والـوجْــ ... ـد عـلـى إلـفـه يَـعـضّ يَـدَيْـه

- **تسلُّط أيام البينِ على وصْلِ الأحبابِ**

قال شاعر:

أرَقّ الـعـيْـنَ أن قـرّةَ عـيْـنـي ... دخـلـتْ بـيـنَـه الـلـيـالـي وبـيْـنـي

قال جحظة:

جـرَتْ نُـوَبُ الأيّـام بـيْـنـي وبـيـنَـه ... فـلـمْ يبْقَ إلا مـا أعِـيـدَ مـن الـذكْـرِ

وقال أبو تمّام:

عـبَـثَ الـفـراقُ بـعـيْـنِـهِ وبـقـلـبِـه ... عـبـثـاً يـروحُ الـجِـدّ فـيـه ويـغـتـدي

---

(١) زلّق: شدّت وربطت ـ العيس: الإبل.
(٢) السّكن: كلّ ما يستأنس به.
(٣) ثنا: من ثناء أي اثنين.

● **وصفُ الدهرِ والنّوى**

قال محمد بن وهب:

إذا مـا سـمَـوْتُ إلـى وصْـلِـهِ ... تـعـرّضَ لـي دونـه عـائِـقُ
وحـاربَـنـي فـيـهِ ريـبُ الـزمـانِ ... كـأنّ الـزمـانَ لـه عـاشِـقُ

قال شاعر:

مـلامُ الـنّوى في بُعْدها غايةُ الظلْمِ ... كـأنّ بـهـا مـثـلَ الـذي بي من الـلّوْمِ
فـلـو لـم تـعـز لـم تـزوِعـنّي لـقـاءكـم ... ولو لم تردْكم لم تكن فيكم خَصْمي[1]

وقال المتنبيّ:

أبى خـلُـقُ الـدنـيـا حـبـيـبـاً تـديـمُـه ... فـمـا طـلَـبي مـنـهـا حـبـيـبـاً تَـرُدُّ

● **التحيّر لتفرّق الأحبابِ فرقتين**

قال أبو العتاهية:

أيـا كـبِـداً عـادتْ عـشـيّـةَ غـرّبَ ... مـن الـشـوقِ إثْـرَ الـظـاعـنـين تـصـدعُ
عـشـيّـة مـا فـيـمـن أقـام يـغـرّبُ ... مـقـامٌ ولا فـيـمـا مـضَـى مـتـشـرّعُ
تـفـرّق أهـلانـا مـقِـيـمـاً وظـاعـنـاً ... فـلـلّـهِ درّي أيّ قـومـي أتـبَـعُ
يـنـازعُـنـي شـوْقـي أمـامي وحـاجـتـي ... ورائي فـمـا أدري بـهـا كـيـفَ أصـنَـعُ

● **الرغبةُ في حِفظِ المودةِ عند الغيبةِ**

خرج عبد الملك بن صالح مشيّعاً لجعفر بن يحيى فاستعرض حاجاته **فقال**: قصارى كل مشيّع الرجوعُ، ولكني أريد من الأمير أن يكون كما **قال ابن الدمينة**[2]:

فكُـونـي عـلـى الـواشِـيـن لـدّاءَ شـغـبـةً ... كـمـا أنـا لـلـواشـي ألـدّ شـغـوبُ[3]

فقال جعفر: أقول كما **قال جميل**: معاتبة القلب لاشتياقه إذا نأى وتلوّنه على الحبيب إذا دنا. **قال بعضهم**:

وخـبّـرتَـنـي يـا قـلـبُ أنّك ذو هـوى ... بـلـيْـلـى فَـذُقْ مـا كـنْـتَ قَـبْـلُ تـقـولُ
ومَـنّـيـتَـنـي حـتّـى إذا مـا تـقـطّـعَـتْ ... قُـوَى مـنْ قـوى أغـوَلْـتَ كُـلَّ عَـوِيْـلِ؟

وقال الخوارزمي:

ولـمـا سِـرْتُ عـنْـك رأيْـتُ نـفْـسـي ... وبـيـن الـرجْـلِ والـقـلْـبِ اخـتـصـامُ

---

(١) **زوى الشيء زويًا**: نحّاه ومنعه، وزوى عنه حقّه منعه إيّاه.

(٢) **ابن الدمينة**: هو عبد الله ابن الدمينة شاعر بدوي أمويّ من بني عامر اشتهر بغزله وفخره، مات سنة (٧٤٧م).

(٣) **لدّاء**: مؤنث الألد، أي شديدة العداوة. **الشغوب**: الذي يهيّج مكامن الشرّ.

فذاكَ يقول منك السيرُ عنه | وتلك تقول منك الاعتزامُ[١]

● **التحذيرُ من مفارقةِ الحبيب**

أترحل طَوْعَ النفس عمَّن تحبُّه | وتبْكي كما يبكي المُفارِقُ عن قَهرِ
أقِمْ لا تَسِرْ والحزنُ عنك بمعزلٍ | ودمعُك باقٍ في مآقيكَ لا يَجْرِي

● **النَّدَمُ على مفارقتِهِ**

قال المهلّبي:

من ذا ألومُ أنا جنيت فراقَ من أبكي عليهِ

وقال قيس بن ذريح[٢]:

ندِمْتُ على ما فاتَ منّي فقدتَني | كما نَدِمُ المغبونُ حينَ يبيعُ
فقدتك من قلب شَعَاع فإنّني | نهيتُك عن هذا وأنت جَمِيعُ[٣]

قال المجنون:

فإنْ ترجعِ الأيامُ بيني وبينها | بذي الأثل صيفاً مثلَ صيفي ومربَعي[٤]
أشدَّ بأعناق النوى بعد هذه | مرائر إنْ جاذبتها لم تقطعِ[٥]

● **مَنْ ارتحَلَ عنه فأسرعَ العود شوقاً إليه**

قيل لجميل: أما سمعت قولَ ابن عمك زهير بن حباب:

إذا ما شِئْتَ أن تسلو خليلا | فأكثِر دُونَهُ عَدَدَ الليالي
فما سلى حبيباً مثلُ نأيٍ | ولا أبلى جديداً كابتِذالِ[٦]

قيل: فلو نأيت عنها لَسَلَوْتَ فخرج عنها ليلةً ثم رجع وهو يقول:

أشوقاً ولمّا تمضِ لي غيرُ ليلةٍ | رُوَيْدَ الهوى حتى تَغِبَّ لياليا[٧]
لحا اللّهُ أقواماً ما يقولون إنّنا | وجدْنا طوال النّأي للحبّ شافِيا

خرج المهدي يريد منزل حسنة، فلما بلغ دارها وترفعت أستارها اشتاق إلى

---

(١) **الاعتزام**: مصدر اعتزم الأمر وعلى الأمر، أي أراد فعله.

(٢) **قيس بن ذريح**: من شعراء المدينة اشتهر بحبّ لبنى بنت الحباب. برع في فن التشبيب وأجاد في وصف لوعة الفراق. مات سنة (٦٨٧م).

(٣) **من قلب شعاع**: أي من قلب بدّده الخوف.

(٤) **ذو الأثل**: موضع ـ **المربع**: موضع الإقامة في الرّبيع.

(٥) **المرائر**: جمع مريرة وهي عزة النفس.

(٦) **سلى الحبيب**: نسيه ـ **النأي**: البعد ـ **أبلى الجديد**: جعله بالياً، أفناه.

(٧) **رويد**: مصدر أرود مصغراً، أي مهلاً ـ **تغب الليالي**: تتمهّل.

الخيزران فكَرَّ راجعاً **وقال**: وسوتاه من حسنة فإني والله أصابني كما أصاب مَن يقول:

بينما نحن بالبلاكث فالقا ع شراعا والعيس تهوي هويّا[1]

خطرت خطرةٌ على القلب من ذكراك وهناً فما استطعتُ مُضيّا

قلتُ لبيكَ إذ دعاني يدُ الشو ق ولِلْحادِيَيْنِ كُرّا المطيّا[2]

- **الشوقُ بَعيد الارتحالِ**

كان لأعرابي مملوك فاشتراه عراقيّ فلما ارتحل به بكى وأنشد:

أشَوْقاً ولمّا تمْضِ لي غيرُ ليلةٍ فكيْفَ إذا سار المطيُّ بنا عَشْرَا

أخوكُم ومولاكم وصاحبُ سرِكُمْ ومن قد نشا فيكم وعاشَرَكُمْ دَهْرَا

فقال له المشتري الحق بأهلك.

وقال المتنبي:

أرى أسَفاً وما سِرْنا قليلاً فكيْف إذا غدا السيْر ابتِراكا[3]

فهذا الشوقُ قبْلَ البيْنِ سيفٌ وها أنا ما ضربتُ وقدْ أحاكا[4]

قال أشجع:

فها أنتَ تبْكي وهُمْ جيرَةٌ فكيف تكونُ إذا ودّعوا

قال أبو فراس:

حملتُ هواكَ لا جَلَداً ولكن صَبَرْتُ على اختيارِك واضْطِراري

- **المفارقةُ كرْهاً**

قال المعاني:

لا تُنْكِرَنَّ رحيلي عنك في عَجَلٍ فإنني لرحيلٍ غيرُ مختارِ

وربّما فارقَ الإنسانُ مهجتَهُ يومَ الوَغا غيرَ قالٍ خِيفَةَ العَارِ

- **كراهةُ فراقِ مَن صحبتهُ كُرْهاً**

قال شاعر:

أقمْنا كارهين لها فلمّا ألِفْناها خرَجنا مكرهينا

وما شَعفَ البلادُ بنا ولكِن أمرُّ العيْشِ فِرْقَةُ مَنْ هَوَيْنا[5]

خرجْتُ أقِرّ ما قد كنت عينا وخلّفْتُ الفؤادَ بها رهينا

---

(١) **بلاكث**: موضعان واحد بين المرّ وشبكة الروم فوق خيبر، وآخر أو بلاكث الثانية بين غزة ومدين، وكلاهما على طريق مصر.

(٢) **لبيك**: أي البابا بك وإقامة على طاعتك ـ **الحاديان**: مثنى الحادي وهو سائق الإبل.

(٣) **غدا السير ابتراكا**: أي غدا ذا سرعة. (٤) **أحاك**: أثر.

(٥) **شعف البلاد بنا**: ارتفع حبها إلى أعلى مراتبه ـ **أمرّ العيش**: أكثره مرارة.

وقال:

وَكَـمْ مِـنْ زائـرٍ بـالـكُـرْهِ مـنّـي ... كـرهْـتُ فـراقَـه بـعـد الـمَـزَارِ

● مَنْ عَمّ الغمُ بفراقِهِ

قال نفيلة الأشجعي:

فـلـمّـا أن دنـا مـنّـا ارتـحـالٌ ... وقـرّب نـاجـيـاتُ الـسـيـرِ كـومُ[1]

تـحـاسَـر واضـحـات الـلـون غـرّ ... عـلـى ديـبـاج أوجـهِـهـا الـنّـعـيـمُ

فـقـائـلـة ومـثـنـيـة عـلـيـنـا ... تـدورُ ومـالُـنَـا فـيـهـا حَـمـيـمُ

وقال المتنبيّ:

رحـلـتُ فـكَـمْ بـاك بـأجـفـان شـادنٍ ... عَـلَـيَّ وكـم رانٍ بـأجـفـانِ ضـيـغَـم

ومـا ربّـة الـقُـرْطِ الـمـلـيـحِ مَـكـانُـه ... بأجزعَ من ربّ الحُسام المصمّمِ[2]

● مَنْ لم يبالِ بالفراق لكثرةِ ما دهاه

قال المتنبيّ:

وفـارقْـتُ حـتّـى مـا أبـالـي مـن الـنّـوى ... وإنْ بـانَ جـيـرانٌ عَـلَـيَّ كِـرَامُ

فقد جعلتُ نفسي على النّأي تنطوي ... وعـيْـنـي عـلـى فـقـدِ الـصـديـقِ تَـنَـامُ

وقال:

رَوّعْـتُ بـالـبـيْـن حـتّـى مـا أُرَاعُ لـه ... وبـالـمَـصَـائِـبِ فـي أهْـلـي وجِـيـرانـي

وقال:

ومـا أنـا بـالـمُـسْـتَـنـكِـرِ الْـبَـيْـنَ إنّـنـي ... بـذي لـطـفِ الـجِـيـران قِـدْماً مُـفَـجّـعُ

● الشاكي كثرة ما يعرض له من فرقة الأحباب

قال شاعر

كـأنّـا خـلـقـنـا لـلـنّـوى فـكـأنّـنـا ... حـرامٌ عـلَـى الأيّـام أنْ نـجْـتـمـعَـا

وقال علي بن عبد العزيز:

كـأنّ الـبـيْـنَ مـخـتـومٌ عـلـيْـنـا ... فـلـيْـس سِـوى الـتّـلاقِـي والـوَداعِ

---

(١) الناجيات: النوق السريعة ـ الكوم: القطعة من الإبل.

(٢) ربّة القرط: صاحبته، والقرط حلية تزين بها الأذان ـ الحسام: السيف. يقول: لم تكن المرأة بأكثر جزعاً على فراقي من الرجل.

(٤)
ومِمَّا جاءَ في الهجرانِ

●

● الهجْرانُ سبَب التسلّي

الـهَـجْـر مـفـتـاح الـسـلـوّ وطـولُ الـعَـهْـدِ يَـقْـدَحُ فـي الـقُـلُـوبِ

قال بشار:

ولا يلبَثُ الهـجْرانُ أنْ يقطَع النّوى — إذا لـمْ تـطـالِـعْ آلـفـاً أو يُـطَـالِـعُ

وقال العبّاس:

راجـعْ أحـبّـتَـكَ الـذيـنَ هَـجَـرْتَـهُـمْ — إن الـمُـتَـيَّـمَ قـلّـمـا يـتـجـنَّـبُ
إنّ الـصـدودَ إذا تـمَـكَّـنَ مـنـكـمـا — دبّ الـسـلـوُّ لـه وعَـزَّ الـمَـطْـلَـبُ[١]

● تعظيمُ الهجرانِ

قال ابن الجهم:

بـمـا بـيـنَـنـا مـن حـرمـةٍ هـل رأيـتُـمـا — أرَقَّ من الشّكْوى وأقسَى من الهَجْرِ

وقال آخر:

ومَـوْتُ الـفـتـى خَـيْـرٌ لـه مـن حـيـاتِـهِ — إذا كان ذا حالَيْن يصْبو ولا يُصْبي[٢]

إلا أن هـجـران الـحـبـيـب هـو الأثـمُ

● إظهارُ الندمِ على هِجْرانِ الحَبيبِ

قال شاعرٌ:

هـجَـرْتُـكَ أيـامـاً عـلـى الـغَـمْـرِ إنّـنـي — عـلـى هـجْـرِ أيـام بـذي الـغَـمْـر نـادمُ[٣]
وإنّـي وذاكَ الـهَـجْـرُ لـو تـعـلـمـيـنَـهُ — كـعـازِبَـةٍ عـنْ طِـفْـلِـهـا وهـي رائِـمُ[٤]

● الحاسدُ لِمَنْ يواصلُه محبوبُهُ

قال أبو صخر الهذلي:

لَقَدْ تـرَكـتني أحسُدُ الـوَحْـشَ أنْ أرَى — الـيـفَـيْـنِ مـنـهـا لا يـرُوعُـهُـمَـا الـدّهْـرُ

وقال آخر:

فـيـا لـيْـتَ أنّ الـلّـهَ إذا لـمْ ألاقِـهـا — قـضَـى بـيْـن كـلّ اثـنـيْـنِ أنْ لا تـلاقِـيـا

---

(١) الصدود: الإعراض والميل عن الشيء. (٢) يصبو ولا يصبي: يشتاق ولا يشوّق.

(٣) الغَمْر: جمع غمور وهو الليل الشديد الظلمة، والغِمر (بكسر العين): العطش أو الحقد ـ ذو الغمر: موضع.

(٤) العازبه: البعيدة ـ رائم: ورائمة تعطف على رضيعها.

وقال ابن العميد:

لا يهنأ العاشقين أني ... منفردٌ بالغرام وَحْدِي

● **من لا يلتذُ بالوصلِ خيفةَ الهَجْر**

قال العباس:

إذا رضيت لم يهنني ذلك الرّضا ... لعلمي يوماً أن سيتبعه عَتْبُ

وقيل: لا تغترّ بصفاء الألفة فإنها منكشفة عن كدر الفرقة. وقيل إذا ساعدك الدهر بوصل محبوب، فاعلم أنه قد غرّ وضرّ. وقال سعيد الكاتب:

ما كنتُ أيامَ كنتِ راضيةً ... عنّي بذاك الرضا بمغتبطِ

علماً بأن الرّضا سيتبعه ... منكِ التجنّي وكثرةُ السُخَطِ(١)

● **نفيُ الانتفاعِ بقربِ الدارِ مع الهجرانِ**

قال إبراهيم:

دنت بأناس عن تناءٍ زيارةٌ ... وشطّ بليلى عن دنوّ مزارُها

وإنْ مقيمان بمنقطِع اللوى ... لا قربَ من ليلى وهاتيك دارها(٢)

وقال آخر:

رأيت دنوّ الدار ليسَ بنافع ... إذا كانَ ما بيْنَ القلوب بَعيدُ

قال العبّاس:

كفى حزناً أن التباعدَ بيننا ... وقد جمعتْنا والأحبّةُ دارُ

قال عبد الوهاب:

البعْدُ منهم على رجائِهم ... أنفعُ من هجرِهم إذا حضَروا

● **الإعراضُ عن الحبيبِ خشيةَ الرقيبِ**

قال الشاعر:

وما هجرَتْكِ النفس أنك عندها ... قليلٌ وإن قد قلّ منك نصيبُها

ولكنهم يا أملحَ الناسِ أولعوا ... بقولٍ إذا ما زُرتُ، هذا حبيبُها

وقال:

ولما رأيتُ الكاشحين تَتبّعوا ... هواناً وأبدوا دوننا نَظراً شَزْرا(٣)

جعلتُ وما بي من جَفاءٍ ولا قِلى ... أزورُكم يوماً وأهجرُكُمْ شهراً(٤)

---

(١) **التجني**: الاعتداء.

(٢) **اللوى**: موضع.

(٣) **نظر نظراً شزراً**: نظر بمؤخر عينه غضباً.

(٤) **القِلى**: البغض.

وقال الأحوص:

يـا بـيْـتَ عـاتـكـةَ الـتِـي أتـغـزّلُ ... حـذرَ الـعِـدى وبـه الـفـؤادُ مُـوَكّـلُ

وقال:

أمرّ مُـجَـانِـبـاً عـن بـيْـتِ لـيْـلـى ... ولـم ألـمـم بِـهِ وبِـهِ الـقـلِـيْـلُ

وقال آخر:

أزور بـيـوتـاً لاصـقـاتٍ بـبـيـتِـهـا ... ونـفـسـي فـي الـدّارِ الـتـي لا أزورُهَـا

● **الهجرانُ لرضا الحبيبِ**

وقال مُسْلِم:

إن كـان هـجـرانُـنـا يـطـيـبُ لـكُـمْ ... فـلـيْـس لـلـوَصْـل عـنـدنـا ثَـمَـنُ

قال المتنبّي:

إن كـان سَـرّكُـمْ مـا قـالَ حـاسـدُنَـا ... فـمـا لـجُـرْحٍ إذا أرضـاكُـمْ ألَـمُ(١)

وقال آخر

سـررتُ بـهَـجْـرك لـمّـا علِـمْـتُ ... بـأنّ لـقَـلْـبِـك فـيـه سـرورا

وأنـــي أرى كـــلّ مـــا ســـاءَنـــي ... إذا كـانَ يُـرضِـيـكَ سـهْـلاً يـسِـيـرا

● **استِطابة قليلِ الهجْرِ بين المتحابين**

قال الخثعمي:

ولـم أرَ مـثْـلَ الـصـدّ أحـسـنَ مـنـظـراً ... إذا كـانَ ممّن لا يـخـافُ عـلـى الـوَصْـلِ

وقال المتنبّي:

وأحْلى الهوى ما شَكّ في الوصْل ربُّه ... وفي الهَجْر فهو الدّهرَ يرْجو ويتّقي(٢)

وقال:

إذا لمْ يكن في الحُبّ سَخْطٌ ولا رِضَا ... فـأيـنَ حَـلاواتُ الـرسَـائـلِ والـكُـتُـبِ

● **هجرانُ الحبيبِ صيانةٌ للنفسِ**

قال أحمد بن يوسف:

تـركْـتُـكَ والـهـجْـران لا عَـنْ مـلالـةٍ ... ورددتُ يـأسـاً من إخائكَ في صَدْري

وألـزمْـتُ نـفـسـي مـن فـراقِـكَ خِـطّـةً ... حَمَلْتُ لها نفسي على مَرْكبٍ وعْرِ(٣)

---

(١) هذا البيت من قصيدة للمتنبي في غياب سيف الدولة، وقوله: حاسدنا إشارة إلى أبي فراس الحمداني ابن عم سيف الدولة الذي كان يتهجم على المتنبي وينتقده في كلّ مناسبة.

(٢) يقول أجمل الحبّ وأمتعه هو المفروشة دربه بالصعاب.

(٣) المركب الوعر: الصعب.

وإنّي وإن رَقّتْ عليكِ ضمائري ... فما قدر حبّي أن أُذِلّ لها قدري

قال الخبزارزي:

إذا لَمْ يكُن في الوصل روحٌ وراحةٌ ... هجرت وكانَ الهجْرُ أشفَى وأسْلَما

وقال آخر:

ومنْ لمْ يطِق صبْراً على النأي يستعنْ ... بهَجرٍ وبغضُ الشر يُدْفَعُ بالشَّرِ
كما لا يُرَى أوْفَى من الوصْل في الهَوى ... كذا لا يُرَى في القدر أسْلَى من الهَجْرِ

- **المعتقدُ رضا حَبيبِهِ في الباطِن وإن سخطِ في الظّاهرِ**

قال مسلم بن الوليد:

وراضي القلب غضبانُ اللسان ... له خلقَان ما يتشابَهان
يسرُّ مودّتي ويُطِيلُ هجْري ... ويمزُجُ لي المودّة بالهَوَانِ[1]

وقال:

ودُّه ودّ صَحيحٌ ... وهو عنّي ذو انقباضِ
فعلَى الظاهر غضبا ... نُ وفي الباطِنِ راضي

- **تضجرُ مَنْ يواصلُهُ بغيضٌ ويصارُمه حبيبٌ**

أعاشر في ذي الدّار منْ لا أودّه ... وفي الرّمْل مهجورٌ إلى حبيبِ

قال الحطيئة[2]:

يبْغِضُ منّا من نحِبّ لقاءه ... ويجمَع منّا بيْن أهلِ الضَغائِنِ[3]

قال المتنبي:

أفجعُ بالعِلْقِ الضّنين وإنّني ... بمَن لا أبالي هلكَه لَمُمَتّعُ

وله:

ما تغلط الأيامَ فيّ بأنْ أرى ... بغيضاً تناءَى أو حبيباً يقرُبُ

وقال:

تباعَدُ ممّن واصلت فكأنّها ... لآخرَ ممّن لا تودّ صديقُ

---

(١) **الهوان**: الذلّ.

(٢) **الحطيئة**: مات نحو ٦٧٨ شاعر مخضرم من بني عبس امتاز بالهجاء وكان هجاؤه مقذعاً ومتهكماً (انظر ديوانه ـ منشورات دار الأرقم).

(٣) **الضغائن**: جمع ضغينته، إلى حقد.

وقال الزبير:

جبلوا على إكرام مبغضهم وعلى التهاونِ بالذي يهوى

● **تأسفٌ من هجرِ محبوبه**

قال شاعر:

لو كنتِ عاتبةً لسكّنَ عبرتي أملي رضاكِ وزرتُ غيرَ مُجانِبِ
لكنْ مللتِ فلمْ تكنْ لي حيلةٌ صدُّ الملولِ خلافُ صدِّ العاتبِ

قال البحتري:

وكنت أرى أنّ الصدودَ الذي مضى دلالٌ فما أن كان إلا تجنبا
فوا أسفي حتى مَ اسألُ مانعاً وآمنُ خوّاناً وأعتبُ مُذنبا

● **عدمُ الثقةِ بالمحبوبِ**

قال المجنون:

فأصبحتُ من ليلى الغداةَ كقابضٍ على الماء خانته فُروجُ الأصابِعِ

وله:

فأصبحتُ من ليلى الغداةَ كناظرٍ مع الصّبحِ في أعقابِ نَجمٍ مُغرِبِ

● **شكوى الحبيبِ لهجرانه بعد ذهابه:**

أبكي الذين أذاقوني مَودّتَهم حتى إذا أيقظوني للهوى رقدُوا

قال ابن الجهم:

أَزْحنَ رسيسَ القلبِ عن مُستَقرّه وألهَبْن ما بيْن الجوانحِ والصدْرِ(١)
ألا قبلَ أن يبدو المشيبُ بدأنني بيأسٍ مُبينٍ أو جَنحْنَ إلى الغدْرِ

وقال جرير(٢) لبعض من صحبه: من أشعر العرب؟ قال: كثير في قوله:

وأدنيتِني حتى إذا ما مَلَكْتِنِي بقولٍ يحلّ العصْمَ سَهْلَ الأباطِحِ(٣)
تناءيتِ عنّي حينَ لا لي حِيلةٌ وغادرتِ ما غادرتِ بيْنَ الجَوانِحِ(٤)

قال بل قول هشام:

أشرعت لي مَورداً أعيَتْ مصادِرُهُ فلَسْتُ أدري أَأَمضي فيهِ أم أَقِفُ

---

(١) رسيس: ثبات وصمود.

(٢) جرير: شاعر أموي وُلد في اليمامة. كنيته أبو حزرة امتاز بالهجاء ولا سيما هجو خصميه الأخطل والفرزدق وقد كوّن معهما المثلث الأموي.

(٣) الأباطح: جمع بطحاء، مسيلٌ واسع فيه رمل ودقائق الحصى.

(٤) تناءيت: تعمّدت الابتعاد.

- **شكوى بُخلِ المَحْبوبِ**

قال شاعر:

لقد بخلَتْ حتى لَوَاني سألتُها ... قذى العيْن من سافي التّراب لضَنّت

كأني أنادي صخرةً حين أعرَضَتْ ... من الصمّ لو تمْشي بها العُصْم زَلّتَ(١)

وإني وتهيامي بعزّةَ بعْدَما ... تخلّيْتُ ممّا بينَنا وتخلّتِ

لكالمبتغي ظِلَّ الغَمَامَة كلّما ... تبوّأ منها للمقِيل اضمحلّتِ

وقال البحتري:

ألفَ الصدودَ فلو يمرُّ خيالُه ... بالصبّ في سِنَةِ الكرى ما سلّما

- **التلوّنُ بما يسلي المحبَ**

تمثل شريح لامرأته بقول مالك بن أسماء:

خُذي العفوَ منّي تَستديمي مودّتي ... ولا تنطُقِي في سورةٍ حين أغْضَبُ(٢)

فأني رأيْتُ الحُبّ في الصّدرِ والأذى ... إذا اجتمَعا لم يلبَثِ الحبُّ يَذْهَبُ

وقال:

يراك ويهوى من يقلّ خلافُه ... وليس بمحبوبٍ حَبِيبٌ يخالِفُ

- **التواءُ المحبوبِ على محبّهِ ومخالفتُه لهُ في أحوالِهِ**

قال شاعر:

شكوْتُ فقالَتْ كلّ هذا تبرّما ... بحبّي أراحَ اللّهُ قلْبَكَ من حُبّي

فلمّا كتمْتُ الحُبَّ قالَت لشدّ ما ... صبرْتَ وما هذا بفعل شجيّ القلبِ

وأدنو فتُقْصِيني فأُبعِدُ طالباً ... رضاها فتعتدّ التباعُدَ من ذَنْبي

فشكواي يؤذيها وصبْري يؤودُها ... وتجزَع من بعْدي وتنفرُ منْ قُرْبي(٣)

وقال:

إن التي عذّبَتْني في محبّتها ... كلّ العَذاب فمَا أبقَتْ وما تَرَكَتْ

عاتبتُها فبكَت فاستعبَرَت جَزَعا ... عيْني فلما رأتني باكيَاً ضَحِكَتْ

فعدتُ أضحَكُ مسروراً بضِحْكتِها ... منّي فلمّا رَأَتْنِي قد ضحِكْت بكَت

تهْوى خِلافي كمَا حثّتْ براكِبها ... يوماً قلوصٌ فلمّا حثّها بَرَكَتْ(٤)

---

(١) زلّت: وقعت.

(٢) السورة: الحدّة والغضب ـ تستديمي المودّة: تجعليها دائمة ومستمرة.

(٣) يؤودها: يعطفها ويحنيها يقال: آده أثقله، وآد العود عطفه وحناه ـ تجزع: تخاف.

(٤) القلوص: الناقة السريعة.

● **المتأسفُ لِقلَى حبيبِهِ له**

قال النميري:

رأيتُ صدوداً وانقباضَ مودّةٍ ... ونكراءَ من هُجْرانهم حَدَثَت بَعْدي[1]
أما لو يُطيعُ القلبُ أو يَصْفَح الهَوَى ... لنا عنك جازَيْنَاك بالهَجْر والصّدِ

وقال آخر:

وما سُعْدَى وإن كَرُمَتْ علينا ... وكان لِذِكْرِ سُعْدَى يُسْتَطَارُ[2]
بأقرب في المودّة من سُهَيْل ... وفي وجْهَيْه للنَجم ازورارُ
يفرّ من النّجوم لغيرِ شيءٍ ... لعمر أبيك طالَ به الفرارُ

● **وصف الحبيب بالتلون**

قال بعضهم لأن أبتَلى بألف لجوج جموح أحبُ إليّ من أن أبتلى بمتلوّن. **قال دعبل:**

أني وجدتُكِ في الهوى ذوّاقةً ... لا تصْبرين على طَعامٍ واحدِ

وقال آخر:

يا عتبُ لم أهجركم لملالَةٍ ... عرَضَتْ ولا لمَقالِ واشٍ حاسدِ
لكنّني جرّبتُكم فوجَدْتُكم ... لا تصْبِرون على طعامٍ واحدِ

(٥)

وممّا جاء في البكاء والدُمُوع

●

وصف قطرات الدموع:

كاللؤلؤ المسحور أغْفِلَ في ... سِلْكَ النّظامِ فخانَه النّظْمُ

قال الأعشى:

كما فرّق السّلْكُ من نظْمه ... لآلىءَ منحَدراتٍ صِغَارَا

وقال:

وكأنّ الدمعَ درٌ جامدٌ ... والدّمَ الجَاري عقيقٌ قد جَمَدْ[3]

وقال:

فدمعَتي ذَوبُ ياقوتٍ على ذَهَبِ ... وَدَمْعُهُ ذَوْبُ درٍّ فَوقَ يَاقُوتِ

---

(١) **الصدود:** الإعراض ـ **الانقباض:** الاعتزال والجفاء.

(٢) **يستطار:** يتفرّق.

(٣) **العقيق:** الخرز الأحمر.

دخل أبو نواس على جارية الناطفي وكان قد ضربها مولاها فقال:

إنّ عنانا أسبلَتْ دمْعَها ... كالدرّ إذ ينسَلّ من خيطِهِ
فليتَ من يضربُها ظالماً ... تيبَسُ يُمْناهُ على سوطِهِ

قال خالد الكاتب:

ما زِلْتُ أنكرُ ما ألْقى وأجْحَدُهُ ... فاستشهد العاذلون الدمعَ والنَفَسا

أنشد أبو السائب القاضي قول جرير:

أنّ الذين غدَوا بلبّك غادرُوا ... وشلاً بعينِكَ لا يزالُ معينا[1]
غيّضْنَ من عَبَراتِهنّ وقلْنَ لي ... ماذا لقيتَ من الهوى ولقِينا

فحلف أن لا يرد على أحد سلامه يومه إلا بالبيتين ونحوه.

ولبعضهم:

ولمّا تلاقينا جرَتْ من عيوننا ... دموعٌ كَفَفْنا غرْبَها بالأصابعِ[2]

رأى الرشيدي كتابة في جدار قصر دجلة:

ومالي لا أبْكي بعَيْنٍ حزينةٍ ... وقد قُربَتْ للظاعنين حُمُولُ

وتحته مكتوب: ايه ايه ايه. فجعل يسأل أصحابه عن المكتوب تحته فلم يعرفوه فقال الربيع إنما أراد حكاية البكاء.

وقال آخر:

فلو أن خدّاً كان من فيْض عبرةٍ ... يرى معشباً لاخضرّ خدّي وأعشبا

قالت فاطمة بنت الأحجم:

كأنّ عيْني لمّا أن ذكرْتُهم ... غُصنٌ يراح من الطّرْفاء مَمْطُورُ[3]

وقال آخر:

نبيت كأنّ العيْنَ أفنانُ سدرةٍ ... عليها سقيطٌ من ندى الطلّ ينطفُ[4]

● جعلُ البكاءِ كسحابٍ وقطرٍ

قال كثيّر:

كأنّ إنسانَها في لجّةٍ غَرِق

وقال ابن الحاجب:

كأنّ السحابَ الغُرّ حشو جفونِهِ ... إذا انهمَلَتْ من عينِه عَبَرَاتُها

---

(١) الوشل: القليل من الماء، ومن وشل الماء سال وقطر، والوشول الضعف.

(٢) كفّ الدمع: منع انحداره ـ الغرب: النشاط والحدّة.

(٣) الطرفاء: ضرب من الشجر.

(٤) الأفنان: الأغصان جمع فنن ـ السدرة: واحدة السدر ـ السقيط: ما يسقط ـ الندى: الطلّ ـ ينطف: يقطر.

وقال الدمشقي:

عـلّـمتُ إنسان عَيْني أن يعومَ فقد ... حـارَت سـبَـاحَـتُـهُ فـي مـاءِ دمْـعـتِـهِ

- **تشبيهُ الدمعِ بماءٍ يتصبَّبُ**

قال شاعر:

فـعَـيْـنـاك غَـربـاً جـدولٍ فـي مـفـاضِـه ... كـمرُّ خـلـيـجٍ فـي صـفـيـحٍ مُـنْـصَـبِ

وقال علقمة:

لِـلْـمَـاء والـنـار فـي قـلـبـي وفـي كـبـدي ... من قِسْمَةِ الشَّوْق ساعورٌ وناعورُ[1]

- **وصفُ الدمعِ بأنه يُستغنى به عن الماء لكثرتِهِ**

لا أبـتَـغـي سـقـيـا الـسـحـابِ لـهـا ... فـي مـقـلَـتـي خـلـفٌ عـن الـسُّـقْـيَـا

وقال ابن المعتمر:

مـررتُ عـلـى الـفُـرَاتِ ولـيْـس تـجْـري ... سـفـائِـنُـهُ لـنُـقْـصَـانِ الـفُـرَاتِ

فـلـمّـا أن ذكـرتُـك فـاضَ دمـعـي ... فـأجـراهـنَّ جَـرْيَ الـعـاصـفـاتِ

قال ابن طباطبا:

فـمَـا مـدّ واديـكـم ولان أديـمُـهُ ... ولـكـنّـنـي أمـددْتُـهُ بـدُمـوعِـي

- **الدموعُ المؤثرةُ في الخدود**

قال إبراهيم بن المهدي:

فـلـو أن خـدّاً كـان مـن فَـيْـضِ عَـبْـرَةٍ ... يرى معشِباً لاخضرّ خدي وأعْشَبَا

قال ابن حاجب:

وقـد راحَ خـدّي مـن دمـاء مـدامـعي ... كـأنّ عـلـيـه هـدبُ ثـوبٍ مُـعَـصْـفَـرِ[2]

- **دموعٌ مؤثرةٌ في العينِ**

قال بعضهم:

استـبـقِ دَمْـعَـك لا يُـودِي الـبُـكـاءُ بـهِ ... واكفف مدامعَ من عينيك تَسْتَبِقُ

لـيْـس الـشّـؤونُ عـلـى هـذا بِـبـاقِـيَـةٍ ... ولا الـجُـفـون عـلـى هـذا ولا الـحَـدَقُ

قال المتنبي:

كـأن جُـفـونـي عـلَـى مـقْـلَـتـي ... ثـيـابٌ شُـقِـقْـنَ عـلـى ثـاكِـلِ[3]

---

(١) الساعور: النار ـ الناعور: الجرح يفور منه الدم.

(٢) مُعَصفَر: مصبوغ بالعصفر وهو أصفر اللون.

(٣) الثاكل: من فقد ابنه.

- **دَمْعُه ممزوجٌ بالدمِ**

قال شاعر:

مَزَجْتُ دموعَ العَيْنِ مني يومَ بانُوا بالدّماءِ ... وكأنّما مَزَجْتُ بِخَدّي مُقْلَتِي خَمراً بِمَاءِ

- **استحسانُ الدمعِ على خدِّ المحبوبِ**

قال المتنبّي:

جَرَتْ عَبَرَاتٌ في الخُدود بأثمِدِ ... فعادَ به الوردُ الجنيّ شَقَائِقَا[1]

وقال آخر:

فكأنّها والدّمعُ يقطرُ فوقَها ... ذَهَبٌ بسِمْطَي لؤلؤٍ قد رصّعا[2]

- **استجلابُ البكاءِ بذكر المحبوبِ**

قال العبّاس بن الأحنف[3]:

وإذا عصاني الدّمع في ... إحدى ملمّاتِ الخُطُوبِ
أجريتُهُ بتذكّري ... ما كانَ من هجْرِ الحبيبِ

قال أبو حيّة النمري:

آمُلُ أن أراه لَعَلَّ جفني ... يعاوِدُهُ برؤيتِه كَراهُ
ويمنعُ ناظِري نَظَري إليه ... فعالٌ مُوارِب لي مِنْ هَواهُ

- **الاستعانةُ في البكاءِ بالغيرِ**

نزفَ البكاءُ دموعَ عينكَ فاستعِرْ ... عيناً لغيرك دَمْعُها مِدْرَارُ
مَن ذا معيرُكَ عينَهُ تبكي بها ... أرأيتَ عيناً للبكاء تُعَارُ

ومثله:

فهَل منْ مُعيرٍ طرفِ عيْنٍ جليّةٍ ... فإنسانُ عينِ العامريّ كليمُ[4]

أخذه من ملح الهذلي:

ولتلتَمِسْ عيناً سِوى العينِ إذ ... ذهبَت بجَاري دَمعِكَ المترقرِقِ

وقال آخر:

ولي كبدٌ مقروحةٌ من يبيعني ... بها كبداً ليسَت بذاتِ قروحِ
أباها على النّاس لا يشيرونَها ... ومَن يَشْتري ذا علّةٍ بصحيحِ

---

(١) العبرات: الدموع - الإثمد: الكحل. (٢) السمط: العقد.

(٣) العبّاس بن الأحنف: شاعر غزل بغدادي كنيته أبو الفضل وله أخبار مع الرشيد كانت وفاته سنة (٨٠٨م).

(٤) إنسان العين: بؤبؤ - كليم: جريح.

وقال آخر:

خليليّ ألاّ تبكيا لي أستعن ... خليلاً إذا أنزفتُ دمعاً بكى ليا

الشكايةُ من انقطاعِ الدمِ

قال كثيّر:

أقولُ لدمعِ العينِ أمعِن لأنّه ... بما لا يُرى من غائبِ الدّمع يَشْهَدُ

قال عليّ بنَ جميلة:

ولم أرَ مثلَ العينِ ضنّتْ بمائِها ... عليّ ولا مِثْلي على الدّمع يُحْسدُ

قال آخر:

نزَفْتُ دَمْعِي وأزمَعْتُ الرحيلَ غداً ... إذا رحلَتْ ودمعُ العينِ مكفُوفُ

ومما يقرب من هذا الباب في الاعتذار للدمع قول الوزير أحمد بن إبراهيم:

لا تحسبينَ دمُوعي البيضَ غيرَ دمِي ... وإنّما نفَسِي الحامِي يصعّدُهُ

اعتذارُ منْ أظهرَ البكاء

قال بعضهم:

أتتْني تؤنّبُني بالبُكاءِ ... فأهلاً بها وبتأنيبِهَا

وقالَتْ وفي قولِها حِشْمَةٌ ... أتبكي بعينٍ ترَاني بهَا

فقلْتَ إذا استحسَنَتْ غيرَكُمْ ... أمرْتُ الدموعَ بتأديبِهَا

وقال آخر:

ردّ الجموحِ الصّعْبِ أيسَرُ مَحْملاً ... مِنْ رَدّ دمعٍ قد أرادَ مَسيلا

وقال كشاجم:

أظنّ دمعِيَ مِثْلِي به كلِفاً ... مستأسَراً في يَدَيْ محبّتَهُ[1]

سترُ البُكاء

قال بشّار لأبي العتاهية: أنا والله أستحسن قولك في اعتذارك للدمع:

كمْ منْ صَديقٍ لي أسا ... رِقُه البكاءَ من الحياءِ

فإذا تفطّنَ لامَني ... فأقولُ ما بِي منْ بُكاء

لكنْ ذهبْتُ لارتَدى ... فطرفْتُ عيني بالرّداء

فقال أبو العتاهية ما لُذْتُ إلا بمعناك حيث تقول:

وقالوا: قد بكيْتَ فقلْتُ: كلا ... وهل يبْكي من الطّرَبِ الجليدُ

ولكنْ قد أصيبُ سواد عيني ... بعودِ قذى له طرفٌ حديدُ

---

(١) كلفاً: تعلقاً وحباً شديداً.

فقالوا ما لدمعهما سواء ... أكلتي مقلتيك أصاب عودُ

وقال:

ولما أبت عيناي أن تكتما البُكى ... وأن تحبسا فيضَ الدّموع السّواكبِ[1]

تثاءبتُ كيْ لا ينكرَ الدمعَ مُنكِرٌ ... ولكن قليلاً ما بقاءُ التثاؤبِ[2]

- **إفصاحُ الدمعِ بالسرّ**

قال البحتري:

وحقُّ الذي في القلبِ منك فإنّه ... عظيمٌ لقد حَصّنْتَ سرّكَ في سرّي

ولكنما أفشاهُ دمعي وربما ... أتى المرءَ ما يخشاهُ من حَيثُ لا يدري

قال المخزومي:

فإنْ يكُ سرٌّ قلبك أعجَمياً ... فإنّ الدمعَ نَمّامٌ فَصيحُ

وقد استحْسِنَ للمتنبي قوله:

ونَتّهم الواشين والدّمعُ مِنهُمُ

وقوله:

وصاحبُ الدّمعِ لا تَخْفَى سَرائرُهُ

وقوله:

ومن سِرُّه في جفْنه كَيفَ يكتُمُ؟

قال أبو عيسى بن الرشيد:

كتمتُ هواهُ حتّى فاضَ دمْعي ... فصَيّرهُ حديثاً مستفَاضَا

وقال آخر:

ولولا الدّموعُ كتَمتُ الهَوى ... ولولا الهَوى لم تكُنْ لي دُموعُ

قال أبو الفرج الدّمشقي:

أنّي لأَخفي اشتِياقي وهو مشتهِرٌ ... من أينَ يَخفى ودمعي صاحِبُ الخَبَرِ

- **سيلانُ الدّموعِ من الوَجْدِ**

قال بعضهم:

ماءُ المدامِعِ نارُ الشّوقِ تحدرُهُ ... فهَل سمِعْتُم بماءٍ فاضَ من نارِ

قال ابن الرومي:

لا تعجَبا أنّ دمعاً فاضَ عن حُرَقٍ ... ماءٌ أفاضَتْه نارٌ مِنْ مَراجِلِهِ

---

(١) الدموع السواكب: الجارية بغزارة.

(٢) المراجل: جمع مرجل وهو القدر أو الوعاء الكبير الذي يُغلى به الماء.

- **الاستحسانُ للدمعِ من دفع الجَزَعِ**

مِنْ أبدع ما فيه قول بشار:

وجَدْتُ دموعَ العيْنِ تجْري غروبُها ... أخَفُّ على المحْزون والصَّبْرُ أجْمَلُ(١)

قال الرقاشي:

نِعْمَ معونُ الكَمِدِ البكاءُ

وبكى أعرابي فقيل له: في ذلك فقال: أما علمتم أن الدموع خفراء القلوب. **قال الحسين بن وهب:**

إبكِ فما أكثر نَفْعَ البُكا ... والحبُّ إشفاقٌ وتعليلُ

فهو إذا أنْتَ تأمَّلْتَهُ ... حزنٌ على الخدَّين مَحْلُولُ

قال ابن عباس كنت إذا خرجت أمتنع من البكاء حتى سمعت قول ذي الرمة:

لعلَّ انحدارَ الدمع يُعقِب راحةً ... من الوجد أو يشفي نجيّ البلابلِ(٢)

فصِرْت أشتفي من الوَجْد به. **قال الموسوي:**

الدمع عونٌ لمن ضاقَتْ بهِ الحِيَلُ

وقال آخر:

وغصَّةُ وجْدٍ أظهرتُها فرفَّهت ... حرارةَ حرٍّ في الجَوانح والصَّدْرِ

- **قصورُ الأدمع في دفع الجَزَعِ**

قال ديك الجنّ(٣):

في قلْبه نارُ شوقٍ ليْس يُخمِدُها ... بحرٌ أحاط به للدمع مسْجورُ(٤)

وقال:

فوق خدّي لجَّةٌ من دموع ... يغرَق الوَجْدُ بينَها والسّلامُ(٥)

كان بين الواثق وبين بعض جواريه عتاب فبكى وضحكت فقال: **قاتل الله العباس بن الأحنف** حيث قال:

عَدْلٌ من الله أبكاني وأضحكَكُم ... الحمْدُ لله عدْلٌ كلَّما صنعَا

- **إزديادُ الوجْدِ بالبكاءِ**

قال أبو تمّام يردّ على من زعم أنّ البكاء يخفّفُ الوجْد:

أجدر بجمرةِ لوعةِ إطفاؤُها ... بالدّمعِ أن تزدادَ طولَ وَقُودِ

---

(١) **الغروب**: جمع غرب وهو مسيل الدّمع. (٢) **البلابل**: الخواطر.

(٣) **ديك الجنّ**: هو عبد السلام بن رغبان (٧٧٧ ـ ٨٤٩) شاعر عبّاسي من أهل حمص. من الشعراء المجيدين، له علّة مرات في الحسين كانت له جارية محبوبة اتهمها بحبّ غلامه فقتلهما، ثم ندم.

(٤) **مسجور**: مملوء وقوداً. (٥) **لجّة**: شبيه بالبحر.

قال المتنبي:

وكلّما فاضَ دمْعي غاضَ مُصْطَبَرِي ... كأن ما فاضَ مِنْ جفْنيَ مِنْ جلْدَي

وله:

وإذا حَصَلْتَ من السّلاحِ على البكا ... فحشَاكَ رُعْتَ بهِ وخدَّكَ تقرَعُ

قال محمد بن أبي زرعة:

فبدَتْ تشبّ بدَمْعِها نارُ الهَوى ... مَنْ ذا رأى ناراً تشُبُّ بماءِ

● نفعُ البكاءِ وحَمْدُهُ

قدم رجل من الخوارج إلى عبد الملك ليقتله فدخل على عبد الملك ابن له صغير وهو يبكي لضرب معلمه، **فقال** الخارجي: دعوه يبكي فهو أفتح لحزمه وأنفع لبصره **فقال له عبد الملك:** ما شغلك ما أنت فيه عن هذا؟ **فقال** ينبغي للمسلم أن يشغله عن الخير شيء فعفا عنه.

قيل لصفوان كثرة الكباء تورث العمى **فقال: ذاك لهما سهادة. قال ابن نباتة:**

تستعذبُ العينُ دمْعي في مودّتِها ... كأنّما تمْتريه العيْنُ مِنْ فِيْهَا(١)

● كثرةُ البكاءِ واحمرارُ الدّمعِ بالدمِ

سمع أبو السائف قول جرير:

أن الذين غدَوا بلبّك غادرُوا ... وشَلا بعينِك لا يزال مَعِيْنَا(٢)

غيّضْنَ من عبرَاتهنّ وقلْنَ لي ... ماذا لقيتَ من الهَوى ولَقِيْنَا

فقال: أتدرون ما التبغيض؟ **قالوا:** لا، فأشار بأصبعه إلى جفنه كأنه يأخذ الدمع لينضحه.

● الاستدلالُ بالدمعِ على فَرْطِ الهَوَى

قال محمد بن وهب:

يدلّ على أنني عاشِقٌ ... من الدمْعِ مُسْتَشْهِدٌ ناطِقُ

قال ديك الجن:

زَعَمْتُم بأني قد سلَوْتُ وصالَكم ... فلم ذرفتْ عيْني ولِمْ شَابَ مَفرِقي؟

وقال:

سِمَةُ الصّبَابَةِ زَفْرَةٌ أو عَبْرَةٌ ... متكَفلٌ بهما حشَا وشؤونُ(٣)

---

(١) **تمتريه:** تستدرّه.

(٢) **غادروا:** تركوا ـ **الوشل:** البقية من الدلع ـ **المعين:** الذي تراه العين لأنه ظاهر.

(٣) **الصبابة:** الولع الشديد ـ **العبرة:** الدمعة.

قال أبو تمام:

أَلَيْس دمْعِي وفرطُ شوْقي ... وطولُ سقمي شُهودَ حُبِّي

وفي كتاب التملي في أخبار العشاق **قال** رجل لامرأة: أنا والله أحبك، **فقالت**: ما حجتك؟ **قال** تدفعين لي قفير[1] دقيق فأعجنه بدمع عيني. **قالت**: فالخبز لمن؟ **قال**: في حرام عشق لا يساوي أرغفة، فضحكت منه وواصلته.

- **ما قيل فِيمَنْ يَتَبَاكَى**

قال المتنبي:

إذا اشتبَهتْ دموعٌ في خدودٍ ... تبيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّن تباكى[2]

قال ديكُ الجن:

وقائلةٍ وقد بصرت بدمعٍ ... على الخدّين مُنْحَدِرٍ سَكُوبِ

أتكذبُ في البكاء وأنت خلوٌ ... قديماً ما جسرت على الذنوبِ[3]

قميصُك والدموع تجولُ فيه ... وقلبُك ليس بالقلب الكئيبِ

شبيهُ قميص يوسف حين جاؤوا ... على لباته بدمٍ كذوبِ

(٦)

ومِمّا جاء في الشوقِ والحنينِ والنُحُولِ

●

- **احتراقُ القلبِ وحصولُ نارٍ فيه**

قال أبو الطمحان:

هل الوجد إلا أن قلبي لو دنا ... من الجمر قيد الرمح لاحترق الجمرُ

قال العباس:

يا قابسَ النار قد أعييت قوادحُهُ ... إقبسْ إذا شِئْتَ من قلبي بِمِقْبَاسِ[4]

قال الخبزارزي:

بقلبي جَمْرٌ من هوَاه فإنْ أكُنْ ... شكوتُ فهذا الوجْدُ من ذلك الجَمْرُ

وقال:

وحقّ الهوى إني أحسّ منَ الهوى ... على كبدِي جمْراً وفي أعْظمي رضا

---

(١) **قصير دقيق**: خبز غير مأدوم.

(٢) **تباكى**: تظاهر بالبكاء (صيغة تفاعل).

(٣) **الخلو**: السالي الذي يخلو قلبه من لواعج الهوى.

(٤) **قبس النار**: أوقدها.

قال المتنبي:

جَرّبْت من حرّ الهوى ما تنطَفي ... نارُ الغضا وتكلّ عمّا تُحْرِقُ[1]

- **شدّة النفس**

قال خالد الكاتب:

نَفَس تدّعي مسالكُه ... وأنينٌ لَسْتُ أمْلِكُهُ

قال ذو الرمّة:

تعتادني زفراتٌ حين أذكُرُها ... تكادُ تنقدّ منهنّ الحيازيمُ[2]

قال المتوكل:

إذا زفراتُ الحب صَعِدْنَ في الحَشا ... وردْنَ ولم يوجَدْ لهنّ طريقُ

- **الاستدلالُ بالنفسِ على الحالِ**

وقال مسلم:

وإذا بعِثْتُ إلى الهَوَى بَعَثَ الْهَوى ... نَفساً يكونُ على الضميرِ دليلا

قال يعقوب: قد كتمْت الهَوى فنمّ علي التنفس.

- **خفقانُ القَلْبِ**

قال بعضهم: رأيت في بني عذرة شيخاً يتهادَى **فقُلْت:** هل بقي من بحُبّك بقية؟ **فقال:**

كأن قطاةً علقَت بجَناحِها ... على كبِدي من شدّةِ الخَفَقَانِ

وأنشد لتوبة وقيل للمجنون:

كأن القلبَ ليلةَ قيل يُغدى ... بلَيْلى العامريّة أو يُرَاحُ

قطاةٌ غرّها شرَكٌ فباتَت ... تجاذِبُه وقد عَلِقَ الجَنَاحُ

قال بشّار:

كأن فؤادَه كُرَةٌ تَنَزَى ... حذار البيْن لو نَفَع الحَذَارُ[3]

وقال آخر:

كأنّ فؤادي في يدِ عبثَت به ... محاذرةَ أن يقضبَ الحبلَ قاضبُه[4]

قال ديك الجن:

كأن قلْبي إذا تذكّرها ... فريسةٌ بين ساعدَيْ أَسَدِ

---

(١) **تكل:** تفتر وتعجز.
(٢) **الحيازيم:** جمع حيزوم وهو وسط الصدر.
(٣) **تنزى:** تتوالى متتابعة ـ **الحذار:** اسم فعل بمعنى احذر.
(٤) **القاضب:** القاطع.

- **ضِيقُ القلبِ**

قال أبو الشيص:

كــأنَّ بــلادَ الله فــي ضـيــقِ خــاتـمٍ ... عـلـيّ فـمـا تـزْداد طُـولاً ولا عَـرْضَـا

قال العباس:

كأن جميعَ النّاس عند صدودكم ... تـصوّر في عيْني سودَ العقاربِ

- **أخذُ الكبدِ باليدِ من خشيةِ التقطُّعِ**

قال بعضهم:

واذكـر أيـامَ الـحِـمـى ثـم أنـثـنـي ... على كِبدي من خشيةِ أنْ تقطّعَا

قال عبد الصمد بن المعذل:

مــكــتــئــبٌ ذو كــبــدٍ حــرّى ... تـبْـكـي عـلـيـه مُـقْـلَـةٌ عَـبْـرَى[1]

يــرفــعُ يــمْــنــاه إلــى ربّــه ... يـدْعـو وفـوْق الـكـبِـد الـيُـسْـرى

- **تصدُّع الكبد**

قال الأعشى:

وبـانـتْ وفـي الـصّـدْرِ صـدعٌ لـهـا ... كـصـدعِ الـزجـاجـةِ لا يَـلْـتَـئِـمُ

قال الخضري:

وأنـك لـو نَـظَـرت فَـدَتْـكَ نـفـسي ... إلـى كـبِـدي وجـدْتَ بـهـا صُـدُوعـاً

- **افتقادُ القلبِ**

قال الخبزارزي:

فـلـو كـان لـي قـلْـبان عِـشْـتُ بـواحـدٍ ... وأفـرَدْتُ قـلـبـاً فـي هـواك يُـعـذَّبُ

ولـي ألْـفـاوجـه قـد عـرفـتُ مـكـانَـه ... ولـكـنْ بـلا قـلـبٍ إلـى أيـنَ أذْهَـبُ؟

قال خالد الكاتب:

كــان لــي قــلْــبٌ أعــيــشُ بــه ... فـاضـطَـلَـى بـالـحـب فـاحـتـرَقـا[2]

- **البهوتُ لفرطِ الوجدِ**

قال بعضهم:

يومَ ارتـحَـلْـتُ بـرحْـلـي قـبْـل بـرذعـتي ... والـعـقـلُ مـثْـلـه والـقَـلْـبُ مـشـغـولُ[3]

---

(١) المقلة: العين ـ العبرى: العين الحزينة الدامعة ـ لا يلتئم الصدع: لا يلتحم، والصدع الشق في شيء صلب.

(٢) اصطلي: احترق. (٣) البرذعة: الكساء الذي يلقى على ظهر الدابة.

ثم انصرفتُ إلى نضوي لأبعثه ... إثر الحدوجِ الغوادي وهو معقولُ[1]

قال الماني:

تحسبه مستمِعاً مُنصِتاً ... وقلبُه في أمّة أخرى

قال ذو الرمة:

عشيّةَ مالي حيلةٌ غيرَ أنني ... بِلَقطِ الحَصى والخَطّ في الأرض مُولَعُ

- **كثرةُ سُقمِ العاشِقِ**

قال كشاجم:

دمُوعي فيك أنواء غِزارٌ ... وقلبي ما يقرّ له قرارُ

وكلّ فتى عليه ثوبُ سقيمٌ ... فذاك الثوبُ مني مُستَعارُ

- **المستدِلُّ بالجماداتِ والبهائمِ على الوجدِ**

قال كثير:

سلِي البانةَ الغنّاء بالأجرعِ الذي ... به البانُ هل حيّيْتِ أطلال دارِك[2]؟

وهل قمْت في أفيائِهن عشيةً ... قيام أخي البأساء واختَرْت ذلك؟

قال جميل:

يقولون ما أبلاكَ والمالُ غامرٌ ... عليْك وضاحي الجلْد منْكَ كنينُ[3]

فقلْتُ لهُم لا تعذِلوني وانظروا ... إلى النازعِ المقصور كيف يكونُ

ونقل ذلك أبو تمّام فقال:

إنْ شِئْتَ أن لا ترى صبرَ المصطبرِ ... فانظُر إلى أيّ حال أصبَح الطَلَلُ

- **المتحمّلُ من الوجدِ ما تعجزُ عنه الجِبالُ**

قال الحارثي:

لاقيتُ من حبّها ما لو على جبَل ... يُلْقى لطارَتْ شِقافاً منه أفلاقُ[4]

قال عمرو بن براق:

ولو أن ما بي بالحَصى فلَق الحَصَى ... وبالرّيح لم يُسْمَع لهُنّ هُبوبُ

---

(١) **الحدوج**: شدّ الأحمال على البعير ـ **الغوادي**: التي تخرج باكراً.

(٢) **البانة**: واحدة البان وهو شجر معتدل القوام، يشبّه به القدّ لطوله.

(٣) **غامر عليك**: أي موفور كثير ويغمرك ـ **كنين**: المستور.

(٤) **الشقاف**: كِسَر الخزف ـ **أفلاق**: جمع فلقة، القطعة.

● **شَجْوُ العاشِقِ**

يقال للعاشق هو أسخن عيناً ممن بات بين قبرين، واسوأ حالة ممن طوى يومين وليلتين، ذكر أعرابي عاشقاً **فقال**:

يثْني طرفَ عيْن قد قرّحَت مآقيها ... ويحنو على كبدٍ قد أعْيَتْ مُدَاويها[1]

● **شكوى أحدِ المتحابين مقاساةُ شدّة من صاحبه**

كان بعض القسِ يمر فسمع كلاماً خفياً من زقاق فإذا جارية تشكو إلى صديق لها ما لقيت فيه **فقالت**: أوعدوني وضربوني ومزّقوا ثيابي وفعلوا وصنعوا وهو ساكت لا يتكلم فقال القسيس خذوه فأخذ وخلى عن المرأة ثم **قال** للرجل: إنها تقص عليك ما لاقت فيك فَلِمَ كنت ساكتاً؟ **فقال**: أصلحك الله لم ألق فيها شكوى ولم أكذب فأمر به فضرب خمسين درة وقال: ارجع فاشك إليها ما لاقيته فيها. **قال المجنون**:

أعدُّ الليالي ليلةً بعدَ ليلةٍ ... وقد عِشْتُ دهراً لا أعدّ الليالي

● **الخَجَلُ مِمَّنْ حصلَ منه اليأسُ**

قال بعضهم:

وأنّي لا يغول النأي ودّي ... ولو كنا بِمُنقَطَع التُّرَابِ

قال المتنبي:

أحنّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم ... وأين من المشتاق عنقاءَ مغربِ[2]

● **إظهارُ التشوقِ في القربِ والبعد**

كتب عبد الله بن عباس إلى أحمد بن **يوسف**: جعلت فداك لا أدري كيف أصنع أغيب فاشتاق ثم نلتقي فلا أشتفي يجدد لي اللقاء الذي يدفع به الشقاء حرقة مثل لوعة الفرقة. سأل المهدي عن أنسب بيت **فقيل له**:

وما ذَرَفَتْ عيناك إلا لِتَضرِبيْ بي ... بسَهْمَيْك في أعشارِ قلبِ مُقتَّلِ[3]

فقال هذا أعرابي قح، **فقيل**:

أريدُ لأنسى ذكرَها فكأنّما ... تمثل لي ليلى بكلّ سبيلِ

فقال: ما هذا بشيء ولم يريد أن ينسى ذكرها؟ فقيل قول الأحوص:

إذا قُلْتُ أني مشتفٍ بلقائها ... فحم التلاقي بيننا زادني وَجْدَا

---

(١) **قرّحت**: جرحت ـ **المآقي**: مجاري الدمع من العين.

(٢) **عنقاء مغرب**: طائر مجهول لم يوجد كناية عن بطلان الشيء.

(٣) **بسهميك**: أي بسهمي عينك.

فقال: أحسنت. قال المتنبي:

وبين الرّضا والسخْطِ والقرْب والنّوى ... مجالٌ لدمعِ العاشقِ المترَقْرقِ

وهذا اختصار قول الآخر:

وما في الدّهر أشْقى من مُحبّ ... ولو وجد الهوى حُلو المَذَاقِ
تراهُ باكياً في كلّ حينٍ ... مخافةَ فرقةٍ أو لاشتياقِ
فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراقِ
فتسخن عينُهُ عند التّنائي ... وتسْخُنُ عَيْنُهُ عند التلاقي

وقال بعض الكتاب: تَفكُّري في مرارة البين يمنعني التمتع بحلاوة الوصل، وتكرهُ عيني أن تقرّ بقربك مخافة أن تسخن ببعدك، فلي عند الاجتماع كبد ترجف، وعند التلاقي مقلة تكفّ.

● **إظهارُ الشوقِ في حالِ الوَصْلِ**

قال شاعر

قالوا ظفرتَ بمَن تهوَى فقلْتُ لهم ... الآن أشرف ما كانَتْ صَبَابَاتي (١)
لا عذْرَ للصبّ أن تهدى جوارحه ... فقد تطْعَمُ فوهُ بالمُواتاةِ

● **متطبِّب داؤه الهوى**

أنشد لعروة بن حزام:

جعلتُ لعرّافِ اليمامَةِ حكْمَهُ ... وعرّافَ نجد إنْ هُما شفيَاني (٢)
فما تركَا لي رقيةً يعرفانِها ... ولا سقيةً إلا وقد سقَيَاني
فقالا شفاكَ اللّهُ واللّهِ مالَنا ... بما ضمنَتْ منك الضّلوعُ يَدانِ

قال ديك الجن:

جَسّ الطبيبُ يدِي جهلاً فقلْتُ له: ... إنّ المحبّةَ في قلْبي فخلّ يدِي

وقال آخر:

وقالُوا بهِ من أعيُنِ الجِنّ نظْرةٌ ... ولو صدَقوا قالُوا به نظْرةُ الأنْسِ

وقال آخر:

قال الطبيبُ لأهلي حينَ أبصرَني ... هذا فتاكُم وحقّ الله مَسْحُورٌ
فقلتُ ويحَك قد قاربتَ في صفتي ... وجهَ الصواب فهلاّ قلْتَ مهْجورُ

---

(١) **الصبابات**: جمع صبابة وهي لوعة الحب وشدّة الحنين والشوق إلى المحبوب.

(٢) **العرّاف**: المنجم ـ **اليمامة ونجد**: من أقاليم جزيرة العرب.

فقال مالي بعلم الغيب معرفة | فقلت: إن دليل الحبّ مشهورُ
فَيضُ الدّموعِ وأنفاسٌ مصعّدةٌ | وضربة في الحشا والقلب مأسورُ

- **افتقادُ الصّبرِ في الهوى**

قال الصنوبري:

وما صبْري أمامةُ عنك إلا | كصبْرِ الحوتِ عن ماءِ الفُراتِ

قال أحمد بن أبي فنن:

لئِنْ ظلّ مِنْ وَجدِهِ مثْرياً | لقدْ ظلّ من صبْره مُفْلِسَا

وقال:

لمْ أقبلِ الصّحةَ بالشّكْرِ | عَبَثْتُ بالحبّ ولم أدْرِ
حتّى إذا باشرتُ أهوالهُ | وصِرْتُ مغلوباً على أمْري
عذْتُ بصبرِ فوجدْت الهَوى | قد غلبَ الحبّ على صبْري

- **متصبّر كرهاً**

قال أبو العتاهية:

صبَرْتُ ولا والله مالي جلادةٌ | على الصبْر لكنّي صَبَرْتُ على الرغمِ

- **استقباحُ الصبرِ في الهَوى**

قال أبو تمّام:

الصبْرُ أجْمَلُ غيرَ أن تلذّذا | بالحُبّ أحْرى أن يكون جميلا
أتظنّني أجدُ السبيل إلى العزا | وجد الحِمام إذا إليّ سبيلا

قال عمر بن أبي ربيعة:

وإنّ كثيرَ الحزن ما لم أرِدْ به | حياضَ المنايا بعده لقَليلُ

وقال آخر:

الصّبْر إلاّ في هواكَ جميلُ

- **معاتبةُ مَنْ لم يُضْنِهِ الهوى**

رُوي أن رجلاً مرّ ببشار وهو مستلق على قفاه بدهليزه كأنه فيل، **فقال**: يا أبا معاذ إنك تقول أن في بردي جسماً باليا، لو توكأت عليه لانهدم وأنك لو أرسل الله الريح التي أهلكت عاداً عليك ما زعزعتك ونحوه وإن لم يكن من بابه أن أعرابياً مرّ برجل **فقال**: من هذا؟ **فقيل**: عابد فرأى رقبة غليظة وكدنة متناهية **فقال**: إنّ له رقبة ما أرى العبادة وقصتها ونحوه رأت أعرابية رجلاً بضّ البدن **فقالت**: أرى وجهاً لم يؤثر فيه وضوء الصلاة.

● **الناحلُ الجِسْمِ في الهَوَى**

قال بعضهم:

سلبت عظامي لحمَها فتركتَها ... مجرّدَةً تضحي إليك وتخصرُ
وأخليتَها من مخّها فكأنها ... قواريرُ في أجوافِها الريحُ تصفرُ[1]

قال المتنبّي:

فبلحظِها نكرَتْ قناتي راحتي ... ضُعفاً وأنكرَ خاتماي الخِنصِرا[2]

وقال آخر

خذِي بيَدي ثم انهضي بي تبيّني ... بي الضرّ إلاّ أنني أتستّرُ

● **مَنْ تَناهى في الهُزالِ حتى صار كخلالٍ أو هلالٍ**

قال المتنبّي:

بجِسمي مَنْ برتْه فلَوْ أصارَت ... وشاحي ثقبَ لؤلؤة لجَالا[3]
ولولا أنني في غير نَوْمِ ... لكنت أظنني مني خيالا

وقال:

دونَ التعانِق ناحلَين كشَكْلتي ... نصْبٍ أطالَهما ودق الكاتبِ

ونحوه لابن المعتز:

كأنّما جسْمي إلى جسمِها ... غصنان ذا غضٌ وذا ذابِلُ

قال آخر:

فلو أنّ ما أبقيت منّي معلّق ... بعُودِ ثمام ما تأوّدَ عُودُها

قال الخبزارزي:

وذبتُ حتّى صرتُ لو زُجّ بي ... في مقلَةِ النائم لم يتنبّهْ
قدْ كانَ لي قبْل الهوى خاتَمٌ ... والآن لو شِئت تمنطَقْتُ بِه

● **مَنْ تسقطهُ الريحُ لنحافتِهِ**

قال ماني:

ها أنا ذا يُسْقِطُني للبِلى ... عنْ فرشِي أنفاسُ عُوّادِي[4]

---

(١) **القوارير**: جمع قارورة وهي الكأس الزجاجيّة ـ **الأجواف**: جوف الشيء: باطنه.

(٢) **قوله بلحظها**: أي بلحظي إياها يصعق هزاله بسبب الفراق وكيف أنكرت قناته يده لصعقها كما أنكر خاتمه خنصره.

(٣) **برته**: أذابته.

(٤) **العوّاد**: زوّار المريض، جمع عائد.

قال المجنون:

ألا إنّما غادرتِ يا أمّ مالكٍ ... صدى أينما تَذهب به الريح يذهبِ

قال ديك الجن:

ألستَ ترى الضنى لم يبقِ منّي ... سوى شَبَحٍ يطيرُ بكلّ ريحِ

من لم يَبْقَ إلا حركاته وكلامه قال العباس:

لولا الكلامُ لمّا اهتدَتْ ... عينُ الجليسِ إلى مَكاني

وقال آخر:

أنظرْ إلى جسْمٍ أضرّ به الهوى ... لولا تقلّبُ طرفِه دَفَنُوهُ

- **من لا يُستَبان لنحافته**

قال بعضهم:

شبَحٌ قلّ فمَا يشغلُ قطْراه مَكانَا

قال أبو نواس:

تركت جسْمي قليلاً ... من القليل أقَلا

يكادُ لا يتجَزا ... أقلُّ في اللفظِ مِنْ لا[1]

قال أبو الفضل بن العميد:

لو أنّ ما أبقيْت من جسَدي قذىً ... في العَيْنِ لمْ يمْنَعْ مِنَ الإغفاء[2]

قال ديك الجن:

ولو أن أحداثَ الزّمان أردْنَني ... بخيْرٍ وشرٍّ ما عرفْنَ مَكانِي

- **الشاكي ذهابَ علّته لذهابِ جسمِه**

قال المتنبّي:

وشَكيّتي فَقْدُ السّقامِ لأنه ... قدْ كانَ لمّا كانَ لي أعضاءُ

وله:

وخيالُ جِسْمٍ لم يخلِ لهُ الهوى ... لحْماً فينحله السّقامُ ولا دَما

- **استطابة المرضِ والسهرِ لكونهما من الحبيب**

قال ديك الجن:

لا أوحشنْك ما استحملْتُ من سَقمي ... فإنّ منزلَه بي أحسنُ الناسِ

قال الأخيطل:

إنّ منْ أسهَرتَ ليلتَه ... لقريرُ العيْنِ بالسّهَرِ

---

(١) يتجزا: مخفّف يتجزّأ. (٢) الإغفاء: النوم.

قال الرستمي:

وأنّي لأهوى الشَيبَ من أجل أنّه وإن نفرَتْ عيني له من فعَاله

(٧)

وممّا جاءَ في السهرِ وطولِ الأزمنةِ

•

- **وجوبُ السهر لِمَنْ كان عاشقاً**

يُسْتَحْسَنُ في هذا المعنى قول أبي سعيد بن فوقة:

نسيتُ الهُجودُ لذكرَاكُم وما للمشوق وذكر الهجودِ[1]

ومن الكبائر عاشق يُغفي

قال منصور النميري:

الحزن منفاةٌ لضيف الرقادِ

- **المتقلِّبُ على فراشِهِ**

قال أشجع:

إذا الليلُ ألبَسني ثوبَه تقلّبتُ فيه فتى موجَعُ

قال ديك الجن:

ألستَ ترَى الضّنا لم يُبقِ منّي سوى شبَحٍ يطيرُ بكلّ ريحِ

قال أبو العتاهية:

أبيتُ كأنّي في الفِراش على مُقَلِي[2]

- **من لا ينطبقُ جفنُهُ مِنَ السهر**

قال المتنبي:

بعيدة ما بيْن الجفونِ كأنّما عقدْتُم أعالي كُلّ هدبٍ بحاجِبِ

أخذ ذلك من بشّار حيث يقول:

جَفَتْ عَيْنِي عن التغميضِ حتّى كأن جفونَها عنها قِصَارُ[3]

كأنّ جفونَها حرمَتْ بشوْكٍ فليس لنومةٍ فيها قَرارُ

---

(١) الهجود: النوم بالليل. (٢) المقل: العيون، جمع مقلة.

(٣) جفت عيني عن التغميض: أي امتنعت من النوم وبقيت ساهدة.

ونحوه لجميل:

كأن المحبَّ قصيرُ الجفونِ ... لطول النهارِ ولم تقصُرِ

ويستحسن للمتنبي:

كأن الجفونَ على مقلَتي ... ثيابٌ شُقِقْنَ على ثاكِلِ[1]

● مَنْ فارقَهُ النومُ حتى نسيهُ

قال العباس بن الأحنف:

قفا خبراني أيها الرجُلان ... عن النوم إن الهَجْر عنه نهَاني

وكيف يكونُ النومُ أمْ كيْفَ طعمُه ... صفا النوم لي إن كنتما تصفانِ

وأني لمشتاقٌ إلى النوم فاعلَما ... ولا عهْد لي بالنوم منذُ زمانِ

وقال آخر:

حدّثوني عنِ النهار حديثاً ... أوضَحوه فقَد نسِيتُ النهارا

● من ذكر أن ليله كأنما وصل بليلٍ لطولهِ

قال بشار:

وطال علَيَّ الليل حتى كأنّه ... بليْلين موصولٌ فلا يتزحزحُ

وقال سربلة بن كاهل:

وإذا قلتُ ظلامٌ قد مضى ... عطف الأولُ منه فرجِعْ

قال أبو كثير:

وأني إذا ما الصبحُ آنست ضوءَه ... يعاوِدُني قطع علَيَّ ثَقِيلُ

وقال آخر:

في الليل طول تناهى العرْض والطّول ... كأنما ليلُهُ بالليل موصولُ

لا فارق الصّبْح كفّي إن ظَفِرْتُ به ... وإن بدت غرّةٌ منه وتحجيلُ[2]

لساهر طال في صولٍ تململهُ ... كأنه حيّة بالسّوط مقتولُ

● مراقبةُ النجومِ من السهرِ

قيل لام الهيْثم بنت الأسود ما حالك؟ فقالت:

تجافَى مضجعي وثبا سهاري ... وليلي ما يقرّ من السُهَادِ[3]

أراقبُ في السماء بنات نعش ... ولو أسطيع كنت لهنّ حادي[4]

---

(١) يقول: كأن جفوني شقّت لفقدهم كما تشق الثاكل ثوبها من الحزن، فجفونه لا تلتقي النوم.

(٢) تحجيل: خجلت المرأة مبانيها. (٣) ما يقرّ: لا يطمئن ـ السهاد: الأرق.

(٤) بنات نعش: سبعة كواكب جهة القطب وهناك بنات نعش الكبرى والصغرى.

قال ابن دريد:

لقد ألفَتْ دهمُ النّجوم رعَايتي ... فإن غبتُ عنها فهي عني تُسائِلُ
يقابل بالتسليم منهنّ طالعٌ ... ويومىء بالتوديع منهنّ آفلُ

● **المستشهدُ بالنجومِ لسرّه**

قال الناشىء:

سلِ الليلَ عنّي كيف أرعى نجومَهُ ... فإنّ الليالي يطّلِعْنَ على سرّي

وقال:

سل الليل عنّي ما لقيتُ وما لقي ... يخبركُم أني بحبّكم أشقَى

● **تحيُّر النجوم وامتناعُها من الغيبِ**

قال النابغة[(١)]:

وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكبِ

قال امرؤ القيس[(٢)]:

فيا لكَ من ليلٍ كأنّ نجومَه ... بكلِّ مَغَارِ الفتل شُدَّتْ بيَذبلِ[(٣)]

قال المتنبّي:

ما بال هذي النجوم حائرةً ... كأنها العمى ما لها قائدُ

وقال:

أكابدُ هذا الليل حتّى كأنّه ... على نجْمه أن لا يغورَ يمينُ

وقال قدامة أنشدني عبد الله بن المعتز:

عسَى شمسُه مسخت كوكباً ... فقد طلعتْ في عدادِ النجومِ

فقلت: غيرت في وجه امرىء القيس إذ يقول وليل البيت **فقال:** لا ولا في وجه ابن طباطبا إذ يقول:

كأنّ نجومَ الّيلِ سارَت نهارَها ... وعادت عِشاةً وهي أنضاءُ أسفارِ[(٤)]

---

(١) **النابغة:** (توفي نحو ٦٠٤) من فحول شعراء الجاهلية وكان حكم الشعراء في سوق عكاظ واتصل بملوك المناذرة والغساسنة. أسخط النعمان أبا قابوس لاتهامه بالمتجرّدة فلجأ إلى ملوك غسّان. أشهر شعره «الغسانيات» و «الاعتذاريات».

(٢) **امرؤ القيس:** (٥٠٠ ـ ٥٤٠) هو امرؤ القيس بن حجر. وُلد في نجد وأمه فاطمة بنت ربيعة. نشأ في الترف واللهو في بلاط أبيه أمير كندة طرده أبوه فعاش الشطر الثاني من حياته مشرداً مع بعض أصحابه. وقام ليثأر لأبيه القتيل. ورجع من بيزنطية خائباً وأصيب بمرض ومات في الأناضول ودفن عند جبل يقال له عسيب (٥٤٠م). اعتبر شعره مثالاً للجاهلية في لونيه البدوي والحضري. والمعلقة الأولى بين المعلّقات.

(٣) يصف امرؤ القيس ليلاً طويلاً ويبدو له أنه لطوله كأنه نجومه شدّت بحبال وربطت إلى جبل يذبل.

(٤) **أنضاء:** جمع نضو وهو الثوب البالي، وأنضاء أسفار أي هزيلة من كثرة السفر.

فخيَمنْ حتى يستريح ركابُها ... فلا فلك جارٍ ولا كوكب سارِ

- **تباطؤ الصبح**

قال جحظة البرمكي:

وليلي في كواكبه حران ... فليس لطوله منه انقضاءُ

عدمت محاسن الإصباح فيه ... كأن الليلَ جودٌ أو رفاءُ[١]

- **مقاساةُ الهم بالليلِ والاستراحة بالنهار**

قال ابن الدمينة:

أقضِي نهَاري بالحَديث وبالمُنى ... ويجمَعني والهمّ بالليل جامعُ

قال الموصلي:

إن في الصبْح راحةً لمحِبّ ... ومع الليل ناشئاتُ الهمومِ

وأصله للنابغة:

وصدرٍ أراحَ الليل عازبَ همّه ... تضاعفَ فيه الحزنُ من كلّ جانبِ[٢]

- **قلةُ المبالاةِ بطولهِ لدوامِ الهمّ**

قال امرؤ القيس:

ألا أيّها الليلُ الطويلُ ألا انجلي ... بصبحٍ وما الإصباحُ مِنك بأمثَلِ

قال الصولي:

وطولْتُ ليلي لو دريْتُ بطُوله ... ولكنه يمْضي لما بي ولا أدْري

تشابه ليلي واستمرّ بي الهوى ... فمَن لي بنفْسٍ تستريحُ إلى الغدْرِ

- **الجهلُ بحالهِ في ليلهِ**

قال خالد الكاتب:

لستُ أدري أطالَ ليلي أم لا ... كيف يدري بذاكَ منْ يتقلّى

لو تفرغت لاستطالة ليلي ... ولرعي النجومِ كنت مُخلّى

- **من ذكر طول ليلهِ وقصر ليل محبوبهِ**

قال العبّاس:

نام من أهدى ليَ الأرَقا ... مستريحاً سامني قلَقا

---

(١) الرفاء: الاتفاق، يقال بالرفاء والبنين وهو دعاء بالالتئام والوفاق للمتأهل.

(٢) الهم العازب: البعيد.

لو يبيت الناسُ كلُّهمُ ... بسهادي بَيَّضوا الحدَقَا
أنا لم أرزَقْ مودّتَكم ... إنما للعَبدِ ما رُزِقَا

وقال:

كلّ من نام لَعمْري ... يحسبُ النّاس نِيَاما

وقال:

شكوْنا إلى أحبابِنا طولَ ليْلِنا ... فقالوا لَنا ما أقصَرَ الليْلَ عنْدَنا

- **مَنْ ذَكَر أن الهمومَ طولت ليلَهُ**

قال بشّار:

كأنّ الدجى طالَ وما طالَ الدّجى ... ولكِنْ أطالَ اللّيلَ همٌّ مبرّحُ

وقال:

أقولُ في الليلِ وفي طولِه ... قولَ امرىءٍ باللّيلِ طبٌّ بصيرُ
يطوّل الليلَ مراعاتُه ... فكلّ أمرٍ لا يراعَى قصيرُ

قال ابن بسّام:

لا أظلِمُ الليْلَ ولا أدّعي ... أن نجومَ اللّيْلِ ليسَتْ تغورُ
ليلي كما شاءت فإن لم تَزُرْ ... طالَ وإن زارَتْ فليلي قصيرُ

قال المتنبّي:

لياليّ بعد الظاعنين شكولُ ... طِوالٌ وليلُ العاشقينَ طَويلُ
يبينَ لي البدرُ الذي لا أريده ... ويخفينَ بدراً ما إليه سَبيلُ

- **استقصارُ وقتِ الفرحِ واستطالةُ ضدِّهِ**

قال العبّاس:

ألا إن أيامَ البَلاء على الفتَى ... طوالٌ وأيّام السّرورِ قِصَارُ

قال بشار:

وللدّهر أيامٌ قِصارٌ إذا سرَت ... بخيرٍ ويومُ الحزْنِ منه طويلُ

- **استطالةُ النهارِ**

قال شاعر:

يا طول يومي بالكثيبِ فلم تكَد ... شمْسُ الظَّهيرة تتّقى بحِجابِ

قال أبو تمام:

بيومٍ كطول الدّهرِ في عرض مثلِه ... ووجْدي من هذا وذيّاك أطولُ

وقال:

يكونُ كالشهر عندي في تطاوله ... اليوم لم أرَه فيه ولم يَرَني

قال الأصمعي لأصحابه: أتعرفون شاعراً استطال يوم اللقاء؟ قالوا: لا قال هو ثوبة حيث يقول:

لكلِّ لقاءٍ تلتقيه بشاشةٌ ... وإن كانَ حولاً كُلَّ يومٍ أزورُها[1]

فسكتوا فقال: يريد يوماً يقوم مقام حَوْلٍ في السرور:

● **المستقصر ليله لكونِهِ في السرورِ**

قال الكادوسي:

نهار كشبرِ الذر أو هو دونَه ... ولَيْلٌ كإبهامِ القَطاة قصيرُ[2]

قال ابن طباطبا:

يا لذّتي بعِناقِ مَنْ ... روّى فمي رشفاً ولثما[3]

في ليلةٍ ضمّتْ على ... جناحِها الغريب ضمّا

فلو استطعتُ جعلت بيـ ... ـنَ ظلامِها والصبْحِ ردْما[4]

قال علي بن عاصم:

سقيا لأيامٍ لنا وليالِ ... قصر الحبائبُ طولَها بوصالِ

ما كان طولُ سرورِها لما انقضتْ ... إلاّ اكتحالَ متيّمٍ بخيالِ

قال إبراهيم بن العباس:

وليلة إحدى الليالي الزهر ... قابلت فيها بدرَها ببدْرِ[5]

حتّى تولّت وهي بكرُ الدهرِ

وقال:

ليلَةٌ كادَ يلتقي طرَفاها ... قِصَراً وهيَ ليلةُ الميلادِ

● **مدحُ السهَرِ باللّيل وتركِ النوم**

قد أثنى الله تعالى على قوم فقال: كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وقال لنبيه ﷺ ومن الليل فتهجد به نافلة لك، قال كشاجم:

وليلك شَطْرُ عمرِك فاغتنمْهُ ... ولا تَذْهَبْ بشطر العُمْر نَوْماً

---

(١) **الحول**: العام.

(٢) **القطاة**: طائر بحجم الحمام.

(٣) **اللثم**: التقبيل.

(٤) الردم: السدّ.

(٥) بدر (الأولى): بدر السماء ـ بدر (الثانية): وجه المحبوب.

وقال:

تــركْــتُ الــنــوم لــلــنــوّا ... م إشْــفــاقــاً عــلــى عــمْــري

قال ابن نباتة:

فتى يتجافى قلّةَ النومِ جفنُهُ ... كأنّ لذيذَ النوم في جفنه قذى
أطَرْفُك ساهٍ أم فؤادُك عاشقٌ ... يغارُ على عينيْك من سِنة الكَرَى[1]
ومن سَهِرَتْ في المكرُماتِ جفونُهُ ... رعى طرفُه في جوفها أنجمُ العلى

ولبعض القدماء:

يبيت مسهراً يرعى الهُوَيْنا ... إذا ما النومُ عانقَهُ الدُثُورُ[2]

ابن المعتز:

أنا مَنْ تعلمون أسهَرُ للمجْد ... إذا غطّ في الفِراش لئيمُ

وفي تركه أي النوم، قال شاعر:

ولذ كطعم الصبر خدي طرحتُه ... عشيةَ خمس القومِ والعينُ عاشقَهْ

وقيل سورة النوم والجوع والعطش ساعة فإذا صبرت تجاوزتك. وضدّه قلة النعاس تذهب بالعقل والنوم يزيد فيه.

- **الممدوحُ بقلّةِ النومِ**

قال شاعر في ابنه:

أعرف منه قلّةَ النعاسِ ... وخفّةً في رأسِه من راسي

وفي الذئب:

ينامُ بإحدى مقلتَيْه ويتّقي ... بأخرى المَنايا فهو يقْظانُ هَاجِعُ

- **المُسْتَوْلَى عليه النومُ**

قيل أنومُ من فهد:

ومعرّس نَبّهْتُهُ من نومِهِ ... فكأنما نبّهتُ فهد البِيد

أبو نواس:

كأنّ أرؤسهم والنومُ واضعُها ... على المناكبِ لم تعمد بأعناقِ

وقيل: أصل النوم كثرة الشرب وكثرة الشرب من كثرة الأكل.

---

(١) الكرى: النوم.

(٢) الدّثور: مصدر دثره غطّاه بالدثار وهو الثوب الذي يستدفأ به، والدّثور الكسلان.

● **مَنْ دَلَّتْ عينُهُ على سهرِهِ**

قال إبراهيم بن العباس:

عيناك قد حكما مبيـ ... ـتَك كيْفَ كنتَ وكيْفَ كانا
ولربَّ عينٍ قد أرَ ... تْك ضميرَ صاحبِها عَيانا

وقال:

جفونُك مقبلةٌ بائخة ... تخبِّرُ عن ليلةٍ صالحَه
ونومُك بعد صلاةِ الغداة ... دليلٌ على سهرِ البارحه

(٨)

ومِمَّا جاء في الوشايةِ والعَذْلِ

●

● **النهيُ عن الإصغاءِ إلى الواشي**

قال بعضهم:

من جعل النمّام عيناً هلكا ... من بلّغَ السوء كباغيه لكا

وقال الحارث المخزومي:

إن الوشاةَ قليلٌ إن أطعتَهم ... لا يرقَبُون بنا إلاّ ولا ذِمَمَا[١]

وهو كقولهم من شتمك؟ **فقال**: الذي بلّغك.

● **بُغضُ المتصلين بالحبيب**

قال الحارثي:

فيا بعلَ ليْلى كمْ وكم بأذاتها ... عدمتُك من بعل تطيل أذاتي
بنفسي حبيبٌ حال بابك دونه ... تقطع نفسي أثره حَسَرَاتِي

قال عبد الصمد:

لي حبيبٌ أضرَّ بي ما أقاسي ... من فتُوني به وبغضِ أخيهِ
لي موتان من هوى ذا ومن ... بغضي لهذا فليْس لي من شبيهِ

● **قلةُ المبالاةِ بالناسِ في تعاطي الشهواتِ**

قال بشار:

من راقبَ الناس لم يظفرْ بحاجتهِ ... وفاز بالطّيبات الفاتكُ اللَهِجُ[٢]

---

(١) **الإل**: العهد والأصل الجيد، **والإل** العداوة.

(٢) **اللهج**: المثابر.

ولمّا قال سلم الخاسر:

مـن راقبَ الـنـاس مـات غـمّـاً ... وفـاز بـالـلـذة الـجـسـورُ[1]

قال بشار: ذهب والله بيتي فهو أخف منه وأعذب لا أكلت اليوم ولا شربت، ولما ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان الخلافة أراد أن يتشبه بعمر بن عبد العزيز فشق على حبابة فأرسلت إلى الأحوص وقالت أنشده:

ألا لا تـلـمـه الـيـومَ أن يتـبـلّـدا

فلما بلغ:

هـل الـعيْـش إلا مـا تَـلَـذُ وتشـتـهـي ... وإن لامَ فـيـه ذو الـشّـنـار وفـنّـدا[2]

قام يزيد وهو يقول: هل العيش (البيت) حتى دخل على حبابة.

● **من تشكك رقيبه في غير محبوبه**

قال العباس بن الأحنف:

قد سحب الناسُ أذيالَ الظّنون بنا ... وفـرّق الـكـلُّ فـيـنـا قـولَـهـم فـرقًـا

فـكـاذبٌ قـد رمَـى بـالـظـنّ غـيـرَكُـمُ ... وصـادقٌ لـيْـس يـدْري أنّـه صَـدَقـا

وقال آخر:

قـومٌ رَمـوا غـيـرَ مـن أهـوى بـظـنّـهـم ... وآخـرون أصـابُـوه ومـا شـعـرُوا

● **المسَرةُ بغيبة الرقيب والتمكّنُ منَ الحبيب**

غـاب الأمـيـرُ أدامَ الله نـعـمـتَـهُ ... وغـاب هـمٌ كـفـانـي الله هـيـبَـتَـهُ

غابا وقد غادرا لصّ الهوى فرحاً ... بنيلِ ما كان يشكُو منه خَيبَتَهُ

لـمّـا تـمـكـنـت مـن بزّ لأسـرقـه ... هربت خَوْفاً وما حركت عيبَتَهُ[3]

● **النَدمُ على الإصغاءِ إلى العذّالِ**

تـكـنـفـنـي الـوشـاةِ فـأزعـجـوهـا ... فـيـالـلّـه لـلـواشـي الـمُـطَـاعِ

فـأصـبـحْـتُ الـغـدَاةَ ألـومُ نـفـسـي ... عـلـى شـيء ولـيْـس بـمِـسـتـطـاعِ

كـمـغـبـونٍ يـعـضّ عـلـى يـديـه ... تـبـيّـن غـبْـنَـه بـعْـدَ الـبـيـاعِ[4]

قال تاج الكتاب:

وإنّـي غـداةَ سـكُـونـي إلـى ... مـقـالِ الـرقـيـب وهَـجْـر الـسـكَـنِ

كـمَـنْ شـرب الـسـمّ جـهْـلاً بـه ... ولـم يـدْرِ مـا فـعـلُـه فـي الـبَـدَنِ

---

(١) الجسور: ذو الجراءة.

(٢) الشنار: العار ـ فند: الفند: الكذب.

(٣) البزّ: الثياب، أو السلاح.

(٤) عض على يديه: ندم. الغبن: الخسارة في البيع.

● **مَنْ كذب الواشي فيما ادّعى عليه من الهوى وصدقه**

قال ثوبة[1]:

رمَاني وليلى الأخيليّة قومُها ... بأشياء لم تُخلَقْ ولم أدرِ ماهيا

وقال:

وماذا عَسى الواشون أن يتحدّثوا ... سوى أن يقولوا إنني لك عاشقُ[2]

نعمْ صدقَ الواشون أنتِ كريمةٌ ... علينا وإن لم تصفُ منك الخلائقُ

● **الدعاءُ على العاذِلِ**

قال مورق العقيلي:

فمَن لامَني في أن أهيمَ بذكرِها ... فكلفَ من وجْدي بها ما أكلفُ

قال كثير:

وسعَى إليّ بعيب عزّةَ نِسْوةٌ ... جعلَ الإله خدودَهنّ نِعَالَها

قال ابن طباطبا:

هو الحبيبُ الذي نفسي الفِداءُ له ... ونفسُ كلّ نصيحٍ لامَني فيهِ

● **خليٌ يلومُ شجّيا**

قال النميري:

أصبَحْتَ تلْحاني ولا تدْرِي ... كيْف اعترَاني الهمُّ في صدْري

لو كنْتَ في صدْري وباشَرْتَ ما ... يلقَى لسارغتَ إلى عُذْري

وقال آخر:

ووالله لو أصبحتَ من ملّة الهوى ... لأقصرتَ عن عذلي وأسرَعْتَ في عُذْري

ولكن بلائي منكَ أنك ناصحٌ ... وأنك لا تدري بأنك لا تدري

● **مخالفةُ العذالِ**

قال أحمد بن سليمان بن وهب: قال لي أبي: يا بني قد عزمت على معاتبة عمك الحسن بن وهب في هواه فلانة فقد اشتهر بها وافتضح فأعنّي عليه. فوافيناه فكان من جملة ما قال له أبي: الهوى ألذّ وأمتع، والرأي أصوب وأنفع فقال عمّي متمثلاً:

إذا عذلَتْني العاذلاتُ على الهوى ... أبتْ كبِدٌ عمّا يقلْنَ صريعُ[3]

---

(١) **ثوبة**: هو ثوبة بن الحمير الشاعر الذي كان يعشق ليلى الأخيليّة.

(٢) **الواشون**: النمّامون جمع الواشي. (٣) **العذل**: اللوم.

وكيف أطيعُ العاذلاتِ وحبُّها ... يؤرّقني والعاذلاتُ هجوعُ(١)

فالتفت إلى أبي يريد المساعدة فقلت:

وإني ليَلحاني على طولِ حبِّها ... رجالٌ ترى منهم قلوبٌ صَحائحُ

فقال أبي: قم فأنت مثله أو شرّ منه، قال أحمد بن أبي فتن:

أعاذل إنّ لومَك لي عناءٌ ... فحسبُك قد سمعتُ وقد عصيتُ

قال المتنبي:

إلامَ طماعيةُ العاذل ... ولا رأى في الحبّ للعاقلِ
يرادُ من القلب نسيانُكم ... وتأبى الطباعُ على الناقلِ
وهبتُ سلوى لِمَن لامني ... وبتّ في الشوقِ في شاغلِ

أنشد عبد الله بن طاهر قول من يقول:

أطعتِ الآمريك بصَرْم حَبْلي ... مُريهِمْ في أحبّتهم بِذاك
فإنْ هُمُ طاوعوكِ فطاوعِيهم ... وإن عاصوك فاعصي لمَن عصاك

فقال طعنة في كبده هلا قال كما قلت:

قولي لناهيك عن ودّي وعن صلَتي ... يهجر أحبّته والتُربُ في فِيْهِ
فإن عصاك فردّيه بمعصِيَةٍ ... وإن أطاعَك فأعصيه وأقصِيْهِ

وقال:

ورُبَّ لومٍ أتاني من أخي سفهٍ ... على ارتماضِي فلم أرفعْ له أُذُنِي(٢)

● مَنْ ذَكَر سرورَ عاذلِهِ بصرم محبوبِهِ

قال محمد بن أبي عيينة:

لقد شمتَ الواشون أنْ حِيْلَ بينَنا ... وسرّوا ألا للشامِتين بنا العُقْبي

وقال التمّار:

صدّ مَنْ أهواه عنّي ... فاشتفى العاذل منّي

● استطابةُ المَلامةِ

قال أبو نواس:

إذا غاديتني بصَبُوح عَذْلٍ ... فَشُوبهِ بتسميةِ الحبيبِ
فإني لا أعدّ اللومَ فيه ... عليّ إذا فعلتِ، من الذنوبِ

---

(١) هجوع: نيام.

(٢) الارتماض: الاحتراق من الحزن.

وقال:

كفى الأحاديث عن ليلى إذا ذكرت ... أن الأحاديثَ عن ليلى تُلهيني

قال بشّار:

لا أحمل اللومَ فيها والغرام بها ... لا كلّفَ الله نفساً فوق ما تَسَعُ

● **ازديادُ الوجدِ بالعَذْلِ**

قيل: النهي عن الشيء داع إلى تعاطيه كآدم وحواء حين نهيا عن الشجرة وقال ﷺ: لو نهى الناس عن فت البعر فتوّه، وقالوا: ما نهينا عنه إلا وفيه شيء، قال أبو دلف:

هل رأيْنَا وسمِعْنَا من نهى ... رجلاً عن سوء فعل فانتهَى

بل إذا عوتب في سيئةٍ ... لم يدَعْها أو تعاطى أختَها

قال أبو نواس:

دعْ عنكَ لوْمي فإنَّ اللومَ إغراءُ

قال ابن الحجاج:

دع اللومَ إن اللومَ يُغرِي وربّما ... أراد صلاحاً من يلومُ فأفسدا

وأصله لقيس:

وما زادها الواشون إلاّ كرامةً ... عليّ ووداً في القلوب مُوَفَّرا

وقيل: من عذل عاشقاً كمن زمر في إست ميت ليطرب.

● **السكوت عن مجاوبة العاتب**

قال بعضهم:

أعذر أخاك فإنّه رجل ... صُمّتْ مسامعُهُ على العَذْلِ

قال جحظة:

ذراني من ملامكما ذراني ... فقد أسرفتما إذْ لمتُماني

فلستُ بضامنٍ لكما جواباً ... ولستُ بسامعٍ ممّن لحاني

● **التّبرمُ بالوشاةِ**

قال مجنون ليلى:

ولو أن واشٍ باليمامة داره ... وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليَا[1]

وماذا عليهم أحسنَ اللّهُ حالَهُمْ ... من الحظّ في تصريمِ ليلى حَبَالِيَا

---

(١) مجنون ليلى: توفّي نحو ٦٩هـ (٦٨٨) شاعر غزل من أهل نجد هو قيس بن الملوّح العامريّ عشق ليلى العامريّة فأبوا أن يزوجوه بها، فهام على وجهه وراح يتغنّى بحبّه العذري واشتهر باسم مجنون ليلى.

قال الخبزارزي:

مـوكـل طـرفُـه بـطَـرْفـي كـأنّـه كـاتِـبُ الـذنـوبِ

وقال:

أمـنـا أنـاسـاً كـنـت قـد تـأمـنـيـنَـهـم فزادُوا علينا في الحَديث وأوْهَموا
وقـالُـوا لـنـا مـا لـم نـقُـل ثـم كـثّـروا عـلـيْـنـا وبـاحُـوا بـالـذي كـنْـتُ أكـتُـمُ

قال الصاحب:

خـلٌ يَـصُـدّ وعـاذل مـتـنـصـحٌ ومـنـاصِـحٌ يـؤذي ونـمّـام يُـسـي[1]

قال أحمد بن أبي سلمة:

يـعـذلُـنـي فـيـه جـمـيـعُ الـورى كـأنّـي جـئْـتُ بـأمـرٍ عـجـيـبِ[2]

● **التبرُّم بكثرةِ اللومِ**

قال ابن المعتز:

أظـنّ نـفْـسـي لـو تـعـشـقـتُـهـا بُـلِـيْـتُ فـيـهـا بـمَـلام الـرقـيـبِ

وقال:

واعـنـائـي بـمـحـضَـر ومـغـيـب وحـبِـيـبِ نـأى بـعـيـدٍ قـريـبِ
لـم تـرِد مـاءُ وجـهـه الـعـيـنُ إلا شـرقَـت قـبـل ريّـهـا بـرقـيـبِ[3]

وقال:

إن لامَـنـي مـن لا رآه فـقـد جـارَ عـلـى الـغـائـب فـي الـحـكْـم
وإن لـحـانـي مـن رآه فـقـد أضـلّـه الله عـلـى عـلـمِ

● **المرتدعُ عاذله بحُسْنِ محبوبِهِ**

قال الله تعالى قالت امرأة العزيز وقال نسوة في المدينة (الآيتين) إلى قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[4] قال محمد بن بكار:

عـذلانـي عـلـى هـواه فـلـمّـا أبـصـرا حـسـن وجـهـه عَـذَرانِـي

وقال:

فـلـمـا رآهـا الـعـاذلات عـذرنَـنِـي وصدقنَني فيما شَكَوْتُ من الوَجْدِ

---

(١) الخلّ: الصاحب ـ العاذل: اللائم ـ النمّام: الواشي.
(٢) يقول: إن الورى أي الناس جميعاً يلومونني في حبّه كأنني فعلت ما هو عجب.
(٣) الريّ: الارتواء. (٤) القرآن الكريم: يوسف/ ٣١.

● معاتبة من يلوم ولا يعرف العذر

قال الأفوه:

إن الـمـلامَـة لا تـزالُ بـلا ... عـذر أمـام تـفـهّـم الـعـذرِ

(٩)

وممّا جاء في إبداءِ الهوى وإخفائه

● المتبجح بإخفائه محبوبه عن الناسِ

قال شاعر:

فما أنسَ ما الأشياء لا أنسَ موقفي ... وموقفها وهْنا بقارعَة النخلِ
فلما توافقْنا عرفتُ الذي بها ... كمُثل الذي بي حذوك النعْل بالنّعلِ
فقالَت وأرختْ بجانبِ السترِ إنما ... معي فتحدث غير ذي رقْبة أهلي
وقلتُ لها ما بي لهُم من ترقبٍ ... ولكنّ سرّي ليْس يحمله مثلي

وقال العباس:

لأخرجنّ من الدنيا وحبُّكُمْ ... بينَ الجوانحِ لم يشعرْ به أحدُ[1]

قال الخبزارزي:

إذا سَألوني عنك موّهتُ قصّتي ... ولجْلجْتُ لجلاجَ الضّفادع في البحرِ[2]

● الكاتمُ هواهُ عن ظواهرِ نَفْسِهِ

قال سواد بن عبد الله:

خشيتُ لِسَاني أن يكونَ خؤونا ... فأودَعته قلبي وكانَ أميناً
وقلْتُ ليخفى بين سمْعي وناظري ... أيا حركاتي كنّ فيّ سكونا
فما إن رأتْ عيني لعيني نظرةً ... ولا سمعت أذني لفيّ حنينا

قال بعض المحبّين:

عندي سرائرُ للحبيب طوَيْتُها ... منّي الضمير بأنها في طَيّهِ

وقال آخر:

فلو أنّ شيئاً كاتمَ الحبَّ قلبُه ... لمتّ ولم يعْلَمْ بحبّكما قلبي

أخذه من جميل:

ولو أنّ امرأً أخفى الهوى عن ضميرِه ... لمتّ ولم يعلمْ بذاكَ ضميري

---

(١) الجوانح: الضلوع.

(٢) لجلجت: ترددت في الكلام ـ اللجلاج: ثقيل اللسان المتردد في الكلام.

وقال أبو نوح:

قلبي رقيبٌ على طرْفي منَ الحذرِ ... فليس يتركه يلتذُّ بالنظرِ
بعضي يكاتم بعْضي ما يحَاذِرُه ... فلو سألتُ إذاً لمْ أدرِ ما خَبري

● **التسترُ بإظهارِ الهَوى في غير المحبوبِ**

قال شاعر:

اسمّيك لبنى في نسيبي تارةً ... وآونةً سعْدى وآونةً ليْلى[1]
حذاراً من الوَاشين أن يفطِنوا بنا ... وإلا فَمَنْ لبنى فدتك ومن ليْلى

وقال أحمد بن أبي فنن:

لساني لليْلى والفؤادُ لغيرِها ... وفي لحظ عيْني مكذبٌ للسانِيا

وقال ابن المعتز:

ألقيتُ غيْرَك في ظُنونِهم ... فسترتُ وجهَ الحبّ بالحُبّ

● **سترُ الهوى بالوقيعةِ في المحبوبِ**

قال الخبزارزي:

قلْ للّذي ينكر سبّي لهُ ... واللّهِ ما خنْتُك في الغيبِ
وإنّما أحببْتُ سَتْرَ الهوى ... فعبْتُ ما ليْس بذي عَيبِ
وسَلْهِ لي عنْ مثْل قد مضَى ... لمْ رقعَ البزازُ في الثوبِ؟

● **إظهارُ الهوى قصْدٌ إلى إخفائِهِ**

قال أبو حفص الشطرنجي:

ولقدْ أمَازِحُه بإظْهارِ الهوى ... عمْداً ليكْتُمَ سِرّه إعلانُه
ولربّما كتمَ الهوى إظْهارُه ... ولربّما فضَح الهوى كِتمانُه

● **كتمانُ الهوى عن المحبوبِ**

قال الزبير بن بكار[2]:

استُرْ هواكِ مِنَ الذي تهْوى ... لا تفْضِيَنّ إليه بالشكْوَى[3]
فلقلّما تبْدي هواكَ له ... إلا تلوّى وامتلا زهْوا[4]

---

(١) و (٢) يقول: إنه يسمّي محبوبته بأسماء شتى من قبيل التمويه وخوفاً من الوشاة والعاذلين.
(٣) لا تفضين بالشكوى إليه: لا تصرح له بها.
(٤) الزهو: الإعجاب بالنفس.

● **إسقاطُ الجوى بإظهارِ الشكوى**

قال أبو العتاهية:

إن المحبّ إذا ترادَف همّهُ … يلقى المحبُّ فيستريحُ إليهِ

وقال:

وأبثثت عمراً بعض ما في جَوانحي … وجرّعتُهُ من مُرّ ما أتجرّعُ[1]

● **الاستراحةُ بإظهار الهوى**

ولا بُدَّ من شكوى إلى ذي حَفيظَةٍ … إذا جعلت أسرارَ نفس تطلّعُ

وقال بعضهم: ما رأيت أظرف وأغزل وأهجن من صاحبة يوسف عليه السلام حيث **قالت:** أنا راودته عن نفسه، ثم قالت ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب، **قال محمد بن أبي عيينة:**

تجنّبْ مؤناتِ التدمّث والعَقْلِ … بعينِك فانظرْ ما تلَذّ وتستَحْلي[2]

قال المتنبي:

والذّ شكوى عاشِقٍ ما أعْلنا

قال الصاحب:

صرّحتُ في حبّي عن مشكلهِ … ولم أحتيج فيه إلى عذلِهِ

وبحت للعالَم باسمِ الهوى … فليقعُدِ المغتابُ في منزلِهِ

● **إظهارُ الهوى وامتناعهُ مِن أن يَخفى**

قال شاعر:

من كانَ يزعمُ أن سيكتُم حبّهُ … حتّى يشككَ فيه فهو كَذُوبُ

وإذا بدا سرّ اللبيبِ فإنّه … لم يبدُ إلا والفتى مَغلوبُ

الحبّ أغلبُ للفؤادِ بقَهرِهِ … من أن يُرى للسرّ فيه نَصيبُ

قال محمد بن طاهر:

يا كاتِمي خيفَةَ الواشي محبتَهُ … إنّي وحقّكَ أقراهُ من النظَرِ[3]

قال سلم الخاسر:

ولي عند رؤيته روعةٌ … تحقّقُ ما ظنّه المتهِمُ

قال إسحاق الموصلي:

إنّ المحبّ يرى التوقّرَ سترةً … فإذا تحيّر في الهَوى لم يُبْصِرِ

---

(١) **أبثثته بعض ما في جوانحي:** كاشفته بالذي في نفسي، **والجوانح** الحنايا والضلوع.

(٢) **تجنب:** تحاش ـ **التدمث:** من دمث له الحديث إذا مهّده أو ذكره ـ **تستحلي:** تشتهي ما هو حلو.

(٣) **أقراه:** مخفّف أقرأه.

● **ظهورُ الهوى بالدمعِ**

قال أبو عيسى بن الرشيد:

لِسَانِي كَتُومٌ لأسرارِكُم ... ودمعي نَمُومٌ لِسرّي مُذِيعُ
ولولا الدموعُ كتمتُ الهوى ... ولولا الهوَى لم تكنْ لي دموعُ

قال أبو حكيمة:

كأن مجالَ الطرفِ من كلّ ناظرٍ ... على حركاتِ العاشقين رَقيبُ

● **ظهوره بتحوّلِ الجِسْمِ**

قال المتنبي:

أمر الفؤادُ لسانَهُ وجفونَه ... فكتمْنَهُ وكفى بجسمِك مُخْبِراً

وقال الصنوبري:

اكفُّ لسانَ الدمع أن أشكوَ الهوى ... كأنّ لسانَ السّقمِ لا يُحْسِنُ الشكْوى

● **مبانة العاشقِ معشوقه في هَواه**

قال شاعر:

فتعلمي أن قد كلفْتُ بكُم ... ثم افْعَلِي ما شِئْتِ عنْ علمِ

قال العباس:

لا تحسَبيني ماذِقاً في الهَوى ... إنّي على حبّيكِ مطبوعُ[(١)]

قال البحتري:

أعيدي فيّ نظرةَ مستثيبٍ ... توخّى الهجْرَ أو كَرِهَ الأثاما[(٢)]
تَرَيْ كبِداً محرّقةً وعيناً ... مؤرّقةً وقلباً مُسْتَهاما[(٣)]

وقال رجل لامرأة رآها مرهاء[(٤)]: هلا اكتحلت؟ **فقالت**: خشيت أن أشغل جزءاً من أجزاء عيني عن النظر إليك.

● **الحثُّ على إظهارِ الجوى للمحبوبِ**

قيل: لا شيء أصيد لامرأة ولا أذهب لعفتها من أن يحيط علمها بأن رجلاً يحبّها فإذا رأت أنه أدمع عينه ولو كان أنسك ما يكون لذهب عقلها، **وقال بشّار**:

عرضن للذي تحبّ بحبّ ... ثم دعه يروضه إبليسُ

وقيل المرأة تكتم الحب أربعين سنة ولا تكتم البغض والكراهة يوماً واحداً.

---

(١) **الماذق**: من ماذق فلاناً في الود: لم يخلص له الود.

(٢) **توخّى الشيء**: قصده ـ **الأثام**: الإثم. (٣) **العين مؤرّقة**: الساهدة ـ **القلب المستهام**: المتيّم.

(٤) **مرهاء**: بيضاء.

(١٠)

وممّا جاء في مراسلة الحبيب ومكاتبته

• الإرسالُ إلى المحبوبِ

قال كثير: لقيني جميل **فقال:** من أين أقبلت؟ **فقلت:** من عند بثينة **فقال:** لا بد أن ترجع عودك إلى بدئك فتأخذ لي موعداً من بثينة. **فقلت:** عهدي بأبيها الساعة. **فقال:** لا بدّ فقلت وأين عهدتهم؟ قال بالدَوْم يرحضون ثيابهم فرجعت **فقال أبوها:** ما ردّكَ يا ابن أخي قلت أبيات خطرت لي أردت أن أنشدها ثم أنشدته:

فقلتُ لها يا عزّ أرسل صاحبي ... على نأي دارٍ والموكل مرسِلُ
بأنْ تجعَلي بيْني وبينَك موْعداً ... وأن تأمريني بالذي شئت أفعلُ
فآخر عهدِ منك يومَ لقيتني ... بأسفل وادي الدَوْمِ والثوْبُ يُغسَلُ(١)

قال: فضربت بثينة جانب خبائها بعمود وقالت أخسأ، فقال أبوها ما هو؟ قالت: كلب يأتينا من وراء الرابية. فعدت إليه وقلت قد وعدتني أن تجيء من وراء الرابية.

قال شاعر:

يا صاحبي فَدَتْ نفسي نفوسَكما ... وحيثما كنتُما لقيتما رشَدا
إن تحملا حاجةً لي خفّ محمَلُهَا ... تستوجبا نعمةً عندي بها ويَدا
إن تُقرِئا منزلَ الأحبابِ ويحَكما ... منّي السلامَ وأن لا تخبِرا أحَدا

قال آخر:

وقد أرسَلَتْ في السرّ أنْ قدْ فضَحْتَني ... ونوّهت باسمي في النَّسيب ولم تكنِ(٢)

• مَنْ عَادَ رسولُهُ بمكروهٍ

قال ديك الجن:

أبطأ الرسولُ فظلْتُ أنتظرُ ... لا النومُ يأخذني ولا السَهَرُ
ردّ الجوابِ بكلّ مُغضلةٍ ... إن شمّروا للهجر واتّزروا
أزجر فؤادَك أن يهيمَ بهم ... إن العصا لكَ قد أرى قشروا(٣)

---

(١) **وادي الدوم:** موضع ورد ذكره في كثير من الشواهد الشعرية أو الدوم لغة الظلّ الدائم (معجم البلدان لياقوت: ٢/ ٥٥٣).

(٢) **النسيب:** شعر الغزل والتشبيب بمحاسن المحبوب.

(٣) **أزجر:** أردع وأمنع ـ **قشروا لك العصا:** مثل يضرب عند المكاشفة.

● **إرسالُ الريحِ إليه**

قال البحتري:

ألا يا نسيمَ الريح بَلِّغ رسالتي ... سلَيمي وعرِّض بي كأنك مازحُ[1]

فإن سألت عنّي سليمي فقُلْ لها ... بـه غُبَّرٌ من دائه وهو صالحُ[2]

وقال:

لي إلى الريح حاجَةٌ إن قضَتْها ... كنتُ للريحِ ما بَقيتُ غُلامَا

حجَبُوها عن الرّياح لأني ... قلْت للريح بلِّغيها السّلامَا

وقال:

فلَو أنّ ريحاً أبلغَت وحْيَ مرسلٍ ... خفيّ لناجيتُ الجنوبَ على الجنبِ

وقلْتُ لها أدّي إليهم تحيّتي ... ولا تخلطيها طال سعدُك بالتربِ

فإني إذا هبّت شمالاً سألْتها ... هل ازدادَ صداحُ النميرةِ من قرْبِ

● **مَنْ حَسَد رسولَهُ لتمتعِه بالنظرِ إلى محبوبِهِ**

عشق المأمون جارية لبعض المتكلمين المتّصلين به وكان يراسلها ببعض من أفشى إليه سره فقال يوماً وقد بعث إليها:

ألا ليتَني كنتُ الرسولَ وكأنّني ... فكانَ هو المقْصَى وكنت أنا المُدْنَى[3]

بعثتُكَ مشتاقاً ففزْتَ بنظرةٍ ... وأغفَلْتَني حتى أسأتُ بكَ الظنّا

وسَرّحْتَ طرْفاً في محاسنِ وجهها ... ومَتّعتَ باستمتاع نغمتِها الأذْنا

أرى أثراً منها بعَينك لم يكُن ... لقد سرقَتْ عيناكَ من عينها حسْنا

قال محمد بن أمية:

أن تشقَ عيني بها فقَد سعِدَت ... عيْنُ رسولي وفزْتُ بالخَبَرِ

خذْ مقلَتي يا رسولُ عاريةً ... فانظرْ بها واحتكِمْ على بصَري

● **تأسفُ مَنْ خلفه رسولُهُ على محبوبِهِ**

قال شاعر:

بعثت رسولاً فأضحى خليلاً ... على الرغم مني فصبْرا جميلا

وكنتُ الخليلَ وكان الرسولَ ... فصار الخليلَ وصرتُ الرسولا

كذا من يوجّه في حاجة ... إلى من يحبّ رسولاً نبيلاً

---

(١) **التعريض:** الذمّ غير الصريح أو المباشر. (٢) **غبر:** بقايا.

(٣) **المقصى:** المبعد من أقصاه ـ **المدنى:** المقرّب من أدناه.

قال المتنبي:

مـا لـنـا كُـلُّـنـا جـوىً يـا رسـولُ أنـا أهـوى وقـلـبُـك الـمـتـبـولُ
كـلـمـا عـادَ مـن بـعَـثْـتُ إلـيْـهـا غـارَ مـنّـي وخـان فـيـمـا يـقـولُ

● التعرّضُ لرسولِ محبوبِهِ

بعثت عنان جارية الناطفي وصيفة لها إلى أبي نواس تدعوه فاحتال فقضى منها وطرا[1] وكتب إليها:

نـكـنـا رسـولَ عـنـان والـرأيُ مـا قـد فـعَـلْـنـا
فـكـان خـبـزاً بـمـلـحٍ قـبـلَ الـشـواء أكـلْـنـا

وبعثت أخرى جاريتها فعادت وبوجهها أثر ريبة فسألتها فزعمت أنه خمشها فعاتبته فقال:

زعـمَ الـرسـول بـأنـنـي خـمـشـتُـه كـذبَ الـرسـولُ وفـالـقِ الإصـبـاحِ
شغلي بحبّك عن سواكِ وليس لي قـلـبـان مـشـتـغِـلٌ وآخـرُ صـاحِ

قال النوفلي:

وقـد زعـمـت يـمـنٌ بـأنـي أردتُـهـا على نفسِها تبّاً لذلك من فِعْلِ[2]
سلوا عن قميصي مثلَ شاهدِ يوسفٍ فإنّ قميصي لمْ يكُنْ قُدَّ مِن قُبُلِ[3]

● الراغبُ إلى حبيبِهِ أن يكاتبَهُ

قال شاعر:

يـا زيـنَ مـن ولَـدَتْ حـوّاءُ مـن رجـل لـولاكَ لـم تـحـسُـنِ الـدنـيـا ولـم تَـطِـبِ
أمـا الـلـقـاءُ فـشـيءٌ لـسْـتُ آمـلُـه فـمـا يـضـرّك لَـوْ نـاجَـيْـتُ بـالـكـتُـبِ

وقال:

فإن لم تكونوا مثلنا في اشتياقِنا فكونُوا أناساً تحسِنون التحمّلا
وماذا عليكم لو سمحتُم بأحرفٍ فأوجبتُم فيها علينَا التفضّلا

---

(١) قضى وطراً: أي قضى حاجته.

(٢) تبّ تبّاً: هلك، وتبّاً له بالنصب على المصدر بإضمار فعل أي جعله الله خاسراً أو هالكاً أو ضعيفاً.

(٣) يوسف: هو يوسف بن يعقوب، وفي البيت إشارة إلى قصة يوسف مع امرأة العزيز ـ قدّ القميص من قبل: أي قطع من الأمام وخلافه قدّ من دبر أي من الخلق ـ (انظر القرآن الكريم: سورة يوسف الآيات: ٢٥ ـ ٢٨) من قبُل (أو قُبْل): أي من الأمام وخلافه من دُبُر.

قال ابن طباطبا:

أنــا راضــي يـــا مــنَــى ... نـفـسـي بـنـيـلِ مـنـك نَـزْرِ[1]

فـكِـتــابٌ بــل بــسـطــرٍ ... بــلْ بــحــرفٍ دون سَــطْــرِ

● المسرّةُ بورودِ الكتابِ

قال شاعر:

أتــانـي كـتـابٌ فـيـه ذكـرُ زيـارةٍ ... وقـد كـانَ قَـلْـبي قـبلَ ذلك يَخْفُقُ

فـقـبّـلْـتُـه مـسـتـبْـشِـراً بـورودِه ... وأهـديـتُـه لـلـقـلْـبِ لا يـتـفـرَّقُ

قال المهلّبي:

طـلـع الـفـجـرُ مـن كـتـابِك عـنـدي ... فـمـتـى بـالـلّـقـاء يـبـدو الـصّـبـاحُ

ذاك إن تـمّ لـي فـقـد عـذبَ الـعيـ ... ـشُ ونـيْـلُ الـمـنى وريشُ الجَناحُ

قال محمد بن طاهر:

عـــلامـــةُ مــن بــودّكَ أن تــراه ... يـطـيـلُ إلـيْـك إن غـبْـتَ الْـكِـتـابـا

إذا قــصّــر الــكــتــابُ فــأيّ ودّ ... تـرجّـى مـن حـبـيـبِك حـيـن غـابـا

(١١)

ومِمّا جاءَ في مزاورةِ الحبيبِ وملاقاتِه والنظرِ إليه

المتنبّي:

كـم زورةٍ لـكَ فـي الأعـراب خـافـيَـةٍ ... أدْعـى وقـد رقَـدوا مـن زورةِ الـذّيـب

أزورهُـم وسـوادُ الـلّـيـل يـشـفَـعُ لـي ... وأنثني وبياضُ الصبحُ يُغْري بي[2]

وله:

وكـم لـظـلامِ الـلّـيْـل عـنـدي مـن يـدٍ ... تـخـبـرُ أنّ الـمـانَـوِيَـةَ تـكـذِبُ[3]

وقال ابن المعتز:

وجاءَني في قميصِ اللّيْل مستَتِراً ... يستعجِلُ الخطْوَ من خوْف ومن حَذَرِ

ولاحَ ضـوءُ هـلالٍ كـادَ يـفـضـحُـنـا ... مثلَ القُلامة قد قُدّت عنِ الظّفُرِ[4]

---

(١) النزر: الشيء القليل.

(٢) يشفع لي: يقدم لي العون ـ أنثني: أعود راجعاً ـ يغري بي: يحضّ عليّ.

(٣) المانوية: مذهب ماني الفارسي القائل بمبدأين هما مبدأ النور والظلام، والشاعر هنا يظهر ما لليل من يد عليه لأنه يستر زيارته للمحبوب.

(٤) القلامة: ما سقط من طرف الظفر ـ قدّت: قطعت.

فقمْتُ أفرشُ خدّي في الطريقِ له ... ذلاً وأسحَبُ أذيالي على الأثرِ
وكان ما كانَ مما لستُ أذكره ... فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخَبرِ

قال جحظة:

زارني خائفاً وقد جثم اللّيـ ... ـلُ ونامَ الحراسُ الرصَدُ[(١)]
جرّه سكره وساوره الخو ... فُ فوافى سكرانَ يرتعِدُ

قال سعيد النصراني:

وعد البدرُ بالزيارة ليلاً ... فإذا ما وفى قضيْتُ نذوري[(٢)]
قلتُ يا سيدي ولم تؤثر الليـ ... ـلَ على بهجةِ النّهار المنيرِ
قال لا أستطيع تغيير رسْمي ... هكذا الرسمُ في طلوعِ البدورِ

● مَنْ صار الطيبُ والحُلَى واشياً عند زورتِهِ

قال البحتري:

وزارتْ على عجَل فاكتَسى ... لزورتِها أبرقُ الحَزْن طيبا[(٣)]
فكانَ العبيرُ بها واشِيا ... وجَرْس الحُلِيّ عليْها رقيبَا

قال بشار:

أملي لا تأت في قمرٍ ... لحديثٍ واتق الذّرعا[(٤)]
وتوقّ الطيب ليلتنا ... إنه واشٍ إذا سَطَعَا[(٥)]

قال العباس:

قامت تثنى وهي مَرْعُوبَةٌ ... تود أنّ الشملَ مجموعُ
بكى وشاحَاها فلم يسكُتا ... وإنما أبكاهما الجوعُ
فانتبه الهادون من أهلِها ... وصارَ للموعِد مزجوعُ
لا تستلقِ أبداً بعدها ... إلا ونمّامك منزوعُ
ما بال خلخالِك ذا خرسة ... لسان خلخالِك مقطوعُ

● امتناع المحبوبِ

قال شاعر:

قلت زورينا فقالَتْ عجَبا ... أتراني يا فتى قاضي مُنى

---

(١) جثم الليل: انتصف وجثم أيضاً الطائر أو الحيوان: تلبّد بالأرض فهو جاثم، والمقصود هنا بجثوم اللّيل امتداد ظلمته ـ الحراس الرصد: أي الرقباء الذين يترصدون الحركات والسكنات.
(٢) النذور: جمع نذر وهو ما يوجبه المرء على نفسه تبرّعاً من مال ونحوه إذا هو فاز بوطر أو حاجة.
(٣) أبرق الحزن: اسم موضع. (٤) اتق: احذر ـ اللوع: السّيار ليلاً أو نهاراً.
(٥) توقّ: احذر ـ الطيب: رائحة العطر ـ يقول: إن العطر إذا فاح فهو كالواشي الذي يفضح لقاءات الأحبّة.

إذ يصلي وعليه دينهم ... أنت تهواني، وآتيك أنا

قال أبو دهم:

لما رأيتُ معذبي ... ألفيتُه كالمحتشمْ

فطلبتُ منه زورةً ... تشفي السّقيمَ من السّقَمْ

فأبى عليّ وقالَ لي ... في بيته يؤتى الحكمْ

● **من سأل رفيقه أن يزور به صديقه**

قال شاعر:

خليليّ عُوجاً باركَ الله فيكُما ... وإن لمْ تكنْ هند لأرضِكما قَصْدَا

وقولا لهَا ليْس الضلالُ أجازَنا ... ولكنّنا جزْنا لنلقاكُمُ عَمْدَا

وقال نصيّب:

بزينب ألْمِمْ قبل أن يظعَنَ الركْبُ ... وقل أن تملّينا فما ملك القلبُ

وقال:

خليلَيّ مِنْ عوفٍ عفا الله عنكما ... ألمّا بها إن كان مُرْخى ظلامُهَا

فإنّ مَقِيْلي عند ظمياء ساعةً ... لنا خلف من نومةٍ سنامُها(١)

● **النهي عن كثرة النظر وذمُّهُ**

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ (٢) **وقال النبي ﷺ:** لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست الآخرة **وقال:** زناء العين النظر. **وقال عيسى عليه السلام:** لا يزني فرجك ما غَضَضْتَ طرفك. **وقيل:** من كثرت لحظاته دامت حسراته. فضولُ المناظرة من فضول الخواطر. **قيل:** نظر رجل إلى امرأة فقالت لِمَ تنظر إلى ما يقيم أيرك وينفع غيرك؟ **وقال أبو الفيض:** خرجت حاجاً فمررت بحي فرأيت جارية كأنها فلقة قمر فغطت وجهها، **فقلت** يرحمك الله أنا سفر وفينا أجر، فمتعينا برؤية وجهك فقالت:

وكنتَ متى أرسلت طرفَكَ رائداً ... لقلبِك يوماً أتعَبَتْكَ المناظرُ

رأيتَ الذي لا كلّه أنتَ قادرٌ ... عليه ولا عنْ بعْضه أنتَ صابرُ

ومرت أعرابية بجماعة من بني نمير فأداموا لها النظر **فقالت:** يا بني نمير ما فعلتم بقول الله: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولا بقول الشاعر

فغضّ الطّرْف إنّكَ من نُمَير ... فلا سعداً بلغت ولا كِلاَباً(٣)

---

(١) المقيل: النوم وقت القيلولة.

(٢) القرآن الكريم: النور/ ٣٠.

(٣) فضّ طرفه: خفضه وكفّه وكسره.

فأطرقوا حياء وقال العبّاس بن الأحنف:

ومستفتح باب البلاءِ بنظرةٍ ... تزوّد منها شغله آخرَ الدهرِ

قال أبو تمام:

إن لله في العِباد منايا ... سلطتْها على القلوبِ العيونُ

● النهيُ عن تمكينِ المرأة من النظر إلى الرجل

قال بعضهم: لإن يرى ألف رجل امرأتي أسهل عندي من أن ترى امرأتي رجلاً، قال ذو الرمة:

لا تأمننّ على النساء ولو أخاً ... ما في الرجال على النساء أمينُ

إن الأمين وإن تحفظ جهده ... لا بدّ أن بنظرة سيخونُ

● الرخصةُ في النظر

قال الحسن: النظر إلى الوجه الحسن عبادة معناه إن الرائي يقول: سبحان خالقه ومنه قيل النظر إلى عليّ عبادة ورؤي شريح بقارعة الطريق فقيل له ما وقوفك؟ قال: عسى أن أنظر إلى وجهِ حسنٍ أتقوى به على العبادة. وقال ابن الدمينة:

يقولُون لا تنظُرْ وتلْك بليّةٌ ... ألا كل ذي عينَين لا بُدَّ ناظرُ

وليسَ اكتحالُ العيْن بالعينِ ريبةٌ ... إذا عفّ فيما بينَهُنّ الضمائرُ

وقال مصعب بن الزبير وكان جميلاً لصوفي رآه يحد النظر إليه: لِمَ تحدّ النظر إليّ؟ فقال: لا تنكر نظري فإنك من زينة الله في بلاده. أمَا سَمِعتَ قول أبي دلف.

ما لِمَنْ تمّت محاسنُه ... أن يعادي طرْفَ مَنْ رَمَقا[1]

لك أن تبْدي لنا حسْناً ... ولنا أن نعمِلَ الحَدَقا[2]

قال آخر:

أبرزوا وجهه الجميـ ... ـلَ ولامُوا من افتتَنْ

لو أرادوا عفافة ... نقبُوا وجهه الحَسَنْ

قال التمار:

لا تمنعنِي إن نظر ... تِ فلا أقلّ من التنظَرْ

دعْ مقْلَتي تنظُر إليـ ... ـكَ فقد أضَرَّ بِهَا السَّهَرْ

● النظرُ الشديدُ

نظر أشعب إلى ابنه وهو يحادث امرأة فقال: يا بني نظرك هذا يحبل وغنّى

(١) رمق: نظر.

(٢) تبدي: تظهر وتكشف ـ الحدق: سواد العين، وقوله: نعمل الحدق كناية عن النظر ـ يقول لمحبوبه اكشف لنا عن محاسنك حتى نمتع العين بتأملها.

مخارق في مجلس الواثق بقول عمر بن أبي ربيعة:

نظرت إليها بالمحصب من منًى ... ولي نظَر لولا التحرّج عارمُ[1]

فقال ما تحفظون في هذا؟ فقال ابن أبي دؤاد أحفظ فيه شيئاً ظريفاً وهو:

ولي نظرٌ لو كانَ يُحْبِلُ ناظرٌ ... بنظره أنثى فقد حبلت عنّي[2]

فإن ولدت ما بيْن تسعَةِ أشهر ... إلى نظري شيئاً فذاك إذاً منّي

فقال أشد منه للأخطل:

فلا تقربْ بيوتَ بنِي كليبٍ ... ولا تقرَب لهم أبداً رحالاَ

ترَى فيها لوامِعَ مبرقاتٍ ... يكذِنَ ينكُنَ بالحدَقِ الرجالا

قيل لعاشق تمكن من لقاء محبوبه: هل اشتفيت؟ فقال:

وفي نظري الصّادي إلى الماءِ حسرة ... إذا كانَ ممنُوعاً سبيلُ المواردِ

وقال آخر:

يرنُو وينظُر حسرةً ... نَظَرَ الحِمارِ إلى القضيمِ

● **مَنْ تمنّى النظرَ إلى محبوبِهِ والاستشفاءِ بلقائِهِ**

قال الخبزارزي:

مستفتاحُ كلِّ لذاذةٍ ... نَظَرُ المحبِّ إلى الحبيبِ

طوبَى لعَيْنٍ بصرَتْ ... وجهَ الحبيبِ بلا رَقيبِ

قال ابن قنبر:

رمدت في الحبّ عينِي ... فاكحلُوها بالحَبيبِ

قال العباس:

إذا ما التقَيْنا كانَ أكثرَ حظّنا ... وغايةَ ما نرضى به النَظَرُ الشَزْرُ

● **إزديادُ الوجدِ بالنظرِ**

قال وهب الهمداني:

زوّدت العيْنَ من لواحِظها ... زاداً فكانَ الحِمامُ في النظرِ

قال الأحوص:

إذا قلتُ إني مُشتَفٍ بلقائها ... فحمّ التّلاقي بينَنا زادَني وَجْدَا

---

(١) **المحصب**: موضع رمي الجمرات في منى، ومنى من مناسك الحجّ قرب مكّة ـ **النظر العارم**: الشرس والمؤذي.

(٢) **النظر الشزر**: النظر بمؤخر العين كراهية أو غضباً أو ازدراء.

قال إبراهيم الموصلي:

ولـو أنـي نـظـرتُ بـكـلّ عـيـنٍ ... لـمـا استقصَت محاسِنَهُ العيونُ[1]

● تورك الذنب على العين والقلب.

قيل:

قال الصولي:

فمَنْ كانَ يؤتى من عدوّ وصاحبٍ ... فإني من عيني أتيتُ ومنْ قلْبي

همـا اعتوراني نظرَةً ثم فكرةً ... فما أبقَيا لي من رُقادٍ ومن لُبّ[2]

وقال:

إذا لمت عينيّ اللتين أضرّتا ... بجسْمي يوماً قالتا لي لم القلبا

فإن لُمْتُ قلْبي قالَ عيناك قادتا ... إليْك البلايا ثم تجعل لي الذنبا

قال أبو القاسم المصري:

ألومُ قلبي وناظِري فهُما ... تعاوَنا والنوى على قلبي

● تورك الذنبِ على العين دونَ القلْبِ

قال أبو تمام:

لأعذِّبن جفونَ عيْني إنّما ... بجفونِ عيْني جُلُّ ما أتعذّبُ

قال ابن المعتز:

عيني أشاطَتْ بدمي في الهَوى ... فأبكوا قتيلاً بعضُهُ قاتِلُهْ

قال المعطوي:

فلا عَجَبٌ ولا أمرٌ بديعٌ ... جناياتُ العيونِ على القُلوبِ

● توركهُ على القلبِ دونَ العين

كفى بكون القلب مذنباً وداعياً إلى فعل الشر أنّ النفس لأمّارةٌ بالسوء وقول النبي ﷺ أعدى عدوك نفيسة بين جنبيك، قال شاعر:

ألا إنّما العيْنان للقلبِ رائِدُ

قال الموسوي:

النفس أعدى عدوّ أنت حاذِرُهُ ... والقلبُ أعظَمُ ما يُبْلى به الرجلُ[3]

● قلّةُ شبعِ العينِ من النظرِ

قيل: لا تشبع عينٌ من نظر، ولا أذنٌ من خَبَر ولا أرضٌ من مَطَر ولا أنثى من ذَكَر.

---

(١) استقصت العين محاسنه: أحاطت بها، والاستقصاء تتبع المعطيات حتى نهايتها للإحاطة الكاملة.

(٢) اعتوره: تداوله ـ الرقاد: النوم ـ اللبّ: العقل.

(٣) يقول: عليك أن تحذر رغائب النفس محذراً من عواطفها معتبراً أحاسيس القلب مصدر بلاء وتعب.

قال أبو العباس:

ليتني إذ أراه كلّي عيونٌ ... فبعينينِ لستُ أشبعُ منه

● **اختلاسُ النظرِ خشيةَ الرقباءِ**

قال أبو الشيص:

ونظرةُ عينٍ تعللتُها ... حذاراً كما نظرَ الأحولُ
تقسمتُها بين وجهِ الحبيب ... وطرفِ الرقيب متى يغفلُ

ونحوه:

إذا ما التقينا والوشاةُ بمجلسٍ ... فليس لنا رُسْلٌ سوى الطرْفِ للطَرْفِ(١)
فإنْ غفَل الواشون فزْتُ بنظرةٍ ... وإن نظرُوا نحوي نظرْتُ إلى السقفِ

وقال:

حمدت إلهي إذْ بلاني بحبّها ... على حول أغنَى عن النظر الشزرِ
نظرتُ إليها والرقيبُ يظنّني ... نظرْتُ إليه فاسترحْتُ من العُذْرِ

● **التخاطبُ بالنظر**

قال معقل بن عيسى:

إذا نحنُ خِفْنا الكاشِحينَ ولم نُطِقْ ... كلاماً تكلّمْنا بأعينِنا شزرا(٢)

قال علي بن هشام:

فسلمت إيماءً وودّعَتْ خفيةً ... فكانَ جوابي كسرَ عينٍ وحاجبِ(٣)

قال ابن أبي طاهر:

وفي غمْز الحواجبِ مستراحٌ ... لحاجات المُحَب إلى الحبيبِ

وقال:

ومجلسُ لذّةٍ لم نقوَ فيه ... على شكْوى ولا عدّ الذنوبِ
فلمّا لم نطِق فيه كلاماً ... تكلمتِ العيونُ على القلوبِ

وقالت الهند: **لِلمحظِ** ترجمان القلب واللسان ترجمان البدن.

---

(١) **الطرف**: العين ـ يقول: ليس للمحبين من رسل بحضور الوشاة سوى العيون.

(٢) **الكاشحون**: جمع كاشح وهو العدد والمبغض.

(٣) **الإيماء**: الإشارة ـ يصف حذره من الوشاة وكيف كان السلام إيماءة والوداع خلسة وكيف جعل خفض عينه وحاجبه جواباً.

● **كونُ نظرِ المحبوبِ إلى مُحِبّهِ قاتلاً**

قال ابن الرومي:

نظرت فأقْصَدتِ الفؤادَ بسهْمِها ... ثم انثنَتْ عنه فكاد يهيَمُ
ويلاه إن نظرَتْ وإنْ هي أعرَضَت ... وقعُ السهام ونزعُهن أليمُ

● **تحيُّر العاشقِ بالنظرِ إلى معشوقِهِ**

قال أحمد بن أبي طاهر:

عتابا كأيامِ الحياة أعدُّه ... لألقى به بَدْرَ السّماءِ إذا حَضَرْ
فإن أخذت عيني محاسِنَ وجهه ... دهشتُ لما ألقى فيملكُني الحَصَرْ[1]

● **السهلُ اللقاءِ الصعبُ المنالِ:**

قال شاعر:

فقلْتُ لأصحابي هيَ الشمسُ ضوؤُها ... قريبٌ ولكنْ في تناولها بُعْدُ

قال أبو نواس:

مبذولَةٌ للعُيون وجنتُه ... ممنوعَةٌ من أنامِلِ الجَاني[2]
وليْس لي فيهِ ما خلا نظرٌ ... يُشْرِكُني فيه كلُّ إنْسَانِ

قال العباس:

هي الشمسُ منزلُها في السّماء ... فعَزِ الفؤادَ عزاءً جَميلاً
فلنْ تستطيعَ إليها الصعودَ ... ولنْ تستطيعَ إليْك النزولاً

● **مَنْ سَهُلَ بالكلامِ وَصعب بالمنالِ**

قال إبراهيم بن المهدي:

وقد يلينُ ببعضِ القولِ يبذلُه ... والوَصْل في وزر صعبٌ مَرَاقِيهِ[3]
فالخيزران منيع منك مكسُره ... وقد يُرَى ليّناً في كفِّ لاوِيهِ[4]

---

(١) **الحصر**: العيّ والعجز عن النطق أو اعتقال اللسان من الكلام ـ **يقول**: إنه ينير بمحاسن وجه الحبيب فيعتريه العيّ والحصر.

(٢) **الوجنة**: صفحة الخدّ ـ **الأنامل**: أطراف الأصابع ـ **يقول** إن محاسن وجهه مبذولة للناظرين ولكنها محظورة على أنامل الآثمين.

(٣) **يبذله**: يجود به ـ **الوزر**: الإثم.

(٤) **لاويه**: الذي يلويه أي يثنيه.

● **المؤثِرُ للمواقعةِ**

قال شاعر:

لم يصفُ حبُّ لمعشوقَيْن لم يذُقا ... حبّاً يحلّ على من ذاقه الغُسْلُ[1]

قال الخبزارزي:

إذا ما قنِعْنا بالتواصُل في الهَوى ... فلا أنتَ معشُوقٌ ولا أنا عاشِقُ
فلا وصلَ إلا أن يكونَ تباذلٌ ... ولا بذلَ إلا أن يكونَ تعانُقُ
إذا لمْ يتمّ الوصْلُ والبذْلُ في الهوى ... فأمّ الهوى من بعْدِ هذين طالِقُ

قال أبو تمّام:

وقالوا نكاحُ الحبّ يفسدُ شكلُه ... وكم نكَحوا حبّاً وليس بفاسدِ

وقال أبو القيس: مرّ بي إدريس بي أبي حفصة فوقف عليّ وأنشدني:

ولما التقيْنا قالَت الحكْمَ فاحتكِم ... سوى خصلةٍ هيهات منك مرامُهَا
فقلْتُ معاذَ الله من تلك خصلة ... نموتُ ويبقى بعد ذاك أثامُها[2]

وكان عندنا شيخ من فرغانة **فقال** ما تفسير هذا؟ ففسرته له **فقال:** أما نحن فمتى عشقنا واحداً نكناه في إسته ليس هذا عشقاً أو لا يقوم عليه.

● **استحسانُ التقاءِ المتحابين**

قال مسلم العنبري:

لا شيءَ أحسنُ في الدنيا وساكِنها ... من وامقٍ قد خلا فرداً بمَوْموقِ[3]

قال العباس:

لم يخلق الرحمن أحسنَ منظَراً ... من عاشقَيْنِ على فِرَاشٍ واحدِ

● **المعانقةُ**

قال إبراهيم الصولي:

ساعدنا الدهر فبتنا معاً ... نحمِلُ ما نجني على السُكرِ
فكنتُ كالماءِ له قارعاً ... وكان في الرقة كالخَمْرِ[4]

قال الأخطل:

وإني وإياها إذا ما لقِيتُها ... لكالماءِ من صوبِ الغمامَة والخَمْرِ

---

(١) **الغسل:** التطهر بالماء وإزالة الجنابة.
(٢) **الأثام:** الإثم.
(٣) **الوامق:** المحبّ ـ **الموموق:** المحبوب.
(٤) **قرع الخمر بالماء:** مزجها به.

قال الجاحظ:

كَمْ بَيْنَ قولِ امرىء القيس ... تقولُ وقد مالَ الغبيطِ بنا معاً[1]

وبين قول علي بن الجهم:

سقى الله ليلاً ضمنا بعد هجعةٍ ... وأدنى فؤاداً من فؤادٍ معذّبِ
فبتنا جميعاً لو تُراقُ زجاجةٌ ... من الراحِ فيما بيننا لم تسرّبِ

وقال:

فبتنا على رغم الحَسودِ كأننا ... خليطانِ من ماءِ الغَمَامَةِ والخَمْرِ

قال البحتري:

وربت ليلة قد بت أُسْقَى ... بعينيها وكفّيها المدَامَا
قطعنا الوصل لثماً واعتناقاً ... وأفنيناه ضمّاً والتِزَامَا

قال ابن المعتز:

كأنني عانقتُ ريحَانةً ... تنفسَتْ في ليلها البارِدِ
فلو تُرانا في قميصِ الدجا ... حسبْتَنا من جَسَدٍ واحدِ[2]

قال ابن طباطبا:

وضَيَّقْتُ فيه من عناق معانقي ... فظنّ وشاتِي أنني نائمٌ وَحْدي

● مَنْ ذَكَر تمكّنَهُ مِنْ مَحْبُوبِه

قال جحظة:

حبيبٌ جادَ لي ... بالرِّيق والظلماء معتكِفَهْ
وسامحني بما أهوا ... هُ بعد التيهِ والأَنَفَهْ
ستشكُرُ فعلَه نفسٌ ... بعَجزِ الشكْرِ معترِفَهْ

قال المأمون:

يا ليلةً فزنا بها حلوةً ... جامعةً في ظلّها الشملُ
شرابُنا وكاساتُنا ... شفاهُنا والقُبَلُ النقلُ[3]

---

(١) **الغبيط**: الرحل يشدّ على الهودج.

(٢) **قميص الدجى**: ظلمة اللّيل، وهو يكنى بذلك عن اللقاء والتواصل بين المتحابين وظلمة اللّيل كالقميص الذي يسترهما عن العيون.

(٣) **النقل**: ما يؤكل على الشراب من فستق أو فاكهة ونحوهما.

● **تمني تقبيلِ الحبيب والاقتصارُ منه عليه**

قال شاعر:

والله لـو نـلـتُـك إذ نـلـتـقـي ... عـيْـنـاً لـقـبّـلـتُـك ألـفَـيْـنِ

قال الصنوبري:

نـويـت تـقـبـيـلَ نـارٍ وجـنـتـهِ ... فـخـفـتُ أدنـو مـنـه فـأحـتـرقُ

قال محمد بن أبي أمية:

فما نلت منها مُحَرّماً غيْرَ أنني ... أقبّل بسّاماً من الثغر أفلَجا[1]

وألـثـم فـاهـا تـارة بـعـد تـارة ... وأترُك حاجاتِ النفوس مُحَرَجا

● **تقبيلُ الحبّ إعتراضاً**

قال ابن المعتز:

وكـمْ عـنـاقٍ لـنـا وكـمْ قـبـلٍ ... مـخـتـلَـسـاتٍ حذار مـرتـقـب

نـقـرَ الـعـصـافـيرِ وهـي خـائـفـة ... مـن الـنّـواطـيـرِ يـانـعَ الـرّطـبِ[2]

قال أبو نواس:

وعـاشـقـيْـن الـتـفّ خـداهـمـا ... عـنـد الـتـثـام الـحـجَـر الأسْـوَدِ

فـاشـتـفـيَـا مـن غـيـر أن يـأثـمـا ... كـأنّـمـا كـانـا عـلـى مَـوْعِـدِ

لـولا دفـاعُ الـنّـاس إيّـاهـمـا ... لـمـا اسـتـفـاقـا آخر الـمـسـنـدِ

نـفـعَـلُ فـي الـمـسْـجـدِ ما لـمْ يـكُـنْ ... يـفـعَـلُـهُ الأبـرارُ فـي الـمَـسْـجِـدِ

قال ابن أبي ربيعة:

فـمـررت مـخـتـفـيـاً أمـرُ بـبـيـتـهـا ... حتّى ولجْت على خفاء المولجِ

قـالَـتْ وعيشِ أخـي وحرمَـة والـدي ... لأنـبـهـنّ الـحـيّ إنْ لـمْ تـخـرجِ

فخرجْتُ خيفَة قولِها فتبسّمتْ ... فـعـلـمـتُ أن يـمـيـنَـهـا لـم تُـخـرجِ

فـلـثـمـتُ فـاهـا آخـذاً بـقـرونـهـا ... شربَ النزيف لبردِ ماء الحَشْرَجِ[3]

● **استطابةُ تقبيله اختلاساً واختفاءً**

قال كشاجم:

مـا لـذةٌ أبـلَـغُ فـي طِـيـبِـهـا ... مـن لـذّةٍ فـي إثـرهـا عَـضّـة

---

(١) **الثغر الأفلج**: أي المتباعد الأسنان وانفراج الأسنان من محاسن الثغر.

(٢) **الرّطب**: ما نضج من البلح قبل أن يصير تمراً.

(٣) **آخذاً بقرونها**: أي وهو يشدّها إليه ـ **الحشرج**: الكوز الرقيق يبرّد فيه الماء.

خلّصتها بالكرهِ من شادنٍ يعشقُ منه بغضُهُ بَغضَه

قال ابن سكرة:

سألتُه في صحوه قبلةً فردّني والموتُ في ردّه
حتى إذا السّكْرُ ثنى جيدَه قبّلتُه ألفاً بلا حَمْدِه[1]

وقال الحسن بن وهب قبلتها فوجدت بين شفتيها ريحاً لو نام فيها المخمور لصحا.

قال المتنبي:

شاميّة طالَ ما خلَوْتُ بها تبصِرُ في ناظِري مُحَيّاها
فليتَها لا تزالُ آويةً وليتَه لا يزالُ مأواها

قال الصاحب:

قال إذا قبَّلَني خدُّه إنّما القُبْلةُ عنوانُ الصلّة

قال الصابيء:

أقبلت ثم قبّلتْ ظهر كفّي قبلة تنقَعُ الغليلَ وتَشفي[2]
فتلظّى فمي عليْها ووَدّت شفتي أنّها هنالِك كَفي
فعضضْتُ اليَدَ التي قَبّلَتْها بفمٍ حاسدٍ يريد التشفّي[3]

قال الصاحب:

أو ما للتقبيلِ يدي فقُلْتُ لا بَلْ شفتي

قال الموسوي:

ومقبَّل كفّى وددتُ بأنّه أوما إلى شفَتيّ بالتّقْبيلِ

● موضعُ التقبيلِ

قيل: قبلة المؤمن المصافحة وقبلة الرجل زوجته الفم وقبلة الوالد الولد الرأس وقبلة الأم الابن الخد. قال أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه: قبلة الولد رحمة وقبلة المرأة شهوة وقبلة الوالدين عبادة وقبلة الأخ الأخ رقة وزاد فيه الحسن وقبلة الإمام العادل طاعة.

● مَنْ سألَ محبوبَهُ الوَصْلَ

وقال الواواء الدمشقي:

أيا مَنْ هوَ الفوْزُ لي بالمُنى ومن هو بالودّ منّي حقيقُ[4]

---

(١) الجيد: العنق ـ ثنى السكر جيده: أي استبدّ به السكر واستولى عليه النعاس فمال عنقه.

(٢) تنقع الغليل: تروي الظمأ وحرارة الوجد.

(٣) التشفّي: الانتقام وشفاء الغليل. (٤) حقيق: جدير.

تـغـنـم بـنـا غـفـلاتُ الـزمـانِ فـوجْـهُ الـحـوادِثِ وجْـهٌ صَـفـيـقُ[1]

وقال:

تـعـالَ بـنـا نـغـصِ الـوُشـاةَ ونـشْـتـفـي مـن الـوَصْـل قـبْـل المـوْت ثـم نـتـوبُ

كتب إبراهيم الموصلي إلى قينة:

دعي الوصْل لا أسمَع بيومِك إنّما سألْتَ شيْئاً ليْس يغْري لكم ظهرا

فأجابته لكن يملأ لنا بطناً، قال شاعر:

يـا قـضـيـبـاً مـخْـصَـرُه وكـثـيـبـاً مُـؤزرُه[2]

لـيْـتَ شِـعْـري مـتَـى تـجـو دُ بـمـا لا نُـفَـسِّـرُه

● سؤاله عودة النائلِ

قال المتنبي:

أمـنـعِـمَـةٌ بـالـعَـودَةِ الـظّـبـيـةُ الـتـي بـغيْـر ولـيّ كـان نـائـلَـهـا الـوسـمـيّ[3]

قال بشار:

يـا رحـمـةَ الله حـلّـي فـي مـنـازِلـنـا حسْبي برائحةِ الفردوسِ مِنْ فيكِ[4]

قـد زرتِـنـا مـرّة فـي الـدهـر واحِـدةً ثـنّي ولا تـجـعَـليـها بـيْـضَـة الـديك[5]

● المستكثِر قليلَ الوصلِ من حبيبته

قال بعضهم:

بـحـرمـةِ مـا قـدْ كـانَ بَـيْـنـي وبـيـنَـكـم مـن الـوَصْـل إلا عُـدْتُـم بـجـمـيـلِ

وإنـي لـيُـرْضِـيـنـي قـلـيـل نـوالِـكُـمْ وإن كُـنْـتُ لا أرضـى لـكُـم بـقَـلـيـلِ

قال آخر:

قـفـي ودّعـيـنـا يـا مـلـيـحُ بـنـظـرةٍ فـقـدْ حـانَ مـنّـا يـا مـلـيـحُ رحـيـلُ

ألـيـسَ قـلـيـلاً نـظـرةٌ إن نـظـرتُـهـا إلـيْـك وكـلا لـيْـس مـنْـك قـلـيـلُ

قال ابن المعتز:

قـل لـمَـن حـيّـا فـأحْـيـا مـيّـتـاً حُـيّـيـتَ حـيّـاً

مـا الـذي ضـرّك لـو أبـقـيـ ـتَ لـي فـي الـكـاس شـيّـا

---

(١) الحوادث: نوائب الدهر ـ الوجه الصفيق: الوقح.

(٢) القضيب: الغصن ـ الكثيب: التلّ ـ يصف نحول خصره وامتلاء أردافه.

(٣) الوسمي: أوّل مطر الربيع.

(٤) حلّي: الأمر من حلّ في المكان: نزل فيه ـ يقول: إن في ثغرها رائحة من الجنة وهو مكتف بها.

(٥) بيضة الديك: كناية عن استحالة الشيء أو عدم تكرار حدوثه.

هــل تــرَانــي كــنــتُ إلا مــثــلَ مــنْ قــبْــل فــيّــا

- **الرضا بأن حبيبَه يخطرُهُ في قلبِهِ**

قال ابن الدمينة:

لئِن ساءَني أن نلتَني بمساءةٍ لقَدْ سرّني أنّي خَطَرْتُ ببالِكِ

وقال:

رضيتُ بسَعْي الوهم بيْني وبيْنه وإنْ لمْ يكُنْ في الوَصْل منْه نصيبُ

- **الرضا بأن ينظر أرضَ حبيبِهِ**

يقرّ بعيني أن أرَى من مكانِها ذرا عقدات الأبرقِ المتقاودِ[1]
وأن أردَ الماءَ الذي شربَتْ به سليْمِي وقد ملّ السرى كلّ واحدِ[2]
وألْصِقَ أحْشائي ببَرد ترابه وإن كانَ مخلوطاً بسمّ الأساودِ

- **الرّضا بكونِهِ مع الحبيب في الدُّنْيا**

قال أبو نواس أرضى الناس قيس بن ذريح في قوله:

أليس الليلُ يجمَعُني وليلى ألا يكْفي بذلك من تَدانِ
ترى وضحَ النهار كمَا أراه ويعلوها الظلام كما عَلانِيْ

وقال:

ويقرعيني وهي نازِحَةٌ ما لا يقرّ بعيْن ذي الحلمِ
أني أرى وأظنّها سترى وضحَ النهار وعالي النجمِ

- **رجاء لقاء المحبوب**

قال الحارثي:

أرانا به الله ما لم تزَل تبَشّرُنا حسناتُ الظُّنُوْنِ

وقال:

ما أقدر الله أن يدني على شحط مَنْ داره الحزنُ ممّن دارُه صولُ[3]
الله يطوي بساطَ الأرض بينهما حتى يرى الربع منه وهو مَأهولُ

- **من حبيبه مناه**

قال شاعر:

ولما نزَلْنا منزلاً طلّه النّدى أنيقاً وبستاناً من النّوْر حالِيا[4]

---

(١) **الإبريق**: اسم موضع. (٢) **السرى**: السير ليلاً. (٣) **الشحط**: البعد.
(٤) **النّدى**: الطلّ، أي ما تتركه رطوبة اللّيل من قطرات على أوراق النبات ـ **النور**: الزهر.

أجِدْ لنَا طيبُ المكانِ وحسنُه ... منىً فتمنَّينا فكنتِ الأمانيا

- **تمنّي مجاورتِه**

قال شاعر:

تمنيْتُ في عرضِ الأماني وربّما ... تمنى الفتَى أمنيةً ثم نالَها

ألا ليْت سعدى جاورَتْني حياتُها ... فتعلَم ما حالِي وأعلَم حالَها

قال الفرزدق:

ألا ليتَنا نِمْنَا ثمانين حِجَّةً ... تنامُ معي عزيانةً وأنامُها

ضجيعَيْن مستورين والأرضُ تحتَنا ... يكونُ طعامي شمّها والتزامُها

قال جميل:

أقولُ والركْبُ قد مالَتْ عمائِمُهُمْ ... وقد سقَى القَوْم كأس النعسَة السهرُ

يا ليْت أني بأثوابي وراحِلتي ... عبدٌ لقومِك هذا الشهْر مؤتَجَرُ

- **مَنْ أحبَّ أن يجتمَع مع حبيبِهِ وإنْ كانَ في شَقاء**

قال كثيِّر:

ألا ليتنا يا عزُّ من غيْر ريبةٍ ... بعِيران نرْعى في الخَلاء ونعزبُ(١)

كلانا به عَرٌّ فمن يَرنا يَقُل ... على حسْنها جرباء تعْدي وأجْربُ(٢)

إذا ما وردْنا منْهلاً صاحَ أهلُهُ ... علَيْنا فلا ننفكّ نرْمي ونضربُ

نكونُ بعيرَي ذي غِنى فيُضيعنا ... فلا هو يَرْعانا ولا نحن نُطْلبُ

فلما سمعت عزّة ذلك قالت لقد تمنى لي وله الشقاء الطويل.

قال ديك الجن

ألا ليتَنا كنّا جميعَيْن في الهَوى ... تضُمّ علَيْنا جنّةٌ أو جهَنّمُ

قال ابن حجّاج:

قلْت ستّي كلّميني ... قبْل أن أحصلَ مُثْلَهْ(٣)

اضربِي من طِين بابِ استـ ... ـتِك خرطومي بكُتْلَهْ

قد طَلبْنا منكَ ما لا ... تَكْره الحُرةُ بَذْلَه

ليْتَني أمسيْت في عقْـ ... ـصَةِ شعْر إستك قَمْلَه

---

(١) لغزب: تذهب بعيداً ـ تمنى كثير أن يكون وصاحبته عزة بعيرين برعيان في الخلاء ويذهبان بعيداً.

(٢) العرّ: الجَرَب، والعرّ الأجرب، والعرّ أيضاً الشرّ والعيب.

(٣) المثلة: الآفه والعقوبة.

● **الرضا من حبيبه بالأماني والمواعيد الكاذبة**

قال كثير:

وإنـي لأرضـى منـك يـا عِـزّ بـالـذي ... لـو أبـصَرَه الـوَاشِـي لـقرّت بـلابـلُـهْ[1]

بـلا وبـانْ لا أسـتـطـيـعُ وبـالـمُـنـى ... وبـالـوعْـد والـتسويفِ قد ملّ آمِلُهْ[2]

وبـالنظرة العجلى وبالحَوْل ينقضِي ... أواخـرُه لا تـنـقـضِـي وأوائِـلُـهْ

قال جميل:

فـصـلـي بـحـبْـلِـك يـا بـثـينَ حـبـائِـلـي ... وعِـدي مـواعـدَ مُـنـجـزٍ أو مـاطِـلِ[3]

قال الموسوي:

ومـا ضـرّهـم إذْ لـمْ يـجُـودوا بـمـقـنـعٍ ... من النّيْل لو منّوا قَليلاً وسوّفوا[4]

قال كشاجم:

ضـنّـت بـمـوعِـدهـا فـقـلْـت لـهَـا ... يـا هـذه فـعِـدي بـأنْ تَـعِـدي

● **انتظار وعد الكاذب**

قال جحظة:

يـا كـاذبـاً فـي وعـده بـلـسـانـه ... مـنْ لـي بـمـصٍّ لـسـانِـك الـكـذّابِ

مـا زلْـتُ مـنـتـظِـراً لـوعْـدِكَ مـفـرداً ... بـالـبَـيْـتِ مـرتَـقِـبـاً لـقَـرْع الـبـابِ

● **قطع الأوقات بالأماني**

قال ابن المعتز:

يـا مـانِـعَ الـعـيْـن طـيـبَ رقْـدَتـهـا ... ومـانـحَ الـجِـسْـم كـثـرةَ الـعِـلَـلِ

علّمَني حبُّك المقامَ على الضّيْـ ... ـم وقـطـع الأيـام بـالأمـلِ

وقال:

منى أنْ تكُن حقاً تكنْ أحسنَ المُنى ... وإلا فـقـد عـشـنـا بـهـا زَمـنـا رَغْـدا

أمـانـيّ مِـنْ سـعـدى حـسـانٌ كـأنّـمـا ... سقَتْك بـهـا سُعدى على ظَمأ بَرْدا

---

(١) البلابل: البلبال شدّة الهم ووشواش الصدر هذا البيت والتاليان منسوبة أيضاً إلى جميل بن معمر وأولها:

وإن الأرض مـن بـثـيـنـة بـالـذي

(٢) التسويف: المطل في إنجاز الوعد.

(٣) صِلي: الأمر من وصل، ووصل الحبائل نقيض قطعها والحبائل روابط الحبّ.

(٤) يقول الشاعر حبذاً لو أن الأحبّة يجودون بالقليل، بل هو يرضى بمجرد التمني ولا يعيره التسويف، وفي هذا ما يدل على قناعة المحبّ من العذريين أو الذين يذهبون في الحبّ مذهبهم.

(١٢)
وممّا جَاء في الطَّيفِ

•

• مَنْ يسمحُ بخياله ويضنُّ بوصالِهِ

قال البحتري:

أهـلا بـزَائـرَةِ الـمُـلِـمّ لَـوَ انّـه ... عـرفَ الـذي يـعْـتـادُ مـن إلْـمـامِـه[1]
جذلان يـسـمَـحُ في الكرَى بعناقِه ... ويضنّ في غيرِ الكَرى بسلامِه[2]

وقال:

بنَفسي من تنأى ويدنو ادّكارها ... ويبذُلُ عنها طيفُها ويمانِعُ[3]

وقال:

وإذا مـا أبـى الـحـبـيـبُ مـواتـا ... تـي تـبـلّـغـتُ بـالـخَـيـال الـمُـسَـلِّـم

قال أحمد بن أبي طاهر:

فبِتّ بها ضيْفاً مُقِيماً برحله ... وباتَتْ بنا طيْفاً تقيمُ ولا تَدْري
وزارت وما زارَت وجادَتْ ولم تَجُدْ ... وواصَل عنها الطيْفُ وهي علَى الهَجْرِ

قال ابن المعتز:

شـفَـانـي الـخَـيـالُ بـلا حـمْـده ... وأبـدَلـنـي الـوصْـلَ مِـنْ صَـدِّهِ
وكَـمْ نـوْمَـةٍ لـي قَـوّادةٍ ... أتَـتْ بـالـحـبـيـبِ عـلـى بُـعْـدِهِ

وقال كشاجم:

قـدْ جـادَ طـيـفُـك لـي بـوعـدِك ... وأجـارَنـي مـنْ طُـول صـدّك
ودنـا إلـيّ مـعـانِـقـاً ... ومـصـافِـحـاً خـدّي بـخـدّك
فـظـفـرْتُ مـنـك بـمـا هـوَيْــ ... ـت بـحـمـدِ طـيـفِـك لا بـحَـمْـدِك

• من منعَ خيالَه بتسليط السّهادِ على محبّه

قال شاعر:

فـكـانَ يـزورُنـا مـنـه خـيـالٌ ... فـلـمّـا أنْ جـفـا مَـنـعَ الـخَـيـالا

قال علي بن يحيى المنجم:

بـأبـي أنـت لـمْ جـفـانـي خـيـالٌ ... ـلـكَ قـد كـنـتُ أسـتـريـحُ إلـيـهِ

---

(١) الملمّ: الذي يزور أحبّته لماماً. (٢) جذلان: فرح ـ يضنّ: يبخل ـ الكرى: النوم.
(٣) الإدكار: التذكر ـ يبذل: يجود ـ طيفها: أي خيال المحبوبة.

أرشِدني إلى خيالِك كيما ... أتقاضاه موعداً لي عليه[1]

وقال:

إنّ فقدَ النومِ أعدمني ... رؤيةَ الأحباب في الحُلُمِ

قال أبو نواس:

كيفَ السبيلُ إلى طيفٍ يزاورهُ ... والنومُ في جملةِ الأحبابِ هاجرُهُ

● بغضُ طيف ذي هجران

قال أبو دلف:

لا تحمدنَّ على نوالٍ في الكَرَى ... من ليس في غيرِ الكرَى بِمَنولِ

قال المتنبي:

إنّي لأبغض طيفَ مَنْ أحببتُهُ ... إن كانَ يهجرُنا زمانَ وِصالِهِ

قال المهلّبي:

إنّما الطَّيْفُ المُلِمُّ ... فَرَحٌ يتلوهُ هَمُّ

قلَّما يُحْمَدُ أمرٌ ... ليس فيهِ ما يُذَمُّ

قالت عابدة المهلبية:

خطبْتُ خيالَه فإذا خيالٌ ... مطولٌ مثلُ صاحبهِ بخيلُ[2]

فإن توقّعي طيفاً جواداً ... وصاحبُه بخيلٌ مستحيلُ

● مَنْ ذَكَر الخَيَال بات الفكر إزاره

قال أبو تمام:

نَمْ فما زارَكَ الخيالُ ولكنْـ ... ـنَك بالفكر زُرْتَ طَيْفَ الخيالِ

قال المتنبي:

لا الحلمُ جاءَ بهِ ولا بمثالِه ... لولا ادّكار وداعِه وزيالِهِ[3]

إن المُعيد لنا المنامُ خيالَهُ ... كانتْ عبارتُهُ خيالَ خيالِهِ

بتْنا يناولُنا المُدامَ بكفّهِ ... مَنْ ليس يخطرُ أن نراهُ ببالِهِ

فدنوتُم ودنوُّكم مِنْ عندِهِ ... وسمحتُم وسماحكُم مِنْ مالِهِ

● مَنْ أسهرَهُ خَيالُ حبيبِه

قال علي بن يحيى:

زارَني طيفُ الخَيَال فمَا ... زادَ أن أغرَى بِيَ الأَرَقا

---

(١) تقاضاه: من قاضاه إلى الحاكم رافعه، وتقاضاه: الدين طالبه به.

(٢) الخيال المطول: أي المماطل الذي يسوّف في إنجاز الوعد. (٣) الزيال: الفراق.

قال الفرزدق:

شَبَتْ لعيْنك سلْمى عند مَقْفَاها ... فبتّ منزعجاً من بُعْدِ مَرْآها[1]

وقلتُ أهلاً وسهلاً ما هداكِ لنا ... إن كُنتِ تمثالَها أو كُنتِ إيّاها

قال ابن الرومي:

طردَ الكَرَى عنّي وراحَ بحَاجَتي ... وقضَى عليّ بأجرَةِ الحمّام

- **من تمنّى المَنَام لأجلِ لقاءِ الخيالِ**

قال قيس بن ذريح:

وإنّي لأهوى النوْمَ من غيْرِ نعْسةٍ ... لعَلّ لقاءً في المَنام يكُونُ

تخبرني الأحلام إنّي أراكمُ ... فيا ليْتَ أحلامَ المَنامِ يَقِينُ

- **من ذمّ الصبح لمفارقةِ الخيالِ**

قال البحتري:

وليلةَ هوّمْنا على العِيسِ أرسلَتْ ... بطيفِ خيالٍ يشبهُ الحقّ باطلُهْ

فلولا بياضُ الصّبحِ طالَ تشبُّثي ... بعطْفَيْ غزال بتّ وهْناً أغازلُهْ[2]

وكمْ من يدٍ للّيلِ عندي حميدةٍ ... وللصُّبْحِ من خطْبٍ تُذَمُّ غوائلُهْ[3]

- **المخافةُ من تهديد الطيف**

قال شاعر:

رجا راحةً في النوْمِ حتّى إذا غفَا ... أتى طَيْفُ من يهوى يهدّدُ بالهَجْرِ

فقامَ يُنادي والدموعُ بوادرٌ ... أيا طيفَ منْ أهوى قَتَلْتَ ولا تدْري

(١٣)

وممّا جاء في السلوّ

- **من ذكَر تسلّيه عن مخبوبه بما لا يَسْلى بِهِ**

قال كثير

ولما أبى إلا جماحاً فؤادهُ ... ولمْ يسلُ عنْ ليْلى بمالٍ ولا أهلِ

---

(١) مقفاها: مرأى قفاها والقفا مؤخّر العنق.

(٢) التشبث: مصدر تشبث بكذا أي تعلّق به ـ وهناً: بعد منتصف اللّيل.

(٣) الغوائل: الدّواهي والمهالك، جمع غائلة.

تسلّى بأخرى غيرِها فإذا الّتي ... تسلّى بها تُغري بلَيْلي ولا تُسْلي

قال البحتري:

وقالوا تجنبها تفسق فاجتنبتها ... زماناً فما أسْلى فؤادي التَجنُبُ

وقالُوا تقرّبْ يخلقُ الحبّ أو تجد ... علالة قلبٍ فاختلاني التقرّبُ

- **مَنْ بغى له بعد ما تسلى علالة من الهَوَى**

قال معاوية:

صَرَمْتُ سفَاهَتي وأرخْتُ حِلْمي ... وفي علْمي تحمُّلي اعتراضُ[1]

على أنّي أجيبُ إذا دعتني ... إلى حاجاتِها الحدقُ المِرَاضُ

قال البحتري:

إني إذا جانبتُ بغْضَ بطالَتي ... وتوهَمَ الوَاشون أنّي مقصِرُ

ليشوقُني سحرُ العُيونِ المجتلى ... ويروقُني وردُ الخُدود الأحمرُ

- **من قَرُبَ سلوّه من عشقِهِ**

قال محمد بن بشير:

سريعِ العُلوق إذا ما هوَى ... سريعُ النزوع إذا ما علِقْ

فبينا يرَى عاشقاً إذ سلا ... وبينا يرى قالِياً إذ عشق[2]

رأيتُ الوصالَ وهجرانَهُ ... يكونان منه معاً في نَسَقْ

وقيل لأعرابية كم تعشقين؟ فقالت:

ثلاثين ألفاً كُلّ يوم أحبّهم ... وما في فؤَادي واحدٌ مِنهُمُ يَبْقى

- **امتناعُ النفسِ من الرجوعِ إلى مَنْ أبغضَتْهُ**

قال العباس:

ردُّ الجبال الرواسي عنْ أماكِنها ... أخفّ من ردِّ نفسٍ حيْنَ تنصرفُ

وقال:

إذا انصرفَتْ نفْسي عن الشَيءِ لم تكد ... إليْه بوجه آخر الدهْر تُقْبِلُ

وقال آخر:

إنّ قلبي أعزُّ من أنْ تَراه ... في محلّ الهوى لقلبكِ عبْداً

---

(١) سرّح (الشيء): أرسله وأطلقه مأخوذ من سرّح المواشي أي أرسلها ترعى ـ السفاهة: الجهل ورذءة الخلق.

(٢) سلا يسلو العاشق: نسي عشقه وتغلّب عليه ـ قالياً: مبغضاً أو كارهاً.

● **الراغبُ عن محبوبِهِ**

قال أبو عيينة:

لقد جعلَتْ تعرضُ لي سعادُ ... تعرّضَ مَنْ يُريدُ ولا يُرادُ
فقلتُ لها: كسدتِ فلا تعنّي ... بنا فلكلِّ نافقةٍ كسادُ[1]
فما لك إنْ أقمْتِ عليّ رزقٌ ... ولا لك إنْ ظعنْتِ عليّ زادُ

وكتب **أبو نواس** لما خرج من بغداد:

ألا قل لأخلائي ... ومن همْتُ بهم وَجْدا[2]
شربنا ماء بغداد ... فأنسانا كُمْ جدّا
خذُوا منّا فإنا قد ... وجدنا منكمُ بُدّا
ولا ترعَوا لنا عهداً ... فما نرعى لكمْ عهدا

قال كثير:

فإن سألَ الواشون فِيمَ هجرْتَها ... فَقُل: نفسُ حرّ سُلِيَتْ فتسلَّتْ[3]

● **التسلّي عَمّنْ رغِبَ في غيرِكَ**

قال الخبزارزي:

إذهبْ وهبتُك للذين اخترْتَهُمْ ... هبةَ الكريم فإنّه لا يرجعُ

وقال:

ولمّا بدا لي منك ميلٌ مع العِدا ... سوايَ ولم يحدث سواكَ بديلُ
صددت كما صدّ الرزي تطاولت ... به مدةُ الأيامِ وهو قتيلُ[4]

قال ابن المعتز:

القلبُ لا يجمع إثنينِ ... والغمدُ لا يجمع سيفينِ
تاهَ فَأَفْضَيْتُ إلى غيره ... خار إلهي للفريقين

قال ابن الرومي:

يا ذَا الذي منك التنكُّر والتغييرُ والنُّبوّ[5]
إنْ كانَ أدركَك الملالُ فقدْ تداركني السّلُوّ

---

(١) **كَسَد يكسد الشيء**: لم ينفق لقلة الرغّاب فيه ـ **النافقة**: خلاف الكاسدة.

(٢) **الوجد**: شدّة الولع بالمحبوب، الكلف بالمحبوب.

(٣) **سليت**: نُسِيت. (٤) **الرزي**: المنكوب.

(٥) **التنكّر**: التغيّر، وتنكر لفلان صار غريباً عنده ـ **النبوّ**: الجفاء.

وقال:

كـلانـا واجـدٌ فـي الـنـا ... س مـمّـن مـلّـه خَـلَـفـا

قال أبو الشيص:

إذا لـم تـكـن طرقُ الـهوى لي ذليلَة ... تنكّبْتُها وانحزتُ للجانب السّهلِ

ومالي أرضى منه بالجورِ في الهَوى ... ولـي مـثـلُـه ألـفٌ ولـيْـسَ لـه مِـثْـلِـي

- **المتبجّحُ بالغدرِ مع أحبابِهِ**

قال بعضهم:

يـا ربّ مـثـلـك فـي الـنّـسـاء عـزيـزةٌ ... بـيـضـاءُ قـد مـتـعـتـهـا بـطَـلاقِ

لـم تـدرِ مـا تـحـت الـضـلـوعِ وغـرُّهـا ... مـنّـي تـحـمّـل شـيـمَـتـي وخـلاقِـي

- **مَنْ ذكَرَ قلّة توفره على الهوى**

يقال رجل عزهاة إذا لم يكن غزلاً وقيل في ضده زير نساء، قال البستي:

ولـلـخـودِ مـنّـي سـاعـة ثـم بـيـنـنـا ... فـلاةٌ إلـى غـيـر الـوفـاءِ تُـجَـابُ(١)

وغـيـرُ فـؤادي لـلـغـوانـي رمـيـةٌ ... وغـيـرُ بـنَـانـي لـلـزجَـاج رِكَـابُ(٢)

- **استدعاءُ القلب إلى التسلي**

قال المتنبّي:

وأعـلـمُ أن الـبـيْـنَ يُـشـكـيـكَ بـعـده ... فـلـسْـتَ فُـؤادي إنْ رأيْـتُـكَ شـاكِـيـا(٣)

قال بشّار:

وقـد رابَـنـي قـلـبي يـكـلّـفـنـي الـصّـبـا ... وما كـلُّ حينٍ يـتـبعُ الـقـلـبُ صـاحـبَـهْ

وقال آخر:

كـلّ الـلـذاذاتِ والـتّـصَـابـي ... قـبـل الـثـلاثـيـنَ تُـسْـتَـطَـابُ(٤)

---

(١) الخُود: جمع الخَوْد وهي المرأة الشابّة ـ جاب الفلاة: قطعها.

(٢) الغواني والغانيات: جمع غانية، والمرأة الغانية بحسنها وجمالها عن الزينة ـ البنان: الإصبع أو طرفه ـ الزّجاج والأزجّة: جمع زجّ، الحديدة في أسفل الرمح، ويقابل الزّج السنان، والزّجاج أيضاً الرماح من باب المجاز المرسل وهذان البيتان ينسبان أيضاً إلى أبي الطيّب.

(٣) البَيْن: الفراق ـ يقول إن قلبه سيشكو من فراق محبوبه لكن الشاعر يجعل إرادته وكبرياءه فوق قلبه ولهذا يلحّ على قلبه أن يكف عن الشكوى وإلا أنكره وتبرّأ منه.

(٤) التصابي: الميل إلى اللهو واللعب ـ تستطاب: تستلذ ـ يقول: يستطيب المرء في شبابه قبل الثلاثين من عمره كل لذائذ الدنيا وملاهيها.

وقال آخر:

كفى سفهاً بالشيب أن يأتي الصّبا وأن يأتي الأمْرُ الذي هو عائِبُهُ

(١٤)

وممّا جاءَ في فنونٍ مختلفةٍ من الغزل

•

قال شاعر:

إذا اجتمع الجوع المبرّحُ والهوى على الرجل المسْكين كاد يَمُوْتُ

قال ابن ميادة:

فيا أهلَ ليلى أكثرَ اللّهُ فيكم من أمثالها حتّى تجودوا لَنا بِها

وقال جميل:

أتوني وقالُوا يا جميلُ تبدّلت بثينةُ إبدالاً لا فقلتُ لعلّها

وعلّ حبالاً كنتُ أحكمت عقْدَها أتيحَ لها واشٍ رقيقٌ فحَلّهَا

وقال البحتري:

رأيتك إنْ منّيتَ منّيتَ موعِداً جَهاماً وإن أبْرَقْتَ أبْرَقْتَ خلّبا[1]

وقال شاعر:

طلبنا دواءَ الحبّ يوماً فلم نجد من الحبّ إلا من يُرِيْدُ مُدَاوِيا

وقال عبد الله بن طاهر:

وكلّ مُحبٍ جفا مَنْ يُحِبّ جَفتْهُ السّلامةُ والعافِيه

وله:

أيام لم تلجِ النّوى بينَ العَصا ولِحَائِها

وقال الخبزارزي:

ظبيٌ تفلّتَ من حَبْلِيَ فأوقَعَنِي في حبْله إنّ في عينيْه لي شَرَكاً[2]

---

(١) الجهام: السحاب لا ماء فيه والموعد الجهام الموعد الكاذب الذي لا يُنجز ـ البرق الخلّب: الذي لا يرافقه المطر.

(٢) يشبه المحبوب بالظبي ويقول بأن هذا الظبي أفلت من حبال حبّه وأوقع هو في حبال عينيه فعيناه شرك له والشرك حبائل الصيد.

● **استفتاءُ فقيهٍ في الهوى**

قال أعرابيّ:

إلا استفتيا المكّي ذا الفقه ما الذي ... يحلّ من التقبيلِ في رَمضان

فقال لي المكّيّ أمّا لزوجةٍ ... فسبْعٌ وأما خِلّة فثمانِ

وقال أبو العالية:

سل المفتي المكيّ هلْ في تزاورٍ ... وضمّة مشتاقِ الفؤاد جُناحُ[١]

فقالَ معاذ الله أن يذهِبَ التقى ... تلاصُقُ أحشاءٍ بهِنّ جِراحُ

● **مَنْ سلكوا في تصرفاتهم مسلكَ مذاهبِهم في صناعاتِهِمْ**

قُلتُ لا أستطيع هجرك قالت ... صِرْتَ بعدي تقول بالإجبارِ[٢]

ما تخيلت مِنْ مقالةِ بشر ... بن غياث ومذهبِ النّجارِ

قال السعيد بن حميد:

قد قلت بالعذل ولكنني ... عَذلتُ في الحبّ عن العذْلِ

فقلتُ بالإجبار مستغفِراً ... لله منْ قولي ومن فِعْلِي

قال جعفر الخياط:

فتقتُ بالهجران دَرزَ لهوي ... إذا وخزتني إبرةُ الصّدِ

قال بعض الزّراعين:

زَرَعتُ هواه في كرابٍ من الهوى ... وأسقيتُه ماء الدّوام على العَهْد

وسرقنتُه بالوَصل لم آل جاهداً ... ليحرزه السرقين من آفةِ الصّدِ[٣]

فلمّا تعالى النبْت واخضرّ يانعاً ... جرَى يرقان البينِ في سنبل الود[٤]

وقال حلاّج:

حلجْتُ قطْن فؤادي بالهَوى فغَدا ... في الصدّ تندفُه الأحزان بالنّدِ

وقال حجّام:

حلقت بموسى الغدر ناصيةَ العَهْد ... وأجريت مشطَ الهَجْر في لحيَةِ الوَجْدِ

---

(١) **الجناح**: الإثم.

(٢) **الإجبار**: أي الجبرية وهي مذهب القائلين بأن الإنسان لا يملك إرادته فهو مجبَر وليس مخيّراً وقد اصطنع الشاعر في هذا البيت الجبرية في باب الغزل والنسيب.

(٣) **السرقين**: الزبل واللفظة فارسية.

(٤) **يانعاً**: حال من ينع وأينع النبْت إذا نضج ـ **اليرقان**: داء يصيب الإنسان، **وقوله يرقان البين**: من باب الاستعارة والمجاز ـ **البين**: الفراق ـ **الودّ**: المحبّة وسنبل الودّ من باب المجاز ـ **يقول**: ما إن اخضر النبت ونضج حتى مني سنبل الودّ بيرقان البين.

وقصّتْ بمقراض القلي طرّة الهوى فجبهةُ رأسِ الوصلِ مكشوفةُ الجلدِ

وقال الحسن بن أبي قماش وكان بقالاً:

أصبَح قلبي بربخا للهوى تسلح فيه فَقْحَةُ الهَجْر[1]

وهذا فصل توجد فيه أشعار كثيرة ولكن لا معنى في إفناء الوقت فيما ليس فيه كبير معنى.

● **ومما قيل في كثرةِ العِتَابِ**

وكلُّ عتاب كان صعْباً وضيقت مسالكُه ألجا إلى الكذب السهْلِ

وقد تُصْقلُ الأسيافُ وهي صديئةٌ وما كلّ يومٍ يُبذلُ السيفُ بالصَقْلِ

وقال:

لولا كراهيةُ العتابِ وأنني أخشَى القطيعةَ إن ذكرت، عتابَا

لذكرتُ من عثَراتِكم وذنوبِكم ما لو يَمُرُّ على الفطيمِ لشابَا

---

(١) **البربخ**: مجرى من الخزف للماء وما شاكله، وبربخ الهوى استعارة ـ **الفقحة**: حلقة الدبر لانفتاحها عند الحاجة، وفقحة الهجر استعارة أيضاً.

الحدُّ الرابع عشر

في الشجاعة وما يتعلق بها

•

(١)
ما جاءَ في الشَّجاعة وأحوالِها، حقيقةُ الشجاعة

•

• حقيقةُ الشجاعة

قيل: الشجاعة صبرُ ساعة، وكتب زياد إلى ابن عباس: صف لي الشجاعة والجبن والجود والبخل **فقال**: الشجاع من يقاتل من لا يعرفه والجبان يفر من عرسه والجواد يعطي من لا يلومه حقه والبخيل يمنع من نفسه، **قال شاعر**:

يـفـرّ جـبـانُ الـقـومِ عـن أم نـفـسِـه ... ويحمي شجاعُ القوم مَنْ لا يناسبُهْ

وسئل فيلسوف عن الشجاعة **فقال**: جبلة[1] نفس أبية **وقيل**: الرجال ثلاثة: فارس وشجاع وبطل. فالفارس الذي يشد إذاً شدوا والشجاع الداعي إلى البراز، والمجيب داعية والبطل الحامي لظهورهم إذا انهزموا.

• الأسبابُ المشجعة

قال الجاحظ: الأسباب المشجعة قد تكون عن الغضب والشراب والهوج والغيرة والحمية. وقد تكون من قوة النفخ[2] وحب الأحدوثة وربما كان طبعاً كطبع الرحيم والسخي والبخيل والجزوع والصبور وربما كان للدين، ولكن لا يبلغ الرجل للدين ما لم يشيعه بعض ما تقدم لأن الدين مجتلب مكتسب ولا يكاد يبلغ الطبيعة.

وقيل: لا يصدق القتال إلا ثلاثة: متديّن وغيران وممتعض من ذلّ.

• الوصيةُ بالإقدام وتركُ الفَشَلِ

قيل: قد جمع الله تعالى في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟

---

(١) الجبلة: الطبع، سجية النفس.

(٢) النفخ (هنا): التكبر وتطاول المرء وتطلعه إلى ما ليس له.

(٣) القرآن الكريم: الأنفال/ ٤٦.

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1] في جميع ما يحتاج إليه في الحرب، استُشِيرَ أكثم بن صيفي في حرب أرادوها فقال: أقلوا الخلاف لامرائكم واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل، والمرء يعجز لا محالة. وادّرعوا الليل فإنه أخفى الويل.

وكان عظماء الترك يقولون: ينبغي للقائد في الحرب أن يكون فيه أخلاق من البهائم: شجاعة الديك وقلب وقلب الأسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراحة وحراسة الكركي وحذر الغراب وغارة الذئب **وقال قميصة بن مسعود** يوم ذي قار[2] يحذّر بكر بن وائل: الجزع لا يغني من القَدَرِ، والصبرُ من أبواب الظفر، والمنيةُ ولا الدنية[3] واستقبالُ الموت خيرٌ من استدباره والطعنُ في الثغر أكرم منه في الدبر وهالك معذور خير من ناج فرور.

وقال أبو مسلم لبعض قواده: إذا عرض لك أمر نازعك فيه منازعان أحدهما يَبْعَثُ على الإقدام والآخر على الإحجام فأَقْدِمْ فإنه أدرك للثار وأنفى للعار.

● الحثُ على استعمالِ الخدعةِ والحيلةِ والتحرّزِ في الحرب

قال النبي ﷺ الحرب خدعة وقيل إذا لم تغلب فأخلبْ **وقال بعضهم**: كن بحيلتك أوثق منك بشدّتك، ويحذرك أفرح منك بنجدتك، فإن الحرب حربٌ للمتهوّر وغنيمة للمتحذّر.

وقيل: المكر أبلغ من النجدة، ومما كتب معاوية إلى مروان لما بلغه قتل عثمان رضي الله تعالى عنه: إذا قرأتَ كتابي فكن كالفهد لا يصطاد إلاّ بغليلة ولا يناور إلا عن حيلة وكالثعلب لا يغلب إلا روغانا. وأخف نفسك عنهم إخفاء القنفذ رأسه عن لمس الأكف وامتهنْ نفسك إمتهان من ييأس القوم من نصره وأبحث على أخبارهم بحث الدجاجة عن حب الدخن[4] عند نفاسها وقيل حازم في الحرب خيرٌ من ألف فارس. لأن الفارس يقتل عشرة وعشرين، والحازم قد يقتل جيشاً بحزمه وتدبيره.

● حث من دُعِي إلى المبارزة عَلى الإجابة

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه لبعض بنيه: لا تدْعُونَّ أحداً إلى البراز ولا يدعونّك أحد إلاّ أجبته، فالداعي باغ والباغي مصروع.

وقال طرفة:

إذا القومِ قالوا من فتىً خِلْتُ أنني دُعِيتُ فلم أكسلْ ولم أتبّلد[5]

---

(١) القرآن الكريم: الأنفال/ ٤٧.

(٢) يوم ذي قار: من أيام العرب تغلبت فيه جموع من العرب بقيادة بني شيبان على الفرس.

(٣) الدنية أو الدنيئة (بالهمز): النقيصة.

(٤) الدُّخن: نبات حبّه صغير يقدّم طعاماً للدجاج والطّيور.

(٥) يعبّر طرفة بن العبد عن حسّه الجماعي وحميته فهو إذا دعي إلى مكرمة أو مأثرة أقدم ولم يتردد نافياً عن نفسه العزلة وما قد يعتري روح الفردية من بلادة أو كسل وفي رواية: عُنيت في موضع دعيت.

وقال:

إن كانَ في الألف منّا واحد فدعوا　　من فاز خالهم إيّاه يعنُونا

قال دعبل:

من معشر إن تدعهم لملمّة　　وصلوا الحياةَ إلى العلا بحديدِ[1]

- **المنازل وقت المنازلة**

قال المهلهل:

لم يُطيقوا أن ينزلوا فنزلْنا　　وأخو الحرب من يطيقُ النزولا

وقال:

يطعنهُم ما ارتَموا حتّى إذا اعتنقوا　　ضاربَ حتّى إذا ما ضاربوا اعتنقا

وقال:

جعلْتُ يدي وشاحاً له　　وبعض الفوارسِ لا يعتنقْ

- **الحثُّ على الثبات والنهي عن الإحجام والفكرُ في العواقبِ**

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾[3] وقيل: السلامة في الإقدام والحمام في الأحكام، **قال قطري**:

لا يركنَنْ أحدٌ إلى الأحكام　　متخوفاً يومَ الوغى لحمامِ

قال الكلبي:

إذا المرءُ لم يغشَ الكريهةَ أوشكت　　حبالُ الهُوينا بالفتى أن تقطعا[4]

وقال أبو بكر لخالد بن الوليد رضي الله عنهما: لما أخرجه لقتال أهل الردّة: أحرص على الموت تُوهَبْ لك الحياة. **وقيل**: من تفكر في العواقب لم يشجع، ولما أحست امرأة ربيعة بن مكدم بهربه **قالت**:

مساءة تترك الفتى نساءَه　　حتى يبلَّ من دم أنسائه

- **الحثُّ على التفكرِ قبل التقدم**

قيل: الإتيان بالتندم لا يغني بعدم التقدم. **وقيل**: من قاتل بغير نجدة وخاصم

---

(١) **الملمة**: النائبة، جمع ملمات ـ **قوله وصلوا**. بحديد كناية عن الكفاح والسعي إلى الأمجاد بالذود عن الحرمات.

(٢) **القرآن الكريم**: الأنفال/ ١٥.　　(٣) **القرآن الكريم**: الصف/ ٤.

(٤) **الكريهة**: الحرب ـ **الهوينا**: الرفق والتؤدة.

بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكبر الغرر:

إذا ما أردت الأمر فاذرعه كلّهُ ... وقِسْه قياسَ الثوب قبْل التقدُّم
لعلّك تنجو سالماً من ندامةٍ ... فلا خيرَ في أمر أتى بالتندّمِ

- **المتبجّحُ بثباته**

قيل: لأمير المؤمنين رضي الله عنه أنت محرب مطلوب فلو اتخذت طرفاً. **فقال**: لا أفرّ عمن كرّ ولا أكرّ على من فرّ، فالبغلة تكفيني.

وقيل لعباد بن الحصين: إن جالت الخيل فأين نطلبك؟ **قال**: حيث تركتموني. وقيل لبعض بني المهلب بن نلتم؟ ما نلتم قال بصبر ساعة، **وقال هدبة**:

أخو الحرب من لا يجتويها إذا اجتوت ... ولا يظهر الشكْوى وإن كان مُوجَعًا(١)

وقال:

قومٌ إذا نزلوا الوغى لم يسألوا ... حَذَرَ المنيّة عن طريق الهاربِ

وقال آخر:

ولا يرتقي من خشية الموت سُلّما

قال أبو فراس:

صبورٌ ولو لم تبقَ منّي بقيةٌ ... قؤولٌ ولو أن السيوفَ جَوَابُ(٢)
وقورٌ وأحداث الليالي تنوشُني ... وللموت حولي جيئةٌ وذهابُ

- **المبادرُ إلى الحرب غيرَ مبالٍ بها**

وصف أعرابي قوماً **فقال** ما سألوا قط كم القوم، وإنما يسألون أين هم؟ سأل رجل يزيد بن المهلب **فقال**: صف لي نفسك، **فقال**: ما بارزت أحداً إلا ظننت أن روحه في يدي.

ولما بلغ قتيبة حدّ الصين قيل له قد أوغلت في بلاد الترك والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر، فقال بثقتي بنصر الله توغّلت وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة فقال الرجل أسلك حيث شئت فهذا عزم لا يفلّه إلا الله، **قال السلامي**:

أتى القدرُ المتاحُ فلا اصطبارٌ ... يرد شباةَ عنك ولا فِرَارُ
وليس تقدّمي خرقاً ولكن ... لغير الحرب يدّخرُ الوقارُ

---

(١) **اجتوى الشيء**: كرهه، والعبد كره المقام به، وجوي يجوَى (المرء): أصابته حرقة وحالة من الوجد الشديد بسبب حزن أو عشق.

(٢) **يفتخر أبو فراس** بصبره في الشدائد وجراءته وثباته في المواقف غير آبه بالمخاطر.

وقال:

إذا فاجأته الخيل لم ينتظر بها ... لحاقَ الرجال واجتماعَ المقانب

وقيل لعبد الملك: من أشجع العرب في شعره؟ **فقال:** عباس بن مرداس حيث يقول:

أشدّ على الكتيبة لا أبالي ... أحتفِي كانَ فيها أم سواها

وقيس بن الحطيم حيث يقول:

وإنّي في الحرب العوان موكلٌ ... بإقْدَام نفس لا أريد بَقَاءَها(١)

والمزيّني حيث يقول:

دعوْت بني قحافة فاستجابُوا ... فقلْت ردْوا فقد طابَ الوُرُوْدُ

قالت أم الهيثم التميمية:

تمْشي إلى أسلِ الرماح وقد ترى ... سببَ المنيّةِ مشيةَ المخْتالِ

وأخذه بعض المحدثين فقال:

شبهت مشيتَها بمشية ظافر ... يختال بيْن أسنّةٍ وسيوفِ

كلفٌ تناهتْ نفسُه عن نفسِه ... لما انثنى بسنانهِ المرعُوْفِ(٢)

وقال البحتري:

تَسَرّعَ حتّى قالَ منْ شهِد الوَغى ... لقاءُ أَعَادٍ أم لقاءُ حبائبِ(٣)

● **المتوصلُ إلى الشدةِ بالرخاءِ**

قيل: نيل المعالي هول العوالي، ودرك الأحوال في ركوب الأهوال. بالصبر على لبس الحديد تتنعم في الثوب الجديد، في الصبر على النوائب إدراكُ الرغائب ربَّ قعدة تمنعُ قعداتٍ وأكلة تمنع أكلات، **قال الطائي:**

ولم تعطِني الأيامُ يوماً مسهّداً ... ألذّ به إلا بنوم مُشَرّدِ

وقال يزيد بن المهلب يوماً لجلسائه: أراكم تعنفوني في الإقدام **فقالوا:** أي والله أنك لترمي نفسك. فقال إليك عنّي فوالله لم آتِ الموت من حبّه ولكني آتيه من بغضه ثم تمثّل:

تأخرْتُ أستَبقي الحياةَ فلم أجدْ ... لِنَفسِي حياةً قبْلَ أن أتقدّما(٤)

---

(١) **الحرب العوان:** أشد الحروب، والتي قوتل فيها مرّة بعد أخرى.

(٢) **السنان:** الرمح أو رأس الرمح ـ **المرعوف:** الذي يسيل دماً والسنان المرعوف مجاز وأصله خروج الدم من الأنف. من رعف رعفاً ورعافاً أي خرج الدم من أنفه.

(٣) **لقاء أعاد:** لقاء الأعادي، أي الأعداء.

(٤) **يقول:** لا حياة لامرىء بغير السعي والتقدّم نحو المطامع.

● **المخوفُ مِنْهُ**

قيل: كانت قريش إذا رأت أمير المؤمنين في كتيبة تواصت خوفاً منه. ونظر إليه رجل وقد شقّ العسكر **فقال**: قد علمت أن ملك الموت في الجانب الذي فيه عليّ.

● **تأثير الجيش**

بعث أمير في طلب قوم رجلاً، فما لبث أن جاءه برجل أطول ما يكون **فقال**: كيف تمكنت منه؟ فقال: وقع في قلبي أن آخذه ووقع في قلبه أنه مأخوذ فنصرني عليه خوفه وجراءتي. وقيل لأمير المؤمنين بم غلبت الأقران؟ **قال**: بتمكّن هيبتي في قلوبهم.

● **المؤتمر له الوغى والردى**

قال كلثوم

قِداحُ المَنايا في يدَيْهُ يُجيلُها

قال الفرزدق:

أظَلّهُ منكَ حَتْفٌ ظَلّ يَرْقُبُهُ ... حَتّى يُؤامِرَ فيهِ رأيكَ القَدَرُ

وقال دعبل:

هم المتخيّرون على المَنايا ... نفوسُ ذوي الرياسةِ باقتراحِ

قال سلم الخاسر:

كأن المنايا جارياتٌ بأمرِهِ

وقال المتنبي:

ويستعظمونَ الموتَ والموتُ خادمُه

● **الموفي على جماعة والغالبُ لَهُمْ**

قيل: للإسكندر إن في عسكر دارا[1] ألف مقاتل **فقال**: إن القصاب[2] الحاذق وإن كان واحداً لا يهوله كثرةُ الغَنَمْ.

فواحِدُهم كالألفِ بأساً ونجدةً ... وألفُهم للعُجْمِ والعربِ قاهِرُ

وقيل لجنية بنت رباح: أعشرة هذرة[3] أحب إليك أم ثلاثة كعشرة **فقالت**: ثلاثة كعشرة فولدت بني جعفر **قال الموسوي**:

قلّوا على كثرةِ العدوّ لهم ... كم عددٍ لا يعَدّ في العَدَدِ

---

(١) دار (هنا): داريوس كودومان ملك فارس (٣٣٦ ق.م) حاربه الإسكندر وهزمه واستولى على مملكته.

(٢) **القصّاب**: الجزّار.

(٣) **الهذرة**: جمع هَذِر وهو الهاذي الذي يخلط في منطقه.

هو من قول أبي تمام:

قلّوا ولكنّهم طابُوا فأنجدَهُم   جيشٌ من الصبر لا يُحصَى لهُم عَدَدُ

قال الحسن: ما ظننت أن رجلاً يفضل ألفاً حتى رأيت عباد بن الحصين، فإنه حاصر مدينة بكابل فثلمها ثلمة وكان يقاتل عليها ألف فقاتلهم وحده ليله حتى أصبحوا ومنعهم من حفظها وسدها.

وبعث بنو حنيفة بالفند حين طلب بنو ثعلبة نصرة وقالوا قد بعثنا إليكم ألف فارس وكان يقال له عديد الألف فلما ورد قالوا له أين الألف؟ **قال**: أنا فلما كان الغد وبرز وأحمل على ألف فارس مردف فانتظمهم.

● **المشبه بالأسد**

هو أشد صولة[١] من أسد وأبلغ منعةً من الحصن الحصين:

كالليث لا يُثنيهِ عنْ إقدامهِ   خوفُ الأذى وقعاقِعُ الأعداءِ[٢]

وقال ابن الأعرابي أحسن بيت في الحرب قول الشاعر:

كأنَّ الجوَّ محفوفٌ بِنَارِ   وتحتَ النارِ آسادٌ تزورُ

وقال زهير:

ليث بعثر يصطادُ الرجالَ إذا   ما الليثُ كذبَ عن أقرانه صِدْقاً

وصف أعرابي آخر **فقال**: هو أشد إقداماً من أسد وتوثبا من فهد، واختطافاً من حدأة ومن عقاب ملاح.

● **جَلدٌ ابتلي بمثله**

في المثل:

إن كنت ريحاً فقد لاقيْتَ إعصاراً

وقيل:

إن الحديد بالحديد يفلحُ[٣]

● **المتشمرُ في الشدائد**

قال علقمة:

فلا يغرَّنكَ منّي الثوب أسحبه   إني امرؤ فيّ عند الجدّ تشميرُ[٤]

---

(١) **الصولة**: القهر والسطوة.

(٢) **قعاقع الأعداء**: القعاقع جمع قعقعة وهي تتابع أصوات الرعد في الشدّة وقوله قعاقع الأعداء من باب الاستعارة.

(٣) هذا المثل شبيه بقول القائل: لكل شيء آفة من جنسه... حتى الحديد يسطو عليه المبرد.

(٤) **التشمير عند الجدّ**: التهيّؤ للنهوض لمواجهة الشدائد.

وقال:

طيّات طاوي الكَشح لا ... يُرخي لمُظلمة إزاره[١]

● **المتحمّلُ للشدائدِ الصابرُ لها**

وصف رجل آخر **فقال**: كان ركوباً للأهوال غير ألوف للظلال. **قال أعرابي لوالٍ**: اجعلني زماماً من أزمتك التي تجرّبها العدو فإني ممن يتخذ الليل جملاً في أثر العدو وأتدرع ظلامه لا نكول ولا أكول. وقيل فلان شديد الحجزة أي الصبر على الشدة، **قال الأقرع**:

ونكبةٍ لو رمَى الرامي بها حجَرا ... أصمّ من حجرِ الصوّان لانصَدَعَا[٢]

مرت عليّ فلم أطرحْ لها سلبي ... ولا استكنتُ لَها وهْناً ولا جَزَعَا

وقال الموسوي:

وكمْ عجموني فانسللتُ مهذّبا ... وأثّر عودي في نُيوبِ الأعاجِمِ[٣]

● **الموصوفُ بالقوةِ**

أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلٌ يستحمله فقال له: خذ لك بعيراً فأخذ بذنب بعير من إبل الصدقة فجذبه فاقتلعه فتعجب من قوّته، **وقال**: هل رأيت أقوى منك؟ **قال**: نعم خرجت بامرأة من أهلي أريد بها زوجها فنزلنا منزلاً أهله خلوف، فأقبل رجل ومعه ذود[٤]، فضرب إلى الحوض فساورها[٥] فنادتني فما انتهيت إليها حتى خالطها فجئت لأدفعه عنها، فأخذ برأسي بين جنبه وعضده فما استطعت حراكاً حتى قضى حاجته ثم استلقى. **فقالت المرأة**: أي فحل هذا لو كان لنا منه سخلة[٦] فأمهلته حتى امتلأ نوماً فقمت إليه بالسيف فضربت ساقه فأبنتها فانتبه فتناول رجله فرماني بها فأشواني وأصاب رأس بعيري فقتله. **فقال عمر**: ما فعلت المرأة؟ فقلت: هذا حديث الرجل. فكرر السؤال عليه فلم يزده على هذا فظن أنه قتلها.

وكان الوليد شديد القوة وكان يؤتى بسلسلة من حديد وفيها حبل فيشده في رجله ويؤتى بالدابة فيثب عليها وثبة واحدة ولا يمسها بيده فيقطع السلسلة. **فقال لأصحابه يوماً**: هل تعلمون من هو أصرع مني؟ **قالوا**: نعم رجل بخراسان. فأحضره **وقال**: أريد أن تصارعني وإن حابَيْتني قتلتك فصارعه فحمله ووضعه فوق دسته، **وقال** أنت ههنا أحسن دع رعيتك يتصارعون بين يديك ولا تدخل معهم فيما لك عنه مندوحة.

---

(١) **الطيات**: جمع طية وهي الثنية ـ **الكشح**: من الجسم ما بين السرّة ووسط الظهر.

(٢) **النكبة**: المصيبة الشديدة ـ **الحجر الأصمّ**: الصلب ـ **انصدع**: انشق.

(٣) **عجموني**: أي اختبروا مقدار صلابتي، من عجم العود إذا عضّه بأسنانه ليرى مقدار صلابته.

(٤) **الذود**: الإبل من ثلاثة إلى عشرة.

(٥) **ساورها**: واثبها.

(٦) **السخلة**: ولد الشاة.

قال شاعر:

وما ولدتْ أمّي من القومِ عاجِزاً ولا كانَ ريشي من ذنابى ولا لَغِبِ[1]

- **الممدوحُ بقوة نفسِه دون جسمِهِ**

قيل: الكرام اصبر نفوساً واللئام أصبر أبداناً. **ومنه أخذ أبو تمام قوله:**

والصّبْرُ بالأرواحِ يُعْرفُ فضلُه صبْرُ الملوكِ وليْس بالأجسامِ

وقال:

وإني لأقوى على المَعَالي وما أنا بالقويّ على الصّراعِ

وقال:

لا قوّتي قوّةَ الرّاعي قلائصَه يأوي فيَأوي إليْه الكلْبُ والربعُ[2]

وقال معاوية رضي الله عنه: ما كان في الشبان شيء إلا وكان في منه مستمتع إلا أني لم أكن نكحة ولا صرعة.

- **من لا يتألّمُ من شدّةٍ**

قال:

لا يألم الشرّ حتى يألم الحجر

- **المتبرم للحرب**

قال شاعر:

يا بؤس للحربِ التي وضعت أراهِطَ فاستَراحُوا

وقال:

ما ذاق همّاً كالشّجاع ولا خلا بمسرّةٍ كالعاجز المُتَواني

وقال سيف الدولة:

كأنّما لغزو مفروض علّى سرى من يملك الأرضَ أوْساطاً وأطْرافا

- **فرسانُ العرب**

قال أبو عبيد: فرسان العرب المجمع عليهم: **دريد بن الصمة وعنترة العبسي وعمرو بن معدي كرب.**

وقد عد من أكابرهم عامر بن الطفيل وعتيبة وعنبسة بن الحارث وزيد الفوارس والحراث بن ظالم وعباس بن مرداس وعروة بن الورد.

---

(١) **الذنابى**: ذنب الطائر ـ **اللغب**: الفاسد والقبيح من الكلام.

(٢) **القلائص**: جمع قلوص وهي الأنثى الشابّة، والقلائص من الإبل.

ومن فتاك[1] الجاهلية: الحارث بن ظالم والبراض بن قيس وتأبط شراً وحنظلة بن فاتك الأسدي.

ومن رجالاتهم أوفى بن مطر المازني وسليك بن السلكة والمنتشر بن وهب الباهلي. وكل واحد منهم كان أشد عَدْواً من الظبي وربما جاع أحدهم فيعدو إلى الظبي فيأخذ بقرنه ولا يحملون زاداً. وكان أحدهم يأخذ بيض النعام في الربيع فيجعل فيه ماء ويدفنه في الفلاة حيث يغزو، حتى يكون له في الصيف إذا سلك ذلك الطريق. ومنهم الشنفرى.

● المتفادَى من التعرض له

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: فلان مضغني فلما ضرسته لفظني

طوالُ قنى تطاعِنُها قِصَارٌ ... وقطرُكَ في وغىً وندىً بحارُ

وقال:

إنّ الرماحَ وإن طالَت ذوائبُها ... من العدى تتواصَى عنه بالقِصَر[2]

● من لا يخضعُ في شدةٍ

قيل لأعرابي اشتد به المرض: لو ثبت. **قال**: لست أعطي على الذلّ إن عافاني الله تبت، وإلا أموت هكذا:

لا يخرجُ القسرُ مني غيرَ معصيةٍ ... ولا ألينُ لِمَنْ لا يبتَغي لِيْنِي[3]

وقال شدّاخ:

أبينا فلا نُعطي مليكاً ظلامةً ... ولا سوقةً إلا الوشيجَ المقوّما[4]

وسأل عمر بن عبد العزيز ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير **فقال**: ما رأيت نفساً أثبت من نفسه، مر حجر من المنجنيق وهو قائم يصلّي بين جنبه وصدره فما خشع له بصره ولا قطع قراءته ولا ركع دون الركوع. وعن أمه أنها دخلت عليه في بيته وهو قائم يصلّي فسقطت حية فتطوّقت بابنه هاشم فتصايح أهل البيت بها حتى قتلوها وعبد الله قائم يصلّي فما التفت ولا عجّل. فلما فرغ قال: ما بالكم؟

● المتأنّي

قال خارجة:

قوم إذا شومِسوا لجّ الشماسُ بهم ... ذات العناد وإنْ ياسَرْتَهم يسرُوا[5]

---

(1) **الفتاك**: جمع فاتك وهو الجريء الشجّاع.

(2) **الذوائب**: جمع ذؤابة وهي الشعر المضفور، والذؤابة شعر مقدّم الرأس، وذؤابة الجبل قمته يقال: لأفتلنّ في ذؤابتك أي لأذلنّك.

(3) **القسر**: القهر. (4) **الوشيج**: الرماح.

(5) **شومسوا**: من شامسه أي عاداه وعانده ـ والشماس: الامتناع والإباء والشماس مصدر شمس شموساً وشماساً.

● **الموثِر الموتَ في العز على الحياة في الذلّ**

هـيـمٌ إلـى الـمَـوْت إذا خُـيِّـرُوا ... مـا بـيْـن تـبـعـاتٍ وتـقْـتـالِ[1]

ولما وقعت الهزيمة على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أهاب بالناس ليرجعوا فلم يلووا فانتضى سيفه وقاتل قتال مُسْتَقتل، فقيل له: لا تهلك نفسك ولك الأمان. فتمثل بأبيات قالها الحسين رضي الله عنه يوم قتل وهي:

أذلُّ الـحـيـاةِ وذُلُّ الـمـمـاتِ ... وكـلاً أراه طـعـامـاً وَبِـيْـلا[2]

فـإن كـان لا بـدّ إحـداهـمـا ... فـسيري إلى المـوت سيْراً جـمـيـلاً

وقال أبو تمام:

يـرى الـعـلـقَـمَ الـمأدوم بـالـعزّ أرية ... يـمـانـيـةً، والأريَ بـالـذلّ عَـلْـقَـمَـا[3]

وقال المتنبي:

فـأطـلـبُ الـعِـزّ فـي لـظـىً وذرِ الـذ ... لّ ولـو كـانَ فـي جِـنَـان الـخُـلـودِ[4]

وقال الموسوي:

فعافَ المنايا وامتطى الموتَ شامِخاً ... بـمـارنِ أنـفٍ لا يـذلّ لِـخَـاصِـمِ[5]

وقال منصور بن باذان:

فـعِـشْ مـا تـعـيـشُ عـزيـزَ الـبـقَـاه ... فـعـزّكَ خـيْـرٌ وإن قـيـلَ بَـلْ

فـطـولُ الـحَـيـاةِ عـلـى ذلّـةٍ ... لـعـمـرُك عـنـدي حـياةُ الـسـفَـلْ

وكـلّ مـسـاعٍ لـه هـمّـةٌ ... مـن الـنّـاس إلا قـصـيـرُ الأجَـلْ

● **النهيُ عن مخافة القتلِ والحثّ على تصوّر الموتِ والتمدّح بذلك**

قيل لعلي رضي الله عنه: أتقاتل أهل الشأم بالغداة وتظهر في العشيّ في ثوب ورداء؟ فقال: أبالموتِ أخوّف؟ والله ما أبالي أسقطت على الموت أم سقط الموت عليّ. وقد أحسن المتنبي في قوله:

إذا غـامـرْتَ فـي أمـرٍ مـرومٍ ... فـلا تـقْـنَـعْ بـمـا دونَ الـنُّـجُـومِ

فـطـعـمُ الـموت فـي أمـرٍ حـقـيـرٍ ... كـطَـعْـمِ الـمـوْتِ فـي أمـرٍ عـظـيـمِ

---

(١) هيم إلى الموت: أي عطاش.

(٢) الطعام الوبيل: الذي يخاف وباله أي سوء عاقبته.

(٣) العلقم: الحنظل وهو نبات شديد المرارة ـ الأرية: الشهد ـ يقول إن الحنظل الممزوج بالعزّ كالعسل اليماني إلا أن العسل الممزوج بالذل أشد مرارة من العلقم.

(٤) ذرْ: دعْ.

(٥) مارن الأنف: طرفه، يقال: رمح مارن أي صلب لدن.

وفي قوله:

تـرى الـجـبـنـاء أنّ الـعـجـز عَـقْـلٌ ... وتـلْـك خـديـعـةُ الـطـبْـعِ الـلـئـيـمِ

وقوله:

فـلـو أن الـحـيـاةَ تـبْـقـى لـحـيّ ... لـعـدَدْنـا أضـلّـنـا الـشُـجْـعَـانـا

وإذا لـم يَـكُـنْ مِـنَ الـمـوْتِ بُـدٌّ ... فـمِـنَ الـعَـجْـزِ أن تـمـوتَ جَـبَـانـا

قال أبو فراس:

تـهونُ علـيْنا في المعَـالي نفوسُنا ... ومن خطَبَ العلياء لَم يَغْلُه المَهْرُ[1]

● قومٌ تسلّطَ عليهم القتلُ فلم يُفْنِهِمْ

قال المهلّب: ليس شيء أنمى من سيف. فوجد الناس تصديق ذلك فما نال السيف أنْمَى عدداً وأكرم ولداً منهم قال الله تعالى ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب. وقال الحجاج لامرأة مِنَ الخوارج: والله لأحصدَنَّكم حصداً **فقالت:** أنت تحصد والله يزرع. فأنظر أين قدرة المخلوق مع قدرة الخالق. ولم يظهر من عدد القتلى ما ظهر في آل أبي طالب وآل المهلب وفيهم من الكثرة ما ترى. **قال شاعر:**

إذا فَـرَجَ الـقـتْـلُ عـن غَـيْـظِـهِـمْ ... أبـى ذلـك الـغـيْـظُ إلا الـتـقـافـا[2]

وقيل: أربعة يسرع الخلف إليها الحرق والقتل والتزويج والحج.

● من لم يُبَالِ بأن يُقْتَل

قال عبد الله بن مسعود: عثرت بأبي جهل في الجرحى وقد قطعت يده ورجله، **فقلت:** يا عدو الله وعدو رسوله. **فقال:** سيفك كهام[3] فهاك سيفي فحزَ رأسي[4] من عريشي فإنه أهون عند من يراه.

وأُسِرَتْ أمُّ علقمة الخارجيّة وأُتيَ بها إلى الحجّاج **فقيل لها:** وافقيه في المذاهب فقد يظهر الشرك بالمكر **فقالت:** قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين. **فقال لها:** قد خبطت الناس بسيفك يا عدوة الله خبط العشواء فقالت لقد خفت الله خوفاً صيّرك في عيني أصغر من ذباب وكانت مُنكسة **فقال:** إرفعي رأسك وانظري إليّ فقالت أكره أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه. **فقال:** يا أهل الشأم ما تقولون في دم هذه؟ **قالوا:** حلال. **فقالت:** لقد كان جلساء أخيك فرعون أرحم من جلسائك حيث استشارهم في أمر موسى فقالوا أرجئه وأخاه، فقتلها.

---

(١) **المهر:** الصداق وهو ما يجعل للمرأة من مال لتنتفع به.

(٢) **الالتقاف:** مصدر لقف والتقف الشيء: تناوله بسرعة والطعامَ ابتلعه بسرعة وفهم.

(٣) **السيف الكهام:** غير القاطع. (٤) **حز رأسه:** قطعه.

وكان حكيم بن حنبل قطعت رجله يوم الجمل فأخذها وزحف بها على قاطعها فقتله، وقال:

يـا نَـفْـسُ لا تُـراعـي إنْ قُـطِـعَـتْ كـراعِـي[١]
إنّ مـعـي ذراعـي

وقال أعرابي لابنه وقد قدم للقتل: يا بني أصفف قدميك وأصرز أذنيك ودع ذكر الله تعالى في هذا الموضع فإنه فشل.

- **الجواد بنفسِه في الحرب المستعدُّ للموتِ**

قال بعض بني نهشل:

أنّـا لـنُـرْخِـصُ يـومَ الـرّوعِ أنـفـسَـنـا ولـو نُـسامُ بـهـا فـي الأمْـنِ أغـلَـيـنـا[٢]

وقالت الخنساء:

تُـهـيـنُ الـنـفـوسَ وهـونُ الـنـفـوسِ يـومَ الـكـريـهَـةِ أوفـى لـهَـا[٣]

ونحوه للموسوي:

ولا تـبـذلَـنّ الـنـفـسُ حـتّـى أصـونَـهـا وغـيْـري فـي قـيْـدٍ مـن الـذلّ يَـرْسُـفُ[٤]

وقال آخر:

رخـيـصٌ عـنـدَه الـمُـهَـجُ الـغـوالـي كـأنَّ الـمـوتَ فـي فـكـيّـه شَـهْـدُ[٥]

وقال أبو تمام:

يـسـتـعـذبـونَ مـنـايـاهـم كـأنّـهـم لا يـخـرجـونَ مـن الـدنـيـا إذا قُـتِـلُـوا[٦]

وقال عبد الله بن أبي عيينة:

وإنّـي لِـمَـنْ قـومٍ كـأنّ نـفـوسَـهـم بها أنفٌ أن تسكُنَ اللحمَ والعظْما[٧]

- **تصبّرُ النفسِ في الحربِ**

قال شريح العبسي:

أقـولُ لـنـفـسٍ لا يُـجَـادُ بـمِـثْـلِـهـا أقـلّـي نـزاعـاً إنّـنـي غـيْـرُ مُـدْبـرِ

---

(١) **لا تراعي**: لا تخافي ـ **الكراع**: من الإنسان ما بين ما دون الركبة من مقدّم الساق.

(٢) **يوم الروع**: يوم الهول في الحرب.

(٣) **يوم الكريهة**: يوم الحرب والقتال.

(٤) يفتخر الموسوس بصون نفسه إباءً وشموخاً ويسخر من الضعيف القابع في قيد الذلّ.

(٥) و (٦) و (٧) تشترك هذه الأبيات في امتداح التضحية بالأرواح والمهج أنفة وإباءً مع الاستهانة بالموت حفاظاً على العزّة والشرف.

وقال الفرزدق وقد لقيه أسد:

لما سمعتُ له هماهمَ أجهشَتْ نفْسي إليّ تقول أينَ فِرَاري؟

فربطتُ نفرتَها وقلتُ لها: إصبري وشددتُ في ضنك المقامِ إزاري(١)

وقال أبو تمام:

وحنّ للموت حتّى ظنّ مبصره بأنه حنّ مُشْتَاقاً إلى وَطَنِ

لو لمْ يمُتْ تَحتَ أسياف العدا كرما لماتَ إذ لم يمُت من شدّة الحُزنِ

وقال البحتري:

تسرع حتّى ظنّ من شهدَ الوغَى لقاء أعادٍ أم لقاء حبائبِ

● **المستأنفُ من موته حتف أنفِهِ**

قال بكر بن عبد العزيز:

إنّ موْتَ الفِراش ذُلٌّ وعارُ وهو تحتَ السيوفِ فَضْلٌ شَرِيفُ

وقال عبد الملك الحارثي وأجاد:

وما ماتَ منّا سيد حَتْفَ أنفِهِ ولا طَلَّ منّا حيثُ كان قتيلُ(٢)

تسيلُ على حدّ السيوفِ نفوسُنا وليس علَى غيْرِ السيوف تسيلُ

وقال أبو فراس:

متَى ما يدنُ من أجَلٍ كتابي أمُتْ بينَ الأسنّةِ والأعنه(٣)

وقال الموسوي:

ويستحسنون الموْتَ والموتُ راحةٌ وأتْعَسُ مَيْتٍ مَنْ يموتُ بداءِ

● **مخاوضُ الحرب مقتولٌ لا محالة**

قال تأبّط شراً:

ومن يُغْرَ بالأعداء لا بدّ أنّه سيلقَى بِهم من مصرَعِ الموْتِ مضرعا(٤)

وقال آخر:

ومن يكثر التطوافَ في جند خالدٍ لدَى الروم مضبوباً عليْه دروعُها

---

(١) **ضنك المقام:** ضيق المقام.

(٢) **مات حتفاً أنفه:** أي مات على فراشه وليس في الحرب وساحة القتال.

(٣) **الأسنة:** الرماح ـ **الأعنة:** جمع عنان وهو سير اللجام، والموت بين الأعنة كناية عن الموت في المعركة فوق صهوة الجواد.

(٤) **يغز بالأعداء:** يخدع بهم.

فلا بدّ يوماً أن تحدث عِرسه إذا حدثت يوماً حديثاً يروعُها[١]

قال ابن الرومي:

ومنْ لا يزل ستينَ يوْماً فريسَةً يرى قمنا أن لا يرَى منه سالِما

وقال آخر:

إن الشجاعَة مقرونٌ بها العَطَبُ

● **قصدُ العدا مجاهرةً**

أشار على الإسكندر أصحابُه أن يبيت الفرس، **فقال**: ليس من الإنصاف أن أجعل غلبتي سرقة.

قال المتنبّي:

إذا انتقمُوا أعلنُوا أمرَهم وإن أنعَموا أنعمُوا باكتِتامِ[٢]

وقال السريّ:

ويجعل بشْرَه نذر الأعادي فيبعثُها يميناً أو شمالاً

ولم ينزهم مقة ولكِن ترفّع أن ينالَهم اغتيَالا[٣]

● **الفتكُ**

وما أنفكّ ما شَاورت فيه ولا الذي تخبرُ من لاقيْت أنك فاعلُهْ

قال الحارث بن ظالم:

علوتُ بذي الحيّات مفرقَ رأسِه وهل يركَب المكروهَ إلا الأكارمُ

فتكْتُ به لمّا فتكْتُ بخالد وكان سِلاحي يختويه الجماجمُ

● **المتعوّدُ ملازمةَ الحربِ والأمكنةِ**

قال أبو تمّام:

لحياضها متورّدٌ ولخبْطها متعوّد وبدرّها ملبونُ[٤]

قال ربيعةُ بن مقروم:

وثغر مخوف أقمْنا به يَخَافُ به غيرُنا أن يُقِيْمَا[٥]

---

(١) **العرس**: الزوجة.

(٢) **أنعموا باكتتام**: أي سراً، كناية عن عدم التبجح بالعطاء والبذل.

(٣) **المقة**: الحبّ مصدر ومق يمق مقّة فلاناً أحبّه.

(٤) **حياضها**: يريد حياض الحرب، والحوص أصلاً مجتمع الماء، استعارة للحرب وحوض الحرب مجتمع الدم - **الخبط**: الضراب - **الدرّ**: اللبن ودرّ الحرب استعارة.

(٥) **الثغر**: الموضع الذي يخشى دخول العدو منه.

● **الضاحكُ في الحربِ والعابسُ فيها**

توصف الحرب تارة ببشاشة الوجه وطلاقته نحو **قول النميري**:

يَفْتَرُّ عندَ لقاءِ الحرب مبتسماً ... إذا تغيّر وجهُ الفارسِ البطلِ

وقول صاحب البصرة:

كأنّ دنانيراً على قسماتهم ... إذا الموتُ للأبطال كان نخّاسا[1]

وقال الموسوي:

إذا عصفَرَ الخوفُ ماءَ الوجوه ... تراهَا من الخوْف حمر الوسامِ[2]

وتوصف تارة بالعبوس، **قال أبو تمام**:

قد قلصت شفتاه من حفيظَته ... فخُيِّلَ من شدّة التعبيس مُبْتَسِمَا[3]

● **المقاتلُ عن حريمِهِ**

ليم الاسكندر في مباشرته الحرب بنفسه **فقال**: ى ليس من الإنصاف أنيقتل قومي عني وأترك المقاتلة عنهم وعن أهلي ونفسي، **قال عنترة**:

ومرقصة رَدَدْتُ الخيْلَ عنْها ... وقد همّت بإلقاء الزمامِ

وقيل للحسن: ما تقول فيمن سبي امرأة ولها زوج؟ وكان عنده الفرزدق، **فقال**: هل قلت في هذا شيئاً؟ **قال نعم**:

وذات حليل أنكحتْها رمَاحُنَا ... جهَاراً بأيْدينا ولمّا تطلّق[4]

فقال الحسن: أصبت كنت أرى أنك أشعر مني فإذا أنت أفقه، **قال شاعر**:

يا رب من يبغض أذوادَنا ... رُحْنَ على بغضائه واغتدَيْنَ

لو نَبَتَ المرعى على أنفِهِ ... لرحْنَ منه أصلاً قد رَعَيْنَ

قال سلم الخاسر:

يرمي الفجاج به أغرّ محجّلاً ... جعلَ السيوفَ مناكِحاً وَطَلاقَا[5]

أخذه من مسلم:

إذا ما نكحْنا الحربَ بالبيضِ والقنا ... جَعَلْنَا المنايا والرماحَ طلاقَا

---

(١) **القسمات**: أمارات الوجه ـ **النخّاس**: بائع العبيد، شبّه به الموت بجامع البيع.

(٢) **عصفر الخوف الوجه**: جعله أصفر اللون.

(٣) **قلصت أو تقلصت**: انكمشت ـ **الحفيظة**: الذّود أو الذّب عن المحارم ـ **خُيِّل**: ظُنّ ـ **التعبيس**: تقطيب الوجه.

(٤) **الحليل**: الزوج.

(٥) **الفجاج**: جمع فجّ وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين.

قال زياد الأعجم:

صفان مختلفان، حين تلاقيا ... آبا بوجه مطلّق أو ناكحِ

● **سدُّ الثغورِ**

قال دعبل:

هو الجاعلُ البيضَ القواطعَ والقنا ... كعاماً لأفواه الثغورِ الفواغِرِ(١)

● **قصدُ الغاراتِ بالإبل والإفراس**

كان العرب إذا قصدوا غارة ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فإذا انتهوا إلى المعركة ركبوا الخيل، **قال شاعر**:

أولَى فأولى بامرئِ القيس بعدما ... خصفْن بآثار المطيّ الحوافر

وذكر أعرابي قوماً تبعوا ناساً أغاروا عليهم **فقال**: احتشوا كل جمالية عيرانة.

فما زالوا يخصفون أخفاف المطيّ بحوافر الخيل حتى أدركوهم بعد ثلاثة فجعلوا المران أرشية الموت فاستقوا به أرواحهم، **قال الشريف الموسوي**:

إذا مشقَ الحتْف فوق البطا ... حِ وقعَ فيهنّ بالحافِر

● **المعاودُ للغاراتِ الجاني للحروبِ**

قال الحارث بن أبي شمر:

ما إن تجفَّ لبودُها من غارةٍ ... حتّى تعاودَ للحروب غوائِرا

وقيل: فلان يلقح الحرب الكشاف ويمتري من درّها السمّ الرعاف.

قال بشّار:

إذا الحرْبُ قامَتْ بهِم شمّروا ... وكانُوا أسنّةَ خُرْصانها(٢)

● **المستنكفُ من السلب**

قال أعشى همدان:

وأرى مغانمَ لو أشاء حَوَيْتُها ... فيصدّني عنها حياً وتَعَفُّفُ(٣)

وقتل أمير المؤمنين رجلاً فأراد قنبر أن يأخذ سلبه **فقال**: يا غلام لا تعر فراسي، **قال عنترة**:

أغشى الوغى وأعفُّ عند المَغْنَم

---

(١) **البيض القواطع**: السيوف ـ **القنا**: الرماح ـ **الكعام**: من كعم البعير شدّ فمه لئلا يأكل أو يعضّ ـ **الثغور الفواغر**: الأفواه المفتوحة.

(٢) **الخرصان**: الرماج جمع خِرْص والخُرص بالضم الحلقة من ذهب أو فضّة.

(٣) **حياً**: أي حياء ـ **التعفف**: الترفع والإباء.

وقال آخر:

يغشى العَوالي ولا يلْوي على سَلَبِ[1]

قال أبو تمام:

إن الأسودَ أسودُ الغابِ همّتُها   يَوْمَ الكريهَةِ في المسلوبِ لا السَلبِ[2]

● **العاجزُ أعاديه عن إصلاحِ ما أفسده وعكسهُ**

قال علي بن جبلة:

يأسو الذي يجرحُ أعداؤه   وما لهُم من جرحه آسِ

قال الكميت:

لا يهدم الناسُ ما تبْني أكفُّهمُ   من الفِعَال ولا يبنون ما هدَموا

قال المتنبي:

لا يجبرُ الناسُ عظماً أنتَ كاسرُهُ   ولا يهِيضون عظماً أنت جابرُهُ[3]

قال أشجع:

ولا يرفعُ الناسُ من حطّه   ولا يضعُ الناسُ من يرفعُ[4]

● **وصفُ الشبانِ والكهولِ في الحرب**

قال رجل لرجل: لأغزونّك بمرد على جرد، فقال: لألقينّك بكهول على فحول

● **تفضيلُ الشبانِ في الحربِ**

قال طاهرُ بن الحسين:

هيبٌ إذا لمْ يكُن جرب بمكتهلٍ   مجرب قوله يكْفي منَ العَمَلِ[5]

واغشى اللقاء إذا كانَ اللقاءُ به   سفكَ الدما بحديثِ السنّ مقتبلِ

فإنّ ذا السِنّ يلْقَى حتْفَه أبداً   ممثلاً بيْنَ عينيْه من الوَجَلِ[6]

وذو الشباب له شأوٌ يماطلُه   فلا يزالُ بعيدَ الهَمّ والأمَلِ[7]

● **الخيولُ السريعةُ في الحربِ**

قال بعضهم:

جنّ الرجالِ على ظُهور سَعالي[8]

---

(١) **العوالي**: الرماح ـ **السلب**: الغنائم في الحرب.   (٢) **يوم الكريهة**: الحرب.

(٣) **يهيضون**: يكسرون.   (٤) **حطّه**: خلاف رفعه أي دفعه إلى أسفل.

(٥) **المكتهل**: الذي صار كهلاً، **والكهل** ما كانت سِنّه ما بين الثلاثين والخمسين ـ **المجرّب**: ذو التجربة الخبير

(٦) **الوجل**: الخوف الشديد.   (٧) **الشأو**: الأمد، الغاية.

(٨) **السعالي**: جمع سعلاة، وهي أنثى الغول، وهو حيوان لا وجود له.

قال كثيّر:

صـقـورٌ عـلـى أثْـبـاجِ جـرْد قـوابـس — وأسـدٌ إذا مـا كـانَ يـومَ نـزولِـهـا[(١)]

وقال المتنبي:

إيّـاهـم جـثـوا الـعـجـاجـة والـقَـنـا — سنابكُها تخشو بُطُوْنَ الحَمالقِ[(٢)]

- **تعويدُ الفرس في حبسه في المَعْرَكَةِ**

قال النابغة:

ونـحـنُ أنـاسٌ لا نـعـودُ خـيْـلـنـا — إذا مـا الـتـقَـيْـنـا أن تـحـيـدَ وتـنـفـرَا
وتُـنْـكَـرُ يـومَ الـرّوْعِ ألـوانُ خـيـلـنـا — من الطعْن حتّى تحسبَ الجونَ مشقَرَا
فـلا نـحْـن مـعـروفٌ لـنـا أن نـرذهـا — صِـحـاحـاً ولا مـسـتـنـكـرٌ أن تـعـقـرا

وقال أبو تمّام:

تـقـاسـمْـنـا بـهـا الـجـرْدَ الـمـذاكـي — سـجـال الـكـرّ والـدأب الـعـتـيـدِ
إذا خَـرَجَـتْ مـن الـغـمَـراتِ قُـلْـنـا — خـرجَـت حـبـائـسـاً إنْ لـمْ تـعُـودي[(٣)]

- **كثرةُ الجيش**

كـجـنْـحِ الـلـيـل أردفَ بـالـغـيـوم — آخـر بـجـمـهـور يـحـارُ الـطّـرفُ فـيـهِ
يـظـل مـعـضـلاً فـيـه الـفـضـاء

قال صاحب البصرة:

بجَمْعٍ مثل سدلِ الليل منظومٍ منَ الربد[(٤)]

وقال المتنبي:

بجيش لهامٍ يشغلُ الأرضَ جمعُه — عـن الـطـيـر حـتّـى مـا يَـجِـدْنَ مَـنَـازِلا

وقال السريّ:

ومـلـومـةِ الأقـطـارِ حـشـو فـجـاجُـهـا — عـنـاقُ الـمـذاكـي والـوشـيـج الـمـقـوّم

قال المتنبي:

قـشـيـر وبـلـعُـجْـلان فـيـهـا خِـفْـيَـة — كـراءَيْـن فـي ألـفـاظ ألـثـغَ نـاطـقِ[(٥)]

---

(١) **الأثباج**: جمع ثبج وهو أعلى الموج، وأثباج الجرد صهوات الخيل.

(٢) **العجاجة**: الغبار، ولا سيّما غبار المعركة.

(٣) **الغمرات**: الشدائد، جمع غمرة.

(٤) **سدل الليل**: ستار اللّيل المظلم ـ الربدة: الغبرة، والربد: النبت.

(٥) **الألثغ**: الثقيل اللسان بالكلام والذي ينطق بالسيف كالثاء أو بالراء كالغين أو الياء.

وقيل: زحف ككرّ العارض[1] المنهلّ وكدفاع الآتيّ[2] المرسل فهو يتطالع من غور[3] وأنجاد ويظهر من اقتراب وابتعاد

وكالسيل أو كالليلِ أو عددِ الحَصَى   سالَتْ بطاحُهم بالجُرْد اللهاميمِ[4]

● **كثرةُ الجيشِ والأسلحةِ**

بذي لجب أزبّ من العوالي

قال النجاشي:

وعراصة برّاقة ضوؤها دمٌ   يكشفُ عن برْقٍ لها الأفْقَانِ

وقال قيس بن الحطيم:

إنك تلْقى حنظلاً فوْقَ بيْضِنا   تدحرجَ عن ذي ساحَةِ المتقارِبِ

وقال المتنبي:

يمنَعُها أن يصيبَها مَطَرٌ   شدّةُ ما قدْ تضايَق الأَسَلُ[5]

(٢)

وممّا جاءَ في التهديدِ

●

● **من هدّدهُ السلطانُ فاستعانَ بالله**

لقي الحجّاج محمد بن الحنفية **فقال له**: نفسك فلأريقنّ دمك، **فقال محمّد**: إن لله في كل يوم كذا كذا ألف نظرة يقضي في كل نظرة كذا كذا ألف أمر فعسى أن يشغلك بأمره.

● **من هدده سلطانٌ فاعتذر وأظهرَ المخافةَ**

كتب ذو الرياستين إلى طاهر بن الحسين: يا نصف إنسان، والله لئن أمرت لأنفذنّ، ولئن أنفذت لأبرمنّ، ولئن أبرمت لأبلغنّ. فأجابه طاهر: أنا أعزّك الله كالأمة السوداء إن حمل علينا تدمدمت وإن رفّه عنها أشرت، وإن عوقبت فباستحقاق، وإن عُفِيَ عنها فبإحسان.

● **تَهْدِيدُ سلطانٍ شديد الوطأةِ**

خطب الحجاج فقال: أيها الناس من أعياه داؤه ومن استعجل أجله، فعلّي أن أعجله

---

(١) **العارض**: السحاب المعترض في الأفق أو الجبل.

(٢) **الأتيّ**: السيل القوي.

(٣) **الغور**: الأرض المنخفضة والأنجاد جمع نجد وهو المرتفع من الأرض.

(٤) **الجرد**: الخيل ـ **اللهاميم**: جمع لهميم وهو الجواد السابق، واللهميم الجيش العظيم.

(٥) **الأسل**: الرماح.

إن الحزم والجد ألبساني سوء ظني وجعلا سيفي سوطي، فنجاده في عنقي وقائمه في يدي.

وقطع بنو عمرو بن حنظلة الطريق فكتب إليهم: أمّا بعد فإنكم استنكحتم السمن فنسلتم الفتن، وإني أقسم بالله لئن عاودتم الظلم وسعيتم في الإثم لأبعثنّ إليكم خيلاً تدع نساءكم أيامى وأولادكم يتامى. فأيما رفقة وردت ماء قوم لكم فأهل الماء ضامنون لها إن تجاوزتهم إلى ماء غيرهم تقدمة مني إليكم وإنذاراً لكم فالانتقام يعقب العفو والإنذار لا بقية معه والسلام.

وأحضر عبد الملك بن صالح للرشيد من حبسه فلما مثل بين يديه أنشد الرشيد:

أريد حياتَه ويريد قتلي ... عذيرك من خليلك من مرادِ

والله لكأني أنظر إلى شبوبها وقد همع، وإلى عارضها وقد لمع، وكأني بالوعيد وقد أورى ناراً فأقلع عن براجم[1] بلا معاصم، ورؤوس بلا غلاصم[2] مهلاً بني هاشم فبي سهل الوعر وصفا الكدر وألقت إليكم الأمور آنفاً أزمتها، فحذار من حلول داهية خبوط باليد، لبوطٍ بالرجل. فقال عبد الملك: اتقِ الله فيما ولاك، وراقبه فيما استرعاك ولا تجعل الكفر موضع الشكر، والعقاب موضع الثواب ولا تقطع رحمك بعد صلتها وقد جمعت القلوب على محبتك، وأذللت هِمم الرجال لطاعتك، وكنت كما قال:

ومقام ضيقٍ فرجتَه ... بلسان وبيانٍ وَجَدل[3]

ولو يقومُ الفيلُ أو فياله ... زلّ عن مثل مقامي وزَحَل

● **حتّ من تعرض لك أن يجر بك**

قال جرير يخاطب عياش بن الزرقاني:

أعياشُ قد ذاقَ المنون مرارَتي ... وأوقدت ناري فَاذنُ ويْلك فاصْطَلِ[4]

قال ابن أبي عيينة:

سيعلمُ إسماعيلُ أنّ عداوتي ... لها ريقُ أفعى لا يُصابُ دواؤُها

قال سنان بن أبي حارثة:

قلْ للمقوم وابن هندٍ بعدَهُ ... إن كنتَ رائِمَ عزّنا فاستقدم[5]

تلقَى الذي لاقَى العدوّ وتصطبح ... كأساً صبابتها كسُمِّ العلقمِ[6]

---

(١) البراجم: مفاصل الأصابع جمع برجمة، والبراجم قوم من تميم.

(٢) الغلاصم: اللحم بين الرأس والعنق.

(٣) البيان: البلاغة وقوة الإفصاح. (٤) اصطلى: استدفأ.

(٥) رأم يرأم فهو رائم: أصلح، والجرحَ: عالجه حتى برأ.

(٦) الصُّبابة: بقية الماء ونحوه في الإناء ـ العلقم: الحنظل، والمرارة الشديدة.

● من أوعدَ وقدّم الأنذار

كتب إبراهيم بن العباس الصولي إلى أهل حمص: أما بعد فإنّ أمير المؤمنين يرى من حق الله تعالى استعمال ثلاث تقوم بعضهن على بعض: الأولى تقديم تنبيه وتوقيف ثم ما يستظهر به من تحذير وتخويف، ثم التي لا ينفع لحَسْم الداء غيرها:

أنـاةٌ فـإن لـمْ تـغـنِ عـقـب بـعـدَهـا ... وعـيـدٌ فـإنْ لـم يـجـدِ أغنت عزائمُه

وقال آخر:

لـئِـن عـدت والـلّـهِ الـذي أنـا عـبْـده ... منحتُكَ مصقولَ الغرارَيْن أبرَقَا[1]

فإن دواء الـجـهْـل أن تـضـربَ الـطُّـلـى ... وأن يغمسَ العريضُ حتّى يغرَقَا[2]

قال الموسوي:

فـهـذا دواءُ سـطْـوتـي مـن ورائـه ... وعـنـوانُ نـاري أن يـبـيـنَ دُخـانِـي

● من أوعدَ صاحبَه على أن يحملَهُ على حالةٍ صعبةٍ

قال سنان بن أبي حارثة:

وإنّـي لـشـرُّ الـنّـاسِ إن لـمْ أَبُـثّـهُـم ... عـلـى آلـةٍ حـدبـاءَ نـاتـئـةِ الـظـهْـرِ[3]

قال ابن أبي عيينة:

دعْـــنـــي وأبـــا خـــالـــدِ ... فـلأقْـطَـعَـنْ عُـرَى نِـيـاطِـه[4]

قال عبد المدان:

ولـسْـتُ لـحـرّةٍ إنْ لـمْ تـرَوْنـي ... أمـرُّ لـكُـم قـوى أمْـرٍ جَـسِـيـمِ

وقال آخر:

ذرُونـي ذرُونـي مـا كـفـفْـتُ فـإنّـنـي ... متَى ما تهيجوني تميدُ بكُمْ أرضي[5]

وأنـهـضُ فـي سـرْد الـحـديـدِ عـلـيْـكـم ... كتائبَ سوداً طالَما انتظرَتْ نَهْضِي

● من يناوبه منْ لا يُبالي به

أبرقَ رجل لآخر وأرعد فلما زاد أنْشَدَ:

قدْ هَبّتِ الريحُ طولَ الدّهرِ واختلفَتْ ... علَى الجِبالِ فما نالَتْ رواسيها[6]

---

(١) الغرارانِ والغرارين: الغرار حدّ السيف.

(٢) الطّلى (بضم الطاء): الأعناق جمع طلاة وطُلية.

(٣) ناتئة: بارزة.

(٤) النياط: عرق غليظ متصل بالقلب، والنياط الفؤاد ومعلّق كلّ شيء.

(٥) تميد الأرض: تزلزل.

(٦) الرواسي: الجبال الراسخة.

وقال الفرزدق:

مـا ضـرّ تـغـلـبَ وائِـلٍ أهَـجَـوْتَـهـا ... أمْ بـلْـتَ حـيـثُ تـنـاطَـح الـبـحـران

وقال:

وكـانَ كـكَـلـبٍ حـيـنَ يـنـبَـح كـوكَـبـا

وقال ابن المعتز:

وكـنـتَ كـرامـي كـوكـبٍ بـبُـصـاقِـه ... فـردَ عـلـيـهِ وبـلّـه ومـواطِـرَه[١]

● **تهدّد من لا يبالي بتهدّده**

قال مقاتل بن مسمع لعباد بن الحصين: لولا شيء لأخذت رأسك. **فقال:** أجل ذلك الشيء سيفي. وقال:

تـواعِـدُنـي لـتَـقـتُـلَـنـي نُـمَـيـرٌ ... متـى قَـتَـلَـتْ نـمَـيْـرُ مَـنْ هـجَـاهـا[٢]

قال ابن أبي عيينة:

فـدعِ الـوعِـيـدَ فـمـا وعـيـدُك ضـائِـري ... أطـنـيـنُ أجـنِـحَـةِ الـذّبـابِ يُـضِـيـرُ[٣]

قال جرير:

زعـمَ الـفـرزدق أن سـيـقـتـلَ مـربـعـاً ... أبْـشِـرْ بِـطُـولِ سلامَـةٍ يـا مَـرْبـعُ[٤]

وقال آخر:

تـعـرّضُ لـي ذبـيـانُ مَـنْ لَـوْ لـقـمـتـه ... بـيـومِ بـرازٍ لـم يـسُـدَّ لـهَـاتـي

لـو ان هـبـوبَ الـريـحِ يـجـعـلُـكـم قـذىً ... لأعـيـنِـنـا مـا كُـنْـتُـمْ بـقَـذاةِ

واجتمع قوم على قدري بنعالهم **فقال:** والله لأملأنها عليكم خيلاً. فقال له أبوه: رجالك أنا وخيلك حمارك فبِمَ تصول؟

وكتب بعض الكتاب: أتهذر بي ومالك من المقدار ما كوطأة ذرّة على صلد صخرة؟ ومن فصل لابن أبي البغل وما الذباب وما مرقبه ومتى ساءت الجماء ناطحت القرناء والفراش لعبت بالنار والسانح قابلت الدبور والمهيج تعرض لريب المنون، والأعناق مالت إلى السيوف، والآجال اغترت بالحتوف ومتى ساء أبو الفضل تعرض لابن أبي البغل.

---

(١) **البصاق:** الريق الذي يطرح من الفم ـ **الوبل:** المطر الشديد.

(٢) **تواعد:** تهدّد ـ **نمير:** قبيلة ـ يسخر من توعد بني نمير لأنهم ضعفاء لا يقوون على الانتقام أو ردّ الأذى.

(٣) **يضير:** يؤذي أو يسبب ضرراً.

(٤) يهزأ جرير بالفرزدق وينعته بالجبن وأنه غير قادر على النيل من عدو، وأنه إذا هدّد بقتل أحدٍ كان هذا تبشير، بطول سلامته لعجزه عن قتله.

● **من يتهدّدُ بظهر الغيبِ ولا يُغني غَناء**

وقال عنترة:

وموعِدينَ بظَهْرِ الغيبِ من شمس إذا التقيْنا نَبَتْ عنّي مكَاويها[(١)]

وقال آخر:

كالصّدى يُسْمَعُ منه صوتُه فإذا طلبتَه لم يَسْتَبِن

وقال بعض الندماء:

مالك أصرة إلا وعيدٌ وهمهمَةٌ كمَا رعد الخَريفُ

وقال عنترة:

ولقَد خشيتُ بأنْ أموتَ ولم تدُرْ للحَرْب دائِرةٌ على ابنَي ضُمْضُمِ[(٢)]

الشاتِمَيْ عِرْضي ولمْ أشتمْهُما والناذِرَيْن إذا لقيتُهما دَمِي

وَحُكِيَ عن أبي عمرو بن العلاء **قال**: انصرفت من الجامع في الهاجرة فلقيني عيّار قد جرد سكيناً فوضعها اتجاه قلبي **وقال**: كيف تروي بَيْتَيْ عنترة فأنشدتهما كما تقدم **فقال**: والله لولا أخشى أن أفجع فيك أهل الأرض لقتلتك ما كان عنترة يستجدي هذا الاستجداء إنما **قال الطائيّ**:

الشّاتمي عرضي بما هو فيهما والناذِرَيْن إذا لقيتُهما دمي[(٣)]

وقال أبو زيد:

تبادروني كأنّي في أكُفّهِم حتى إذا ما رأوني خالِياً فزِعوا

وقال القرمطيّ:

تتَمانَى إذا لم ترَني فإذا جئتُ قطعْتَ القَنْطَرَه

يا بني عبّاس منْ ينصرُكم أصَبِيٌّ أم خصِيٌّ أم مرَهْ

● **قلّةُ غناءِ الوعيد**

قيل: الصدق ينبىء عنك لا الوعيد، **قال شاعر**:

مهْلاً وعيدي مهْلاً لا أبا لكُم إنّ الوعيدَ سلاحُ العاجزِ الحمقِ

قال النجاشي:

أبلِغ شُجاعاً أبا خولان مألُكَةً أنّ الكتائِبَ لا يُهزَمْنَ بالكُتُبِ[(٤)]

---

(١) **نبت عنّي**: ذهبت بعيداً.

(٢) **ابنا ضمضم**: هما اللذان قتل عنترة أباهما فتهدّداه بالقتل.

(٣) **نذر دمه**: توعّده بالقتل. (٤) **المألكة**: الرسالة.

وقيل: من علامات العاقل ترك التهدد قبل إمكان الفرص وعند إمكانها الوثوب مع الثقة بالظفر.

(٣)
وممّا جاءَ في فضلِ الأسلحةِ والمتسلحةِ

•

قال النبي ﷺ: إعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. **وقيل**: السيف حرز إذا جرّد وهيبة إذا أغمد. **وقيل**: الشرف مع السيف.

وقال جعفر بن محمد السيف مفتاح الجنة والنار، ووصفه بعضهم **فقال**: رئيس لهوه قطف الرؤوس ضحوكٌ عبوس وهزله خطف النفوس، **قال أبو تمّام**:

ولَيسَ يُجلي الكرب رأيٌ مسددٌ إذا لَمْ تؤانِسْه بسَيفٍ مُهَنّدِ[١]

قال المتنبي:

ومنْ طلبَ الفَتحَ الجَليل فإنّما مفاتيحُهُ البِيْضُ الخِفافُ الصَوارِمُ[٢]

وقال:

والمشرفيّةُ - لا زالَت مشرفَةً - دواءُ كلّ كريمٍ داؤه الوجَعُ[٣]

• **تفضيلُ السيفِ على القلمِ**

قال المتنبي:

حتّى رجعتُ وأسيافي قوائلُ لي المجْدُ للسيفِ ليْس المجْدُ لِلْقَلَمِ[٤]
أكتُبْ بنا أبَداً بعْدَ الكِتابِ بهِ فإنّما نحْن للأسيافِ كالخَدَمِ

قال أبو تمّام:

السيفُ أصدَقُ أنباءً من الكُتُبِ في حدّه الحدُّ بين الجِدّ واللّعِبِ[٥]

وفي ضده قيل للكاتب: إلى مَ تدل بهذه القصبة **فقال**: هو قصب ولكنه يقطع العصب إن القلم يرد قضاء السيف ويفسخ حكم الحيف ويؤمن مسالك الحوف.

---

(١) **الكرب**: الحزن والغمّ الشديد. (٢) **البيض الخفاف**: السيوف - **الصوارم**: السيوف القاطعة.
(٣) **المشرفية**: السيوف.
(٤) **يقول**: إن المجد للسيف وليس للقلم، جاعلاً القوة في هذا السياق فوق الأدب والمعرفة.
(٥) هذا البيت من قصيدة لأبي تمّام في مدح المعتصم العبّاسي الذي هاجم الروم في عمورية وافتتحها غير آبه بقول المنجمين الذين نصحوه بالإحجام عن غزوها، والشاعر يقول بأن الكلمة للسيف وليست كتب المنجمين، فالسيف هو الذي يرسم الحدّ الفاصل بين الجد واللعب.

● مَنْ في سيفِه ورمحِه الموتُ

قال صاحب البصرة:

حُـسـامٌ غـداةَ الـرّوْعِ مـاضٍ كـأنّـهُ   مِنَ الموْتِ في قبْضِ النّفوسِ رسولُ[(١)]

وقال ابن حاجب:

لو قيلَ للمَوْتِ انتسِبْ لم ينتسِبْ   يـومَ الـوغـى إلاّ إلـى صَـمْـصَـامِـه[(٢)]

قيل في وصف رجل: سيفه تؤمن ثنايا الموت إليه ويعوّل في قبض الأرواح عليه:

سـيـوفُـهُـمْ يـومَ الـوَغـى   يَـلْـعَـبْـنَ بـالأرْواحِ

وقال ربيعة بن مقرم:

وإنـي لَـمِـنْ قَـوْمٍ تـكـونُ رمـاحُـهـم   لأعدائهم في الحرْب سمّاً مقشبا

وقال ابن المعتز:

لـنَـا صـارمٌ فـيـه الـمَـنَـايـا كـوامِـنٌ   فـمَـا يُـنْـتَـضـى إلاّ لـسَـفْـكِ دمـاءِ[(٣)]

● السيوفُ الماضيةُ

قيل: كيف وجدت سيفه؟ **فقال:** هو على الأرواح كالأجل المتاح.

قال إسحاق بن خلف:

ألْـقَـى بـجـانـب أخْـضـر   أمْـضَـى مـنَ الأجَـلِ الـمُـتـاحِ
وكـأنّـمـا ذرّ الـهَـبـا   ءُ عـلـيْـه أنـفـاس الـرّيـاحِ

وقال يعقوب الأخطل:

بـكـلّ حُـسـامٍ كـالـعـقـيـقـةِ صـارمٍ   إذا قـدّ لـمْ يـعـلَـقْ بـصـفـحَـتِـه دَمُ

قال المتنبي:

قـواضٍ مـواضٍ نـسـجُ داود عـنْـدهـا   إذا وقـعَـتْ فـيـهِ كـنَـسْـجِ الـخـزرنـقِ[(٤)]

قال البحتري:

يغشى الوَغَى والترسُ ليسَ بجنّة   مـن حـدّه والـدرْعُ لـيْـس بـمـعـقِـلِ
مصغٍ إلى حكْم الردى فإذا مضَى   لـم يـلْـتَـفِـتْ وإذا قـضَـى لـم يـعـدلِ
وإذا أصـابَ فـكـلّ شـيءٍ مـقـتَـلٌ   وإذا أُصـيـبَ فـمـا لـهُ مـن مَـقْـتَـلِ

---

(١) و (٢) **الحسام والصمصام:** من أسماء السيوف.

(٣) **الصارم:** السيف القاطع ـ **كوامن:** كامنة مختبئة ـ **ينتضى:** يستلّ ويشهر.

(٤) **الخزرنق:** ضرب من الثياب (فارسي) وفي رواية الخذرنق (بالذال وهو العنكبوت وروي بالدال الخدرنق).

● السيوفُ المصقولةُ

قال بعضهم:

وإذا ما سللته بهرَ الشمْسَ شُعَاعاً فلمْ تكَدْ تستَبينُ
وكأنّ الفرندَ والرونَقَ البا دي على صفحتَيْه ماءُ معينُ[1]

● غيرُ المصقولةِ

كأنّ في متنه ملحاً وقد نُثرا

وقال آخر:

كأنّ علَى مواقِعِه غُبَارا

● السيوفُ اللامعةُ المهتزةُ

قال قيس:

بسيفٍ كأنّ الماءَ في جنبَاته محَاديرُ غيْمٍ أو قرونُ جنَادبِ[2]

وقال المتنبي:

فكأنّ برْقاً في متون غمَامَة هنديَّةٍ في كفه مسْلولا[3]

وقال ابن هرمة:

شهابٌ زهَتْه الريحُ في كفّ قابسِ

وقال سلم الخاسر:

وكأن السيوفَ والنَّقْعُ عالٍ شُهبُ نَارٍ في ساطِعٍ ودُخانِ[4]

وقال ابن المعتز:

في كفه عَضْبٌ إذا هزّه حسِبْتَهُ من خوفِهِ يَرْتعِدُ[5]

● السيوفُ المتفللةُ من الضربِ

قال النابغة:

ولا عيْبَ فيهم غيْرَ أنّ سيوفَهم بهنّ فُلول من قِرَاعِ الكَتَائِبِ[6]

قال دعبل:

إذا النّاس جلوا باللجَيْن سيوفَهم ردَدْتُ السيوفَ بالدّماء حَواليا[7]

---

(١) الفرند: جوهر السيف.
(٢) الجنادب: الجراد.
(٣) مسلولاً: مجرّداً ومشهوراً.
(٤) النقع: الغبار.
(٥) العضب: السيف القاطع.
(٦) الفلول: جمع فلّ وهو الثلم في حدّ السيف.
(٧) اللجين: الفضة.

وبضدّه هجاء عمارة بن عقل:

ولا عيبَ فيهِ غيرَ أن جيادَه مسلمةٌ ليستْ بهنّ كُلُومُ[1]
وأسيافُهُ لم تدرِ ما طعمُ ضربةٍ فهنّ صحاحٌ ما بهنّ ثُلُومُ

● **السيوفُ المتضرّجةُ بالدمِ**

قال علي بن عاصم:

سمرٌ وبيضٌ إن عرينَ تسربلتْ بدلَ الجُفُونِ جماجمُ الأبطالِ
أوردتهنّ تواضعاً لُجَجَ الرّدى فصدرْنَ في قمصٍ من الجِريالِ[2]

● **السيوفُ المتضرجةُ بدم المحارب المترشحة مسكاً من يد المحارب**

وقال بشار:

وبيضٌ بها مِسْكٌ للمسنِ أكفِّهم على أنّها ريحُ الدّماءِ تضوّعُ[3]

وقال ابن المعتز:

مقابضُها مسكٌ وسائرُها دَمُ

وقال آخر:

بسيفِهِ مسكٌ وتامورُ[4]

وقال الرفاء:

يكسوهُ من دمِهِ ثوباً ويسلُبُهُ ثيابَه فهو كاسيهِ وسالِبُهُ

● **مشاهيرُ السيوفِ**

قال عبد الملك بن عمير: أهدت بلقيس إلى سليمان عليه السّلام سبعة أسياف: ذا الفقار وذا النون، وضرس الحمار، والكشوح، والصمصامة، ومخذماً، ورسوباً. فأمّا ذو الفقار فصار لرسول الله ﷺ وكان لمنبه بن حجّاج، فقتل يوم بدر فاصطفاه النبي ﷺ. والصمصامة وذو النون لعمرو بن معدي كرب، ومخذم ورسوب، للحارث بن جبلة الغساني ولم يذكر الكشوح.

● **طولُ الرماحِ**

قال طرفة:

كأنّ رماحَهم أشطانُ بئرٍ بعيدٍ بينَ حاليها صرُوزُ[5]

---

(١) **الكلوم**: الجروح جمع كلم.
(٢) **الجريال**: الخمر أو لون الخمر.
(٣) **تضوّع وتضوع**: تعبق وتفوح.
(٤) **يكسوه**: الضمير للسيف.
(٥) **الأشطان**: حبال البئر، جمع شطن.

وقال امرؤ القيس:

ومُسطَّردٍ كرشاءِ الحَزَوّ ... رِ منْ خُلُبِ النخْلَةِ الأجرد[1]

وقال عدي:

رشاء دم على أنابيبه دم

● صلابةُ الرماح وللدونَتُهَا

قال ابن أحمر:

فهزّ رُدَيْنِياً كأنّ كعوبَه ... نوى القسبِ نقى التمر عندَ العواجِمِ[2]

وقال المزرّد:

ومطرد لذْنِ الكعوبِ كأنّما ... تغشّاه منباعٌ من الزيتِ سائلُ

وقالت عابدة المهلبية، ويروى للخوارزمي:

كأن السمرَ والزاناتِ فيهِ ... نخيلٌ قدْ نحلْنَ من الفسيلِ[3]

● الرمحُ المتأطرُ

ويستجاد للمتنبي قوله:

ولربّما أَطَرَ القَنَاةَ بفارسٍ ... وثنى فقومها بآخَرَ مِنْهُمُ[4]

أخذه من قول ابن الرومي:

همامٌ إذا اعوجّت صدورُ قناتِه ... غدَت بيْن أحناءِ الضّلوع تقوّمُ

وقال يزيد بن أبان:

يَكْرَهُ الرمْحَ مقدماً فتراه ... راعِفَ الأنفِ واهيَ الأنبوبِ[5]

● الرمحُ المتكسر

قال عمرو بن معدي كرب:

ومنزلة فيها العوالي كأنها ... هشيمُ شِجارٍ كسرتها الحَواطِبُ[6]

وقال الرفاء:

ينثُرُ بالطّعْنِ أنابيبَ القَنَا ... كمَا وهَى سلكُ الفريدِ المنتَظَم

وقال المتنبي:

ورمحٍ تركْت مبَاداً مُبيداً

---

(١) الرشاء: ولد الظبي - الحزوّر: الغلام القويّ - الخلب: لبّ النخلة.

(٢) الرديني: الرمح - القسب: الطويل الشديد من كلّ شيء.

(٣) السمر: الرماح الصلبة - الفسيل: جمع فسيلة وهي النخلة تقطع من الأم لتغرس.

(٤) أطر: ثنى وعطف.

(٥) راعف: من رعف (أنفه): نزف دماً.

(٦) الهشيم: العشب اليابس.

هو من قول الطائي:

وربَّ يــومٍ كـأيـام تـركْـت بـه ... متنَ القناةِ ومتنَ القِرْن مُنتَصفا

● **الرمحُ المتكسرُ في المطعونِ**

وقال الموسوي:

وتقعقعَتْ بينَ الكلَى قصد القَنا ... فكأنّ كلّ حشار بابة ميسِرُ[١]

وقال ابن نباتة:

يجرّ العوالي والسهامُ بجِسْمه ... كمحتطبٍ للجمْل ليْس يُطيقُ

● **الرماحُ اللامعةُ الأسنة**

قال امرؤ القيس:

دفعْتُ ردَينيّا كأنّ سنانَه ... سنا لهبٍ لمْ يستعِرْ بدُخانِ

وقال النميري:

تحكي أسنّتُهُ النجومَ أو الذبالا

وقيل أيضاً:

كأنّ هِلالاً فوقَ قناتِه

وقد أحسن المتنبي ما شاء في قوله:

تهدي نواظرها والحربُ قائمةٌ ... من الأسنّة نارٌ والقَنا شَمَعُ[٢]

● **الكتابة بالطعنِ والضربِ**

قال بعضُ الكتّاب: جبينُه طرس بالصفّاح منمّق مجندر[٣]، وبالرماح معجم محبّر.

وقال آخر:

خطّ ينمّقمه الحسام على جبينه

وقال أبو تمّام:

كتبت أوجُهَهم مشقاً ونمنمةً ... طعْناً وضرباً ففاتَ الهامَ والصّلفَا[٤]

فإن ألظوا بإنكار فقد تركَتْ ... وجوههم بالذي أوليتَهم صُحُفا[٥]

---

(١) البابة: الغاية، والصنف والخصلة، وبابت الكتاب سطوره.

(٢) الشَمَع: الشَمْع، وشمَع شموعاً الشيء تفرّق.

(٣) مجندر: من جندر الكتاب: إذا أمر القلم على ما درس منه، والمراد معنى النقش.

(٤) المشق: الإسراعفي الطعن.

(٥) ألظّ: ألحّ، وبالمكان أقام وبالشيء لازمه ولم يفارقه.

وقال المتنبّي:

وكـنـتَ إذا كـاتَـبْـتَـه قـبْـلَ هـذه ... كـتـبْـتَ إلـيـه فـي قـذالِ الـدمُـسْـتـقِ[1]

وقال غيره:

الـكـاتِـبـون إلـى الأعْـداءِ فـي قـلـ ... ـل الأعداءِ كتُباً نرى الأمي والفهمَا

أمسى الرّدى أصلَها والدهرُ مملِيها ... والسيفُ كاتبَها والكاغدُ القِمَمَا[2]

وقالت عابدة المهلبية ويروى للخوارزمي:

كـتـبْـت عـلـى وجـوهِـهـم سُـطـوراً ... غـرائـبَ حـبْـرَهُـنَ دمٌ هَـتُـولُ[3]

يـتـرجـمُـهـا الأعـادِي لـلأعـادي ... ويـقـرَأُهـا عـلـى الـحـيّ الـقـتـيـلُ

ومـا لـك غـيـرُ جـمْـجـمَـةٍ رسـولٌ ... ومـا لـك غـيـرُ صـاحِـبـهـا رسـيـلُ[4]

● **تناول الرؤوسِ بالرماحِ**

قال البحتري:

قـوم إذا شـهِـدوا الـكـريـهَـةَ صـيّـروا ... ضـمّ الـرمـاحِ جـمـاجـمَ الـفُـرْسـانِ

وقد أخذه من مسلم:

يكسُو السيوفَ رؤوسَ الناسكينَ به ... ويجعَلُ الهامَ تيجانَ القنَا الذُبلِ

وقال جرير:

كـأنّ رؤوسَ الـقـومِ فـوق رمـاحِـنـا ... غداةَ الوغَى تيجانُ كِسرى وقيصَرِ

● **طَعْنُ الأحداقِ والفؤادِ**

قال أبو تمّام:

سِـنـانٌ بـحـبّـات الـقـلـوب مُـمَـتّـعُ

وأجاد المتنبّي:

كـأنّ الـهـامَ فـي الـهَـيْـجـا عـيـونٌ ... وقـد طُـبِـعَـتْ سـيـوفُـكَ مـن رُقَـادِ[5]

وقـد صـغْـتَ الأسِـنّـةَ مـن هُـمـومٍ ... فـمـا يـخْـطُـرْنَ إلا فـي فُـؤادِ

وقال ابن معدي:

الـضـاربـيـن بـكـلّ أبـيـضَ مـرهـفٍ ... والـطّـاعـنـيـن مـجـامِـعَ الأضـغـانِ[6]

---

(١) الدمستق: قائد الروم.
(٢) الكاغد: القرطاس (واللفظة فارسية).
(٣) الدم الهتول: المتتابع.
(٤) الرسيل: المرسَل.
(٥) الهام: الرؤوس ـ الهيجا: مخفّف الهيجاء، الحرب ـ الرقاد: النوم.
(٦) الأبيض المرهف: السيف الحادّ ـ مجامع الأضغان: القلوب، والأضغان: الأحقاد جمع ضغن.

وقال آخر:

قومٌ ترى أرماحَهم تحتَ الوَغى ... مشغوفَةً بمَواطِنِ الكِتْمانِ

وقال الشريف أبو الحسين علي بن الحسين الحسني:

فأصبحَ أغمادَ السيوفِ عيونُهم ... وأكبادُهم حلَى الرماحِ الذوابلِ

● **ضربٌ وطعنٌ تبين منهما الرأسُ ويجلب عنهما الممات**

وقال عنترة:

فشككتُ بالرّمحِ الطّويل ثيابَه ... ليْسَ الكريمُ على القَنا بِمُحَرّمِ[1]

وقال آخر:

وضربتُه ضربًا أضا ... عَ له المقادِمَ والعُرَى

وقال راشد بن شهاب:

علوتُ بذي الحيّات مفرِقَ رأسِه ... وإنّ حُسامي تحتويه الجَماجِمُ

بدأتُ بهذي ثمّ أثني بمثلِها ... وثالثةٍ تبيضّ منها المقادِمُ

وقال ابن المعتز:

وكأنّ أيدينا تنفّر عنهم ... طيْراً على الأوكارِ كنّ وُقوعا

وقال الرفّاء:

إذا ركعَ القنَا الخَطيّ صلّوا ... صلاةً جُلّ واجِبِها السّجودُ[2]

وقال البحتري:

وصاعقةٍ من نصْله ينكَفي بها ... على أرؤسِ الأقرانِ خمسُ سحائبِ

وله:

نثرتَ على الخَليجِ الهامَ حتّى ... كأنّ حصَى الخليجِ طُلىً وهامُ[3]

أخذه الموسوي وزاد فقال:

خطبْنا بالظُّبا مهَجَ الأعادِي ... فزفّتْ والرؤوسُ لهَا نِثَارُ[4]

وقال الحارثي:

إذا ما عصَيْنا بأسيافنا ... جعلنا الجَماجِمَ أغمادَها

---

(١) يفتخر عنترة بطعن عدوّه ويقول إن الفارس الكريم ليس في نجوة من القتل.

(٢) **القنا الخطي**: الرماح المنسوبة إلى بلده الخطيّ بالبحرين.

(٣) **الطلى**: الأعناق ـ **الهام**: الرؤوس.

(٤) **الظُّبا**: جمع ظبة وهي حدّ السيف ـ **الهام**: الرؤوس ـ **النثار**: التناثر، الأجزاء المتناثرة.

وقالت عابدة المهلبية ويروى للخوارزمي:

فـصـادرَهُـم عـلـى الأرواحِ خـرق إذا ابـتـاعُـوا الـحـيـاةَ فـلا يُـقِـيْـلُ

- **شدَّةُ الطعنِ والضربِ وسِعَتُهما**

قال شاعر:

هـم الـدعـو هـم حـمـاةُ الـرِّمـاحِ ولـدّوهـم بـالـظّـبـا الـبـيـضِ لـدّا(١)

وقال بعضهم:

وطـعـنٍ كـأفـواهِ الـمـزادِ الـمُـخَـرّقِ(٢)

وقال أبو كثير الهذلي:

عـجـلـت يـداك لـخـيـرِهـم بـمـرشّـةٍ كـالـعـطِّ وسْـطَ مَـزادة الـمـسـتـخـلِـفِ(٣)

قال امرؤ القيس:

كـجـيـب الـدِفْـنِـس الـورهـا ء ريـعَـتْ وهـي تـسـتَـغْـلـي(٤)

وقال آخر:

وطـعـن كـأذيـالِ الـقِـبـاء الـمُـفـرجِ

وقال ضرار في وصف ضربة:

دَفـوعٌ لأطـرافِ الـرمـاحِ كـأنّـهـا إذا سبّـروهـا فـرخُ خـرقـاء دِغْـبِـل(٥)

وقال المتنبي:

كـأنّـمـا تـتـلـقّـاهُـم لـتـسـلـكَـهـم فـالطعْنُ يفتـح فـي الأجوافِ ما يسَعُ

وسمع بعضهم قول الشاعر:

لـهـا نَـفَـذٌ لـولا الـشـعـاعُ أضـاءهـا...

فقال: هذا دَرْبٌ لا طعْن.

ويروى لخلف الأحمر:

وأطـعـنُ الـسـخـاحـةَ الـمـسـلـسـلَـه عـلـى عِـشَـاش دهـش وعـجْـلـه(٦)

وأضـرِبُ الـحـذبـاءَ ذاتَ الـرغْـلَـه تـرَدّ فـي نـخـرِ الـنّـيـبِ قـتْـلَـه(٧)

---

(١) لدّوهم: خاصموهم خصومة شديدة.

(٢) المزاد: جمع مزادة وهي ما يوضع فيه الزاد.

(٣) العط: مصدر عط الثوب شقّه.

(٤) الدفنس: الأحمق الدنيء، والدفنس البخيل والثقيلة من النساء ـ الورهاء: الحمقاء.

(٥) الدغبل: بيض الضفدع، والدعبلة: الناقة القويّة.

(٦) العشاش: جمع عشّ، وهو وكر الطائر.

(٧) الرعلة: القطعة المتقدّمة من الخيل، والرعال: العيال ـ النيب: النوق المسنة، جمعه ناب.

● **الحاذقُ بالطعانِ والضربِ**

قال عبد يغوث:

ليبْقَ بتصريفِ القناة بانِيا

وقال المتنبي:

يضع السّنانَ بحيثُ شاءَ مجاولاً | حتّى من الآذان في أَخْراتِها

وقال الموسوي:

وأسمرُ يَهتزُّ في راحتي | كما هزّت القلمَ الأصبعُ

● **سقْي الرماحَ والصفاح دمَ الأعداءِ**

قال شاعر:

وعاملُ الرمحِ أرويه من العَلَقِ[1]

وقال آخر:

نهلَت قناتي منْ مطَاه وعلّت

قال يحيى بن علي المنجم:

يروي السيوفَ دماً إذا شكتِ الصدَى | يومَ الوَغى بأساً وصدقَ ضرابِ[2]

فتمجُ إن خفضَت على أعقابِنا | وتمجّ إن رفعَت على الأعقابِ[3]

قال دعبل:

فأصبحَتْ تستحيي القَنَا أن تردّها | وقد وردَت حوضَ المنَايا صَوادِيا[4]

قال السري:

إذا الحسامُ غدا سكرانَ منتشياً | منَ الدّماء سقَوه أنفُساً فضحا

● **الجاعلُ قواضبه بدل المعاتبةِ**

قال عمرو بن إبراهيم:

ليْسَ بيني وبيْن قيسٍ عتابٌ | غيْرَ طعْن الكُلَى وضرْبِ الرّقابِ

وقال آخر:

دلفت لهُ بأبيضَ مشرفيٍّ | كمَا يدْنو المصافِحُ للسلامِ[5]

وقال بعض البغليين:

نزلوا منزلَ الضيافةِ منّا | فقِرى القوم غِلْمةُ الأعرابِ[6]

---

(١) **العلق**: الدم.
(٢) **الصدى**: العطش الشديد.
(٣) **تمج**: تقذف تبصق، تطرح.
(٤) **الصوادي**: العطاش.
(٥) **دلف**: قارب الخطو في مشيه، ودلف الجيش تقدّم ـ **الأبيض المشرفي**: السيف.
(٦) **القرى**: طعام الضيف ـ **الغلمة**: الانقياد للشهوة.

● **وصلُ السيوفِ بالخطا**

يروى أن فتى من الأزد دفع إلى المهلّب بن أبي صفرة سيْفاً له **وقال**: كيف ترى سيفي يا عم؟ **فقال المهلب**: سيفك جيد إلا أنه قصير. **فقال**: أصله بخطوة، **فقال**: يا ابن عم المشي إلى الصين على أنياب الأفاعي أسهل من تلك الخطوة. ولم يقل المهلّب هذا جبناً وإنما أراد توجيه الصورة.

قال شاعر:

نَصِلُ السيوفَ إذا قصّرنَ بخَطْوِنا ... قَدَماً ونلحقُها إذا لم تلحَقِ

وقال آخر:

إذا قصرتْ أسيافُنا كان وصلُها ... خُطانا إلى أعدائِنا فنضارِبُ

● **وصفُ شجاعٍ ذي رماحٍ**

سئل أعرابي عن قوم **فقال**: أسود الغاب يحمل غابها.

قال البحتري:

إذا بدَوا في حَرَجَاتِ القَنَا ... ترى أسودَ الأرضِ في غابِها(١)

قال الرّفاء:

أسدٌ لها من بيضِها أو سُمرِها ... جَداولُ مطّرداتٌ بأجَمِ(٢)

● **من جعلَ معاقلَه الأسلحة والخيول**

قال شاعر:

إن السيوفَ معاقلُ الأشراف

وقال أبو الغمر:

إذا لاذَ منه بالحُصونِ عدوّه ... فليس له إلاّ السيوفُ حصونُ

وقال آخر:

إن الخيولَ معاقِلُ الأشْرافِ

وقال آخر:

وليس لنَا إلا الأسنّة معْقِل

● **من لاذَ بالقواضِب واستعانَ بها**

أبي قَوْمُنا أن يُنصِفون فأنصفَتْ ... قواضِبُ في أيمانِنا تقطرُ الدّما

وقال آخر:

ترَى السيْفَ أدنى منْ أقارِبُهُ رحْمِي(٣)

---

(١) حرجات: جمع حرجة وهي جماعة الغنم أو الإبل.

(٢) الأجم: مأوى الأسد، جمع آجام، والأجم الشجر الكثير الملتف.

(٣) الرحم: القرابة.

وقال الشنفري:

وإنّي كفاني فَقْدُ مَنْ ليسَ جازيا ... بحُسْنى ولا في قربه متَعَلَّلُ

ثلاثةُ أصحابٍ: فقلبٌ مشيع ... وابيض إصليت وصفراء عَيْطَلُ

وقال الموسوي:

أَلِفَ الحسامَ فلَوْ دعاهُ لغارَةٍ ... عجلانَ لبّاه بغَيْرِ نِجادِ(١)

وقال:

ربّ ليلٍ جعلتُه طيلساني ... مؤنِسي صارِمي وقَلْبِي مِجَنّي(٢)

وقال طاهر بن الحسين:

سيفي رَفيقي ومسْعدي فَرَسي ... والكاسُ أنسي وقينَتي خِدْني(٣)

● **من استطابَ تناولَ الأسلحةِ**

قال البحتري:

ملوكٌ يعدّون الرمحَ خواصِرا ... إذا زعزعوها والدروعَ مخاصِرا(٤)

وقال المتنبي:

متعَوّداً لبْسَ الدروع يَخَالُها ... في البَرْدِ خِزّا والهواجِرِ لاذا(٥)

وقال أبو الغمر:

واعتادَ حمْل القنا لا الراحُ راحتُه ... وضاجَعَ البيضَ لا البيضَ الرَعابيبا(٦)

● **الأبقعُ الوجه من صدأ الحديدِ**

وقال الفرزدق:

يمشونَ في حلَقِ الحَديد كما مشت ... جُرْبُ الجمال بها الكُحَيْلُ المُشْعَلُ(٧)

● **طيبُ صدرِ المغفر**

وطيبُهم صدأُ المِغْفَرِ(٨)

---

(١) النجاد: حمائل السيف.

(٢) الطيلسان: كساء أخضر يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ وهو من لباس العجم ـ الصارم: السيف ـ المجن: الترس.

(٣) القينة: الجارية المغنية ـ الخِدن: الحبيب أو الصاحب.

(٤) المخاصر: جمع مخصرة وهي ما يتوكأ عليه كالعصا، والمخصرة كالسوط يشير به الملك إذا خاطب.

(٥) اللاذ: ثوب حرير أحمر.

(٦) الرعابيب: جمع رعبوبة وهي الممتلئة ـ يقول: اعتاد حمل الرماح ومضاجعة البيض أي السيوف لا البيض من النساء الرعابيب.

(٧) الكحيل: القطران ـ وحلق الحديد: الدروع ـ الحديد المشعل: الذي يحرق به الجلد.

(٨) المغفر: زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة.

وقال سلم بن قحفان:

فطيبُ الصدا المسود أطيبُ عندنا | من المِسك ذافَته كفُّ ذوائفِ[1]

- **النابي سيفُهُ عن الضريبة**

قال ورقاء بن زهير وقد ضرب فنبا سيفه:

رأيتُ زهَيْراً تحتَ كلكلِ خالدٍ | فأقبلْتُ أسعى كالعَجول أُبادِرُ[2]

فَشُلَّتْ يمِيني يومَ أضربُ خالداً | ويحصِّنه منّي الحديدُ المظاهرُ

وكان الفرزدق قد دُفِعَ له سيف بحضرة سليمان بن عبد الملك ليقتل به رومياً فضربه فلم يعمل فيه، فقال جرير:

بسَيْفِ أبي رغوان سيفِ مجَاشع | ضربتَ ولم تَضْرِبْ بسيفِ ابنِ ظالمِ

فهل ضربةُ الروميّ جاعلةٌ لكُم | أباً كَكُلَيْب أو أخاً مثلَ دارمِ

فأجابه:

فسيفُ بني عبْسٍ وقد ضربُوا به | نبا بيدَي ورقاء عن رأسِ خالدِ[3]

كذاك سيوفُ الهند تنبُو ظباتُها | وتقطَعُ أحياناً مناطَ القَلائِدِ[4]

- **عُذْرُ مَنْ يكثرُ لبسَ الدرعِ في الحربِ**

رؤي الجراح بن عبد الله وقد لبس درعين في بعض الحروب فأكثر ناظره النظر إليه فقال له: والله يا هذا ما أقي بدني وإنما أقي صبري. فأخبر بذلك سعيد بن عمرو وكان من فرسان الشام **فقال**: صدق لأن لامة[5] الإنسان حظيرة نفسه. عوتب يزيد بن يزيد في إحكامه الدرع، **فقال**: إن الله تعالى مع قضائه الأمور المحتّمة أمر بالحذر، وذكر ما في صنعة اللبوس، وكان ﷺ وَالَى يوم أحد بين درعين.

أنشد كثير عبد الملك:

علي ابنِ أبي العاصي دلاصٌ حصينةٌ | أجادَ المسدي سردَها فأزالها

فقال له: هلاّ قلت كما قال الأعشى:

وإذا تكونُ كتيبةٌ ملمُومَةٌ | خرساءُ تغشى من يذودُ نصالَها[6]

---

(١) **ذافت**: خلطت. (٢) **الكلكل**: الصدر.

(٣) **نبا السيف**: كلّ وارتدّ ولم يقطع.

(٤) **المناط**: موضع التعليق ـ **القلائد**: جمع قلادة الحليلة التي تجعل في العنق.

(٥) **اللامة**: مخفف لأمة وهي الدرع.

(٦) **الكتيبة الملمومة**: الفرقة من الجند ـ **يذود**: يدفع ـ **نصالها**: سيوفها وفي رواية نهالها أي رماحها.

كُنْتَ المقدّمَ غيرَ لابسِ جُنّةٍ بالسّيفِ تضرِبُ مُعْلِماً أبطالَها[1]

فقال: كثير ذاك وصفه بالجهل والتهور وأنا وصفتك بالحزم. **قال البحتري**:

تراهُ في الأمْنِ في دِرْعٍ مضاعَفَةٍ لا يأمَنُ الدهرَ أن يُدْعَى على عَجَلِ

● قلّةُ غناءِ الدرعِ عندَ حضورِ الأجَلِ

سئل ابن الحسين: في أي الجنن تحب أن تلقى عدوك؟ **قال** في أجل مستأخر **وقيل لبعضهم**: أي الجنن أوقى؟ **قال**: العافية. **وقيل لآخر**: لو احترست **فقال**: كفى بالأجل حارساً.

● وصفُ الدروعِ

قال شاعر:

كَسَيْلِ الأتيّ على الحَديدِ

وقال آخر:

ومفاضَةٍ كالنهْي ينسجه الصَّبا[2]

وقال آخر:

كأنَّ قتيرَها حَدَقُ الجَرَادِ[3]

وقال المتنبي:

يخطّ فيها العَوالي ليسَ يُنْفِذُها كأن كُلَّ سِنانٍ فوقَها قلمُ

وقال مزرّد:

ومنسوجةٍ فَضْفاضَةٍ تبعيةٍ وآها القتير تجتويها المعابلُ[4]

ويستحسن لابن المعتز:

كأنّها ماءٌ عليهِ جرَى حتّى إذا غابَ فيهِ جَمَدْ

قال كلثوم:

كأن سنا الماذي فوق متونِهِم مواقدُ نارٍ لم تُشَبْ بِدُخانِ[5]

● المسْتغني بجلادتِهِ عن التدرّعِ والتقنعِ

قال أبو تمّام:

إذا رأَوا للمَنايا عارِضاً لبِسُوا مِن اليقينِ دروعاً ما لَهَا زَرَدُ

وقال مسلمة:

على درعٍ تلينُ المرهَفَاتُ لهُ من الشجاعةِ لا مِنْ نسجِ داودِ

---

(١) **الجُنّة**: السترة ـ **معلماً الأبطال**: تاركاً فيهم علامة الطعن أو الجرح.

(٢) **المفاضة**: الدرع ـ **النهي**: الغدير ـ **الصبا**: ريح تهب من جهة الشرق.

(٣) **القتير**: مسامير الدرع ـ **تجتوي**: تكره. (٤) **المعابل**: جمع معبلة وهي النصل العريض الطويل.

(٥) **لم تشب**: لم تخلط.

إنّ الـذي صـور الأشـيـاءَ صـوّرنـي   نـاراً مـن البـأسِ فـي بـحْـرٍ مـن الجُـودِ

● **وصفُ المغتفِر والمغفر**

قال بشر:

كـأن سـنـا قـوانِـسِـهـم ضِـرَامٌ   مـرتـه الـريـحُ فـي أعـلَـى يَـفـاعِ[1]

وقال أبو تمّام:

كـأنّ نـعـام الـدوّ بـاضَ عـلـيـهِـم

وله:

مـثـلُ الـنـجـومِ تـضـيءُ إلا أنّـهـم   قـد قُـلْـنِـسوا من بِـيضِـهـم بـنُـجومِ[2]

وقال أبو قيس:

قـد حـصَّـتِ الـبـيْـضَـةُ رأسي فـمَـا   أُطْـعَـمُ نـوْمـاً غـيْـرَ تـهْـجـاعِ[3]

● **القسيّ**

دخل أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه على النبي ﷺ متقلّداً قوساً عربية **فقال**: هكذا جاءني جبريل عليه السلام اللّهم من استطعمك بها فأطعمه ومن استنصرك بها فانصره ومن استرزقك بها فارزقْهُ. **وقال النبي** ﷺ ما مدّ الناس أيديَهم إلى شيء من السلاح إلا وللقوس فضل عليه. وقيل في وصفه:

طروح مروح تعجل الظبي أن يروح

قال أعرابي في وصف قوس رمي عنها ذئباً:

وفي شـمـالـي سـمـحـة مـن الـنَّـشَـم   يـفُـجُ فـي الـكَـفّ إذا الـرامـي اهْـتَـزَمْ[4]

وتـهـزِم الـفـارِسَ فـي أخْـرى الـنّـعَـم

وقال آخر:

صـفْـراءُ تـبـع خـطـمُـوهـا بـوتَـرْ   لام مـمـر مـثـلُ حُـلـقـومِ الـنُّـغَـر[5]

حـذْب ظـبـاهـا أسـهـم مـثْـل الـشـرَر

وقال آخر:

ومـقـابـلا ضِـلْـع الـظّـبـاء كـأنّـهـا   جـمْـرٌ بـمـهـلـكـةٍ تـشـبُّ لـمُـصْـطَـلي

نـحـفـا بـذلَـتْ لـهـا خَـوافـي نـاهـضٍ   حـشـر الـقـوائـمِ كـالـلـفـاع الأكْـحَـل

وإذا تُـسَـلّ تـخَـشْـخَـشَـت أريـاشُـهـا   خشّ الـجـنـوبِ بـيـابـسٍ مـن أسـحـلِ[6]

---

(١) **القوانس**: جمع قونس، أعلى بيضة الحديد ـ **اليفاع**: التلّ المشرف، والمرتفع من الأرض.

(٢) **قلنسوا**: لبسوا القلنسوة وهي من ملابس الرأس.   (٣) **التهجاع**: الهجوع أي النوم والرقاد.

(٤) **السمحة**: أي قوس سمحة والسمحة هنا بمعنى اللّينة والسهلة ـ **النّشم**: شجر تتخذ منه القسيّ.

(٥) **النّغر**: فراخ العصافير.   (٦) **تسلّ**: تجرّد وتشهر.

النحف النصال العراض والأكحل الذي يضرب لونه إلى الغبرة

● **المجيدُ من الرماةِ**

قيل: خرج بهرام إلى الصيد ومعه جارية فعرض له ظبي فسألته الجارية أن يجمع ظلف الظبي وأذنه بنشابة واحدة فرمى أصل أذن الظبي ببندقة فأهوى الظبي بيده إلى أذنه ليحتك فرماه بنشابة فوصل ظلفه بإذنه، وهذا إن كان صحيحاً فعجيب.

قال امرؤ القيس:

فـهـوَ لا تَـنْـمـي رمِـيَّـتُـه ... مـالـه لا عُـدَّ مِـنْ نـفَـرِه[1]

وقال إسماعيل بن علي:

إذا تـمـطّـى قـائـمـاً ثـمّ انـثـنـى ... ومـدّهـا أحـسَـنَ مـدٌ وانـثـنـى

أرسَـل مـنـهـا نـافـذاً مـسـنـاً ... سـيّـان مـنـه مـا نـأى ومـا دنـا[2]

يـسـوقُ أسـبـابَ الـنـحـوسِ والـفـنـا

وقد أوغل المتنبي في قوله:

إذا نُـكِـبَـتْ كِـنَـانَـتُـه اسـتـبـنّـا ... بـأنْـصُـلـهـا لأنـصُـلـهـا نُـدُوبَـا[3]

يـصـيـبُ بـبـعْـضِـهـا أفـواقَ بـعـضٍ ... فـلـولا الـكـسْـرُ لاتـصـلَـت قـضـيـبـا

● **الرديءُ الرمي**

نَظَر فيلسوف إلى رام سهامه تذهب يميناً وشمالاً فقعد في موضع الهدف **وقال**: لم أر موضعاً أسلم من هذا. ورمى المتوكل عصفوراً فأخطأه فقال له ابن حمدون: أحسنت فقال تهزأ بي؟ **فقال**: أحسنت إلى العصفور. **قال كشاجم**:

مـشْـتَـهِـتِـرٌ بـالـرَّمْـي واهِ عـضـدُه ... أحـسـنُ شـيءٍ حـيـنَ يـرمـي طـردُه

كـأنّـه فـؤاده أو كـبـدُه

● **المجن**

قال شاعر:

يُريكَ شعاعَ الشمْس في جنةِ الدُّجَى

قال أبو فراس:

أواقـد لا آلـوك إلا مـهـنّـداً ... وجـلـد أبـي عـجـل وثـيـقَ الـقـبـائـلِ

● **وصف جماعة الأسلحة**

سأل عمر بن الخطاب عمرو بن معدي كرب **فقال**: ما تقول في الرمح؟ قال أخوك

---

(١) **لا تنمي رميته**: أي لا تنحاز عن مكانها لأنها رمية صائبة.

(٢) **النافذ**: الرمح. (٣) **الندوب**: آثار الجروح، جمع ندب.

وربما خانك. **قال:** فالنبل؟ قال: منايا تخطىء وتصيب. **قال:** فالدرع قال مشغلة للفارس متعبة للراجل، وإنّها لحصن حصين. قال فالترس؟ **قال:** مجن وعليه تدور الدوائر. **قال:** فالسيف؟ قال: عنده ثكلتك أمك. **قال عمر:** بل أنت.

- **الاستنكافُ من المحاربة بالحجر والرخصة فيه**

قال أبو النجم:

إنّـي وجـدّك لا يـكـونُ سـلاحُـنـا حـجـرَ الأكـامِ ولا عـصـا الطـرْفـاء[1]

أوصى بعض الأعراب ابنه وقد أرسله إلى محاربة بعض أقرانه **فقال:** يا بني كن بذّاً لأصحابك على ما فاتك وإياك والسيف فإنّ ظله الموت، وألقِ الرمح فإنه رسول المنية ولا تقرب السهام فإنها رسل لا تؤامر مرسلها **قال:** فيم أقال؟ قال: بما **قال الشاعر:**

جـلامـيـدُ أمـلاءُ الأكـفّ كـأنّـهـا رؤوسُ رجالٍ حُلقتْ في المواسِمِ

قال الحنفي:

فَوادِخ بذا الصخرِ الأصم رؤوسَهم إذا القلع الهنديّ عنها تثلّمَا[2]

- **أصواتُ الأسلحةِ**

يقال للطعن الشفشفة وللضرب هيعقة وللقسي أزملة وغمغمة.

قال الحارث بن حلزة:

وحسبْتُ وقعَ سيوفنا برؤوسِهم وَقْعَ السّحابِ على الطّرافِ المشرجِ[3]

وقال هلال:

تصيحُ الرّدَيْنيّات فِينا وفيهِم صياحَ بناتِ الماءِ أصبحنَ جوّعا[4]

وقال آخر:

تـنـقّ عـواليـهـم نـقـيـقَ الـضـفـادِعِ

- **إيجابُ المحاربة على المتسلّح وتبكيتُه لتقصيره فيها**

قال ابن مرداس:

فـعـلامَ إن لـم أشـفِ نـفـسـاً حـرّة يا صاحِبي أحيدُ حمْلَ سلاحِي

وقال جرير:

تصفُ السيوفَ وغيرُكم يَعْصَى بها يا ابنَ القيونِ وذاكَ فعْلُ الصيقَلِ[5]

---

(١) **الطرفاء:** ضرب من الشجر. (٢) **الهندي:** السيف المنسوب إلى الهند.

(٣) **الطراف:** البيتمن أدم ـ السرج: المضاء بالسراج، والمسرج أيضاً: الفرس مشدود عليه السرج أو الرّحل.

(٤) **الردينيات:** الرماح المنسوبة إلى امرأة تدعى ردينة.

(٥) **القيون:** جمع القين، الحدّاد.

قال ابن الرومي:

رأيتُكم تبدونَ في الحَرْب عدّة ... ولا يمنَع الأسلابَ منكم مقاتلُ[١]

فأنتُم كمثلِ النخلِ يسرع شوكُه ... ولا يمنعُ الجَرام ما هو حامِلُ[٢]

قال المتنبي:

إذا كنت ترضى أن تعيش بذِلّةٍ ... فلا تستعدنّ الحُسامَ اليمَانيا[٣]

ولا تستَطيلَنّ الرماحَ لغارةٍ ... ولا تستجيدَنّ العتاقَ المَذاكِيا

● **الاستظلالُ بالأسلحةِ**

قال امرؤ القيس:

ففئنا إلى بيتٍ بعلياء، مردَح ... سماوية منها الحمى معصبُ[٤]

فأوتاده ماذيّة وعماده ... ردينيّة فيها أسنّةُ قَعْضَبِ[٥]

وقال أعرابي من بني أسد:

وفتيان ثنيتُ لهم ردائي ... على أسيافِنا وعلى القِسيّ

وقال:

وما اتخذُوا إلا الرماحَ سُرادقاً ... وما استتَروا إلا بضوءِ اللهَاذِمِ[٦]

● **ذمُّ العزل في الحربِ**

في المثل: عند النطاح يغلب الكبش الأجم

فمن يكُ معزالَ اليدين فإنّه ... إذا كشرتْ عن نابِها الحَرْبُ حاملُ[٧]

وقال ابن الحطيم:

نبّهتُ زيداً ولم أفزع إلى وكِل ... رثّ السلاحِ ولا في الحرب مكثور[٨]

● **من صاحبَةُ الطيورُ والسباعُ**

أول من وصف ذلك النابغة الذبياني فقال:

إذا ما غزَوا بالجيْش حلّقَ فوقَهم ... عصائبُ طيرٍ تهتَدي بعصائبِ[٩]

---

(١) **الأسلاب**: الغنائم التي تسلب في المعركة.

(٢) **الجرام**: التمر اليابس. (٣) **لا تستعدنّ الحسام**: لا تتخذه عدّه.

(٤) **العلياء**: المرتفع من الأرض ـ **المردَح**: من ردَح البيت: إذا كاثف عليه الطين ـ المعصب المشدود.

(٥) **ردينيّة**: نسبة إلى ردينة وهي امرأة كانت تصنع الرماح وزوجها قعضب وهو من بني قشير، لذا قال: أسنّة قعضب.

(٦) **اللهاذم**: جمع لهذم وهو القاطع والحادّ من السيوف.

(٧) **كشرت عن نابها الحرب**: أي احتدمت. (٨) **الوكِل**: الجبان العاجز.

(٩) **العصائب**: جماعات الطير.

وقال أبو تمّام:

وقد ظُلّلَتْ عُقْبانُ أعلامه ضحىً ... بعُقبانِ طيْرٍ في الدّماءِ نواهِلِ[1]

أقامَتْ مع الراياتِ حتّى كأنّها ... من الجيْشِ إلا أنّها لمْ تُقاتِلِ

وقال بشّار:

إذا ما غزا بشّرتْ طيْرُه ... بفَتْحٍ ويشّرْنا بالنّعَمِ[2]

وقال المتنبّي:

وَأَنْبَتَّ فيهم ربيعَ السّباعِ ... فَأَثْنَتْ بإحْسانك الشامِلِ

وقال عمرو بن مامة:

إذا ألحمَتْ قيسٌ لحربٍ تباشَرَتْ ... ضباعُ الفَيَافي والنسورُ الكواسِرُ[3]

وقالت جنوب أخت عمرو:

تمْشي النسورُ إليْها وهي لاهيَةٌ ... مَشْيَ العَذارى عليهنّ الجلابيبُ

● **المتزيّن بالجِراحات**

قال يعقوب بن يوسف:

وخيْلٍ تعجزُ الأرسالُ عنْها ... مزيّنَةٍ بأنواعِ الجِراحِ

وقال سلم الخاسر:

ولا خيرَ في الغازي إذا آب سالِماً ... إلى الحيّ لم يُجْرَح ولمْ يتحدّدِ[4]

● **المتضرّج بالدم**

قال البحتري:

سُلبُوا وأشرقَتِ الدماءُ عليْهم ... مُحْمَرّةً فكأنّهم لم يُسْلَبُوا

وقال آخر:

تَضَرّجَ منْهم كلُّ خَدٍّ مُعَفّرٍ ... وعُفّرَ منهم كلُّ خدٍّ مُضَرّجِ[5]

● **المتلطّخ بالدم المتسربل بالغُبارِ**

قال السريّ:

مفقودَةٌ شيَةُ الجَواد عليْهِم ... وحُجُول أربعة لخوضِ دمائِه[6]

---

(١) العقبان: جمع عقاب وهو طائر من الكواسر ـ يقول: إن رايات الممدوح عند الضحى كانت مظلّله بعقبان الجوّ المحلّقة فوق الجيش ترقب أن تقتات بدماء وأشلاء القتلى.

(٢) النعم: الغنائم. (٣) الفيافي: جمع فيفاء وهي المفازة التي لا ماء فيها.

(٤) آب: عاد. (٥) الخدّ المعفر: الممزغ بالتراب.

(٦) الشية: مصدر وشى الثوب شية حسّنه بالألوان ونقشه.

وقال المتنبي:

وعجاجةٍ تركَ الحديدُ سوادَها ... زِنْجاً تبسَّمُ أو قذالاً شائِبا[1]

● **الغبار**

قال الحجّاج: اتّقوا الغبار فإنه سريع الدخول بطيء الخروج، **وقال**:

غفارُ كما فارَت دواخنُ غرقد

وقال أوس:

فانقَضّ كالدرّي يتبعُه ... نَقْعٌ يثورُ تخالُه طُنُبا[2]

يخفى وآونةً يلوحُ كما ... رفع المنيرُ بكفِّه لَهَبا

● **الحروبُ المشهورةُ**

الحروب ثلاثة لم يكن للعرب أعظم منهن: **حرب بعاث بين الأوس والخزرج** وكانت متصلة إلى أن بعث الله تعالى النبي ﷺ فلما أسلموا اصطلحوا. **وحرب بني وائل بكر وتغلب** في مقتل كليب اتصلت أربعين سنة، **وحرب ابني بغيض عبس وذبيان** في مجرى داحس والغبراء بقيت أربعين سنة لم تحمل فيها الحمالات فبعث الله تعالى النبي ﷺ وبقي من دمائهم شيء على الحارث بن عوف فاهتدى للإسلام.

وأيام العرب ثلاثة في الجاهلية لم يكن أعظم منهن: **يوم جبلة ويوم كلاب الأخير ويوم ذي قار**.

وقال سفيان بن عيينة: السيوف أربعة: **سيف** لمشركي العرب وهو قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾[3]، **وسيف** لأهل الردّة على يد أبي بكر رضي الله عنه **«وهو تقاتلونهم أو يسلمون»** **وسيف** لأهل الكتاب على يد عمر رضي الله عنه قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. **وسيف** لأهل القبلة والصلاة على يد عليّ رضي الله عنه وهو **«وأن طائفتين من المؤمنين اقتتلوا»** ولولاه ما عرفنا قتال أهل القبلة.

● **العصا**

تسمى المنسأة[4]: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾[5] وعصا موسى حالها ظاهرة. وقيل ألقى فلان عصاه إذا نزل، **وشق العصا** إذا خرج عن الطاعة؛ **وعبيد العصا** أي ينقادون بالعصا وسمى الصغير الرأس رأس العصا

---

(١) **العجاجة**: الغبار ـ **القذال**: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس.

(٢) **الدري**: أي الكوكب الدري ـ **النقع**: الغبار ـ **الطنب**: الحبل الطويل يشدّ به سرادق البيت.

(٣) **القرآن الكريم**: التوبة/ ٣٧.

(٤) **المنسأة**: العصا العظيمة التي تكون مع الراعي.

(٥) **القرآن الكريم**: سبأ/ ١٤.

وهو صلب العصا أي قوي. **وقولهم**: أنك خير من تفاريق العصا، فالعصا تقطع ساجورا ثم يجعل الساجور أوتاداً، والأوتاد شظاظاً، والشظاظ مهار البخاتي، أو تشق العصا فتجعل قوساً للبندق، وتجعل القوس سهاماً والسهام حظاء والحظاء مغازل، والمغازل قداحاً

● **الكرةُ والصولجانُ**

وقال أبو قريش بن أسوط، وكان من بطارقة أرمينية يصف كرة:

يـــحـــبّ دنـــوّهـــا إذا مـــا دنـــت مـــنـــه بـــكـــدّ أي كـــدّ
قـــلاهـــا ثـــم أتـــبـــعـــهـــا بـــضـــرب وأعـــقـــب قـــربـــهـــا مـــنـــه بـــبُـــعْـــدِ

وقال بشار:

كـــأنّ فـــؤادَه كـــرةٌ تـــنـــزى حـــذارَ الـــبـــيـــنِ لـــو نـــفـــع الـــحـــذارُ

وقال السيّد الحيمري:

وكـــأنـــهـــا كـــرةٌ بـــكـــفّ حـــزورٍ عبل الذراع دحا بها في ملعبِ[(١)]

● **البوق**:

قال البيغا:

ومـــســـمـــعٍ لـــيـــس بـــذي لـــســـانِ مـــحـــكـــم فـــي صـــمـــم الآذان
ســـرّ يـــؤديـــه إلـــى إعـــلان

(٤)
وممّا جاء في طلب الثأرِ والدية والرخصة في الاقتصاص

●

قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[(٢)] ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[(٣)] ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾[(٤)] وقال ﷺ لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده. وسوّى بين الصريح والهجين وكانت العرب تهدر دم السيد وهو الملصق الدعي وإذا قتل الرجل ملكاً أو رجلاً من أهل بيت القاتل لم يرضوا حتى يقتلوا رهط القاتل ويحرقوهم بالنار وإذا كان القاتل هو الملك أو أحد من أهل بيته أهدروا الدم فقالوا لا عقل ولا قود. **قال الجاحظ**: كانت الدية والصدقة مما عند الرجل إن تمرا فتمر وإن شاء فشاء وكانوا يعيرون من ديته التمر قال:

ألا أبـــلـــغ بـــنـــي وهـــب رســـولا بـــأنّ الـــتـــمـــرَ حُـــلْـــوٌ فـــي الـــشـــتـــاءِ

---

(١) الحزوّر: الغلام القويّ ـ دحاها: بسطها.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ١٩٤.
(٣) القرآن الكريم: المائدة/ ٤٨.
(٤) القرآن الكريم: الإسراء/ ٣٣.

فعيّرني هذا بشيئين بأخذ الدية وبأن ديتهم التمر وكانت دية العربي المعمّ المُخْوِل من التمر مائة وسق ومن الإبل مائة بعير ودية الهجين على النصف ودية المولى على الربع. والملك ومن هو من بيته ألف وسق. والإسلام سوّى بين الكلّ لقول النبي ﷺ المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم.

● **التعييرُ بترك الثأرِ والحثُّ على أخذِه**

قيل لأعرابي: أيسرك أنك من أهل الجنة وأنك لا تدرك ثاراً قط؟ **قال**: بل يسرني إن أدرك الثار وأنفى العار وأدخل مع فرعون النار.

قدم هدبة بن الخشرم العذريّ ليقتاد بابن عمه فأخذ ابن المثؤر به السيف فضوعفت له الدية حتى بلغت مائة ألف، فأبت أم الغلام أن يقبل الدية وقالت: أعطى الله عهداً لئن لم تقتله لأتزوجنه فيكون قد قتل أباك وناك أمك. **قال عبد الرحمن بن شافع**:

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا نساءً للخلوق وللكحلِ[1]
ويبيعوا الردينيّاتِ بالحلي واقعُدوا ... على الذلّ وابتاعوا المغازلَ بالنبلِ

ونحوه، قول عمرة بنت وقدان:

فإن أنتم لم تطلبُوا بأخيكم ... فذرُوا السلاحَ ووحشوا بالأبرق[2]
وخذُوا المكاحِلَ والمجاسِدَ والبَسُوا ... نقبَ النساء فبئسَ رهطُ المرهقِ

● **التعيير بأخذ الدية وعدمه**

قال شاعر:

وإن الذي أصبحتم تحلبُونه ... دمٌ غيرَ أن اللونَ ليس بأحمرَا
إذا سكبُوا في القعبِ من ذي أنائهم ... رأوا لونه في القعب وزداً وأشقَرَا

قال آخر وكان أخذ من ابن عمه دية أبيه:

إذا صبّ ما في القعْب فاعلَم بأنه ... دمُ الشيخ فأشربْ من دم الشيخ أوْ دَعَا[3]

قال آخر:

خذوا العقل إن أعطاكم العقل قومكم ... وكونوا كمن سيم الهوان فلم يَنَل

كان لعتبة الأعرابية غلام شديد العرامة[4]، كثير التلفت إلى البأس فواثب فتى من الإعراب فقطع الفتى أنفه فأخذت أمه ديته فحسن حالها ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت ديتها ثم آخر فقطع شفته فأخذت ديته فلما رأت ما صار إليها من قبل ابنها أنشدت:

أقسم بالمروة حقاً والصفا ... أنك خيرٌ من تفاريق العَصَا

---

(١) **الخلوق**: من ضروب الطّيب.

(٢) **يقول**: إذا لم تطلبوا الثأر اتركوا سلاحكم وتزيّوا بأزياء النساء، معيّراً إياهم لعدم ذودهم عن عزّتهم.

(٣) **القعب**: القدح الكبير الضخم.

(٤) **العرامة**: الإعجاب بالنفس.

وروي أن أعرابيين أصابهما قحط فانحدرا إلى العراق جائعَين فوطئت رجلَ أحدهما فرس لفارس فأدمتها وكان يسمى حيدان فتعلقا به وأخذا الدية وكانا جائعين فقصدا السوق وابتاعا طعاماً فأكلا فقال الآخر:

فلا غرْسَ ما دامَ في النّاسِ سوقُهم وما بقيَتْ في رجلِ حيدَان إصبعُ

- **تحريمُ الملاهي على المحارِب وطالبِ الثأرِ**

روي أن بعض عمّال عبد الملك بعث إليه بجارية اشتراها بعشرة آلاف دينار فلما استحضرها وأنس بها دخل إليه رسول الحجّاج بأن عبد الرحمن بن الأشعث خلعه، فأجاب عن كتابه وجعل يقلّب كفيه **وقال لها**: إن ما دونك منية المتمني **فقالت**: وما يمنعك؟ **قال بيت الأخطل**:

قومٌ إذا حاربُوا شدّوا مآزرَهم دونَ النساء ولو باتَتْ بإظهارِ

فمكث ثلاث سنين وخمسة أشهر لا يقرب امرأة حتى أتاه خبر قتل ابن الأشعث فكانت أول امرأة تمتّع بها. وكانت العجم إذا حزبهم أمر أمروا إن ترفع الموائد ويقتصرون على الخبز والملح والبقل حتى يفرغوا. **وقال معاوية**: ما ذقت أيام صفّين لحماً ولا حلواء بل اقتصرت على الخبز حتى فرغت، وأتت امرأة المهلب بمجمرة، **فقالت له**: ضع هذه تحتك فكان ذلك تعريضاً لما أبطأ عن مناهضة الأزد فقال: است المرأة أحق بالمجمرة.

قال قيس بن الحطيم:

حرامٌ علينا الخمرُ إن لم نضارِب

وقال الجراح الغطفاني:

للّه درّك ما ظننت بثائرٍ حران ليس على التراثِ براقِدِ
أحددته ثم اضطجعتُ ولم ينم أسفاً عليك وكيفَ نومُ الحاقِدِ

- **من حلّ له الطيبات لإدراكِهِ الثأرَ**

قال شاعر:

اليومَ حلّ لي الشرابُ وما كان الشرابُ يحلّ لي قبلُ

قال جابر:

وحل لي التدهين والخمرُ بعدما شفيْت غليلي من ثويد المراثِدِ

- **المبجّح بإدراك ثأره**

قال المهلهل في إدراك ثأر كليب:

فلو نبش المقابرَ عنْ كليبٍ فتخبر بالذنائبِ أيّ زيرِ[1]

---

(١) **الذنائب**: موضع ويوم الذنائب من أيام تغلب وبكر في حرب البسوس بعد مقتل كليب ـ **الزير**: الذي =

بأنّي قد تركتُ بواردات ... بحيراً في دم مثلِ العَبيرِ
هتكتُ به بيوتَ بني عبيدٍ ... وبعضُ القول أشفى للصدورِ

قالت صفية بنت الجذع:

وقد قتلْنا شفاءَ النفس لو قنعَت ... وما قتلنا به إلا أمراً دونه

قال زبان وكانت قد هجاه بعض أعاديه فقتله وقطع لسانه ودسّه في إسته:

وإن قتيلاً بالهباءةِ في إسته ... صحيفَتُه إن عادَ للظلم ظالمُ
متى تقرؤها تَهْدِكُم من ضَلالكُم ... وتعرف إذا ما فضّ عنها الخَواتِمُ

● **من نزع ثوبَ العَار وانطلق لسانُهُ**

قال أخو ساف بن عباد البشكري:

ألم يأتِها أنّي صحَوْت وأنّني ... شفَاني من دائي المُخَامر شافِ
فأصبحْتُ ظبْياً مطلقاً من أديمه ... صحيحَ الأديم بعْد داء أسافِ
وكنتُ مغطّى في قناعي خيفَة ... كشفتُ قِناعي وأعتطَفْتُ عِطافي

قال غالب:

وقد كنتُ محرورَ اللسانِ ومفحما ... فأصبحْتُ أدري اليومَ كيفَ أقولُ

● **من لا يفوتُهُ الثأرُ**

قال عبد الله بن العتابي:

وقد ضمنتْ أسيافُهم ورماحُهم ... لمن جاوروا أن لا يضيعَ لهم وِترُ[1]

قال البحتري:

تذم الفتاةُ الرود شيمةَ بعْلها ... إذا باتَ دون الثأرِ وهو ضجيعُها[2]
حميةُ شعب جاهلي وغيرةُ ... كليبية أعيا الرجالَ خضوعُها

وقال المتنبي:

إذا طلبَ النيل لم يشأهُ ... وإنْ كان دَيْناً على ما طلِ

● **من يفيت الثأرَ ولا يفوتُهُ**

قال الحرمي:

وإذا طلبْتُ الوترَ لم تسبق به ... وتفوتُ مطلوباً به فتبرح

= يكثر من زيارة النساء، وهو لقب المهلهل أخي كليب، لقبه به كليب قبل مقتله لأنه كان يتمادى في لهوه ودبيبه إلى مضاجع النساء.

(١) الوتر الثأر.
(٢) الفتاة الرود: الطوّافة في بيوت جاراتها.

وقال آخر:

تحف أغرّ لا قود عليه ... ولا ديةٌ تُساق ولا اعتذارُ

● من قتلَ بعض ذويه اقتصاصا

قال قيس بن زياد:

شفيتُ النفسَ من قيس بن بدر ... وسيفي من حذيفةَ قدْ شفاني
فإنْ أكُ قد بردْتُ بهم غليلي ... فلمْ أقطعْ بهم إلاّ بناني[1]

ونحوه للحارث بن وعلة:

قومي همْ قتلُوا أميمَ أخي ... فلئن رميتُ يصيبُني سهمي
فلئِن عفوتُ لأعفونَ جللاً ... ولئن سطوْتُ لأوهنَنَّ عظمي

قال البحتري:

تقتل من وتر أعز نفوسها ... عليها بأيدٍ ما تكاد تُطيعها
إذا احترَبت يوماً ففاضَتْ دماؤُها ... تذكرتِ القُربى ففاضَتْ دموعُها

وقال أعرابي:

أقولُ للنفس تعزاءً وتسليةً ... إحدى يديّ أصابتْني ولم تُرِدِ
كلاهُما خلفٌ عنْ فقدِ صاحبِه ... هذا أخي حينَ أدعوه وذا ولَدي

(٥)

وممّا جاء في التحذير من الحرب وطلب الصلحِ

●

● التحذيرُ من تهييج الحربِ والحثُّ على الصلح

قال الله تعالى ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾[2] ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾[3] كان سويد بن متحرق خطب خطبة طويلة لصلح أمة، فقال له رجل: أنت مذ اليوم ترعى في غير مرعاك أفلا أدلك على المقال. فقال نعم. فقال: أما بعد فإن الصلح بقاء الآجال وحفظ الأموال والسلام. فلما سمع القوم ذلك تعانقوا وتواهبوا الديات. وقيل: الحرب صعبة مرة والصلح أمن ومسرّة. كتب سلم بن قتيبة إلى سعيد المهلبي لما تحاربا بالبصرة:

خذُوا حظَّكم من سِلْمنا إنّ حربنا ... إذا زينتْهُ الحَرْبُ نارٌ تُسْعَرُ

---

(١) بَرّد غليله: أطفأ جذوة حقده.

(٢) القرآن الكريم: الحجرات/ ٩.

(٣) القرآن الكريم: الأنفال/ ٦٢.

فإنّي وإيّاكم على ما يسوؤكم لمثلان أو أنتم إلى الصلح أفقرُ

وقال عبد الله بن الحسين: إياك والمعادات فإنك لن تعدم مكر حكيم أو مفاجأة لئيم. **وقال زيد بن حارثة**: لا تستثيروا السباع من مرابضها فتندموا، وداروا الناس في جميع الأحوال تسلموا.

وقيل الفتنة نائمة فمن أيقظها فهو طعامها، **قال زهير**:

وما الحَربُ إلاّ ما عَلِمْتُمْ وذُقْتُمُ وما هو عنها بالحَديثِ المُرَجّم
متى تبعثوها تبعَثوها ذميمَةً وتضرم أن أضرمْتُموها فتضرم[1]
ومن يعصِ أطرافَ الزّجاجِ فإنّه يطيعُ العَوالي رُكّبَتْ كلَّ لَهْذَمَ[2]

قال كثير:

رميْتُ بأطرافِ الزّجاجِ فلم يُفِقْ من الجهْلِ حتّى كلّمَتْه نِصالُها

● **التحذيرُ من صغيرٍ يُفضِي إلى كبيرٍ**

من أقوالهم: ربّ خطوة يسيرة عادت همّة كبيرة. **قال شاعر**:

ذَروا الأمرَ الصّغيرِ وزمّلوه فتلقيحُ الجَليلِ منَ الدقيقِ[3]

وكتب نصر بن سيّار إلى مروان بن محمد في أمر أبي مسلم صاحب الدولة **أبيات أبي مهيم**

أرى خلَلَ الرمادِ وَميضَ جمرٍ ويوشِكُ أن يكونَ له ضرامُ[4]
فإنّ النارَ بالزندَين تورى وإن الحَربَ أوّلُها كلامُ
أقولُ من التعجّب ليتَ شِعْري أأيقاظ أميّةُ أم نِيامُ
فإن يكُ قومُنا أمنوا رقودا فقُل هبّوا فقد آن القيامُ

ورأى **أبو مسلم بن بحر** في منشأ دولة الديلم هذه الأبيات مكتوبة على ظهر كتاب **فكتب تحتها**:

أرى ناراً تشبّ بكلّ وادٍ لهَا في كلّ منزلةٍ شُعاعُ
وقد رقدَتْ بنو العبّاس عنها فأضحَت وهي آمِنةٌ تُراعُ
كما رقدَت أميّةُ ثم هبّتْ لتدفَعَ حينَ ليْس بها دِفاعُ

وقال آخر:

إن الأمورَ دقيقُها مما يهيجُ به العَظيمُ

---

(١) **ذميمة**: مكروهة ـ **تضرم الحرب**: تستعر نارها.
(٢) **العوالي**: الرماح ـ **اللهذم**: القاطع والحاد من السيوف.
(٣) **زملوه**: أخفوه. (٤) **الوميض**: اللمعان.

وقال آخر:

وقد يملأُ القَطْرُ الإناءَ فيفعَمُ[1]

وقال آخر:

وأولُ الغيثِ قطرٌ ثم ينسَكِبُ

وقال آخر:

كمْ بذي الأثلِ دوحَةٌ من قَضيبِ

من الحبة تنبت الشجرة العميمة ومن الجمرة تكون النار العظيمة. التمرة إلى التمرة تمر، والذود إلى الذود إبل. **قال صالح:**

قد يحقرُ المرءُ ما يهْوى فيركبُه حتّى يكونَ إلى توريطِه سببا

وحرب **البسوس** كانت في ضرب ناب **وحرب غطفان** بسبب دابة.

● **وصفُ الحربِ بالشدة**

قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه لعمرو بن معدي كرب: أخبرني عن الحرب. فقال هي مرّة المذاق إذا شمّرت عن الساق، من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها تلف. كما **قال:**

الحرب أول ما تكون فتية تسعى ببزتها لكل جهول
حتّى إذا اشْتعلتْ وشبّ ضرامُها عادتْ عجُوزاً غيرَ ذات حليلِ
شمطاءُ جزّت رأسَها وتنكّرت مكروهةً للشمِّ والتقبيلِ

وقيل: موطنان تذهب فيهما العقول المباشرة والمسابقة. ووصفَ رجل الحرب **فقال:** أولها شكوى وآخرها بلوى وأوسطها نجوى. **قال الفرزدق:**

وجامعة أعناقها بعد ما التوت جوامعُها ما كان سيقَ لها مُهَرُ
إذا ما ابنُها لاقى أخاها تعاوروا عيُوناً من الأعداءِ أبصارُها خُزرُ

وقال أبو تمّام:

ومشهدٌ بين حكم الذلّ منقطعٌ حبالُه بحبالِ الموتِ تتّصلُ
ضنكٌ إذا خرستْ أبطالُه نطقَت فيه الصّوارمُ والخطيّة الذُبُلُ[2]

وقال المتنبّي:

ومبتسمات هيجاواتِ عصرٍ عن الأسياف ليْسَ عنِ الثغُورِ

وقال السريّ:

تضايق حتّى لو جرى الماء فوقَهم حماه ازدحامُ البيضِ أن يتسرّبا

---

(١) **القطر:** المطر ـ **يفعم:** يفيض.

(٢) **الصوارم:** السيوف ـ **الخطية الذبل:** الرماح.

- **إصابةُ الحرب جانيَها وغيرَ جانيها**

العرب تقول: الحرب غشوم لأنها قد تنال غير جانيها، **قال شاعر**:

لم أكنْ من جناتها علم اللهُ … وإنّي لحرّها اليومَ صالِ

وقال آخر:

وليس يصلَى بحرّ الحربِ جانِيها

وقال آخر

وأصبحَ منْ لمْ يجنِ فيها كذي الذنْبِ

قال أبو حيّة:

أصابُوا رجَالاً آمنين وربما … أصابَ بريئاً من يكنْ غيرَ ذا ذنْبِ

قال ابن الرومي:

رأيتُ جناةَ الحرْبِ غيرَ كفَاتها … إذا اختلفَتْ فيها الرماحُ الشواجرُ(١)

كذاكَ زنادُ الحربِ عنها بنجوَةٍ … ولكنَّما يصْلى صَلاها المشاعرُ

- **التفادِي من محاربةِ الأنذالِ**

قصد الإسكندر موضعاً فحاربته النساء فكفّ عنهن **فقيل له في ذلك**، **فقال**: هذا جيش إذا غلبناه فما لنا به من فخر وإن غلبنا فتلك فضيحة الدهر. **قال شاعر**:

قبيلٌ لئامٌ إنْ ظفِرْنا عليهم … وأن يغْلبونا يوجدوا شرّ غالبِ

- **الممتنعُ من الصُلْحِ**

قال عبد الرحمن بن سليمان:

فلا صلحَ حتّى تخبط الخيلُ في القَنا … وتوقدَ نارُ الحرْبِ في الحطَبِ الجَزْلِ(٢)

وقال آخر

فلا صلحَ ما دامَت هِضابُ أبانِ(٣)

قال حرملة بن المنذر:

طلبوا صلْحَنا ولاتَ أوانُ … فأجبْنا أنْ ليسَ حينَ بقاءِ

فلحا الله طالبَ الصلح منّا … ما أطافَ الميسُ بالدهماءِ

وقال عمرو بن الأهيم:

ليس بيني وبين قيسٍ عتابٌ … غير طعنِ الكُلَى وضربِ الرّقابِ

وقال الزبرقان:

فلن أصالحَهم ما دمْتُ ذا فرس … واشتَدّ قبْضاً على الأسْيافِ إبْهامي

---

(١) **الرماح الشواجر**: المتشابكة. (٢) **الحطب الجزل**: الغليظ.

(٣) **أبان**: جبل بين فيد والنبهانيّة وهو أبيض، **وأبان أيضاً**: جبل أسود، فهما أبانان (**معجم البلدان**: **مادة أبان**).

- **تبكيتُ مَن عُرِضَ عليه صُلْحٌ فلم يقبله واستَوْخَمَ عاقبتَهُ**

قال ابن قيس:

ومولىً دعاهُ الغيّ والغيّ كاسمه ... وللجبْن أسبابٌ تصدّ عن الحزْمِ[1]

أتاني يشبّ الحربَ بيْني وبينَه ... فقلْت له لا بلْ هلمّ إلى السّلْمِ

ولما أبى أرسلت فضلة ثوبه ... إليه فلمْ يرجع بحزمٍ ولا عزمِ

فكانَ صريعَ الجهْل أوّل مرة ... فيا لكَ من مختارِ جهْلٍ على علمِ

- **ضارع يطلب الصلح**

قال المتنبّي:

من أطاقَ التِماسَ شيء طلاباً ... واغتصاباً لم يلتمسْه سُؤالا

(٦)
وممّا جاءَ في الهَزيمة والخَوْف وأنّ الفرارَ لا يَقِيْ من المَوْتِ

●

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾[2] **وقال أمير المؤمنين يوم الجمل:** إن الموت طالب حثيث لا يعجزه المقيم ولا يفوته الهارب، وإن لم تقتلوا تموتوا وإن أشرف الموت القتل. **والعرب تقول:** أجرأ من خاصي خصّاف وكان جباراً فشهد حرباً فوقف حجزه فجاء سهم فغرز في الأرض وجعل يهتز فبحث فرآه قد أصاب يربوعاً[3]، فقال:

لا المرءُ في شيء ولا اليَربوعُ[3]

ولا أقتل إلا بأجلي. ثم حمل فخرق الصف، فأنكى[4] في القوم. **قال شاعر:**

إن الفرار لا يزيد في الأجل

- **تفضيلُ القتلِ على الهَرَبِ**

قال سقراط لرجل هرب من الحرب: الهربُ من الحرب فضيحة. **فقال الرجل:** شر من الفضيحة الموت. **فقال سقراط:** الحياة إذا كانت صالحة فسلم فإذا كانت رديئة فالموت أفضل منها. ولما قتل الإسكندر ملك الهند **قال لحكمائه:** لِمَ منعتم الملك من الطاعة؟ **قالوا:** ليموت كريماً ولا يعيش تحت الذلّ.

---

(١) الغيّ: الضلال.
(٢) القرآن الكريم: الأحزاب/ ١٦.
(٣) اليربوع: الفأر.
(٤) أنكى فيهم: قهرهم بالقتل والجرح.

● **المتمنعُ من الفرار**

قالت امرأة من عبد القيس:

أبوا أن يفرّوا والقضاءُ في نحورِهم ... ولم يرتَقوا من خشيةِ الموتِ سلّما
ولو أنهم فرّوا لكانوا أعزّةً ... ولكن رأوا صبْراً على الموْت أحزَما

● **تعييرٌ من آثارَ الحرب فهرب**

قال عمارة بن عقيل:

ما في السويّةِ أن تجرّ عليهم ... وتكونَ في الهيْجاء أولَ صادرِ

وقال هدبة بن الخشرم:

وليس أخو الحرب الغليظةِ بالذي ... إذا زيّنته الحربُ للسلمِ أخضَعا

قال الحصيفي:

جنيتُم علينا الحربَ ثم ضجعتُمُ ... إلى السلْم لمّا أصبَح الأمرُ مُبْهَمَا

● **المعيَّرُ بانهزامِهِ**

قال الحجاج في كلامه: ولّيتم كالإبلِ الشوارد إلى أوطانها النوازعِ إلى أعطانها ألا يلوي الشيخ على بنيه ولا يسأل المرء عن أخيه، **قال شاعر:**

شرّده الخوْف فأزْرَى به ... كذاكَ مَنْ يكره جردَ العُلا

قال خراش بن الحارث:

ما أنتَ إلا كعيرٍ خافَ ميسمَه ... قد يضرطُ العيرُ والمكواةُ في النّارِ

وقال آخر:

فولّيتَ عنه يرتمي بكَ سابحٌ ... وقد قابلتْ أذنيْه منْهُ الأخادعُ[1]

وقال المنصور لبعض الخوارج: عرّفني مَنْ أشدُّ أصحابي إقداماً. **فقال:** لا أعرفهم بوجوههم فإني لم أر إلا أقفاءهم.

وقال ابن الرومي:

لا يعرف القرن وجهَه ويرى ... قَفاه من فرسَخٍ فيعرفُه

وقال آخر:

وولّى كمَا ولّى الظليمُ من الذُّعْر

قال المتنبّي:

أشدّ سلاحِهم فيهِ الفِرارُ

---

(١) الأخادع: الأخدع (وهما أخدعان): عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا.

وقال آخر:

قد عاذَ بالإقبحَيْنِ الذل والفشلا

قال أبو تمام:

موكل بيفاعِ الأرضِ يشرفهُ ... من خفةِ الروْعِ لا مِنْ خفّةِ الطّرَبِ

قال البحتري:

تخطأ عرض الأرض راكبِ وجهِه ... ليمنعَ عنه البعْدَ ما يبذلُ القربُ

● **من وَصَف قوماً هزمَهُمْ**

قال قيس بن عطية:

وتكرّ أُولاهم على أُخراهم ... كرَّ المخلى عن حياضِ المصْدر

وقال منحناهم الهزيمة ونفضنا عليهم العزيمة. قال بكر بن النطاح:

ولقيتُهم لقي الأعا ... جم كالجَراد المرتدف

فقطعتُ أصلَهم وقطْـ ... ـعُ الأصْلِ أقطعُ للطّرفِ

قال الموسوي:

إذا ما لقيتُ الجيشَ أفنيتُ جلّه ... ردى ورددتُ الفاصِلين نواعِيا

ويقال تركت لهم شقّ الشمال إذا هزمتهم. وقيل ذلك لأجل أن المنهزم يأخذ طريق الشمال. قال شاعر:

إذ حاربُوا لم ينظُروا عنْ شِمالهم ... ولم يُمْسكوا فوقَ القُلوبِ الخوافِق

● **تركُ أتباع المنهزم**

أوصى الإسكندر صاحب جيش له فقال: حبب إلى أعدائك الهرب قال: كيف أصنع؟ قال: إذا ثبتوا جد في قتالهم وإذا انهزموا لا تتبعهم.

وقيل لأمير المؤمنين: أنت رجل محرب[1] وتركب بغلة فلو اتخذت الخيل. فقال أنا لا أفرّ ممن كرّ ولا أكرّ على من فرّ. وعاتب المهلب الحجّاج في تركه أتباع الخوارج لما انهزموا فكتب إليه: أما علمت أن الكلب إذا أحجر[2] عقر[3]

● **المتأسفُ على مَنْ نجا ولم يؤسَرْ**

قال عوف بن عطية:

ولولا علالةُ أفراسِنا ... لزادَكم القوم خِزْياً وعَارا

قال امرؤ القيس:

وأفلتهن علباء جريضا ... ولو أدركَته صفرُ الوطابِ

---

(١) محرب: صاحب حرب. (٢) أحجر منع. (٣) عقر: جرح.

قال أبو تمّام:

لـولا الـظـلامُ وعـلّـةٌ عـلِـقُـوا بـهـا ... بـاتَـت رقـابُـهـم بـغـيـرِ قـلالِ
فـلـيشـكـرُوا جـنْـحَ الـظـلامِ ودرودا ... فـهـم لـدرود والـظـلام مـوالِ[1]

قال عنترة الكلبي:

فـلـولا الله والـمـهـرُ الـمُـفَـدَّى ... لابـت وأنـتَ غِـربـال الإهـابِ

- **الفارُ في وقت الفرار والثابت في وقت الثبات**

قال يوماً معاوية رضي الله عنه: لقد علم الناس أن الخيل لا تجري بمثلي فكيف؟

قال النجاشي:

ونـجّـى ابنَ حـرب سـابـحٌ ذو عـلالـة ... أجـشّ هـزيـمٌ والـرمـاحُ دوانِـي

فقال عمر: وأعياني أشجاع أنت أم جبان؟ **فقال:** شجاع إذا ما أمكنتني فرصة وإن لم تكن لي فرصة فجبان. **وقيل:** الهرب في وقته خير من الصبر في غير وقته **وقيل:** من هرب من معركة فعرف مصيره إلى مستقره فهو شجاع.

- **تفضيلُ الإحجام حيث يكون أوفقَ على الإقدام**

قال المهلّب: الإقدام على الهلكة تضييع كما أن الإحجام عن الفرصة عجز. **وقال المتوكل لأبي العيناء:** إني لأفرق من لسانك. **فقال:** يا أمير المؤمنين الكريم ذو فرق وإحجام واللئيم ذو وقاحة وإقدام. **قال مالك الأنصاري:**

أقـاتـلُ حـتّـى لا أرى لـي مـقـاتـلاً ... وأنـجـو إذا غـمّ الـجـبـان مـن الـكـربِ

- **من هربَ لمّا علم قلّة غنائه**

قال هبيرة القرشي:

لـعـمركَ مـا ولـيـت ظـهـرا محـمـداً ... وأصـحـابه جبْنـا ولا خـشـيـةَ الـقـتْـلِ
ولـكـنّـنـي قـلّـبْـتُ أمـري فـلـمْ أجِـد ... لـسـيـفـي غـنـاء إن ضـربـْـتُ ولا نَـبْـلـي
وقـفـتُ فـلـمـا لـم أجـدْ لـي مـقـدمـاً ... صـدرْتُ كـضـرغـامٍ هـزبـرٍ إلى الـشِّـبـلِ
ثـنـى عـطـفَـه عـن قـرنِـه حيـثُ لـم يـجِـد ... مـا غـالَـهُ عـنـد الـتـصـرّفِ والـخـتْـلِ

وقال آخر:

أعـاذلُ مـا ولّـيـتُ حـتّـى تـبـددتْ ... رجـالٌ وحـتّـى لـم أجـدْ لـي مـقـدّمـا
وحـتّـى رأيـتُ الـوريـدَ يـدمـى لـبـانـه ... وقـد هُـزمَ الأبـطـالُ وانـتـثـل الـدّمـا[2]

---

(١) **الدرود:** حيوانات من التدبيات.

(٢) **انتثل:** استخرج.

● اعتذارُ هاربٍ زعم أن هربَه نبوة أو قدر

قال شاعر:

أيـذهـبُ يـومٌ واحـدٌ إن أسـأتـه ... بـصـالـح أيـامـي وحـسـنِ بـلائِـيَـا
ولـم تـبـدُ مـنـي نـوبـةٌ قـبْـل هـذهِ ... فِـراري وتـركـي صـاحـبـي ورائِـيَـا

قال عبد الله بن غلفاء:

وليسَ الفرارُ اليومَ عاراً على الفتى ... إذا عرفتْ منه الشجاعةُ بالأمسِ

وسمع بعض الفرس قول الشاعر:

ألـم تـرَ أن الـوردَ عـرّد صـدره ... وحادَ عن الدعوى وضوءِ البوارقِ(١)

فقال: عذره أشدّ من ذنبه فمن قصّر عن إمساك مركوبه كيف يرجى منه أن يهزم جماعة عدوّه، **قال نعيم التميمي:**

فـإنْ يـكُ عـاراً يـومَ فـلـج أتـيـتُـه ... فـرادى فـذاكَ الـجـيْـشُ قـد فـرّ أجـمـعُ

قال ثعلبة الباهلي:

فـلا تـعـذِلانـي فـي الـفِـرار فـإنّـنـي ... فـراري لـمّـا قـد فـرّ قـبْـلـي عـامـرُ
فـإنْ لـم أعـوّد نـفـسـي الـكـرّ بـعـدَهـا ... فـلا وألـت نـفـسـي عـلـيْـهـا أحـاذرُ(٢)

وقال الوليد لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: مالك جفوت عثمان رضي الله عنه؟ **فقال:** أبلغه أني لم أفر يوم أحد ولا تخلفت يوم بدر. فأخبرته بذلك. **فقال:** أمّا فراري يوم أحد فقال يعيرني به وقد عفا الله عني حيث يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾(٣) ولقد عفا الله عنهم. وأما تخلفي يوم بدر فإني كنت أمرّض بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت. أخبره عني بذلك.

● المُتَفادي من حضور الحرب

قيل لبعضهم لِمَ لا تغزو؟ فقال: إني أكره الموت على فراشي فكيف أسعى إليه برجلي. ورأى المعتصم في بعض منتزهاته أسداً فنظر إلى رجل أعجبه زيه وقوامه وسلاحه فقال له: أفيك خير؟ فعلم الرجل مراده فقال: لا. فقال: لا قبّح الله سواك وضحك.

واجتاز كسرى في بعض حروبه برجل قد استظل بشجرة وألقى سلاحه وربط دابّته. **فقال له:** يا نذل نحن من الحرب وأنت بهذه الحالة، **فقال:** أيها الملك إنما بلغت هذا السن بالتوقي، **فقال:** زه وأعطاه مالاً.

---

(١) **عرّد:** ارتفع.
(٢) **وألت:** يقال وأى من كذا: طلب النجاة منه، **وإلى المكان:** بادر، **وإلى الله** رجع.
(٣) **القرآن الكريم:** آل عمران/ ١٥٥.

● **وصفُ المحتجِّ لانهزامِهِ بخوفِهِ من القتلِ**

قيل لرجل: إنك انهزمت. **فقال** غَضَبُ الأمير عليّ وأنا حيّ خير من أن يرضى وأنا ميت. **قال زفر بن الحارث**:

ألا لا تلوماني على الجُبْن إنّني ... أخافُ على فخارتي أن تحطَّمَا
ولو أنّني أبتاعُ في السوقِ مثلَها ... إذا شئْتُ ما باليْتُ أن أتقدّما

وقال آخر:

يقولُ لي الأمْرُ بغيْرِ نصْحٍ ... تقدم حينَ جدّ بنا المراسُ
ومالي إنْ أطعتُكَ من حياةٍ ... ومالي بعْدَ هذا الرأسِ راسُ

وهرب الوليد من الطاعون **فقيل له**: قل: لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلاً. **فقال**: ذلك القليل أطلب. وقيل لرجل يوم صفّين، قد انهزم ما خبر الناس؟ فقال: من صبر أخزاه الله ومن انهزم نجّاه الله. **قال محمد بن موسى** القاضاني وله أشعار كثيرة في الدلالة على جوده:

أنا المحصون من كتب المَغازي ... إذا قرئت سرى فيها قراني
أرى في النوم سيْفاً أو سناناً ... فأسلَحُ في الفِراشِ على المَغانِي

قال أبو الغمر:

باتَتْ تشجّعُني عِرْسي وقد علمَت ... أن الشجاعَةَ مقرونٌ بها العَطَبُ
للحربِ قومٌ أضلّ الله سعيَهم ... إذا دعتْهم إلى مكروهها وثبُوا
ولستُ منهم ولا أهوى فعالَهم ... لا الجدُّ يعجِبني منهم ولا اللعبِ

قالت بنت الطرماح:

فتنةٌ يسْعى لهَا جهّالُها ... أكلُبُ النار فَدَعْها تقْتَتِل

● **المؤثرُ الدّعَةِ على الحربِ**

قال أبو العتاهية: دخلت أنا وأبان على عنان وهي في خيش، **فقلت**: إن العيش خيش، **فقالت**: لا قتال وجيش.

قال زيد الخيل

تذكر حضْنَه لما رآني ... أقلّب آلةً مِثْل الهِلالِ

قال الهذلي:

عقوا بسهْمٍ فلمْ يشعرُ به أحدٌ ... ثم استفاؤوا وقالوا حبّذا الوضحُ[١]

---

(١) **الوضح**: الضوء وبياض الصبح، **والوضح أيضاً** الشيب والبرص.

● **الهاربُ من قومه**

قيل: الشجاع يقاتل من لا يعرفه، والجبان يفرّ من عرسه، والجواد يعطي من لا يسأله، والبخيل يمنع من نفسه.

قال شاعر:

يـفـرّ جـبـانُ الـقـوم عـنْ أمّ نـفـسـه ... ويحمي شجاعُ القومِ منْ لا يناسِبُه

قال حسّان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

إن كـنـتِ كـاذبـةَ الـذي حـدثـتِـنـي ... فنجوت منجى الحارث بنِ هشامِ

تـركَ الأحـبّـةَ أن يـقـاتـلَ دونَـهـم ... ونـجـا بـرأس طـمـرة ولِـجـامِ

قال أبو تمّام:

أجدي قرابيسه صرفُ الردى ونجَا ... بحيثُ أنجى مطاياه منَ الهرَبِ

وله:

ونجا ابن خانية البعولةِ لو نجَا ... بمهفهف الكشْحَيْن والآطالِ

تـركَ الأحـبّـةَ سـالِـيـا لا نـاسِـيـاً ... عذرُ النسيِّ خلافُ عذرِ السالِي(١)

● **منْ نجَا وقدِ استولَى عليه الخوفُ**

قال شاعر

فإن يـنْـجُ مـنـهـا الـبـاهـليّ فـإنّـه ... قطيعُ نِياطِ القلْب دامي المقاتِلِ

وقال أبو تمّام:

مـن مـشـرق دمـه فـي وجـهـه بـطـلٌ ... أو ذاهـلٌ دمِـه فـي الـرعـب قـد نـزَفـا

فـذاكَ قـد سـبـقَـتْ مـنْـه الـقـنـا جـرعـاً ... وذاكَ قـد سـبـقَـتْ مـنـه الـقَـنـا نُـطـفـا

وقال غيره:

ومـا نـجـا مـن شـفـارِ الـبـيـض مـنـفـلـت ... نـجـا ومـنـهـنّ فـي أحـشـائـه فـزعُ

وقيل لمنهزم: كيف فلان؟ **قال**: قتل. **قيل**: ففلان؟ قال قتل. **قيل**: هل لك في سويق تشربه؟ **فقال**: السويق قتل.

وقيل لرجل تعرض له الأسد فأفلت منه كيف حالك؟ **قال**: سلمت غير أن الأسد خرىء في سراويلي. **قالت عابدة المهلبية**:

فـإن ثـبـتُـوا فـعـمـرُهـم قـصـيـرٌ ... وإن هـربُـوا فـويـلُـهـم طـويـلُ

---

(١) **النسي**: الكثير النسيان.

- **المتبجّح بإثارة الحرب والانهزامُ**

قال شاعر:

وكـتـيـبـةٍ لـبـسـتُـهـا بـكـتـيـبـةٍ   حتّى إذا التبسَتْ نفضْتُ لها يدِي
فتركتُهم نفض الرماح ظهورهم   من بـيـنِ منـجـدلٍ وآخرَ مسْـنـدِ

فقال أبو القاسم الدميري: هذا كقول الله سبحانه وتعالى ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾[1] الآية

- **المتبجّح بأنه عدا لما رأى العِدى**

قال تميم بن أسد الخزاعي:

لـمـا رأيـتُ بـنِـي نـفـاسـةَ أقـبـلُـوا   يـغـشَـوْنَ كـلَّ وتـيـرةٍ وحِـجـابِ
ونشيتُ ريحَ الموتِ من تِلْقائِهم   وخشِيتُ وقْعَ مُهَنّدٍ قِرْضابِ[2]
رفـعـتُ رِجـلاً لا أخـاف عِـثـارَهـا   وتـبـذْتُ بـالـمَـتْـنِ الـعَـراء ثِـيـابـي

- **تسلية المنهزم**

لما انهزم أمية بن عبد الله لم يدر الناس كيف يهنئونه أو يعزّونه فدخل عبد الله بن الأهتم **فقال:** الحمد لله الذي نظر لنا عليك، ولم ينظر لك علينا فقد تقدمت للشهادة بجهدك ولكن علم الله حاجة الإسلام إليك فأبقاك له.

قال المتنبّي يعتذر عن سيف الدولة في هزيمة وقعت له:

قـلْ لـلـدمـسـتـقِ إنّ الـمـسـلـمـيـن لـكُـم   خافُوا الأميرَ فجازاهم بما صنعُوا
لا تـحـسـبُـوا مَـنْ أسـرتُـم كـان ذا رمـق   فـلـيـسَ تـأكـلُ إلا الـمـيْـتَ الـضـبـعُ
وإنّـمـا عـرضَ الـلّـهُ الـجـنـودَ لـكُـم   لـكـيْ يـكـونُـوا بـلا فـشَـلٍ إذا رجـعُـوا
فـكـلّ غـزوٍ إلـيـك بـعـدَ ذا فـلـهُ   وكـلّ غـازٍ لـسـيـفِ الـدولـة الـتـبـعُ

- **المظهر الشجاعة خارج الحرب والجبن فيها**

قيل: فلان يتثعلب في الهيجاء ويتنمّر في الرخاء. **قال شاعر:**

يـفـرّ بـحـيْـثُ تـخـتـلِـفُ الـعَـوالـي   وإنْ يـأمَـنْ فـذو كـبْـرٍ وتـيـهِ

وقال دعبل:

أسُـودٌ إذا مـا كـانَ يـومَ كـريـهَـةٍ   ولـكـنّـهـم يـومَ الـلـقـاءِ ثـعـالِـبُ

---

(١) القرآن الكريم: الحشر/١٦.
(٢) المهند القرضاب: السيف القطّاع، والقرضاب: اللّص.

وله:

غَيْرٌ رأى أسدَ العرين فراعَه حتّى إذا ولّى تولّى ينهقُ

- **الخائفُ من أعدائه الجسورُ على أوليائِهِ**

قيل لبعضهم: ما النذالة؟ **قال**: الجراءة على الصديق، والنكول عن العدو ولهذا باب في غير هذا الموضع.

- **الجُبْنُ**

في المثل: هو أجبن من صفرد[١] ومن صافر. **قيل**: هو طائر يتعلق برجليه في شجرة خشية أن ينام فيؤخذ، وأحذر من عقعق[٢] وأشرد من ظليم[٣]

قال عبد قيس بن خفاف:

وهم تركوكَ أسلحَ من حُباري رأتْ صقراً وأشردَ من ظليمِ

وأجبن من المتروف ضرطاً، هو رجل كان إذا نبهته امرأته للصبوح يقول لو نبّهتني لغارة، فجاءته يوماً تنبهه **وقالت**: الخيل فجعل يقول الخيل ويضرط حتى مات. **قال الله** تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾[٤] فهذا مبالغة في وصف الفزع.

وسأل عبد الملك محمد بن عميرة عن بعض الأمراء فقال تركته مشفقاً على حياته محتاجاً إلى طولها. **قال آخر**:

قطيعُ نياطِ القلبِ دامي المَقاتلِ

قال أبو تمّام:

حيران يحسبُ سجف النقع من دهشٍ طوْداً يحاذِر أن ينقضّ أو جُرفا[٥]

- **مَن ذَكَر خَور نفسِهِ**

أتى الحجاج برجل من أصحاب ابن الأشعث **فقال له**: أسألك أن تقتلني وتخلّصني. **فقال له الحجاج**: لِمَ؟ **فقال**: إني أرى كل ليلة في المنام أنك تقتلني وقتلة واحدة خير فضحك وخلّى سبيله. **قال شاعر**:

لقد خفتُ حتّى لو تمرّ حمامةٌ لقلْتُ عدوّ أو طليعَةُ معْشرِ

قال آخر:

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى وصوّت إنسانٌ فكِدْتُ أطيرُ

---

(١) **صفرد**: طائر يضرب به المثل في الجبن. (٢) **عقعق**: طائر كالغراب.

(٣) **ظليم**: ذكر النعام. (٤) **القرآن الكريم**: المنافقون/ ٤.

(٥) **النقع**: الغبار - **الطود**: الجبل - **الجرف**: الجانب الذي أكله الماء من حاشية النهر.

ولما قال عرابة بن سلامة:

وددتُ مخافةَ الحجّاج أني ... من الحيتان في لجٍّ أعومُ

قيل له: أقويت فقال الإقواء بين عقلي ونفسي أكبر من ذلك

- **من ضاقَتْ عليه الدنيا من المَخَافَةِ**

قال لبيد:

كأنّ بلادَ الله وهي عريضَةٌ ... على الخائف المطلوبِ كفةُ حابلِ

قال دعبل:

كأنّ نفسَه من طولِ خَبرتِها ... منها على نفسه يومَ الوغى رصدُ

- **المغلوبُ**

كتب مروان إلى بعض الخوارج إني وإياك لك الزجاجة والحجر إن وقع عليها رضّها وإن وقعت عليه قضّها. **قال:** واستضعف ابن شبرمة رجلاً، فقال: أنت حجة خصمك وسلاح عدوك وفريسة قِرنك.

- **المتكلّح من المخافة**

الخائف إذا أفرط به خوفه تقلّصت شفته. **قال الأعشى:**

وإذا العوالي أخرجَتْ أقْصى ألمِ ... كلحَ الفتَى جزَعاً ولم يتبسّمِ

- **شيوعُ المخافةِ في الناسِ**

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾(١) (الآية)، **وقال حسّان:**

تشيبُ الناهدُ العذراءُ منها ... ويسقُط من مخافتِها الجنينُ

(٧)

وممّا جاء في التلصّص وما يجري مجراه

- **السرقةُ**

قيل: فلان أسرق من ذبابة ومن عقعق ومن شظاظ(٢) وهو رجل موصوف بالسرقة. **وقيل:** فلان لو خلا بالكعبة لسرقها. **وقيل:** لص شص(٣) على الإتباع.

---

(١) **القرآن الكريم:** سورة الحج/ ٢.

(٢) **شظاظ:** خشبة عقفاء تدخل في عروتي الجوالق، وشظاظ في السياق لصّ كان معروفاً.

(٣) **الشصّ:** اللص الذي لا يترك شيئاً إلا أتى عليه.

ومن الموصوف بالسرقة شيبان بن شهاب كان يجمع القراد[1] في دبة فيأتي بها عطن الابل إذا استقرت فيه فيفتحها ثم يرسلها فتتبدد الإبل فيسرقها، ومنه قال الشاعر:

وأوصى جحدر قدماً بنيه — بإرسالِ القراد على البَعيرِ

● أصنافُ اللصوصِ

قال عثمان الخياط: السارق في الحضر والسفر **خمسة**: المحتال، وصاحب ليل وصاحب طريق، والنبّاش والخنّاق. فالمحتال إسم لمن لا يعمل إلا بحيلة ولا يقتل فهو لا يعرف بالصبر والنجدة، واللصوص يبهرجونهم ولا يستصحبونهم.

وأما **صاحب الليل** فالنقّاب والمتسلّق والمكابر وأشباه ذلك. والنبّاش معروف وأما الخنّاق فما منهم واحد إلا وهو صاحب بعج ورضخ. والرضخ إنما يكون في الأسفار ويصحب الرجل المنفرد من الرفقة ومعه حجران أملسان ململمان قدر ملء الكف فإن قدر عليه ساجداً أو نائماً وإلا فقائماً فيعمد إلى صماخه ولا يخطىء وأكثرُهم لا يرضى إلا بالقتل مخافة المطالبة.

وتعيّن[2] ناس منهم شيخاً معه مال وكان لا ينزل إلا بين القوم، فلما أعياهم أمره وكادوا يبلغون المنزل وخافوا الفوت وجدوا تشاغلاً من القوم فألقى أحدهم الوتر في عنقه وغطاه بثوبه وأذن في أذنه فأخذ المخنوق يخور فاجتمع القوم، **فقالوا**: ما لكم والرجل خلّوا عنه. **فقالوا**: سلوا ربكم العافية وتباعدوا عنه فإنه إذا أفاق ورآكم استحيا فلّما رأوه قد برد **قالوا**: دعوه قد نام وفي النوم راحته ولما تفرق القوم أخذوا المال وتركوه.

ومن الخنّاقين من يحمل الرجل إلى داره بحيلته فإذا ألقى الوتر في عنقه ضرب أصحابه الطبل والصنج وتصايحوا كما يفعل النساء في البيوت ليخفى صوته.

● عونةُ[3] اللصوص

العين والمؤتي والشاغل والطراز. **فالعين** الذي يلزم الصيارف يتأمل كل مال محمول يأتي السفن فيتعرف موضع الحرز، ويأتي دار قوم يتطلب أنه يتوضأ فيتعرّف خزائنهم، والموضع الذي يقصدون منه.

والمؤتي الذي يتولي البيع والابتياع لهم ويجعل عند ذلك كأنه أمير قرية أو زعيم محلّة.

والشاغل هو الذي يشغل القوم عن اللص. **والطراز** إذا ظفروا به يجيء اللص فيضربه ما لا يضربه السلطان. ويقول هذا والله صاحبي هو الذي ذهب بمالي ويضربه ويحتال بذلك حتى يتشاغل عنه القوم فإذا تشاغلوا عنه أفلته وتأسّف مع القوم.

---

(١) **القراد**: دويبة. (٢) **تعينوه**: رأوه يقيناً. (٣) **العونة**: الأعوانة.

● **المتبجحُ بالتصعلكِ والمتشوّق إليه**

قال عروة بن الورد:

أقيموا بني لبْنى صدورَ مطيّكم ... فإنّ منايا القومِ شرّ من الهَزْلِ
لعلّ انطلاقي في البلادِ وبغيتي ... وشدّي حيازيم المطيّة بالرحْلِ[1]
سيدفعُني يوماً إلى رب هجمةٍ ... يدافِع عنها بالعقوقِ وبالبُخْلِ

وقال آخر:

وإني لأستحي من الله أن أرى ... أطوفُ بحبل ليس فيه بعيرُ
وأسأل ذيّاكَ البخيل بعيرَه ... وبعران ربّي في البلاد كثيرُ

وقال بعض اللصوص:

وكمْ بيتٍ دخلْتُ بغيْرِ إذنٍ ... وكم مالٍ أكلْتُ بغيرِ حلّ

وقال آخر:

وعيّابة للجودِ لم تدرِ أنّني ... بإنهاب مالِ الباخلين موكّلُ
غدوتُ على ما احتازه فحَويتُه ... وغادرتُه ذا حيرة يتململُ

وقيل لأعرابي أتسرق بالنهار فقال:

معاذَ الله من سرق بليلٍ ... ولكنّي أجاهِرُ بالنّهارِ

وقال بعض الخراب، والخارب سارق الإبل خاصة:

أيذهبُ بارحُ الجوزاءِ عنّي ... ولمْ أذعر هوامل بالستارِ

وإنما قال ذلك لأن البارح يعفي الأثر فيأمن أن يقتصّ أثره فيؤخذ، **ولبعض لصوص التمر:**

ألا يا جارَنا بأباض إنا ... وجدْنا الريحَ خيراً منك جارا
يخبرنا إذا هبّت علينا ... وتملأ وجهَ ناظرِكُم غُبارا

● **تحسينُ التلصّصُ والتبجّحُ به**

قال عثمان الخياط: لم تزل الأمم يسبي بعضهم بعضاً ويسمون ذلك غزواً وما يأخذونه غنيمة وذلك من أطيب الكسب وأنتم في أخذ مال الغدر والفجرة أغدر فسمّوا أنفسكم غزاة كما سمّى الخوارج أنفسهم سراة **وأنشد:**

سأبغي الفتى إما جليس خليفةٍ ... يقوم سواء أو مخيفَ سبيل

---

(١) **الحيازيم:** جمع حيزوم وهو ما يشدّ به وسط المطيّة.

وأسرق مالَ اللّهِ من كلّ فاجرٍ　　وذي بطنةٍ للطيّبات أكولِ

وقالوا: اللص أحسن حالاً من الحاكم المرتشي، والقاضي الذي يأكل أموال اليتامى.

● التجسير على التلصص

قال عثمان الخياط: جسّروا[1] صبيانكم على المحارجات[2] وعلموهم الثقافة وأحضروهم ضرب الأمراء أصحاب الجرائم لئلا يجزعوا إذا ابتلوا بذلك وخذوهم برواية الأشعار من الفرسان وحدّثوهم بمناقب الفتيان وحال أهل السجون، وإياكم والنبيذ فإنها تورث الكظة[3] وتحدث الثقل وتدعو إلى البول والنوم ولا سيما بالليل ولا بد لصاحب هذه الصناعة من جراءة وحركة وفطنة وطمع، وينبغي أن يخالط أهل الصلاح ولا يتزيّا بغير زيّه.

● إستعمالُ الظَرْفِ في التلصّص

حُكِيَ عن عثمان الخياط أنه إنما سمّي خياطاً لأنه نقب على أحذق الناس وأبعدهم في صناعة التلصّص، وأخذ ما في بيته وخرج وسدّ النقب كأنه خاطه. فسمّي بذلك. وحكي أنه قال: ما سرقت جاراً وإن كان عدواً، ولا كريماً، ولا كافأت غادرا بغدره.

وقال لأصحابه إضمنوا إليّ ثلاثاً أضمن لكم السلامة. لا تسرقوا الجيران، واتقوا الحرم ولا تكونوا أكثر من شريك مناصف، وإن كنتم أولى بما في أيديهم لكذبهم وغشّهم وتركهم إخراج الزكاة وجحودهم الودائع.

وخرج سليمان وكان من أجلد هذه العصابة ليلة بأصحابه إلى دار بعض الصيارفة فاختفوا فلما أرادوا الإنصراف، **قال بعض أصحابه**: دعنا نقم على مفارق الطرق لنأخذ من بعض المارّة نفقة يومنا. فقال: على أن لا تبطشوا بهم فقالوا: وهل يفعل ذلك إلا الجبان. فبينما هم كذلك إذ مرّ شاب ذو هيئة فلما قرب سلّم عليهم فردّ عليهم بعضهم السلام فقام إليه بعضهم فقال رئيسهم دعه فإنه سلّم ليسلم، وأجابه بعضكم فصار له ذمّة بذلك. قالوا: فنخلي سبيله. **قال**: أخاف عليه غيركم ليذهب مع ثلاثة يوصلونه إلى منزله ففعلوا. فلما بلغ دفع لهم مالاً وقال لأحوطنكم بمالي وجاهي لما عاملتموني به. فلما عادوا بالدراهم، **قال رئيسهم**: هذا أقبح من الأول تأخذون مالاً على قضاء الذمام والوفاء بالعهد لا أبرح أو تردّوا إليه المال، **فقالوا**: قد افتضحنا بالصبح فقال لئن نفتضح بالصبح خير من تضييع الذمام، **وقال** ما خنت ولا كذبت منذ تفتّيت[4]

---

(١) **جسّروهم**: جرّئوهم.　　(٢) **المحارجات**: المضايقات.

(٣) **الكظّة**: ما يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام.

(٤) **تفتيت**: أي صرت من أصحاب الفتوّة أي الشباب، والفتوّة صفة تطلق على الأحداث من اللصوص وشجعانهم.

● **المتبجحُ منهم بالصبرِ على الضربِ**

قال أبو معن الزنجي: وكان النظّام يقول لو ادعى النبوّة وأن معجزته الصبر على الضرب بالسياط لأدخل عليهم به شبهة عظيمة.

وقال عثمان الخياط: ضربته يوماً بشمراخ[1] رطب فالتوى إلتواء الحية وكاد يواثبني. فقلت: أهذا صبرك؟ فقال: إنك لم تتعمد أحسبت أن صبري على السياط طبيعة إنما هو الكظم والصبر على قدر النظارة ألا ترى أنه **قيل**: أصبر الناس من ضرب في السجن خمسين سوطاً لأنه إذا لم يكن من يمدحه تألم وإذا كان بين الناس بحيث يرونه فهو العزم والمروءة والقيام بالفتوّة.

وقال بعضهم ضربت بالمدينة ثلاثين حداً على ثلاثين سكراً فما **قلت**: حس، وإن أحدكم ليتألّم من دون حد.

قيل لبعضهم: من أصبر من رأيت؟ **قال**: عرفت صبر الهند على النيران وصبر الأعراب على مدّ الأعناق لسيوف السلطان وصبر السند على قطع الآذان وجدع الأنوف ولم أرَ أصبر من الفتيان تحت الضرب والثاني ربما يزهق في ألف درهم وعنده عشرة آلاف فيضرب سوطاً أو سوطين فيخرج عن أهله وعشيرته.

● **فعلُ الطرّارين**[2]

أتى بعضهم بزازاً[3] في غدوة وهو فارس مع غلام فقال: إئتني بجراب بلخيّ وجراب مرويّ وعجل وخذ الثمن فأخرج ذلك وساومه وأطمع التاجر. **وقال**: ائتني بآخر فلما دخل الحانوت **قال**: ما أضيع متاعكم وأنتم تسخرون بالناس لو أن إنساناً أخذ متاعك هذا وقفل الباب هكذا ما كنت تفعل. فحرك التاجر الباب يظن أنه يلعب فإذا هو قد مرّ إلى الساعة.

ودخل آخر على قوم **فقال أحدهم**: ما في الدنيا أعجب من فلان ترمي بخاتمك في الهواء فإن شئت أتاك به وإن شئت بغيره. فقال أنا أريكم ما هو أعجب من هذا. هاتوا خواتيمكم فأخذها كلّها فجعلها في أصابعه وجعل يمشي القهقرى ويصفر، وينظر إلى عين الشمس حتى غاب عن أعينهم فطلبوه فلم يجدوه. فقالوا: هذا والله أعجب.

وصلّى بعضهم مع قوم فلما سجدوا تناول نعلاً كأنه يريد أن يقتل عقرباً فضرب بها ثم الآخر بيساره كأنّه يريد أن يتناولها فيرمي بها ويعود إلى الصلاة فمرّ بالنعل.

واكترت امرأة داراً ثم أظهرت أنها تريد تجصيصها لأنها تريد أن تزوج فيها ابنها، فأكترت أجراء وأخذت من الجيران آلات وجمعت متاع الاجراء والآلات في بيت ثم ذهبت.

---

(١) **الشمراخ**: الغصن الدقيق الرخص ينبت في أعلى الغصن الغليظ، والشمراخ أيضاً العِذق عليه بسرٌ أو عنب.
(٢) **الطرّاز (هنا)**: النشّال. (٣) **البزاز**: بائع السلاح.

وقال بعضهم: دخلت مسجداً مع صاحب لي فنام صاحبي ووضع عنده عمامته فإذا أنا برجل قد دخل فأخذ العمامة وجعل يضحك في وجهي وهو واضع سبّابته على فمه كأنه **يقول**: أسكت وجعل يتراجع القهقرى وأرى أنه يلاعبنا فمرّ فانتبه صاحبي. **فقلت**: كان كذا، فطلبناه فلم نجده.

● المفتخِرُ بصعود المراقبِ

قال ربيعة بن مقروم:

ومزبأة أوفيتُ جنح أصيله ... عليها كما أومى القطامي مرقبا[1]

ربيبة جيش أو ربيبةِ مقنبِ ... إذا لم يقُدْ وغدٌ من القوم مقنبا[2]

قال أبو نواس:

ربّ فتيانٍ ربأتُهم ... مسقط العيّوق من سحَرِه[3]

فاتّقوا بي ما يريبُهم ... إنّ تقوى الشرّ من حذرِه

● نوادِرُ لِمَنْ سُرِقَ له شيءٌ

سرق لرجل درهم **فقيل له**: إنه في ميزانك، **فقال**: قد سرق مع الميزان. وسرق لآخر خرج، فقيل له لو قرأت عليه آية الكرسي لم يسرق، **فقال**: إنه كان فيه مصحف تام وسرق لبعضهم بغل **فقال أحد أصحابه**: الذنب لك في إهماله. **وقال بعضهم**: الذنب للسايس، **فقال هو**: يا قوم واللص ماله ذنب.

وسئل بعضهم إلى أين؟ **فقال**: إلى الكناسة لأشتري حماراً. فقال له رجل: قل إن شاء الله، **فقال**: وما وجه الاستثناء الدراهمُ في كمّي والحمير في الكناسة فلما ذهب سرقت منه الدراهم، فعاد **فقيل له**: ما الذي فعلت؟ **قال**: سرقت الدراهم إن شاء الله.

وطرق لص عجوزاً فلما دخل خباءها وأحسّت به قالت رافعة صوتها: يا نفس لو تزوجت زوجاً فأولدك ثلاث بنين فسميت أحدهم عمراً والآخر بكراً والآخر صقراً، يا نفس ما أصنع بهم؟ وأخشى أن يموتوا فأندبهم فأقول واعمراه وابكراه واصقراه ورفعت صوتها وكان لها جيران يسمّون بهذه الأسماء فجاؤها، **فقالت**: دونكم اللص.

وسرق بعضهم حماراً وذهب ليبيعه فسرق منه، فقيل بكم بعته؟ فقال: برأس المال. ودفع بعضهم ـ وكان قفّافاً ـ دراهم إلى بعض الصيارف فقفّ منه الصيرفي شيئاً، فقال:

عجبتُ عجيبة من ذئبِ سوءٍ ... أصابَ فريسة من ليث غابِ

وإن أخدع فقد يخدع ويؤخذ ... عناق الطير من جوّ السحابِ

---

(١) **المزبأة**: مكان شرب الماء. (٢) **المقنب**: الجماعة من الخيل للقتال.

(٣) **العيوق**: كوكب أحمر مضيء بحيال الثريّا (لسان العرب، مادة عوق).

فقف بكفه سبعين منها   من البيض المنقشة الصلاب

● حدُّ السرقة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾[1] وقال النبي ﷺ: يقطع السارق في ربع دينار. وروي لا قطع إلاّ في عشرة وقال أيضاً لا قطع في ثمر ولا كَثَر[2] وروى جابر عن النبي ﷺ: ليس على المختلس والمنتهب والخائن.

وأتى صفوان حضرة النبي ﷺ برجل قد سرق رداءه فأمر بقطعه قال صفوان أتقطعه في ردائي؟ **قال:** نعم. **قال:** قد تصدقت به عليه. **قال:** هلا قبل أن تأتيني به.

وأتى معاوية رضي الله عنه بسارق فأمر بقطعه فجاءته أمه وسألته أن يعفو عنه فقالت: هو واحدي وكاسبي فقال إنّه حدّ من حدود الله تعالى لا نقدر على إبطاله. **فقالت:** اجعله بعض ذنوبك التي تستغفر الله منها فأمر بتخليته

● ردّ ذاعر بحيلة

أقبل واصل في رفقة فأحسوا بخوارج، **فقال لأصحابه:** دعوهم لي. فخرج إليهم **فقالوا له:** ما أنتم؟ **قال:** مشركون مستجيرون بكم يا قوم. **قالوا:** قد أجرناكم. **فقالوا:** علّمونا فعلّموهم الأحكام. **فقال:** إن الله تعالى **يقول:** ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾[3] فأبلغونا مأمناً. **فقالوا:** هذا لكم فساروا معهم حتى أبلغوهم. وكان الخوارج حين دخلوا الكوفة فانتهوا إلى أبي حنيفة رضي الله عنه فانتضوا سيوفهم، **فقالوا:** يا عدوّ الله ما أحد منا إلاّ وقتلك عنده أحب إليه من عبادة سبعين سنة قد جئناك بمسألتين إنْ أجبْتَ عنهما وإلا أرقنا دمك. **فقال:** أنصفوني اغمدوا السيوف فإن بريقها يهولني، فأبوا. **فقال:** تكلموا. **فقالوا:** جنازتان على باب المسجد إحداهما جنازة شارب خمر شربها فمات فيها غرقاً، والأخرى جنازه زانية حبلت وشربت دواء فقتلت جنينها وماتت. **فقال:** أمن النصارى كانا أم من اليهود؟ **قالوا:** لا **قال:** فمن أي الملل كانا؟ قالوا: ممّن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. **قال:** فما يشهدان به أمن الكفر أم من الإيمان؟ **قالوا:** من الإيمان. **قال:** أقول كما قال نوح عليه السلام في قوم كانوا أعظم جرماً منهم، وما علمي بما كانوا يعملون إن حسابهم إلا على ربّي. أو ما قال **إبراهيم:** فمن تبعني فإنه منّي ومن عصاني فإنك غفور رحيم أو ما ـ قال عيسى: إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

وأقول ما قال نبينا ﷺ ولا أعلم الغيب ولا أقول أني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم أني إذا لمن الظالمين. فألقى القوم

---

(١) **القرآن الكريم:** المائدة/٤١. (٢) **الكَثَر:** طلع النخل. (٣) **القرآن الكريم:** التوبة/٦.

أسلحتهم وقالوا: تبرّأنا مما كنا عليه.

ولقي خارجي شيطان الطاق فقال له: ما تقول في علي وعثمان؟ فقال: أنا من علي ومن عثمان بريء يعني أن علياً بريء من عثمان، وكان شيعياً.

• مَنْ تخلّص بسخفٍ أو رقاعةٍ

خرج داود المصاب وكان معه دراهم فتبعه قوم فصاحوا به: ألق ما معك يا مجنون فقال نعم فجلس وخرىء وقال ما معي وحياتكم غير هذا. وأخذ لصوص قوماً في طريق فقالوا أنتم بعلتم الدنانير فاجلسوا فجلسوا وأخرؤا فأعجز أحدهم الخراء فرأى سرقينا[1] يابساً فجلس عليه فقالوا له أنت تخرأ سرقينا فقال الغريب مسكين أيش يمكنه أن يخرأ الأمثل هذا فضحكوا وخلوا سبيله.

ومما يدخل في الفصل قول جرير بن عبد الحميد: سُرقت من شيخ أوزة فشكا ذلك إلى سليمان بن داود عليهما السلام فخطب الناس فقال ما بال أحدكم يسرق أوزة جاره وريشها على رأسه فمد رجل يده إلى رأسه كأنه يمسحه فدعاه وقال له: أدّ أوزة صاحبك.

(٨)

وممّا جاءَ في الحبسِ والقيدِ والضربِ وغيرها

•

• السجنُ وضيقُهُ والتشديدُ فيه

كتب بعضهم على باب السجن هذه قبور الاحياء وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء. وكتب تحته ما يدخل أحدهم السجن إلا إذا قيل لهم فيم حبستم لقالوا مظلومين. وأمر بحبس ابن أبي علقمة في دعوى، فقال: دعني آتي البيت لحاجة فلم يترك. فتمثّل بقول الله تعالى فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون. فدخل السجن فقال: ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين. فالتفت فرأى المهلب فقال من فعل هذا بآلهتنا؟

ودخل أعرابي إلى السجن فوجد على بابه تنزّ وتلين فقال:

ولما دخلتُ السجنَ كبّرَ أهلُه ... وقالوا أبو ليلى الغداةَ حزينُ
وفي الباب مكتوبٌ على صفحَاته ... بأنك تنزو وثمّ سوف تلينُ

وقال شاعر:

وبتّ بأخصَنِها منزلاً ... ثقيلاً على عنقِ السالكِ
ولستُ بضيفٍ ولا في كراءٍ ... ولا مستعيرٍ ولا مالكِ

---

(١) سرقين: زبل (كلمة فارسية).

وقال في السجن:

خرجنا من الدنيا ونحنُ من أهلِها ولسْنا من الأحياءِ فيها ولا المَوْتى
إذا طلع السجّانُ وقتاً لحاجة عجبْنا وقلْنا جاءَ هذا من الدنيا

وسمع السجّان محبوساً يقول: اللهم إحفظني. **فقال:** قل اللهمّ ضيّعني فإن حفظه لك أن يبقيك فيه.

● **من شدّد عليه من المحبسين**

خرج الحجاج يوماً إلى الجامع فسمع ضجة عظيمة **فقال:** ما هذا؟ **قالوا:** أهل السجن يضجّون من الحر **فقال:** قولوا لهم إخسئوا فيها ولا تكلّموا. وأحصي من قتلهم الحجاج سوى من قتل في بعوثه وعساكره فوجد مائة وعشرين ألفاً وجد في حبسه مائة ألف وأربعة عشر ألف رجل وعشرون ألف امرأة، منهنّ عشرة آلاف امرأة مخدرة.

وكان حبس الرجال والنساء في مكان واحد ولم يكن في حبسه سقفٌ ولا ظلّ وربما كان الرجل يستتر بيده من الشمس فيرميه الحرس بالحجر وكان أكثرهم مقرنين في السلاسل. وكانوا يسقون الزعاف ويطعمون الشعير المخلوط بالرماد.

ولبّى رجل في الحبس في زمن المأمون فرفع إليه خبره، فوقّع أظن هذا قصد خلاف نيته وأظهر ضد عزيمته وقد أخطأت إسته الحفرة، وإذا حرم الحج بسوء تدبيره فلن يقدم فتوى صادقة من فريضة محكمة وهو محضر، وعليه الهدى فليؤخذ بتعجيله ولا يرخص له في تأخيره.

قال يعقوب بن داود: حبسني المهدي في مكان لا أعرف فيه الليل من النهار في بئر واسعة وفيها بئر أخرى أتغوط فيها وأعطى في كل يوم ماء وخبزاً حتى عفا شعري وصار أطول من شعر البهائم حتى مضت إحدى عشرة سنة فأتاني آت في منامي فقال جنى على يوسف رب فأخرجه من قعر جبّ فحمدت الله فأتى على ذلك سنة ثم أتاني ذلك الآتي، **فقال:**

عسَى فرَجٌ يأْتي بهِ الله إنّه لهُ كلَّ يوْمٍ في خليقَتهِ أمْرُ

ثم مكثت حولاً آخر فأتاني ذلك الآتي فأنشدني:

عسَى الكرْبُ الذي أمسيْتُ فيهِ يكونُ وراءه فرَجٌ قريبُ
فيأمَن خائفٌ ويُفكُّ عانٍ ويأتي أهله النائي الغريبُ

فلما أصبحت دلى لي مرس فشددت به وسطي فخرجت ما أبصر أحداً فقلت: السلام على أمير المؤمنين قيل ومن أمير المؤمنين؟ **قلت:** المهدي. قالوا: رحم الله المهدي. **قلت:** الهادي قالوا: رحم الله الهادي. **قلت:** فمن؟ قالوا الرشيد قلت السلام على أمير المؤمنين الرشيد فقال وعليك السلام وأمر لي بخمسمائة ألف وردّ علي ضياعي. فعولجت حتى عاد ضوء عيني فاستأذنته في الحج فأذن لي فمضى إلى الحج ومكث حتى توفي.

• تصبّر المحبوس وانتظاره الفَرَج

لما حبس يحيى وقيّد قال:

وإنّي مِنَ القَوْمِ الذينَ يَزيدُهم ... علوّاً وفخراً شدةُ الحَدَثانِ

فقيل: في هذا الوقت تقول هذا؟ فقال: من مات قبل أجله حتى أكونه؟

وكتب رجل من السجن إلى الرشيد: ما مرّ يوم من نعيمك إلا ومرّ يوم من بؤسي والأمر قريب والسلام. وأن خلاخيل الرجال قيودها.

قال العوام بن حوشب صبّحنا إبراهيم التيمي إلى سجن الحجاج فقلنا. ما حاجتك؟ فقال: حاجتي أن تذكروني إلى الربّ الذي فوق الربّ الذي أمر يوسف أن يذكر عنده.

ولما حبس المأمون إبراهيم بن المهدي في يد أحمد بن أبي خالد، أخذ في الصلاة والعبادة فدخل عليه أحمد فقال: أمجنون تريد أن يقول المأمون هو يتصنع للناس فيقتلك؟ فقال: فما الرأي؟ قال: أن تشرب وتطرب وتحضر القيان. فأخذ في ذلك ثم دخل أحمد على المأمون فقال له: ما خبر النادر؟ قال أصون سمع أمير المؤمنين أن أخبره بما هو فيه فقال ما هو؟ قال: مكب على الشرب والجواري وتعاطي الجسارة. فقال: والله لقد شوقتني إليه فكان ذلك سبباً لرضاه عنه. وقال علي بن الجهم:

قالُوا حُبِسْتَ فقلْتُ ليْسَ بضَائِري ... حبْسي وأيُّ مهَنّد لا يُغْمَدُ[1]
أو ما رأيْتَ الليثَ يألَفُ غيلَه ... كبرا وأوباشُ السباع تردَّدُ[2]
والبدرُ يدركهُ السّرارُ فينجلي ... أيامه وكأنّه متجدّدُ
ولكلّ حالٍ معقبٌ ولربّما ... أجلى لك المكروهُ عمّا يُحْمَدُ
والحبْسُ ما لم تغشَه لدنيئةٍ ... شنعاءَ نعْمَ المنزلُ المتودّدُ
بيْتٌ يجددُ للكريم كرامةً ... ويُزارُ فيه ولا يزورُ ويحمدُ

قال أبو فراس:

ولله عندي في الإسارِ وغيرِه ... مواهبُ لم يخصَص بها أحدٌ قبْلي
فقُلْ لبني عمّي وأبلِغْ بني أبي ... بأنّي في نعماء يشكرُها مثْلِي
وما شاء ربّي غيرَ نشرِ محاسني ... وأنْ يعرفوا ما قدْ عرفتُ من الفضْلِ

وقال أعرابي حبس:

ولا تحسَبا حبْسَ اليمامة دائما ... كما لم يدم عيشٌ بحزْن أبانِ

---

(١) يغمد: يُدخل في غمده، والغِمد بيت السيف. (٢) غيله: غابته، أو عرينه.

● **الضبّ**

يوصف بالكيس[1] لأنه لا يبني بيته إلا على رابية خشية السيل.

قال الشاعر:

سقَى الله أرضاً يعلَمُ الضبّ أنها   بعيدٌ من الآفاقِ طيبةُ البَقْلِ
بنى بيتَه منها على رأسِ كديةٍ   وكلّ امرىء في حرفةَ العيْش ذو عَقْلِ[2]

وقيل: أنه يعد العقرب للحارش حتى إذا أدخل يده لسعته. وهو مسالم ويضع من البيض سبعين، ويأكل كل حسلة. **وقيل:** أعقّ من الضب. ويضرب الحيّة بذنبه فيقتلها وله تركان أي أثران، **قال:**

حِسْلٌ له تركان كانَ فَضيلة   على كلّ حافٍ في البلاد وناعلِ

وقيل: إنما هو واحد ولكن له طرفان كلسان الحية. وهو طويل الذماء[3] صابر على الماء. يتبلغ بالنسيم طويل العمر.

قال:

لو أنني عمرت سنّ الحِسْل

وقيل في المثل: أخدع من ضبّ، وهو خبّ ضب. وقيل بالنمر يخدع الضب وأما لحمه فقد روي أنه عليه الصلاة والسلام امتنع من أكله، **وقال:** إنه ليس بطعامي وأكله خالد بن الوليد فلم ينكر عليه. **وقال:** فيه فقيه لرجل كان يأكله إعلم أنك أكلت شيخاً من مشيخة بني إسرائيل يعني أنه مسخ **قال:**

وسكنُ الضبابِ طعامُ الغريب   ولا تشتهيه نفوسُ العَجَم

فقال من عارضه:

فأنت لو ذقتَ الكشى بالأكباد   لما تركت الضبّ يغدو بِالوَاد[4]

● **القِرْدُ**

يُضحك ويُطرب ويحكي ويتناول بيده الطعام ويضعه في فمه. وله أصابع وأظفار وإذا سقط في الماء يغرق كالإنسان قبل أن يتعلم السباحة ويتزاوج ويتغاير تغايرهم، **فقال:**

قِرْدٌ يُقَهقِهُ أو عَجوزٌ تلطمُ[5]

---

(١) **الكيس:** الظريف الفطن، الحسن الفهم.
(٢) **الكدية (هنا):** الأرض الصلبة الغليظة.   (٣) **الذماء:** بقيّة الروح.
(٤) **الكشى:** جمع كشية شحمة بطن الضبّ أو أصل ذنبه.
(٥) شطر بيت من قصيدة للمتنبيّ في هجاء كافور الإخشيدي.

وقال الصابي في المطهر لما قيّد وحبس:

لساني في نشرِ المدائحِ مُطلَقٌ ... وساقي في قبْرِ المحابسِ مُوثَقُ
وحلمُك يأبى الجمعَ ما بين ذا وذا ... فحتّى متى بيْن الفريقَيْنِ أفرقُ

وأتى المنصور برجل جان فأمر بقتله فقال: إن الله أعظم سلطاناً منك وعاقب بالخلود لا بالفناء، فأمر بحبسه.

كتب أبو ثوابة إلى قوقارة يقول: ما رأيك أبقاك الله في المصير إلى الحبس موفق إن شاء الله فكتب قوقارة تحته لا رأي لي في ذلك.

● **تهنئةُ مطلقٍ من الحبسِ**

قال البحتري:

وما هذهِ الأيامُ إلا مراحِل ... فمِنْ منزلٍ رحْب إلى منزلٍ ضَنْكِ
وقدْ هذّبتَك النائباتُ وإنّما ... صفا الذهبُ الأبريزُ قبلَك بالسَبْكِ
أما لك في الصّديق يوسف إسوةٌ ... لمثلِك محبوسٌ على الظلْم والإفكِ
أقامَ جميلَ الصبْر في السجن برهةً ... فآل به الصبْرُ الجميلُ إلى المُلْكِ

● **المصلوب**

مرت امرأة بجعفر بن يحيى وقد صُلِب. فقالت: لئن صرْتَ اليومَ راية لقد كنت بالأمس غاية. وقيل لأعرابي إنّ الخليفة صلب فلاناً فقال: من طلق الدنيا فالآخرة صاحبته ومن فارق الخز فالجذع راحلته. قال أبو تمام:

بكّروا وأسروا في متونِ ضوامِرٍ ... قيّدتْ لهم من مربطِ النجارِ
سودُ الثيابِ كأنما نَسَجتْ لهُم ... أيدي السمومِ مدارِعاً من قارِ(١)
لا يبرَحونَ ومن رآهم خالَهم ... أبداً على سفرٍ منَ الأسْفارِ

وقال ابن سلكة:

كأنّه شِلْوُ شاةٍ والهواءُ له ... تنّورُ شاويةٍ والجِذْع سفّودُ

وقال آخر:

يظلّ في منزلٍ أنافَ به ... مستضحكاً لا يُطيق ضمّ فمِه
تنتابُه الطيْرُ والنسورُ وما ... يبخلُ عنها بلحمِه ودمِه
عوفي من ضمّة الضريحِ ومن ... ثقْل الثرى والثواء في رحِمِه

---

(١) السموم: الريح الحارة، وقوله: قار أي برد شديد.

وقال أعرابي وقد صلب صاحب له:

من مبلغ الحسناءَ أن خليلَها ... بأرضِ الأعادي فوق إحدى الرواحِلِ
على ناقةٍ لم يضرب الفحلُ أمَّها ... مشذبة أطرافُها بالمناجِلِ

وقال الأخيطل:

كأنّه عاشقٌ قد مدّ بسطتَه ... يومَ الفراق إلى توديعِ مرتحلِ
أو قائمٌ من نعاسٍ فيه لوثتُه ... مداوم لتمطّيه من الكسَلِ

قال أبو تمام:

سامٍ كأن العزّ يجذبُ ضبعَه ... وسموّه من ذلّة وسفالِ

قال مسلم:

جعلته حيثُ ترتابُ الظنونُ به ... وتحسدُ الطيرُ فيه أضبُعَ البيدِ
تعدو السباعُ فترميه بأعينِها ... يستنشقُ الجو أنفاساً بتصْعيدِ

قالت جارية محمود الورّاق وقد أكثرت في وصف ذلك في بابك:

على مركب خشن ظهرُه ... طويلِ الوقوفِ بطيءِ المسيرِ
تظلّ الذئابُ وعرج الضبابِ ... بعقوتهِ حسَداً للطيورِ
فأسفلُه مأتمٌ للسباعِ ... وذروتُه عرسٌ للنسورِ

● المضروبُ بالسياط

قال الفرزدق:

لعمري لقد صبّتْ على ظهرِ خالدٍ ... شآبيبُ ما استهللْنَ من سبل القطْرِ

وقال آخر:

كأنّما جلدُه والسوطُ يأخذُه ... قطنٌ تطايرَ عن قضبانِ ندّافِ

قال الببغا في لصّ جعل على رأسه برنس فطوق به:

وبدّل من تاجِ العمامةِ برنساً ... يبالغُ في تقويمِه وهو مائلُ
أمالَ به طولاً سوى الجسمِ وهو من ... زيادته في طولِه متضائلُ

الحدّ الخامس عشر

في التزويج والأزواج والطلاقِ والعفةِ والتديّث

•

(١)

ممّا جاء في النكاح والطلاق وأحوال الأزواج وسياستهن

•

• حثّ الرجل على التزوّج

قال الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[1] وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلاقاً مذواقاً، فقيل له في ذلك فقال: إن الله تعالى علق بهما الغنى فقال وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إنْ يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله. وقال: وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته فأنا أتزوج للغنى وأطلق للغنى.

وقال النبي ﷺ لرجل: ألك زوج؟ قال: لا، قال: وأنت صحيح سليم؟ قال: نعم. قال: إنك إذا من إخوان الشياطين إن شراركم عزّابكم وإن أراذل موتاكم عزّابكم. إن المتزوجين هم المبرأون من الخنا والذي نفسي بيده ما للشيطان سلاح في الصالحين من الرجال والنساء أبلغ من ترك النكاح.

قال شاعر وأجاد:

إذا لـم يكـنْ فـي منـزلِ المـرءِ حـرّةٌ　　　تـدبـره ضـاعَـتْ مـصـالِـحُ دارِهِ

وفي رواية

رأى ضـيـعـة فـيـمـا تـولـى الـولائـدُ

• الحثُ على التزوج أيام الشبابِ

مر ملك من ملوك العجم بشيخ يعمل في أرض فقال له: أيها الشيخ هلا أدلجت فيكون من ذلك ما يكفيك؟ فقال: أدلجت ولكن القضاء لم يدلج فقال: أكتم كلامنا هذا حتى تراني ثم انصرف الملك فأحضر وزيره وقال: ما معنى كلام الشيخ؟، قيل له كذا فأجاب بذا وقد أنظرتك حولاً فجعل الوزير يسأل الناس ولا يجيبه أحد حتى وقع بالشيخ فسأله فقال له: إن الملك استكتمني الأمر حتى أراه فبذل له عشرة آلاف درهم فقال: إنه

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٣.

قال لي لِمَ لا تزوجت أيام الشباب؟ **فقلت له**: قد تزوّجت ولكن لم يأتني أولاد. فجاء الوزير فأخبر الملك **فقال له**: عليّ بالشيخ فدعاه فلما حضر قال له: ألم أقل لك أكتمْ أمْرنا حتى تراني، **قال**: قد رأيتك عشرة آلاف مرة، فعلم أنّ الوزير دفع إليه عشرة آلاف درهم وأنه رأى اسمه مكتوباً على كل درهم منها وصورته، **فقال**: زه ودفع إليه أربعة آلاف درهم أخرى **وقال**:

إنّ بـنـي صـبـيـة صـيـفـيّـون أفـلـحَ مـنْ كـان لـهُ ربـيـعـيّـون

● الألفةُ بين الزوجين

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾(١) وقال رجل للنبي ﷺ: يتزوّج الرجل المرأة الغريبة فتقع بينهما الإلفة، فتلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾(٢) وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾(٣) فبدأ بهنّ لقربهنّ من القلوب.

● الرغبةُ عن التزوّج

استشار رجل الشعبي في التزوج **فقال**: إن صبرت عن الباه فاتق الله، ولا تتزوج. فإن لم تصبر، فاتقِ الله وتزوج. **وقيل**: لمالك بن دينار لو تزوجت، **فقال**: إني طلقت الدنيا ثلاثاً فلا رجعة لي فيها. **وقيل**: ما فكر فيلسوف إلا ورأى العزبة أجمع لهمه وأجود لخاطره.

وسئل حكيم عن التزويج **فقال**: بقَل شهر وشوك دهر. **وقال آخر**: مكابدة العزبة أيسر من الاحتيال لمصالح العيال. **وقال أعرابي** وقد عرضت عليه دلالة امرأة:

أقولُ لـهَـا لـمّـا أتـتـني تـدلّـنـي عـلـى امـرأة مـوصـوفـةٍ بـجـمـالِ
أصبْتِ لهَا واللّهِ زوجاً كما اشتهتْ إن اغـتـفـرَتْ مـنـه ثـلاثَ خـصـالِ
فـمـنـهـنّ شـخـص لا يُـنـادي ولـيـدَة ورقـــةُ إســلامٍ وقـــلّـــةُ مـــالِ
فإنْ رضيَتْ هذي الخصالَ فشأنُها وإن تـكُـنِ الأخْـرى فـلـسْـتُ أبـالـي

وقال رجل لآخر: كنا في أملاك فلان **فقال**: لا تقل في أملاكه ولكن في أهلاكه **ثم أنشد**:

يـقـولـون تـزويـج وأعـلـمُ أنّـه هـو الـرق إلا أنّ مـنْ شـاء يـكـذبُ

● التزوجُ بأكثرَ من واحدةٍ

---

(١) القرآن الكريم: الفرقان/ ٥٤. (٢) القرآن الكريم: الروم/ ٢١.
(٣) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٤.

قال المغيرة بن شعبة: صاحب المرأة الواحدة إن مرضت مرض وإن حاضت[1] حاض. وصاحب الثنتين بين جمرتين أيتهما أدركته أحرقته. وصاحب الثلاث في رستاق يبيت كل ليلة في قرية. وصاحب الأربع عروس في كل ليلة. وروي أنه **قال**: أحصنت مائة امرأة وقيل: إن الحسن بن علي رضي الله عنهما تزوّج خمساً وتسعين امرأة.

وقال أعرابي لآخر: لا تتزوج بأربعة فكل تأخذك بحمتها وأنت كال ولا بثلاث فإنهنّ كالأثافي تصير بينهن كالقدر، فيكوينك. ولا باثنتين فإنهما يكونان كجمرتين. ولا واحدة فإنك تمرض إذا مرضت، وتحيض إذا حاضت. وتلد إذا ولدت. **فقال له**: قد نهيت عن كل ما أمر الله به فما الذي أصنع؟ **قال**: كوزان وطمران وعبادة الرحمن. وخرجت جارية من دار الرشيد معها مروحة مكتوب عليها الحِر إلى أيرين أحوج من الأير إلى حرين.

- **الحثّ على اختيار ذوات الأحساب والأنساب والترغيب عن لئام ذوات المال**

قال النبي ﷺ: احتفظوا لنطفكم فإن العرق نزّاع. **وقال**: إياكم وخضراء الدّمن ـ أي المرأة الحسنة في المنبت السوء ـ **وقال**: أكثم لا يفلتنكم جمال النساء عن صراحة النسب فإن المناكح الكريمة مدرجة الشرف. **وقال عثمان بن أبي العاص لأولاده**: المناكح مغترس فلينظر المرء حيث يضع غرسه فإن عرق السوء يعدي ولو كان يعد حين، **قال شاعر**:

لا تنكحنّ لئيمةً لمعيشةٍ تبْقى اللئيمَةُ والمعِيشَةُ تذْهبُ

- **إختيارُ ذواتِ الدين والعفةُ**

قال النبي ﷺ: تنكح المرأة لدينها ولمالها وحسبها وحسنها، فعليك بذات الدين تربت يداك. **وقال**: خير النساء التي إذا أعطيت شكرت وإذا حرمت صبرت. تسرك إذا نظرت وتطيعك إذا أمرت.

وقال محمد بن علي: اللهم أرزقني امرأة تسرّني إذا نظرت، وتطيعني إذا أمرت، وتحفظني إذا غبت. **وقال خالد بن صفوان**. **إنما الدنيا متاع وليس من متاعها أفضل من زوجة صالحة**.

وقال علي رضي الله عنه خير النساء العفيفة في فرجها المغتلمة لزوجها. **وقيل لعائشة رضي الله عنها**: أي النساء أفضل؟ **فقالت**: التي لا تعرف عيب المقال ولا تهتدي لمكر الرجال فارغة القلب إلا من الزينة لبعلها والإبقاء في الصيانة على أهلها. **وقيل**: إياك والحمقاء فنكاحها قدر وولدها ضائع.

- **إختيارُ الحسانِ والنهيُ عن القُبّاحِ**

قال النبي ﷺ: إنما النساء لعب فمن اتخذ لعبة فليستحسنها. **وقال**: أعظم النساء بركة أحسنهن وجوهاً وأرخصهنّ. مهوراً وجاءت امرأة إلى الحسن **وقالت**: يا أبا الحسن أتفتي

---

(١) **حاضت**: خرج منها دم.

الرجال أن يتزوجنّ على النساء، **قال**: نعم، **فقالت**: أعلى مثلي؟ وكشفت قناعها عن وجه كالقمر، **فقال الحسن** لما ولّت: ما على رجل مثل هذه في زاوية بيته ما أقبل عليه من الدنيا وما أدبر. **وقيل** لرجل أي النساء أشهى؟ **قال**: التي تخرج من عندها كارهاً وترجع إليها والهاً. **وقال**: إياك وكل ذكرة مذكرة شوهاء فوهاء تبطل الحق بالبكاء لا تأكل من قلّة ولا تعذر من علّة.

● التحذيرُ من الحسان

شاور رجل حكيماً في التزوج **فقال له**: إيّاك والجمال.

فلَنْ تصادِف مرعى ممرَعاً أبداً ... إلا وجدت به آثارَ مأكولِ

وقال: الجمال للرجال مطمع **وأنشد**:

لا تطلبِ الحسْنَ إن الحسْنَ آفتهُ ... أن لا يزالَ طوالَ الدّهرِ مطْلُوبا

وما تصادفُ يوماً لؤلؤاً حسناً ... بين اللآلىءِ إلا كانَ مثقُوبا

وقيل لحكيم تزوج بقبيحة: هلا تزوجت بحسناء؟ **فقال**: اخترت من الشر أقلّه.

● الإستدلالُ عليها بذويها

قال علي بن عبيد الله: إذا أردت أن تتزوج بامرأة فانظر إلى أبيها وأخيها فإنها رابطة بطنب أحدهما، **وأنشد للعجير**:

إذا كنتَ تبغي للجهالة أيّما ... من النّاس فانظر من أبُوها وخالُها

فإنّهما من شكلِها وهيَ منهما ... كما جذبَت يوْماً بنعل مثالُها

● اختيارُهنَّ في الطول والقصرِ

قال الربيع بن زياد: من أراد النجابة فعليه بالطوال ومن أراد اللذة في القصار فإنهن لذيذات النكاح. **وقال الحجّاج**: من تزوج قصيرة فلم يجدها على الموافقة فعلى مهرها. ويستحسن فيه ما قال ابن عجلان:

ومخملة باللحمِ منْ دونِ ثوبها ... تطولُ القصارَ والطوالُ تطولُها

● الرغبةُ عن العجائزِ

قيل لرجل تزوج: كيف المرأة التي تزوجتها؟ **قال**: نصف. **قال**: شرّ نصفيها حصل في يدك ثم أنشد:

لا تنكحنّ عجُوزاً إن أتوْك بها ... واخلَعْ ثيابَك منها ممعناً هرَبا

فإنْ أتوْك وقالُوا إنّها نصفٌ ... فإن أحسنَ نصفَيْها الذي ذهَبا

وقال حكيم: إن خير نصفي الرجل آخرهما يذهب جهله ويثوب حلمه ويجتمع رأيه، وشر نصفي المرأة آخرهما يسوء خلقها ويحدّ لسانها ويعقم رحمها. وقال: لا تأكل

ولا تركب ولا تنك إلا فتيا. وقيل: مضاجعة العجوز يخلف منها موت الفجأة.

قال شاعر:

ولا تنكحنّ الدّهرَ ما دمتَ أيّما ... مجربَة قد مُلَّ منها ومَلَّتِ

وقال لبعض من فضّل العجائز: إن اختيار الكبيرة على الصغيرة لعدم اللبّ واسترخاء الزب ورين على القلب والتماس سهولة العلاج للعجز عن الإيلاج **فقال:** كلا العجوز أقنع باليسير وأصبر على تقلب الدهور وأقل مشاغبة ومجاذبة، تؤثرالتذلل وتجتنب التدلل، تصبر على الإقلال وتؤمن من ولادتها الزيادة في العيال إن اتسع بعلها صانت ماله وإن ضاق سترت حاله. نعم قعدة الغيور ومطيّة ذي الأير العثور. لا تسبق إليها الظنون ولا تثبت معها القرون، ألوف عروف غير غروف ولا عيوف.

● **إختيارُ الأبكارِ والثيباتِ**

قال النبي ﷺ: عليكم بالأبكار فإنهنّ أطيب أفواهاً وأنتق[1] أرحاماً. **قال علي رضي الله عنه:** إن المرأة لا تُنْسِيني أبا عذرتها.

وقال حكيم لمن استشاره: أما البكر فلك لا عليك وأما الثيب فلك وعليك وأما ذات الولد فعليك لا لك.

وقيل: إيّاك والحنّانة والمنانة والأنّانة والحدّاقة وذات الدايات فالحنّانة التي تحن إلى ولدها من غيرك والمنّانة التي تمنّ بمالها على زوجها والأنّانة التي تئن من غير وجع والحدّاقة التي تحدّق إلى كل شيء فتقول ليته لي وذات الدايات التي عندها عجوز تقول هي دايتي. وقيل إياك والرقوب الغصوب القطوب العلياء الرقباء الحنّانة والمنّانة. وقيل: إن لم تتزوج بكراً فتزوج مطلقة ولا تتزوج مميتة فإن المطلّقة تقول لها لوكان فيك خير لما طلقك زوجك والمميتة تقول لك: رحم الله فلان قد كان لي خيراً منك بكذا **وقال علي بن الجهم أنشدت امرأة:**

قالوا عشِقْتُ صغيرةً فأجبتُهم ... أشهَى المطيّ إليّ ما لم يُرْكَبِ
كمْ بيْن حبّةِ لؤلؤٍ مثقوبةٍ ... نظمَتْ وحبّةِ لؤلؤٍ لم تثقَبِ

فأجابتني:

إن المطيّةَ لا يلَذُّ ركوبُها ... حتى تذلّل بالزمام وتركَبا
والدّرُ ليس بنافعٍ أربابَه ... حتّى يُجْمَعَ في النظام ويُثْقَبا

وكانت عند الأحنف امرأة فطلقها وتزوجها ابن عم لها **فكتب إلى الأحنف:**

إن كنتَ أزمعْتَ أمراً فأمضينّ له ... إن الغزالَ الذي ضيّعْتَ مشغولُ

فكتب إليه الأحنف يقول:

---

(١) **أنتق:** كثيرة الأولاد أو الإيلاد أو الإنجاب.

إن كانَ مشتغلاً فالله يصلحُه ... فقد لهوْنا بأمرٍ منه موصولِ
ولَنْ تصادفَ مرعىً مونقاً أبداً ... إلا وجدْتَ به آثارَ مأكولِ

وقيل للأحنف: فلان تزوج بالمرأة التي كانت تحتك فقال: أما أنا فقد كفيته الصيحة وسهلت عليه العورة.

● **إختيارُ أجناسِ النساءِ**

قال عبد الملك: من أراد النجابة فعليه بقيِّنات فارس، ومن أراد النباهة فقينات بربر ومن أراد الخدمة فبنات الروم. **قال المتنبي في تفضيل البدويات**:

أينَ المعيزُ من الآرامِ ناظره ... أو غيْر ناظرِه في الحُسْنِ والطِّيبِ

قال سعيد الرستمي:

فدت غازلات الشعر أبكارَ فارس ... وإن وكلت بي هجرها وبعادَها
إذا نُصِّبتِ التيجانُ فوقَ رؤوسِها ... وأرسلْنَ من تلْكَ الرؤوسِ جعادَها
من اللائي لم تزجر ببيداء هجمة ... ولم تتلفع بالعَشِي بجادَها[1]
ولم أتبع سمْر العرابِ وأدمَها ... ولم أتشوف جملَها وسعادَها

● **مدحُ الولودِ وذمُّ العقيم**

قال النبي ﷺ: سوداء ولود خير من حسناء عقيم. **وقيل**: مثل الحسناء العاقر كشجرة يكثر زهرها ويقل ثمرها.

وذم أعرابي امرأة فقال: ما بطنها بوالد ولا ثديها بناهد ولا فوها ببارد ولا شعرها بوارد.

وقيل لأعرابي: أي النساء أكرم؟ فقال: التي في بطنها غلام وفي حجرها غلام ولها مع الغلمان غلام.

● **من خطب امرأة فخدعها على الجماع**

خطب معلم امرأة وابنها في مكتبه فامتنعت عليه فضرب الابن وقال له: لِمَ لا قلت: لأمك أير المعلم كبير؟ فعاد الصبي إليها شاكياً فوقع في قلبها وبعثت إليه أحضر شهوداً وتزوج بي على بركة الله.

وقال رجل لامرأة خطبها: والله لأملأن بيتك خيراً وحرك أيراً فتزوجته كما ظنت فلم تجده كذلك، **فقالت**:

قد رأيْناكَ فمَا أعجَبْتَنا ... وبلوْناك فلم نَرضَ المخبَر

---

(١) البجاد: الكساء المخطط.

وقال رجل لامرأة: هل لك في ابن عم كاسٍ من الحسب عار من النسب يتصلصل معك في دارك ويقلبك يمينك لشمالك، يواصل ثلاثة في واحد، يدخل الحمام طرفي النهار؟ **فقالت:** لا يسمعنّ هذا الخبر منك أحد. وخطب رجل امرأة **فقالت:** لي شروط من المهر ألف دينار ومن النفقة كل يوم كذا ومن الثياب كذا فقال: نعم، ولكن لي عيوب إن احتملتها. فقالت: وما هي قال أناشره بالجماع أستكثر منه وأبطىء الفراغ وأسرع الإفاقة فقالت المرأة يا جارية إحضري أهل المحلة تشهد على بركة الله، فالرجل سارح لا يعرف الخير من الشر.

● **من توسل إلى خطبة امرأة بما لا ينفق.**

قال أبو العيناء خطبت امرأة فلمّا رأتني استقبحتني فكتبت إليها:

ونبـئـتـهـا لـمـا رأتـنـي تـنـكّـرَت وقـالَـتْ دمـيـمٌ لا رواءٌ ولا جِـسْـمُ
فإن تنفُري من قبْحِ وجْهي فإنّني أديـبٌ أريـبٌ لا عَـيّ ولا فَـدمُ

فقالت: يا ماص بظر أمه لديوان الرسائل أريدك. وقال نحوي: يا خريدة قد كنت أحسبك عروباً فقالت: يا ابن الخبيثة أتجشّمني بالهمز والغريب. ونظرت امرأة زوجها وهو يجيد الطعن في الحرب **فقالت:** رب أفن تحت اللواء، **فقالوا لها:** أليس يجيد الطعن؟ فقالت: أمّا الطعن الذي ينفعني فلا.

● **الحثّ على تزويج الأيّم**(١)

قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾(٢) **وقال حكيم:** عليك بتزويج حرمتك إذا جاء كفوؤها فليس بعد منعها من الإكفاء إلاّ تعريضها للأدنياء ومن حظّك تنفيق أمك. **وقال الأحنف:** لأفعى يحترس في جوانب بيتي أحب إليّ من أيم أودعتها كفأها. ورؤي في سوق بغداد قمطر فيه صبي وعند رأسه كيس فيه مائة دينار مكتوب هذا الشقي ابن الشقية بن القدح والرطلية رحم الله من اشترى له جارية بهذه الدنانير فهذا جزاء من عضل أيّمة.

● **إظهارُ المرأة الرغبةَ في النِكَاحِ**

كان لهمّام بن مرة بنات لا يزوجهن من شدّة الغيرة فاجتمعن يوماً وتشاكين فقالت الصغرى: أنا لكن **فقالت لأبيها:**

أهـمـام بـن مـرّة حـنّ قـلـبـي إلـى مـا تـحـتَ أثـوابِ الـرّجـالِ

فقال: تريدين سراويلاً؟ **فقالت:**

أهـمـام بـن مـرة حـن قـلـبـي إلـى حـمـراءَ مـشـرقـةِ الـقـذالِ

---

(١) **الأيّم:** من فقدت زوجها. (٢) **القرآن الكريم:** النور/ ٣٢.

فقال تريدين ناقة؟ **فقالت**:

أهمام بن مرة حن قلبي ... إلى أير أسدّ به مبالي

فقال: قاتلكن الله وزوّجهن.

● عجوز راغبة في النكاح

مرضت عجوز فأتاها ابنها بطبيب فرآها الطبيب متزينة بأثواب مصبوغة فعرف ما بها. **فقال الطبيب**: ما أحوجها إلى زوج. **فقال الابن**: ما أحوج العجائز للأزواج. **فقالت**: ويحك الطبيب أعلم منك على كل حال.

ورغبت عجوز إلى أولادها أن يزوّجوها وكان لها سبع بنين، **فقالوا**: لا إلا أن تصبري على البرد متعريّةً لكل واحد منا ليلة ففعلت. فلما كانت السابعة ماتت فسميت أيام العجوز. **وقالت امرأة لبنيها**:

أيا بني إنّني لناكحه ... وإن أبيتُم إنني لجامحه

هانَ عليكُم ما لقيتُ البارحه ... من الحكاكِ والعروقِ الطامحه

وقال حكيم لامرأة تعرضت له:

وضاحكة إليّ من النقاب ... تلاحظني بطرفٍ مُسترابِ

فما زالَتْ تجشّمني طويلاً ... وتأخذُ في أحاديثِ التّصابي

فقُلْتُ لهَا حللت بشرّ واد ... كريهِ المجتني قَحْطِ الجَنَابِ

متى تشفى العجوزُ إذا استناكَتْ ... بأيرٍ لا يقومُ على الشّبابِ

● إحتيالُ المرأةِ في التزوّج مِن رجُل

كان لرجل ابنة ولها ابن عم مشغوف بها، وهو يرجو أن يتزوج بها. فجاءه رجل فأرغبه في الصداق **فقالت الجارية لأمها**. ما أحسب أبي يربي ابن أخيه صغيراً ويقطعه كبيراً. **فقالت**: كان ذلك قدراً مقدوراً. **فقالت الجارية**: أنا حبلى من ابن عمّي **فقالت أمها**: ما تقولين؟ ويحك، **فقالت**: أتكذب الحرة على نفسها. فأخبرت أباها فزوجها من ابن عمها فلما وقع العقد قالت الجارية: برئت من الإسلام إن رأى وجهي إلى سنة ليعلم أني متقولة فيما ادعيت.

● اختيارُها الكهول من الرجال وذوي الشعور

قالت امرأة: لا يعجبني الشاب يمعج[1] معج المهر طلقاً أو طلقين ثم يربض بناحية الميدان. ولكن أين أنت من شيخ يضع قب إسته بالأرض ثم سحباً وجراً.

---

(١) **معج**: أسرع في السير.

ولما تزوج عثمان رضي الله عنه بنت الفرافصة **قال**: لا تكرهين ما ترين من الشيب فإن وراءه ما تحبّين. **فقالت**: إني من نسوة خير أزواجهن الكهول. **فقال**: إني قد جاوزت حد الكهول إلى الشيخوخة فقالت: أفنيت عمرك في خير ما يفني فيه العمر. **وقيل لامرأة**: أما تكرهين شيب زوجك؟ فقالت إنه نشأ فينا وإنما تكره المرأة الرجل الشائب إذا كان غريباً ورأته بديهة.

● **إختيارُهنّ الشبانَ والمُرْد**

قالت جارية لأخرى: التحفت على غلام معفوج[1] فقالت: بذلك العفج كبر أيره وكثر خيره. ولكن من شؤمك أنك عشقت من يغطيك بلحيته ويغرزك بشعرته.

قال أبو تمّام:

أحلَى الرجالِ من النّساء مواقِعاً ... من كانَ أشبهَهم بهنّ خدودا

وقال الأعشى:

وأرى الغواني لا يواصِلْن امرأً ... فقدَ الشبابَ وقد يَصِلْنَ الأمرَدا

وقال أعرابي:

يروق الغواني مجدبُ الخدّ خالِعُ

● **ميلُها إلى ذي المال**

قال امرؤ القيس:

أراهن لا يُحِبْنَ مَنْ قلّ مالُه

قيل لابن سيابة: قد كرهت امرأتك شيبك فمالت عنك **فقال**: إنما مالت إلى الأنذال لقلة المال، والله لو كنت في سن نوح وشيبة إبليس وخلقة منكر ونكير ومعي مال لكنت أحب إليها من مقتّر في جمال يوسف وخلق داود وسن عيسى وجود حاتم وحلم أحنف بن قيس.

● **اختيارُ الأخيارِ**

قال ﷺ: من زوّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها. **وقال الحسن لرجل استشاره في تزويج بنته**: زوّجها من تقيّ فإنه إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها. **وقيل لعبد الله بن جعفر**: أتنكح ابنتك الحجّاج؟ **فقال**: أنكحتموه دينكم والدين أجلُّ من بضع المرأة.

● **الكفاءة**

قال النبي ﷺ: تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء. **وقال عمر رضي الله عنه**: لأمنعن

---

(١) **العفج**: ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة.

فروج ذوي الأحساب إلا من الأكفاء. **وقال أبو يوسف**: الكفء على الحقيقة المساوي في النسب والمال والدين.

وقال بعضهم: الناس أكفاء إلا حائكاً أو حجّاماً.

وقال المنصور: أعداؤنا أكفاؤنا يعني بني أمية. **وقيل لماجن**: فلان المؤذن تزوج بابنة فلان المقري **فقال**: إنهما سيلدان مصحفاً

● مَنْ خَطَبَ امرأةً فلم يتزوجْهَا

خطب زياد إلى سعيد بن العاص ابنته فكتب إليه سعيد ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[1] ولما انتهى المغيرة إلى دار هند بنت النعمان بن المنذر **قال**: قد جئتك خاطباً. **قالت**: والله ما جئتني لمالي وجمالي وإنما أردت أن يقال في محافل العرب نكح بنت النعمان. وإلا فأيّ خير في أعور وعمياء؟ **فقال لها**: كيف كان أمركم؟ **فقالت** أصبحنا وما في العرب إلا من يرهبنا وأمسينا وما فيهم إلا من نرهبه.

وكانت في دار ابن عبّاس يتيمة فخطبها رجل **فقال له**: لا أرضاها لك، **قال**: قد رضيت بها، **فقال**: الآن لا أرضاك لها.

وامتنعت امرأة من رجل خطبها فقيل لها في ذلك، **فقالت**: لأنهم يقلّون الصداق ويعجلون الطلاق.

وكتب عبادة بن الصامت إلى معاوية لما خطب إليه:

فلو أنّ نفسي طاوعَتْني لأصبحتْ ... لها حفد مما تعدّ كثيرُ
ولكنها نفس عليّ كريمَةٌ ... عَيُوفٌ لإصهارِ الرجال قَذُورُ

قال دعبل:

فلا تنكَح كريمَك نهشلياً ... فتخلطَ صفوَ مائِك بالغُثاء[2]

وخطب قرشي ابنة الكميت فجعل يتبجح عليه فرده الكميت **وقال له**: أقلل فإنا إنْ زوّجناك لم نبلغ السماء وإن رددناك لم نبلغ الماء.

● تأسف من خَطَب امرأةً فلم يتفق تزوجُهُ بها

خطب رجل امرأة فوعد بها ثم تزوج بها غيره **فقال**:

لئِنْ كانَ أدلَى خاطِباً فتعذرت ... عليه وفاتَتْ رائداً فتخطّتِ
فما تركته رغبةً عن جمَاله ... ولكنها كانَتْ لآخرَ خطّتِ

---

(١) القرآن الكريم: العلق/٦.

(٢) نهشلياً: من نهشل الرجل أي كبر، ونهشل فلاناً عضه والنهشل الذنب.

وفي المعنى ليهودي:

سلا ربةَ الخِدْر ما شأنُها ... ومن أيّ ما فاتَنا تعْجَبُ
فلسْنا بأول منْ فاتَه ... على رغمِهِ بعْضُ ما يطلُبُ
وكائن ترَى النّاس من خاطبٍ ... تزوّج غيْرَ الذي يخْطبُ
وزوّجها غيرُه دونَه ... وكانتْ له قبلَه تُخْطَبُ

وقال المغيرة: ما خدعني أحد ما خدعني غلامٌ من بني الحارث فإني ذكرت له امرأة أريد أن أتزوج بها، فقال لا تفعل: فإني رأيت رجلاً يقبّلها ثم ذهب فتزوج. بها فقلت له في ذلك فقال: رأيت أباها يقبلها.

● تمنى طلاقَ امرأةٍ مرغوبٍ فيها

قال شاعر:

فما أكثرَ الأخبارَ أن قد تزوّجت ... فهل يأتيني بالطّلاق بَشيرُ

وشكا رجل إلى قراص الأزدي تزويج امرأة كان يريد أن يتزوجها فقال:

تربّص بها ريبَ المنون لعلّها ... تطلّقُ يوماً أو يمُوتُ حليلُها

● توجع مَنْ صَاهَرَ غيرَ كفئهِ

دخلت هاشمية على معاوية فقال لها: من زوجك؟ فذكرت مجهولاً فقال: أمثلك ينكح من لا يعرف؟ فأنشدت:

إن القيوم تنكح الأيامى ... النسوة الأرامل اليتامى
المرء لا يبقى له سلامى

قال مهلهل:

أنكحها فقدُها الأَراقم في ... جنب وكانَ الخباء من أدَم
لو باءَ بانين جاءَ يخطبُها ... ضرج ما أنف خاطب بدَم

ولما ظفر قتيبة بابنة يزدجرد وتزوج بها قال لندمائه: أترون ابنها يكون هجيناً فقالت: هي نعم من قبل الأب

وقالت هند بنت النعمان في زوجها ابن زنباع:

وهل هند إلا مهرةٌ عربيّةٌ ... سليلةُ أفراسٍ تحللها بَغْلُ
فإن نتجت مهراً كريماً فبالحرى ... وإنْ يكُ إفراق فجاء به الفحلُ[1]

وقال:

بكى النسبُ الصافي بعينٍ سخينةٍ ... من النسبِ الموصوم أن يجمعا معاً

---

(١) الإفراق: مصدر أفرق (غنمه): أي أضلّها وأضاعها.

وجاء رجل إلى سعيد بن المسيب **فقال**: رأيت حدأة على شرف مسجد الرسول ﷺ **فقال**: إن صدقت رؤياك فسيتزوج الحجّاج من أهل البيت، فتزوج بأم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر.

● **المتزوجةُ من ذي زي قبيحٍ**

قال شاعر:

الـزوجُ زوْجـان ذو مـالٍ يُـعـاش بـه ... وذو شَباب شديد المتنِ كالمرَس

فـلا شـبـابـا ولا مـالا ظـفـرْت بـه ... لـكنّ ما شئت من لؤمٍ ومنْ دنَسِ

قال علي بن المنجم:

لـم يـرْض إلا بـالـكـريـمـةَ مركَبـا ... ولـربـمـا امـتـنـعَـت عـلـيْـه أتـانُ

ولما مات عمر بن عبد العزيز تزوج بامرأته فاطمة بنت عبد الملك سليمان بن داوف بن مروان وكان أعور فاجراً **فقال الناس**: هذا النذل الأعور يعنون **قول جميل**:

نـذل لـعـمـرك مـن يـزيـد أعـور

وقال آخر فيمن طلقها سري وتزوجها دنيء:

وكنت كذى النّبل الذي راشَ نبْله ... بريش الخَوافي ثم بذلها لغبا[1]

● **ذمّ متشرف بتزويج كريمةٍ**

رأوا رفـعـةَ الآبـاء أعـيـا مـرامُـهـا ... عـلـيهم فرامُوا رفعةً بالحَلائلِ

إذا ما أعالي الأمر لم تعطِك المُنى ... فلا بأسَ باستنجاحِها بالأسافلِ

(٢)
وممّا جاء في قلّة الصداق وكثرته

●

قال النبي ﷺ: أعظم النساء بركة أحسنهنّ وجوهاً وأرخصهنّ مهوراً. **وقيل**: لا تغالوا بمهور النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولى بكثرتها.

قال رسول الله ﷺ: وما أصدق امرأة من نسائه ولا من بناته أكثر من إثنتي عشرة أوقية وذلك أربعمائة وثمانون درهماً.

وقال عمر رضي الله عنه: لا يبلغني أن أحداً تجاوز بصداقه صداق النبي ﷺ إلا استرجعت منها. **فقامت امرأة فقالت**: ما جعل الله ذلك إليك يا ابن الخطاب، فإنه يقول وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً فقال عمر ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت، ناضلت أمامكم فنضلته.

---

(١) اللغب: الريش الفاسد.

• وصيةُ الختَن بها وإكرامهُ لها

قال عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان: أرسلني أبي إليّ عمّي عتبة لأخطب إليه ابنته **فأقعدني** جنبه **وقال**: مرحباً بابنٍ لم ألده أقرب قريب خطب إلي أحب حبيب لا أستطيع له ردّاً ولا أجد من تشفيعه بدّاً، قد زوجتكها وأنت أعزّ عليّ منها وهي ألوط بقلبي، فأكرمها يعذب على لساني ذكرك، ولا تهنْها فيصغر عندي قدرك. وقد قربتك من قربك فلا تباعد قلبي من قلبك.

وكتب **الصابىء** عن عزّ الدولة إليّ أبي تغلب وقد نقل ابنته إليه: قد وجهت الوديعة وإنما نقلت من وطن إلى سكن ومن مغرس إلى مغرس ومن مأوى عزّ وانعطاف إلى مأوى برّ وإلطاف، ومن منبت درّت لها نعماؤه إلى منشأ تعود عليها سماؤه. وهي بضعة منّي انفصلت إليك، وثمرة من جنى قلبي حصلت لديك. ولا ضياع على من تضمه أمانتك ويشتمل عليه حفظك ورعايتك. وكان الحسن إذا دخل ختنه **يقول**: مرحباً بمن كفى المؤنة وستر العورة ثم يتنحى له عن مكانه:

• حثّ الرجل على كفاية المرأة

قال الله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾[1] وخطب رجل إلى قوم **فقال أحدهم**: إن عرفت حق المرأة زوّجناك. **فقال**: حقّها أن لا ينسى ذكرها ولا يهتك سترها ولا يحوجها إلى أهلها. فقالت المرأة: زوّجوه.

• وصيةُ الأبوين البنت بِحُسنِ معاشَرة الزَوجِ

زوجت امرأة بنتها **فقالت**: يا بنية لو تركت الوصيّة لأحد لحسن أدب أو لكرم حسب لتركتها لك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل. يا بنيّة إنك قد خلّفت العش الذي منه درجت والموضع الذي منه خرجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، كوني له أمة يكن لك عبداً، واحفظي عني خصالاً عشراً تكن لك دركاً وذكراً. **أما الأولى والثانية** فحسن الصحابة بالقناعة وجميل المعاشرة بالسمع والطاعة ففي حسن المصاحبة راحة القلب وفي جميل المعاشرة رضا الرب **والثالثة والرابعة** التفقد لموضع عينه والتعاهد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشمّ أنفه منك خبيث ريح. واعلمي أن الكحل أحسن الحسن المودود، وأن الماء أطيب الطيب الموجود، **والخامسة والسادسة** فالحفظ لماله والرعاية لحشمه وعياله، واعلمي أن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على الحشم حسن التدبير. **والسابعة والثامنة** التعاهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فحرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة. والتاسعة والعاشرة لا تفشين له سراً، ولا تعصين له أمراً. فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٢٩.

وقال أبو الأسود لابنته: إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق. وأمسكي عليك الفضلين: فضل النكاح وفضل الكلام، وكوني كما قيل:

خذي العفْو مني تستديمي موَدّتي ... ولا تنطقي في سوْرتي حينَ أغضَبُ

● وصيّةُ الأبوين بقبحِ معاشرة الزوجِ

زوجت امرأة بنتها فقالت: يا بنية إقلعي زج[1] رمح زوجك أولاً، فإن أقرّ فاقلعي سنانه. فإن أقر، فاكسري العظام بسيفه، فإن أقر فاقطعي اللحم وضعيه على ترسه، فإن أقر فضعي الأكاف على ظهره فإنه حمار. قال شاعر:

عـلـيْـك يـا سـيّـدةَ الـبـنـاتِ ... مـعـصـيـةَ الـزوجِ إلى الـمَـمَـاتِ

وقـال وداوامِـي غـيـرتِـه وشـتـمِـه ... وقـاتِـلـي فـي كـلّ يـوم أمّـه

وبـاعـدي مـا بـيـنـهـا وبـيـنَـه ... وعـيـنَـهـا فـاسـخـنـي وعـيـنَـه

● التهنئةُ بالزفاف والدعاءُ للزوجين

قال خالد بن صفوان لرجل من باهلة: باليمن والبركة وشدة الحركة والظفر عند المعركة.

● إستعلامُ حال الزوج في افتضاضِ امرأته

قيل لسليمان: كيف وجدت امرأتك؟ قال ولِمَ أرخين الستر إذاً؟

قال شاعر:

أبـا حـسـنٍ قـلْ لـي وأنـت الـمـصـدقُ ... هـلْ أنجابُ ذاك العارضُ المتفالِقُ

وهـلِ غـاب ذاكَ الـحـوت في قعر لجّةٍ ... رأيـتُـك مـنْـهـا تـسـتـعـنَ وتـغـرقُ

فـقـدْ قـيـلَ إن الـبـابَ دونـك مـغـلـق ... وإنّ عـلـيْـك الـرحـب مـنـه مـضـيـقُ

وكتب الصاحب إلى أبي العلاء الحسين بن محمد بن سهلوية لما تزوج بابنة أبي الحسن بن إسحاق:

قـلـبـي عـلـى الـجـمْـرة يـا أبـا الـعـلا ... فـهَـل فـتـحْـتَ الـمـوضـعَ الـمـقْـفـلا

وهـلِ فـضـضـتَ الـكـيـسَ عـن خـتْـمـه ... وهـل كَـحَـلْـتَ الـنّـاظـر الأحـولا

إن كـانَ قـد قـلْـتَ نـعَـم صـادِقـاً ... فـابـعـث نِـثـاراً يـمْـلأ الـمـنـزِلا

وأن تُـجـبْـنـي مـن حـيـاءٍ بـلا ... أنـفِـذْ إلـيْـكَ الـقُـطْـن والـمِـغْـزَلا

● الرخصةُ في تزويج الأم

روي أن النبي ﷺ خطب إلى سلمة بن هشام أمة ضباعة بنت عامر وزوج علي بن

---

(١) الزُج: الحديدة في أسفل الرمح.

الحسين أمه سلافة الكابليّة مولى له ليحيى سنة في الإسلام. وممن زوّج أمه عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد.

• المستنكفُ من تزويجِ أمِهِ

تزوج مروان أم خالد بن يزيد فلاحاه يوماً، فقال له: يا ابن الرطبة. **فقال**: مخبر. مختبر ثم دخل على أمه **فقال**: أنت جلبت عليّ هذا، وأنشدها هجاء فيه:

أمـــا رأيـــت خـــالـــداً يـــهـــمـــه ... إن ســلــب الــمــلــك ونــيــكَــت أمّــه

فقالت: دعه لي. فلما علمت أن مروان قد امتلأ نوماً عمدت إلى مخدة فوضعتها على أنفه فمات.

وكان رجل قاعد على باب داره وعنده صديق له ورجل يدخل الدار ويخرج **فقال له**: من هذا؟ **فقال**: زوج أخت خالتي:

• المعيبُ بتزويجِ أمِهِ

قيل لأعرابي: إن فلاناً زوج أمه وأخذ مهرها فأيسر به. **فقال**: أعوذ بالله من بعض الرزق **وقال الجاحظ** معنى قول القائل يا ماص بظر أمه يعني يا آكلاً مهر أمه من غير أبيه **قال شاعر**:

ربّ حـــلالٍ أكـــلُـــه ... أقـــبـــحُ مـــن نـــجـــس الـــدبْـــر
مـــنْ ظـــنّ مـــهـــرَ أمـــه ... جـــبْـــراً لـــه فـــلا جـــبْـــر

وعاتب الصاحب رجلاً قد زوّج أمه **فقال له**: ما في الحلال بأس، **فقال**: كذا أحب أن تكون لغة كل من أحب أن تناك أمه، ثم **قال فيه**:

زوجـــت أمـــك يـــا أخـــي ... إلـــى الـــرجـــال عـــلـــى طـــبَـــق

وقال:

عـــذلْـــت بـــتـــزويـــجـــه أمـــهِ ... فـــقـــالَ فـــعـــلـــت حـــلالاً يـــجـــوز
فـــقـــلـــت حـــلالاً كـــمـــا قـــد زعـــمْـــتَ ... ولـــكـــن ســـمـــحـــت بـــصـــدْع الـــعـــجـــوز

قال ابن طباطبا:

قـــل لـــلـــمـــزوج أمّـــه ... يـــا أكـــبـــرَ الـــنـــاسِ هـــمَّـــه
أجـــلّ مـــجـــدِ تـــحـــامِـــي ... عـــلـــيـــه تـــســـكـــيـــنُ عـــلْـــمَـــه
كـــفـــيـــت أمَّـــك أمـــراً ... مـــن الأمـــورِ الـــمـــهـــمّـــه

• جوازُ المتعةِ

عَيّرَ عبد الله بن الزبير عبد الله بن عباس بتحليله المتعة **فقال له**: سل أمك كيف سطعت المجامر بينها وبين أبيك. **فسألها فقالت**: ما ولدتك إلا في المتعة. وسئل عن المتعة **فقال**:

الذئب يكنى أبا حيدة أي ذلك حسن الإسم قبيح الفعل. **وقال** يحيى بن أكثم لشيخ بالبصرة: بمن اقتديت في جواز المتعة؟ **قال**: بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، **قال**: كيف وعمر كان أشد الناس فيها؟ **قال**: لأن الخبر الصحيح أنه صعد إلى المنبر **فقال**: إن الله ورسوله قد أحلا لكما متعتين وإني محرمهما عليكم، وأعاقب عليهما. فقبلنا شهادته ولم نقبل تحريمه.

وقال رجل لآخر زوّجني أمك متعة **فقال**: يا أحمق إذا زوجتكها فما معنى المتعة إنما المتعة أن تزوج نفسها.

وقالت امرأة:

أقول للشيخ إذا طالت عزوبته — يا شيخ هل لك في فتيا ابن عباس

● معاداةُ الزوجة للإصهارِ

نحر أعرابي جزوراً **فقال لامرأته**: أطعمي أميّ فقالت: أيّها أطعمها؟ **قال**: الورك **فقالت**: التي ظهرت بلحمة وبطنت بشحمة لا لعمري **قال**: الفخذ. قالت: الكثيرة اللحم الطيبة المخّ، لا لعمري **قال**: الكتف قالت: الحاملة اللحم من كل مكان. **قال**: فما تطعمينها؟ قالت: اللحى التي ظهرت بالجلد وبطنت بالعظم. **قال**: تزوّدي إلى أهلك فأنت طالق.

● موافقة زوجين قبيح وحسن؟

نظرت امرأة عمران بن خطان في المرآة وكانت جميلة وزوجها قبيح، **فقالت له**: أنا وأنت في الجنة **قال**: ولِمَ؟ قالت: لأنك رزقتني فشكرت وأنا ابتليت بك فصبرت والصابر والشاكر في الجنّة.

وقال رجل لامرأته: ما خلق أحب إليّ منك. فقالت: ولا أبغض إليّ منك. **فقال**: الحمد لله الذي أولاني ما أحب وابتلاك بما تكرهين.

● موافقة قبيحين

خطب أَسَدي قبيحُ الوجه امرأةً قبيحة **فقيل لها**: إنه قبيح وقد تعمّم لك. **فقالت**: إن كان قد تعمم لنا فإنّا قد تبرقعنا له. استقبح رجل امرأة **فقال**: ويل لمن هذه ضجيعته فلّما رأى زوجها وكان في القبح مثلها قال:

وافــق شــنّ طــبــقَــه — وافــقَــه واعــتــنــقَــه

وأنشد:

نــزلــت ســلــمى بــســلــمى — مــنــزلاً ذا عــــذواء

● وَصْفُ الفوارِكِ

تزوج رجل امرأة فاجتمع معها في بيت ففركته فرمت ببصرها للكوة فرأت الصبح **فقالت**:

وأنـقـذني بـياضُ الـصبـح مـنـه — لـقـد أنـقـذتُ مـن شـرّ طـويـل

وقال الجماز لامرأته في يوم غيم: ما يطيب في هذا اليوم؟ قالت: الطلاق قال شاعر:

لقد أصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشِزاً ... ولو رضيت ريحَ إسته لاستقرّت

وفي ضد ذلك قال رسول الله ﷺ: خير نسائكم التي إذا خلعت ثوبها خلعت معه الحياء وإذا لبسته لبست معه الحياء يعني مع زوجها

● **الحثُّ على حفظهنّ من الخمرِ والكتابةِ**

قيل: لا تسمعهنّ الغناء فإنه داعية الزنا. وذاقت أعرابية الخمر **فقالت:** نساؤكم يشربن هذا؟ **قالوا:** نعم قالت زَنَيْنَ إذاً ورب الكعبة. ورأى فيلسوف جارية تتعلم الكتابة **فقالت:** ليت شعري لمن يصقل هذا السيف؟ **وقال:** لا تسق السهم سماً لترميك به يوماً ما. **وقال عمر:** جنبوهنّ الكتابة ولا تسكنوهن الغرف. **وقيل:** علموهنّ سورة النور وجنبوهنّ سورة يوسف. **وقال رجل:** إيّاك أن تترك حرمتك تصغي إلى قول أبي ربيعة:

أمن آل نعم أنتَ غادٍ فمبكرُ ... غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجّرُ

فإنه يحل السراويلات ويطرب الغانيات.

● **الحثّ على شقائهنّ بالمغزل والمهنةِ**

قيل: ألزموا النساء المهرة. **قال شاعر:**

ونعم لهو المرأة المغزَلُ

وقيل لهند بنت المهلب زوجة الحجاج: تغزلين وزوجك أمير؟ **فقالت:** سمعت أبي يقول قال رسول الله ﷺ: أطولكن طاقة أعظمكن أجراً والمغزل يطرد الشيطان ويذهب بحديث النفس.

● **الحثّ على سترهنّ ومنعهنّ من الخروج**

ودخل ابن أم مكتوم على النبي ﷺ وعنده بعض نسائه فأقامها **فقالت:** إنه أعمى **فقال:** أعمى أنتن. **وقال سلمان:** النساء عيّ وعورة فداووا العي بالسكوت والعورة بالبيوت.

وقال سعيد بن سلمان: لأن يرى حرمي مائة رجل مكشوفات خير من أن ترى حرمتي رجلاً غير منكشف.

وقيل للحطيئة: ما تركت على بناتك؟ قال العري فلا يرحن، والجوع فلا يمرحن. وقيل لآخر: **فقال:** الحافظين العرى والجوع.

● **ميلُ الزوجِ إلى زوجتِه أو إلى أبويه**

روى نافع أن ابن عمر جاء إلى النبي ﷺ **فقال:** إنّ أبي أمرني أن أطلق امرأتي.

فقال: طلقها يا عبد الله. وروي أن رجلاً أتى أبا الدرداء **فقال**: أمي أمرتني أن أطلق امرأتي. **فقال**: سأحدثك بشيء سمعته من رسول الله ﷺ: الوالدة وسط باب الجنة فاحفظ ذلك الباب إن شئت أو ضيّعه. **قال**: بل أحفظه فطلقها. تزوج ابن الفرزدق فمال إلى امرأته وتحامل على أبيه **فقال فيه**:

ولـمّـا رآنـي قـد كـبـرْتُ وأنّـه ... أخو الجنّ واستغنى عن المسْح شاربُه
أصـاخ لـعـريـان الـنـجـى فـإنّـه ... لا زورّ عن بغض المقالةِ جانبُه

وكان صخر طعن فمكث زماناً عليلاً فسمع امرأته تقول لأخرى وقد سألتها عنه: كيف أصبح؟ فقالت لا حي فيرجى ولا ميت فينسى. ورأى تحرّق أمّه عليه **فقال**:

أرى أمّ صـخـر مـا تـمـلّ عِـيـادتـي ... وملّت سُلَيْمَى مضجَعي ومكَانِي
وما كـنـتُ أخـشـى أن أكـونَ جـنـازةً ... عـلـيْـك ومـن يـغـترّ بـالـحـدَثـانِ
أهـمّ بـأمْـرِ الـحـزْمِ لـو اسـتـطـيـعُـه ... وقـد حـيـل بـيـنَ الـعَـيْـرِ والـنّـزْوانِ
فـأي امـرىءٍ سـاوَى بـأمّ حـلـيـلَـةً ... فـلا عـاشَ إلا فـي أذىً وهــوانِ
لـعـمْـري لقد نبهت من كـانَ نـائـمـاً ... وأيـقـظَـت مـن كـانَـت لـه أذْنـانِ
ولـلْـمَـوْتُ خـيـرٌ من حـيـاةٍ كـأنّـهـا ... مـغـرسُ يـعـسـوبٍ بـرأسِ سِـنـانِ

ثم برأ من علّته فطلقها. **قال محرر بن النعمان**:

إذا سـويْـتُ صـاحـبـتـي بـأمّـي ... فـقـام علـيّ قـبْـل الـصـبْـح نـاعِـي
فـأمُّ الـمـرء بـاكـيـةٌ عـلـيْـه ... وخِـلّـتـه تَـصَـدّى بـالـقِـنـاعِ

- **المؤتمرُ لامرأتهِ والممتنعُ مِنْ ذلك**

كان الأحنف مطيعاً لجاريته زبراء فقيل له في ذلك فقال: كيف لا أطيع من لي إليه في كل يوم حاجة. **قال شاعر**:

أقـامَـت زوجـهـا مـرّة ... وقـامَـت مـوضِـعَ الـرجُـل

قال أبو تمّام:

مـرأتـه نـفَـذتْ أمـرَهـا ... حـتـى ظـنـنّـا أنّـهُ امـرأتُـهـا

قال الشنفرى:

إذا مـا جـئْـت مـا أنْـهـاك عـنـه ... ولـم أنـكِـر عـلـيْـك فـطـلّـقِـيـني
فـأنـتِ الـبـعْـلُ يـومـئـذٍ فـقُـومـي ... بـسـوطِـك لا أبـا لـك فـاضـربـيـني

- **فتنتهن**

قال ﷺ: ما تركت بعد فتنة أضرّ على الرجال من النساء. **وقال**: أوثق سلاح إبليس النساء. **وقال**: النساء حبائل الشيطان. ونظر بقراط إلى رجل يكلم امرأة **فقال له**: تنحّ عن

هذا الفخ لا تقع فيه. **وقال لقمان**: كُنْ من خيار النساء على حذر، فأنت من شرارهنّ على يقين. **وقال رجل**: ما دخل داري شرّ قط. **فقال له حكيم**: ومن أين دخلت امرأتك؟

● **وصفهن بغلبةِ الرجالِ**

قال النبي ﷺ: ما من ناقصة العقل والدين أغلب للرجال ذوي الأمر من النساء. **وقال معاوية في وصفهن**: يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام. **قال شاعر**:

ويجمعن ضعفاً واقتداراً على الفتى ... أليس عجيباً ضعفُها واقتدارُها

قال الرشيد:

مالي تطاوِعُني البريّةُ كلّها ... وأطيعهنّ وهنّ في عِصْيانِي
ما ذاكَ إلا أن سُلطانَ الهوى ... وبهِ غلَبْنَ أعزُّ من سُلطاني

قال الموسوي:

معاداةُ الرجالِ علَى الليالي ... أُطِيقُ ولا مُعاداةُ النساءِ

● **التحذيرُ من الاعتماد عليهن وذمهنّ**

قال أمير المؤمنين: لا تطيعوا النساء على حال ولا تأمنوهنّ على مال، ولا تذروهنّ يدّبرن العيال، فإنهن إن تركن وما يردن أو زدن المهالك وأزلن الممالك، لا دين لهنّ عند لذاتهنّ، ولا ورع لهنّ عند شهواتهنّ، ينسين الخير ويحفظن الشر، يتهافتن في البهتان ويتمادين في الطغيان، ويتصدين للشيطان. **وقيل**: من أطاع عرسه لم ينفع نفسه. وعارضت امرأةٌ عمر في أمر يديره **فقال**: ما لكن وأمور الرجال أنما أنتن لعبة إن كانت لنا بكنّ حاجة دعوناكن - **قال المتنبيّ**:

وللخُودِ منّي حاجَةٌ ثم بينَنا ... فلاةٌ إلى غيْرِ اللقاء تُجَابُ

● **الحثّ على مخالفتهنّ**

قال النبي ﷺ: شاوروهن وخالفوهنّ. **وقيل**: إيّاك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن[1] وعزمهن إلى وهن. وقيل أكثروا لهنّ من لا فإن نعم تغريهنّ بالمسألة.

قال أجدع الهمداني:

تعيّرُني بالغَزْو عِرْسي وما دَرَت ... بأنّي لها في كل ما أمرتْ ضِدُّ

● **ذمهنّ بالجهل والاعوجاج**

قيل: إذا وصفت المرأة بالعقل فهي غير بعيدة من الجهل. **وقيل**: لا تدع المرأة تضرب صبياً فإنه أعقل منها. **وفي الحديث**: خلقت المرأة من ضلع معوج فلّما أرادت

---

(١) **أفن**: ضعف رأي.

تقويمه انصدع. **وقال ﷺ**: النساء شر كلهنّ وشر ما فيهن قلّة الاستغناء عنهنّ. **وقيل**: تعوّذ من شرار النساء، وكن من خيارهن على حذر. ورأى **سقراط** امرأة تحمل ناراً **فقال**: نار تحمل ناراً، والحامل شرّ من المحمول. **وقيل له**: أي السباع شر؟ **قال**: المرأة. وروي عن النبي ﷺ: النساء حبائل الشيطان. وقيل: شرّ أخلاق الرجال الجبن والبخل وهما خير أخلاق النساء. **وقيل**: المرأة إذا أبغضتك آذتك وإذا أحبتك خانتك فحبّها أذى وبغضها داء. **قال شاعر**:

إن النساءَ وإن حيينَ صوالِحا ... فيما يحلّ من الأمورِ ويُحَرَّمُ
لحمٌ تطيفُ به كلابٌ جوّع ... إن لمْ يذذن فإنه مُتقَسَّمُ

● النهيُ عن حَمْدِ النساءِ

قال لقمان: شيئان لا يحمدان إلا عند عاقبتهما: الطعام والمرأة، فالطعام لا يحمد حتى يستمرأ والمرأة لا تحمد حتى تموت. **وفي المثل**: لا تحمد أمة عام شرائها ولا حرة عام بنائها.

● وصفهن بكونهنّ ناقصاتٍ

قال النبي ﷺ: إنهنّ ناقصات دين وعقل. **فقيل**: وما نقصان دينهن وعقلهنّ؟ **قال**: إن إحداهن تقعد نصف شهر لا تصلّي، وأما نقصان عقولهن فشهادة المرأتين تقوم مقام شهادة الرجل الواحد.

وقال وهب بن منبه: قد عاقب الله النساء بعشر خصال: بشدة النفاس والحيض وجعل ميراث إثنتين ميراث رجل وشهادتهما بشهادة رجل واحد، وجعلها ناقصة الدين والعقل لا تصلي أيام حيضها ولا يسلم عليها وليس عليها جمعة ولا جماعة ولا يكون منهن نبيّ، ولا يسافرن إلا بوليّ.

● وصف الموافية للزوج الحسنةِ الخلقِ

قال النبي ﷺ: خيرُ النساء الهينة العفيفة المسلمة، تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها. **وقال معاوية رضي الله عنه لصعصعة**: أيّ النساء أشهى؟ **قال**: المواتية لما تهوى والمجانبة لما لا ترضى. وتزوّج رجل سيء الخلق امرأة **فقال**: أما أني سيء الخلق، فإن كان عندك شيء من الصبر على المكروه وإلا فلست أغرّك من نفسي فقالت: أسوأ خلقاً منك من أحوجك إلى سوء الخلق. فتزوّجها، فما جرى بينهما وحشة للموت.

وقال شريح: تزوجت امرأة صغيرة فلما بنيت بها قالت: عرفني خلقك لأعمل على مداراتك، فعرفتها فبقيت معها سنة لا أزداد فيها إلا شغفاً فدخلت يوماً فرأيت عندها عجوزاً **فقلت**: من هذه؟ **قالت أمي**: فسلمت عليها فدعت لي **وقالت**: كيف رضاك عن صاحبتك؟ فشكرتها. **فقالت**: أسوأ ما تكون المرأة خلقاً إذا حظيت عند الزوج وإذا ولدت فإن رابك

منها شيء، فعليك بالسوط فقلت: أشهد أنها بتلك فقد كفيتني الرياضة.

● وصف المخالفةِ السيئةِ الخلقِ

قال الأصمعي: رأيت رجلاً يطوف بالبيت يحمل شيئاً كبيراً، **يقول له**: أعييتني صغيراً وكبيراً. **فقلت له**: أحسن إليه فطالما أحسن إليك. **فقال**: من تراه لي؟ فقلت: هو أبوك أو جدّك. **فقال**: بل هو ابني. **فقلت**: ما صيّره إلى ما أراه، **قال**: سوء خلق امرأته.

وقال رجل لأبيه تزوجت امرأة سيئة الخلق **فقال**: عجّل طلاقها فإنها تهرمك قبل الهرم، وتذهب عنك بجماع الكرم. وروي أن حكيماً زوج ثلاث بنين، فلما كان رأس الحول سأل الأول عن امرأته **فقال**: هي امرأة من خير النساء إلا أنها خرقاء لا تعمل شيئاً **فقال**: أنزلها في بني فلان فإن نساءهم صناع لتتعلّم. وسأل الثاني **فقال**: إنها لا تدفع يد لامس **فقال**: أنزلها في بني فلان فإن نساءهم عفيفات. وسأل الثالث **فقال**: سيئة الخلق، **فقال**: طلقها فهذا شيء لا حيلة له.

● شُكْر أحدِ الزوجين الآخرَ

قيل لامرأة: كيف زوجك؟ قالت: إذا دخل فهد وإذا خرج أسد. وقيل للأخرى: **فقالت**: جمل ظعينة وليث عرينة، **وقيل للأخرى**. **فقالت**: هو سكوت خارجاً ضحوك والجاً. وسئل رجل عن امرأة فقال: أفنان أثلة[1]، وجنى نحلة، ومس رملة[2]، وكأني قادم في كل ساعة من غيبة.

وطلق رجل امرأة فلما أرادت الإرتحال **قال لها**: إسمعي وليسمع من حضر إنّي والله اعتمدتك رغبة، وعاشرتك محبة، ولم يوجد مكاني منك زلّة، ولم يدخلني منك ملّة، ولكن القضاء كان غالباً. فقالت المرأة جزيت من صحوب خيراً، فما استربت خيرك، ولا شكوت خيرك ولا تمنيت غيرك وليس لقضاء الله مدفع، ولا من حكمه ممنع ثم تفرقا.

● ذمّ أحد الزوجين الآخر

شكت امرأة زوجها **فقالت**: هو قليل الغيرة سريع الطيرة، كثير العتاب، شديد الحساب إسترخى ذكره وأقبل زفره وبخره وطمحت عيناه، واضطربت رجلاه، يأكل همساً ويمشي خلساً، ويصبح رجساً، إن جاع جزع، وإن شبع خشع. **وقالت امرأة**: زوجي قصير الشبر، ضيق الصدر، لئيم النجر، عظيم الكبر، كثير الفخر، **وقالت امرأة لرجل**: إنك لضيق الفناء صغير الإناء قبيح الثناء **فقال**: وأنت واهية العقد قليلة الرفد، مجانبة للرشد.

وقال امرؤ القيس لامرأته وقد فركته: ما تكرهين مني؟ **قالت**: إنك سريع الإراقة،

---

(١) **الأثلة**: الأصل. (٢) **رملة**: قطعة من أرض يعلوها الرمل.

بطيء الإفاقة، ثقيل الصدر، خفيف العجز **فقال**: وأنت حديدة الركبة، واسعة الثقبة، سريعة الوثبة قبيحة النقبة.

● شؤم أحدِ الزوجين على الآخرِ

تزوج امرأة رجل قد مات عنها خمسة أزواج فمرض السادس **فقالت**: إلى من تكلني **قال**: إلى السابع الشقيّ. وتزوج أعرابي أربعة نسوة متن عنده، ثم تزوج امرأة مات عنها خمسة أزواج **فقال**:

بـوازلُ أعـوام أذاعَـت بـخـمـسَـة ... وتـعـتـدّنـي إن لـمْ يـقِ الله شـائـيـا
ومن قـبـلـهـا أهـلـكَـتْ بـالـشؤمِ أربَـعـا ... وواحـدَة أعْـتـدّهـا فـي حِـسَـابِـيَـا
كـلانـا مـطـل مـشـرفٌ لـغـنـيـمـةٍ ... ويـقـضـي إلـهُ الـخـلْـق مـا كـانَ قـاضِـيـا

وقيل: رأت عائشة بنت الفرات ثلاثة ألوية كسرت على صدرها، فسألت أمّها ابن سيرين. **فقال**: يتزوجها ثلاثة من الأشراف يقتلون عنها، فتزوجها يزيد بن المهلّب، ثم عمرو بن يزيد الأسدي فقتلا، وتزوجها الحسن بن عثمان الزهري فجرى بينهما يوماً كلام فقالت: والله لتقتلن وأخبرته فطلقها. وتزوجها العباس بن عبد العزيز فقتل.

ورُوِيَ أن أم حبيب بنت قيس العدوية **قالت**: لا أنكح إلا العدويين المحمدين، فنكحَت محمد بن عمرو بن العاص ففارقها، ثم محمد بن خليفة فقتل، ثم محمد بن أبي بكر فقتل، ثم محمد بن جعفر بن أبي طالب فمات، ثم محمد بن إياس فتوفيت معه. وكان ابن عمر **يقول**: من أراد الشهادة الحاضرة فليتزوج بها.

● إمتناع أحد الزوجين من التزويج بعد موتِ صاحِبه

يقال: ما وفت امرأة لزوجها إلا قضاعيتان: نائلة بنت الفرافصة أرملة عثمان فإنها قلعت ثنيتها بعد عثمان مخافة أن يخطبها رجل، وامرأة هدبة العذري فإنها لما رأت زوجها يقاد للقتل، **أنشدها**

فـلا تـنـكَـحِـي إن فـرّقَ الـدّهْـرُ بـيْـنَـنـا ... أغـمّ الـقَـفـا والـوجـهِ لـيـسَ بـأنـزَعـا

فعمدت إلى سكين فقطعت أنفها **وقالت**: كن آمناً من ذلك. **فقال**: الآن طاب ورود الموت. وتزوّج رجل بابنة عمّ له يقال لها رباب وتعاهدا على أن لا يتزوج أحدهما بعد موت الآخر فمات الرجل، وأكرهت المرأة على التزويج فلما كان ليلة الزفاف رأت في منامها أن ابن عمها آخذٌ بعضداتي الباب، فأنشد:

حـيـيـتُ سـكـانَ هـذا الـبـيـتِ كـلّـهـم ... إلا الـربـابَ فـإنّـي لا أحـيّـيـهـا
أمسَتْ عروساً وأمسَى منزلي خربا ... ولـم تـراعِ حُـقـوقـاً كـنْـت أرعـيـهَـا

فانتبهت مذعورة، وحلفت أن لا تجمع رأسها ورأس الرجل وسادة. وكان شيرويه لما قتل أباه سكرى أراد أن يتزوج بشيرين امرأة أبيه، **فقالت له**: على ثلاث شرائط: أن

تحضر الحكماء فأخطئهم في معاونتهم إياك على قتل أبيك حتى لا يجرؤا على مثله فيك، وأن تستحضر لي نساء الكبار لأشتفي بالبكاء عليه، وأن تأذن لي في حضور المكان الذي مات فيه مرة فقال كلّ ذلك لك. فلما خطأتهم، وبكت عليه، وحضرت المكان الذي مات فيه أخرجت فصاً مسموماً فمصّته فماتت مكانها، وكانت قد عمدت إلى سمّ فوضعته في بعض الخزائن وكتبت عليه: إن من تناول منه وزن دانق أعانه على الجماع فلما ظفر به تناول منه فمات في مكانه.

● **المتزوجُ منهما بعد موتِ الآخرِ**

ماتت امرأة لرجل وكان عاهدها أن لا يتزوج بعدها فخطب امرأة في جنازتها فعوتب في ذلك فقال:

خطبت كمَا لو كنتُ قد مُتُّ قبلها ... لـكـانـت بـلا شـكٍ لأوّل خـاطـبِ
إذا غـابَ بَـعْـلٌ جـاءَ بـعـلٌ مـكـانَـه ... ولا بـدّ مـن آتٍ وآخـرَ ذاهـبِ

ومات زوج امرأة فراسلها في ذلك اليوم رجل يخطبها فقالت: هلا سبقت فإني قد قاولت غيرك. فقال: إذا مات الثاني فلا تفوّتيني.

● **ذمُّ التطليقِ وشدّتُهُ**

قال ﷺ: ما من حلال أبغض إلى الله من الطلاق، وقال ﷺ: ما خلق الله شيئاً أحب إليه من العتاق، وما خلق الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق. ورُوِيَ عنه أيضاً: لا تطلقوا النساء إلا من ريبة، فإن الله لا يحب الذوّاقين والذوّاقات. وقال عمر لرجل طلق امرأته: لِمَ طلقتها؟ قال: لا أحبها. فقال: أكلّ البيوت بنيت على الحب. أين الرعاية والذمم؟ وقال الشاعر:

ومـا لـذعـت أنـثـى مـنَ الـدّهـر لـذعـةً ... أشـدّ عـلـيـهـا مـن طَـلاق تـزود

● **مَدْحُ التطليقِ**

كان الحسن رضي الله عنه مطلاقاً وقال: إن الله علق بهما الغنى وتقدّم وقال عامر بن الظرف: أجمل القبيح الطلاق. وأملى أبو العجل خطبة للنكاح فقال: الحمد لله الذي جعل في الطلاق اجتلاب الأرزاق، فقال: وأن يتفرقا يغنِ الله كلاً منه سعته. أوصيكم عباد الله بالسلوة والملالة والتجنّي والجهالة واحفظوا قول الشاعر:

إذهـبـي قـد قـضـيـتُ مـنـك قـضـائِـي ... وإذا شـئـتِ أن تَـسـبـيـنِـي فـبِـيـنـي

تعاهدوا نساءكم بالسبّ وعادوهنّ بالضرب، وكونوا كما قال الله تعالى: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾(١) ثم إن فلاناً في خمول نسبه ونقص أدبه خطب إليكم فازهدوا فيه فرّق الله ذات بينهما وقرّبهما من حينهما.

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٣٣.

● **الحثُّ على تطليقِ غيرِ الموافقةِ**

قال مرثد لرجل شكا إليه سوء خلق امرأته: بخّرها بمثلثة. **قال شاعر**:

ودواء لا تشتهيهُ النفس تعجيل الفراقِ

أنشد دعبل يزيد بن مرثد قوله:

عـكـلـيّـة جَـهْـمٌ مُـحَـيّـاهـا

فقال: طلقها **قال**: ليس لي مال فدفع إليه مالاً **فقال**: طلقتها ألف مرة.

● **المتبرّم بالمرأة المتمني طلاقَها**

قال أبو سراعة:

أيّ طـيـرٍ جـرى بـقـربِـك حـتّـى ... يـمّـر الـلّـهُ لـلـرمـاةِ جـنـاحَـه

وقال:

أحـــرزتْ كـــفّـــاي مـــنـــهـــا ... حـــرّةً غـــيـــرَ ســـريّـــه

ســـنّـــهـــا ســـنُّ عـــجـــوزٍ ... وهـــيَ فـــي الـــعَـــقْـــل صـــبـــيّـــه

حـــبّـــذا الـــتـــطـــلـــيـــقُ لـــوْلا ... خـــلّـــةٌ فـــيـــهِ رديّـــه

وقال:

لقد كنتُ محتاجاً إلى موتِ زوْجتي ... ولكنّ علقَ السوء باقي معمرُ

فيا ليتَ أنّ اللحدَ قد صارَ بيتَها ... وعذّبها فيه نكيرٌ ومنكَرُ

ومرضت امرأة لبعض الاعراب فسمعها تقول: **أموت فقال**:

إذا متّ فالجرعاءُ منك قريبَةٌ ... وفي بيتِنا للغانيات معادُ

وقال جران العود يخاطب امرأة:

يقولونَ في البيْت لي نعْجةٌ ... وفي البيْت لو يعلمون النمرُ

أحبّي ليَ الخير أو أبغضي ... كلانا لصاحِبه يَنتَظِرُ

● **من طلّق امرأته فَسُرّ بذلك**

قال شاعر:

رحـلـتْ أمـيّـةُ بـالـطّـلاق ... وعُـتِـقْـتُ مـن رقّ الـوثـاق[1]

بـانـتْ فـلـمْ يـألَـمْ لـهـا ... قـلـبي ولـمْ تـبْـك الـمـآق

لـوْ لـمْ أرِحْ بـفـراقِـهـا ... لأرحـتُ نـفـسي بـالإبـاق

وخُـصـيـتُ لا أريـ ... ـد حـلـيـلَـةً حـتّـى الـتـلاق

---

(١) رقّ: عبوديّة.

وكان قتادة بن معروف تزوج امرأة ففركها من ليلة فطلّقها ولما أصبح قال:

تـجَـهّـزِي لـلـطّـلاقِ واصْـطَـبـري ... هــذا دواءُ الـجـوامِـحِ الـشُّـمُـسِ
لـلـيْـلَـةُ الـبـيْـنِ إذْ هـمَـمْـتُ بـه ... أطـيَـبُ عـنْـدي مـن لـيـلـةِ الـعُـرُسِ

وتزوج رجل امرأة فلما دخل بها وجدها قبيحة سيئة الخلق، فقال:

إمـضـي إلـى سـقـر فـإنّـك بـائِـنٌ ... ومـطـلّـقٌ وخـلـيـة وحـرامُ[1]
والـقـولُ قـولُ أبـي حـنـيـفـة عـنْـدنـا ... إذ لـيْـس فـيـهـا رجـعَـةٌ ولـمـامُ

وكان رجل طلق زوجته ثلاثاً وترافعا إلى القاضي فأخذ القاضي ينظر هل لقوله وجه فقال له: لا تتعب هي طالقه عشرين ألف مرة. فقال القاضي: قد خففت الأمر علينا.

● **مَنْ أمر بمصابرة امرأتِهِ**

قالت أم التحف وكان ابنها تزوج امرأة على غير رضاهما وحمل نفسه ما لا طاقة له به ثم همّ بتطليقها تبرماً بها:

لعمْري لقَد أخلفْتَ ظنّاً وسؤتَني ... فخزت بعصياني الندامةَ فاصْبِرِ
ولا تكُ مِطْلاقاً ملولاً وسامِحِ الـ ... ـقرينَةَ وافعَل فعلَ حرّ مُشْهِرِ
فقد حزتَ بالورهاء أخبثَ خشية ... فدعْ عنكَ ما قد قلت يا سعد واْصْبِرِ
تربّص بها الأيامُ على صروفِها ... سترمي بها في جَاحم متسَعّرِ[2]

● **مَنْ طلّق امرأته فندم**

جاء أعرابي إلى ابن أبي ذؤيب في مسألة طلاق زوجته فافتاه بطلاقها، فقال:

أتيتُ ابنَ ذئب أبتغي الفقْه عنْده ... فطلّق حبّي ليْتَ بتّتْ أناملُه
أطلقُ في فتوى ابن ذِئب حَليلتي ... وعنْدَ ابن ذئبٍ أهلُه وحلائِلُه

وقال راوية الفرزدق: قال لي الفرزدق: امض بي إلى حلقة الحسن فإني أريد أطلق نوار **فقلت له**: أخشى أن تتبعها نفسك. **فقال**: امض ولا تخف فمضيت معه فقال: السلام عليكم إعلم إني قد طلقت نوار ثلاثاً. فقال: الحسن قد علمت فلما رجع، قال: إني لأجد في نفسي شيئاً من نوار ثم أنشأ يقول:

نـدمـت نـدامـة الـكُـسَـعيّ لـمّـا ... غـدت مـنّـي مـطـلّـقـةً نُـوارُ[3]

---

(١) سقر: جهنم.

(٢) تربص: التربّص: الترقب والانتظار.

(٣) الكسعي: رجل أصلح قوسه ثم رمى بها عيراً فسمع صوت ارتطام السهم فظنّ أن قوسه لم تصب مرماها فكسرها ثم عند الصباح تبيّن خطأه ورأى الحمر قد صرعتها السهام فندم فقطع إبهامه، وقد شبّه الفرزدق ندامته بعد تطليق نوار بندامة الكسعي ـ جاحم: جمر شديد الاشتعال.

وكانت جَنّتي فخَرَجْتُ منها كآدم حينَ أخرجه الضرارُ[1]
ولو أني ملكْتُ يدي ونفسي لكانَ عليّ للقدر الخيارُ

- **قرب تطليق امرأةٍ من تزوجها**

زوج بعضهم ابنته عمرو بن عثمان فلما مضت إليه طلقها على المنصّة فجاء أبوها إلى عبد الله بن الزبير فقال: إن عمرو بن عثمان طلّق ابنتي في المنصة وأخشى أن يظنّ الناس أن ذلك لعاهة، وأنت عمّه فعاتبه. فقال: أو خير من ذلك ائتنوني بالمصعب فزوجها منه وأقسم ليدخلنّ بها من ليلته فما رؤيت امرأة نصت على رجلين في ليله سواها. وتزوج الوليد في خلافته نيفاً وسبعين امرأة فلما دخل بالآخرة وأراد أن يقوم أخذت بثوبه وقالت: ما ترى؟ أقم لك كفيلاً أن لا تأمر بتسريحي. فضحك واستملحها وأمسكها أربعة أشهر ثم طلقها بعد ذلك.

- **مراجعةُ المرأةِ بعد طلاقِهَا**

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾[2] وسبب ذلك أن أحدهم كان إذا أراد أذية امرأة طلّقها فإذا قاربت انقضاء العدة راجعها، ثم طلّقها، ثم راجعها، طلباً لأذيّتها. وقيل: إن الحسن بن علي طلّق امرأتين قرشية وجعفية فأرسل إلى كل واحدة عشرين ألفاً، وقال للرسول: إحفظ ما تقول كل واحدة. فقالت القرشية: جزاه الله خيراً وقالت الجعفية. متاع قليل من حبيب مفارق، فراجع الجعفية، وتزوج عبد الله بن أبي بكر عاتكة بنت زيد بن عمرو وقد ألفها حتى أشتغل بها عن كل شيء فقال له أبوه: طلقها، فطلقها. وقال:

فلم أر مثلي طلّقَ اليومَ مثلَهَا ولا مثلَها في غير شيء يطلّقُ

فقال أبوه راجعها يا بني فإنّي أراك محبّاً لها.

- **تفويضُ الطلاقِ إليها**

روي عن عائشة رضي الله عنها لما أنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ﴾[3] (الآية) دخل النبي ﷺ وقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي بشيء حتى تستشيري أبويك. قالت: وخشي النبي ﷺ حداثة سني فقلت: يا رسول الله وما ذاك؟ قال: إني أمرت أن أخيركن ثم تلا الآية علينا فقلت. فيمَ استشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة. فسر ﷺ بذلك نساءه فتواترن عليه. كانت امرأة عند الحسن بن الحسين بن علي فضجرت عليه يوماً فقال: أمرك في يدك.

---

(١) الضرار (هنا): عصيان ما أمره الله به.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣٢.
(٣) القرآن الكريم: الأحزاب/ ٢٨.

فقالت: أما والله لقد كان في يدك عشرين سنة فحفظته وما ضيّعته أفأضيعه في ساعة واحدة صار في يدي، قد رددت عليك حقك، فأعجبه قولها.

• طلاقُ السنة

قال الله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[1] وقيل: طلاق السنة أن يطلقها وهي طاهر ثم يدعها حتى تنقضي عدتها أو يراجعها إذا شاء. وروي أن ابن عمر طلّق امرأته وهي حائض، فأتى عمر النبي ﷺ فقال: مُرْهُ فليراجعها، حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلقها قبل أن يراجعها، وإن شاء أمسكها، فإنها العدّة التي أمر الله بها.

• الطلاقُ الثلاثُ

قال ابن عباس: كان الطلاق في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وستين من خلافة عمر طلاق الثلاث. واحدة، فقال عمر: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم، وروى عكرمة عن ابن عبّاس قال: طلق ركانة امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، فحزن عليها حزناً شديداً فسأله النبي ﷺ كيف طلقتها؟ فقال: طلقتها ثلاثاً فقال: في مجلس واحد؟ فقال: نعم. قال: فإنما تلك واحدة فإن شئت فراجعها. وقال ابن عباس: إنما الطلاق عند كل طهر فتلك السنة التي عليها الناس والتي أمر الله بها.

• أحوالُ الطلاق

قال رسول الله ﷺ: ثلاث ليس فيهن لعب من تكلم بشيء منهن لاعباً فقد وجب عليه الطلاق والعتاق والنكاح. وأما طلاق المكره فغير واقع لقوله ﷺ: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقال ﷺ: لا طلاق في إغلاق. وقال: لا طلاق لامرىء في ما لا يملك، ولا عتاق فيما لا يملك، وروي: من طلق ما لا يملك فلا طلاق له.

• منعُ الزوجِ منها بَعْدَ الثلاثِ

إذا طلق الرجل المرأة ثلاثاً، فلا يحلّ له أن يراجعها حتى تنكح زوجاً غيره قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ﴾[2] (الآية) وروي أن رفاعة القرظي طلق امرأته فبت طلاقها، فتزوجها بعد رفاعة عبد الرحمن بن الزبير، فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني كنت عند رفاعة فطلّقني وإنه ليس معه إلا مثل هدبة الثوب فتبسّم النبي ﷺ وقال: لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا، حتى تذوقي عسيلته، ويذوق عسيلتك. وأبو بكر جالس عند النبي ﷺ وخالد بن سعيد بن العاص جالس على باب الحجرة لم يؤذن له، فطفق خالد يتأذى ويقول: ألا تزجر هذه عمّا تجاهر به الرسول ﷺ. وروي أنها جاءت بعد فأخبرته أن قد مسّها فقال: اللهم إن كان ما بها إلا أن تحلها الرفاعة فلا تتم لها نكاحه مرة أخرى فلم يتفق

---

(١) القرآن الكريم: الطلاق/ ١.

(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣٠.

تزوجه بها. وسئل ﷺ عن المحلل فقال: لا إلاّ نكاح رغبة ولا مستهزىء بكتاب الله لعن الله المحلّل والمحلّل له، وفي حديث آخر المستحل والمستحل له.

● مراجعةُ المرأةِ

روى عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة فرجعت إلى أهلها فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾(١) وقيل له: راجعها فإنها صوّامة قوّامة وأنها إحدى نسائك وأزواجك في الجنة.

● ذمُّ المريدةِ لطلاقِ زوجِها والمختلعةُ

قال النبي ﷺ: أيّما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس، حرم الله عليها رائحة الجنة وروي أن حبيبة كانت تحت ثابت بن قيس فكرهته، فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت: لا أنا ولا ثابت، ولولا مخافة الله لبصقت في وجهه. فقال: أتردين عليه الحديقة التي أصدقك؟ قالت: نعم. فجمع بينهما فردت عليه الحديقة وفرّق بينهما. فكان أول خلع وقع في الإسلام.

● العدّةُ

كانت المرأة إذا مات زوجها تعمد إلى أخشن ثيابها فتلبسه وتقعد في البيت سنة، فإذا كان رأس الحول خرجت ورمت ببعرة على حمار وقالت: قد حللت الآن. ثم أنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾(٢) (الآية) وروى أن امرأة توفي عنها زوجها فشكت إلى رسول الله ﷺ أنها اشتكت عينها فهل لها أن تكتحل؟ فقال: كانت إحداكن تمكث في بيتها في شر أحلاسها حولاً، فإذاً مر كلب رمته ببعرة ثم خرجت أفلا أربعة أشهر وأما عدة المطلقة فثلاثة قروء. وعند الشافعي رضي الله عنه القرء الطهر، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه الحيض. وأهل اللغة يعدون هذه اللفظة من الأضداد وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾(٣) في المطلقة والمتوفى عنها جميعاً.

● الظهارُ والإيلاءُ

كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت عليّ كظهر أمي حُرِّمَتْ عليه. وكان أول من ظاهر في الإسلام أوس ابن الصامت وكانت ابنة عم له تحته يقال لها خولة فظاهر منها فسقط في يده، وقال: ما أراك إلا قد حرمت عليّ فانطلقي إلى النبيّ ﷺ فسليه فأتته ﷺ فقال: يا خولة ما أمرنا في أمرك بشيء فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾(٤)، فقال لها ادعي زوجك فدعته فقال: هل تجد رقبة تعتقها؟ فقال: لا أملك رقبة غير هذه، وضرب بيده على عنقه فقال له: تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين، فقال إذالم آكل في اليوم ثلاث

---

(١) القرآن الكريم: الطلاق/ ١.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣٤.
(٣) القرآن الكريم: الطلاق/ ٤.
(٤) القرآن الكريم: المجادلة/ ١.

مرات غشي عليّ، فقال: أطعم ستين مسكيناً فقال والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا وحشا مالنا طعام. فدفع إليه خمسة عشر صاعاً فقال ما بين لابنيها أحوج إليه مني فقال: كله أنت وعيالك. والإيلاء هو أن يحلف أن لا يجامع امرأته أربعة أشهر وما كان دون ذلك فليس بإيلاء ومتى حلف كذلك فقد قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾[1] الآية.

(٣)
وممّا جاء في العِفّةِ

•

قال ﷺ: من حفظ ما بين لحييه ورجليه دخل الجنّة. **وقال**: من وقي شر لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وقى شرة الشباب.

وسئل عن أكثر ما يدخل الرجل النار فقال: الأجوفان الفم والفرج. وقيل لبطليموس: ما أحسن أن يصير الإنسان عما يشتهي؟ فقال: أحسن منه أن لا يشتهي إلا ما ينبغي، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[2] قيل: هو الرجل يخلو بالمعصية فيتركها خوفاً من الله رجاء ثوابه وخوف عقابه.

وقال ابن عباس: الشيطان من الرجال والنساء في ثلاثة منازل في النظر والقلب والفرج.
وقال ﷺ: العينان تزنيان والرجلان تزنيان ويحقق كل ذلك الفرج. وكان طاوس تمثلت إليه امرأة تراوده فواعدها يوماً إلى رحبة المسجد فلّما حضرت إليه قال: إنخضعي. قالت: ههنا قال: نعم إن الذي يرانا ههنا يرانا في الخلا فاقشعرت المرأة وانزجرت وتابت.

• **مَنْ تعفّفَ عند مشارفةِ بلوغِ الشهوةِ**

قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾[3]، لولا أن رأى برهان ربه. واجتمع بعض الأعراب بامرأة فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ذكر معاده، فاستعصم وقام عنها، **وقال**: إن من باع جنّة عرضها السموات والأرض بمقدار فتر بين رجليك لقليل البصر بالمساحة.

وكان سليمان بن يسار مفتي المدينة من أحسن الناس وجهاً فدخلت إليه امرأة فسامته نفسه **وقالت**: إن لم تطاوع لأخبرنّ الناس أنك فعلت ولأفضحنك. **قال**: نعم وتركها في البيت وخرج وفرّ ثم رأى في منامه يوسف عليه السلام **فقال له**: يا يوسف أنت الذي هممت **فقال له**: وأنت الذي لم تهم.

وقال رجل لسقراط: إني تفرست فيك أنك تميل إلى الزنا فقال له صدقت فراستك إني أشتهيه ولكني لا أفعله. **وقلت لبعض المتصوفة إنك لوطي فقال**: ما تقول في لص لا

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٢٦. (٢) القرآن الكريم: النازعات/ ٤٠.
(٣) القرآن الكريم: يوسف/ ٢٤.

يسرق هل يلزمه القطع؟ ومرّ القس بسلامة المدنية وهي تغني فأعجبته وطرب وقال: والله إني أحبك. فقالت: نفسي بين يديك فما يمنعك؟ فقال: يمنعني قول الله تعالى الإخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، وأخاف أن تكون خلتنا اليوم عداوة يوم القيامة.

- **امرأة تعرّض لها رجلٌ فَدَعَتْهُ إلى العَفَافِ**

قال أعرابي: خرجت في ليلة بهيمة فإذا أنا بجارية كأنها علم فراودتها **فقالت**: أمالك زاجر من عقل إن لم يكن لك ناه من دين؟ فقلت: أنه لا يرانا إلا الكواكب **فقالت**: وأين مكوكبها؟ ونزل أسدي بطائيّة في يوم صائف فاتته بقرى[1] ففتنته بعينيها من وراء البرقع فراودها[2]، **فقالت**: أما يردعك الكرم والإسلام؟ كلْ وأقِل وإن أردت غير ذلك فارتحل.

ورُوِيَ أن أبرويز راود امرأة على الفجور، **فقالت**: أيها الملك إن المرأة طبعت على ثلاثة أجزاء من الإنسانية فإذا افتضت ذهب جزء، وإذا حبلَت ذهب جزء وإذا ولدت ذهب جزء، وقد أبيت عن ذلك. فأنا أعيذ الملك أن يخرجني من حد الإنسانية.

وقيل: انقطع بعض أولاد الملوك عن أصحابه ودخل إلى منزل امرأة فراودها، **فقالت**: حتى نتغذى. فوضعت له خواناً عليه عشرون سكرُجة[3] كلها كامخ فذاقها فرآها لوناً واحداً، وطعماً واحداً ففطن إلى أنها تشير إلى أن النساء لون واحد وأن الذي معها مع زوجته، فانكفّ عنها.

- **الممدوحُ بذلك**

قال شاعر:

خَلَوْتُ بها ليلاً ولم أقضِ حاجةً ... ولستُ على ذاكَ العفافِ بنادمِ

قال المتنبي:

عفيفٌ تروقُ الشمسُ صورةُ وجهه ... فلو نزلت يوماً لحادَ إلى الظِلّ

وقال:

كم حبيبٍ لا عذْر في اللوم فيهِ ... لكَ فيه من التقى لوّامُ

وسمعت امرأة رجلاً ينشد:

وكم ليلةٍ قد بتّها غيرَ آثمٍ ... بمهضومة الكشحَيْن ريّانة القَلْبِ

قالت له: خزاك الله ألا تأثمت.

- **من تعفّف عن امرأة حراماً فأوصله الله إليها حلالاً**

كان لأمير المؤمنين عليه السلام جارية وعلى بابها مؤذن إذا اجتازت به يقول لها: أنا

---

(١) **القِرى**: ما يقدّم للضيف. (٢) **راودها**: خادعها وطلب منها المنكر.

(٣) **السكرُجة**: الصحفة التي يوضع فيها الأكل (واللفظة فارسيّة).

أحبّك فحكت الجارية لأمير المؤمنين فقال لها: قولي له وأنا أحبك، فماذا؟ فقالت له، فقال: نصبر إلى يوم يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب. فأخبرت أمير المؤمنين بذلك فدعاه وقال: خذ هذه الجارية فهي لك.

● **صعوبةُ الأمر على من اجتمع فيه العفّةُ والغزلُ**

نظر محمد بن عبد الله بن الحسين إلى امرأة جميلة فأعجبته، فقال:

أهوَى هوى الدينِ واللذّات تعجبُني ... فكيف لي بهوى اللذات والدّينِ

فقالت يا هذا دَع أحدهما تنل الآخر. قال المتنبي:

إذا كنتَ تخشى العارَ في كلّ خلوةٍ ... فلم تتصبّاك الحسانُ الخرائدُ[1]

متى يشتفي من لاعجِ الشوقِ في الحشى ... محبٌّ له في قربهِ متباعدُ

● **المتعفّف عن الجارة**

مرّ سفيان بن عيينة بدار فسمع قينة تغني:

ما ضرّ قوماً كنتُ جارَهم ... أنْ لا يكونَ لبيتِهم سترُ

ناري ونارُ الجار واحِدَةٌ ... وإليه قبلي ينزِلُ القِدْرُ

فدقّ الباب وقال مثل هذا علموا فتيتكم.

قال حاتم الطائي:

وما تشتكيني جارَتي غيرَ أنّني ... إذا غابَ عنها زوجُها لا أزورُها

سيبلُغُها خَيْري فيرجع بعلُها ... إليها، ولم تُرْسَل عليها ستورُها

وقال:

ربّ بيضاءَ فرعُها يتثنى ... قد دعتْني لوصْلها فأبيْتُ[2]

لم يكنْ بي تحرّج غيرَ أنّي ... كنتُ خِدْنا لزوجِها فاستحَيْتُ[3]

قال أبو تمّام:

بيضاءُ كان لها من غيرِها حرمٌ ... ولم يكن يستحلّ الصيْدُ في الحرمِ

● **التغازلُ بالنظرِ والقولِ دون الفعلِ**

قيل لأعرابي: ما الزنا عندكم؟ فقال: الشمّة والضمّة والقبلة. فقيل: لكن أهل القرى يعدون ذلك المباضعة فقال: ليس ذلك زنا إنما هو طلب ولد. وقالت جارية لرجل:

إن كانت الغلمةُ هاجَتْ بكُم ... فعالجِ الغلمَةَ بالصّومِ

---

(١) **الخرائد**: جمع خريدة وهي المرأة البكر لم تمسّ، والحييّة، **ولؤلؤة خريدة**: لم تثقب.

(٢) **فرعها يتثنى**: الفرع القامة، وتثنى فرعها أي تمايل زهواً.

(٣) **الخِدن**: الصاحب.

لـيـسَ بـك الـحـبُّ ولـكـنـمـا تـدورُ مـن هـذا عـلـى الـكـوم[1]

وقيل: إن عمر بن أبي ربيعة لما اشتدّ به المرض بكى أخوه فرفع طرفه **وقال**: لعلك تشفق مما قلته في شعري؟ **قال**: نعم. **قال**: عتق ما أملك أن وطئت امرأة حراماً قط. **فقال**: الحمد لله هوّنت عليّ.

وقال أبو زيد: كان الرجل إذا عشق جارية فراسلها سنة رضي بأن تمضغ علكاً فتبعثه إليه، والآن لا يرضى ألا أن يشيل رجليها كأنه قد أشهد على نكاحها أبا هريرة وحزبه.

وقال أعرابي: خلوت الليلة بفلانة فكان القمر يرينيها فلّما غاب خلفته. **قيل**: فما جرى؟ **قال**: الإشارة بغير بأس والتقرب بلا مساس.

قال ابن طباطبا:

فـطـربـتُ طـربـةَ فـاسـقٍ مـتـهـتّـكٍ وعـقـدتُ حـبـوةَ نـاسِـك مـتـحـرّجِ
والـلّـهُ يـعـلـمُ كـيْـفَ كـانـتْ عـفّـتي مـا بـيـنَ خـلـخـالِ هـنـاك ودُمْـلـجِ

قال العباس بن الأحنف:

أتـأذنـونَ لـصَـبّ فـي زيـارتـكـم فعنـدَكـم شهـواتُ السمْـع والبـصَـرِ
لا يضمرُ السوءَ إن طالَ الجلوسَ به عفُّ الضمير ولكنْ فاسِقُ النّظرِ

وقال أبو عيينة:

إن تروْني فاسقَ العينيْن فالفرجُ عفيفٌ ليْسَ إلا النظرُ الفاسقُ والشعرُ الظريفُ

وقال الحصين بن سهم:

وما في اكتحالِ العين بالعيْن ريبَةٌ إذا عـفَّ فـيـمـا بـيـنـهـنّ الـسّـرائـرُ

- **امرأة شارفت شهوةً فارتدعَتْ لِكَرَم أوْ دِيَانَةٍ**

حُكي أن امرأة عشقت فتى فدعاها يوماً فأجابته فغنّى مغنّ عندهما:

مـن الـخـفـراتِ لـم تـفـضَـح أخـاهـا ولـم تـرفَـع لـوالـدِهـا سـتـارا[2]

فلما سمعت ذلك أبت إلا الخروج ثم بعثت للرجل بألف دينار **وقالت**: هذا مهري، فإن أردتني فأخطبني من أبي.

واشترى عبد **الملك** جارية فلما خلا بها، قالت: يا أمير المؤمنين ما منزلة أرفع منزلة من منزلة هذه. ولكن القيامة لها خطر. إنّ ابنك فلاناً كان قد اشتراني وخلا بي ليلة فلا يحلّ لك منّي. فاستحسن قولها وولاّها أمر داره.

- **عفيفةٌ ألقت بريبةٍ عن نَفسِهَا**

لما أكثر **الأحوص** التشبيب بأم جعفر الخطميّة جاءته يوماً متنقبّة وهو في نادي قومه،

---

(١) **الكوم**: الموضع المشرف كالتلّ. (٢) **الخفرات**: الحيات جمع خفرة.

فقالت: إدفع لي ثمن الأغنام التي ابتعتها منّي **فقال**: والله ما ابتعت منك شيئاً. **فقالت لقومه**: قولوا له لا يجحد الحق. **فقالوا**: إن كان حق فلا تجحدنّه. **فقال** والله ما عرفتها قط فتكشفت عن وجهها **وقالت**: لعلك لا تستثبتني، **فقولوا له يستثبتني فقالوا له**: فقال: والله ما عرفتها قطّ ولا رأيتها ولا شاهدتها، **فقالت**: مالك تشبب بي وتفضحني؟ فخجل وانزجر ولم يعد وكذّبته عشيرته.

- **امرأة لطيفةُ القولِ بعيدةُ التناولِ**

قال شاعر:

يحسبَنّ من لين الحديثِ زوانيا ... ويصدّهنّ عن الخنا الإسلامُ

ومرّ عبد الله بن جعفر بامرأة مزيّنة مطيّبة جالسة على باب دارها وفي يدها سبحة، **فقال**: ما التسبيح بمشابه لحالك؟ **فأنشدت**:

ولله عندي جانبٌ لا أضيعُه ... وللهو منّي جانبٌ ونصيبُ
ولستُ أبالي من رمَاني بريبَة ... إذا كنتُ عندَ الله غيرَ مَريبِ

وقال علي بن الجهم:

وقلنَ لنَا نحنُ الأهلّة إنّما ... نضيءُ لِمَن يسري بليلٍ ولا نُقري
فلا بذلَ إلا ما تزوّدَ ناظرٌ ... ولا وصْلَ إلا بالخيالِ الذي يسْري

وزاد أبو سعيد الرستمي فقال:

وحسناء لم تأخذْ منَ الشمسِ شيمةً ... سوى قربِ مسْراها وبعدِ منَالِها

وقال المتنبي:

كأنّها الشمْسُ تعي كفّ قابضها ... لبعدِها ويراها الطرْفُ مقتربَا

- **مدحُ المرأةِ العفيفةِ**

قال الشنفرى[1]:

لقدْ أعجبَتْني لا سقوطٌ قناعِها ... إذا ما مشَت ولا بذاتِ تلفّتِ
كأنّ لها في الأرض نسياً تقصّه ... على أمّها أو إن تكلّمك تنكتِ

وقال جميل:

خودٌ من الخفِرات البيضِ لم يرَها ... بسدّة البيْت لا بعْلٌ ولا جارُ

---

(١) **الشنفرى**: (أوائل القرن السادس) هو ثابت بن أوس الأزديّ من شعراء الجاهلية الصعاليك. له «لامية العرب» ومطلعها:

أقيموا بني أمي صدور مطيّكم ... فإنّي إلى قوم سواكم لأميلُ

وقال حسّان:

حـصَـان رزانٌ مـا تـزن بـريـبَـة

وقال الموسوي:

دونَ الـقـبـابِ عـفـافٌ مـع خـلائـقِـهـا والصوتُ تحفيظ ما لا تحفَظ الخِيَمُ

وكانت قرشية رأى شعرها رجل فحلقته وقالت: لا أريد شعراً اكتحل به نظر غير ذي محرم.

● **من تجنّب العفةَ فاستوخم عقبى[1] أمرِهِ**

من ذلك خبر يسار الكواكب، وهو عبد تعرض لابنة سيده **فقالت له**: يا يسار شرب من هذا السمار وقلْ في ظل الأشجار وإيّاك وبنات الأحرار. فلما أبى دعته إلى نفسها، وكانت قد أعدت موسى فجبت به مذاكيره، فصار مثلاً.

وكان أبرويز اختبر رجلاً فرآه زانياً خائناً فوسمه بسمة الزناة ونفاه من المدائن فأخذ موسى وجب نفسه **وقال**: من أطاع عضواً صغيراً فسدت سائر أعضائه فمات من ساعته

(٤)

وممّا جاء في الغِيْرة والتديث[2]

●

● **مدحُ الغيرةِ**

قال النبي ﷺ: لا خير فيمن لا يغار. **وقيل**: كلّ حب بلا غيرة فهو حب كذاب. **وقيل**: لا كرم في من لا يغار. **وقال قيس بن زهير** لما تزوّج في غير قومه لامرأته: أنا غيور فخور أنف ولكني لا آنف حتى أضار، ولا أخفر حتى أفاخر، ولا أغار حتى أرى. وإنما عني رؤية الإمارة لا رؤية المواقعة ودخول الليل في المكحلة.

● **الحثُ على حفظ النساء**

إنّ الـكـريـمـةَ ربّـمـا أزرَى بـهـا لـينُ الـحـجـاب وضعفُ من لا يحْزِمُ
وكـذاكَ حـوضُـك إن أضـعْـتَ فـإنـه يـوطـأ ويـشـرَب مـاؤه ويـهْـدَمُ

● **مَدْحُ تركِ الإفراطِ في الغيرةِ**

قيل: كثرة الغيرة إضجار وقلتها اغترار. **وقال معاوية رضي الله عنه** من السؤدد الضلع واندحاق البطن وترك الإفراط في الغيرة، **قال مسكين الدارمي**:

ألا أيّـهـا الـغـايـرُ الـمـسـتـشـيـطُ عـلـى مـنْ تـغـارُ إذا لـم تـغـز
فـمـا خـيـر عـرسٍ إذ خـفـتـهـا ومـا خـيـر بـيـتٍ إذا لـم يُـزز

---

(١) عقبى: نهاية. (٢) التديث: الليونة.

يغارُ على النّاسِ أن ينظروا ... وهل يفتنُ الصالحاتِ النظَرْ
فإنّي ساُخلي لها بيتَها ... فتحفظُ لي نفسَها أو تذَرْ

قال الخالدي: ما أراه إلا وكان يقول بالإباحة وإلا فلِمَ يجوّز ما يأنف منه الأحرار.

وقيل: إتهام الرجل المرأة في غير موضع التهمة يدعوها إلى ارتكابها.

● تركُ الغيرةِ على القيانِ والتمدحُ بذلك

أتى معاوية رضي الله عنه بالفيل فصعد سطحاً ليرى الفيل فلما أشرف رأى في خزانة رجلاً مع جارية له، فقال لها: يا فلانة هذا أخوك الذي كنت تذكرينه؟ **قالت**: نعم **فقال**: أصعد أيها الرجل فصعد، **فقال**: أعجزتك الأماكن كلها إلاّ داري أتراك عائداً؟ قال: لا فقال معاوية وعلى من يخرج هذا الحديث لعنة الله.

قال شاعر:

لا تغارَنّ على جاريةٍ ... إنما الغيرةُ من سوءِ الخُلقِ
إقضِ أوطارَك منها ثم قلْ ... إنما أنتِ لمزارِ الطرقِ

وقيل لبعض عشاق قينة: ألا تغار عليها؟ فقال: إمنع الناس عن ورود الفرات، **وأنشد**:

وإذا ما أردتَ أن تمنع النا ... سَ ورودَ الفراتِ كنتَ بغيضا

وقال آخر:

أأمنعُ مِنَ وَادي زبالة شربةً ... وقد نهلَتْ منه الكلابُ وعلّتِ

وكتب باج إلى غلام يعشقه وكان قد تهدّده بمواصلة غيره، **فقال**:

لا تمْنَعَنّ حِمى إزارِكَ سيدي ... خلْقا من البيضان والسّودانِ
فليبلغنك من جميلِ تغافلِي ... ما لمْ تبلغ قطّ من كشحانِ
مالي أروّع بالقُروع كأنّني ... في النّاس أولُ عاشقٍ قرنان

قال الخبزارزي:

قالوا تحبّ فلا تغارُ فقلْ لهُم ... لا يمنَع المَاعون عندِي مَنْ عَقَل
إن مسّه دنَسُ الإجارةِ مرّة ... فالماءُ يغسِل عذْرَ ذاكَ إذا اغتسل

● منع المرأة من الاكتحالِ برؤية الرجلِ

قال عمر: ولأن يرى امرأتي ألف رجل أحب إليّ من أن ترى امرأتي رجلاً واحداً، وحج الأشجعي بامرأته فنظر إلى الناس يوم التروية فهاله كثرتهم **فقال**: إن رجلاً يدخل امرأته وسط هؤلاء لمجنون وضرب وجه راحلته وعاد ولم يحج، **وقال**:

وليس بحرٍّ من يوسّطَ زوجَةً ... لهُ بيْنَ أهلِ الموسمِ المتقصدِ

وفيهم رجالٌ كالبدورِ وجوهُهم فمن بين ذي ظرفٍ كثيرٍ وأمردِ

● وفي غيرةِ النساء

رُوي في الخبر: أيما امرأة غارت فصبرت دخلت الجنة. وقيل: غيرة النساء أشد من غيرة الرجال. وقيل: هذا خطأ فليس ما ينال المرأة إذا رأت امرأةً على فراش زوجها، من جنس ما ينال الرجل إذا رأى رجلاً على فراش امرأته.

تزوّج رجل من همدان بنت عمه وكان محباً لها فلم يلبث أن ضرب عليه البعث إلى أذربيجان فأصاب بها خيراً واستفاد جارية تسمّى حبابة وفرساً يقال له الورد. فلما قفل القوم امتنع من القفول وقال أخشى أن امرأتي تمنع عليّ جاريتي، وإني لمشغوف بها، ثم قال:

أَلاَ لا أُبالي اليومَ ما صنعَت هندُ إذا بقيَت عندي حبّابةُ والوردُ
شديدُ مناطِ المنكبَيْن إذا جرَى وبيضاءُ مثْلُ الرّيم زيّنَها العِقْدُ

فسمعت بذلك المرأة فكتبت إليه:

ألا فاقرِه منّي السلامَ قلُ له غنينا بفتيانٍ غطارفَةٍ مُرْدِ(١)
إذا شاءَ منهم ناشىءٌ مدّ كفَّه إلى كفلٍ ريّان أو كاعبٍ نهدِ
فأرسل لنا منكَ السراحَ فإنّه مُنانا ولا ندعو لك الله بالرد
إذا رجعَ الجندُ الذي أنتَ فيهم فزادَكَ ربُّ النّاس بعداً إلى بعْدِ

فلّما وصل إليه الكتاب باع الجارية وبادر إليها فرآها معتكفة في مصلاها فقال: ما فعلت؟ فقالت: معاذ الله أن أركب محرّماً ولكني أردت أذيقك طعم الغيرة كما أذقتني.

وكان رجل بالكوفة متزوجاً بابنة عمه وله ضيعة بالبصرة يخرج إليها في كل سنة، فتزوج امرأة بالبصرة فسقط خبرها إلى ابنة عمه فكتبت يوماً كتاباً عن أم البصرية تعزّيه في ابنتها وتستعجله لقسمة ميراثها ودفعته إلى رجل غريب وأمرته أن يوصله إليه خفية فلما قرأه تجهّز، وقال: إنّ أمر ضيعتي بالبصرة قد تشعّث، ولا بد من أن ألم بها. فقالت المرأة: كم تقول البصرة؟ أحسبك ذا امرأة بالبصرة تشتاق إليها أحلف لي بطلاق كل زوجة لك بالبصرة. فقال الرجل في نفسه: وما يضرني ذلك وقد ماتت امرأتي بها؟ فحلف لها فقالت: استقر الأمر فلا بأس بالضيعة وأخبرته بالخبر.

● جوازُ نهي الرجل عن التزويج بغير زوجته وخطرُ ذلك عليه

رُوي أن النبي ﷺ صعد المنبر يوماً فقال: إن بني هشام بني المغيرة استأذنوني أن ينكحوا فتاتهم علياً ألا فلا آذن ثم لا آذن ثلاثاً إلا أن يحب عليّ أن يطلق ابنتي وينكح فتاتهم. إن فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها، وقال ﷺ: جدع الحلال أنف الغيرة.

---

(١) غطارفة: جمع غطريف أو غطروف وهو الشّاب الظريف، والغطريف السيّد السّخي.

● **الميلُ إلى كل ممنوعٍ والرغبةُ عن كل مبذولٍ**

قال ابن الطثرية:

أعــافُ الــذي لا هــولَ دونَ لـقـائِـه ... وأهوى منَ الشّرْبِ الحريز الممنّعا

قال أبو تمّام:

إني امرؤٌ أسمُ الصبابة وسمَهَا ... وتـغـزّلي أبداً بـغـيْـرِ الـمِـغْـزَلِ

غالى الهوى ممّا يرقِصُ هامَتي ... ورويّتي الشغف التي لم تُنْهَلِ

● **الرغبة عمّن يشركُك فيه غيرُك**

قال شاعر:

تبغتُك لمّا كنت عندي ممنّعاً ... وأمسكْتُ لمّا صِرت نهباً مقسّما

ولا يلبَثُ الحَوْضُ الجَديدُ بناؤه ... إذا كـثُـرَ الـوُرّادُ أن يـتـهـدّمـا

قال دعبل:

قَصَر الغواية عن هوَى قمرٍ ... وجدَ السبيلَ إليه مشترِكَا

وقال:

كـيـفَ أُصْـفـي الـودّ ممّـن ... لا آمـن الـشـركـةَ فـيـهِ

وقال:

فإنْ تحملي ردفيْن لا آل فيهما ... فسيري رويداً لستُ ممّن يرادِفُ

● **من غار على محبوبه مِنْ غَيْرِهِ**

قال شاعر:

أغـارُ عـلـيـكِ مـن الـنـاظِـريـن ... فـلـو أستطيع طمَسْتُ العُيونا

قال ابن المعتز:

أغـارُ عـلـيْـكَ مـن قُـبَـلـي ... وإن أعـطـيـتـنـي أمَـلـي

وأُشْـفِـقُ إن رأى خـدّيْـ ... ـكَ نـصـبَ مـواقـعِ الـمـقَـلِ

وقال جميل بن معمر: ما رأيت مصعب بن الزبير يمشي بالبلاط إلا لحقتني الغيرة على بثينة وهي بالجناب. وكان مالك ابن طوق شديد الغيرة تزوج بامرأة فلم يأذن لأخيها عليها إلا بعد سنة، **قال عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف:**

أغارُ على قميصك حين تلبسُه وأتهمه

قال شاعر:

أغارُ على نفس لها وتغارُ لي ... على نفسِها إن الهوى لعجيبُ

على أننا لم نذنْ يوماً لريبةٍ ... ولا مثلُنا فيمن يريب مريبُ

وقال الخبزارزي:

إنّي لأحسُدُ ناظِري عليكا ... حتّى أغضّ إذا نظرْتُ إليكا

- **الصائنُ محبوبَه عن ذكرِهِ عند الرّجال**

وقال الحكيم بن نسير:

ولستُ بواصِفٍ أبداً خليلاً ... أعَرِّضه لأهواءِ الرّجالِ
وما بالي أشوّق عينَ غيري ... إليهِ ودونَهُ سجفُ الحِجالِ
كأنّي أشتهي الشركاءَ فيهِ ... وآمنُ فيه تغييرَ الليالي

- **من رضي بميل محبوبه إلى غيره**

قال علي بن عبد الله بن جعفر:

ولمّا بدا لي أنّها لا تحبّني ... وأنّ هواها ليْس عنّي بمُنْجَلي
تمنيتُ أن تهوى هوايَ لعلّها ... تذوقُ صباباتِ الهَوى فترقّ لي

فعبر بهذا حتى أنه كان يسمى المتديّث في شعره. قال: وكنت محبوساً في بعض الأحايين فجاء رجل إلى باب السجن، فقال أين المتديث في شعره؟ فقلت: لئن كان مني ذلك القول فإني أقول:

ربّما سرّني صدودُك عنّي ... وإذا ما خلوتُ كنتَ التمنّي

وأنشد بحضرة عبد الملك بن مروان قول نصيّب:

أهيمُ بدعدٍ ما حييتُ فإن أمُتْ ... فيا حرباً ممن يهيمُ بها بعْدي[1]

فقال بعض من حضر لقد أساء القول بل كان ينبغي أن يقول:

أوكلُ بدعْد من يهيمُ بها بعْدي

فقال هذا أشرّ من الأول، بل يقال:

فلا صلحَتْ دعد لذي حلّة بعْدي

- **حكم لقاء الرجل بحرمته منكراً**

قال عبد الله كنا في مسجد رسول الله ﷺ إذ دخل رجل فقال: أرأيتم إن وجد الرجل مع امرأته رجلاً فتكلم به جلد ظهره، وإن قتل قتل وإن سكت سكت على غيظه. فقال: اللهم افتح فجعل يدعو فأنزل الله تعالى آية اللعان ـ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾[2] (الآية) فجاء هو وامرأته إلى النبي ﷺ فتلاعنا، فلما التفت قال: أنظروا فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الإليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمر إلا وقد

---

(١) يا حربا أو واحربا: كلمة يندب بها الميت، وتستخدم للتأسّف.

(٢) القرآن الكريم: النّور/٦.

صدق عليها، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا أحسب عويمر إلاّ وقد كذب.

وقال النبي ﷺ لرجل سأله عمن رأى رجلاً مع امرأته: كفى بالسيف شيئاً، أراد شاهداً فسكت تفادياً من أن تسبق الغيرة إلى الغيرة فيرتكبوا من ذلك محظوراً.

● الرّضى بالتديثِ

رُوي أن رجلاً قال للنبي ﷺ إنّ امرأتي لا تَرُد يد لامس. **قال**: طلّقها. **قال** إني أحبها **قال**: فأمسكها إذاً. **وقال الجاحظ**: إن جماعة من الرافضة يقولون بالوقاية إذا اعتلت امرأة أحدهم، استعار امرأة غيره بشريطة أن لا يتعرض للفرج بل لما دونه. ولما ملك قباذ خرج مزدك فدعا الفرس إلى الزندقة **فقال**: تبادلوا النساء والأموال فأجابوه.

ودخل يوماً مزدك فرأى أم أنوشروان فسأل قباذ أن يدفعها إليه فقبل قباذ وجلّه أن يتجافى عنها ففعل. فلما مات قباذ وتولى أنوشروان دخل مزدك فأمر أن يقتل. وقال: ما ذهبت ريح جورك من أنفي بعد فقتله وقتل مائة ألف من الزنادقة في غداة واحدة.

وقال رجل لآخر: امرأتك قد كثر نائكوها فقال لو ناكها أهل مني ما ازدادت إلا حظوة عندي. **وقالت امرأة لزوجها**: يا ديوث يا مفلس، **فقال**: واحدة من الله وواحدة منك فما ذنبي أنا.

● في التزوّجِ برقيقةِ الحافرِ أو مُتَذَوِقةٍ

قال أبو الشمقمق لمن أراد التزوج: تزوج بقحبة فقال: ما هذا؟ فقال: إسمع. القحبة تكون أملح وأحرى بأن تكون عالمة بما يحبه الرجال وتأخذ نفسها بالتنظيف، ومتى قلت لها يا زانية لم تأثم، ثم إنها تجتهد أن لا تأتيك بولد ثم أنها تعرف أنك تعرفها فلا تتكبر.

وفي أخبار أبرويز أنه انقطع يوماً عن عسكره فدخل قرية، وكان بها له ابنة، يقال لها شيرين في نهاية الجمال، فتزوج بها ثم لحقه عسكره فتكلم فيه فصنع طعاماً فأكلوا. ثم أحضر لهم شراباً ثخيناً يطوف به غلمان سود فعافوه، فطاف بصاف مع حسان فشربوا، وعلموا أنه يشير أن شيرين إنما اصطفاها بعد الطهارة.

المغير بفساد الحرمة.

قال ابن طباطبا في أبي علي الرستمي:

أغـلـقَ الـرسـتـمـيّ بـابَ حـديـدٍ — حـلـقَـةُ الـبـابِ مـن قَـبـيـحِ الـلـقـاءِ
إنّ دارَ الـرجـالِ وجـهُـك يـكـفـيــ — ـهـا فـعـلّـقـهُ بـابَ دارِ الـنّـسـاءِ

وكان بعض القضاة اتهم ابنته برجل فأخذه وضربه وحضر مجلس الوزير ابن الزيات، فقال:

فيا أهلَ ليلى كيفَ يُجمعُ شملُها — وشمْلي وفيما بينَنا شبّتِ الحربُ
لها مثْلُ ذنبي اليومَ إن كنتُ مُذْنباً — ولا ذنبَ لي إن كانَ ليْسَ لها ذَنْبُ

فنكس القاضي رأسه وعلم أنه المعني.

قال بعضهم:

يـا إخـوتـي إنّ الـقـيـامـة دانـيـه ... زانٍ يـحـدّ ولا تُـحـدّ الـزانـيـه
إن كـانَ هـذا فـي الـحُـكـومـةِ جـائـزاً ... مـسـتـعـمَـلاً زنـتِ الـنـسـاء عـلانِـيَـه

قال الخوارزمي:

زفّـتْ إلـيْـك صـديـقـةٌ ... لـفـتـى فـصِـرتَ لـهُ شَـريـكـا
فـعـلـيْـكَ كـلُّ مـؤنـةٍ ... وعـلـى شـريـكِـكَ أن يـنـيـكـا

قال أبو علي البصيري وهو من الغايات في هذا الباب:

أمستْ كشاحنة الدنيا بأجمعِها ... بيادقاً وغدوتَ الرخَّ والشاها[1]

وقال آخر:

دهَـتْـك بـعِـلّـةِ الـحَـمّـام خُـودٌ ... ومـالَـتْ فـي الـطّـريـقِ إلى سَـعـيـدِ
أرى أخـبـارَ بـيـتِـك عـنـك تُـطْـوى ... فـكـيْـفَ ولـيـتَ ديـوانَ الـبـريـدِ

قال عمر بن سعدان:

سألَتْ زوجَها الخروجَ إلى الحـ ... ـقّ ويا رُبَّ باطلٍ في الحُقوقِ
وأقـامَـت بـمـأتَـمِ الـلـهـوِ لا مـأ ... تـمِ شـقّ الـشـنـوفِ والـتـمـزيـقِ

وقال ابن عبّاد:

أيـا بـدرُ تـزوجـت الـعـفـيـفَـه ... سخيفٌ قد تجمّعَ مع سخيفَه
فـتـاةٌ لـو يـنـادي نـائِـكُـوهـا ... لكانَت، جيشُها جيشُ الخليفه
إذا مـا غـابَ يـومـاً عـن ذراهـا ... يـبـيـتُ لـهـا بنُ عـمّ فـي الـقَـطـيـفَـه

● **المعروفةُ أن أولادها من غيرِ زَوْجِهَا**

أبو عمر السراج في أبي العيناء:

جـادَ أبـو الـعَـيْـنـاء فـيـمَـا اشْـتـهـى ... مـن لـذّةِ الـعـيْـش بـلا مـرزِيَـه
يـنـيـكُ مـن يـخـتـارُ مـن أهـلِـه ... ويحصَلُ الأعمى على التربيه[2]

وتزوج رجل بامرأة فأتت بولد من ستة أشهر فقال ما هذا؟ فقالت بنيتَ جدارك على أسّ غيرك. **وقال بعضهم:** رأيت رجلاً ومعه ابن لا يشبهه **فقلت له:** إن ابنك هذا لا يشبهك، **فقال:** وهل تدع جيراننا أولادنا تشبهنا.

---

(١) **بيادق:** جمع بيدق طائر من الجوارح بحجم الباشق، والبيذق (بالذال) من أحجار الشطرنج ـ الرخ: طائر وهمي ـ الشاه: الحاذ البصر.

(٢) **التربية:** العظمة من الصدر جمع ترائب.

قال كشاجم:

ولـدَتْ لـيـلـةَ الـزفـا ... فِ إلـى بـعـلـهـا ذَكَـر
قـلـتُ مـن أيـن ذا الـغـلا ... مُ ومـا مـسَّـهـا بَـشَـر
قـال لـي بـعـلُـهـا ألَـمْ ... يـأتِ فـي مـسـنَـدِ الـخـبَـر
ولـدُ الـمـرء لـلـفـرا ... شِ ولـلـعـاهـرِ الـحَـجَـر
قـلـتُ هـنـيـئـه عـلـى ... رغـمِ مـنْ خـالَـفَ الأثـر

قال عبدان:

والـمـنـتـمـون إلـيـه مـن أولادِه ... الـلّـه يـعـلَـم أنـهُـم أوْلادي

وقال مثقال:

لـكَ أنـثـى تـزيـفُ فـي كـلّ عـشٍ ... وتـربّـي الـفـراخَ فـي أعـشـاشِـك

وقال أبو تمّام وقد قلب المعنى:

لـو كـان حـصْـنـاً بـابُـه وجـدارُه ... قـلْـت بـنـوهـا عـنْـدَه وبـنـاتُـهـا
إن الـبـلادَ إذا الـسـيـولُ تـعـاوَرَت ... سـاحـاتـهـا عـمّ الـفـضـاءَ نـبـاتُـهـا[1]

● **من رأى حُرْمَتَه على مكروهٍ فلم يُنْكِرْهُ**

دخل رجل على امرأته فرأى عندها رجلاً كانت تعرف به. **فقال له الزوج**: أقلل الاجتماع معها فإن الناس يذكرونك بها. **فقال له**: لا يجوز لهم ذلك حتى يروا الميل في المكحلة.

وكان رجل يأتي امرأة **فقالت له** يوماً وهو يواقعها: إن الناس يتهمونني بك، **فقال لها**: ما عليك أن تؤجري ويأثموا. ودخل رجل على امرأته فرآها تحت رجل فلما فرغ منها العشيق أخذ الزوج ينيكها **ويقول له**: أنظر إلى عشيقتك تحتي.

● **مَنْ حمل على امرأتِه وصديقتِهِ**

قال الرقاشي في دعبل:

لـدعـبـل حـرمـةً يـمـت بـهـا ... ولـسْـتُ حـتـى الـمـمـاتِ أنـسـاهـا
أدخـلَـنـا داره فـأكـرمَـنـا ... ودسّ لـي امـرأتَـه فـنِـكْـنـاهـا

قال فلما سمع دعبل قال لو **قال**، المتخلف: فعفناها كان أبلغ في الهجاء وأعف **وقوله**: فعفناها أقرب من قول الراعي:

فـلـمـا قـضـيْـنـا مـن ربـاب لـبـانـةً ... أرادَتْ إلـيـنـا حـاجـةً لا نـريـدُهـا

---

(١) تعاورت: تداولت.

قال دعبل في الرقاشي:

إن الـرّقـاشـي مـن تـكـرّمـه ... بـلـغـه مـنـه مـنـتـهـى هِـمَـمِـه
يـبـلُـغُ مـن بِـرّه ورأفـتـه ... حـمـلانُ إخـوانِـه عـلـى حَـرَمِـهِ

قال ابن الرومي:

يَـدْخِـلُ فـي زوجَـتِـه ... أيْـرَ سِـواه بِـيَـدِه

قال ابن الحجّاج:

لـيَ حـرّيـف أفْـديـه فـي كـلِّ حـالِ ... فـهـو واللهِ مِـن سـراة الـرِّجـال[١]
بـتّ مـع عِـرسـه وكـانَ هـو الـثّـا ... لِـثَ فـي لـيـلَـة تـسـودُ الـلـيـالـي
فـتـكـرهـت قـربَـهـا أي بـأنّـي ... رجـلٌ لا أريـد غـيـرَ الـحَـلالِ
ورأى حـشْـمَـتِـي فـقـال حَـبـيـبـي ... لـيْـسَ هـذا طـريـقُ نـيـكِ عـيـالـي
تـشـتَـهـي أن تـكـونَ فـي صـورة الـعـبـ ... ـدِ وإلا فـي صُـورة الأنـذالِ
فـابـق إنـي رأيـت مـثـلَـك لا يـحـ ... ـرز فـي صـحـفـه طـيـورَ الـرجـالِ

● **مَنْ تعرّض لصاحبه فجاوبه بما فيه قذف حرمه**

قال الفرزدق لكثيّر وأراد أن يعبث به: أكانت أمّك بالبصرة وأنا بها؟ **قال**: لا ولكنّ أبي كان فيها مع أمك، وكان يكثر الثناء عليها ويقول رحمها الله تعالى، **فقال الفرزدق**: هذه عاقبة من تكلّم فيما لا يعنيه.

وقال الفرزدق لزياد الأعجم أتكلمت يا أقلف[٢]؟ **فقال**: ما أسرع ما أخبرتك أمك رحمها الله تعالى.

وقال ابن سمية للربيع بن قعنب:

لـقـد رأيـتُـك عـريـانـاً ومـؤتـزراً ... فـمـا عـلـمْـتُ أأنـثـى أنـتَ أمْ ذكَـرُ

فقال: لكن سمية قد علمت.

وقال إنسان لجرير: أنت تقذف المحصّنات، **قال**: لكن أمّك لا يصيبها من ذلك شيء.

وقال عمر بن عبيدة: متى عهدك بالزنا؟ **فقال**: مذ ماتت عرسك رحمها الله. **وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب رضي الله عنهما**: إن فيكم لشبقاً يا بني هاشم، **فقال** هو منّا في الرجال ومنكم في النساء. **وقال** مدني لمخنّث: مرّ بي ولاعبني كيف كنت يا أخي البارحة؟ فقال ما لقي إست أختك البارحة حتى تركت السوق وتمنيت الموت. ومرّ رجل بأكّار **فقال**: لو أن هذه المزرعة تنبت أيوراً أين كنت تقعد؟ قال كنت أعمد إلى حزمة فأجعلها في حِرِ[٣] أمك وأقعد مكانها.

---

(١) الحريف: معامله في حرفته. (٢) أقلف: لم يُختن. (٣) الحِرُ: الفرج.

● **التعييرُ بالأكلِ مِنْ كَسْبِ امرأتِهِ**

قال شاعر:

جَـواريـك أَطْـعَـمْـنـكَ الـسـكَّـرا ... وأنـزلْـنَـك الـمـنـزلَ الأَكْـبَـرا

ولـولا جـواريـك مـا أَطْـعـمـو ... كَ عـلـى قـبْـحِ وجْـهـك إلا خـرا

وكان رجل له امرأة تتكسب وتطعمه فطلقها وتزوج عفيفَة فلم يجد ما كان يجده فذكر لها ذلك، فجاء يوماً فوجد طعاماً وشراباً فقال من أين هذا؟ **فقالت**: زارنا فلان فأكل وشرب وجامع وحمل إلينا طعاماً وشراباً وحلواء وهذا نصيبك. **فقال**: إذا تعاطيت مثل هذا فإياك وإخباري وتفاصيل ما يجري فإني غيور.

● **من ذكر حظْوتَه عند حرْمة صاحبه**

قال منصور بن باذان:

لـئـن كـنـتُ عـنـدَكَ لا قـدْرَ لـي ... فـعـنـدَ عـيـالِـك فـي الـمـخْـنَـقَـه

وإن كـنْـتُ عـنْـدَكَ ذا تـهْـمَـةٍ ... فـإنّـي بـعـرسِـكَ عـيـنُ الـثّـقَـة

● **مَنْ قَذَف امرأته برجلٍ فرأى حقيقة ذلك**

وقع بين مزبد وبين رجل خصومة **فقال** الرجل: أتخاصمني وقد نكت امرأتك كذا كذا مرة. فرجع إلى إمرأته **فقال**: أتعرفين فلاناً؟ **فقالت**: أبو فلان **فقال**: ناكك والله. **وقال أبو عمرو بن العلاء** أقبلت من مكة ومعي جمّال **فجعل يقول:**

يـا لـيْـتَ شـعْـري هـل بـغَـتْ عـلـيْـهِ

فسمع رجلاً يقول:

نـعَـم بـغَـت ونـاكَـهـا حـجـيـهِ

فرجع إلى إمرأته وقال لها أتعرفين فلاناً؟ **فقالت**: ما زال لنا متعهداً وفي حاجاتنا سريعاً فأحس بالشرّ فنظر فإذا الرجل في مقال: إذهبي فأنت طالق.

● **وصفُ المرأةِ الفاسدة**

تقول هي رقيقة الجافر وهي واسعة الحبل، قال شاعر:

ألـمّـا عـلـى دارِ لـواسـعـةِ الـحـبْـل ... ألـوفٌ تـسـوّي صـالـحَ الـقـوم بـالـرذلِ

ولـو شـهـدَت حـجّـاجَ مـكّـةَ كـلّـهـم ... لأمْسَوْا وكلُّ القوم منْها على وصْلِ

وقال:

ومـا هـي إلا نـظْـرةٌ وتـبـسّـمٌ ... فـتـبذلُ رِجْلاها وتـسْـقـطُ لـلـجـنْـبِ

وقال:

فـلا تـكْـثـري قـوْلاً مـنـحـتُـك وذنـا ... فـقـولُـك هـذا لـلـفـؤادِ مـريـبُ

تـعـدّيـنَ مـا أولـيـتـنِـي مـنْـك نـائـلاً ... ولـلـقـابس الـعـجْـلان منكِ نَـصيبُ[1]

وقال:

تـصـاحـبُ فـي الـيـومِ الـقـصـيرِ ثـلاثـةً ... فـإن زادَ شـيـئـاً أكـمـلـتُـهـا بـرابـعِ

وكـنـتُ أسـمّـيـهـا الـنّـوارَ فـأصـبـحَـت ... لـديّ وقـد كـنّـيْـتـهـا أمّ جـامـعِ

● **نوعٌ من ذلك**

تشاجر رجلان من حمص في امرأتيهما أيتهما أحسن فرآهما القاضي فأقبل على أحدهما فقال نيك امرأتك في إستها أحب إلي من نيك امرأة هذا في حرّها فأقبل المحكوم له على رفيقه **وقال:** ألم أقل لك **وقال جرير للأحوص أنت القائل:**

يـقـرّ بـعَـيْـنـي مـا يـقـرّ بـعـيـنِـهـا

قال: نعم. **قال:** إنه يقرّ بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر أفيقرّ بعينك ذلك؟ **فأفحمه.**

قيل: لا يمنع مرعى عرسه من أباح حمى نفسه. وقيل لأعرابيّ هل بامرأتك حبل؟ **فقال:** لا أدري والله ما لها ذنب فتشول به وإني لا آتيها إلا ضيعة تمّ الحد ولله الحمد.

---

(١) **القابس**: من قبس أي أخذ.

الحدّ السادسَ عَشَر

في المجونِ والسُخْفِ

•

(١)

فمما جاء في اللواطةِ والإجارةِ والابنةِ والتخنثِ والدلكِ والدبيب والقيادةِ والزنا

•

• النهيُ عن اللواطَةِ

قال الله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾(١) ولعن النبي ﷺ الفاعل والمفعول به وقد أجرى كثير من الفقهاء فاعل ذلك مجرى الزاني، وأمر أمير المؤمنين رضي الله عنه فيمن رؤي كذلك أن يرمى من سطح.

قال شاعر:

قَـدْ أمـرَ الـلّـهُ فـلا تـعـصِـهِ أنْ لا يـزارُ الـبـيـتُ مـن خـلْـفِـهِ

• المعير بها

كان أبو نواس مولعاً بأبي عبيدة النحوي فكتب يوماً على إسطوانة كان يستند إليها.

صلّى الإلٰـهُ عـلـى لـوطٍ وشيـعتِـه   أبـا عُـبَـيْـدةَ قُـلْ بـالله آمـيـنـا

لأنـتَ عـنْـدي بـلا شـكٍّ زعـيـمُـهـم   مـنْـذُ احـتـلـمْـت وقـد جـاوزت سـتّـيـنا

فلما رآه أبو عبيدة **قال لأحد أصحابه:** ويلك إصعد فوقي وحكه. فتطأطأ له فلما ثقل فوقه **قال:** أوجز **قال:** قد حككها إلا لوطاً. **فقال:** ويحك تركت المقصود وكتب لتوّه رقعه دفعها إلى علي بن عيسى:

وزعـمْـتَ أنّـك لا تـلـوطُ فـقُـلْ لَـنـا   هـذا الـمـهَـفْـهَـفُ واقِـفٌ مـا يـصْـنـعُ

شـهـدَت عـلـيْـك بـهِ شـواهـدُ ريـبـةٍ   وعـلـى الـمُـريـب شـواهِـدُ لا تُـدْفَـعُ

فوقّع فيها:

إنّ الـفـؤادَ بـمَـن تـراه مـشـغّـفٌ   والـقـلْـبُ ذو حَـرَجٍ فـمـاذا أصْـنـعُ

ورأى يحيى بن أكثم في دار المأمون جماعة من صباح الغلمان، **فقال:** لولا أنتم

---

(١) القرآن الكريم: الشعراء/ ١٦٥، ١٦٦.

لكنا مؤمنين. فرفع ذلك إلى المأمون فعاتبه، **فقال**: إنّ درسي كان انتهى إلى ههنا.

● **الراغبُ عن النساء المائلُ إلى المُرْدِ**

قيل لأبي نواس زوّجك الله الحور العين، **فقال**: لست بصاحب نساء بل الولدان المخلّدين، **قال شاعر**:

أنا الماجنُ اللوطيّ دِيني واحِدٌ ... وإنّي في كسْبِ المعاصِي لرَاغِبُ
أدينُ بدينِ الشيخِ يحْيى بنِ أكثمٍ ... وإنّي لمَن يهْوى الزّنى لمُجانِبُ

وقال الأصمعي: رأيت شيخاً يطافُ به وينادي عليه: هذا جزاء من يلوط، والشيخ يقول: بخ بخ لا زنا ولا سرقة إلا لواطاً محضاً.

قال أبو نواس:

ولي قلَمٌ يكبو إذا ما حملتُه ... على بطْنِ قرطاسٍ وفي الظهْرِ يعنقُ[1]

واجتمع الجرشي وسياه اللوطيان **فقيل** لأحدهما: ما بلغ من لواطك؟ **فقال**: أنيك كل ذكر. وقيل لآخر **فقال**: أدلك على كل ذكر **وقيل** لشيخ تعاطى اللواط: ألا تستحي؟ فقال أستحي وأشتهي.

قال شاعر:

إنّما الدنْيا طعامٌ ... ومدامٌ وغُلامُ
فإذا فاتَك هذا ... فعلى الدّنْيا السّلامُ

● **تفضيلُ المردِ على النسوانِ**

قيل لأبي مسلم صاحب الدولة: ما ألذّ العيش؟ **قال**: طعام أهبر ومدام أصفر وغلام أحور. **وقيل له**: لِمَ قدمت الغلام على الجارية؟ **فقال**: لأنه في الطريق رفيق وفي الإخوان نديم وفي الخلوة أهل. **وقيل لعافية القاضي** لِمَ اخترت الغلام على الجارية؟ فقال لأنه لا يحيض ولا يبيض. **قال شاعر في معناه**:

ومأمونٌ بحَمْدِ اللّهِ منْه ... الطمْثُ والحبَلُ

وقال بعضهم: الغلام استطاعة المعتزلة[2] لأنه يصلح للضدين يفعل ويفعل به والمرأة استطاعة المجبرة[3] لا تصلح إلا لأحد الضدين.

● **الرغبةُ عن الغِلمانِ إلى النسْوانِ**

قيل لأعرابيّ: ما تقول في نيك الغلمان؟ **فقال**: أعزب قبحك الله إني والله لأعافُ الخراء أن أمر به فكيف ألج عليه في وكره. وسئل أبو عبيد الله المنتوف ما بال النائك في

---

(١) **يكبو**: يزلّ ويسقط ـ **يعنق**: يسرع، من العَنَق وهو السير السّريع.

(٢) **قوله**: استطاعة المعتزلة من باب الاستعارة للدلالة على مقصده.

(٣) **قوله**: المجبرة، أي الفرقة القائلة بالجبرية، وهي مناقضة للمعتزلة، واللفظة من باب الاستعارة أيضاً.

الإست أسرع فراغاً من النائك في الحِر فقال: إنك لو ألقمت خراه كنت أسرع قيئاً منك إذا شربت بولاً

قال محمد بن جعفر العلوي:

وكَمْ نادَمْتُ مِنْ ذكَرٍ وأنثى ففضَلْتُ الإناثَ على الذّكور
إلا أن الإناثَ ألَذّ قرباً والوَطُ بالقُلوبِ وبالصّدورِ[1]

● غلامٌ تشير إليه الرجال والنساء لِحُسْنِهِ

قال أعرابي: فلان تنافس فيه عيون الرجال وتفتن به ربّات الحجال.

قال الخوارزمي:

مؤنّثُ الدلّ إلا أنّه ذكَرٌ لمسلمٍ وابنِ هاني فيه شرْطان

وقال أبو نواس:

لها مُحِبّان لوطيّ وزنّاءٌ

ويصحّ أن يحمل على هذا قولُ الآخرِ:

تنافسُ في عيونِ الرجالِ وتعشُر بي في الحُجول الغَواني[2]

● تفضيلُ ذوي الخصي في التعاطي معهم على الخصيان

قيل لأبي نواس: لِمَ تدفع إلى الغلام أكثر مما تدفع إلى الخصي؟ فقال: لأن مع الغلام بيدقين يدفع بهما الشاه في وسط الرقعة. وقيل لآخر: لِمَ ترغب في الخصيان؟ فقال لأني لا أركب الزورق بلا دقلٍ[3] وطلب رجل من بعض القوّادين أمرد فجاءه بجارية، فقال: لا أريدها. قال: أفتريد أحسن منها؟ قال: إنما أريد من تحته ذكر وخصيتان. قال: فَدُسْ في حرّها جزرة وعلّق عليها بصلتين، واحسب أنها ذكر وائتها في دبرها إن لم يكن لك غرض آخر.

● المُتَعاطِي مع كلّ أحدٍ

قال ابن الحجّاج:

النَّيكُ بالتّمييزِ لا وجْه لهُ فلا تكُنْ تيساً شديدَ البَلَه
إيّاك تستَقْذِر شيئاً تره ونِكْ ولو كلْباً على مزبَلَه

قال الخوارزمي:

إذا فاته تحصيلُ ظبي مقنّعٍ فهمّتُهُ تحصيلُ ظبْيٍ معمّمِ

---

(١) ألوط: ألصق. (٢) الحجول الغواني: أي النساء من الحرائر والجواري.

(٣) دقل: خشبة طويلة في وسط السفينة.

يـصـيـدُ كـلا الـظـبْـيَـيْـن هـذا وهـذه ... حـنـيـفٌ ولـكـن فـعـلُـه فـعـل مُـجْـرمِ

قال ابن بسّام:

وأهـوى الـمـرْدَ والـشّـبّـان طـرّا ... ولا آبـى مـواصَـلَـةَ الـكِـعـابِ

وسأل بعض المتفاكهين رجلاً: إلى أي الجنسين تميل؟ **فقال**: إلى كليهما. **فقال**: أنت إذاً الغراب تأكل الخراء وتلتقط الحب.

● من رُؤِيَ من اللاطة متعاطياً فاحتجَّ بآية

وجد مؤذّن على ظهر صبي نصراني بالمسجد فقيل: ما تصنع؟ **فقال**: أليس الله يقول. ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ﴾[1] فأي موطىء أغيظ للكفار من هذا؟

وقيل لرجل حصل مع صبي على منارة: ما تصنع؟ **قال**: أبدل تكّته بتكّتي. ورؤي معلم ينيك صبياً قائماً **فقيل له**: لِمَ لَمْ تنمه؟ **فقال**: وقع عليه الفعل فانتصب. ورؤي آخر على ظهر غلام فقيل له ما تصنع؟ قال أردت أن أريه باب الفاعل والمفعول **فقالوا**: وماهذا الذي بينكما؟ **قال**: حرف جاء لمعنى.

وذكر رجل رجلاً فقال هو أبداً مضاف أو مضاف إليه. ورؤي شيخ ينيك أمرد قبيحاً **فقيل له فقال**: أنا اليوم شيخ أنيك مهما تبنّو. ورؤي شيخ في مسجد وتحته صبي فهجم عليهما فعدا الصبي فنظر الشيخ إلى متاعه منتصباً **فقال**: وتركوك قائماً.

● من فعل به من المردان وسئل فاحتجَّ أنه كان هو الفاعل

أدخل الجماز غلاماً ففعل به فلما خرج الغلام **قال**: أدخلني الجماز لأفعل به. **فقيل**: ذلك للجماز، **فقال**: قد حرم اللواط إلاّ بولي وشاهدين.

وحُكِيَ عن بعضهم أنه أدخل صبياً فدفع إليه دريهمات وقال له انبطح. **فقال الغلام**: بلغني أن الغلمان يفعلون بك **فقال**: أما الفعل فلي وأما الدعوى فلهم، فانبطح وقل ما بدا لك.

● المتكسبُ بالإجارةِ والمحتجّ لها

فرّ غلام من حمص إلى بغداد فرأى كثرة الإجارة بها فاستردته أمّه لعمارة طاحونة له بحمص، **فكتب إليها**: يا أماه إن إستاً بالعراق خير من طاحونة بحمص.

قال ابن سكرة فيمن اكتسب مالاً بالإجارة فقطع عليه الطريق:

وضــامِــنُ الأقــوات والأرزاقِ ... لا أفــلَــحَــت دراهِــمُ الــبــزاقِ

---

(١) **القرآن الكريم**: التوبة/ ١٢٠.

وقال رجل لغلامه: يا مؤاجر، **فقال**: أنت صيرتني هكذا. **ونحوه قال بعضهم لامرأته**: يا واسعة، **فقالت**: أنت وسعتني بدهاوتك التي تحتك. **وقيل** لغلام: ما صناعتك؟ **قال** أنهدف للزناة، **قيل**: فما صبرك؟ قال أصبر من أرض على وتد. وقيل لمؤاجر في شهر رمضان: هذا شهر كساد؟ **فقال**: بقي اليهود والنصارى ومثلهما أحيل على مؤاجر بدراهم في شهر رمضان **فقال** للمحتال: إصبر إلى زمن الافتتاح يعني الإفطار. **قال الصاحب**:

صاحبُنا أحذقُ في الإجارةِ   من جعفرِ اليزديّ في التّجارة

وقال آخر:

له براحٌ في سراويلهِ   يزرعُ فيه قصبَ السكّر[١]

● المرخصُ السعر قبلَ طلوع اللحية

كان أمرد رخّص سعره حين بقل[٢] عذاره **فقيل**: له في ذلك، **فقال**: وتجارة تخشون كسادها.

قال شاعر:

تغيّرُ حسْنُ صورتِه البهيّة   وكانَ خروجُ لحيَتهِ بليّة

وقال ابن طباطبا لأمرد قد شارف الالتحاء:

فبادِر بإحسانٍ ينوبُ فقد نرى   بدائعَ شعَرٍ في عذارَيكَ تطلعُ

وقال آخر:

قد انقضَتْ سوقُه فأرخَصها   وآخِرَ السّوقِ ترخصُ السّلعُ

● طلب المردِ والنساءِ الدراهم

أنشد بشار امرأة:

هل تعلَمينَ وراءَ الحبّ منزلَةً   تدْني إليْك فإنّ الحبّ أقصاني

فأجابته:

نعَم علِمْتُ وخيرُ القولِ أصدقُه   بذْلُ الدّراهم يدْني كلّ إنسانِ

من زادَنا النقْدَ زِدْنا في مَودّتهِ   ما يطلبُ الناسُ إلاّ كلّ رُجْحَانِ

وقال رجل لصبي كان يصحبه فتركه وصحب غيره: يا غدّار كيف تركتني وصحبت غيري؟ **فقال**: الدنيا قبّان والناس مع الرجحان.

وكتب غلام على تكته:

فقلْتُ يا قومُ على تكّتي   لكنّما مفتاحُها الدرْهَمُ

---

(١) براح: متسع من الأرض.   (٢) بقل: ظهر.

المؤمنين فقائم على سوقه. وأما متاع أم جعفر فمسترخ. **وقال بعضهم**: احتمجت من الخديعتين يعني الأخذعين.

٥ ـ **كان عبد الله بن عوانة يقول**: الحمد لله واصطأفر الله، والله فأكبر، **وقال** المشي إلى بيت الله أعني به الطلاق الثلاث، ثلاثين حجّة. أحرار لوجه الله وسبيلي حبيس في دواب الله فقلت موفقاً إن شاء الله تعالى.

٦ ـ **قال رجل للرئيس بن العميد** إذا رأيت وجهك رأيت الباءة يريد البهاء **فقال** إذا وجهي سقنقور[1] أنشد عبد الله بن فضلويه:

قـيـامـة يـوم لا دواء لـه   إلا الـطـلاء وإلا الـطـيـب والـطـرب

فقيل له: ويلك إنما هو يوم الحجامة[2] **فقال**: أعذروني فإني لا أعرف النحو

ولبعض **أهل خراسان**:

أنـا شـذره أنـا هـذبـه   أنـا زيـن الـخـطـبـون
ولـنـا بـاب اش هـشـت   كـربـه بـسـيـبـرمـون
ولـنـا رهـوذة   كـل يـوم دهـمـون
يـحـمـلـوه كـل يـوم   ذي سـوى مـا يـطـبـخـون

وقال:

ولـنـا بـرج حـمـام كـان جـدي قـد بـنـى
فـيـه بـيـض وحـمـام   ودجـاج ورنـا
أحـسـنـت والله أمـي   حـيـن جـاءت بـأنـا

وقال رجل: لأعين الطبيب إني لأجد في بطني وجعاً لا أدري ما هو؟ **قال**: فخذ أيش هو، واجعل فيه ما اسمه ودقّه بقول أنت.

(١٨)
لعب الاعراب

●

● **البقيري** وهو جمع تراب يقطع نصفين ويقال خذ أيهما شئت.

● **وعظيم وضاح** عظم يرمي به أحد الفريقين فمن وجد من الفريقين ركب

---

(١) **السقنقور**: ضرب من الزحافات في البلاد الحارة، يقال له التمساح البريّ واللفظة يونانية.

(٢) **الحجامة**: المداواة بالمحجم وهو شيء كالكأس يفرغ من الهواء ويوضع على الجلد فيحدث تهيّجاً ويجذب الدمّ بقوة.

(٢)
ذمّ من التحى وكسدَ سوقُه واستُقْبِحَ وجهُهُ

●

كان يقال: سبح الله أرضه من غير رضاه إذا التحى. **ويقال**: كساه أبو الحالك كساء أسود من نسج أم سويد.

قال ابن المعتز:

أنّـى تَـتـيـهُ وقـد عـلا ... كَ الـشـعـرُ فـي الـخـدّ الـقَـحْـلِ
وخـرجْـتَ مـن حـدّ الـظـبـا ... ءِ وصـرْتَ فـي حـدّ الإبـلِ

وقال آخر:

الـمـوتُ أهـونُ مـن سـوا ... دِ الـعـارِضَـيْـن لـمَـن عـرَف

وقال:

هـلالـي كـانَ حـيـنَ يُـرى يُـفـدى ... فـصـارَ الآنَ حـيـنَ يُـرى يـزنـي

وقال:

قـد هـربَ الـتـقـبـيـلُ مـن خـدّ مَـنْ ... يـجـري عـلـى عـارضِـه الـمِـشْـطُ

وقال آخر:

قفا نبك في رسْم الخدودِ الذّواهبِ ... منازلَ مُحِّتْ باللحى والشّواربِ

وقال أحمد بن أبي فنن يخاطب صاحباً له التحى:

الآنَ إذا لـعـبَ الـبـلا بـك زرتَـنـا ... هـيـهـات مـا يـقـرأ عـلـيـك سَـلامُ

وقال علي بن حمزة الأصفهاني:

أيـا عـارضـاً غـطّـاه مـخْـلاةُ بـغـلـةٍ ... حكَى شعرَها ليفا على جوزةَ الهندِ
كـعـثـنـونِ بـكـرٍ أنـسلَ الـبـقـلُ زفّـه ... وشعـرة أنثى من عَرينةٍ أو فَـهْـدِ[١]

● **المُتَعاطي مع ذوي اللِحَاء**

قيل لبعض الغلمان: ما حالك؟ **قال**: لا تسأل. مولاي ينيكني منذ ستين سنة بالحجة. **قال**: كيف ذلك؟ قال إنه ينيكني كل يوم فإذا قلت له أما تستحي قد كبرت وشبت؟ **يقول لي**: يا بارد كبرت من البارحة إلى اليوم. **قال جحظة**:

يـقـولُ لـي يـومـاً وقـد جـئـتـه ... تـلـوطُ بـي بـعـد الـثـلاثـيـنـا

---

(١) **عثنون**: لحية.

فقلتُ إن دمتَ كذا طيّبا نُكْناكَ من بعدِ الثمانينا

قال أبو نواس:

فدونك معشراً عظمَت لحاهمُ وأشرعَ فيهم سمْرُ العَوالي

ولا تعدلْ بهم ما دمت حياً فإنّ العيشَ في الصّهب السّبالِ

- **من ازدادَتْ صبوتُه بالتحاءِ محبوبِهِ**

قال إبراهيم بن العبّاس:

وكنتُ أرجّي أنه حينَ يلتَحي يفرّجُ أحْزاني ويعقِبُني صبْرا

فلّما التَحى واسودَ عارِضُ خدّه تزايدَتِ البلوى لواحدةٍ عشْرا

قال أبو تمّام:

قالَ الوشاةُ بدَت في الخدّ لحيتُه فقلْتُ لا تكثروا ما ذاك عائبُهُ

الحسْنُ منه على ما كنتُ أعهدُهُ والشعرُ حرزٌ له ممّن يطالبُهُ

فصارَ منْ كان يُلحى في محبّتهِ أن سيل عنّي وعنْه قالَ صاحِبُهُ

- **ذمُّ المائلِ إلى المُلْتَحِي**

قال شاعر:

من يعشق المردَ لهُ حجّةٌ وعذْره في النّاس مبسوطُ

ولستُ أدري ما يقولُ الورَى في حبّ ذي اللحيةِ تخليطُ

وقال أبو نعامة:

وإذا الفتَى حامى على ذي لحيةٍ وخلا به فوراءه تخليطُ

وقال ابن أبي البغل:

تعشّقُكَ الرجالَ يدلّ عندي على أن الرحى قلبَت تِفَالا

وإلا فالصغارُ ألذّ طعماً وأحلَى إنْ أردْت بهِم فَعالا

وقال أبو نوفل:

فواللّهِ ما أدري إذا ما خلوتُما وأرخيَتِ الأسْتارُ أيّكما يعْلو

- **المتمكنُ من غلامٍ مطلوبٍ والتعريضُ به**

قال جحظة:

سألتُه حوَيْجةً تمرّضا وكانَ ما كانَ فكابَدْنا القَضا

احتال عبد الصمد على غلام حتى أدخله الدار وترفّق له حتى قضى منه وطره، فقال:

قد علَوْنا على الكفَل واسترَحْنا من الخَجَلِ

لـم يـزَلْ فـي تـمـنّـعِ وإبـــاءٍ ولَـــمْ أزلِ
فـبـلـغـتُ الـذي بـلـغـ ـتُ بـه غـايـةَ الأمـلِ

وقال ابن الرومي:

يـا طـيـبَ الـثّـغْـرِ والـمـجَـاجَـه اقـضِ لـنـا حـاجَـةً بـحـاجَـه
خـذْ مـن دنـانـيـرنـا وبـغـنـا نـيـكـا ودعْـنـا مـن الـلـجـاجَـه
فـإنـمـا حـاجـتـي إلـيـكـم حـاجـةُ ديـكٍ إلـى دَجـاجَـه

● الميلُ إلى سُوْدِ الغلمانِ في التعاطي

رؤي سياه ينيك غلاماً أسود فقيل في ذلك، **فقال:** الأسود طيب النكهة لين الأفخاذ ملتهب الجوف رخيص الجذر سريع الإجابة لأنك تدعوه لتنيكه فيظن أنك دعوته لينيكك، وقيل لبعضهم: لِم تختار السودان؟ فقال لأنهنّ أسخن. قيل: نعم للعين.

● استعارتُكَ غلامَ صاحبِكَ

كتب البحتري إلى صديق له كان تعرّض لغلامه فعاتبه:

نِـكْ غُـلامـي إن اتـخـذْتُ غـلامـاً واعـفُ إن الـمـعـروف كـانَ قُـروضـاً
وإذا مـا أردتَ أن تـمـنـع الـنـا سَ ورود الـفُـراتِ كـنـتَ بـغـيـضـا

وبعث أبو سعد الشاعر غلامه إلى ابن مندوية **فاحتبسه وكتب إليه:**

أمْسى رسولُك رهْناً لا فكاكَ له والرهْنُ في الحكْم محلوبٌ ومركوبُ
فالدرّ منه حرامٌ ما نطيفُ به والظهْرُ منهُ على الأحوال مرغوبُ

ونحوه:

أفيضوا على عزابكم بنِسائكم فما في كتابِ الله أن يحرم الفضْلُ

● تحاكمُ لوطيٍ ومؤاجرٍ

قال جرابُ الدولة: وافق غلام رجلاً أن أدخله بدرهمين وإن فاخذ بدرهم فدفع له درهماً وأدخله فيه فتحاكما إلى القاضي **فقال** الغلام: أيها القاضي أكريت هذا حماراً على أنه إن ذهب به إلى باب المدينة فعليه درهم، وإن أدخله المدينة فدرهمان. فدخل المدينة ولم يوفني الدرهمين. **فقال الرجل:** إني أتيت بالحمار إلى باب المدينة ولكنه دخل بغير إذني. **فقال القاضي:** زن الدرهمين فخير الأمور أوسطها.

ويقارب ذلك أن **الجماز** دخل مع غلام فلما قارب الفراغ فتح الغلام بين رجليه خوفاً على ثوبه **فقال الجماز** إنه كان شعراً حسناً ولكن قوافيه مطلقة.

● الغلامُ الصبيح المنظر القبيحُ المخبرِ

مر أبو نواس بغلام خفيف العجز حسن الوجه، فقال:

دنْـيـاه مـا شـئـتَ ولـكـنّـه مـنـافـقٌ لـيـسَـت لـه آخِـرَه

ونحوه لسعيد بن حميد:

ظـبْـيـك هـذا حَـسَـنٌ وجْـهُـه ... ومـا سِوى ذاك فـمـنْـه يُـعـابْ
فـافـهَـمْ كـلامـي يـا أبـا عـامـر ... لا يشْبِهُ العنوانُ ما في الكِتابْ

● المفاخذةُ

قد تأول بعض المفسرين قول الله تعالى: إلا اللمم، على المفاخذة. أنشد محمد بن المنكدر قول وضّاح:

فـلـمّـا أبَـت مـا زلْـتُ أضـرَع جـاهِـداً ... وأخْـبـرُهـا مـا رخّـص الله فـي الـلـمَـم

فقال: إنّ وضاحاً فقيه مفت في نفسه وأعطى رجل مؤاجراً درهمين فقال لا تدخله وضعه بين الفخذين، فقال: إن أيري بين الفخذين منذ خمسين سنة فما معنى إعطاء الدرهمين.

وقال بعض شيوخ بغداد إني حملت بالبصرة غلاماً إلى دهليزي فأردت أن أدخله فيه، فقال لا تفعل فإنّي مسحت على خفّي وأخاف أن ينتقض وضوئي. فعلمت بهذا أن الإتيان بين الفخذين لا يوجب الغسل عليهم.

ولأبي نواس:

كـأنّ فـخـذَيْـه إذا ضـمّـتـا ... والأيـرُ فـيـه عـقْـدُ عـشـريـنـا

وقال:

وغـلامٌ تـشـره الـنّـ ... ـفـسُ إلـى حـلّ إزارِه
بـسـطـتـه سـورةُ الـكـأ ... سِ لـنـا بـعـدَ إزوراره
فـأطّـفـنـا بـنـواحـ ... ـيـهِ ولـمْ نـعْـرِض لـدارِه

● المأبونُ المتلوّطُ

دخل يحيى بن أكثم على المأمون فرأى عنده صبيح الوجه، فقال له المأمون: استنطقه وامتحنه. فقال له القاضي: ما الخبر؟ فقال له: الخبر خبران خبر في الأرض أنك لوطي وخبر في السماء أنك مأبون[1] فقال له المأمون وأيهما أصح؟ قال خبر السماء. فخجل يحيى وانقطع.

قال شاعر:

لـي صـاحـبٌ زعـمَ الـخـبـيـرُ بـأنّـه ... شـبـقُ الـمـؤخّـر سـاكِـنُ الـقُـدّام
يـبـدي مـن الـحـمْـلان أكـلَ رؤوسِـهـا ... وهـواه فـي أكـلِ الـكـراعِ الـنّـامـي

قال الصاحب:

ولـوطـيّ كـمَـا زعـمُـوا ... ولـكـن هـهـنـا سـبَـبُ

---

(١) المأبون: المتّهم، الذي يزنّ بالعيب القبيح، من الأُبْنة وهي العيب في الكلام والأبنة أصلاً العيبُ في الخشب والعود، والأبنة العقدة.

وقال:

يـظـهـر الانـعـاظَ والـعـسا ... دة مـنـه أن يـطـاطِـي[1]

والـذي يـشـهـدُ يـذري ... مـن يـلِـي وجـهَ الـبِـسـاط

وقال:

جـمـعَ الـمـال صـغـيراً بـإسـتـه ... ثـمّ أعـطـاه عـلـيـهـا فـي الـكِـبَـر

● **الاحتجاجُ للحلاقِ**

دخل مطيع على صديق له فرأى تحته غلاماً وفوقه آخر فقال ما هذا؟ **قال**: هذه اللذة المضاعفة. **وقال**: بعض المخنثين: زعم الأطباء أن **الطبائع أربع**: : الصفراء والسوداء والبلغم والدم وإنما هي عندي الأكل والشرب وأن تنيك وأن تناك.

وسئل بعضهم عن قول القائل إذا عزّ أخوك فهن. **فقال**: المعنى إذا لم ينم لك فنم له، **قال اليعقوبي**:

ولـقـد أكـونُ إذا الـشـبـابُ بـمـائـه ... طـوعَ الـصـبـا وشـفـاءُ كـلّ سـقـامِ

أيـامَ أمـشـي لـلـهـوى عـرضـيـة ... وأُنـاكُ مـن خـلـفٍ ومـن قـدّامِ

وأعـيـرُ مـن يـدنـو إلـيّ صـبـابـةً ... وأبـيـتُ بـيـن غـلامَـةٍ وغـلامِ

فـأنـيـكُـهـا وأنـيـكُـه ويـنـيـكُـنـي ... لا تـرعَـوي لـمـلامَـةِ الـلـوّامِ

وقيل لماجن: ما تقول في خنثى له ما للنساء وما للرجال؟ **فقال**: يزوج من حلقى ينيكها وتنيكه.

● **المتبجّحُ بالابنة والمحتجُ لها**

عوتب ابن مكرم على حبّ غلام كان يعرف به فأهوى بيده إلى خلفه وقال:

أقـلّـوا عـلـيـهِـم لا أبـا لأبـيـكِـم ... من اللومِ أو سدّوا المكان الذي سدّوا

وقيل لرجل: تنبطح مع شرفك، ولا تأنف؟ **فقال**: ذو قوائم لوموا. **وقيل لبعضهم**: أيسرك أن تكون شاة في الجنة، **فقال**: بشريطة أن أحمل كل يوم إلى التيّاس.

وعوتب مأبون فقال لولا علّة الغرض؟ وسبب الغذاء لما باليت أن لا ينزل عني. **قال ابن المعتز في مأبون اشترى غلاماً**:

كـانَ يـسـتـدخـلُ الأيـورَ حـرامـاً ... فـاسـتـقـفَ الـفـتـى بـأيـرِ حـلالِ

وانتهى رجل إلى دهليزه فرأى رجلاً قد امتطى مأبونا، **فقال له**: أتناك في دهليزي وجعل يكررها فقال له إلى كم تكرر ذلك، تعال إلى دهليزي ونك فيه عشرين مرة. وقيل:

---

(١) **الإنعاظ**: الشبق ـ **يطاطي**: **مخفّف يطاطىء**، أي يَنْحني.

المأبون إن ابنك به ابنة فقال: المفتاح لا يخرج من بني شيبة.

● **المائلُ إلى ما فيه مشابهةُ المَتَاع**

قيل لمأبون: لِمَ لزمت هذا الغلام؟ **قال:** إن في أيره خمسة أسماء من العروض الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل. **قيل لمخنث:** أي الأسماء أحب إليك؟ **قال:** الزبير، لاجتماع زب وأير فيه. **وقيل:** أي الأنبياء أحب إليك؟ **قال:** لوط قيل فأي الفقه أحب إليك؟ **قال:** باب النكاح. قيل: فأي النحو.

قال: باب الفاعل والمفعول.

قال شاعر:

لا يـعـرفُ الـرفـضَ وأشـيـاعَـه   ودبـرُه يـدعـو إلـى الـقَـائـم

● **من رأى مفعولاً فاحتج بآبنةٍ**

قال أبو العيناء للمعتصم: دخلت على أبي العلاء وغلامه على ظهره فسأله **فقال:** إنه يزعم أنه احتلم فأردت أن أمتحنه. **فقال المعتصم:** : قاتلك الله فما أقرأ بعدها سورة الممتحنة إلا ذكرته.

وذكر بعضهم أنه صعد قصر أحمد بن سياه فرأى شيخاً قد علاه رجل فأرسل عليهما لبنة فأصابت ظهر الرجل فقام وذهب وقام الشيخ يشد تكته، **ويقول:** أليس من الصواب أني كنت من تحت فلم تصبني اللبنة.

● **المستدعي الفحل إلى نفسِهِ تَعْرِيضاً**

كان سكران يبكي **ويقول:** لو عرفت قتلة عثمان. **فقال له مخنث:** ما كنت تفعل بهم؟ **قال:** كنت أنيكهم. **فقال المخنث:** أنا قتلته فامتطاه وجعل يقول يا ثارات عثمان، والمخنث **يقول** من تحته إن كنت وليّ الدم وهذه عقوبتك فإني أقتل كل يوم عثماناً.

وغضب رجل على مخنث، **فقال:** لأحملن عليك عشرة فشفعوا إليه حتى سكن فتنفس المخنّث **وقال:** لو قضى أمر كان، ومر الطائف فرأى مخنثين فأراد أن **يقول** خذوهما، **فقال** نيكوهما. ثم قال: أضربوهما. فقال له أحدهما سبقت الرحمة العذاب فلا ترجع.

● **قَبْضُ المَتَاعِ باليدِ**

دخل عرابَة المخنّث على رجل فرأى أيراً عظيماً فقبض عليه فقال له الرجل ماذا؟ فقال:

إذا مـا رايـة رفِـعَـت لـمَـجْـد

وقال آخر:

الأيـرُ لا يـخْـرجُ مـن قـبْـضـتِـهِ   إلا إذا مـا صـار فـي فـقَـحْـتِـه

وقيل لبعض القضاة: ما تقول في القبض؟ قال أصحابنا: فيه على مذهبين والقبض أحب إليّ.

● **المبتلي بالابنة من الأكابرِ**

قيل أول من ظهرت به الابنة العزيز صاحب يوسف. وكان أبو جهل مأبوناً وكان إذا حزّ به الداء ألقم دبره حجراً، **ويقول**: واللات والعزى لأعلاك ذكر.

وكان بجالينوس ابنة فناكه غلام خلف حائط فطارت دجاجة ففزع الغلام وعَدَا، **فقال جالينوس**: دعني والدجاج فلأفينه، فما زال يصفه للمرضى حتى قطع أصله وصار طعاماً للمرضى إلى يوم التناد.

● **قبيح مبتلى بالابنَةِ**

قيل لمأبون: أنت مع قبحك من يرغب فيك؟ **قال**: الحمار إذا جاع أكل المكنسة. وقال عند الخنازير تنفق العذرة. **وقال مأبون قبيح** لرجل كبير الأير نكني واحداً وأعدده زكاة أيرك. وقيل نيك البغاء الكبير زكاة الأير.

● **صبيحَ يمتطيه قَبيحٌ**

رأى مخنث رجلاً أسود ينيك غلاماً رومياً **فقال**: كان أيره في إسته كراع عنز في صحفة أرز **قال بعض شعراء أصبهان**: فيمن اتهم بغلام أسود:

وكــأنّــه وكــأنّ بــشــري فــوقَــه ... قــطــر تــفــزّعــه غــرابٌ أبــقَــعُ

● **المعير بالابنَةِ**

قال أبو العيناء في ابن مكرم: هو إذا غزا فمطية جنده وإذا قفل فظعينة عبده. **قال شاعر**:

عــجــبْــتُ مــن أمــر فَــظــيــعٍ قــد حــدَث ... أبــو تــمــيــم وهــو شــيْــخٌ لا حــدث

قد حبس الأصلع في بيت الحدث

وقال:

أريــتُــه الأصــلــع مــن كــمّــي ... فــحــطّ عــن كــلّ حــســابٍ لــه

كــلّ خــراجٍ ثــابــتٍ بــاســمــي ... فــبــتّ مــمْــنــوعــاً عــلــى رغــمــه

وبــات مــنــكــوحــاً عــلــى رغْــمــي

وقال:

أراه فــتــى خــاخــان مــا تــحْــتَ ثــوبِــه ... فــأعــجــبَــه مــقــدارهُ فــتــمــدّدا

إذا وضعَ الراعي على الأرضِ صدرَه ... فــيــوشِــك لــلــمــعــزى بــأن تــتــبــدّدا

ومر راكب **فقال**: أين دور آل الربيع؟ **فقال له مخنث**: مرْ مستقيماً فإذا رأيت بغلك قد أدلى نثم دورهم.

قال شاعر:

وبــعــثــت غــرمــولــي لــيــخــدمَ بــابَــه ... وجــعــلــتُــه لــدواتِــه مــخــراكــا

ثم اعتذرتُ وقلت لولا شِيبتي | لخدمتُ في دار النساء أولاكا

- **المعروفُ بالابنة تعريضاً**

قال ابن المكرم لأبي العيناء: أما ترى غلامي هذا كم أعطيه وماله شيء؟ **قال**: نعم كسب الكناسين لا بركة فيه. **وقيل**: فلان يخبأ العصا كناية عن الابنة، وفلان ينام بلا نيام ولا يحمي ظهره.

وكان حفص النحوي معروفاً بالابنة **فقال**: يوماً وعنده حمّاد عجرد: بلغني أن لهم أرماحاً منكوسة. **قال حماد**: أصح الحديث ما أخذ عن أهله. وعرض غلام على رجل فجعل يبالغ في تقليله والغلام يخجل فقال له النخّاس لا تخف إنك أنت الأعلى. **وقال سليمان لرجل**: بلغني أنك مأبون فقال مكذوب عليّ وعليك.

قال أبو تمّام:

إنّ في الكتّابِ شيخاً | يشتهي في الجوفِ داخِل
يا سليمانَ بنَ وهب | في حرام المتغافِل

وقال:

أنا أعرفُ للقاضي الـ | ـذي بقفصي بسامرّا
غلامَاً اسمُه حسنٌ | يجرّ قناته جرّا

وأنشد أبو نعامة عمراً الحارثي:

يبخل الناسُ بني معقل | وما بهم بخلٌ ولا لؤمُ
لكنّهم قومٌ إذا ما انتشوا | قالُوا لغلمانِهم قومُوا

فقال هذا يتصرف على معان ولكن أقواها أنه رماهم بالابنة.

- **مأبون**

عنين. **قال شاعر**:

أستُ أبي الحَارثيّ لوطيّةٌ | وأيرُه في حفر عَنِين

وانقطع رجل عن امرأة طول ليلته **فقالت المرأة**: ما أحوجني إلى رجل ينيكني خمساً وينيكك عشراً فيكون للرجل مثل حظ الأنثيين. **فقال الرجل**: هو من الله بريء إن انقطع إلا شهوة لما تقولين.

- **التجافي عن المفعول به**

أُتِيَ بمأبون فعل به إلى بعض الولاة. **فقال**: ما أصنع أوكل به رجالاً يحفظون إسته إذا والله أكون في عناء. ورفع بعضهم إلى بعض الولاة فقال: ما ولاّني أمير المؤمنين حفظ الاستاه.

- **إفتخارُ المخنّثين بصناعتِهِمْ واعتذارُهُمْ**

قال مخنّث: نحن خير قوم إن حدثنا ضحكتم وإن غنينا طربتم وإن نمنا ركبتم. تلاقى

مخنث ولوطي فقال: أنا خير منك لأني فوق فأنا قريب إلى السماء. فقال: أنا أشد تواضعاً منك بلصوقي إلى الأرض.

● **ذمُّ ذي التخنيثِ**

كان مخنث يدخل إلى حجرة النبي ﷺ **فقال**: إن ملك النبي ﷺ الطائف آخذ ابنة نفيلة تقبل بأربع وتدبر بثمان، **فقال له النبي ﷺ**: أو تعرف ذلك فطرده.

قال شاعر:

إذا كانَ الفتى حسَناً جميلاً ... وكان مخنثاً فسُدَ الجَمالُ

وقال:

تحلوا بآداب النساء وصففوا ... شعورَهم واستسمنُوا وتخدّروا

قال الصاحب:

قلْ لأبي الفتح أيا قحبة ... تزني فلا تطلُب قوادَه

شبهت بي نفسَك من ذا الذي ... قاسَ ابنَ عبّاد بعبّادَه

(٣)

النهيُ عن الدلك والرخصَةُ فيه

●

قال النبي ﷺ: سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ويدخلهم النار مع الداخلين: الناكح يده، والفاعل والمفعول به، والناكح حليلة جاره، والمدمن الخمر والضارب والديه.

وقد رخّص بعض العلماء لمن اضطر إلى ذلك في سفر فلمس متاعه حتى سال منه ما كان يؤذيه، **فقال**: لا بأس به.

وحُكِيَ عن أحد صاحبي أبي حنيفة أبي يوسف أو محمد لا بأس أن يأخذ المضطر حريرة فيمسحه بها حتى ينزل.

قال شاعر:

إذا حللتَ بأرضٍ لا أنيسَ بها ... فاجلدْ عميرَة لا عارٌ ولا حرجُ

وقال:

إذا امتحنت بعدمٍ وابتليتُ به ... فاجلُد عميرَة حتى تنقَضِي المِحَنُ

● **نوادرُ في الدَّلْكِ**

نظرت امرأة أشعب إليه وهو يجلد عميرة فعاتبته **فقال**: كانت عميرة خيراً منك فما

أصنع؟ ودعاها إلى الطعام **فقالت**: أنا لا آكل مع ضرتي. ودخلت امرأة مرتد عليه يوماً وهو يصب الماء عل رأسه **فقالت**: ما هذا؟ **فقال**: جلدت عميرة. ودخل عليها يوماً فوجدها تغتسل فسألها فقالت جلدتني عميرة. وكان رجل هجمه الحر فاستند إلى جدار دار فانعظ فجلد عميرة فأشرفت جارية فرأته فكتبت إليه رقعة:

يعزّ على البيض الأوانسِ كالدمَا وقوفُك بيْن البابِ والدارِ تصلجُ
تقلّبُ أيراً ليْس للعيْر مثلُه وهنّ إليْه من نسائِك أحوجُ

وقيل لرجل يدلك: ما تصنع؟ قال أرفق المعيشة. **وقال بعضهم**: رأيت أعمى يجلد ويقول فديتك يا سكينة فأخذت خشبة ولوثتها بعذرة ومسحت بها شاربه فقال: فسوت يا سكينة.

● **المباذلةُ**

قال الجماز لم يبق من العدل إلا المباذلة.

قال راشد:

إذا ضاقَتِ الأيْدي وأعوزَ نقْدُها رأينا ابتياعَ النيكِ بالنيْك أجملا

قال الجمازُ:

فنك المردَ فمَا مِن لذّةٍ حصَلَت ما لمْ تنكهُم وتنَك

● **المتوسطُ بين متباذلين**

قال الخبزارزي:

أتنشطُ للوصْل يا سيّدي فإنّ الحبيب لهُ قد نشَط
أحبّ اجتماعَكما في الهوى عسَى الله يصنَعُ لي في الوسَط

وله يخاطب صبيين:

وتعلَما أن الحذيا حقٌ من أضحَى وزيراً في البذال وحاكَما

● **الدبيبُ**

قيل لمحمد بن زياد: أنفقت على جارية فلان خمسة آلاف دينار وكان يمكنك أن تحصلها شراء بألف دينار، **فقال**: يا أحمق وأين شهوة الدبيب ولذة المسارقة والانتظار الخفي وأين برد الحلال وفتوره من حرارة الحرام؟ ألم تسمع إلى **قول أبي نواس**:

ألذّ النيْكِ ما كانَ اختِلاساً بمَنعِ الحِبّ أو منعِ الرقيبِ

وأضاف الفضل بن عتبة رجلاً فدبّ على جارية فلما تمسح لدغته عقرب فصاح، **فقال الفضل**:

وداري إذا نامَ سكّانُها أقامَ الحدودَ بها العقربُ

إذا غـفـلَ الـنَّـاسُ عـن ديـنِـهـم   فـإنّ عـقـاربـهـم تـغـضـبُ

ودب إنسان على إنسان فانتبه وفي إسته أيره **فقال**: ما هذا؟ **فقال**: والله الذي لا إله إلا هو ما علمت ولكن من هنا تمّم النعمة واجعلها عندي يداً. ودبّ رجل إلى الجمّاز يظنه أمرد فانتبه فناوله بزاقاً وقال: مرّ في سفرك فستحتاج إلى هذا إذا انقضى بك السفر يعني أنك ستنبطح.

● **نيكُ البَهَائِمِ**

في الخبرَ أنه لعن من يتعاطى مع بهيمة **وقال ابن عباس**: اقتلوا مواقع البهيمة مع البهيمة. **قال عباد**: فقلت لعكرمة: فما بال البهيمة؟ **قال**: لئلا يقال هذه البهيمة التي واقعهما فلان ناك رجل كلبة فعقدت عليه وجعلت تعدو والرجل يتبعها، **فقال له رجل**: عضّ[1] جنبيْها واُضربها ففعل فأفرجت له. فقال له: لله درّك أيّ نياك كلاب أنت.

ورؤي شيخ ينيك أتانا في يوم الجمعة وهي تضرط وهو يصلّي فقيل له، فقال: ألا أشكر الله على أير يضرط الأتان. **وسئل ابن الأعرابي عن قول الشاعر**:

إذا مـــا ولـــدوا شـــاةً تـــنـــادَوا   أجـــديٌ تـــحـــت شـــاتِـــكَ أمْ غـــلامُ

قال: إنه يعيرهم بنيك البهائم. أخذ فتيان بني كلب الفرزدق فأتوه بأتان فقالوا أنكحها كما كنت تعير ابن الخطفي فقال إنْ كان ولا بد فائتوني بالصخرة التي كان يقوم عليها فضحكوا وخلّوا عنه.

● **النهيُ عن القيادة والرخصةُ فيها**

رُوي عن النبي ﷺ: يتاب عن الزاني ولا يتاب عن القوّاد. وروي في الخبر أنه أخذ رجل كان يجمع بين الرجال والنساء **فقال**: ما لكم ولمن يجمع بين الصديقين فيرخي عليهما ستره وفي بيته استراحة الأحرار وذوي الأقدار. والعرب كانت تسمّي القوادة أم الحكيم لأنها تأتي الصعب فتسهله والقريب فتبعده.

● **الحاذِقُ في القِيَادَةِ**

سمع رجل قول عمر بن أبي ربيعة في قوادة:

فـبـعـثـنـا طِـبّـة عـالـمَـة   تـخـلـط الـجـدّ مـراراً بـالـلـعِـبِ
تـرفـعُ الـصـوتَ إذا لانَـت لـهـا   وتـداري عـنـد ثـوران الـغـضَـبِ

فقال: لو ادعت النبوّة بهذا الخلق تسلّم لها. وسمع ذلك ابن أبي عتيق **فقال** ما أحوج الناس إلى خليفة مثلها. **قال شاعر**:

فـي فـمِـهـا مـن رقـي إبـلـيـس مـفـتـاحُ

---

(١) **عضة عضها**: كذب، وعضه الرجل شتمه صريحاً، وأعضه أيضاً جاء بالإفك والبهتان.

وقال:

لا يغرنك في مجلسه طول السكوت
وتسابيح أديرت في يديه بخفوت
أن يشا ألف ضبا حسن تأليف بحوت
ويقود الجمل الصعب بخيط العنكبوت

وقال:

إذا هويت يا أخي عتاده من الغواني صعبة المقاده
فابعث لها عجوزة قوّاده كالحسن البصري أو قتاده
تلوح في جبهتها سجّاده

وقيل: هي أقود من ظلمة وكانت امرأة قوّادة أوصت إذا هي ماتت أن تحرق وتجعل في صرّة فيذر منها على ختان الصبي فيلتحم وعلى أخراء الصبيّات فإنهنّ يلهجن بالزبّ ما عشن. وقيل أقود من ليل بهيم ومنه:

الشمس نمامة والليل قوّاد

وقيل لرجل: ما بقي عندك للنساء؟ قال: القيادة عليهنّ. وقيل لآخر: ما بقي عندك من آلة الزنا قال البصاق.

- **نوادرُ في القيادةِ**

سمع أبو الهذيل رجلاً ينشد:

يغشون حتّى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السوادِ المُقبلِ

فقال: أوشك أن تكون هذه دار قوّاد أو خمّار.

وأخذوا مخنثاً جمع بين شريف وشريفة فخلّوهما وحملوا القوّاد إلى السلطان فسئل فقال: هؤلاء وجدوا طائرين في قفص فخلوا الطائر وحبسوا القفص.

- **المعيّر بالقيادةِ**

قيل لرجل: يا قوّاد فقال: قدمت على أمك ليس هذا عذراً لك. قال أبو نواس:

كل عن حمله السلاح إلى الحر ب فأوصى المقيم أن لا يقيما

وقيل لأبي عون قد بنى المتوكّل بناءين سماهما الشاه والعروس، فقال: فرغ من حمل ذكران الناس على الإناث، حتى صار ينايك بين الأبنية.

- **حظرُ الزِنا واستباحتُه**

أما الزنا فمجمع على تحريمه وجاء أبو كثيّر الهذليّ إلى الرسول ﷺ فسأله أن يحل

له الزنا فقال: أتحب أن يأتي إليك في جرمك مثل ذلك؟ قال: لا ثمّ قال فادع الله لي أن يذهب منّي الشبق فدعا له. فقال حسّان:

سألت هذيلُ رسولَ الله فاحشةً ... ضلّت هذيلٌ بما قالَت ولم تصبِ
سألوا فيهم ما كان مخزيهم ... حتّى الممات وكانوا غرّة العربِ

(٤)

وممّا جاء في السوأتين والجماعِ

●

● جَوْزُ ذكرِ السوأتين والجماعُ واستحباب الكناية عنهما

قال ﷺ: من تعزّى بعزاء الجاهلية فأعضوه[١] بهن أمّه ولا تكنّوا. ورأى ابن عباس رجلاً يتظلف[٢] عن ذكر السوأتين فقال إن تصدق الطير ننك لميسا. ودخل في الصلاة يريه أنّ ذكر ذلك مما لا يحرج.

وقال محمد بن سيرين في قوله تعالى وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً أي إذا ذكروا الفُرُوج كنَوا عنها. وكثرا استعمالهم الكنايات في ذكره نحوهن، وذكر، وسوأة.

ويقول البغداديون في الكناية: أبو أيوب، وسمّت العرب فرج المرأة أبا ادراس وذلك من الدرس وهو الحيض.

● قُوَةُ الأير على العملِ

سمعت أعرابية رجلاً ينشد:

وأنعظُ أحياناً فينفذ جلده ... فأعذلهُ جهدي وما ينفع العَذْلُ[٣]
فأدخِلهُ في جوْف جاري وجارتي ... مكابرةً منّي وإن رغمَ الفحلُ

فقالت: بئس والله جار المغيبة أنت فقال: والتي معها زوجها وأبوها وأخوها وأنشد بشار:

عجّل الركوبَ إذا اعتراه نافضٌ ... وإذا أفاقَ فليس بالركابِ
فتراه بعد ثلاث عشرة قائماً ... مثلَ المؤذن شكّ يوم سحابِ

وقيل: أنكح من خوات وهو صاحب ذات النخيين، وأنكح من ابن العزّ وهو الذي أنعظ فجاء بعير فاحتكّ بأيره يظنه جذلاً[٤] وقيل: أير كعصا البقار، ومنه يحمل أيراً مثل أير البغل.

---

(١) عضه عضها: كذب، وعضه الرجلَ شتمه صريحاً وأعضه أيضاً جاء بالإفك والبهتان.

(٢) يتظلف عن كذا: يترفّع ويتبعد. (٣) أنعظ (الرجل): اشتهى الجماع.

(٤) جذلاً: الجذل عود ينصب للإبل الجربى لتحتكّ به، وبالتصغير جُذيل، وفي المثل أنا جذيلها المحكّك، أي هو صاحب رأي يستعان به.

وقال:

يحمل أيراً مثل جُردانِ الجمَل ... لو دسّ في متن صفاةٍ لدَخَل[1]

وقيل إن جعفر بن يحيى الصيرفي خرج من الدنيا وما نكح امرأة بكل أيره وقيل أعظم الأيور أير الفيل وأصغرها أير الظبي. وكان لابن عمر أربع نسوة وثلاثون جارية وربما طاف عليهنّ في ليلة.

● **النعظ**

قيل: أنعظ من بلبلة الإبريق. قال حسنويه:

أنعَظ حتى كأن فقحته ... مجموعةٌ في زيار بيطارِ[2]

كأنه والأكف تلمَسُه ... عنقُ ظليمٍ بغير منقارِ[3]

وقال سهل بن هارون: ثلاثة يعودون إلى حال المجانين **السكران والغضبان والغيران** فقال بعض أصحابه وما تقول في **المنعظ فضحك وقال:** وما شر الثلاثة أم عمرو.

● **تمنّي عظم المَتَاعِ**

قال أبو سعيد راوية بشّار رأيت بشّاراً يوماً وهو يضحك **فسألته فقال:** تفكرت في شيء ليس على وجه الأرض رجل إلا يودّ أن أيره أكبر مما عليه ولا امرأة ألا تود أن حرّها أضيق مما هو عليه ولو أُعطِيَ كل واحد طلبته لبطل التناكح فمنع سؤليهما لطف من الله تعالى.

وحكى المعروف بابنة الجن المخنّث ليس في الأرض رجل إلا وهو يتمنى لامرأته أير الحمار قيل: **وكيف ذلك؟ قال:** لأنه يتمنّى أن يصير أيره كأير الحمار ينكح به امرأته.

وقال مديني: اللهم أرزقني أيراً سداه عصب ولحمته قصب ولا يصيبه تعب ولا نصب، وينيك من رجب إلى رجب.

وكان بعض الكبار **يقول:** اللهم قوّ أيري فإنه به قوام أهلي. وتفاخر قوم بكبر الأيور، **فقال أعرابي:** لو كان كبر الأير فخراً لكان البغل من قريش.

وقيل لبعضهم: أتحب أن يكون لك أير كبير؟ **قال:** لا، لأن منفعته تكون لغيري وثقله عليّ.

● **إستعظامُ قَدْرِ الأير**

رأى مخنّث قادماً من بعيد فظنّه أمرد فلما دنا منه **قال:** يا ناقص هذا صلف من له أربعة أيور وأنت فارغ السراويل ورأى مخنث رجلاً يتبختر **فقال له: أعلويّ أنت أم قرشي؟**

---

(١) **الجُردان (بالضم):** القضيب من ذوات الحافر، وقيل هو الذكر والجمع جرادين ـ **الصفاة:** الصخرة.

(٢) **زيار البيطار:** عبارة عن خشبتين يضغط بهما البيطار جحفلة أو شفتي الفرس ليتمكن من بيطرته.

(٣) **الظليم:** ذكر النعام.

قال: أنا فوق ذلك إني أير فقال: تبختر ثم تبختر. وسمع مخنث رجلاً يذم ابنه ويقول: ومع ذلك له أير في طول المنارة فقال ابنك كله فضيلة وأنت لا تشعر. ونظر آخر إلى قبيح كبير الأير فقال: ياشين ما علق عليك هذا الرين. ونظر آخر إلى كبير الأير كثير الشعر فأخذ يبكي ويقول: أنظروا إلى الخليفة في القطيفة.

قال شاعر في أير:

تـهْ عـلـى الـنّـاس جـمـيـعـاً ... وتـقـدّمـهـم بـأيـرِك

نـال مـوسـى بـعـصَـاه ... فـوقَ مـا نِـلْـتَ بـأيـرِك

● مفاخرةُ الرجلِ والمرأةِ بسوأتيهما

قال المتوكل يوماً لعبادة وزكوية: تسابقاً فأيكما سبق فله كذا فسبقت زكوية فقال المتوكل لعبادة: سخنت عينك تسبقك امرأة فقال: هي تعدو ببدَادَين[1] وأنا أعدو بخرجين وعلاوة. وقالت جارية لمخنث ما أعظم بليّتي بك! قال: بليتك بحرك أعظم سود وجهه وشق وسطه وقطع لسانه وحضر إلى جانبه كنيف.

رأت صبية صبياً كشف لها عن أيره فقالت: من طوقه؟ قال: أبي. قالت: فمن خرقه؟ قال: أبي. قالت: فمن عرقه؟ قال: أبي فكشفت عن حِرها وقالت: لعن الله أبي ما زاد على أن شقه وتركه.

● المستفتي في سوأته عالماً سخفاً

سئل الأحنف: ما بال إستاه الرجال عليها شعر وإستاه النساء لا شعر عليها؟ قال: لأن إستاه الرجال حمى وإستاه النساء مرعى وسئل مخنث مابال هن[2] المرأة ينبت أسرع من الرجل؟ فقال لقربه من السماء ويسقى من فوقه. قيل لقطرب: أيهما أسرع على المباضعة الأير أم الحِرّ؟ فقال:

فـوالـلّـهِ مـا أدري وإنّـي لـصـادقٌ ... الأيـرُ أدنـى لـلـفُـجـور أم الـحِـرُ

فـقـد جـاءَ هـذا مـرخـيـاً من عـنـانـهِ ... وأقـبـل هـذا فـاتـحـاً فـاه يـهـدُرُ

● اختيارُ المرأةِ أيراً دون أير

قالت ابنة الكميت لأمها: أي الأيور أحب إليك؟ قالت: أير فرس في حرارة قيس في لين فنك[3] في استدارة فلك في حقو[4] رجل صمك وقالت جارية: ما شيء أحب إليّ من

---

(١) **البداد**: البراز والأقران.

(٢) **هنُ المرأة**: فرجها وفي المثنى هنان وقيل هنانان والأصل هَنو بحذف الواو.

(٣) **الفَنَك (هنا)**: حيوان صغير طوله بحدود أربعين سنتمتراً وفروته من أجود الفراء.

(٤) **الحقو**: الحضر ـ **الصمك**: القوي الشديد والغليظ الجافي.

رجل ينيكني بأيره في حري وخصيته تدق على باب إستي فتهيج شهوتي.

● وصفُ المتاعِ على سبيل اللغزِ

سأل خلف الأصمعي عن قول الشاعر:

ولقد غدوتُ بمشرق يا فوخه   عسرُ المكرّة ماؤه يتدفّقُ
مرحٌ يسيلُ من النشاط لعابُه   ويكادُ جلدُ أهابِه يتمزّقُ

فقال: يصف فرساً، **فقال:** أرانيك الله على مثله. ووقف أعرابي ينشد بكراً على جماعة **فقال:** من عرف بكراً أحمر في عنقه علاط[١] وفي أنفه خزام[٢] يتلوه بكرتان سمراوتان وإن أقرب عهد العاهد به الليلة؟ **فقالت جارية:** ما عنيت بذلك إلا ما ضمّه سراويلك.

وقال مخنث لأعرابي: هل لك في شيء أسفله زرع وأعلاه ضرع وليس بباذنجان ولا قرع. **فقال:** على هذا لعنة الله.

● وصفُ الحِرّ بالضّيقِ والحرارةِ

سئلت بنت الحسن أي الأحراح أطيب؟ **فقال:** الذي إذا دخلت فيه غصّ وإذا أخرجت منه مصّ. ووصف رجل امرأة. **فقال:** أحرّ من الحمام وأمصّ من الحجّام.

قالت امرأة:

إن حِرى أضيقُ من تسعين   يمصّ مصّ الحاجِم المكين

وقال ابن الرومي يصف سوداء:

لها حِرٌ تستعيرُ وقدتَه   من قلبِ صبٍّ وصدرِ مختنِقِ
يزدادُ ضيقاً على المِراس كما   تزدادُ ضيقاً أنشوطَة الوهَقِ[٣]

أخذه من قول النابغة:

وإذا لمَسْتَ لمستَ أجْثَمَ جاثِماً   متحيّزاً بمكانِه ملءَ اليَدِ[٤]
وإذا طعنْتَ طعنْتَ في مستهدفٍ   رابي المجسّة بالعبيرِ مُقَرْمَدِ[٥]
وإذا نزَعتَ نزعْتَ عن مستحصفٍ   نزع الحَزَوّرِ بالرشاءِ المحصَدِ[٦]

---

(١) **العلاط:** حبل يجعل في عنق البعير.   (٢) **الخزام:** حلقة يشدّ بها الزمام.

(٣) **الوهق:** الحبل.

(٤) **الأجثم:** المرتفع والغليظ ـ **المتحيز:** المرتفع بالقياس إلى ما حوله.

(٥) **المستهدف:** البارز والناتىء ـ **بالعبير مقرمد:** أي مطلي بالزعفران.

(٦) **المستحصف:** الضيّق ـ **الحزوّر:** ذو القوّة ـ **الرشاء:** الحبل **والمحصَد:** أي الحبل المفتول.

● **الواسعةُ الباردةُ**

وصف أعرابي امرأة **فقال**: مفازة مكّة في سعتها ثقب عفصة وبلح همدان عند بردها حرّ مكة وسئل عمر بن عثمان عن جارية اشتراها **فقال**: فيها خصلتان من الجنة البرد والسعة. **وللصاحب**: وفلانة وصفت بأنها في الضيق كوز فقاعه فكشفتها في الخلوة عن ذيل دراعه الناجم، يشبه عندي بربخا[1]، مركباً في مخرج.

وقال رجل لجارية: ما أوسع حرك! **فقالت**: فديت من كان يملأه، **ثم قالت**:

وقـالَ لـمّـا خـلَـوْنـا أنـتِ واسـعَـةٌ ... وذاكَ مـن خـجَـلٍ مـنّـي تـغـشّـاه
فـقـلْـتُ لـمّـا أعـاد الـقـول ثـانـيـةً ... أنـتَ الـفـداء لـمَـنْ قـد كـانَ يـمْـلاه

وقال ما جن لجارية لأنيكنك بأير مثل صومعة حصين. قالت: إذاً والله أمكنك من حر مثل صحراء نجد ثم. **قالت**: تفتخر بحرِها:

تـدلّ بـطـولِ الأيـرِ مـنْـك وعـرضِـه ... ولي كعثب أخفيكَ في شطْر بعضِهِ[2]
ولـو أن عـوجـاً فـوقَ فـيـلٍ فـأقـبـلا ... إلـيْـه لـمرّ الـفـيـل فـيـه بـركْـضِـهِ

وقال أبو زيد الكتاف: بقيت زماناً لا أجد امرأة تستوعب ما عندي فظفرت بواحدة فجعلت أدخله شيئاً فشيئاً حتى أوعبته ثم قلت: أخرجه، **فقالت**: سقطت بعوضة على نخلة فلما إن أرادت الطيران **قالت**: استمسكي لأطِيْرَ، **فقالت النخلة**: ما شعرت بوقوعك فكيف أشعر بطيرانك.

ذهـبَـتْ والـلّـهِ نـفْـسـي ... فـيـكَ يـا أحـمَـق فـكـرا
إنّـمـا طـولُـك فـتْـرٌ ... كـيـفَ تـسـتـوعِـبُ شـبـرا

وقالت امرأة لرجل جامعها وأبطأ الفراغ: أفرغ فقد ضاق قلبي **فقال**: لو ضاق حِرُك لكنت أفرغت منذ زمان. ورأى رجل رجلاً يبول بأير حمار **فقال له**: كيف تحمل هذا الأير؟ فقال أكبير هو قال: نعم قال إن امرأتي تستصغره.

● **احتلامُ المرأةِ بغيبةِ الرجلِ**

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يطوف بالمدينة فمر بامرأة من نساء نجد **تقول**:

تـطـاولَ هـذا الـلّـيـلُ تـسرى كـواكـبُـه ... وأرّقَـنِـي أن لا خـلـيـلَ ألاعـبُـه
فـوَالله لـوْلا الـلّـهُ والـعـارُ بـعْـده ... لـحـرّكَ مـن هـذا الـسـريـر جـوانـبُـه

ثم تنفست **وقالت**: هان على ابن الخطاب وحشتي في بيتي وغيبة زوجي عنّي فلما

---

(١) **بربخ**: مجرى من الخزف للماء.

(٢) **الكعثب (هنا)**: الفرج، والكعثب الرّكب الضخم، **وامرأة كعثب**: ضخمة الرّكب.

أصبح بعث إليها نفقة وكتب إلى عامله بردّ زوجها، وسأل ابنته حفصة ما قدر ما تصبر المرأة قالت: أربعة أشهر.

● المتعرضُ للنكاحِ تعريضاً وتصريحاً

كانت رقاش بنت عمرو بن الصلت عند كعب بن مالك فقال لها يوماً: إخلعي درعك. فقالت: خلع الدرع بيد الزوج. فقال لها: تجرّدي فقالت: التجرد لغير النكاح مثله. وقال رجل لجاريته: نأكل ثم ننيك فقالت: بل ننيك ثم نأكل، فاستملح ذلك منها.

وكتبت امرأة إلى صديقها:

عـجّـلْ فـقـدْ أمـكَـنَ الـزمـانُ ... وبـادرِ الـوصْـلَ يـا جـبـانُ
بـادِرْ فـإنّ الـزمـانَ غـرٌّ ... مـن قـبـل أن يـفـطِـنَ الـزّمـانُ

وتنفت امرأة وكتبت إلى صديقها:

فديتُك سهّلتُ السبيلَ الذي أشتكي ... جوادُكَ فيه للحَفا من خشونتِهْ
فإنْ كنت تهوى أن تزورَ جنابَنا ... فلا تبطِ عنّا فالهلال ابنُ ليلتِهْ

وقالت جارية ابن سيرين له يوماً: كنْ وقدّم النون. فقال: الساعة وبعث هشام إلى عبدة بنت عبد الله بن معاوية وكانت غضبى فلم تجبه فجاءت جارية له فكشفت جانب ستره وقالت: أما من استغنى فأنت له تصدّى وما عليك أن لا يزكّى. وأمّا من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهّى، فاستحسن ذلك ودعاها.

وكان رجل يعشق جارية فاجتمع بها ليلة فجعل يعاتبها فقالت: يا جاهل دع العتاب للكتاب واجعل قميصي مخنقتي. وقال رجل لجارية ما إسمك قالت أناك قال من خلف أم من قدام حلال أم حرام قالت كيف شئت كما شئت. وقال أبو العيناء: اشتريت جارية فقعدت يوماً بجنبي فجعلت أقبلها وأترشّفها الاّ أزيد على ذلك. فقالت: أتحفظ لأبي نواس:

حـدّثـنـا الأشـيـاخُ فـيـمـا روَوا ... أبـو زيـاد شـيـخُـنـا عـنْ شـريْـك
لا يـشـتَـفـي الـعـاشِـقُ مـمّـا بـه ... بـالـضـمّ والـتـقْـبـيـلِ حـتّـى يَـنـيـك

وكان للرشيد مائتا جارية تبلغ النوبةُ إلى كلّ جارية في مائتي ليلة فصعد ليلة فإذا جارية تغنّي:

ألا يـا دارُ كـم تـحـويـنَ ... مـن كـس ومـن غـلـمَـه
أأيـرٌ واحـدٌ يـشـفـي ... تـراه مـائـتـي حـرمَـه
مـتـى يُـصْـلـحُ طـيّـان ... ضـعـيـفٌ مـائـتَـي ثُـلْـمَـه

فاستدعاها واستعاد أبياتها وقال: نزيد في زيارتك. فقالت: لا أريد أكانت كما قال أبو حكيمة:

أتـت بـجـرابـهـا تـكـتـالُ فـيـه ... فـقـامَـت وهـي فـارغـةُ الـجـرابِ

فقال: لا بل لا نرد الجراب فارغاً وقام فواقعها وقال لها: يا لخنا[1] جعلتني طيانا ضعيفاً فقالت: لو لم أجعلك هكذا لم آكل هذا الرغيف على هذا الجوع الصادق.

واستعرض رجل جارية فقال لها: أتحسنين أن تضربي بالعود؟ فقالت: بل أحب أن يضربني العود. وقالت امرأة لزوجها اشتر لي خفّاً. فقال: بل أنيكك فرداً فقالت: هذا الخف يكفي هذه السنة.

● اختيارُ المرأةِ الرجَل القويّ على النِكَاح

استعرض غلام وضيء جارية نفاشة، فعلمت الجارية أنه يدلّ بحسنه. فقالت له: إن كنت يوسف الحسن وليس معك أير ذو عروق صلبة وهامة رحبة يدخل غضبان ويخرج سكران لم أعدك إلا شيطاناً مريداً أو قرداً عنيداً.

وقيل لبصرية: أيّ الرجال تشتهين فقالت: لا أدري غير أني أعلم أن الأوّل داء والثاني دواء والثالث شفاء ومن ربّع فنفسي له الفداء.

● شكرُ المرأةِ لِمَنْ بالَغَ في مباضعتِهَا

قالت امرأة: ناكني فلان نيكاً كأنه يطلب في حِري كنزاً من كنوز الجاهلية. كانت امرأة تبكي على قبر فقيل لها ما كان لك؟ قالت: زوجي وكان والله يجمع بين الجناح والساق ويهزهز الصارم للأعناق وقد كذبتك امرأة تبكي لغير ما أخبرتك. وقيل: تزوّج رجل بامرأة فجعل يقبّلها ويشمّها ويلاعبها، فقالت:

ليسَ بهذا أمَرَتْني أمّي ... واللهِ لا تمسكني بضمّي
ولا بتقبيلٍ ولا بشمّ ... إلا بزعزاعٍ يُسَلّي همّي[2]
لمثلِ هذا ولدَتْني أمّي

● اختيارُ المرأة نوعاً من الجماعِ دُوْنَ نوع

اجتمع بنات حي المدينة عندها فقالت للكبرى: كيف تحبّين أن يأخذك زوجك؟ فقالت: أن يقدم من سفر فيدخل الحمام ثم يأتيه زوّاره المسلّمون عليه، فإذا فرغ أغلق الباب وأرخي الستر فحينئذ أتى ما أرومه.

فقالت لها: إسكتي فما صنعت شيئاً؟ فقالت الوسطى: أن يقدم من سفر فيأتيه زوّاره فإذا جاء الليل تطيبّت له وتهيأت، ثم أخذني على ذلك فقالت: ما صنعت شيئاً.

فقالت الصغرى: أن يقدم من سفر وكان قد دخل الحمام وانطلى ثم قدم وقد شول فيدخل عليّ ويغلق الباب ويرخي الستر فيدخل أيره في حري ولسانه في فمي وأصبعه في

---

(١) لخنا: مخفف لخناء يريد أنها تتكلّم بقبيح.

(٢) الزعزاع: الريح الشديدة التي تزعزع الأشياء، والزعزاع هنا من باب المجاز والاستعارة.

إستي فينيكني في ثلاثة مواضع. فقالت: أسكتي فأمّك الساعة تبوّل.

● الراغبُ عن متعرّضة للنكاح

قال أبو حكيمة:

وضاحكةٍ إليّ من النقابِ ... تلاحظني بطَرْفٍ مسترابِ
كشفتُ قناعَها فإذا عجوزٌ ... مسوّدةُ المفارِقِ بالخِضابِ
فما زالتْ تجمّشني طويلاً ... وتأخذُ في أحاديثِ التّصابي
تُحاولُ أن تقيمَ أبا ريادٍ ... ودونَ قيامِهِ شيبُ الغرابِ
فقلتُ لها حللتِ بشرِّ وادٍ ... كريهِ المجتنى قحطِ الجنابِ
متى تشفى العجوزُ إذا استناكت ... بأيرٍ لا يقومُ على الشبابِ

وله:

دعَاني إلى ما يستحلّ ابنُ أكثم ... وقد يستحِلّ المرءُ غيْرَ حَلالِ
ولو قامَ لم أسعفْه فيما أراده ... أحقّ بأيري منه أمْ عِيالي

قال ابن حجّاج:

غطت النظراء لمّا ... قد رأت مفتاحَ دَيْري
ورجَت مني خيراً ... قلتُ لا ترجينَ خيْري
إبعدي عنّي وهذا ... فافعليه معَ غيْري
أنت في دعوة أذني ... لستِ في دعوة أيْري

● إرضاءُ المرأةِ بالخلوةِ مَعَهَا

وقع بين رجل وامرأته خصومة فغضبت فكابدها حتى رضيت وقالت: خزاك الله فقد جئتني بشفيع لا أستطيع ردّه.

ومرّ الحجّاج متنكراً فرأته امرأة فقالت: الأمير وربّ الكعبة. قال: فمن أعلمك أني الأمير؟ قالت: شمائلك. قال: هل عندك من قرى؟ قالت: نعم الخبز الشعير والماء النمير فأكل وشرب. ثم قال: هل لك أن تصحبيني فتصلحي بيني وبين امرأتي. قالت: هل عندك من جماع قال: نعم. قالت: فهو يصلح بينكما إذاً.

● حمد إفحاش الجماع ونحوه

قال ابن سيرين: ألذ الجماع أفحشه. وقال الأحنف: إن أردتم الحظوة عند النساء فافحشوا النكاح وأحسنوا الخلق. وقال رجل للشيبي: ما تقول في امرأة تقول لزوجها: إذ وطئتها قتلتني أوجعتني. فقال: يقتلها بذلك وديتها في عنقي. وقدّم رجل امرأته إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه وقال إنها مجنونة إذا جامعتها غشي عليها. فقال: أحسن إليها فما

أنت لها بأهل. **وقيل**: موطنان يذهب فيهما العقل: المباشرة والمسابقة.

● الأسبابُ المقوّيةُ للجماع من ملاعبةِ المحبوبِ

قال الحسن: أكثروا من مداعبة النساء ولا تكونوا كالبهيمة التي يطرقها الفحل بغتة. والمداعبة للشهوة كالرعد والبرق للمطر. القبلة بريد النيك. **قال شاعر**:

إنــمــا الــقــبــلَــةُ عــنــوان الــصّــلــة

وطلب رجل من امرأته **فقالت**: الإبساس قبل الإيناس.

● كراهتُها الاعتزالَ

كره الفقهاء الإعتزال عن المرأة إلا برضاها. **وقال رجل لزانية**: ما تقولين في الاعتزال؟ **قالت** بلغني أنه مكروه. **قال**: أولم يبلغك أن الزنا حرام. وكانت ليوسف بن عمر جارية تصحبه في السفر والحضر وكانت يوماً قائمة على رأسه فورد عليه كتاب فتغيّر وجهه فقالت الجارية: أكتاب عزل قال كيف علمت ذلك؟ **قالت**: لأن وجهك قد تغير من غير حذر ولا سهر ولكن استجزت عَزْلَكَ عني كل يوم وهذا طعمه عندك مرّة واحدة

● ميلُها إلى الإعتزال

قال بعضهم: دخل قوم من الإعراب البصرة لجذب أصابهم فرأيت جارية تتكفّف[1] فخدعتها وأدخلتها دهليزي فلما وطئتها قالت نح عنّي نزلتك لئلا تلحقني جنيناً. **وقال بعضهم**: اشتريت جارية فوطئتها فجعلت تروم التنحّي فأكرهتها، **فقالت**: أردت أن لا يأتيك أربع أكارع تضيع مالك. فأما وقد أبيت فشأنك وما تريد.

● العذيوطُ

وَهُوَ الذي إذا جامع وبلغ الفراغ وجرت النطفة في إحليله استرخت فقحته فسلح وكذلك المرأة. وأما الربوخ فالمرأة يغشى عليها عند الجماع قبل الفراغ.

وقال دعبل كان جعيفران لا تقيم عليه امرأة فتزوّج امرأة فأقامت عليه فسألته **فقال**: إنها مثلي وقد قلت فيها:

لـمـا ضـربْـتُ بـغَـرْمـولـي مـضـارطَـهـا ... بالَتْ فقلتُ اسْلحِي إن شئْتِ أو بُولي
إنـي سـاُخـرى إذا انـعـظْـتُ مـن شـبَـق ... فـإن خـريـتُ فـقـد أعـطـيـتـنِـي سُـولـي
سلحٌ أتى بيْن عذْبوطَيْن شككّنِي ... منْها أتى أو أتى من تحت غُرمولي
وسـالـحَـتْـنـي فـلـم أشـعـرُ بـمـا فـعَـلَـت ... حتّى وجدت خراهـا فـي سَراوِيـلـي

وقال بعض النخّاسين كانت عندنا جارية عذيوطة كلما بعناها ردّت. فبعناها مرة

---

(١) **تتكفف**: تمدّ يدها لتستعطي.

فأبطأت فلقيتها فسألتها قالت: مولاي مثلي فإذا لقي سنبر قنبر أدخل الغلط.

● **الرخصةُ في إتيانِ المرأة في دبرِهَا**

استدل مالك في ذلك بقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾. **وقالت عائشة رضي الله عنها**: إذا حاضت المرأة حرم الجُحران فدل على أنهما كانا حلالاً قبل الحيض. **وقال** بعض أهل اللغة الجحران بالضم الفرج.

● **تحريمُ إتيانها في دبرها**

نهى النبي ﷺ عن إتيانهن في محاشهن وسئل في أي الجزرتين **فقال**: أما من دبرها في قبلها فنعم وأما في دبرها فلا، إن الله لا يستحي من الحقّ، لا تأتوا النساء في أدبارهنّ.

● **النوادرُ في إتيانها في ذلك الموضِع**

قال مزيد لامرأته: دعيني آتيك في إستك **فقالت**: لا أجعل إستي ضرّة لحري مع قرب ما بينهما. وسئل أبو حفص عن إتيان المرأة في دبرها، **فقال**: إن الله يقول نساؤكم حرث لكم، والإست لها مزرعة من حلت له القرية حلت له المزرعة. **قال همّام القاضي**:

ومذعورة جاءَت على غيْر موعدِ ... تقنّصْتُها والنّجْمُ قد كادَ يطلعُ
فقلْتُ لهَا لمّا استمرّ حديثُها ... ونفْسي إلى أشياء منْها تطلّعُ
أَبِيني لنَا هل تؤمنين بمالك ... فإنّي بحبّ المالكيّةِ مولَعُ
فقالَتْ نعَم إنّي أدينُ بدينِه ... ومذهبُه عدل لديّ ومقنِعُ
فبتْنا إلى الإصباحِ ندْعو لمالك ... ونؤثر فتياه احتِساباً وتتبَعُ

وحاضت امرأة أعرابي فتعرض لإستها. **وقال**: قد يؤخذ الجار بذنب الجار.

قال ابن الحجّاج:

حاضَتْ وقدْ كانَتْ لها مدّة ... طويلَة عند استها طائِلَهْ
وثبت في الحالِ على سرمها ... وديةُ النيْكِ على العاقِلَهْ

رفعت امرأة قصة إلى القاضي تدّعي أن زوجها يأتيها في دبرها، **فسأله فقال**. نعم أنيكها في دبرها وهو مذهبي ومذهب مالك، فخجل القاضي.

ورفع رجل إلى ابن سيمجور قصة وكان يتولّى النظر بنفسه بين الرعية وكان في القصة: ابنتي تحت فلان التركي وهو يسومها النيك في دبرها وكان الزوج غلاماً له فقال له: ما هذا؟ **فقال**: إني حملت من تركستان إلى الطران فناكوني في إستي ثم إلى بخارى إلى هراة وفي كل مكان كانوا ينيكونني في إستي ثم حملت إليك فكنت تنيكني في إستي فما علمت أن ذلك محظور فخجل ابن سيمجور.

● **شكايةُ المرأة كثرةَ جماع زوجها**

تزوّج مزيد مولاة لأبي المثنى الخزاعي فجاءت إلى أبي المثنى فشكت إليه كثرة جماعه فلقيه أبو المثنى فعاتبه **فقال له مزيد**: كن بيني وبينها كف عنّي ضرسها أكف أيري. أتراني أعلف ولا أركب. ورفعت امرأة زوجها إلى القاضي تشكو كثرة جماعه فقارّه القاضي على عشرة كل ليلة، **فقال**: أيها القاضي سلها تسلفني متى شئت فأجابه إلى ذلك فعادت المرأة بعد ثلاث فقالت أيها القاضي لا صبر لي عليه فقد استلف في ثلاث لخمس.

● **شكايةُ المرأة عنة زوجها**

رفعت امرأة زوجها إلى القاضي وقالت: بعلي هذا ليس يضاجعني، **فقال الرجل**: صدقت ولكنّي مؤاخذ عنها. فقال القاضي: الحكم فيه أن تؤخر سنة. **فقال**: الحكم أحق أن يتبع. فلما خرجت إذا هي بمخنث. **فقال لها**: أما تستحيين أن تقولي للقاضي ليس ينيكني. **فقالت**: إن شيئاً نقلك من طبع الرجال إلى طبع النساء حتى عفّرت لحيتك في التراب. حقيق أن لا يستحي منه.

وقدمت امرأة زوجها إلى القاضي وقالت: إن زوجي ليس يضاجعني. **فقال الزوج** إني عنين. فقالت المرأة: هو يكذب **فقال القاضي** ناولني أيرك حتى أمتحنك فتناول أيره بمرسه وكان القاضي قبيحاً فلم يقم أيره **فقالت للقاضي**: لو رآك مالك الموت منعظاً لاسترخى. إدفعه إلى غلامك هذا وكان للقاضي غلام صبيح فدفعه إليه فانتشر سريعاً. **فقالت**: أعطِ القوس باريَها. **فقال القاضي**: مرياً كشحان ونك امرأتك ولا تطمع في غلمان القضاة.

وقال المهدي لجارية له: أنت أودق[1] من أتان عاقر. **قالت**: إذا رزم الفحل ودقت الحجر تعرّض بأنه مقصر في الباه فخجل. وعشق رجل امرأة فزارته فلما صارت عنده ضعف عنها فأخذ يمر به طولاً وعرضاً على حِرها وقال لها ألك زوج؟ **فقالت**: يا ابن اللخناء لو كان لي زوج لم أدعك تتخذ حِري طنبوراً تضرب عليه بمضراب منكسر.

● **المتعذرُ من عجزِهِ عن المطاعنةِ**

دخل ابن شبابة إلى امرأة وخرج سريعاً فقال له صاحبه فأومأ بيده إلى أيره وقال:

شَمْسُ العداوةَ حتّى يستقادَ لهم وأعظَمُ النّاسِ أحلاماً إذا قدرُوا

وقال:

أيـري عـلـيّ مـع الـزمـا نِ فـمَـن أذُم ومـن ألُـومُ

---

(١) **أودق**: أي أكثر ودقاً من ودَق يدق أي اتّسع.

وقال هارون لعنان جارية الناطفي وقد قبّلها ولم ينتشر عليه:

أقولُ وقد حاولْتُ تقبيلَ خدِّها ... وبي رِعْدَةٌ من حبِّها ليس تسْكُنُ

فديتُك إني أشجعُ النّاس كلّهم ... لدى الحرْب إلا أنني عنك أجبُنُ

واستهدفت امرأة لرجل شيخ فأبطأ عليه الانتشار فعاتبته فقال: أنت تفتحين بيتاً وأنا أنشر ميتاً. وقعد أعرابي بين فخذي امرأة فلم ينتشر فقالت له قم يا خائب فقال الخائب من فتح جرابه ولم يكتل. ومن هذا أخذ الشاعر قوله:

أتت بجرابِها تكتَال فيه ... فقامَت وهي فارِغَةُ الجِرَابِ

● تعبيرُ العاجز عن الافتضاض

كتب أبو العيناء إلى ابن مكرم: العجب لكم أنكم تناكون ولا تنيكون كيف غررتم الحرائر واستهديتم المهائر وَعَلامَ قدمتم المهور وأنتم تحتاجون إلى الذكور؟ ولم أظهرتم حب النساء وبكم عرق النساء؟

وكيف ادعيتم يوم الروع الطعان وأنتم تخرون للأذقان؟ فأنتم كما قال الشاعر:

فلسْنا على الأقدام تدْمي كلومُنا ... ولكنْ على أعقابِنا تقطُر الدّما

نساؤكم عند جيرانكم ورجالكم تحت غلمانكم فيا بؤساً للعروس وإزارها لم يحلل، وشعورها لم تبال.

قال أبو علي البصير:

ردّ ابنةَ القوم أو فاطلُبْ لها ذكَراً ... يكفِيكَ من شأنها بعضَ الذي عُسِرا

فقد تأبوك حتى لا أناةَ بِهِم ... وجمجَموا الأمرَ حتّى شاع واشتَهرا[1]

قالَت يقدّم قبْل الأيْر أصبَعه ... متى تعاطَى بكفّيه جِرّ أعقرا

وعجز رجل عن امرأته ليلة العرس، فقالت:

تبيتُ المنَايا حائراتٍ عن الهُدى ... إذا ما المَطايا لم تجدْ منْ يقيمُها

● اغتباطُ مَنْ تقوى على الجماع

كان سعيد بن المسيب يقول: اللهم قو أيري ففيه قوام أهلي وقوّ سني ففيه قوام بدني. وقال: أبو مهدية لأبي عمرو: لا يزال المرء بخير ما اشتد أيره وضرسه.

وقال رجل لابن شعيب: إني إذا دخلت في الصلاة انتشر عليّ. فقال: طوبى لك فإني أتمنى انتشاره في الفراش.

● الشاكي ضعفه عن الجماع

قيل لأبي مهدية: ما عندكَ من الجماع؟ قال ما يهيج شهوتها وينقص عفتها ويستعدي

---

(١) جمجم الكلام: لم يبيّنه.

بغضتها. **وقيل لآخر فقال:** إن منعت غضبت وإن تركت عجزت وقال يمتد ولا يشتدّ وإذا كرهته يرتد. **وقيل لمدني:** كيف حالك؟ **فقال** أيري إذا فقد قام وإذا وجد نام المفجع.

لـي أيـرٌ أراحَـنـي الـلّـهُ مـنـه صـارَ هـمّـي بـهِ عـريـضـاً طَـويـلاً
نـام إذ جـاءَه الـحـبـيـبُ كِـيـاداً ولـعَـهْـدي بـهِ يـنِـيـكُ الرّسُـولا

● المستحسنُ لعجزهِ

سئل شيخ عن حاله **فقال:** ذهب مني الأطيبان السنّ والأير وبقي الأرطبان الضراط والسعال. **وقيل لأبي عبد الله المنتوف:** ما بقي عندك من آلة الباه؟ **قال البزاق:** وقال ابن أبي البغل لقاضي أصبهان: هل في البيت صلاة؟ **قال:** لا **قال:** أنا في البيت أصلي منذ سنين وأشار إلى متاعه. وقال أبو حكيمة من مرثية لأير ممّا لم يسبق إليه:

أيحسُدني إبليسُ داءين أصبَحا بـرأسـي وجـسْـمـي دُمّـلاً وزكـامَـا
فـلـيـتَـهـمـا كـانـا بـه وأزيـدُه زمـانَـةَ أيـرٍ لا يُـطـيـقُ قـيـامَـا
إذا انـتـبـهـتْ لـلـنّيك أزبابُ معشَر تـوسّـدَ إحْـدى خـصـيـتـيْه ونـامَـا

ومن قوله وهو أحسن ما قيل في ذلك:

يـنـامُ عـلـى كـفّ الـفـتـاة وتـارَةٍ لـه حـرَكـاتٌ مـا يـحِـسّ بـهـا الـكَـفُّ
كـمَـا يـرفَـعُ الـفـرخُ ابنَ يـومـيـن رأسَـه إلـى والـدَيْـه ثـمّ يـدرِكُـه الـضـعْـفُ

وله:

قـلّـمَـا تـهْـوى الـغَـوانـي حـلـمَ أيـرٍ ووقـارَه

وله:

كـأنّـه قـوسٌ نـدّافٍ بِـلا وتَـر

وله:

سـيـر يـلـفّ عـلـى دوّامـة الـرّيـقِ

وله:

رشـاءٌ عـلـى رأسِ الـركـيّـة مـلـتَـفُّ

وفي وصفه: قيل قناة معقفة وعروة على الإبريق مركّبة.

● ذمُ كثرة الجماع

قال جالينوس[1]: صاحب الجماع يقتبس من نار الحياة فليكثر منه أو يقلل. **وقال رجل لأرسطاطاليس:** أي وقت أجامع؟ **قال:** إذا شئت أن تضعف. **قال معاوية:** ما رأيت منهوماً بالجماع إلا تبيّنت ذلك في مشيته. **وقيل:** الضرير أنكح من البصير والخصيتان أصحّ

---

(١) جالينوس: (نحو ١٣١ ـ ٢٠١) طبيب يوناني اشتهر باكتشافاته في التشريح. أخذ عنه الأطباء العرب.

بصراً من الفحول. **وقال طبيب لرجل**: قد ذهب الجماع ببصرك. **فقال**: قد وهبت بصري لذكري.

● نوادرُ امرأةٍ غازلها رجلٌ فأخجلَتْهُ

قال رجل لامرأة: أريد أن أذوقك فأنظر أنتِ أطيب أم امرأتي؟ **فقالت**: سل زوجي فإنه ذاقني. وذاقها ونظر رجل إلى امرأة، **فقالت له**: يا سيدي تريد النيك؟ **قال**: نعم قالت اقعد حتى يجيء مولاي لعله ينيكك. **وقال رجل لامرأة**: أيري في إستك **فقالت**: هلاّ جعلته في يدي أضعه حيث شئت. **قال**: قد جعلته في يدك. **قالت**: قد وضعته في حِر أمك.

وراود النظّام جارية وتبعها، **فقالت**: إن لي صاحباً ينيكني ولي زوج لا يتركني عن عشرة ولي صديق أنا أعشقه، ولي حبة لا تفتر عن النساء فإن وجدت في حري فضلة فافعل.

وانعظ رجل فعرض أيره على بغيّ **فقالت**: يا رقيع إعرض هذا على من لم ير أيراً قط. وأما أنا فعندي من الأيور أكثر من التكبير يوم الأضحى.

وكان لرجل دبّة فقال لامرأة خذي هذه الدبة واسمحي لي بواحد **فقالت**: أخشى أن أرزق منك ولداً فيكون ابن قحبة بزيت.

ومن النوادر أن امرأة مرت بأبي العيناء فقالت أين درب الحلاوة؟ فقال: بين سراويلك.

● من حامشَ امرأةً باستدعاء نفع منها

كتب رجل إلى صديقته: إبعثي لي بعلك بين دينارين **فكتبت إليه**: قد سارعت إلى أمرك فتفضّل برد الطبق والمكبة. استعملت قول النبي ﷺ إستدروا الهدايا بردّ الظروف. **وقال رجل لامرأته**: أعطيني خاتمك الذهب أذكرك به، **فقالت**: هذا ذهب وأخاف أن تذهب، ولكن خذ عوداً فلعلك تعود.

● نوادرهنّ في كبر العجيزة[1] وصِغَرِهَا

قال الجاحظ: مررت بامرأة قائمة كبيرة العجيزة **فقلت** لبعض من معي: ما أعظم عجيزتها إذا لم تكن عليها عظمة[2]، فكشفت عن عجيزتها **وقالت**: أنظر إلى الحق ولا تكن من الممترين. ولبست امرأة ثيابها واتخذت عظمة لتري عجزها فرآها رجل فأعجبته فراودها فلما خلا بها وجدها كالعود فسألها، **فقالت**: ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربّي نسفاً.

---

(١) **العجيزة**: المؤخرة.

(٢) **العظمة**: شيء كالوسادة تعظم به المرأة عجيزتها.

● الكيرُ بيخ

جاءت امرأة إلى ربيعة الرأي فقالت: ما تقول في الكيربيخ[1]؟ **فقال:** اعزبي قبّحك الله. **فقالت:** بل أنت قبحك الله جئت أستشهد بك وأسترشدك فتردني بضلالتي **فقال:** عافاك الله كل شيء استنزلت به شهوة غير بعلك فحرام.

ومرت امرأة بمختث ومعها كير بيخ فقالت تأخذ درهمين والنية عليك؟ **قال:** نعم فأخذ درهمين ودخل خربة وقام على أربع وشدت المرأة ذلك على حقوها وجعلت تدخل فيه وتخرج فتطلع رجل من ورائهما وصاح واعجباه من امرأة تنيك رجلاً **فقال المخنث:** الرجال ينيكون النساء منذ خلقت الدنيا وأي عجب إن ناكت امرأة رجلاً يوماً.

● أنواعٌ مختلفةٌ في وصفِ الجمَاعِ

لدغت عقرب جارية في فرجها فقالت أمها واويلاه في أي وقت وأي موضع. وكان عراقي يهوى امرأة فجاء على حمار مع غلام وجاءت المرأة على أتان مع جاريتها فخلا بها والغلام بالجارية والحمار بالأتان، **فقال:** هذا يوم غابت عذاله.

سأل جعفر بن سليمان عن قول جرير:

لـو كـنـتُ أعـلَـمُ أنّ آخـرَ عـهـدِكـم   يـومَ الـرحـيـل فَـعَـلْـتُ مـا لَـمْ أفـعَـلِ

فقال فتى من الاعراب في آخر المجلس: أنا أعرف ما كان يفعل كان ينيكها فضحكوا **وقال:** أصبت. **وقيل:** من حسن تربية الرجل لولده أن ينيك دايته. وكان لرجل غلام أسود سندي فسافر وخلّف الغلام في أهله فأحبل امرأته فلما جاء الرجل خرج للقائه وجعل أحد الغلامين على عاتقه والآخر خلفه **فقال له:** ما هذا يا مبارك؟ **قال:** ابني. **قال:** أتزوجت؟ **قال:** لا ولكن ولدته من الست **فقال:** هذا عجب فقال السندي: وهذا الذي خلفي فوق العجب.

وقال إسحاق: أتت امرأة حبي المدنية تسألها المهراس وزوجها يواقعها فقالت إطلبي المهراس من ابني فمهراسنا مشغول في الهاون. وحُكِيَ أن ابن نوبخت كان له جارية وغلام فكان إذا خرج أخرج أحدهما معه خشية أن يجتمعا فلما أعياه الأمر زوج أحدهما بالآخر فكان يتعاطى معهما، **فقيل له في ذلك فقال:** لئن أكشحتهما أحب إليّ من أن يكشحاني.

---

(١) **الكيربيخ:** لفظة أعجمية وهي أداة تشبه ذكر الرجل.

(٥)
وَمِمَّا جاءَ في السَّحْقِ والمُسَاحقاتِ

●

● تفضيلُ السَّحْقِ على الجِمَاع

قالت امرأة لساحقة: ما في الدنيا أطيب من الموز قالت صدقت ولكنه ينفخ الجنبين تعني الحبل.

وقال الأصمعي: كنت في دار الرشيد فخرج على غفلة **فقال:** أين الأصمعي؟ فمثلت بين يديه. **فقال:** من الذي يقول ولا تستعملي المردى وما أوّله فقلت هذا شعر لبعض السحاقات بالبصرة وأوّله:

صـفِـي الـهـزّ عـلـى الـهَـن ... ولا تـسـتـعـمِـلـي الـمـردي[1]
فـذا أحْـلـى وذا أشْـهـى ... مـن الـقـائـمِ كـالـوتَـدِ

فضحك وأمر لي بألف دينار.

● تفضيلُ الجماعِ على السَّحْقِ

قيل لامرأة: ما تقولين في السحق؟ **قالت:** إنه التيمّم لا يجوز إلا عند عدم الماء. ونظر رجل إلى جارية على سطح تساحق[2] فرمى نفسه فوقها فقالت جاء الحق وزهق الباطل.

قال شاعر:

ألا يا ذواتَ السحْقِ في الغرْب والشرْقِ ... أفقْنَ فإن النَّيْك أحْلى من السحْقِ
أفقْن فإن الخبْز بالآدم يشْتهى ... وليْس يسوغُ الخبزُ بالخبز في الحلقِ
أراكنّ ترقَعْنَ الخروقَ بمِثْلها ... وأيّ لبيبٍ يرقّع الخرقَ بالخرقِ
وهل يُصلح المنْخار إلا بعُوده ... إذا احتاجَ فيه ذاتَ يوم إلى الدّقِ

وقال:

أما واللّـهِ لو ناجَاك أيْري ... قبيلَ الصبْح في ظلْماء بيْتِ
إذاً لعلمْتُ أن السحْق زورٌ ... وأن العيْش في ركض الكُمَيْتِ

وذكر السحق لامرأة **فقالت:** أير أبخر خير من حر مبخر.

● نوادرُ في السحقِ

قيل لأبي فرعون: امرأتك تساحق فقال إنها والله تحسن. قيل ولِمَ؟ قال لأنه أنقح لشعرتها وأنقى لصحن فرجها وأحرى إذا ورد عليها الأير أن تعرف فضله. ودخل رجل على

---

(١) **المردي: هي في الأصل خشبة تدفع بها السفينة، والمردي هنا من باب المجاز أو الاستعارة.**
(٢) **تساحق: تمارس السحق.**

جاريته وهي تساحق وحرها رطب فقال ما هذا قالت ذكرك حرى قبيل ما دخلت فبكى.

- **المعروفاتُ بالسَحْقِ**

أول من سنت السحق ابنة الحسن هويت امرأة النعمان بن المنذر، وكانت قد وفدت عليها فأنزلتها عندها، وشغفت بها. فلم تزل تزين لها ذلك وقالت في إجتماعنا أمن من الفضحية وإدراك للشهوة. فاجتمعتا وبلغ من شغف كل واحدة بالأخرى أنه لما ماتت ابنة الحسن اعتكفت هند امرأة النعمان على قبرها واتخذت الدير المعروف بهند في طريق الكوفة وفيها يقول الفرزدق:

وفـيـتَ بـعَـهْـدٍ كـانَ مـنـك تـكـرمـاً   كمَا لابنةِ الحسَن اليماني وفتْ هِنْدُ

- **سنن السحاقات**

عادتهنّ أن لا يتناولن ما فيه مشابهة من هزّ الرجال فلا يأكلن القثاء والجزر والباذنجان لأجل ذنبه، ولا الفالوذج لأنه يتخذ للوالدات منهن، ولا يشربن في الكاس لطوله، ولا يشربن من القناني لعنقها ولا من الأباريق، ولا يتناولن المراوح لذنبها، ولا يقعدن في مجلس فيه ناي ولا طنبور لعنقه، ولا يأكلن العصب ولا المبعر المحشي. والكبار منهن لا يصلّين لأجل الركوع ولا يتخذن الديوك ولا الحمام لسفاده ولا يكتحلن لدخول الميل.

(٦)

وممّا جاء في الضِرَاط والفَسْوِ

- **الحثُ على إرسالِه**

زعمت الهند أن حبس الضراط داء دويّ وأن إرساله منج وأنه العلاج الأكبر. وكانوا في يوم اجتماعاتهم ومحافلهم لا يحبسون ضرطة ولا يسرّون فسوة ولا يرون ذلك عيباً ولا ضحكة.

قال شاعر

الـريـحُ فـي الـجـوْف لـيْـس عِـنْـدي   لـــهُ دواءٌ ســـوى الـــضـــراطِ

- **وصفهُ بالشؤم**

رُوي عن بعض الكبار أن الضراط شؤم وكل قوم وقع بينهم الضراط تفرّقوا، قال شاعر:

لـيْـس الـتـظـارُف بـالـتّـضـا   رُط يـا سـعـيـد مـن الـفـتـوّةِ
وإذا تــضـــارَط مــعــشَــرٌ   هــدَمُــوا بــضَــرْطِـهــم الــمــروَة

وقيل لضرّاط: الضراط شؤم. **قال**: هو جدير أن أخرجه من بطني. **وقيل لآخر** إنه يوقع التفرق فقال لو كان حقاً لما آثر أهل السجن شيئاً عليه. **وقيل لماجن**: الضراط إثم فقال إن كان الضراط إثماً فالخراء كفر.

● **الحاذقُ بالضراطِ المتكسِّبُ بهِ**

جاء رجل إلى المعتصم **فقال**: ما بلغ من ضراطك؟ قال اضرط ضرطة فافتق نفق السراويل فقال إن فعلت فلك مائة دينار وإن عجزت فمائة سوط ففعل وأخذ المال. وكان رجل يصفق الباب بضرطة وكان سعيد بن حميد يضرط على إيقاع العيدان.

مـن يُـضَـارِطُـنـي يـضـارِطُ مـوسِـراً   يـخـرجَ الـضـرطـة كـالـرّعْـد الـقَـصـفِ

وقيل: فلان أضرط من عنز ومن عير ومن غول.

● **حَبْسُ الضِرَاط وقرقرةُ البَطْنِ**

ضرب يزيد بن المهلب نميرياً فقال: والله لأضربنه حتى يضرط. فقيل له **فقال**: والله لا يرى ذلك أبداً وأنه كما قال الأعشى:

كـتـومُ الـرُّغـاء إذا هَـجَّـرَتْ   وكـانـت بـقـيـةَ قـوم كُـتُـمْ[1]

وعكسه، **قال رجل لمخنّث**: لأضربنك حتى تخرأ فمن أوّل سوطٍ لطخ البساط **وقال**: ألست تطلب الخراء خذه وخلّصني. **وقال رجل لطبيب**: في بطني معممة وقرقرة، فقال أما المعممة فلا أعرفها، وأما القرقرة فضراط لم ينضج.

قال ابن مناذر:

بـطـنـك يـا عـبـدي قـد قـرقـرا   إن صـدقَ الـوغـدُ مـطَـرْنـا خـرا

● **عُذْرُ مَنْ خَرَجَ منه رِيحٌ من الكبار وقلّةُ مبالاتِه**

قال النبي ﷺ: العين وكاء[2] الاست فإذا نامت العين استطلق الوكاء وكان أبو عبيد يحدث بهذا الحديث ويروى أن عمر رضي الله تعالى عنه كان يخطب فقال أيها الناس إن ميزت بين أن أخاف الله وأخافكم فرأيت خوف الله أولى الأواني قد خرجت مني ضرطة وها أنا أتوضأ وأعود وضرط الحجاج على المنبر فقال ألا أن كل جوف ضروط واستدعى بالماء فتوضأ وكان بالأهواز عامل به صمم فاجتمع إليه أهل عمله وهو يضرط فكتب إليه كاتبه إنك تضرط ولا تشعر فوقع له إننا استكفيناك أمر كتابتك ولم نجعلك محصياً علينا فتغافل كما تغافل القوم والسلام. غنت مغنية فضرطت فأنشدت:

ضرطْتُ فما أبدعْتُ في النّاس بدْعَةً   ولـمْ آتِ أمْـراً مـنـكَـراً فـأتـوبُ
إذا كـانـتِ الإسـتـاه تـضـرطُ كـلّـهـا   فـلـيْـس عـلـيّ فـي الـضـرْط رقـيـبُ

---

(١) **كتوم الرغاء**: أي لا ترغو حين تمتطى، وهذا من باب الكناية عن الأدب، وفي رواية: الذود في موضع القوم، والذود من الإبل بين الثلاثة إلى العشرة.

(٢) **الوكاء**: رباط القربة.

قال الكميت:

أيا عجباً للناس يستشرفونني ... كأنْ لم يروا قبْلي ضَروطاً ولا بعْدي

وضرط أبو الأسود عند معاوية **فقال:** أكتمها عليّ يا أمير المؤمنين. **قال:** لك ذلك. فلما اجتمع عنده ناس **قال أعلمتم:** أن أبا الأسود ضرط آنفاً فقال أبو الأسود إن من لم يؤتمن على ضرطة لحريٌ أن لا يؤتمن على أمر الأمة.

● نَوادِرُ مَنْ خَرَجَتْ منه ضَرْطَةٌ في مَحْفَلٍ

صلّى الدلال المخنّث في جماعة فضرط في الصلاة فرفع رأسه **وقال:** سبح لك أعلاي وأسفلي فضحك كل من في المسجد.

وقال العتّابي كنت أمر في طريق فتقدمتني امرأة فاستعجلتها فضرطت، **فقلت:** سبحان الله. **فقالت:** سبحت في غلّ وقيدين يا بغيض يا بارد لماذا تسبّح قطعت عليك الطريق شتمت لك عرضاً امض لا مصحوباً ولا محفوظاً فما زالت تقول حتى خجلت كأني ضرطت.

وقال أبو نواس مرّت امرأة في طريق فضرطت، **فقلت:** أتبيعين هذا الحمام الراعبي؟ قالت: لا، ولكن إذا فرّخ أطعمناك من فراخه. وحضر التنوخي نادياً فقام وحبق حبقة فضحك القوم فأنشأ:

إذا نامتَ العينان من متيقّظ ... تراخَت بلا شك مشاريخُ فقْحَتِهِ

فمَن كان ذا عقْل تناسى ضراطَه ... ومن كان ذا جهْل ففي وسط لحْيَتِهِ

وكان رجل يقدر بناة **فقال:** يبني ههنا كذا، ويبني ههنا كذا ثم وقف في مكان فضرط، **فقال:** مهما شككت فلا أشك أن هذا موضع كنيف، ثم صور صورته.

وورد بعض أهل أصبهان على خليفة يشكو إليه آفة السنة وانقطاع الغلة فضرط في أثناء الكلام. **فقال:** وهذا أيضاً من آفات السنة فوالله يا أمير المؤمنين ما تعوّدته إلا في موضعه.

وكان أعرابي يكلّم رئيساً فضرط فالتفت إليها فقال: خلف نطق خلفاً، ألم أقل لك إذا رأيت إنساناً يتكلم فاسكتي؟

وضرط شيخ في مجلس **فقال:** وإن من شيء إلا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم. ولما وقع مسيلمة على سجاح ضرط فقال ما هذا؟ **قالت:** هذا من ثقل الوحي.

● مَنْ عَذَر ضارطاً وسَكَنَ منه

كلّمت امرأةُ هشامَ بن عبد الملك في حاجة فضرطت فسكتت وخجلت، **فقال:** تكلّمي ولا تستحي فما سمعت هذا من أحد أكثر مما سمعته مني. وكان لمطيع بن إياس جليس فضرط فغاب أياماً خجلاً فكتب إليه:

أمن قلوصٍ تمدّت أظهَرت مقْلية ... وغبْتَ عنّا زماناً لسْت تغْشانا

خفّضْ عليْك فمَا في النّاس ذوابلٌ إلا وأينُقه يشرُدْن أحيانَا

وحضر بعض الفقهاء مجلس الصاحب فضرط فاشتد خجله فقال الصاحب:

قلْ لابنِ دو شاب لا تخرج على خجل من ضرطة أشبهَت نايًا على عُودِ
فإنّها الريحُ لا تستطيعُ تحبَسُها إذ أنت لسْت سليمانَ بن داودِ

وله:

أبا الحَسَن الخضَيري اغتفرْنا ضراطَك ما على إستك من جَناحِ
فلا تذهَبْ على خجلٍ وعاوِدْ فبعضُ القَولِ يذهَب في الرياحِ

وكان أزاد مرّ عند الحجاج يشكو إليه فساد غلّته فبدرت منه ريح، فخجل وأراد الحجّاج أن يبسطه فقال: قد وضعت عنك الخراج فهل من حاجة أخرى؟ قال: نعم والتفت فرأى أعرابياً يقدمه الحجاج للقتل فقال: تهبني هذا الأعرابي قال: قد وهبته لك خذه فخرج الأعرابي وجعل يقبّل إسته ويقول بأبي إستك التي تحطّ الخراج وتخلص الأسرى من القتل.

وضرط حمدون بن إسماعيل بين يدي المتوكل فاستحيا وقال: ضرطت. فقال المتوكل: ما سمعت.

● **أعذارُ ضاحِكٍ من ضارِطٍ**

كان ابن الرومي في مجلس فضرط بعض الحاضرين فضحك فغضب الضارط وشتمه فأنشد:

بليتَ بفلْتةٍ فضحكتُ فلْتَه فلا تغضَب كلا الأمريْن بغتَهْ
ولي فضْلٌ عليك لأنّ فعْلي بغيْر أذىً عليك فَلِم كرهتَهُ
أتسمِعُني الأذى وتسيمنيه وتجشّمني رضًا ما قد فعَلْتَه
وتغضَبُ إنْ ضحِكْتَ بغَيْرِ عَمْدٍ ولَمْ تسمَع أذايَ ولا سمِعْتَه

● **المعيّر بضرطةٍ بَدَرَتْ منه**

تعير عبد القيس بذلك. وذلك أن رجلاً من أيار خرجت منه ريح فعير بذلك فقام بسوق عكاظ وقال: من يشتري عار الفسو ببردي حبرة فقام عبقسي فقال: أنا، فقال له: قومه جئتنا بعار الدهر. وحضر جنيد بن عبد الله عند مسلمة فزحف إلى المائدة فضرط، فقال: كل جوف أضرط، فقال مسلمة: أنك عودته في الخلا ففضحك في الملا. وروي ذلك عن أمير المؤمنين رضي الله عنه.

وتزوج قطني امرأة فضرط عندها يوماً وهو يشرب فتمثل بقول الشاعر:

إنْ كنتُ ساقيةً يوماً على ظمَأ صفو المدامَة فاسْقيها بني قطنِ

فقالت وهذه إسقيها بني قطن، فخجل وطلّقها. ودخل أعرابي على المساور الضبّي وهو في عمله بالريّ فسأله وألحّ عليه فسعل المساور فضرط، فجذب سفطه وقال لكاتبه

غلطنا في الحساب فقال الأعرابي:

أتيت المساورَ في حاجة ... فما زالَ يسعُلِ حتّى ضرَط
وحكّ قفَاه بكرسوعِه ... ومسح عثنونَه وامتخِط
وقال غلطنا حسابَ الخراج ... فقلْت من الضرطِ جاء الغلط
وأمسكتُ عنْ حاجتي رهبَةً ... لأخرى تقطَعُ شرْج السفَط[1]

وقال:

وما في الضرط للإستاه ذنْبٌ ... إذا كانَتْ توسّعُ بالأيورِ

وقال آخر:

دخلت وهبا في حشَاه قد كمَن ... وهب وهو صاحبُ البَريد

وكان في مجلس الوزير عبيد الله بن خاقان، فضرط فأكثر الشعراء القول فيها وكان راكب يسير وبين يديه جمل عليه كمثري **فقال** رجل إستقبله إن الكمثرى تهيج الريح ومدّ يده ليأخذ واحدة فضرط فقال ما رأيت شجرة أثمرت قبل أن تغرس غيرها.

ودفع الفتح بن العميد إلى ابن حجّاج قول الشاعر:

ولما التقينا لجلجت في حديثِها ... ومن آية الحبّ الحديثُ الملجْلَجُ

فقال:

ولما التقيْنا لجلجَتْ في ضراطِها ... ومن آية السرم الضّراط الملجْلَجُ
ألا أيّها الأستاذُ دعوة شاعرٍ ... طريقته في السخف لا تتبهرَجُ

● **التعريضُ بمَنْ خرجت منه ضرطةٌ فقدّر أنها لم تسمع**

اضطجع رجل في مجلس فيه مزيد فضرط فضحكوا، وثنى، **فقال مزيد:** نبّهوه قبل أن يأتي بطامة فنبه، **فقال:** كنت في أطيب نومة رأيت كأني صدت ديكين ألعب بهما، **فقال مزيد:** صدقت قد زقيا وسمعنا.

ودخل بعض الكتاب حماماً بأصبهان وقدر أن ليس فيها أحد، فضرط ضرطة صيّاحة، وقال ما أطيب الضراط في الحمّام، وكان ثمّ المعروف بابن الهذرة فسعل بعد ضراطه بساعة **فقال:** إذا خرجت فالقني قبل كل أحد فدخل عليه، فكتب له رقعة بخمسة أقفزة حنطة. **وقال:** خذها من الوكيل ودع إفشاء ما سمعت. فقال فديتك ليس ذلك ضراط خمسة أقفزة حنطة زدني **فقال:** أخزاك الله فقد صار ذلك نادرة.

● **لغزٌ فيها:**

ومولدةٍ لم تدْرِ ما الطمْثُ أمّها ... وليْس لها زوجٌ ولا تتحرّكُ

---

(١) **السفط:** وعاء كالقفة.

يقهقهُ منها القومُ من غيرِ رؤيةٍ ووالدُها من عارِها ليس يضحكُ

وقال ابن الرومي:

ما هنةً عمّمت بني آدم يُعيِّر الناسُ بها الناسا
يعتمد العامِدُ إتيانَها فلا يرى الناس لها باسا
حتى إذا جاء بها فلتةً نكّس من سوءَتها الرّاسا

● **الضِراطُ على الغيرِ على سبيل التهكّمِ**

قال الصاحب:

قلْ لابن حمزةَ يمْسَح بكَفِّه عارضَيْه
فقد قرأت بجدر والمرسلاتُ عليْه

وقال:

وضرطةٍ مرعدةٍ مبرِقه يحمِلُها سُرْمٌ إلى عنفقه[1]
مسحتها الشيخ أبا جعفر وبعدَها من سلحتي ملعَقه

وقال:

ولحيةٍ طويلةٍ عريضَه الضرطُ في أمثالِها فريضَه

● **الفساء**

دخل أعرابي الحمام بالبصرة وكان يفسو فأنكر القيم عليه فقال: الحلقة لي والريح لله يرسلها: فدع عنك إن للإست نمّة وللأنف شمّة. وليس كل ما تلقاه حبيباً ولا كل ما تشمّه طيباً.

وقيل: هو أفسى من الظربان وذلك أنه يفرق بين الإبل بفسوه ويأتي حجر الضبّ فيفسو عليه فيأكله ويقولون هو أفسى من الخنفساء.

ولبعضهم:

ولي صاحِبٌ أفسى البريّة كلِّها يشكّكني فوهُ إذا ما تنفّسا
تحولَتِ الأنفاسُ منه إلى إستهِ فما أحدٌ يدري تنفّس أمْ فَسَا

وقال:

لله درّ عصابةٍ نادمتهم من كلِّ خرق في بيوتِ بلالِ
باتُوا موترة على قسيّهم يرمونَني رشقاً بغيْر نبالَ
يرمون نبلاً من رياح بِطونِهم هطلَت مقاتلةً لغَيْر قتالِ

---

(١) السّرم: طرف المعي والدبر ـ العنفقه: شعيرات بين الشفة السفلى والذّقن.

سئل أبو حفص الورّاق في بعض مداعباته ما بال الفسو لا يبقى والطيب يعلق ويبقى؟ **فقال**: إن للباطل جولة ثم يضمحلّ، وللّحق دولة لا ينخفض ولا يذل. **وقال** بعض القصاص: أشكروا الله. **فقيل**: شكر الله على ماذا؟ فقال تفسون فتذهب عنكم رائحته وتبخّرون فتعلق بكم فائحته. أليس هذه نعمة من الله صافية؟

● **التخرّي على سبيل التلاعب**

تقايأ رجل على أبي الصلت قال: ويحك ما هذا؟ قال: جاشت نفسي **فقام وخرأ عليه فقال ما هذا قال جاشت إستي. عبد الصمد بن بابك.**

ولـحـيـة لـلـمـخـتـلـي خـبّـأتُـهـا فـي أسـفـلـي
حـتّـى إذا مـا اخـتَـضَـبَـت قـلـت لـهـا تـسـنـطّـلـي

وقال الشاعر:

لـو تـمـنـيـت أن أبـلـغ حـالاً لـتـمـنـيْـتُ سـلـحَـةً في سِـبـالـك

وروي في مداعبات لأبي الفضل بن العميد وكان عنده بعض من يخلع العذار في مداعبته فتناول طاقة شعر من لحيته، **وقال**: خذها يا فلان ودسّها في إستك حتى إذا قلت لحيتك في إستي كنت صادقاً. ويقرب منه لزيتور بن أبي حماد.

كـتـبـت عـلـى حـر أم أبـي نـواس أبـا جـاد وهـوّاز وحـطّـي
وصـيّـرت الـخـتـامَ عـلـيـه أيـري فـإن هـم غـيّـروه عـرفـت خـطّـيّ

الحدّ السابع عشر

في خَلْقِ الإنسان

•

(١)
الخلقةُ المستحسنة عند العرب

•

قيل لأعرابي: ما الجمال؟ **قال**: ضخم الهامة وطول القامة ورحب الشدق وبعد الصوت. وممّا دل على حمد عظم الرأس ما قال جالينوس: إن الصغير الرأس لا عقل له. وسئل آخر **فقال**: غور العينين وإشراق الحاجبين ورحب الشدقين.

وقال:

وصلعُ الرؤوسِ عظامُ البطون ... رحابُ الشداق طوالُ القَصَر[١]

وقالت امرأة خالد: له إنك لجميل. **فقال**: كيف تقولين ذلك وما فيّ عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه. إن عموده الطول ورداؤه البياض وبرنسه سواد الشعر وأنا قصير أسود أشمط، ولكن قولي إنك مليح.

• الخلقةُ الدالةُ على النجابة أو غيرها

دخل أعرابي على محمد بن سليمان **فقال**: أكان لك ولد؟ **قال**: نعم المخش **قال**: وما المخش؟ **قال**: خرطمانيا أشدق إذا تكلم سال لعابه، ينظر بمثل فلسين كأن صدره كِركِرة[٢] بعير وكأنّ ترقوته خالفة، فقأ الله عيني إن رأيت قبله أو بعده مثله **وقال رجل لسنان بن سلمة**: ما أنت بأرسخ[٣] فتكون فارساً، ولا بعظيم الرأس فتكون سيداً.

قال شاعر:

تقلب رأساً لم يكُنْ رأسَ سيّدٍ ... وكفًا ككفّ الضّبّ أو هي أحقَرُ

وقال الزبرقان: أبغض صبياننا الأقيعس[٤] الذكر الذي كأنما يطلع في حجر، وإذا

---

(١) **القصَر**: جمع قَصَرة وهي أصل العنق إذا غلظت.

(٢) **الكركرة**: صدر كل ذي خفّ من البهائم. (٣) **الأرسخ**: الثابت المتمكّن.

(٤) **الأقيعس**: ضد الأحدب، وهو الخارج الصدر والداخل البطن.

سأله القوم: أين أبوك؟ هرّ في وجوههم. وأحب صبياننا الطويل الغزلة أي جلدة الذكر السبط الغرّة العريض الورك، الأبله الغفول الذي يطيع عمّه ويعصي أمه. إن سأله القوم أين أبوك؟ قال: معكم.

● **الموصوفُ بحسنِ الوجهِ وإشراقِهِ**

فلان كأنه شهاب في ظلمة الليل ساطع وكوكب في أفق السماء لامع، **قال ابن عبدل الأسدي:**

وكـأنـمـا نـظـرُوا إلـى قـمَـرٍ أو حـيـث عـلّـقَ قـوسَـه زُحَـلُ

وقال ابن العنقاء:

كـأن الـثـريّـا عـلّـقَـتْ فـوْقَ نـحْـره وفي أنفِه الشعرى وفي وجْهه القَمَرُ

وقال أوس بن حجر:

يُجرّد في السِّرْبالِ أبيضَ صارماً مبيناً لعينِ النّاظرِ المتوسّمِ[1]

وقال آخر:

تـراهُ كـالـبَـدر جـلّـى لـيـلـةَ الظُّـلَـمِ

وقال ابن الرومي:

كأنه الشمسُ إذ وافى المُنيفَ بها على البريّة لا نارٌ على علَمِ

● **الموصوفُ بالقبح**

يقال: أقبح من القبيحة في عين ضرّتها، **كما يقال:** أحسن من الحسناء في عين أمها، وأقبح من زوال النعمى وفوت المنى وطلعة الردى وأسمج من واو عمرو.

قال شاعر:

ووجـهُـك مـن وجـهٍ يـومِ الـفـرا قِ فـي مـقـلَـتَـيْ عـاشـقٍ، أقـبـحُ

لما سمع بشّار قول حمّاد عجرد فيه:

شـبـيـهُ الـوجْـه بـالـقـرْدِ إذا مـا عَـمِـيَ الـقِـرْدُ

بكى وقال: ألَمْ يكفِهِ تشبيهي بالقرد حتى جعله أعمى. هو يراني فيصفني ولست أراه فأصفه، **وقال المتنبي:**

وإذا أشـارَ مـحـدّثـاً فـكـأنّـه قِـرْدٌ يُـقَـهْـقِـهُ أو عَـجُـوزٌ تـلـطِـمُ

وقيل: أقبح من العزالى[2] ومن زوال النعمة، ومن الحدثان ومن سنة بلا نيل. ووقع

---

(١) **قوله:** تجرّد في السربال أبيض صارماً، عبارة عن مثل معناه أنّه متجرّد للأمور **وقوله:** أبيض أي نقي العرض من الدنس.

(٢) **العزالى:** جمع عزلاء، وهي الإست، السافلة.

بين الأعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل عليها **وقال**: إن أبا محمد شيخنا وفقيهنا فلا يزهدنّك فيه عمش عينيه وحموشة[1] ساقيه وضعف ركبتيه، وقزل[2] رجليه ونتن إبطيه وبخر[3] شدقيه. **فقال الأعمش**: قم عنا قبّحك الله فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه وتبصره.

قال ابن الرومي:

يـفـزَعُ الـصـبـيَـةُ الـصّـغـارُ بـهِ إذا بـكَـى بـعـضُـهـم فـلـمْ يـنَـم

يقال: هو قراعة في قراح، وخراة في مستراح، وجيء بعيّار إلى بعض الكبار فقال لغلامه: الطم حر وجهه **فقال**: يا سيدي ليس لوجهه حر لأنه كان قبيحاً.

قال آخر:

وجـهٌ قـبـيـحٌ حـامِـض لـو عـضّـه الـكـلـب ضَـرَس

● المعرّضُ بقبيحِ غيرِهِ

رأى خالد بن صفوان الفرزدق **فقال**: يا أبا فراس ما أنت بالذي لما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن؟ **فقال له**: ولا أنت بالذي قالت الفتاة لأبيها يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين.

أخذ رجل من لحية آخر شيئاً فلم يدع له فغضب **فقال**: لا تغضب فما منعني أن أقول صرف الله عنك السوء إلا خوفاً أن يصرف عنك وجهك فإن السوء كلّه فيه.

وقيل لرجل كيف رأيت فلاناً؟ **فقال**: لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً. **وقال رجل للفرزدق**: ما أقبح وجهك كأنما خلق من أحراح[4] فقال أنظر هل ترى حِر أمك فيها.

ونظر رجل قبيح وجهه في المرآة **فقال**: الحمد لله الذي أحسن خلقي، **فقال مخنث**: أم من يبهت ربه زانية.

وقال ابن مكرم لأبي العيناء يا قرد **فقال**: وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه.

● القبيحُ المتغازلُ

قال إسماعيل القراطيسي:

جـاريـةٌ أعـجـبَـهـا حـسـنُـهـا ومـثـلُـهـا فـي الـنّـاس لـم يـخْـلـقِ
قـلْـتُ لـهـا إنّـي مـحـبٌّ لـهـا فـأقـبـلَـتْ تـضْـحَـكُ مـن مـنْـطِـقـي

---

(١) **الحموشة في الساق**: دقّة الساق.
(٢) **القزل**: أقبح العرج.
(٣) **البخر**: رائحة الفم الكريهة.
(٤) **الإحراح**: جمع حِر وهو الفرج.

فالتفتتْ نحو فتاةٍ لها ... كأنها الربربُ في القُرطقِ
قالتْ لها قُولي لهذا الفتى ... أنظُرْ إلى وجهِك ثم اعشقِ

وقال ابن الرومي:

أقبحْ بوجهِ أبي حفص وعقته ... هذان أمران لا والله ما اجتمعا

وقال:

تيس تنفقَ بالدّلال ليشتهى ... فازدادَ مَقتاً بالدّلال وما نَفَقْ
فكأنّه من يُبسه وسوادِه ... محراكُ تنّور تلوّى فاحترَقْ

وقيل: للحظوة أين تذهبين؟ قالت: أفارق القباح.

● **المستقبحُ وجهَ نفسِهِ**

نظر أبو شراعة في المرآة وكان قبيحاً **فقال**: الحمدُ لله الذي لا يحمد على المكروه سواه، ونظر بعضهم في المرآة وكان جدر فبدل خلقه، **فقال**: الحمد لله الذي خلقني فأحسن خلقي، ثم بدا له فشوّهني فأخذه سعيد بن نوقة **فقال**:

قد كانَ ربّي سوى خلقه فطغَى ... فأحسنَ الله في تشويهِ خلقتِه

قال الحطيئة:

أرى لي وجْهاً قبّح الله خلقَه ... فقبّحَ مَن وجه وقبّح حامِلُه

● **المعتذرُ بقبحِهِ**

قيل لحكيم: ما أقبح صورتك، **فقال**: ليس حسنك إليك فتحمد عليه ولا قبحي إليّ فأعاتب عليه، إنما ذلك صنع الباري تعالى من ذمه كفر.

● **ذمُّ المجدورِ**(١)

قال شاعر:

ووجهه بخَرُ الذبّان منقوشُ

ويقال كأنّما ينظر من كرش. **قال أبو جعفر**: كنت أدور مع الصاحب فنظر إلى باب قلعت مساميره فقال:

وجهُ أبي جعفر تصاويرُه ... كالبَاب إذ قلعَت مساميرُه

قال ابن طباطبا:

لنا صديقٌ نفسُهُ ... في مقته منهَمِكَه(٢)
ذو جُدَري وصفُه ... يحكيه جلْدُ السمَكَه

وهي أبيات كثيرة ذات أوصاف.

---

(١) **المجدور**: الذي أصيب بالجدري فتشوّه وجهه. (٢) **المقت**: الكراهية.

● **الموصوفُ بِحُسْنِ الأنفِ**

وصف رجل قوماً بالشمم فقال ترد أنوفهم الماء قبل شفاههم، **قال شاعر**:

شـمّ الأنـوفِ مـن الـطّـراز الأولِ

● **الأنفُ القبيحُ**

خطب رجل قبيحُ الأنف امرأةً **فقال**: عندي احتمالٌ للمكروه ووفاء عظيم. **فقالت**: ما أشك في احتمالك للمكروه لأنك تحمل هذا الأنف أربعين سنة. كأن أنفه كنيف مملوء شسوعاً[١]

قال بعض المحدثين:

سودُ الوجوه لئيمة أحسابُهم ضخمُ الأنوفِ من الطّراز الآخَرِ

هذا معارض لقوله:

بيضُ الوجوه كريمَة أحسابُهم شمُّ الأنوف من الطّرازِ الأوّلِ

● **الممدوحُ بطول القامة**

قال شاعر:

كأن زرور القبطريّة علقّت علائقُها منه بجزعٍ مقوّمِ[٢]

قال أبو نواس:

أشمّ طويلُ الساعدَين كأنما يُناط نجاداً سيفُه بلواءِ[٣]

وقال آخر:

يمدّ ركابَيْهِ من الطّول ماتِح[٤]

قال عمرو الباهلي:

يطولُ على الرمْح المدينيّ قامةً ويقصُر عنه باعُ كلّ نجادِ

وفد على معاوية رضي الله عنه وفد الروم وفيهم رجل لم يرَ أتمّ خلقاً منه وكتب ملك الروم مما فضل به الروم على العرب هذه الجسوم، فأحضر له قيس بن عبادة فرمى إليه سراويله فكانت إلى خلف الرومي فليم على نزع سراويله فقال:

أردت لكيْمَا أعلمُ القوم أنّها سراويلُ قيسٍ والوفودُ شهودُ

---

(١) **الشسوع**: جمع شسع وهو زمام للنّعل.

(٢) **زرور**: جمع زرّ ـ **القبطرية**: ضرب من الثياب ـ **علائقها**: وفي رواية بنادكها.

(٣) **النجاد**: حمائل السيف.

(٤) **الركاب**: ما يعلق في السرج ليجعل الراكب فيه رجليه ـ **الماتح**: الطويل.

وأنْ لا يقول غابَ قيسٌ فهذه ... سراويلُ عادٍ قد نمَتْه ثمودُ

● **المذمومُ بالطول**

هو ظلّ الرمح وظلّ النعامة وظلّ الشيطان للمنكر الضخم، وأطول من السكاك أي الهوى.

قال ابن الرومي:

من رأيتُم بعْد طالو ... ت له عِلْمٌ وجِسْمُ

وقد مدح الله تعالى طالوت بقوله: وزاده بسطة في العلم والجسم.

● **نوادرُ في القِصَر**

وقف رجل طويل على بائع رمّان فقال له: رمّانك صغير، فقال له: اقعد وانظر، فلو نظرت من ههنا إلى بطيخة لم ترها إلا عفصة[1] كان قصّار يعمل كل يوم على نهر ويرى كركيّاً يأخذ الدود فيأكله. فرأى الكركيّ صقراً قد انحط على حمامة فأخذها بمخالبه، فقال الكركيّ: أنا أعظم جسماً منه فمالي رضيت بأكل القاذورات فرأى حماماً فانقض عليه فوقع في الماء ونشب في الوحل فأخذه القصار فكان يقول: لمن يسأله عنه هذا كركي تصقّر[2] فتصفّر.

● **المذمومُ بالقِصرِ**

أقصر من إبهام القطاة ومن فتر الضبّ ومن إبهامه ومن إبهام الحباري. قال شاعر:

رأيتُ خَليلي من تقارب شخصه ... يعضّ القرادَ بإستِه وهو قائمُ[3]

قال الناجم:

ألا يا بيسدقَ الشطر ... نج في القيمَة والقامَه

لقد صغرَ منك الـ ... ـكلّ غير الدبْر والهامَه

وقال:

أقصرُ من يأجوجٍ في قدّه ... وقرنُه أطولُ من عوجِ[4]

قال عباس المصيصي:

يقطَعُ دوّاجاً له سابغاً ... وربقة من ورقِ التوتِ[5]

---

(١) **العفصة**: شجرة من نوع البلوّط. (٢) **تصقّر**: أراد أن يصيد كالصقر.

(٣) **القُراد**: دويبة كالقمل تتعلق بالبعير.

(٤) **يأجوج ومأجوج**: شعب استنجد بالإسكندر، فبنى الإسكندر السدّ الذي يعرف اليوم باسم سور الصين الكبير.

(٥) **الدوّاج**: ضرب من الثياب، وقيل الكلمة غير عربية ـ **الربقة**: نسج من الصوف، والربقة الحبل أو الحلقة لشد الغنم الصغار.

وقال:

كأنه البرغوثُ لم يخطه   في صغر الجثمان والقرْصِ

ويوصف القصير بالمكر والخبث قيل: إن كسرى جلس للمظالم فتقدم إليه رجل قصير فأخذ يصبي أنا مظلوم وهو لا يلتفت إليه فقال: الموبذان أنصفة فقال: إن القصير لا يظلمه أحد. فقال الرجل: إن الذي ظلمني هو أقصر مني فضحك وأشكاه.

وقيل: إن سقراط قال لا تجوز شهادة الأحدب والقصير وإن تزكيا لخبثهما فقيل: ولِمَ خبثا؟ فقال: لقرب دماغيهما من فؤاديهما كان يوسف بن عمر عامل هشام على العراق قصيراً وكان إذا خاط الخياط له ثوباً فقال له: تحتاج إلى خرقة لأن تفصيل الأمير طويل يعطيه ما يريد وإذا قال يكفيك أو يفضل يضربه ويشتمه.

● **المعتذرُ للقصر**

قال المهلّب لرجل: ما أصغرك وأقلك. فقال: إن كثر عقلي فما تضرني قلّتي. وإن طال زهدي. فما يعيبني قصري. ولما استحضر النعمان ضمرة بن ضمرة قال: إن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه فقال: كل الرجال ليسوا بجزر إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه إن نطلق نطق ببيان وإن قاتل قاتل بجَنان[1]:

وما عظمُ الرجالِ لهم بفَخْر   ولكن فخرُهم كرمٌ وخيرُ

● **الممدوحُ بالخفةِ والمعتذر للنحافةِ**

قال العجيل السلولي:

فتىً قد قدَّ السيفَ لا متضائلٌ   ولا رهل لبّاته ومباذله[2]

قال الأشجعي:

وإني على ما تزدري من نحافتي   تزيد موازيني على الرجل الضَّخْمِ

قال آخر:

بدن ناحِلٌ وعزمٌ جسيمُ

قال حاتم:

تراني كأشلاءِ اللجامِ ولا ترَى   أخا الحرب إلا ساهمَ الوجهِ أغْبرا

قال ابن نباتة:

إن كان يؤتي فؤادٌ من نحافَتهِ   فإنّ قلبي لا يؤتى من الخَوَرِ[3]

---

(١) الجنان: القلب.

(٢) قدّ السيف: قطعه ـ اللبّات: جمع لبّة وهي موضع القلادة من الصدر ـ المباذل: جمع مبذلة وهي الثوب.

(٣) الخور: الضعف.

قال آخر:

لا تجزعنّ من الهُزال فطالما ... ذُبِحَ السمين وعُوفيَ المهزولُ

وقيل لأعرابي: ما أنحفك؟ فقال سوء الغذاء وجدب المرعى وتناجي الهموم في صدري.

● ذمُّ السمنِ

قيل السمنة عقلة. ونظر عمر رضي الله عنه إلى رجل بادن[1] **فقال:** ما هذا؟ قال بركة الله **فقال:** بل شخطه ثم قال إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة ونتن في الممات. ورأى حكيم رجلاً سميناً فقال ما أكثر عنايتك برفع سور جسمك وقال الشافعي ما رأيت سميناً ذكياً إلا محمد بن الحسن قال ابن الرومي:

ليس بالراجح مَن رجحانه لحمٌ وشَحمُ ... من رأيتُم بعد طالوت له جسمٌ وعلمُ

وقال:

أميرٌ كلّه شحمٌ ولحمٌ ... وليس وراءه علمٌ وفهمُ

وقال بعضهم محال أن يكون روح خفيف في جسم كثيف.

قال كشاجم:

كأنما قدامه بطنُه ... راوية قد نقصت دلوا[2]

● السَّبَبُ المسمِنُ

قيل لسمين: أي شيء سمنك؟ فقال أكلي الحار وشربي القار واتكائي على اليسار، وأكلي من مال كل ذي يسار. ولآخر لاتكائي على شمالي والأكل من غير مالي. وسئل آخر فقال: قلّة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظة[3] وقيل لمحبوس فقال القيد والرتعة، ومن يكن جار الأمير يسمن.

● أعسر أيسر

حضر أبو العيناء علوية المغنى وكان يضرب بالعسر **فقال:** أسأل الله الذي جعل السرور بيسارك أن يعطيك كتابك بيمينك.

● ذم القلح[4]

قال ﷺ ما لكم تدخلون عليّ قلحاً استاكوا[5] وقال نظفوا أفواهكم فإنها ممر القرآن.

---

(١) **البادن:** السمين الضخم.

(٢) **الراوية:** الناقة التي تحمل الماء.

(٣) **الكظة:** الامتلاء.

(٤) **القلح:** صفرة تعلو الأسنان.

(٥) **الاستواك:** تنظيف الأسنان بالمسواك.

قال جرير:

كأن مقالعَ أضراسهم ... إذا ضحِكوا جيفُ الخنفُسِ

قال عبد الصمد:

إذا افترّ أبرز قلحَ الأصول ... كما كشر العير للنهقَة

قال عبدان:

ومن رأى من شيخهم ... أبدانَه ومَغْشَرَه

تجيشُ منه نفسُه ... حتّى يقيءَ العذرَه

● **ذمُّ البخرِ**

شكا أبخر ضرسه ففتح فاه للطبيب فشمّ منه رائحة كريهة **فقال له**: مر كناساً يكنسه فهذا كنيف. وقيل اشترى رجل أبرخ جارية فسأله صالح الخيّاط عن خبرها **فقال**: ما زالت تمص البارحة لساني. **فقال**: إن صدقت فإنها بنت وردان[١]

وكان عبد الملك يسمى أبا الذباب لأن الذباب كان يسقط إذا قرب من فيه وسارّ سعيدَ بن حميد رجل به بخر **فقال**: مثلك لا يسار، وإنما يكاتب. **قال ابن المعتز**:

وإن امرأ يقوى على لثم ثغرِه ... على الضغط والتعذيبِ في قبْره يقْوى

وقال:

كلّمَتْني فقُلْت خيراً وخيراً ... جعل الله بين فكّيك دبْرا

وقال:

إنما نحنُ في كنيفٍ إذا ما ... جمعَ الريقَ والخَرا في مَكان

وقالت امرأة:

فما جيفةُ الخنزيرِ عند ابنِ مقرب ... قتادة إلا ريحُ مسك وغالِيَه[٢]

● **عِلّةُ طيب الفمِ والبخرِ**[٣]

قيل من كثر ريقه وسال لعابه لا يعرض له الخلوف ولذلك كانت الكلاب أطيب أفواهاً ويعرض بانطباق الفم الخلوف وأطيب الناس أفواهاً الزنج. والأسد والصقر موصوفان بالبخر.

● **طيب الرائحة**

قال شاعر:

الطيبون ثياباً كلما فرقوا

وقيل:

أطيبُ ريحاً من المسْك ومن نفحَةِ النسيم

---

(١) بنت وردان: الصرصار. (٢) الغالية: ضرب من الطيب.

(٣) البخر: رائحة الفم الكريهة.

● **نَتَنُ الإبطِ والجَسَدِ**

قال شاعر:

وإبطُك قابضُ الأرواحِ يرمي بسَهمِ الموتِ من تحتِ الثيابِ

قال الخبزارزي:

وكأن ريحَ صنانِه من نتنه في أنفِ باكيةٍ سعوط يُنْشَقُ[1]

وقيل لمخنث: لِمَ كان الإبط أنتن الأعضاء؟ **قال:** لأنه كان فقحة فتوّرت[2]:

ريحُه ريحُ كلابٍ هارشت في يومِ طَلّ
وكأن الريقَ منه طعمُ صحناة بخلّ

وقال الخياط الشامري:

يا رحمتي لبخورهِ من نتنهِ كمْ في الكنيفِ يضيعُ ريحُ العنبر

وقيل أنتن من ريح الجورب.

● **الشاكي ضعفَ بصرِهِ**

قال شاعر:

أشكو إلى اللهِ أهوالاً أكابدُها إذا سرَى القومُ لم أبصِر طريقَهم

● **تسلّي من كُفَّ بصره**

قيل لرجل قد ذهب بصره قد سلب حسن وجهك **قال:** لكنّي منعت النظر إلى ما يلهي وعوضت الفكرة فيما يجدي. فحكى ذلك لبعض البلغاء **فقال:** العفاء على التعزي إلا بمثل هذا الكلام.

وقال الجنيد حضرت أبا علي الأشناني وكان ضريراً فقرأ قارىء يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور **فقال:** سقط عني نصف العمل.

قال أبو يعقوب الجريمي:

فإن تكُ عيني خبا نورُها فكَمْ مثلُها نورُ عينٍ خَبَا
ولمْ يعمَ قلبي ولكنما أرى نورَ عيني إليه سَرَى

قال محصن بن كنان:

يقُولون ماء طيبٍ خانَ عينَه وما ماءُ عينٍ خانَ عيناً بطيبِ
ولكنه أزمان أنظر طيباً بعيني قطامي على ظهر مرقبِ[3]

---

(١) **السعوط:** الدواء يصب في الأنف، أو دقيق التبغ، والريح الطيبة والسعوط تسميه العامّة العطوس.

(٢) **صحناة:** أي الصحفاءة وهي السمك الصغير المملوح.

(٣) **القطامي:** الصقر.

كأن ابنَ حجلٍ مذ فضلَ جناحه ... على بإنسانيهما المتغيّبِ

- **نوادرُ العميانِ في عماهم**

كان أعمى يقول أرحموا ذا الزمانتين. **فقيل**: ما هما؟ قال العمى وقبح الصوت أما سمعتم:

فبي عيبان إن عدّا ... فخيرٌ منهما الموْتُ

فقيرٌ ما لَهُ قدرٌ ... وأعمى ما لَه صوتُ

وقال المتوكل يوماً لجلسائه: لولا ذهاب بصر أبي العيناء لجعلته نديمي. **فقال أبو العيناء لما بلغه ذلك**: إن كان يريدني لقراءة نقش الخواتم وقراءة الأهلة لم أصلح. فضحك واتخذه نديماً.

وقال معاوية لابن عبّاس رضي الله عنهما: إنكم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال: وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم. وقيل لبشار: ما أذهب الله عينَيْ امرىءٍ إلا عوضه عنهما فما الذي عوضك؟ **قال**: أن لا أرى مثلك. وسأل رجل بشاراً عن دار فهداه إليها فلم يكن يهتدي **فقال**:

أعمَى يقودُ بصيراً لا أبا لكُم ... قد ضلّ من كانَتِ العُميان تهْديهِ

وتزوّج أعمى امرأة **فقالت**: لو رأيت بياضي وحسني لعجبت، **فقال**: إسكتي فلو كنتِ ما تقولين لما تركك البصراءُ لي. **وقيل**: الأعمى مكابرٌ والأعور ظلومٌ والأحول تيّاه. **وقيل**: في أعمى يدّعي العوَرَ:

أعمى يدلس نفسَه في العُور

وقال أعمى لآخر: فلان أقل حيلة من البصير فعندهم البصراء قليلو الحيلة.

- **العَوَرُ**

أصاب أعور أرمد **فقال**: يا رب ليس محله. وكتب الصاحب في أعور يريد أن يثبت اسمه في العميان هذا الفتى قد جبر عور عينه بعمى قلبه فألحقه بالعميان والسلام وقيل لأعور: ما أشد العمي؟ قال: عندي. نصف الخبر. وقيل لأعور: أعمى الله عينك قال: قد أجيبت نصف دعوتك.

وأصاب حجر عين أعور الصحيحة فوضع يده عليها وقال أمسينا وأمسى الملك لله. وتجارى قومٌ في مجلس فقال أحدهم من كان أعور فهو نصف رجل و من لا يحسن السباحة فهو نصف رجل، ومن لا يتزوج فهو نصف رجل، وكان معهم رجل اجتمعت فيه هذه كلها فقال: إني أحتاج إلى نصف رجل حتى أكون لا شيء. **وقال أعور في نفسه وصاحب له أعور**:

ألم ترَني وعمْراً حينَ نغْدو ... إلى الحاجاتِ ليْس لنا نظيرُ

أسـابِـرُه عـلـى يـمـنـى يـدَيْـه ... وفـيـمـا بـيـنَـنـا رجـلٌ ضـريـرُ

ومثله:

هـيَ عـوراءُ بـالـيـمـيـنِ وهـذا ... أعـورُ بـالـشـمـال وافـق شـنّـا
بـيـن شـخـصَـيْـهـما ضـرير إذا مـا ... قـعـدَتْ عـن شـمـالِـه تـتـغـنّـى

• وما قِيلَ في الحَوَلِ

خرج هشام فتلقاه أعور **فقال**: إني تشاءمت بعورك، **فقال له الرجل**: شؤم الأعور على نفسه وشؤم الأحول على النّاس. وكان هشام أحول فخجل وعرض على أمير أثواب خزّ، وفي المجلس أعور وأحول، **فقال الأعور للأحول**: بهذا الثوب عيب **فقال**: يا صفعان إن بصرك بعين واحدة أجدّ من بصري بعينين، **فقال الأعور**: دُرَيْهِم جيد خير من درهمين مزيّفين.

وفي وصف أحول:

ونـجـمَـيْـن فـي بـرجَـيْـن هـادٍ وحـائـرُ ... متـى طـلَـعَـا حـلَّ الـكـسـوفُ بـواحِـدِ
لـهـذا عـلـى الـتـقـديـرِ قـوةُ زهـرة ... وفي ذا على التشبيه ظرف عـطـاردِ
إذا أفـلَ الـهـادي ووافـاه بـرجُـه ... تراءى لنا المكسوفُ في زيّ قاصدِ
من الأنجمِ اللاتي جرَت في بروجِها ... ولـم تـدرِ ما معْنى نُجومِ الـفـراقـدِ

• الصَمَمُ

قال المأمون لليزيدي: لم نرك مذ أيام، فقال حصل في سمعي ثقل فأنا أتعبك الآن إفهاماً واستفهاماً فقال الآن طبت أن تكون معنا ما شئنا أسمعناكه وما احتشمنا فيه أسررناه عنك فأنت غائب شاهد وانصرف أطروش[1] من الحلبة فلقيه رجل فقال هذا الرجل يسألني الآن من أين؟ فإذا قلت له من الحلبة فيقول من سبق فأقول الخليفة بالأدهم. فلمّا دنا الرجل سلّم على الأصم **فقال**: من الحلبة **فقال**: نكت أمك **قال**: بالأدهم. وصلى أطروش بجنبه أبخر فلما سلّما، قال له الأبخر، أسها الإمام؟ قال: لا بل فسا ألم تشم؟

• عظمُ الأذنِ وصغرُها

قيل: طول الاذن دليل على طول العمر. وقدّم رجل للقتل وكان طويل الأذن فقيل له: أليس زعموا أن طول الاذن دليل طول العمر؟ **فقال**: لو تركوني لطال، ولكن حالوا بيني وبينه وأحضر رجل طويل الاذن للقتل فجعل يلمس أذنيه ويقول: واضياع أمله وانقطاع رجاه.

---

(١) **الأطروش**: الأصم.

● **الحَدبُ**

قال الجاحظ: من اعتراه الحدب طال أيره واشتد شقّه وكثر خبثه وظرفه. وأتى بعض الولاة بأحدب جنى جناية **فقال**: لأضربنك ضرباً يقيم ظهرك فقال إنك إذاً لعظيم البركة.

وقال شاعر:

تعدو الجياد بخالد فكأنما تعدو بقُربِه[1]
تيس أنب من التيوس كأنَّ لحيتَه مذبّه

● **العَرَجُ**

قال بشر:

إذا غدوا وعصي الطلحُ أرجلَهم كما ينصبُ وسْط البيعَة الصلبُ

وقال:

قد كنتُ أمشي على رجلَين معتَدِلاً فصرت أمشي على رجلٍ من الشَّجَرِ

وقال:

وما بي من عيْبِ الفتَى غيرَ أنني جعلْت العَصا رِجْلاً أقيمُ بها رِجْلي

وقال الغساني:

إذا ما تعدَّت بي وسارَت مخفَّة لها أرجُلٌ يسْعى بها رجلانِ
وما كنْتُ من فرسانِها غيْرَ أنَّها وفتْ لي لما خانَتِ القدَمانِ

● **الاعتذارُ من سواد اللون ومدحُه**

وقال عبد بني الحسحاس:

إن كنت عبداً فنفسي حرّة كرماً أو أسودَ اللونِ إني أبيَضُ الخُلُقِ

وقال:

وما ضرّ أثوابي سَوادي وتحْتَه لباسٌ من العَلْياء بيضٌ نبائقه[2]

وقال المتنبي:

فدىً لأبي المِسْك الكرام فإنّها سوابقُ خيْلٍ يهتَدين بأدْهم

وقيل لنصيّب أيها العبد الأسود **فقال**: أما العبودية فإنّي ولدت حراً، وأما السواد فأنا كما قال:

فإن يكُ حائِلاً لوْني فإنّي لعقْلٍ غير ذي سَقط وعاءُ

---

(١) أنبَ التيس: هاج.

(٢) النباتق: العقد في العنقود.

● **هِجَاءُ السودان**

قال كشاجم:

يـا مشـبِـهـاً فـي لـونـه فـعـلَـه   لـم تـعْـدُ مـا أوجـبَـتِ الـقِـسْـمَـه
ظـلـمُـك مـن خـلـقِـك مـسـتـخـرَجٌ   والـظُّـلْـم مـشـتـقٌّ؟ مـنَ الـظُّـلْـمَـه

وهو مأخوذ من قول حكيم. **وقيل له:** ما تقول في الأسود قال خيره كلونه وسأل المتوكل رجلاً لِمَ ملت إلى السودان؟ **فقال:** لأنهن أسخن. فقال عبادة: ـ وكان حاضراً ـ نعم للعين.

وقال جرير في أسود عليه ثوب أبيض:

كـأنّـه لـمّـا بـدا لـلـنّـاس   أيـرُ حـمـارٍ لُـفَّ فـي قِـرْطـاس

● **نوادرُ في السودان**

رأى مخنث زنجياً يفجر برومية **فقال:** يولج الليل في النهار. ورأى زنجياً يبكي فقال كأنه مطبخ يكف. ورأى سوداء متخمرة بأصفر، **فقال:** كأنها فحمة في رأسها نار.

● **البَرَصُ**

كان جذيمة أبرص فكنّي عنه بالأبرش. ودخل عامر بن مالك وكان عمّ لبيد وكان شيخاً، على النعمان فعبث به الربيع بن زياد، وأضحك منه الحاضرين، فخجل الشيخ وانصرف وشكاه إلى لبيد فقال: دعه لي. فدخل على النعمان وهو يؤاكل الربيع **فقال:**

مـهـلاً أبـيـتَ الـلـعـنَ لا تـأكـل مـعـه

فقال النعمان: لمه؟ فقال:

إن إسـتَـه مـن بـرص مـلـمَّـعَـه   وأنـه يُـدْخِـلُ فـيـهـا إصْـبَـعَـهْ
يـدخـلـه حـتّـى يـواري إشـجـعَـه   كـأنّـه يـطـلـبُ شـيْـئـاً ضـيّـعَـهُ[1]

فأمسك النعمان ولم يأذن له بعد ذلك فأرسل إليه **يقول:** إنه كاذب فأرسل من يفتشني. **فقال النعمان:**

قـد قـيـلَ مـا قـيـلَ إن حـقّـاً وإن كـذبـا   فـمـا اعـتـذارُك مـن قـولٍ إذا قِـيـلا

وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: إن كنت كاذباً فرماك الله ببيضاء لا تواريها العمامة فصار به برص وجلس عمرو بن هذاب للشعراء فأنشده طريف بن سوادة أرجوزة فيه حتى انتهى إلى قوله:

أبـرصُ فـيّـاضُ الـيـدَيْـن أكـلَـفُ   والـبـرص أنـدى بـالـلُّـهـا وأعـرَفُ

---

(١) **الإشجع:** واحد الأشاجع، وهي أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف، أو هي عروق ظاهر الكف.

وكان عمرو أبرص فثار به بعض حاضريه: اسكت قطع الله لسانك فقال عمرو مه إن البرص من مفاخر العرب أما سمعت ابن حينا يقول:

لا تحسبنَ بَياضاً فيهِ منقَصَةً إن اللهاميمَ في أقرابِها بُلَقُ[1]

وقال جرير:

كأن بني طهية رهط سلمى حجارةُ خارئٍ يرمي كِلابا
لها برصٌ بأسفلِ اسكتَيْها كعَنفَقَةِ الفرَزدق حين شابا

ويقال لما أنشد صدر البيت وضع الفرزدق يده على عنفقته علماً بما يؤول إليه صدر البيت.

● القملُ

كان أعرابي يفلّي كساءه فيأخذ البراغيث ثم يدع القمل فقيل له. فقال: أبدأ بالفرسان وأكر على الرجّالة. ورأى فيلسوف قملة تدبّ في رأس أقرع، فقال هذا لصّ في خربة.

وقال أبو نواس:

لله درّكُ مِنْ أخي قنص أظافره كلابُه

رؤي أعرابي يأكل ويخرأ ويتفلّى فقيل له في ذلك، فقال: أخرج داء وأدخل دواء وأقتل عدواً.

وقال الصاحب:

أما ترَى وجهَ أبي زيدِ أقبحَ من حبْس ومن قَيْدِ
وحوشُه ترتَعُ في جيبِه وظفرُه يركَبُ للصَّيْدِ

وقال:

للقمْلِ حولَ أبي العلاء مصارعُ ما بيْن مقتولٍ وبين عَقيرِ
وكأنهنّ لدَى دروعِ قميصِه فذو توأم سمسمٍ مقشورِ

قال كشاجم:

لو بذَل اللّهُ قملةً غنَما ما طمِع الجارُ منه في صُوفِه

● أنواعٌ مختلفةٌ متعلقةٌ بهذا الفصلِ

دخل أكتم البطحاء ورأى بني عبد مناف فقال: كأنهم أبرجة الفضة وكأن عمائمهم فوق الرجال يلحفون بالخيرات الأرض، وقال يا بني تميم إذا أراد الله أن ينشىء دولة ثبت لها مثل هؤلاء هذا غرس الله لا غرس الرجال.

---

(١) اللهاميم: جمع لهوم وهو الجواد من الناس أو الخيل ـ البلق: البيض، جمع الأبلق.

وقيل: من قصرت قامته وصغرت هامته وطالت لحيته كان حقيقاً على المسلمين أن يقروه على قلّة عقله. **وقال:**

يلحِنُ في المَشْي حين يفقُدني   وإن رآني مشى بإعرابِ

(٢)

وممّا جاء في محاسنِ المحبوبِ وميلِ النفوسِ إليه

●

رأت رابعة الحسنَ يقبل غلاماً صغيراً مليحاً **فقالت:** أما شغلك حب الله عن حبّ غيره؟ **فقال:** من حبّ الله حبّ من حسن خلقه:

● **الكاملُ الحسنِ**

قال شاعر:

ليسَ فيها ما يُقال لهُ   كمُلَت لو أنّ ذا كمُلا

قال آخر:

خلقن أحسنَ ممّا قال مَنْ يَصِفُ

قال الحكم بن أبي فنن:

لو قسم اللّهُ جزأً من محاسنه   في النّاس طرّاً تمّ الحسنُ في النّاسِ

● **الموصوفُ بإزالةِ الظلام**

وأنّه قائم مقامَ أقمارِ

قال آخر:

رأيتُ عليه مسحةَ الشمس والبدْرِ

وقال آخر:

رأيتُ بهِ من سِنةِ البدْر مَطْلعاً

وقال آخر:

كأنّما البدْرُ من إزراره طلعَا

قال بكر بن النطاح يصف نسوة:

توزّعن فيما بينهنّ سنَا البَدْرِ

قال البحتري:

أضرّتْ بضوءِ البَدْر والبدرُ طالعُ   وقامَتْ مقامَ البدْر لمّا تغيّبا

وقال ابن الرومي:

يا شبيهَ البدْر في الحُسْن وفي بعْدِ المَنال

ورأى بعضهم مليحاً يمشي في الشمس فقال: اتّق ضرّتك لا تكسفك.

- **مَنْ هُوَ كالشمس الطالعةِ والجانحةِ**

قال قيس بن الحطيم:

فرأيتُ مثْلَ الشمس عند طلوعِها ... في الحُسن أو كدنُوها لغروبِ

وقال البحتري يصف مرتحله:

دنَتْ عند الوداع لِوَشْكِ بَيْنٍ ... دنوَّ الشمس تجنَحُ للأَصيلِ

- **الموفي على النيّرين**

قال عليّ بن الجهم:

يا بدرُ كيفَ صنعْتَ بالبدرِ ... وفضَحْتَه من حيثُ لا يدْري

الدهرُ أنتَ بأسرِهِ قمَرٌ ... ولذاك ليلتُه من الشهْرِ

قال عليّ بن الأصفهاني:

وقد خجلتْ شمسُ الضحى منك غُدوةً ... فكادَت كما جاءَتْ إلى الشرقِ ترجِعُ

قال كثيّر:

لو أن عزة خَاصمَت شمْسَ الضّحى ... في الحُسْنِ عندِ موفق لقضَى لها

فكمل المعنى بقوله عند موفق:

- **من يَزْدَادُ حسناً بتزايدِ النظرِ إليه**

قال شاعر:

لها النظرةُ الأولى عليْهم وبسطةٌ ... وإن كرّتِ الأبصارُ كان لها العُقْبى

قال أبو نواس:

يزيدكَ وجهُهُ حسْناً ... إذا ما زِدْتَه نظَرا

- **مَنْ يَهْوَاه لحسنهِ مَنْ يَراه**

قال عليّ بن جبلة:

أغرٌّ تَوالدُ الشهواتُ منه ... فمَا تعْدوه أهواءُ القُلوبِ

وما أكتحلتْ بهِ عيْنٌ فتبقى ... مسلَمَةُ الضميرِ من الذنوبِ

وقال آخر:

كأن قلوبَ الناس في قلبهِ قلْبُ

قال الصاحب:

وسألْتُه منْ أنتَ يا ... شغلَ القلوبِ فقالَ أفه

● **من هو قَيْدُ النواظرِ لجماله**

قيل هو قيد النواظر. قال أبو فراس:

فـإذا بـدا اقـتـادَت مـحـاسـنُـه ... قـسْـراً إلـيـه أعـنَّـةَ الـحَـدَقِ

قال ابن المعتز:

مـنـظـرُه قـيـدُ عـيـونِ الـورى ... فـلـيْـس خـلْـقٌ يـتـعـدّاهُ

قال أبو نواس:

لـلـحـسْـن فـي وجـنـاتـه بِـدَعٌ ... مـا أن يـمـلّ الـدرسَ قـاريـهـا

● **من هو في الحسن كالنار أو كالثلج**

قال أعرابي: رأيت جارية كأنها نار موقدة، **وقال:**

كجمرِ غضى هبّت له الريحُ ذاكيا[1]

قال ديك الجن:

إن بـيـتـاً أنـتَ سـاكـنُـه ... غـيـرُ مـحـتـاجٍ إلـى الـسُّـرُجِ

● **مَنْ أعطى من الحسنِ مُشْتَهَاهُ**

قال أبو نواس:

خـلّـيـتَ والـحـسْـنَ تـأخـذُهُ ... تـنـتـقـي مـنـه وتـنـتـخِـبُ

فـاكـتـسَـت مـنـه طـرائـفُـه ... واسـتـزادَت فـضْـلَ مـا تـهَـبُ

وقال المتنبي:

حـبـيـبٌ كـأن الـحُـسْـن كـان يـحـبّـه ... فـآثـرَه أو جـارَ فـي الـحـسْـن قـاسِـمُـه

وقال محمد بن وهب:

قـد خـلـعَ الـحـسـنُ عـلـى وجْـهـه ... سـربـالَ مـخـمـودٍ ومـحـسـودِ

● **حُسْنُ السافرةِ**

قال بعضهم:

وجـوهٌ زهـاهـا الـحُـسْـن أن تَـتَـنـقّـبـا

وقال الشماخ:

أطـارَت مـن الـحُـسْـن الرداءَ الـمـحـبّـرا

قال يزيد بن التثرية:

فـألـقَـتْ قِـنـاعـاً دونَـه الـشـمْـسُ واتَّـقَـتْ ... بـأحـسـنِ مـوصـولَـيْـن كـفٍّ ومـعـصَـمِ

---

(١) الغضا: نوع من الشجر جمره يدوم طويلاً.

قال بعضهم:

لها حاجبان الحسنُ والقبح منهما ... كأنهما نونان من كفّ عاشقِ

● العينُ المكسرةُ

يستحسن في صفتها قول بشار:

حوراءُ إن نظرت إليـ ... ـك سقتْك بالعينَيْن خَمْرًا[1]

وكأنّ تحت لسانِها ... هاروتُ ينفثُ فيهِ سِحْرًا[2]

وسمع ذو الرمّة إنساناً ينشد قوله:

وعَيْنَان قالَ اللّهُ كونا فكانَتا ... فعُولان بالألبابِ ما تفْعَلُ الخَمْرُ

فقال ذو الرّمة فعولان كأنه تورّع أن يقول فعولين فيكون ذلك بأمر الله تعالى.

● العينُ الفاترةُ

وسنانُ أقصدَه النعاسُ فرنّقتْ ... في عينِه سِنَةٌ وليْسَ بِنَائِم

قال البحتري:

وكأنّ في جسْمي الذي ... في ناظرَيْك من السّقَم

وله:

ما بعيْني هذا الغزالَ الغريرُ ... من فُتونٍ مستجلَبٍ من فُتورِ

قال أبو عبيدة يعجبني من شعر أبي نواس قوله:

بعيدةُ كرِّ الطرفِ تحسَب أنها ... قريبةُ عهدٍ بالإفاقةِ مِنْ سُقْمِ

● العينُ الجارحةُ

قال أشجع:

وتنالُ منك بحدّ مقلَتِها ... ما لا يَنال بحدّه النَصْلُ

وقال أبو تمّام:

إن للّه في العِباد منَايا ... سلطتْها على القُلوب العيونُ

وقال المتنبّي:

من طاعِني ثُغَرِ الرّجال جَآذِرٌ ... ومنَ الرِماحِ دمالِجٌ وخلاخلُ[3]

---

(١) الحوراء: العين الشديدة البياض والسواد.

(٢) هاروت: ومثله ماروت ملكان وقعا في الخطيئة، وينسب السحر إلى هاروت.

(٣) الثغر: جمع ثغرة وهي نقرة النحر ـ الجآذر: الجؤذر ولد البقرة الوحشية، والجآذر (هنا): النساء ـ الدمالج: الدملج حلي يلبس في العضد ـ الخلاخل: حلي تزين بها الساق.

ولذا إسمُ أغطيةِ العيونِ جفونُها   من أنّها عَمَلُ السيوفِ عواملُ

وقال جعفر المصري:

نظرت إليها نظرةً فكأنّما   نظرَتْ بتلك العيْنِ سكينُ شاطِر

● **العينُ الساحرةُ**

قال كشاجم

بالله يا متغرّداً في حسنِه   ومقلباً هاروتَ بين محاجِرِه

وقال الصاحب:

ولو أن هاروتاً رأى فترَ عينِه   تعلّم كيفَ السحْرُ من حدّ جفْنِه

● **العين الكحلاءُ**

وقال صالح بن عبد القدوس:

كحلَ الجَمالُ جفونَ أعينِها   فغنِينَ عنْ كحْلٍ بلا كُحْلِ

وقال:

كأنّهما مكحُولتان بأثْمِدٍ   وما بِهما غيْرُ الملاحَة من كُحْلِ

وقال المتنبّي:

لَيْس التكَحُّلُ في العَيْنَيْنِ كالكَحَلِ

● **العينُ الحولاءُ**

قال الصاحب من بديع ما قيل في الحول:

نظرتُ إليْها والرقيبُ يخالُني   نظرْتُ إليْهِ فاسترَحْتُ من العَذْلِ

● **العينُ الضيِّقةُ**

قال الخوارزمي:

بأبِي مَن عينُه أبداً   في عداتٍ وهْيَ لا تَعِدُ

وقال:

يقاربُ ما بيْن الجُفونِ كأنّما   يلاحِظُ من شقّ على حَرْفِ درهمِ

● **حسنُ الأنفِ**

وقال طريح بن إسماعيل:

وليِنُ المنخَرَيْن معتدلُ الـ   ـمارنِ لا سابلٌ ولا جَعْدُ

● **حسنُ الثغر**

قيل: الثغر الحسن يحلّي الوجه القبيح **قال البحتري:**

كأنّما يفتَرّ عن لؤلؤٍ   منضّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاح

وله:

لـكَ مــن ثِـغـره ومِــن خَـدِّه مــا شِـئْـتَ مِـنَ أقـحـوان أو جُـلّـنـار[1]

ومن جيّده لبعض القدماء:

إذا مـا اجـتـلـى الـرانِـي إلـيْـهـا بـطـرْفِـه غـروبَ ثـنـايـاهـا أضـاءَ وأظـلَـمـا

● الأسْنان

قال المتنبّي:

ويـبـسِـمْـنَ عـنْ درٍّ تـقـلّـدْن مـثـلَـه كـأنَّ الـتـراقـي وُشّـحـت بـالـمـبَـاسـمِ

وقال طرفة:

بـــردٌ أبـــيـــضُ مـــضـــقـــولُ الأشَـــر

وقال البحتري:

لـهـا مبْـسَـمٌ كـالـبَـدْر يـضـحَـكُ عـنْ درّ

وقال الزاهر:

نــونــاتُ درّ عــلَــى دالاتِ مُـرْجـان

وقال ذو الرمة:

جرى الأسحِلُ الأحوى بطَفل مطرّفِ على الغرّ من أنيابِها فهي نُصّعُ

● طِيبُ الفم

قال كشاجم:

تـبَـسّـمَ عَـنْ واضِـحٍ بَـرودِ تـضـيـقُ عـن طـيـبِـه الـكـؤوسُ

قال المتنبّي:

وأشـنـبُ مـعـسـولُ بـرْد الـثـنـايـا لـذيـذُ الـمـقـبّـل والـمـبـتَـسـم

ويقال: فمها أعذب من برد الشراب وجسمها أعجب من برد الشباب.

● مَنْ ذَكَرَ طيبَ فم زعم أنه لم يَذُقْهُ

أول من قاله النّابغة فقال:

زعـمَ الـهُـمـامُ ولَـمْ أذُقْـه، أنّـه يُـشْـفـى بريّا ريقِها العَطشُ الصّدي

قال بشّار:

يا أطيبَ النّاس ريقاً غيرَ مختبَرٍ إلا شـهـادَةُ أطـرافِ الـمَـسـاويـكِ

● طيبُ الفم وحسنُ المبتسمِ معاً

قال ابنُ الرومي:

وقـبّـلْـتُ أفـواهـاً عِـذابـاً كـأنّـهـا ينَابيعُ خمر حصبَت لؤلؤَ البَحرِ

---

(١) الأقحوان: زهر أبيض مفلّج الأوراق تشبّه به الأسنان ـ الجلّنار: زهر الرمان، شبّه به حمرة الخدّ.

وقال:

ومـبـسـم عـذبُ الأشـر ... أُلـف مـن خـمـر ودُرّ[1]

وقال:

أحاذِرُ في الظُلُماتِ أن يستشفني ... عيونُ الغَيارى في وَميض المضاحِكِ[2]

وقال:

تبسّمْنَ فاستضحَكْنَ طامِسَةَ الدّجى ... عنِ الأفقِ في الظلْماء أوجهها طحْلُ[3]

وقال:

كأنّ ابتسامَ البرْق بيني وبينَها ... إذا لاحَ في بعْض البيوتِ ابتسامُها

وقال آخر:

تبسّم إيماضِ الغَمامِ المُكَلّلِ[4]

ولمسلم وهو نادر:

تبسّم عنْ مثْلِ الأقاحي تبسّمَت ... له مزنَةٌ صيفيّة فتبسّما[5]

وقال:

كأنّ دراً إذا هي ابتسَمت ... من ثغرِها في الحَديث ينتَشِرُ[6]

● الحَسَنُ الحديثِ والكلامِ

قال أبو حيّة:

إذا هنّ ساقطْنَ الحَديثَ كأنّه ... سقاطُ حصَى المرْجانِ من سلْكِ ناظِمِ[7]

رمَيْن فأقْصَدْن القلوبَ ولم تجِدِ ... دماً مائراً إلاّ جرَى في الحيازِمِ[8]

قال البحتري:

ولما التقينا والنقا مواعِدٌ لنا ... تعجب رائي الدرّ حسْناً ولاقِطُه

فمِن لؤلؤٍ تجْلوه عند ابتسامِها ... ومن لؤلؤٍ عند الحديثِ تساقِطُه

قال آخر:

كأن حديثَها سُكْرُ الشبابِ

---

(١) الأشر: التحزيز في الأسنان.

(٢) استشف (ه): نظر ما وراءه - المضاحك: الأسنان الضواحك.

(٣) الطُحْل: جمع الأطحل من الطُحلة وهي لون كلون الرماد.

(٤) الغمام المكلّل: السحاب المتراكم بشكل إكليل.

(٥) المزنة: السحابة الممطرة.

(٦) يقول كأنها وهي تبتسم متحدّثة تنشر من ثغرها لؤلؤاً.

(٧) المرجان: صغار اللؤلؤ.

(٨) أقصدت القلوب: رميتها بسهام عيونهن وأصبن فيها مقتلاً.

وقال:

هي الدرّ منظُوماً إذا ما تكلّمَت ... وكالدرّ مجموعاً إذا لمْ تكلّمِ

وقال:

إن طالَ لمْ يملِلْ وإن هِي أوجزَتْ ... ودّ المحدِّثُ أنّها لمْ تُوجِزِ

وقال:

كأنّما عسَلٌ رجعان منطقها ... إن كانَ رجعُ كلامٍ يشْبِهُ العَسَلا(1)

● **الفِرعُ الواردُ والكثيفُ**

قيل لأعرابي: أي النساء أحسن؟ فقال الغرّاء الفرعاء أي الحسنة المفترّة عن الثغر الوافرة الشعر، فمها بارد وشعرها وارد.

قال بعضهم في وصف ما حلقه عمر رضي الله تعالى عنه ـ من الشعر ـ وقيل هو أحسن ما قيل في الشعر:

لقَد حلَقوا منْها غُدافا كأنّها ... عناقيدُ كرْمٍ أينَعَتْ فأسْكَرَت(2)

وقال:

عناقيدُ غربيبٍ تدلّيْن عن كرْمٍ(3)

وقال المخبّل السعدي:

وتضلّ مدراها المواشط في ... جعْدٍ أغمّ كأنّه كَرْمُ(4)

قال ابن المعتز:

دعَت خلاخيلُها ذوائبَها ... فجئْن منْ رأسِها إلى قدَمِ(5)

● **وصفُ الشعَرِ والوَجْهِ معاً**

قال بكر بن النطاح:

بيضاءُ تسحَبُ من قيامٍ فرْعها ... وتغيبُ فيه وهو ليْلٌ أسْحَمُ(6)

وكأنّها فيه نهارٌ ساطعٌ ... وكأنّه ليْل عليْها مظْلِمُ

---

(1) **رجعان منطقها**: ترذده ومعاودته.

(2) **الغداف**: الشعر الطويل الأسود والغداب والغراب الكبير الطويل الجناحين.

(3) **الغربيب**: الأسود الحالك.

(4) **المدرى**: المشط ـ **الجعد الأغم**: الشعر الأسود، وقد شبهه بعناقيد العنب.

(5) **الذوائب**: ضفائر الشعر والخلاخيل ما يزين الساق من حليّ، وقوله دعت خلاخيلُها ذوائبها كناية عن طول شعرها.

(6) **الفرع**: الشعر، شُبّه بالليل الحالك السواد.

وقال آخر:

نشرَتْ غدائِرَ فرْعِها لتظلّني ... حذرَ الوُشاةِ من الغيور المطرِق
فكأنّني وكأنّه وكأنّها ... صبْحان باتا تحت ليْلٍ مُطْبِقِ

قال منصور النمري:

ودنَتْ عناقيدُ الكرو ... مِ على الأهلّةِ والبُدورِ(١)

● السّوالفُ

قال امرؤ القيس:

وجيدٍ كجيدِ الرّيم ليْسَ بفاحِشٍ ... إذا هِيَ نصّتْهُ ولا بمُعطّلِ

وقال بكر بن النطاح:

ترى القرطَ منها في قناةٍ كأنّها ... بمهلكةٍ لولا العُرى والمعاقِلْ

وقيل: هي بعيدة مهوى القرط.

وقال ابن الرومي:

أساءني إعراضُهُ ... عنّي ولكن سرّني
سالفتاه عوضٌ ... من كلّ شيءٍ حسَنِ(٢)

وقال الصنوبري:

للغُصْنِ أعطافُها وقامَتُها ... وللرّشا جِيدُها وعيْنَاها(٣)

● الصدْغ

قال أبو نواس:

كأنّ مخطّ الصُدْغِ في حُرّ وجْهِها ... بقيّةُ أنقاسٍ بإصبعِ لائِقِ(٤)

وقال ابن المعتز:

ألم ترني بليتُ بذي دَلالٍ ... خليّ ما يرقّ وما يُبالي
غلالةُ خدّه وردٌ جني ... ونون الصدْغِ معجمَةٌ بِخالِ(٥)

وقال ديك الجن:

كأنّ قافاً أديرَت فوْق وجنتِهِ ... واختطّ كاتبُها مِنْ بعْدِها ألِفا

---

(١) يقول إن ذوائب شعرها الأسود غطت وجوها كل منها يشبه الهلال والبدر.

(٢) السالفتان: الشعر في جانبي الوجه.

(٣) الرشا: ولد الظبية.

(٤) مخطّ الصدغ: منبته - الأنقاس: النقس المداد - اللائق: الذي يصلح المداد أو الحبر.

(٥) غلالة الخدّ: أي بشرة وجهه شبهها بالغلالة وهي شعار يلبس تحت الثياب.

وقال الصنوبري:

عـقـربُ الـصـدغِ لِـمَـاذا ... سـالـمـتـه وهـو وحـدَه[1]
تـلـدغُ الـنـاسَ جـمـيـعـاً ... ثـمّ لا تـلـدغُ خـدّه

● العِذار والطرّة

قال أبو الفضل بن العميد:

من عَـذيـري مِـن عـذاري قـمـر ... عـرّض الـقـلـبَ لأسـبابِ التّـلَـفْ
عـلـم الـشـعـرِ الـذي عـاجَـلـه ... أنـه جـارِ عـلـيـه فَـوَقَـفْ

وقال بعضهم:

رأيـتُ وقـد لاحَ الـعِـذارُ بـخـدّه ... على وجْهِه نَمْلاً يدبّ على عَاجِ

وقال:

لـه شـعـرٌ مـن زغـبِـه فـي بـيـاضِـه ... كمِثْل قطار النّمْلِ دبّ على ثَلْجِ

وقال السلامي:

مـددتُ طـرّتـه كـيـمـا ألاعـبُـه ... فأقبلَت واستدارَت كالخواتِيمِ

● الشاربُ

قال السلامي:

له من عيونُ الوحْش عينٌ مريضَةٌ ... ومن خضرة الريْحان خضرةُ شاربِ
كـأن غـلامَـاً مـاهِـراً خـطّـه لـهُ ... فجاءَ كنِصْفِ الصّادِ منْ خطّ كاتِبِ

● حسنُ الكفِ والأناملِ

قال النابغة:

بـمـخـضّـب رخْـصٍ كـأنّ بـنـانَـه ... عَـنَـمٌ يـكـادُ مـن الـلـطـافَـة يـعْـقَـدُ[2]

وقال ابن المعتز:

أثـمـرَت أغـصـانُ راحَـتـه ... لـجـنـاةِ الـحُـسْـن عـنّـابـا[3]

قال آخر:

أطـرافُـه تـعْـقَـدُ مـن لـيـنـهِ

---

(١) عقرب الصدغ: شعر جانب الوجه المعقوف كالعقرب.

(٢) البنان: الأصابع، جمع بنانة ـ الرخص: الناعم الطري أو اللطيف ـ العنم: شجر ليّن الأغصان ووردِه أحمر كالبنان الطويل.

(٣) الراحة: باطن الكف ـ العناب: ثمر أحمر اللون بحجم حبّ الزيتون.

وقال آخر:

عضت العناب بالبرد[1]

وقال المتنبي:

ويمسح الطل فوق الورد بالعنم

● **البنان المخضبة**

قال بعضهم:

أنابيب در قمعت بعقيق[2]

وقال الناشي:

كأن تطاريف الخضاب بكفها ... فصوص عقيق فوق قضب زبرجد

وقال ابن الرومي:

وكف كأن الشمس أبدت بنانها ... إلى الليل مخضوباً فقمعها الليل[3]

ونقال دعبل يهجو:

كأنما كفها إذا اختضبت ... مخلب باز قد ضرجت بدم

● **طول القامة**

قال تميم:

يهززن للمشي أعطافاً منعمة ... هز الجنوب ضحى أغصان يبرينا[4]

أو كاهتزاز رديني تداوله ... أيدي التجار فزادوا متنه لينا[5]

وقال آخر:

ويخجل الغصن من تثنيه[6]

وقال أبو نواس:

طويلة خوط المتن عند قيامها ... ولي بالطويلات المتون ولوع

وأنشد بشار قول المجنون:

إلا إنما ليلي عصا خيزرانة ... إذا غمزتها الكف فهي تلين

فقال: والله لو جعلها عصا مخ أو ثريد لكان قد هجن فكيف بذكر العصا هلا قال كما قلت:

وحوراء المدامع من معد ... كأن حديثها قطع الجمان[7]

إذا قامت لحاجتها تثنت ... كأن عظامها من خيزران

---

(١) العناب: الأصابع الشبيهة بثمر العناب ـ البرد: الأسنان البيضاء.

(٢) العقيق: الخرز الأحمر. (٣) مخضوباً: مصبوغاً أو ملوناً بالحناء.

(٤) الأعطاف: جمع عطف وهو جانب الجسم ـ يبرين: موضع ـ الجنوب: ريح تهب من جهة الجنوب.

(٥) الرديني: الرمح المنسوب إلى ردينة وهي امرأة كانت تصنع الرماح.

(٦) تثنيه: تمايله بزهو. (٧) الجمان: اللؤلؤ، واحدته جمانة.

وقال آخر:

كــأنّــه فــي اعــتــدالــه ألِــفٌ ... لــيْس لــهُ فــي الـكِـتـابِ تـخـريـفُ

وقال آخر:

شـبـهـتُـهـا حـيـنَ قـامَـت ... سـاريـةً مـن سـواري

أنـامـلُ أخـرجـتـهـا ... شـبّـهـتـهـا بـالـمـدارِي

الربعة:

عبد الله بن عجلان:

ومـخـمـلـة بـالـلـحـمِ من دونِ ثـوبِـهـا ... تـطـولُ الـقـصـارُ والـطـوالُ تـطـولُـهـا

قال بعضهم: أعلاها قضيب وأسفلها كثيب لم تذهب طولاً في إفراط ولا قصراً في انحطاط(١)

● **طولُ القامةِ مع عظم العجيزةِ**

قيل لبعضهم: كيف رأيت فلانة؟ **قال:** غصنا حاملاً لكثيب.

قال عديّ بن الرقاع:

تـسـاهـم ثـوبَـاهـا فـفـي الـدرعِ غـادَةٌ ... وفـي الـمُـرْط لِـفّـاً وإن ردفـهـا عـبْـلُ(٢)

قال الخبزارزي:

تـراكَ سَـرَقْـتَ قـدّك مـنْ قـضـيـبِ ... أم اسـتـوهـبْـت ردْفَـك مـنْ كـثـيـبِ

وقال: فنصفا قناة ونصفا نقا.

● **عظمُ العجيزة**

وصف بعضهم نسوة فقال: هن والله غيرُ قبيحات الطول، إذا مشين انتعلن الذيول، وإذا ركبْن أثقلن الحمول، تجاهد بالمشي أكفالها.

قال أبو النجم:

تـأزّزنَ تـحـتَ الأزرِ: رمـالُ عـالِـجِ(٣)

قال ابن أبي زرعة:

إذا مـا نـهـضَ الـخـصـر ... بـه أقـعَـده الـردفُ(٤).

وقالت امرأة لأخرى: أتحتك وسادة فقالت: وسادة وسّدنيها الله.

---

(١) شبّه قامتها بالغصن وكفلها أو عجيزتها بكثيب من الرمل.

(٢) **اللّف:** البستان المجتمع الشجر أو الملتف النبات، واللف الروض أيضاً ـ **الردف العبل:** الممتلىء.

(٣) **عالج:** موضع رمليّ مشهور.

(٤) يشير إلى امتلاء الردف وثقله وهذا الوصف من مظاهر الحسن عند العرب القدامى.

● **دقّةُ الخَصْرِ**

مخصّر الخصْرِ هضيمُ الحشَى　　صغيرُ ثناء الوشاحين[١]

وقال آخر:

هضيمُ الكشح حاملةُ الوِشَاح

قال امرؤ القيس:

وكشح لطيفٍ كالجَديلِ مُخَصّر[٢]

قال ابن الرومي:

ظبيٌ كأنّ بخَصْره　　من ضمْره ظمأً وجوعاً

قال السريّ الرّفاء:

ضعفت معاقِدُ خصره وعهودِه　　فكأن عقْد الخصْر عهدُ وفائِه

قال المتنبّي:

وخصر تثبّتُ الأبصارُ فيه　　كأن عليْه من حدَقٍ نِطاقًا

قال الرّفاء:

أحاطَتْ عيونُ الناظرين بخَصْره　　فهُنّ لهُ دونَ النطاق نِطاقُ

● **عِظَمُ المخلخل ودقّةُ الخَصْرِ**

قال أعرابي: أقبلن وخصورهن تختنق وحجولهن تقلق فكنا بين أسير ومطلق قال عبّاس:

بكَى وشاحَاها فلَم يسكتا　　وإنّما أبكاهُما الجوعُ
ما بالُ خلخالِك ذا خرسَة　　لسانُ خلخالِك مقطوعُ

وفيه:

خلخالُها مشبَعٌ　　وشاحُها مجوعُ

وقال عبيد الله بن طاهر:

وشاحُها يحسُد خلخالَها　　كجائعٍ يحسُد شبْعانا

وعكس ذلك دعبل فقال:

خلخالُها يشحَب في ساقِها　　وقرطُها في الجيدِ ما ينطِقُ

وقال ابن أبي زرعة:

فاستكتمَتْ خلخالَها ومشَتْ　　تحتَ الظّلام به فمَا نطَقا

---

(١) **هضيم الحشى**: ضامر البطن، نحيل الخصر. (٢) **الكشح**: الخصر، شبهه لضموره بالحبل المجدول.

حتّى إذا ريحُ الصَّبا نسَمَتْ ... ملأ العبيرُ بسرِّنا الطرُقا

- **عِظَمُ الكَفَلِ مع دِقَةِ الخَصْرِ**

قال ابن الطثرية:

عقيلية أما ملاة إزارِها ... فدعصٌ وأما خصْرها فنبيلُ[١]

وقال المتنبي:

كأنّما قدُّها إذا انفتلَتْ ... سكرانُ منْ خمْر طرفِها ثَمِلُ[٢]

يجذبُها تحتَ خصْرها عجزٌ ... كأنّه من فراقِها وَجِلُ[٣]

وقال علي بن عاصم:

بيضٌ سرقْنَ من الصَّريم عيونَها ... ومن الصَّريم مآكمَ الأكفالِ[٤]

- **مدحُ عِظَم الثدي وتناهُدِه**

قيل: لَا تحسُن المرأة حتى يعظمَ ثدياها. **وقيل**: خير الثدي ما يدفىء الضجيع ويروي الرضيع. **وقيل للنظام**: أي مقادير الثدي أحمد؟ **فقال**: وجدت الناس مختلفين في الشهوات، ولكن سمعت الله تعالى يقول في وصف الحور وكواعب أترابا ولم يقل فوالِك ولا نواهِد.

وقال مسلم:

فأقسمْتُ أنسى الداعياتِ إلى الصِّبا ... وقد فاجأتْها العَيْنُ والسّترُ واقعُ

فغطّت بأيديها ثمارَ نحورِها ... كأيدي الأسارى أثقلتْها الجوامِعُ

قال محمد بن الحسن الأزدي:

وقابلَتْني بفتورِ الجُفونِ ... ومستوقرَيْن على مِنْبرِ

بحُقَّيْنِ من لبِّ كافورةٍ ... برأسيهما نقْطتا عَنْبرِ

وقال ديك الجن:

وذاتِ رمّانتيْن في طَبَقٍ ... من فضّة فصّصا بفصّيْنِ

- **تناهدُ الثدي مع عِظَم العجيزة**

قال عروة بن الورد:

أبَتِ الروادفُ والثّديُ لقمصِها ... مسّ البطونِ وأن تَمسّ ظُهورا

وإذا الرياحُ معَ العَشيّ تناوَحَتْ ... نبّهن حاسدَةً وهِجْنَ غيورا

وصف أعرابي امرأة فقال: بيضاء جعدة لا يمس الثوب إلا مشاشة منكبيها وحلمة

---

(١) **الدعص**: كثيب الرمل المتجمّع.

(٢) **الثمل**: سكران.

(٣) **الوجل**: الخائف، **الوجل**: الخوف.

(٤) **الصريم**: القطيع من اللّيل.

ثدييها أو رصاف ركبتيها وراتعة أليتيها.

● **طيبُ الرائحةِ**

وصف رجل امرأة فقال: ملذّ كف ومشمّ أنف كنورٍ يتبسّم في الأسحار، ونور يتبسم في الأشجار ولما أنشد كثيّر عبد الملك بن مروان قوله:

وما روضَةٌ بالحَزْنِ طيّبَةُ الثّرى ... يمُجّ النّدى جَثجاثُها وعرارَها
بأطيبَ من أردانِ عزّة موهِناً ... إذا أوقِدَت بالعَنبَرِ اللّذنِ نارَها

قيل له: امرؤ القيس أشعر منك حيث يقول:

ألم تريَاني كلّما جئت طارِقاً ... وجَدْتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيّبَ

وقال صالح اللخمي:

قسّم الأترجُ قسمَيْنِ ... بنصفَيْنِ سَواء
في اللّونُ صفاءً ... ولكَ الريحُ ذُكاء

وللبعيث:

إذا هي زارَت بعْدَ شحْطٍ من النّوى ... وشى نشرُها لا مسكُها وعبيرُها

وقال العبّاس:

فكيْفَ أصنَعُ بالواشِين لا سلِموا ... والعنبَرُ الوردُ يأتِيهم بأخْبارِي

وقال النونجي:

إذا كتَمَتْ زيارتَها ... أذاعَ الطّيبُ ما كتَمَتْ
فأنطَقَ ألسُنَ الوا ... شين لا كانَت ولا نَطَقَتْ

● **مَنْ يطيبُ به ما يمسّهُ**

قال عبد بني الحساس:

وبِتْنا وسادانا إلى عِلْجانةٍ ... وحِقف تهادَاها الرياحُ تهادِيا
فمَا زالَ بُرْدِي طيّباً من ثيابِها ... إلى الحوْلِ حتى يهيّجَ البرد باليا

● **مَنْ تطيبُ به الأمكنةُ**

قال عبد الله بن محمد بن نمير:

تَضَوّعَ مسكاً بطنُ نعْمان إذ مشت ... به زينَبُ في نِسْوَةٍ عَطِراتِ

وأنشد ثعلب:

واستودَعتْ نشرَها الديارَ فمَا ... تزدادُ طِيباً إلا علَى القدَمِ

وقال أبو عيينة

تـطـيـبُ دنْـيـانـا إذا مـا تـنـفّـسَـتْ   كأن فَتيتَ المِسْك في دورنا نهْبا

- **التثني في المشي**

قال أبو النجم:

إذا مـشَـتْ سـالَـت ولـمْ تـدَخـرَجِ   كـمـا جرَى الـجدولُ بيْنَ الأفـلُجِ[(١)]

وقال امرؤ القيس:

وإذ هـي تَـمْـشـي كـمَـشْـي الـنّزيـفِ   يـصـرَعُـهُ بـالـكـثِـيـب الـبَـهُـرْ[(٢)]

قال الشمّاخ:

تـخـامـصُ عـنْ بـرْد الـوِشـاح إذا مشـى   تخامصَ حافي الخَيْلِ الأمعز النوحى[(٣)]

لو قاله في المرأة كان أبلغ.

قال ابن مقبل:

يـهـززْن لـلـمَـشْـي أعْـطـافـاً منـعّـمَـةً   هـزّ الـريـاح ضحىً عـيـدانَ يـبْـريْـنـا

يـمْـشـينَ هـيـل الـنّـقـا مـالَـتْ جـوانـبُـه   يـنْـهـال حيْـناً ويـنـهـال الـثّرَى حيْنا[(٤)]

ويستحسن للسّعدي قوله:

مـريـضـاتٌ أو بـاتَ الـتـهـادِي كـأنّـمـا   تـخـافُ عـلـى أحْـشـائِـهـا أن تـقـطّـعـا

تـسيـبُ أنـسيـابَ الأيـمِ أحـصَره الـنـدى   فـرفَـع مـن أعـطـافـه مـا تـرفَـعـا[(٥)]

وقال البحتري:

لـمـا مـشَـيْـنَ بـذِي الأراكِ تـشـابَـهَـت   أعْـطـافُ قـضْـبـانٍ بـهِ وقُـدودُ[(٦)]

وقال آخر:

يطأن ولو أعنقن في جدد وحلا[(٧)]

فهذا زاد بقوله أعنقن في جدد وحلا.

قال الموسوي:

وكـــأنّـــهُـــنّ إذا أردْن خَــطـــا   يـــقْـــلَـــعْـــن أرجـلَـهُـنّ مـــن وحَـلِ

---

(١) **الأفلج**: جمع فلج وهو الأرض التي شقّت للزرع.

(٢) **النزيف**: المخمور الذي يتهادى في مشيه ـ **البهر**: انقطاع النفس من الكلال.

(٣) **تخامص**: تجافى ـ **الأمعز**: المكان الصلب الكثير الحجارة والحصى.

(٤) **النقا**: القطعة المحدودبة من الرمل، **وهيل النقا**: ما انهال منه.

(٥) **الأيم**: ذكر الأفعى، جمع أيوم.

(٦) **ذو الأراك**: موضع، **والأراك** شجر يستاك بأغصانه.

(٧) **أعنقن**: من أعنقت الدابة إذا سارت سيراً واسعاً ممتداً وسريعاً ـ **الجدد**: ما استرق من الرمل.

● **وفي الربيبةِ النعمةِ**

قال عمر بن أبي ربيعة:

وأعجَبها من عيْشها ظلّ غرفَةٍ ... وملتَفّ ريّانُ الحدائقِ الْخَضِرُ
ووال كفاها كلّ شيء يهمّها ... فليْس لشيءٍ آخر الليل تَسْهَرُ

وقال نصيب:

قَليلَةُ لَحْمِ الناظرين يزينُها ... شبابٌ ومخفوضٌ من العَيْش باردُ

وقال المرقش:

نواعمُ لا يرين لبؤسِ عيْشٍ ... أوانسُ لا تُراعُ ولا تُذادُ(١)

● **تفضيلُ السوداءِ**

قال العبّاس:

إن سعدى واللهُ يكلأ سعدى ... ملكَتْ بالسّواد رقّ سوادِي
أشبهَتْ مقلَتِي وحبّةَ قلْبي ... وبها فهي نَاظِري وفُؤادِي(٢)

قال ابن الرومي في سوداء:

كأنّها والمُزَاحُ يُضْحِكُها ... ليْلٌ تعَرّى دُجاه عنْ فَلَقِ(٣)

وذُكرَت قصيدةُ ابن الرومي في وصف السوداء وأبو الحسن الموسوي حاضر فأسرف بعضهم في مدحِها **فقال أبو الحسن بديهاً:**

أحبّك يا لونَ السّواد لأنني ... رأيتُكما في العَيْن والقَلْب تَوْأَما
سكنت سوادَ العينِ إذ كنت شبهه ... فلم أدر من عز من القلب منْكما

(٣)

أوصافٌ مجموعة من الجمالِ

●

قيل لأعرابي: أي امرأة أحسن؟ **فقال:** التي لطفت كفّاها، وخذلت ساقاها، والتفت فخذاها، وعرضت وركاها، ونهد ثدياها، وعظمت إليتاها، وسال خدّاها. **ويقال:** كان وجهه البدر ليلة سعده وتمامه، قد ركب في غصن بان وقضيب ريحان أهيف القد، أدعج العين مقرون الحاجبين، أسيل الخدّين مسبل الذراعين، أرقّ من الهواء والماء وأحسن من

---

(١) **لا تراع:** لا يثار روعها أي فزعها ـ **لا تذاد:** أي مطمئنة وآمنة.

(٢) **حبة القلب:** مهجته، شغف القلب.

(٣) **تعرّى عن:** تكشف، **والفلق:** الصبح.

الدمى وأضوأ من النهار إذا استنار وأبهى من سرابيل[1] الأنوار. لا يجري بوصفه الوهم، ولا يبلغ نعته الفهم. كأنّ أنفه قصبة درّ وحدّ حسام وكأنّ فمه حلقة خاتم، وكأنّ جيدَه جيد ظبي قد أتلع[2] لرؤية قانص[3]، سبطُ الأنامل، لينُ القصب دقيق الخصر حلو الشمائل، كأنما خلق من كل قلب. فكل طرف له فيه حظ ولكل قلب إليه ميل.

وقيل في وصف جارية: وجهها كضوء البدر، وخدّها كجني الورد ولسانها ساحر، وطرفها فاتر. ضمّها بهيج اللوعة، ونطقها ينقع الغلة[4] تنهض بقدّ كالقضيب، وتُدْبر بكفَل كالكثيب ثديها يرنو إلى ذقنها، ولا يطرف عكنها[5] شعرها، لاحِقٌ بذيلها في مثل سواد ليلها، ثغرها كاللؤلؤ النظيم، يجلو دجا الليل البهيم، ريحها[6] كالراح المعتّق ختامه كالمسك المفتق، يستجمع صنوف النعيم مضاجعها، ولا يأسى على ما فاته مالكُها، صحيحة الحدَقة، مريضَة الجفون كأنّ ساعدها طلعة، ومعصمها جمار، وأصابعها مداري فضة. وكأنّ نحرها من ساج وبشرتها من زجاج وسرتها من عاج ولينها من خز، ودثارتها من قز.

وقال أعرابي في وصف امرأة: عذبٌ ثناياها[7] وسهلٌ خدّاها ونهدّ ثدياها ولطُف كفّاها ونعُم ساعداها، وعرضت وركاها والتفّت خداها، وخدلت ساقها، فتلك هي النفس ومناها.

قال المرقش الأكبر:

النشرَ مِسْكٌ والوُجوه دَنا ... نيرُ وأطْرافُ الأكفّ عَنَم

وقال علي بن عاصم:

السيف مضحَكُهُ والقوسُ حاجبُه ... والنبْلُ عيناه والأشفار أرماحُ[8]

وقال المتنبي:

سهادٌ لأجفانٍ وشمسٌ لناظرٍ ... وسُقْمٌ لأبدانٍ ومِسْك لِناشِقِ

● ما يجب أن تكون عليه الحسانُ من حُسْنِ الجَوَارِحِ

يجب أن يكون في المرأة، **أربعة أشياء سود**: شعر الرأس والحاجبان وأشفار العين والحدقة، **وأربعة بيض**: اللون وبياض العين والأسنان والساق، **وأربعة حمر** اللسان

---

(١) **سرابيل**: جمع سربال، القميص وكلّ ما يلبس، وسربال الأنوار استعارة.

(٢) **أتلع**: طال. (٣) **القانص**: الصائد.

(٤) **الغلّة**: الظمأ الشديد والحرقة. (٥) **العكن**: البطن.

(٦) **ريحها كالراح**: أي رائحتها كالخمرة المعتقة. (٧) **الثنايا**: أسنان مقدم الفم.

(٨) **المضحك**: الثغر والثنايا ـ شبّه ثغره وافتراره بالسيف بجامع الرونق والتلألؤ، وحاجب عينه بالقوس لانحنائه، كما شبّه العينين والنواظر بالنبل وأهداب العين بالرماح مؤكداً ما فيها من السحر القاتل وكان وقع النظرات القاتلة كوقع النّبال أو الرماح.

والشفتان والوجنتان واللثة، **وأربعة مدوّرة**: الرأس والعنق والساعد والعرقوب[1] **وأربعة طوال**: الظهر والأصابع والذراعان والساقان. **وأربعة واسعة**: الجبهة والعين والصدر والوركان، **وأربعة دقيقة**: الحاجبان والأنف والشفتان والأصابع، **وأربعة غليظة**: العجز والفخذان والعضلتان والركبتان، **وأربعة صغيرة**: الأذنان والثديان واليدان والرجلان، **وأربعة طيبة**: الريح والعرق والفم والأنف والفرج، **وأربعة عفيفة**: الطرف والبطن واللسان واليد.

(٤)
وممّا جاءَ في مَقَابح خلق النسوَةِ

●

● **قُبحُ الوجهِ**

قال دعبل:

ووجه كوَجْهِ الغول فيهِ سَمَاجَةٌ ... مفوّهَةٌ شوْهاءُ ذاتُ مَشَافِرِ[2]

وقال:

تُحاكي نعِيماً زالَ في قبْح وجْهِهَا

وقال:

في صورَةِ الكلْبِ إلاّ أنّها بَشَرٌ

وقال:

لهَا عينان من أقطٍ وتَمْرِ ... وسائِرُ خلقِها بعد الثّريدِ[3]

● **النَمشُ**

قال ابن الرومي:

كأنّ الثآليلَ في وجْهِها ... إذا سفَرت بدَدُ الكِشْمِشِ[4]

وقال:

رشّت بخيلانها فَجِلْدَتُها ... منقوشةٌ مثلُ جِلْدَةِ النّمرِ[5]

وقال:

ووجهٍ كَبَيْضِ القَطا الأبرَشِ

● **الفَمُ**

---

(١) **العرقوب**: العصب الغليظ فوق العقب.

(٢) **السماجة**: القبح ـ **المشافر**: جمع مشفر وهو للبعير كالشفة للإنسان.

(٣) **الأقط**: الجبن.

(٤) **الكشمش**: ثمر لذيذ بشكل عناقيد صغيرة بيضاء وحمراء تشبه عناقيد العنب، والبدد ما تفرّق من حبّات ذلك الثمر.

(٥) **الخيلان**: جمع خال وهو الشامة وهي عبارة عن بثرة سوداء مثل شاقه الخد.

قال بعضهم:

رقطاءُ كيداءُ يبْدي الكيْدَ مَضحَكُها ... تنوءُ بالعَرْض والعَيْنانُ بالطّولِ[1]

لها فمٌ ملتقى شِدْقَيْه نقرَتُها ... كأن مِشفَرَها قدْ طُرّ مِن فِيل

وقال:

كانت ثنَاياها وما ذقْتُ طَعْمَها ... لبا نَعْجَةٍ سوّطَتْهُ بدَقيقِ[2]

وقال:

كأنما نكهَتُها كامِخٌ ... أو حزمةٌ من حزم الثومِ

وقال:

وتفتّرَ عن ثَلجٍ عدمت حديثَها ... وعن جَبليْ طيّ وعنْ هَرَمَي مِصْرِ

● اليدُ والرجلُ

كأنّ ذِراعاً على كفّها ... إذا حسَرت ذنَبُ المِلْعَقَة

وقال:

خنصراها كديبَق القَصّارِ[3]

وقال:

وساقٌ مخلخلةٌ حمشةٌ ... كسَاقِ الجَرادةِ أو أحمَشُ[4]

وقال:

تمْشي على قوائمِ عجافِ ... كأنما جُمِعَنْ من خِلافِ[5]

وقال:

وتخفُرُ الأرْضَ إذا ما مَشَتْ ... كأنما تخفُرُ رِجْلاها

● القامةُ القصيرةُ

قيل لرجل كيف رأيت فلانة؟ فقال:

دوّامَةٌ صَغيرَه ... في زرقَةِ المُغيرَه

وقال ابن الرومي:

دحداحَةُ الخِلْقَةِ حَذباؤُها ... قامَتُها قامَةُ فقّاعَه[6]

لو أنها مِلْكي ولي ضيْعَةٌ ... جَعَلْتُها للطّيْر فزّاعَه[7]

---

(١) الرقطاء: المتلوّنة ـ الكيداء: الخبيثة الماكرة.

(٢) لبأ الشاة: أول لبنها ـ سوّطته: خلطته.

(٣) القصّار: مبيض الثياب ومحوّرها، والحرفة القِصارة.

(٤) الساق الحمشة: الدقيقة.

(٥) عجاف: مهزولة.

(٦) دحداحة: قصيرة ـ فقاعة: الشديدة الخبث.

وقال:

حـدبـاءُ وقـصـاءُ صيـغَـت عـجَـبـا ... وفـي تـرائِـبـهـا عـنْ صدرِهـا زودُ[1]

- **الوطباءُ[2] الثدي**

قال ابن مقلس الحنفي:

وثـدي يـجُـول عـلَـى نـخـرِهـا ... كـقـربَـةِ ذي الـثـلَّـةِ الـمـعـطـشِ

وقال دعبل:

وثـــديـــان ثَـــديٌ كـــبَـلّـــوطَـــةٍ ... وآخَـرُ كـالـقُـربَـةِ الـمُـذهَـقَـة[3]

- **المهزولةُ**

قال بعض القدماء:

لـقَـد لـمـست مـعـراهـا فـمَـا وقـعَـتُ ... ممَّـا لـمَـسَـت يـدِي إلا عـلَـى وتَـد[4]

وقال:

وذاتُ جـسْـمٍ مـشْـبـهِ الـسـاجـورِ ... وجـؤجـؤٍ كـجـؤجـؤِ الـطـنْـبـورِ

وقال:

وصـدر فـسـيـحٍ كـثـيرِ الـعِـظَـام ... تـقَـعْـقَـعُ مـن يُـبْـسـه الـمِـخْـنَـقَـه[5]

- **شَعَرُ البدن**

وقال شاعر:

خـضـبـاء لا نـبـتٌ فـي قَـفـاهـا ... ولـم تـزَل فـي إسْـتِـهـا ضَـفـيـرَه

وقال دعبل:

بـظـراءُ سـوْداءُ لـهَـا شـعـرة ... كـأنّـهـا نـمْـلٌ عـلـى مـسْـحِ[6]

- **أوصافُ مجموعةٍ من المقابحِ**

قال ابن الرومي:

صـغـرَت عـيـنُـهـا ووسّـع فـوهـا ... ومـشـق اسـتُـهـا وثـقـب الـمُـبـال

وقال الأسود بن يعفر:

لـهَـا وركـا عـنـزٍ وسـاقـا نـعَـامـة ... وأسْـنـانُ خـنـزيـرٍ ومـكْـشَـرُ أرنَـبِ

---

(١) الغزاعة: ما ينصب في المزرعة تخويفاً للوحش.

(٢) الوقصاء: القصيرة العنق خلقة.

(٣) الوطباء: العظيمة الثدي.

(٤) المذهقة: المملوءة.

(٥) معراها: ما يرى من جسمها غير مستور بالثياب.

(٦) تقعقع: تحرك مع صوت.

(٧) المِسْح: الكساء من شعر جمع أمساح.

وقال ناصر العلوي:

يا قردةً أبصرت في مأتم ... تندبُ شجواً بتخاليطِ
تبكي فتُلقي البعرَ من عينِها ... وتلطم الشوكَ ببلوطِ

(٥)
وممّا جاء في وصفِ اللحيةِ والشَّيب والخِضَاب وذكْر المعمّرين

●

● **مدحُ اللحيةِ وذمُّ المرادةِ**

قال النبي ﷺ: الشعر الحسن من كسوة الله فأكرموه وكان من يمين عائشة رضي الله عنها: لا والذي زيّن الرجال باللحاء.

وقال الموسوي:

رأتْ شعراتٍ في عذاري تبسّمت ... كما أفترَ طفلُ الروضِ عن خلعِ الوسْمي(١)
فقلْتُ لها ما الشعرُ سالَ بعَارضي ... ولكنّه نبْتُ السيادةَ والحلم
يزيدُ بهِ وجْهي ضياءً وبهجةً ... وما تُنقِصُ الظَّلْماءُ من بهْجَةِ النّجْمِ

قيل: لا تصافين من لا شعر على عارضيه وإن كانت الدنيا خرباً إلا منه.

● **ذمُّ اللحيةِ**

قيل: فلان سبخ الله أرضه من غير رضاه، **وقيل**: كساه أبو الحالك من نسيج أم سويد.

قال ابن طباطبا:

المَوْتُ أهونُ من سوا ... دِ العارضَيْن لمَن عرَف

قال أبو العنتر:

أنى تتيهُ وقدْ علا ... كَ الشَعرُ في الحدّ المَحِلِ(٢)
وخرجتَ من حدّ الظّبا ... ء وصرْتَ في حدّ الإبلِ

● **وَصْفُ لحيَةٍ طويلةٍ لم يصرحْ لها بمدحٍ ولا هجوٍ**

قال شاعر:

يا لحيَةً سرَّختها ... فقعَدْتُ منها في جوالِق

وقال ابن نوقة:

يا لحيَةً أربعَةً في أربعَةِ ... تُنْسَجُ منها كلّ يوم مدرعَه

---

(١) **الوسمي**: أول مطر الربيع.

(٢) **المحل**: المجدب.

قد ذهبَتْ في الطول منها والسَّعَة وتخشي من حافتَيْها بردَعه

- **مدحُ اللحيةِ والاعتذارُ لها**

دخل رجل على قتيبة بن مسلم وكان عظيم اللحية وقتيبة كان خفيف اللحية **فقال**: لقد كبرت لحيتك **فقال**: والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً. **فقال قتيبة**: قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبتك كثرة الخبيث وقد أمر النبي ﷺ بتوفير اللحية **فقال**: أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى.

- **ذمُ طولِ اللحيةِ ومدحُ خفتها**

قال الجاحظ: ما طالت لحية رجل إلا تكوسج[1] عقله.

قال شاعر:

ألم تَرَ أنّ اللّه أعطاك لحيَةً كأنك منها بين تيسَيْن قاعِدُ

وقال مديني لرجل قد ملأت لحيته وجهه: خندق على وجهك قبل أن يجري الماء في العود فيصير وجهك كله رأساً. **وقيل**: ما زادت لحية عن قبضة إلا نقص بمقدار زيادتها من العقل.

قال شاعر:

إذا لحيَةٌ خفّتْ وفا عقلُ ربّها وإنْ ضَخُمَت لم يحظَ إلا بها الصَّدْرِ

وقال ابن الرومي:

إذا عرضَتْ للفتى لحيَةٌ وطالَتْ وصارَت إلى سرّتِه

فنقصانُ عقلِ الفتى عندنا بمِقْدار ما زيدَ في لِحْيَتِه

وعرض الرشيد خيل مصر فمر به أفراس كثيرة وسمها الجنيدي، فسأل عنه فقيل: هو صاحب هذه الافراس. فاستحضره فإذا هو لحياني[2] أحمق. **فقال الرشيد**: ما أحسن هذه الأفراس **فقال**: هي للخليفة يقبلها. **وقيل**: اللحية الطويلة عش البراغيث ومزبلة التراب والغبار.

- **عُذْرَ من نَتَفَ مِنَ السُخَفَاء**

قيل لمخنث لِمَ تنتف لحيتك وهي من هبة الله؟ **فقال**: إن الله تعالى أمرني بذلك **فقال**: وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ولم أجد أحسن منها فرددتها. وقيل لآخر: لِمَ تنتف لحيتك وقد زين الله بها وجهك؟ فقال أتحب أن يزين بها فقحتك؟ **قال**: لا **قال**: ما لا تحب أن يطلع في إستك كيف أستصلحه لوجهي؟

---

(١) **تكوسج**: صار كالكوسج والكوسج الذي لحيته على ذقنه لا على العارضين.

(٢) **اللحياني**: الطويل اللحية.

وكان لرجل ابن مخنث وكان يمنعه من نتف لحيته فنام أبوه يوماً فحلقها وهو نائم فانتبه أبوه فقال: أين ذقنك؟ فقال: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾[1] وقيل لأبي عبد الله المنتوف: لِمَ تنتف لحيتك؟ فقال: وأنت لِمَ لا تنتفها؟

• وَصْفُ الناتِفِ

كان بلال لا يجيز شهادة من ينتف اللحية أو يأكل الطين. قال ابن طباطبا في بعض من كان ينتفها:

يـا مـنْ يـزيـلُ خـلـةَ الرحمن عمّا خُلقَتْ
هـلْ لـكَ عـذرٌ عـنده إذا الوُحوشُ حُشِرَتْ
فـي لـحيَـةٍ إنْ سئلَتْ بـأيْ ذنْـبٍ نُـتِـفَـتْ[2]

وفي حاذق بالنتف:

أنـامـلُـه فـي عـارضَـيْـه كـأنـمـا تسبَح بالمِنْقاش في خفةِ النتفِ[3]

وقال:

إن كـان بـالمِنْقاش يحصُدُ نبتَـها فـيَـدُ الـلـيـالـي مِـنْ وراهُ تـزرَعُ

• قصُّ الشعرات البيضِ

قال أبو حنيفة رضي الله عنه للحجّام: التقط هذه الشعرات البيض، فقال الحجام لا تلتقطها فأنها تكثر، فقال: فإذاً التقط السود فلعلها تكثر.

كان حجام يلتقط البيض من لحية رجل فلما كثر قال ما ترى في الحصاد فقد ذهب وقت الالتقاط، قال ابن طباطبا:

تـأوّبـنـي هـمّ لـبـيْـضـاء نـابِـتَـه لها بغضَةٌ في مضمَرِ القَلْب ثابِتَه
ومـن عـجـبٍ أنـي إذا رمْـت قـصّـهـا قَصَصْتُ سِواها وهي تَضحَك شامِتَه

وقال أبو دلف:

اشـتـعـل الـشـيْـبُ فـأخـفـيـتُـه وكـلّ مـقْـراضـي فـأعْـفَـيْـتُـه
وكـلّـمـا عـالَـجْـت قِـصـالـه وقـلْـت فـي نـفْـسـي أخْـفَـيْـتُـه[4]
طـلـعَـنـي مـن طـرّتـي طـالِـعٌ كـأنّـنـي بـالأمْـس ربّـيْـتُـه[5]
أرومُ مـا لـيْـسَـت لـهُ حِـيـلَـةٌ أعْـيـانـي الـشـيْـبُ فـخـلّـيْـتُـه

---

(١) الصريم: الليل أو القطعة منه ـ القرآن الكريم: القلم/١٩، ٢٠.
(٢) جارى في هذا البيت الآية الكريمة: ﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾ [التكوير: ٨].
(٣) المنقاش: آلة ينقش بها. (٤) قصاله: قطعه.
(٥) الطرّة: الناصية، الجبهة وطرّة الجارية أن يقطع للجارية كالعلم في مقدّم ناصيتها.

وقال:

يا شعرةً طلعت في الرأس طالعة ... كأنما طلعَت في ناظر البصَرِ
لئن قصصتك بالمقراضِ عن بصَري ... فما قصصتُك عن همّي وعن فِكَري
فما تلبّثَتْ إن قهقهَتْ ضاحكةً ... تحتَ الخضاب كفعلِ الشامتِ الأشِرِ

● **ظهورُ الشيب واختلاطُ البياضِ بالسواد**

قال الفرزدق:

والشيْبُ ينهَضُ في السّواد كأنّه ... ليْلٌ يصيحُ بجانبَيْه نَهَارُ

قال مروان:

كالصبْح أحدثَ للظَلام أفُولا

وقال:

ليلٌ تلفّع مدبراً بِنَهار

وقال البحتري:

مشيبٌ كبَثّ السرّ عِيَّ بحمْلهِ ... مُحَدثُه أوْصاف صدرِ مذيعِهِ

وقال دعبل:

لا تعجَبي يا هِنْدُ من رجُلٍ ... ضحِكَ المشيبُ برأسِه فبَكى

وقال تميم بن مقبل:

يا حرّ أمسى سوادُ الرأسِ خالطَه ... شيْبُ القذالِ اختلاطَ الصّفْوِ بالكَدَرِ

وقال:

زمانٌ على غُراب غُداف ... فطيّرَه القدر السّابِقُ[1]
وصارَ على وكْره عقعَقٌ ... من البُلْقِ ذو شيَةٍ باعِقُ[2]

وقال ابن الرومي:

شعراتٌ في الرأس بيضٌ وذعجٌ ... حلّ رأسي خيلان رومٍ وزنْجِ[3]
طارَ على هامَتي غرابُ شبابٍ ... وعَلاه كأنّه شاه مرجِ
حلّ في صحْن هامَتي منه لونا ... ن كمَا حلّ رقعةَ شطرنْجِ

● **مبدأ ظهور الشيب**

قال بعض الحكماء ظهور الشيب في الناصية كرم، وفي القفا لؤم، وفي الهامة وفاء، وفي الفودين شرف، وفي الصدغين شح وفي الشارب فحش.

---

(١) **الغداف**: الشعر الأسود الطويل، والغراب الغداف الأسود الضخم الكبير الجناحين.

(٢) **الوكر**: عش الطائر ـ **العقعق**: طائر كالغراب ـ **باعق**: من بعق إذا نزل أو اندفع بشدة.

(٣) **روم وزنج**: كناية عن بياض الشيب وسواد الشعر.

● **نزلُ المشيبِ في وقتِهِ**

قيل لرجل: أين ذهب شبابك؟ **قال:** ذهب به خصال طال أمده وكثر ولده وقلّ عدده وذهب جلده:

أفنى الشبابَ الذي حاولتُ جدّته ... مرّ الجديدَيْن من آنٍ ومنطَلِق[١]
لم يُبْقيا لي من طُول اختلافِهما ... شيئاً أخافُ عليه لذعة الحدَق[٢]

وقال البحتري:

إن كانَ قد عبثَ المشيبُ بلمّتي ... فلقدْ أخذتُ من الشّبابِ نَصيبي

وقال:

ومن يطلع شرفَ الأربعين ... يحيى من الشّيب زُوراً غريباً

قال ابن الرومي:

أدرى غراب الشيْب فوقَ مفارِقي ... ركَسَ السنين الراكضاتِ أمَامي

وقال:

وافتني الليالي أم عمرو ... وحلّي في التنايفِ وارتِحالي
وتربيتي الصغيرَ إلى مداه ... وتأميلي هِلالاً عنْ هِلال

وقال:

ومن يكُ رهناً لليالي ومرّها ... تدعْه كليلِ القلبِ والسمعِ والبصَر

● **مَنْ شاب قبل أوانِهِ**

قال أبو نواس:

وإذا عددت سنّي كم هيَ لمْ أجِد ... للشيْب عذراً في النزولِ برأس

وقال كشاجم:

إذا فكّرتُ في شيْبي وسنّي ... عتبْتُ عليْه فيما نالَ منّي
كأنّ الشيْبَ غارَ على الغَواني ... فعرضهُنّ للأعِراضِ عنّي

وقال:

لو كانَ يمكنُني سفرتُ عن الصبا ... فالشيْبُ من قبلِ الأوانِ يَلَثَّمُ
ولقَد رأيْتُ الحادثاتِ فلا أرى ... شيْباً يميتُ ولا سواداً يعصِمُ

وقال:

وهل أنا إلا ابنُ الثلاثين لم تشِب ... لداتي ولكنّ الخُطوبَ تُضيمُ

وقال:

---

(١) **الجديران:** الليل والنهار.

(٢) **الحدق:** نظرات العيون.

قـد رأيـنـاه بـالـعَـشِـيّ غُـلامـاً فـغَـدَونـا نـعـدّه فـي الـكُـهـولِ

وقال الموسوي:

عـجّـلـتَ يـا شـيـبُ عـلـى مَـفْـرقـي وأيّ عـذرٍ لـك أن تـعـجَـلا

وكـيـفَ قـدمـتَ عـلـى عـارضٍ مـا اسـتـغـرق الشـعـر ولا اسـتـكـمَـلا

يـا زائـراً مـا جـاءَ حـتّـى مـضَـى وعـارضـاً مـا غـام حـتّـى انـجَـلـى

ومـا رأى الـراؤون مـن قـبْـلـهـا زرعـاً ذوى مـن قـبـل أن يُـبْـقِـلا[1]

وقال:

وعـارضَـني فـي عـارضِـي منه أنجُمٌ ظلمْنَ شَبابي وهي في القلْب أسهُم

قال ابن المعتز:

يـا هـنـد مـا شـاخَ الـفـتـى وإنّـمـا شـاخَ الـشـعَـر

● **مَنْ شابَ من الوقائعِ والشدائدِ**

قال الحسن بن رجاء:

إنْ يـشِـبْ رأسـي فـمـن كـرمٍ لا يـشـيـبُ الـمـرءُ مـن كِـبَـره

وخـطـوبٌ قـد تـحِـلّ بـهِ ومـشـيـبُ الـحـرّ فـي صِـغَـرِه

وقال ابن المعتز:

قـالَـت كـبـرْتَ وشـبْـتَ قـلْـتُ لـهـا هـذا غـبـارُ وقـائـعِ الـدّهْـرِ[2]

وله:

إن شـيـبَ الـرأسِ نـوارُ الـهُـمـوم[3]

قال الموسوي:

وما شبْتُ من طولِ السنين وإنّما غبارُ حروبِ الدّهر غطّى سوادِيا

● **مَنْ شاب من استعمال الطيبِ وهجر الحبيبِ**

قال بعض الأقدمين:

جَلا الأذفر الأحوى من الطيبِ فرقَه وطيبُ الدهانُ رأسَه فهو أنزَعُ[4]

وقال:

إنـمـا شـيّـبـنـي الـطـيّـب وأنـفـاسُ الـغـوانـي

---

(١) ذوى الزرع: ذبل ـ أبقل الزرع: ظهر وطلع. (٢) وقائع الدهر: حدثانه ونوائبه.

(٣) النوار: الزهر، ونوار الهموم: من باب الاستعارة شبه الشيب بالنوار لابيضاضه.

(٤) الأذفر: الشديد الرائحة ـ الأنزع: الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته.

واهـتـمـامِـي بـنـزيـلِ أو بـضـيـفٍ أو بـعـانِ
قـصـرت عـن جـانـبِ الـحـقِ لـه مِـنـي الـيـدانِ

قال كشاجم:

لا تـنـكـرينَ الـشـيـب أنـتِ جلـبـتِـه بـجـنـايـةٍ وقـطـيـعَـةٍ وعـتـابِ
لـو لـم تـروّعـي بـالـغـرورِ وبـالـنّـوى طـوراً لـطـال تـمـتّـعـي بـشـبـابِـي

● الشبابُ مقتضٍ لارتكاب التصابي

قال النبي ﷺ إن الله يبغض ابن الستين في طرّة ابن العشرين. وقال أبو عمرو السلمي وقد رأى قوماً يعذلون شاباً. لا تعذلوه فقد رأيتني وأنا شائب أعضّ على الملام عضّ الجموح على اللجام حتى أخذ العيب بعنان شبابي وإن لم يكن الشيب شعبة من الجنون فإنه عصارته.

قال أبو نواس:

إن الـشـبـاب مـطـيّـةُ الـجـهـلِ ومـزيـنُ الـضـحِـكَـات والـهَـزْلِ

ومنه للنابغة:

فـإن مـطـيّـةَ الـجـهْـلِ الـشـبـابُ

وقيل: اليد الفارغة والنفس المستريحة والشباب المقتبل[1] تكتسب الآثام وتستحل الحرام، ومنه:

إن الـشـبـاب والـفـراغَ والـجـدَه مـفـسـدةٌ لـلـمـرءِ أي مُـفـسَـدَه

قال الجريمي:

الـلـهـو يـحـسـن بـالـفـتـى مـا لـم يـكُـن شـيْـبٌ يُـشـيـنَـه[2]

وقال شبيب بن شبة:

رعَى الله دهراً أخرس العذلُ عذرَه بشرخِ شباب لم يَشُبْ صَفوَه كدَرُ

وقال:

كـلّ الـلـذاذات والـتّـصـابـي قـبـل الـثـلاثـيـن تُـسْـتَـطـابُ

● المتذمِّم لتعاطي ما تعاطاه في أيّام الصِبَا

قال الواسطي: حان حصادي ولم يصلح فسادي.

قال البحتري:

وأضللتُ حلْمي والتفتُّ إلى الصِّبا سفَاها وقد جزْتُ الشّبابَ مراحِلا

---

(١) مقتبل الشيب: الذي لم يظهر فيه أثر الكبر. (٢) يشينه: يعيبه.

وقال ابن المعتز:

أنت في الأربعين مثلك في العشرين قلْ لي متى يكونُ الفَلاحُ؟

قال المتنبي:

وفي الجِسْم نفْسٌ لا تشيبُ بشيْبه ولو أنّ ما في الوجْه منهُ خَرابُ
يغير منّي الدهرُ ما شاءَ غيرها وأبلغ أقصى العُمْر وهي كعابُ

قال أبو سعيد الرستمي:

قبيحٌ بذي الشيْب أن يطربا وما للمَشيب وما للصّبا
أمِن بعد خمسينَ ضاعَت سدىً وأودى بها اللهوُ أيْدي سَبا[1]
تشيمُ بروق الدمى دائماً وقد شامَت العارضَ الأشيَبا
وأقبح بذي عارضٍ أشيب إذا قابلَ العارضَ الأشنَبا[2]
وأهلك والليلُ بادر به فقد كادتِ الشمسُ أن تغربا

قال علي بن عبد العزيز:

التّصابي بلا شبابٍ مُحالُ

● مَنْ أقلعَ لظهورِ شيبِهِ

نظر إياس بن معاوية في المرآة فرأى شيبة في لحيته فقال: لا أراني سمير الحاجات بني تميم فلزم بيته ولم يدخل بعد ذلك على السلطان، وقال مسلمة بن عبد الملك: ما وعظني شعر ما وعظني ما قال عمرو بن حطان:

صبا ما صبَا حتّى علا الشيبُ رأسَه فلما عَلاه قالَ للباطل أبعدِ

وقال أعرابي: فلان وضع رداء مجونه لما بدا الفجر من ليالي قرونه. وقيل لرجل: ألا تشرب؟ فقال: في شيب الرأس مطردة عن الكاس. وكان الرجل إذا بلغ أربعين طوى فرشه وجدّ في عمله.

وقيل: ثلاثة كل منها يقتضي تجنب الصبا: ظهور الشيب والتحصن بالتزوّج والحج إلى بيت الله الحرام.

وقالت امرأة لرجل: كان يخادنها ما فعل غزلك؟ فقال: أماته شيب العارضين.

قال أبو الفرج الببغاء:

لا عذرَ بعد عذارٍ شابَ أكثرُه فالشيْبُ أوعظُ أعذار وأنذار

---

(١) أودى بها: أهلكها وأيدي سبا كناية عن الهلاك والتفرّق مأخوذ من المثل تفرّقوا أيدي سبا والأصل سبأ وهو أبو عامة قبائل اليمن التي تفرّقت بسبب السيل العرم.

(٢) الأشنب: من الشنبة وهي حسن الأسنان وبياضها والفم أو العارض الأشنب الطيب الرائحة.

وقال كثير: أتيت جميلاً استنصحه هل أظهر الشعر، فأنشدته:

وكان الصبا خدنَ الشباب فأصبَحا ... وقد تركَاني في مغانيهما وحْدي

فقال: حسبك أنت أشعر الناس.

قال أحمد بن أبي طاهر:

ركبت الصَبا حتّى إذا ما ونَى الصّبا ... نزلتُ من التّقْوى بأكرم منزِلِ[1]

وديِنُ الفتَى بين التنسّك والنُهى ... ودُنيا الفتَى بيْن الصَبا والتغزّلِ

- **فِيمَنْ زعم أنه ترك التصابي لغير ملالةٍ**

قال إسحاق الموصلي:

سلامٌ على سيْر القلاصِ مع الركْبِ ... ووصلِ الغَواني والمدامَةِ والشرْبِ

سلامَ امرىءٍ لم تَبْقَ منه بقيةٌ ... سوى نظرِ العينَيْن أو شهوةِ القَلْبِ

قال البحتري:

إنّي وإن جانبتُ بعضَ بطالَتي ... وتوهّم الواشُون إني مقْصرُ

ليشوقُني سحْرُ العيونُ المجتلَى ... ويروقُني وردُ الخدود الأحمرُ[2]

وقال:

قد رأيْتُ الشيبَ إلا أنّني ... لم يرُعني الشيْب عنْ وجهِ حسَن

قال بشّار:

إن المشيبَ وما ترى بمفارقي ... صرفَ الغَواية فانصرَفتُ كَريما

وصحوْتُ إلا مِنْ لقاءِ مُحَدّثٍ ... حسنِ الحديثِ يزيدُني تعْليما

- **تاركُ الصبا قبلَ هجوم شيبِهِ**

ما كنتُ أولَ آخذٍ بعزيمَة ... هجر الغَواني والمفارقُ سودُ

وقال:

لا أجمَعُ الحلْمَ والصهْباءَ، قد سكنَت ... نفْسي إلى الماءِ عن ماءِ العَنَاقيدِ[3]

لم ينهَني كبَرٌ عنه ولا فَنَدٌ ... لكنْ صحوْتُ وغُصْني غيرُ مخصودِ[4]

- **الحثُّ على مبادرةِ المشيب بتعاطي صلاحٍ أو تَصابٍ**

قال هارون بن علي:

أعطِ الشباب نصيبَه ... ما دمْتَ تُعْذرُ في الشّبابِ

---

(١) ونى الصبا: فتر وخمدت جذوته.

(٢) السحر المجتلى: المعروض والمجلو كما تجتلى العروس.

(٣) ماء العناقيد: الخمر. (٤) الفند: العجز.

وقال ابن أبي السمط:

وبـادِر بـأيـامِ الـشـبـابِ فـإنّـهـا ... تفوتُ وتمْضي والغوايَةُ تنْجَلي

وأنشد أبو العتاهية قوله:

إن الـشـبـابَ حـجّـةُ الـتـصـابـي ... روائـحُ الـجـنّـة فـي الـشّـبـابِ

قال: كيف ترونه؟ فقالوا: حسن فقال: إن له جناحين يطير بهما في الجنة.

● **مَنْ تعاطى التصابي في مبدأ ظهور شيبه**

قال ديك الجن:

وقـالُـوا قـد تـوشّـح عـارِضـاه ... فـقُـلـت الآنَ أوضعَ فـي الأثـام[1]

وقال ابن طباطبا:

أقولُ وقد أوقظتُ من سنةِ الهوى ... بعذْل يحاكي لذْعُه لذعَةَ الهَجْرِ

دعوني وليلُ اللهوِ في ليل لمّتي ... ولا توقظوني بالمَلام إلى الفجْر

● **مَنِ استهانَ بالشيب فتعاطى بعلة التّصابي**

قيل لخاسر: ما أكبر ما صنع بك الشيب؟ **فقال:** ما صنعت به أكبر والله ما هبته ولا رعيته ولا امتنعت له عن تعاطي محرم وارتكاب مأثم، ونظمه من قال:

لعمْري لئِنْ حلّ المشيبُ بِلمّتي ... لقد كانَ ما أحللتُ بالشيْبَ أعْظَما

سلِ الشيبِ عنّي هل عرفتُ وقارَهُ ... وهل عفتُ حُوباً أو تجنّبْتُ مأثماً[2]

وقال أبو نواس:

يقولون في الشيْبِ الوقارُ بأهْلِه ... وشـيْـبـي بـحـمْـدِ الله غـيْـرُ وقَـارِ

وقال ابن المعتز:

لـمّـا تـولّـى الـشـبـابُ عـنّـي ... صفعْتُ وجْهي على المَشيبِ

وقال بعض العلويين:

إن يـكـتـهـلْ مـنْـهُ الـقـذالُ فـحـبّـه ... فـي الـغـانِـيـات وحـبّـهـنّ غُـلامُ

● **همُ متعاطي التصابي ومشتاقٌ إليه**

حمل شاب غلاماً إلى خربة فلما خلا به اطلع عليهما شيخ، **فقال:** فعل الله بكم فمن مثل فعلكم يغلو السعر وينزل البلاء. فعدا الشاب خوفاً، فخلا الشيخ بالغلام فاطلع الشاب، **فقال:** يا عمّ الحمد لله قد رخص السعر وارتفع البلاء.

---

(١) **العارضان:** مثنى العارض وهو صفحة الخدّ. (٢) **الحوب:** الإثم أو الخطيئة.

ودخل شيخ مسجداً فراود صبياً فعلم الإمام فعاتبه وعنّفه فلما أطال له قال له: كم ذا تعنفني كأن لم ير سفلة غيري. ورأى سفيان في مجلسه شيخاً هِمّا يتخرّق صفوف النساء ويبكي فظنّ أن بكاه لما سلف من ذنوبه فاستقبلهنّ، ثم قال:

علـيكـنّ الـسلام فـليس عـندي ... لـكـن فـدعـنـني غـيـرُ الـسّـلامِ
وكـنّ إذا نـظـرن إلـيّ أمـشـي ... نـقـبْـن عـلـيّ مـن خـلَـلِ الـخِـيـامِ

وقيل: إن إبليس إذا رأى شيخاً ذا طرة قال فديت من لا يفلح.

• الحثُّ على تعظيم المشايخ ومخالطتِهِمْ

روي أن رجلاً أتى النبي ﷺ **فقال**: أصابتني خصاصة **فقال**: لعلّك مشيت أمام شيخ. وقام وكيع لسفيان فأنكره وقال: ألست حدثتني عن النبي ﷺ **أنه قال**: من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن؟

وقال ﷺ: ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق: إمام مقسط وذو شيبة في الإسلام وذو علم، **وقال أزدشير** لابنه وقّر المشايخ، فهم مواطن الوقار ومعادن الآثار ورواة الأخبار وحفظة الأسرار. إن رأوك في قبيحٍ منعوك، أو جميل أيّدوك وإياك وأغمار الشباب فهم أهل الصبوة إلى الشهوات.

وأوصى يزيد بن المهلب إبنه فقال ليكن جلساؤك ذوي الأسنان فالشباب شعبة من الجنون ومرّ الحسن بفتيان فقال: شوبوا مجلسكم بشيخ. **وقيل**: من عرف حقّ من فوقه، عرف حقّه من دونه.

• تفضيلُ الشيب في الرأي على الشبابِ

في المثل: جري المذكيات غلاء جرى المذاكي حسرت عنه الحمر. **وقيل**: الشيخ في رأيه كالجذل المحكك، لا يهدّه خطب ولا يزعزعه صرف، والشاب كالغصن الناعم الذي يستحيل بأيسر ريح وأيسر آفة.

وقيل: الشيخ كالبازل المستقل بما يحمل والشاب كابن اللبون لا ينهض بما يحتمل.

وقال:

وابـنُ الـلـبـونِ إذا مـا لـزّ فـي قـرن ... لم يستَطِع صولةَ البُزْلِ القناعِيسِ[1]

• تفضيلُ الشبان فيه

قال ﷺ: وسّعوا للشبان في المجالس وأفهموهم الحديث. وكان عمر رضي الله عنه، إذا نزل به معضل دعا الفتيان واستشارهم وقال هم أجدّ قلوباً. **وقيل**: الشيخ كالزند

---

(١) **البزل**: الإبل ـ **القناعيس**: الضخمة العظيمة.

الذي قد انثلم[١]، ورأي الشبّان كالزند الصحيح الذي يورى بأيسر اقتداح.

● مَدْحُ الشيبِ بالوقارِ والعفةِ

تأمل حكيم شيبةً فقال: مرحباً بزهرة الحنكة وثمرة الهدى ومقدّمة العفة ولباس التقوى. وروي أن إبراهيم عليه السلام لما بدا الشيب بعارضيه **قال**: يا ربّ ما هذا؟ **قال**: وقار. **قال**: يا ربّ زدني وقاراً.

وعيّر حكيم بالشيب **فقال**: الشيب نور يورثه تعاقب الليالي والأيام، وحلم يفيده مرّ الشهور والأعوام، ووقار تلبسه مدة العمر ومضي الدهر.

قال دعبل:

أهلاً وسهلاً بالمَشيب فإنّه ... سمةُ العفيفِ وحليَةُ المتحرّجِ
ضيفٌ ألمّ بمفرقي فقريتُه ... رفضَ الغوايةِ واقتصادَ المنهَجِ

وقال أبو تمّام:

ولا يروعُك إيماضُ القتيرِ به ... فإنّ ذاكَ ابتسامُ الرأيِ والأدبِ[٢]

● مناقضةُ مَنْ مَدَحَ الشَيْبَ بالوَقَارِ

قال أبو تمّام:

حلمتني زعمتُم وأراني ... قبلَ هذا التحليم كنتُ حَليما
دقّة في الحَياة تدعى جلالاً ... مثلَ ما سمّي اللديغُ سليما

قال المتنبّي:

ليتَ الحوادِثَ باعَتني الذي أخذَت ... منّي بحِلْمي الذي أعطَتْ وتجريبي[٣]
فمَا الحداثةُ من حِلْمٍ بمانِعَةٍ ... قد يوجد الحِلمُ في الشبانِ والشِّيبِ

قال عبدان:

إن شيئاً نعى إلى حياتي ... لبغيضٌ وإن أفادَ الرشاد

قال الموسوي:

غالطُوني عن المشيبِ وقالُوا ... لا تُرَع إنّه جلاءُ الحُسامِ
قلتُ بل مرّ بي على الرأسِ منه ... صارمُ الجِدّ في يدِ الأيامِ

---

(١) انثلم: انكسر. (٢) القتير: أول ما يظهر الشيب.

(٣) يقول: أتمنى لو أن الحوادث تسترد ما أعطتني من الحلم والتجاريب لتردّ علي الشباب.

(٦)

في حُسْن الشباب وطيبه وقُبْحِ الشَّيب وعيبِهِ

●

قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾[1] إلى الهرم، وللأخطل:

لا تـحـمَـدنّ شـعـراً تـغـشـا ... ه الـبـيـاضُ فـلـيـس يُـحْـمَـدْ
قـد كـنـتُ أبـيـضَ فـي الـقـلـو ... بِ زمـانَ كـنـت تـراه أسْـوَدْ

قال أبو تمّام:

غـرّة بُـهْـمَـةٌ ألا إنّـمـا كـنـ ... ـتُ أغـرّاً أيـامَ كـنـت بَـهِـيـمـا[2]

وقال:

إن قـبْـحَ الـبـيـاضِ فـي شـعـر الـرأ ... سِ كقُبْح البياضِ في الأحْداقِ[3]

وقال المتنبي:

متى لحظَت بياضَ الشيْبِ عيْني ... فـقـد وجـدتـه مـنـهـا فـي الـسّـوادِ

وقال أبو تمّام:

لـو رأى الـلّـهُ أنّ في الشـيْب فـضلاً ... جاورَتْه الأبرارُ في الخُلْدِ شيْبا

وقال البحتري:

وددت بـيـاضَ الـسـيـفِ يـومَ لـقـيـتُـهـا ... كـأنّ بـيـاضَ الـشـيْـبِ كـانَ بـمـفـرقـي

وقال المتنبي:

ضـيْـفٌ ألـمّ بـرأسـي غـيـرَ مـحـتـشِـم ... والسيْفُ أحسَنُ فعْلاً منه باللمَمِ

وقال الموسوي:

مـا كـانَ أضـوا ذلـك الـلـيـل فـي ... سـواد عـطـفـيـه ولـمْ يـقـمـر

● **التسميةُ بما يدل على الكبر ذمٌّ**

لو قيل لعجوز منحنية يا عجوز ويا جدة لغضبت واستوحشت ولو قيل يا جارية لقالت

---

(١) القرآن الكريم: الحجر/٢٦.

(٢) غرّة بهمة: أي شديدة السواد ـ قوله: كنت أغرّ أيام كنت بهيماً: أي يوم كان شعره أسود ولم تكن لي غرّة أي شيب.

(٣) الأحداق: العيون.

لبيك وسعديك، وعلى ذلك يا شيخ ويا فتى. **قال يزيد بن عتاب:**

يا حرقةَ القلب بيا شيخ ويا ... برد الفؤادِ حينَ يدعى يا فتى

وقال:

وإذا دعوتك عمّهن فإنّه ... نسبٌ يزيدُك عندهنّ خَبالا[1]

وقد ظرف البحتري في قوله:

يتظرّفن للذليلِ المسمّى ... من تصابٍ دون العزيزِ المكنّى

وقال أبو حازم:

إذا ما دعوتُ الشيخَ شيخاً هجوتُه ... وحسبُك مدحاً للفتى قولُ يا فتى

● إزورارُ النساءِ عن الشيبِ

قال بعض المشايخ: رأيت امرأة راقتني فقلت هل لك فيّ؟ فقالت: إن بي عيباً شيب رأسي فثنيت عناني. فصاحت أثبت وكشفت عن شعر كالحمم وقالت: إني أكره من الشيب ما كرهته. **قال المتنبي:**

أرى شيْبَ الرجالِ من الغَواني ... بموقِعِ شيبِهنّ من الرّجالِ

وقال ابن الرومي:

أعِز طرفَكَ المِرآة وانظُر فإنْ نبا ... بعينِك منه الشيْب فالبيضِ أعذَر[2]

إذا شنأت عينَ الفتى شيبَ نفسِه ... فعينُ سواه بالشناءةِ أجدَرُ

وقال ابن المعتز:

لقدْ أبغضت نفْسي في مشيبي ... فكيْف يحبّني البيضُ الكعابُ

قال الحكم الحضرمي:

قد كانَ يعجَبُ بعضُهنّ نزاعَتي ... حتّى سمعْن تنحنُحي وسُعالي

وقال الصاحب: قد سبق ابن المعتز كل من قال في رغبة النساء عن المشيب بقوله:

فظللتُ أطلبُ وصلَها بتذلّلٍ ... والشيبُ يغمزُها بأنْ لا تفعَلي

وقال:

الشيبُ أعظَمُ ذنباً عند غايتِه ... من ابن ملجم عند الفاطِمينا

---

(١) **الخبال:** الفساد والعناء.

(٢) **نبا بعينك منه الشيب:** أي لم يطمئن إليه وجفاه ـ **البيض:** كناية عن النساء، **يقول:** إذا نبا ناظرك عن الشيب فالحسان أكثر عذراً في ذلك.

● **رغبةُ الشيبِ عن النساءِ**

قال بعض الشيوخ: كنت أخاف أني إذا شبت تزهد فيّ النساء فلما شبت كنت أزهد منهنّ فيّ. **قال شاعر**:

رَمتني وسترُ الله بيني وبينَها ... ونحن بأكنافِ الحَطيم ذميمُ[1]

فلو أنني لما رمتْني رميتُها ... ولكنّ عهدي بالنضال قَديمُ

● **معرفةُ فضلِ الشباب عند فَقْدِهِ**

قال بعضهم: شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما: الصحة والشباب. **قال ابن الرومي**:

لا تَلْحَ من يبْكي شبيبتَه ... إلا إذا لم يبكِها بدَمِ[2]

لسنا نرَاها حقَّ رؤيتِها ... إلا زمانَ الشيْبِ والهرَمَ

كالشمْسِ لا تبْدو فضيلتُها ... حتى تغشّى الأرضَ بالظُلَمِ

ولربَّ شيءٍ لا يبينُه ... وجدانُه إلا معَ العَدمِ

وقال ابن الأعرابي: لا أعرف في مدح الشباب وذمّ الشيب أحسن من قول محمد بن حازم:

لا تكذبنّ فما الدنيا بأجمَعها ... منَ الشبابِ بيومٍ واحدٍ بدَل

قال محمود الوراق:

سقياً لأيام تولّت بهِ ... أحسنَ ما كانَتْ صروفُ الزَمَن

ولى فما الدنيا بأقطارِها ... لليوم والساعةِ منه ثمَن

● **غمُّ مَنْ ذَهَبَ شبابُه قبل تمتعِهِ به**

قال منصور النمري:

ما كنتُ أوفي شبَابي كنه عزّتهِ ... حتى مضَى فإذا الدنيا له تبَعُ

وسمع ذلك الرشيد فقال وما خير دنيا لا يخطر فيها برداء الشباب قال عمر بن أبي ربيعة:

إن الشبابَ الذي كنا نزن به ... مضَى ولم نقْض من لذّاته أملا

---

(١) **أكناف**: جمع الكنف وهو الناحية ـ **الحطيم**: جدار حجر الكعبة.

(٢) **لا تلح**: أي لا تلم.

(٧)

البكاءُ على فَقْدِ الشباب والتأسفُ له

●

نظر رجل إلى شيبة في رأسه فجمع نساءه وقال: أندبنني فد مات بعضي.

قال الخزيمي:

إذا ما ماتَ بعضُك فابْكِ بعضا ... فبعضُ الشيء من بعضٍ قريبُ

وقال محمود الورّاق:

أليس عجيباً بأنّ الفتى ... يُصابُ ببعض الذي في يدَيْه

فمن بين باكٍ له موجَعٍ ... وبين معزٍ مغزٍ إليه

ويسلبُه الدهرُ شرخَ الشبابِ ... وليس يعزّيه خلقٌ عليه[1]

وقال:

شيئان لو بكَت الدماءَ عليهما ... عيناك حتّى يؤذِنا بذهابِ

لم يبلغا المعشار مَن حقّيهما ... فقْدُ الشبابِ وفرْقَةُ الأحْبابِ

● **ذمّ الشباب بقلّة الوفاء واللبث والتسلّي عنه**

قال شاعر:

ما في يدي من الصّبا ... إلا الندامةُ والأسَفْ

كانَ الشبابُ كزائرٍ ... ملّ الزيارَة وانصرَفْ

قال بعضهم:

لم أقُلْ للشبابِ في دعَةِ ... اللّهُ وفي حفظِه غداةَ تولّى

زائرٌ زارَني أقامَ قليلاً ... سوّدَ الصحفَ بالذنوبِ وولّى

قال منصور الفقيه:

ما كانَ أقصرَ أيامِ الشبابِ وما ... أبقى حلاوةَ ذكراه التي يَدع

وقال المتنبّي:

مشيبُ الذي يبْكي الشبابَ مشيبُه ... فكيفَ توقّيه وبانِيه هادِمُه

● **تمني عودِه والدعاءُ لَهُ**

---

(١) شرخ الشباب: مقتبله وريعانه.

قال أبو العتاهية:

ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً ... فأخبرَه بما فعَلَ المَشيبُ

وقال النمري:

والله لو أُعطى المُنى ... لوددتُ أيّام الصِّبا

ومعاتباتٍ كنَّ لي ... ومداعباتٍ للدُّمى

قال حميد:

فلا يبعُدِ اللّهُ الشبابَ وقولَنا ... إذا ما صبَوْنا صبوةً سنتوبُ[1]

ليالي سمْعُ الغانياتِ وطرفُها ... إليّ وإذ ريحي لهنّ جنوبُ

وقال ديك الجن:

لله درّي في الشبيبـ ... ـة من أخي لهوٍ أريبِ[2]

أيامَ يحملُني الشبا ... بُ على التهاونِ بالذُّنوبِ

● تولّي العيشِ بتولي الشبابِ

قال كثيّر:

وكانَ الصبا خدنَ الشباب فأصبَحا ... وقد تركَاني في مغانيهما وحدي[3]

وقال:

ولّى الشباب وولّى العيشُ والعُمُرُ ... وأقبلَ المُدبِران الشيْبُ والكِبَرُ

وقال رسبة بن الأبيض:

بانَ الشبابُ بكلّ ما ... تهوى النفوسُ وتَطيبُ

طُفيءَ السراجُ وكلّتِ الأضـ ... ـراسُ وانكَسَرَ القَضيبُ[4]

قال عليّ بن جبلة:

ولما انقضى عصرُ الشباب وعهدُه ... ذوى ورقُ الدنيا وأغصانُها الهدْلُ[5]

● كراهةُ ذهابِ الشيب وكراهةُ نزولِهِ

قال مسلم:

الشيبُ كره وكره أن يفارقَني ... فأعجبْ لشيء على البغْضاءِ مودودِ

يمْضي الشبابُ ويأتي بعدَه خلَفٌ ... والشيبُ يذهبُ مفقوداً بمفقودِ

---

(١) صبونا: أي ملنا إلى الصبوة وهي جهالة الصبا.

(٢) الأريب: البصير بالأمور.

(٣) الخدن: الصاحب.

(٤) طفيء السراج: أي خمدت جذوة الشباب وولّى.

(٥) الأغصان الهدل: الظليلة الوارقة.

قال البحتري:

تـعـيـبُ الـغـانـيـاتُ عـلـيّ شـيْـبـي ... ومـنْ لـي أن أمـتّـعَ بـالـمَـعـيـبِ

وأنشد ابن دريد في وصفه:

ولـي صـاحـبٌ مـا كـنْـتُ أهْـوى لـقـاءه ... فـلـمـا الـتـقـيْـنـا كـانَ أكـرمَ صـاحـبِ

عـزيـزٌ عـلـيْـنـا أن يـفـارقَ بـعـدمـا ... تـمـنّـيْـتُ دهـراً أن يـكـونَ مُـجـانِـبـي

● **الشيب داء متمنى**

قيل لأبي العيناء: كيف أنت؟ قال في الداء الذي يتمنّاه الناس يعني الهرم. **وقيل** لأعرابي وقد ضعف من الكبر لقد أذنب إليك الدهر، **فقال**: كثّر الله من ذنوبه عندي.

● **طول العمر يُفضِي إلى الهَرَمِ والمصائبِ**

قيل: من أخطأ سهم المنية قيّده الهرم. ومن وطّن نفسه على طول العمر فليوطنها على كثرة المصائب. **وقال ابن الحارث** في وصيته لبنيه: من متّع بكبر بلي بعبر، ومن تأخّر يوماً ملّه قومه.

وقال زهير:

رأيتُ المنَايا خبْط عشواءَ من تصِبْ ... تـمِتْـه ومَـنْ تـخْـطِـىء يـعـمّـر فـيـهْـرَمِ

وقيل: كفى بالسلامة داء، وقال:

فـكـيـف تـرى طـولَ الـسـلامـة يـفْـعَـل

● **مَنْ أضعفَهُ كبرُهُ وهَرَمُهُ**

سأل الحجاج شيخاً **فقال**: كيف طعمك؟ **قال**: إذا أكلت ثقلت، وإذا تركت ضعفت. **قال**: كيف نكاحك؟ **قال**: إذا بذل لي عجزت، وإذا منعت شرهت. **قال**: كيف نومك؟ **قال**: أنام في المجمع وأسهر في المضجع. **قال**: فكيف قيامُك وقعودُك؟ **قال**: إذا قعدت تباعدت عني الأرض، وإذا قمت لزمتني. **قال**: كيف مشيك؟ **قال**: تعقلني الشعرة وتعثرني البعرة.

وقيل لشيخ ما صنع بك الدهر؟ **قال**: فقدت المطعم وكان المنعم، وأجمت النساء وكن الشفاء. فنومي سنات، وسمعي خفات، وعقلي تارات.

وقيل لآخر: **فقال**: أدرج من العشاش، وأخرأ في الفراش، وأنبو عن القماش، وأنفر من لاش.

وقيل لآخر: **فقال**: ضعضع قناتي، وأوهى شواتي، وجرّ أعلى عداتي. وسئل ابن الفرية عن وصف الكبر **فقال**: إقبالِ البخر وإدبار الزفر، وانقباض الذكر. **وقيل**: الشيخوخة غمامة تمرض الأمراض.

قال أبو الطمحان:

حنتني حانيات الدهر حتى   كأني خاتلٌ أدنو لصيد
قربتُ الخطوَ يحسَبُ من رآني   ولستُ مقيداً أني بقيدِ

وهذا من قول شيخ مرّ به غلام فقال: يا عمّاه قد قصر قيدك، فقال: تركت الذي قيّدني يقتل قيدك.

وقال ديك الجن:

نهنهتِ الخمسون من شدّتي   وضيقَتْ خطْوي بعْدَ اتساع[1]
وأتحفَتْني خوَراً ظاهراً   وكنْتُ قبْلَ الشّيْب عينَ الشّجاعْ[2]
تعترفُ النفسُ ببعْضِ القوى   فأمسِكُ النفْسَ ببعْضِ الخِداعِ
أذكر إنسانَ التي فوقَها   والموتُ قد يودي بمَن في الرّضاعِ

وكان أبو محلم لما كبر ينشد:

إذا ما امرؤٌ أحْصى ثمانينَ حجّةً   وعاشَ، تشكّى كلُّ عضْوٍ ومِفْصَلِ

وقد أحسن القائل:

قالوا أنينُك طولَ اللّيلِ يسهرُنا   فما الذي تشتكي قلْتُ الثّمانينا

● المشيبُ مؤذنٌ بالموتِ

قيل: المشيب تمهيد الحِمام وتاريخه وعنوانه ورائده ونذيره. وقيل: الشيبُ مقوّض الخيام ومقيض الحمام. وقيل: هو أول مواعيد الفناء وقيل: هو واعظ نصيح ومنذر فصيح.

وقيل: هو لمحة من لمحات المنون ونوبة من نوب الدهر الخؤون. وقيل: في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[3] والنذير الشيب.

وقيل: إذا ضحك الشيب في القذال[4] بكت الحياة للزوال.

ونظر حكيم إلى شيبه فقال أرى شيبة قد أينع ثمرها وحان قطافها.

وأظرف ما قيل في ذلك قول منصور:

من شابَ قد ماتَ وهو حيّ   يمْشي على الأرضِ وهو هالِكْ
لو كانَ عمرُ الفتَى حِساباً   لكانَ في شيْبه فذالكْ

وقال:

الشيبُ والموتُ مقرونان في قرنِ

ونظر فضيل إلى رجل قد وخطه الشيب فقال: اتقِ الله فإنّ الموت قد غرز أعلامه في

---

(١) نهنهه: جعله يكفّ، زجره.
(٢) الخور: الضعف.
(٣) القرآن الكريم: فاطر/ ٣٧.
(٤) القذال: ما بين الأذنين في مؤخر الرأس.

لحيتك. ولأبي الفضل بن العميد من فصل قد طرزت الأيام عارضيك بتاريخ، يفصح عما كتمته وينشر للناس من أمرك ما طويته، وكأنك تقول هو مقدمة الهرم والمؤذن بالخرف والعائد إليّ ولا أريد تطيراً من ذكره

● **من مات أقرانه فقد آن أوانه**

قال أبو عيينة:

واستحصدَ القرنُ الذي أنا منهم   وكفى بذاكَ علامة لحصادي

وقال معاوية لجلسائه: ما تعدون الغريب فيكم؟ فقالوا: الذي لا أحد له فقال بل الغريب الذي مات نظراؤه الذين كان يأنس بهم قال أبو محمد التيمي:

إذا ذهب القرن الذي أنتَ منهم   وخلفت في قرن فأنت غريبُ

قال ابن المعتز:

لأيّ غاياتِ رجائي بعدما   رأيتُ أترابي وقد صاروا تُرابا[1]

وقال أبو سعيد الرستمي:

جاوزت سنّي الأشدّ ومارسـ   ـتُ بنفسي من الخُطوب الأشدّا

وتفانى الأقران دوني جميعاً   وتبقّيتُ في الكِنانة فردا

وقال العلوي الكوفي:

أجالس معشر الأشكل فيهم   وإشكالي قد اعتنقوا التجودا

● **المدة التي يخاف عندها الموت**

قيل في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾[2] أنه الأربعون قال شاعر:

إذا المرءُ وافى الأربعين ولمْ يكُن   له دونَ ما يأتي حياءٌ ولا سِتْرُ

فدعه ولا تنفِس عليه الذي مضى   وإن مدّ أسباب الحياة له العُمر

وقال رجل لعبد الملك: كم لك من السنين؟ **فقال:** أنا في معترك المنايا ابن ثلاث وستين. وكتب الحجّاج إلى قتيبة بن مسلم إني نظرت في سنّي فإذا أنا قد بلغت خمسين سنة وأنت تحومني في السن. وإن امرأ قد سار خمسين حجّة إلى منهل لَقَمِيْنٌ أن يرده فأخذ ذلك أبو محمد التميمي فقال:

فإن أمرأ قد سار خَمسينَ حجّة   إلى منهل من ورده لقريبُ

فإن كانتِ الستون سنّك لم يكن   لدائك إلا أن تموتَ طبيبُ

---

(١) **الأتراب:** جمع ترب وهو من ولد معك.   (٢) وردت سابقاً

قال ابن المعتز:

إحدى وخمسون لو مرّت على حجرِ ... لكانَ من حكْمِها أن يفلَقَ الحَجَرُ

● جماعةُ سني العمر

تقول العرب: الغلام إذا بلغ عشراً قد رمى، وفي عشرين قد **لوى** أي لوى يد غيره، وفي ثلاثين قد **غوى**، وأربعين قد **استوى**، وفي خمسين قد **حرى** أي صار حرياً بأن يظهر فضله.

وقيل ابن عشر **طفل** وابن عشرين **فحل**، وابن ثلاثين **كهل** وابن أربعين **معتدل**، وابن خمسين **مترحل**.

وحكي عن بزرجمهر أنه **قال**: في عقد العشرة دليل على أن الصبي إذا بلغ **عشر سنين** فقد انعقد فإذا صار إلى **عشرين** فقد توسط الخير والشر توسط الإبهام للسبابة والوسطى، فإذا صار إلى **الثلاثين** فقد كمل واستوى وإذا بلغ **الأربعين** فقد بلغ الأشد وشدّ الأزر وإذا بلغ **الخمسين** فقد انكسر وقعد، وإذا بلغ **الستين** فقد انضم، فإذا بلغ **السبعين** فقد عاد في أخلاق الصبيان، وأشبه ابن الثلاثين الكامل الشهوة وابن العشرة الصبي فإذا بلغ **الثمانين** فقد تقوّس عقد ما فإذا بلغ التسعين فقد صار في ضيق عيش كضيق عقدها، وإذا بلغ المائة انتقل عن الدنيا انتقال عقدها إلى اليد الأخرى. **وقيل لرجل**: كم أنت؟ قال: ابن قبضة يعني ثلاثاً وتسعين.

● في المتبرّم بحياته لضعفِهِ

قال زهير:

سئمتُ تكاليفَ الحيَاة ومن يعِش ... ثمانينَ حَولاً لا أبا لكَ يسأمِ

وقال زهير بن حباب:

الموتُ خيرٌ للفتَى ... فليهلكَنْ وبه بَقِيَّة

من أن يرَى الشيخ البجا ... ل وقد تهادى بالعَشِيَّة[1]

وقال عبيد:

والمرءُ ما عاشَ في تكذّبِ ... طولُ الحياةِ له تعذّبُ

وقيل: أهون هالك شيخ يقاد به البعير وكان من عادتهم إذا تبرّموا بشيخ ربما أنهم تركوه إذا ارتحلوا ليموت أو يأكله الذئب أو يحملوه على بعير نفور يسقطه فيموت فيستريحوا منه **وقيل**: أهون هالك عجوز في سنة جدب.

---

(١) **البجال**: المكرّم والمعظم.

(٨)

المعمّرون

●

عاش **نوح** ألف سنة وأربعمائة وخمسين سنة، بُعِثَ بعد مائتي سنة ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، بقي بعد الطوفان مائتي سنة وخمسين سنة فلما أتى ملك الموت قال له كيف رأيت الدنيا؟ **قال**: كدار لها بابان دخلت من هذا وخرجت من هذا.

وعاش **لقمان** خمسمائة وستين سنة عمر سبعة أنسر كل نسر ثمانون سنة ومنه قيل طال الأمد على لبد.

وعاش **المستوغر** بن زبيد ثلاثمائة وثلاثين سنة ولما بلغ ثلاثمائة قال:

ولقد سئِمْتُ من الحياةِ وطولِها ... وعمرتُ من بعْدِ السنين مئينا

مائة جزْتها بعْدها مائتان لِي ... ازددتُ من عددِ الشهور سِنينا[1]

هل ما بقي إلا كمَا قد فاتنا ... يومٌ يمرّ وليلةٌ تحدونا

وعاش **معدي كرب الحميري** مائتين وخمسين سنة. وعاش **عامر بن الظرب** ثلاثمائة سنة وكذلك أكثم بن صيفي، وكانا من حكماء العرب. وأدرك أكثم الإسلام واختلف في إسلامه. وعاش قسّ بن ساعدة الأيادي ستمائة سنة، وكان من عقلاء العرب وحكمائهم، وهو أول من أقرّ منهم بالبعث وأول من قال في الخطبة: أما بعد. وعاش **دريد بن الصمة** دهراً طويلاً حتى سقط حاجباه على عينيه ولم يسلم وشهد حنيناً.

وعاش **عبيد الجرهمي** مائة سنة وعشرين سنة وكان معاوية رضي الله عنه حجّ من الشام فقال هل تعرفون أحداً بقي له علم بأيام العرب فنسأله، فقالوا: عبيد وهو على طريقك فدعاه **فقال**: ممن أنت؟ فانتسب إلى قبيلة، **فقال**: وهل بقي منهم أحد؟ **قال**: نعم أنا قال وكم لك من السنين؟ فقال مائتان وعشرون سنة. **فقال**: من أين تعلم؟ **فقال**: أما قال الله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصّلناه تفصيلاً. **فقال**: أخبرني عمّا رأيت فقال تمت عليّ سنيهات بلاء وسنيهات رخاء ويوم في أثر يوم وليلة. في أثر ليلة. ومنهم **لبيد بن ربيعة** وخبره مشهور **ومعاذ بن مسلم** عاش مائة وخمسين سنة. صحب بني مروان وفيه يقول الشاعر:

قل لمعاذٍ إذا مررتَ به ... قد ضجّ من طولِ عمرك الأبدُ

---

(١) جزتها: اجتزتها وتجاوزتها.

قـد أصبـحـت دار آدم خـربَـت	وأنـت فـيـهـا كـأنـك الـوَتَـدُ[١]
تـسـأل غـربـانَـهـا إذا نـعـبَـت	كـيـف يـكـونُ الـصـداع والـرَّمَـدُ

● فصل من ذلك

قيل: فلان أعمر من القراد وذلك أنه يعيش سبعمائة سنة، وأعمر من الضبّ. قال الأصمعي إن الحِسل[٢] يبلغ مائة سنة ثم يسقط.

قال:

فـقـلـتُ لـو عـمـرتُ عـمـرَ الـحـسَـل	أو عـمـرَ نـوح زمـنَ الـفـحـظَـلِ[٣]
والـصـخْـر مـبـتَـلٌ كـطـيـنِ الـوحْـل	صـرتُ رهـيـنَ هـرمٍ أو قـتْـلِ

وقيل: أعمر من حيّة لأنها لا تموت حتف أنفها فيما. يقال: واعمر من نسر وللفرس زيود هشتا دكور تيرست رهمنه مزواماري نه مريد خركش يوزينه مرد معناه يعيش العير ثمانين سنة وثلاثمائة والحية لا تموت إلا قتلاً.

(٩)
الترغيبُ في الاختضابِ والرغبة فيه

●

قال عمر رضي الله عنه: اختضبوا بالسواد فإنه أسكن للزوجة وأهيب للعدو وقيل لرجل إلامَ أخضب؟ فقال: ما قام أيرك. قال شاعر:

الـشـيـبُ ضـيـفُـك فـاقـرِه بـخِـضَـابِ

وقال: إن الخضاب هو الشاب الثاني.

وقال:

إن الـخـضـابَ لـحـيـلَـة	فـي ردّ أيّـام الـشـبـابِ

قال رستم بن محمود:

ولـمـا رأيـتُ الـشـيـبَ قـد شـانَ أهـلَـه	تقـنّـعْـتُ وابـتـغْـتُ الـشـبـابُ بـدرْهَـمِ[٤]

قال ابن المعتز وقد ناقض بذلك محموداً الوراق حيث قال:

يـا خـاضـبَ الـشـيـبِ الـذي	فـي كـلّ ثـالـثـةٍ يـعـودُ

---

(١) دار آدم: الدنيا. (٢) الحسل: ولد الضبّ.

(٣) الفحظل: لم نقع على هذه اللفظة في لسان العرب الفحطل (بالطاء)، وهو اسم وقال بأنه ورد في هذا البيت:

تـبـاعـدنـي فـحـطـل، إذ سـألـتـه	أنـيـن، فـزاد الله مـا بـيـنـنـا بـعـدا

ثم ذكر بأن الاسم في الصحاح وهو فطحل وزمن الفطحل هو زمن نوح الليثي والراجح أن هذا هو المقصود.

(٤) شان أهله: عابهم، وبات يعيّرهم، والشّين: العيب.

إن النصولَ إذا بدا ... فكأنه شيبٌ جديدُ[1]

فقال:

وقالوا النصولُ مَشِيبٌ جديدٌ ... فقلْتُ الخِضابُ شبابٌ جديدُ

إساءة هذا بإحسانِ ذا ... فإن عاد هذا فهذا يعودُ

● **الإعتذارُ لذلك**

قال علي بن عيسى لإبراهيم بن إسماعيل يوماً: الخضاب باطنه داء وظاهره غرور ثم لقيه وقد اختضب، **فقال:** أين كلامك؟ قال فكرت فإذاً أمور الدنيا كلها مرمة وهذا من مرمتها. **قال ابن الرومي:**

فإن تسأليني ما الخضابُ فإنني ... لبِسْت على فقْدِ الشبابِ حِدادي

● **مَنِ اختُضِبَ لمجيءِ الشيب في غير وقتِهِ**

قال محمود الوراق:

إذا ما الشيبُ جار على الشبابِ ... فعالِجْه وغالِطْ في الحِسَابِ

فقُل لأمر لا مرحباً من نزيلٍ ... وعذِّبْه بأنواعِ العَذابِ

بنتفٍ أو بقصٍّ كلّ يوم ... وأحياناً بمكروهِ الخِضابِ

وإن هوَ لم يجسرِ وأتى لوقتٍ ... فقُل في رحْب دارٍ واقترابِ

● **الترغيبُ عن الخضاب والرغبة فيه**

قيل لأفلاطون: لِمَ اختضب فلان؟ **فقال:** كره أن يؤخذ بحنكة المشايخ.

قال ابن الرومي:

يا أيها الرجلُ المسوّدُ وجهَه ... كيما يُعَدّ به من الشبانِ

أقصِر فلو سوّدتَ كلّ حمامة ... بيضاءَ ما عدّتْ من الغِربانِ

وقيل لأعرابي: لِمَ لا تختضب لتصبوا إليك النساء؟ فقال أما نساؤنا فما يردن بنا بدلاً، وأما غيرهن فلا نريد صبوتهن[2]

قال كشاجم:

يا خاضِبَ الشيْبِ والأيامُ تظهرُه ... هذا شبابٌ لعمْر اللّهِ مصبوغُ

وقيل لأعرابية: فلان يختضب. **فقالت:** لا ينالُ الشبابُ بالخِضاب كما لا يُنال الغِنى بالمُنى ولما وفد عبد المطلب على سيف بن ذي يزن ورأى لحيته بيضاء بعث إليه بجارية ومعها خطر ليخضب لحيته فأنشأ عبد المطلب:

وقائلةٍ تخَضّبْ فالغَواني ... نوافرٌ عن مصادقَة القَتيرِ

---

(١) **نصول الشيب:** خروجه من الخضاب.

(٢) **الصبوة:** الميل إلى اللهو وأهواء الصِّبا.

فقلتُ لها المشيبُ نذيرُ عمْري ولـسْـت مـسـوّداً وجـهَ الـنـذيـرِ

وقال:

إذا ذهـبَ الـشـبـابُ فـلـيْـس إلا غـبـارُ الـشـيْـبِ أو ذلُّ الـخِـضـابِ

- **مَدْحُ الصَلَعِ**

قال الخليل: كان الشريف إذا لم يصلَع نتفوا شعره تشبّهاً بذلك.

وأنشد العتبي:

قد حصّ رأسي فتيت المسْك أخلطُه بالعنبر الورد حتّى ما به شعَر[١]

فقال لشتان ما بينه وبين أبي قيس بن الأسلت في قوله:

قـد حـصـتِ الـبـيـضـةُ رأسي فـمَـا أطـعَـمُ نـومـاً غـيْـرَ تـهْـجـاعِ

- **ذَمُّ الصلع**

دخل الأبرش الكلبي على هشام بن عبد الملك وحجّام يحجمه فمسّ رأسه **فقال**: يا أبرش ما صَلعَ لئيمٌ قط فكشف رأس الحجام فإذا هو أصلع، **فقال**: أمِن كرم صلع هذا؟ **وقالت** امرأة لزوجها وكان أصلع لست أغبط إلا شعرَك حيث فارقك فاستراح منك.

قال شاعر:

خـفـافـان مـثـل الـقُـذّتـيـنِ وهـامـةٌ يزل الذبابَ النقف عنها فيصرعُ[٢]

وقال:

إذا أبـصـرتَـهـم صُـلْـعـاً وثـطـا فـقـبّـح ذاك مـن صـلـعٍ ومـن هـامِ

- **التأسفُ لذلك**

قال بعضهم:

جزعـتُ لـلـشـيـبِ لـمـا حـلّ أوّلـهُ فـجـاءني حادثُ أنساني الـجَـزَعَـا

هبّ المشيبُ يَداوي الخطَر شائعه فكيفَ لي بدواءٍ يُذهِبُ الصَلَعا

قال أبو النجم:

قد تركَ الدهرُ صِفاتي صَفْصَفا فـصـارَ رأسي جـبـهـةً إلى الـقَـفـا

كـأنـمـا تـلـقّـى بـه ضـغـفـي عـفـا

- **الإعتذارُ عنه**

قال بشر:

رأتـني كـأفـحـوصِ الـقَـطـاة ذؤابـتي ومـا مسّها من منعم يسْتشيبُها[٣]

---

(١) حصّ الرأس: حلَق شعره. (٢) القذّة: القطعة من الريش. (٣) الذؤابة: ضفيرة الشعر.

قال ابن الرومي:

يعيّرني لبسَ العمامَة سادراً ... ويزعمُ لبسيها بعيبِ مكتّم
فقولا له هبْني كما أنا صلعةً ... ألسْتُ حصينَ الخلْف ماضي المقدَمِ
وأنّى تُعيبُ الصلعَ والأيرُ منهم ... وأنتَ بحبّ الأيرِ عينُ المتيّمِ

● **نَوادِرُ للصَلَع**

قيل لأصْلَع: إن الصلعة من نتن الدماغ. **فقال:** لو كان ذلك كذا لم يكن على حرامك طاقة شعر. وجلس أصلع بين يدي حجّام فحلق نصف رأسه وتماسكا في الأجرة، **فقال الأصلع:** حَلق نصف رأسي فله نصف الأجرة فقال الحجّام حلقت له إبطين أربع أذرع كأنهما تنوران يشوى فيهما السالخ لنتنهما فحكم له بالأجرة تماماً وقال أصلع لرجل رأى عليه جرباً كثيراً أراك لابساً جوشناً[1] بلا بيضة.

(١٠)

ومِمّا جاء في الأسماء والكنى والألقابِ

●

● **الحثُ على تسمية الأبناء بأحسنِ الأسماءِ**

قال النبي ﷺ: إياكم وهذه الأسماء القبيحة، فما من مولود يولد إلا ويحضره ملك وشيطان، فيقول الملك سمّوه بكذا اسماً حسناً، ويقول الشيطان سمّوه بكذا اسماً قبيحاً.

وقال: كنية الرجل أحد شواهد عقله واسمه أحد شواهد عقل أبيه. **وقيل:** أشيعوا الكنى فإنها منبّهة. **وقال ﷺ:** من آتاه الله وجهاً حسناً واسماً حسناً وجعله في غير موضع شائن فهو من صفوة خلقه.

● **الميلُ إلى الأسماء الحسنةِ والتفاؤلُ بها**

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أحبّكم إلينا أحسنُكم أسماء، فإذا رأيناكم فأجملكم منظراً. فإذا اختبرناكم فأحسنكم مخبراً.

وخرج الرشيد يوماً فرأى سعيد بن سلم **فقال:** من قال سعيد أسعدك الله؟ **قال:** ابن من قال ابن سلم سلمك الله **قال:** أبو من؟ **قال:** أبو عمر، وعمرك الله فقال بارك الله عليك وأكرمه.

● **المُسمّى باسم حسن معناه موجودٌ فيهِ**

قال:

وقلّما أبصرَتْ عيناك من رجُل ... ألا ومعْناه في اسم منه أو لقَب

---

(١) **الجوشن:** الدرع.

قال ابن الرومي:

أنــت أبــو الــفــضــل وأنــت ابــنــه ... فــالــفــضــل لا يــعــدُوك فــي كــلّ حــال

وسأل رجل صبياً صبيحاً ما اسمك؟ **فقال:** وصف وجهي، **فقال:** ما أراك تسمّى إلا حسناً **فقال:** كذلك. **وفي ذلك لأبي نواس:**

إن اسم حسْنى لوجهها صفه ... ومـا أرى ذا لـغـيـرهـا اجـتـمَـعـا

فـهـي إذا سـمّـيـت فـقَـد وُصِـفَـت ... قـد يـجـمَـع الاسـمُ مـعـيـنَـيْـن مـعـا

ونظر المأمون إلى غلام **فقال له:** ما اسمك؟ **قال:** لا أدري؟ **فقال:** لم أرَ مثل هذا. **وأنشد:**

تـسـمـيْـتَ لا أدري لأنّـك لا تـدْري ... بما فعلَ الحبّ المبرّحُ في صدْري

● **المُسمّى باسم حسن معناه معدومٌ فيه**

ولي رجل يقال له البحر أبو الغمر بعض كور خراسان فمدحه شاعر فأعطاه درهمين **فقال:**

تـركْـتُ لـبَـحْـر درهـمـيْـن ولـم يـكـنْ ... لـيـدفَـع عـنّـي فـاقَـتـي درهَـمـا بَـحْـرِ

وقـلـت لـبـحْـر خـذهُـمـا واصـرِفْـهـمـا ... سريعَيْن في نقصِ المروءة والفَخْرِ

وقالت عمرة بنت النعمان بن بشير:

سميت روحاً وأنتَ الغم قد زعَمُوا ... لا روّح الله عــن روح بــن زنْــبــاعِ

ومرّ صاعد ببشّار **فقال:** من هذا؟ **قيل:** صاعد. **فقال:** الصاعد اسما السافل فعلا. ودفع أبو الفياض بن بحر رقعة إلى أبي الفضل بن العميد فكتب عليها بحر بن محمد بن بحر فكتب تحتها محمد مسكين غرق بين بحرين. **قال ابن الرومي:**

سميت أحـمـد مـظـلـومـاً ولـسْـت بـه ... كـلا ولـكِـن مـنَ الأسـمـاء مـقـلـوب

عرضت على كشاجم جارية حسناء **فقال:** ما اسمك؟ **قالت:** مظلومة **فقال:**

مــمــلــوكَــةٌ تــمْــلــكُ أربــابَــهــا ... مــا شــانَــهــا ذاكَ ولا عــابَــهــا

قــد ســمّــيْــت بــالــضــدّ مــظــلــومــةً ... وهــي الــتــي تــظــلــمُ أصــحــابَــهــا

● **من عُيِّرَ بقبيحِ اسمِهِ**

قال بعضهم في رجل اسمه فضل:

هـو فـضـلٌ وفـضـلـة الـشـيء لـغـوٌ ... ثــم أردفَــت قـلّـة الـتـصْـغـيـر

وأراد عمر رضي الله عنه أن يولّي رجلاً فسأله عن اسمه **فقال:** ظالم بن سراق. **فقال:** أنت تظلم وأبوك يسرق لا خير فيك ولم يولّه.

وقال معاوية رضي الله عنه لجارية بن قدامة: من هوانك على أهلك سموك جارية

فقالت: أنت كنت أهون على أهلك إذ سمّوك معاوية، وهي الأنثى من الكلاب.

وروقف رجل على ثلاثة نفر فسألهم عن أسمائهم، **فقالوا**: حافظ ومنيع ومحرز. **فقال**: ما أظنكم من أسمائكم إلا كما **قال أبو فراس**:

إذا نُسِبوا لم يعرفوا غيرَ ثعلبٍ إلا أن أشرار السباع الثعالبُ

وقال العتابي لإبراهيم الموصلي عند المأمون وكان أغرى بينهما: ممّن وما أسمك؟ **فقال**: من الناس واسمي كل بصل. **فقال**: أما النسبة فمعروفة وأما الاسم فمنكر. **فقال**: وما كلثوم من الأسماء، البصل على كل حال أطيب. **وقيل** لرجل: ما اسمك؟ **قال**: شعيب، **فقال**: لا خير في اسم في أوله شه وفي آخر عيب. وهذا مثل **قول الصاحب في قابوس** نصف اسمه ضعف وآخره بوس، ونحوهما ما **قال** موسى بن عبد الملك في **عيسى**: أنّى يكون بليغاً ونصف اسمه عي وما تأخر عنه ثلثا حروف مسيء.

وقيل في نفطويه:

أحرقه اللّهُ بنصف اسمِه وصيّر الباقي نواحاً عليه

ونحوه:

أبو رياش بغي والبغي مصرعُه فشدّدوا العينَ ترموه بآبدَتِه
عبدٌ ذليل هجا للحين سيّده تصحيف كنيته في صدْع والدتِه

أي أيور ناس.

وقال ابن أبي البغل: ولد لي سبط فما اسميه؟ **فقيل له**: لا تخرج من الاصطبل وسمه ما شئت.

ومن نوادر الصاحب أنه وقّع في قصة ابن حيلة: **لا تترك استعمال أبيك وقال**:

ابنُ عذاب إذا تغنّى فإنّني منه في عَذابِ

وقال ابن سوادة لعبدان: أبوك كان ثنوياً ولذلك سماك عبدان، أي عبد النور وعبد الظلمة.

وقال الصاحب للبغلي: ما اسم أبيك؟ قال: موسى. قال: وابنك؟ قال موسى قال: وهذه اللحية بين موسيين على خطر. **وفيه**:

حلقْتُ لحيةَ موسى باسْمِه وبهارون إذا ما قُلِبا[1]

● **من استحمقَ في اسمِهِ**

قال ابن أبي عتيق لرجل: ما اسمك؟ **قال**: وثّاب، : قال وكلبك؟ **قال**: عمرو. فقال:

فلو كانَ من التوْفيق قدْ أعْطى أسْبابا

---

(١) يقصد أنه بقلب هارون يكون الاسم نوره وهي مادّة لإزالة الشعر.

لسمّى نفسه عمراً وسمي الكلب وثابا

وقال رجل لآخر: ما اسمك؟ قال: وردان قال وفرسك، قال: عمران. وذهب رجل إلى باب، فقيل عبد من الأرض جميعاً قبضته والسموات مطويات بيمينه، فقال: إن نصف المصحف بالباب وسئل رجل عن كنيته، فقال: أبو الحسن وأبو الغمر. فقيل: ألم تكف واحدة؟ فقال: لا إن ضاعت واحدة بقيت الأخرى.

● **المتأوّل قبيح اسمه على تأويلٍ حسنٍ**

كان بنو أنف الناقة يستنكفون من هذا الاسم حتى قال فيهم الشاعر:

قومٌ هُم الأنفُ والأذنابُ غيرُهم ومَنْ يسوّي بأنفِ الناقةِ الذَنَبا

فصاروا يتبجّحون به.

واستقبح قوم اسم العجلان فقال بعضهم: وما سمّي العجلان إلا لقولِهِ:

خذ الوطب واحلُبْ أيها العبْد واعجلِ(١)

● **المعتذرُ لشناعةِ اسمه أو كنيتِهِ**

قيل لأعرابي اسمه نعامة: أي شيء هذا الاسم؟ قال: الاسم علامة ولو كان كرامة لتشارك الناس كلهم في اسم واحد. وقال برصوما لأبيه: ألم تجد اسماً أحسن من هذا؟ فقال: لو علمت أنك تجالس الخلفاء باسمك لسميتك يزيد بن مزيد.

وطلب الحسن بن سهل مؤدّباً لولده فأتى بمعاوية بن القاسم وكان ضئيلاً فقال: ما اسمك قال: كنيتي أبو القاسم ولضرورة تكنيت فاستظرفه.

وقيل لحرم المخنث لِمَ تسميتَ بذلك؟ فقال: حتى أندب فيقال واحرماه. وأتى ضرار المتكلم بمجوسي ليكلمه فقال: أبو من أنت؟ فقال: نحن أجل من أن ننسب إلى أبنائنا إنما ننسب إلى آبائنا. فورد على ضرار ما لم يكن في حسابه فأطرق ساعة ثم قال: أبناؤنا أفعالنا وآباؤنا أفعال غيرنا. وسئل بعض الأعراب لِمَ سموا أبناءهم بالأسماء القبيحة وعبيدهم بالحسنة فقال: لأن أبناءهم لأعدائهم وعبيدهم لأنفسهم.

● **مدحُ الكنيةِ واللقَبِ وذمّهما**

قيل: الكنية للإبانة واللقب للتبجيل فلا يكون لله تعالى كنية لأنه بان بصفاته. واللقب على أوجه: لقب على سبيل الهزؤ، وذلك منهى عنه وربّما يخصّ الرجل على التعيين، وربّما يعمّ الجنس كقولهم للأحدب: أبو الغصن، وللقصير أبو الرماح والثاني على سبيل التخفيف يستغنى به عن الاسم والنسب وهو كثير كأبي فلان والثالث للتعظيم كلقب الخلفاء والأمراء، والرابع لفعل يختص به كهاشم لهشمه الثريد، وعدوان لعدوه على أخيه وقتله إياه، ودارم لدرمانه تحت المال.

---

(١) الوطب: سقاء اللبن، الرجل الغليظ.

● **المتفائلُ باسمِه حَسَناً كان أو قبيحاً**

خرج عمر رضي الله عنه فلقي رجلاً من جهينة **فقال**: ما اسمك؟ **قال**: شهاب **قال**: أبو مَنْ؟ **قال**: أبو جمرة. **فقال**: ممن أنت؟ **قال**: من بني حرقة، ثم من بني ضرام. **قال** أين مسكنك؟ **قال**: ذات لظى. **قال**: أدرك أهلك وما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا. فأتاهم وقد أحاطت بهم النار.

ولما حاصر قتيبة سمرقند أرسل إليه دهقانها(١): لو حاصرتها الدهر الأطول لم تظفر بها فإنا نجد في كتبنا أنه لا يفتحها إلا بالآن فقال قتيبة الله أكبر أنا صاحبها لأن قتيبة تفسيره بالفارسية بالآن، فلما يئس من مكابرتها هيأ صناديق وجعل لها أبواباً تغلق من داخل وجعل فيها رجالاً مستلئمين، **وقال**: أنا راحل عنكم ومعي أموال أريد أن أجعلها عندكم. فأمر دهقانها ففتح الباب وأدخلت الصناديق فخرجوا وقتلوا من فيها وفتحوها.

● **المتسمّي باسم لا يليقُ به**

قال بكر بن النطاح:

وأعجبُ منك اليومَ تسليمُ أمرِه ... عليك على طنز وأنك قابلُه

وقال عبدان:

هل رأيتُم أو سمعتُم ... بكياء أصفهان

وقال الصاحب:

الغضاري قال ادعى كياء ... لستُ أرضى بالشيخ والأستاذِ

هل رأيتُم يا سادتي أو سمِعْتم ... بكياء من أهلِ نصر أباذِ

● **الحثُّ على تعرف أسماء الأصدقاء:**

وقد تلتَقي الأسماءُ في النّاس والكنَى ... كثيراً ولكن لا تلاقي الخلائِق

وقال:

وكم من سميّ ليس مثل سميه ... وإن كانَ يدْعى باسمه فيجيبُ

وقال:

لشتانَ ما بيْن اليزيدَيْن في النّدى ... يزيد سليم والأغرّ بن حاتمِ

وفي فصل لأبي الفضل بن العميد إلى محمد بن يحيى: وما أحسبنا نشترك إلا في الاسم وشتان بين محمد، ومحمد فلو كنا السماكَين لكنت **الرامح** وكنت **الأعزل** أو النسرين لكنت **الطائر** وأنا **الواقع**، أو السعدين لكنت **سعد السعود** وكنت **سعد الذابح**.

---

(١) **دهقان**: (كلمة فارسية) معناها سيّد الإقليم.

● **الحثُّ على تسمية الغيرِ بأحسنِ الأسماءِ**

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[1]، وقال ابن الخزاعي:

ولستُ بذي نيربٍ في الكرا ... مِ ومنّاع خيرٍ وسبّابَها
ولكن أطاوعُ ساداتِها ... ولا أتعلّم ألقابَها

وقيل ثلاثة تثبت لك الود عند أخيك: أن تبدأه بالسلام، وتوسّع له في المجلس وتناديه بأحب الأسماء إليه.

وقال الطائي:

لا يُضمِرُ الغدْرَ للصديقِ ولا ... يخطو اسم ذي ودّه إلى لقبه

وقال:

أكنيه حينَ أناديه لأكرمَه ... ولا ألقبه والسوءةُ اللقَبُ

وجرى بين أبي بكر بن فريعة القاضي وبين بعض القواد كلام في مجلس أبي الحسين بن بويه وكان أبو بكر يقول مرّة: يا إبراهيم، ومرة يا أبا إسحاق، فغضب القائد من ذلك وقال: لِمَ لا تقول كياء؟ فقال إنما نكياءك إذا أنصفتنا، فإذا ظلمتنا سحقناك وبرهمناك.

● **الاعتذارُ لِمَنْ سمّي بغير اسمهِ المشهورِ بِهِ**

صاح أعرابي بعبد الله بن جعفر فقال: يا أبا الفضل. فقال: ليس هذا كنيتي، فقال: إن لم يكن كنيتك فإنه وصفك.

وكان يحيى بن أكثم يناظر رجلاً في إبطال القياس وكان الرجل يكنيه بأبي زكريا. فقال له: يحيى إنها ليست بكنيتي فقال إن كل يحيى يكنى بأبي زكريا. فقال: يحيى العجب أنك تكنيني بالقياس، وتناظرني في إبطاله. ودخل رجل على أمير يدعى إسحاق فقال له: يا أبا يعقوب، فقال: أخطأت أنا أبو الحسين، فقال إنما أخطأ الأمير لأنّ كل إسحاق يكنى أبا يعقوب.

● **المشاهيرُ بأسماء لا يُعرف بها غيرُهُمْ**

إذا قيل أمير المؤمنين مطلقاً فهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابن عبّاس عبد الله، وابن عمر عبد الله. وكان لهما أولاد غيرهما. والحسن بالحسن البصري، والنابغة نابغة بني ذبيان. والأعشى أعشى بني قيس.

● **من سمّي من الكبار بأسماء وكنى**

النبي ﷺ سمي محمداً ومحموداً وأحمد ولهذا باب طويل:

---

(١) القرآن الكريم: الحجرات/ ١١.

نوادر مختلفة في ذكر الأسماء

قيل لحائك أبو مَنْ؟ فقال أبو محمد عليه السلام وقال علي رضي الله عنه: ما اجتمع قوم في مشورة فلم يدخلوا من اسمه محمد إلا لم يبارك لهم فيها.

وقال ابن أبي ليلى: أحب الأسماء إلى الله تعالى ما فيه الإقرار بالعبودية له تعالى.

ودقّ باب الجاحظ رجل فقال من؟ قال: أنا. قال: لا يُعْرَفُ مَنْ اسمه أنا. ودق آخر فقيل مَنْ؟ قال: أنا. قال: ما أفلح ذو أنا.

ودخل مجوسي على والٍ فقال: ما اسمك؟ قال: يزدان بآذان. قال: اسمان وجزية واحدة لا يكون ذلك وألزمه جزيتين.

وقال رجل للفرزدق: من أنت؟ قال: فرزدق. قال: لا نعرف فرزدقاً إلا عجيناً فتيتا تأكله نساؤنا. فقال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم.

وقال أعرابي لرجل: ما اسمك؟ قال: عبد الله قال: ابن من؟ قال: ابن عبيد الله. قال: أبو من؟ قال: أبو عبد الله الرحمن. فقال الأعرابي أشهد أنك تلوذ بالله لياذ لئيم جبان.

وجاءت عجوز إلى لحّام بالمدينة فدفعت له درهماً وقالت ادفع لحماً طيباً، واذكر اسمك لأدعو لك فدفع إليها أخبث لحم، وقال اسمي من يمد، فجعلت المرأة تأكل وتقول: لعن الله من يمد تلعن نفسها ولا تدري.

وكان بالبصرة شيخ يقال له أبو حفص اللوطي فدخل يعود جاراً له فوجده كالمغمى عليه فقال له: أتعرفني؟ قال نعم أنت أبو حفص اللوطي فقال تجاوزت حد المعرفة لا رفع الله صرعتك.

مَنْ غضب على غيره لموافقةِ اسمه مَنْ لا يُحِبُّهُ

من الشيعة قوم يبغضون ويقاتلون من كني بأبي بكر أو سمّي بعمر. وكانت قرية يقال لها يزداد وأهلها في الشيعة، مرّ بهم رجل فسألوه عن اسمه فقال: عمران فضربوه ضرب التلف، وقالوا في اسمه عمر وحرفان من اسم عثمان ألا يستحق القتل؟

المسمّى بفعل منه جداً أو هزلاً

سُمّي إبراهيم حنيفاً لأنه حنف عن عبادة الأوثان، ومريم البتول لتبتلها أي انقطاعها إلى الله تعالى، وخطب وال باليمامة فقال: إن الله تعالى لا يقرّ على المعاصي فقد أهلك أمة في ناقة لا تساوي مائتي درهم فسمي مقوم الناقة.

وقال الخليل: كان قوم يلقبون كلّ من مر بهم فأتاهم رجل، فقال: إني أريد أن أتصل بكم بشرط أن تلقبوني أدعوني رأساً برأس فلقبوه رأساً برأس. والشعراء منهم كثير كالمرقش لقوله:

رقّـش فـي ظَـهـر الأديـم قـلَـم

وجران العود لقوله:

خـذا حـذراً يـا جـارتـي فـإنّـنـي رأيـت جـران العُـود قـد كـانَ يـصـلُـح

والممزّق لقوله ولما أمزق.

● ألقابُ الخلفاءِ والولاةِ

أول من لقب من الخلفاء عبد الملك بن مروان لقب الموفق لأمر الله، ثم الوليد المنتقم لأمر الله.

وأول من قال يا أمير المؤمنين أول من قصد أبا بكر وهذا باب واسع. وقيل سمي طاهر ذا اليمينين لأن المأمون كتب إليه: إن أمير المؤمنين قد جعل يمينك يمينه ويسارك يساره فسمي ذا اليمينين.

وكان أصحاب السلطان في زمن التتابعة سبعة أقسام: التبابعة والمباهلة وهم الذين ليس فوقهم، والمقاول وقيل الأقيال والأقوال الواحد قيل وهم ستون رجلاً من أهل بيت الملك يرشحون له ثم المثامنة ثمانون رجلاً إذا مات التبع وضعوا رجلاً من الأقيال تبعاً، ووضعوا رجلاً من الثمانين في الأقيال مكانه، ثم الصنائع وهم ثقات الملك يعدهم لنفسه ثم الوضائع وهم أصحاب المناظر والمسالح، والمقيمون في الثغور ثم العباد وهم خدم السلطان الذين يلزمون بابه ويختلفون في رسائله ثم الأخيار.

● أسماءُ ملوكِ كلِّ صقعٍ وفرسانُها

قد تقدم أسماء ملوكَ الأصقاع في السيادة فأما الفرسان فيقال المرازبة في فارس البطارقة في الروم البكاكرة في السند والهند والمقاول في اليمن والكبش في ترار وتبع في العرب

● من سماه أبوه باسم نفسه من الكبار

عبد الله بن عبد الله بن أبي بكر الصديق، الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مسلم بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، عبد الله بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، عبد الله بن عبد الله بن عمر سعيد بن سعيد بن العاص عتاب بن عتاب بن أسيد.

● شبهُ ألغازٍ بأسماء

قال المنصور لأبي بكر بن عياش يا أبا بكر أخبرني عن عين فقأت عيناً. يريد رجلاً أول اسمه عين قتل رجلاً أول اسمه عين وأراد أن يعلم هل تحدث الناس بما كان منه إلى عبد الله بن علي. فقال: نعم يا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قتله عبد الرحمن بن ملجم، وعبد الله بن الزبير قتله عبد الملك بن مروان وعبد الملك قتله ابن عمه عمرو بن سعيد، وسقط البيت على عبد الله في عهد أمير المؤمنين عبد الله المنصور، فقال: ويلك وذلك مني. وكان عبد الله بن علي خرج على المنصور فوجه إليه أبا مسلم فهزمه ثم صار إلى المنصور بأمان فقيل إنّه بنى له بيتاً جعل في أساسه الملح

وأجرى الماء تحته فوقع فمات ولذلك قال ما قال.

وقال مروان نجد في كتبنا أن عين ابن عين ابن عين يقتل ميم، ابن ميم ابن ميم وأظن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قاتلي، فأنا مروان بن محمد بن مروان قال:

يـا أبـا إسـحـاق اقـلـبْ   نـظْـم إسـحـاقَ وصَـحّـفْ
واتـرُكِ الـحَـيـاء عـلـى حـا   لٍ فـمَـا لـلـحـالِ مـصْـرِفْ

- **المسمّى باسم أمّه وخالِهِ**

فمما عيّر به قول دعبل يهجو:

سـألْـتُـه عـنْ أبـيـهِ   فـقـالَ ديـنـار خَـالـي
فـقـلْـت ديـنـار مـنْ هـو   فـقـال والـي الـجِـبـالِ

قال أبو محمد اليزيدي:

أنـا ابـنُ أخـتِ الـحـسَـن الـحـاجـبِ   قـلْـتُ وأدغـمْـت أبـا خـامـلاً

ونحو ذلك ما حكى أن أبا العيناء سأل ابن أخت أبي الوزير حاجة فلم يقضها له فقال: إنما ألوم نفسي في تأميلك وأنت مضاف إلى مضاف.

ولأبي سعيد الرستمي:

كفَى حزْناً فاسمَع علي بن رستم   لسبطِك أنْ يدعى بسيط جنيدِ
ولـيسَ بـحـمـدِ الله فـيـه مـزلّـة   ولكِن دعوا سعْداً بلفظ سعيدِ

- **المنسوب إلى مَن يجالسُهُ حتى صار كالعَلَم لَهُ**

قال خالد الواسطي الطحان: ما كنت طحاناً ولكن كنت أجلس إلى طحّان فسميت به. وكذلك خالد الحذاء تزوّج امرأة من الحذائين فنسب إليهم، وواصل الغزال إنما كان يجلس إلى غزال، وإسماعيل المكي كان يتّجر إلى مكّة، وهو من أهل البصرة وسمّي البتّي لبت[1] كان يعمله

- **أنواعٌ مختلفةٌ**

دق إنسان على بشّار فقال: من أنت؟ قال: أنا، فقال: انصرف يا أنا، قال أبو على النطاح كان المهدي يحب ابنه إبراهيم فقالت له شكلة أتراه يلي الخلافة؟ فقال: لا، ولا يليها من اسمه إبراهيم. إن إبراهيم الخليل أول من ألقى في النار وإبراهيم ابن النبي ﷺ لم يعش وبويع إبراهيم بن الوليد فلم يتم له الأمر، وأحكم إبراهيم الإمام أمر الملك فقتل وتمّ لغيره. وطلب الخلافة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فما تمّت له على جلالته وكثرة جيشه، وقد بايع المتوكل لابنه إبراهيم المؤيّد فلم يتم له وقتل.

---

(١) البتّ: الثوب الغليظ جمع بتوت.

الحدّ الثامن عشر

في الملابس والطّيب

•

(١)
الرّخصةُ في إجادةِ المَلْبس وعُذرُ فاعلِه ديناً ودنيا

•

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[١] وقال تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[٢] وقال ﷺ: إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس.

وبعث ملك الروم إلى النبي ﷺ جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان واشترى ﷺ جبة بثمانين ناقة. وكان الحسن يلبس ثوباً بأربعمائة درهم وفرقدالسنجي كان يلبس المسوح، فلقيه الحسن فقال: يا أبا سعيد ما ألين ثوبك، فقال الحسن: يا فريقد ليس لين ثيابي يباعدني من الله ولا خشونتها تقرّبك منه، إن الله جميل يحب الجمال.

وكان سعيد بن المسيّب يلبس الحلّة بألف درهم ويدخل المسجد ويقول: أجالس ربّي. ودخل الوليد بن يزيد على هشام وعليه عمامة وشي، فقال: بكم أخذتها؟ قال: بألف درهم. قال: عمامة بألف درهم؟ قال: إني أخذتها لأشرفِ أعضائي، وأنت أخذت جارية بألف دينار لأخسّ أعضائك.

وقال ابن عباس: كلْ ما شئت وألبسْ ما شئت ما أخطأك اثنتان: إسراف ومخيلة. **وقيل**: مروءتان ظاهرتان: الرياش والفصاحة. **وقيل**: المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة وأنشد:

إذا النَّفَرُ السودُ اليمَانون حاولوا ... لـه نسجَ بُرديه أدقُّوا وأوسَعوا

• الحثُّ على تَغطيةِ سوءِ الحالِ بإجادةِ الثّياب

قال بعض الحكماء: كن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً أقل ما تكون في الباطن مآلا فالكريم من كرمت عند الخصاصة[٣] خلّته، واللئيم من لؤمت عند الحاجة طعمته. وكان بعض القرشيين إذا اتسع لبس أرثّ ثيابه وإذا افتقر لبس أحسنها ويقول: إذا اتسعت تزيّنت بالهبة، وإذا افتقرت تزينت بالهيئة.

---

(١) القرآن الكريم: الضحى/١. (٢) القرآن الكريم: الأعراف/٣٠. (٣) الخصاصة: العوز والضيق.

● **النهيُ عن الملابسِ المَشهورةِ وما لا يَليقُ بلابِسه ومدحُ الاقتصادِ**

قال النبي ﷺ: من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب ذلّ يوم القيامة. **وقال عمر رضي الله عنه**: إياكم أن تلبسوا ألبسة مشهورة أو محقورة. **وقال خالد**: إلبسوا من الثياب ما تستحسنه الملوك والسوقة، فإن تغيرت بأحدكم حال لم يعلم به أحد. **وقيل**: إلبس ما لا يزدريك به السفهاء ولا يعيبك به العلماء.

قال العلوي:

ليس لبسُ الطيالس ... من لباسِ الفوارسِ[1]
لا ولا حومة الوغا ... كصدورِ المجالِسِ

● **نَهيٌ من يداخِلُ السَّلاطينَ عن الثِّيابِ الفاخِرة**

قال دهقان[2] **لابنه**: إياك إذا نلت منزلة من السلطان أن تلبس ما يديم نظره إليك، واعلم أن الوشي لا يلبسه إلا أحمق أو ملك، وعليك بالبياض اللين فكل أبيض عندهم ثوب. وحكي أن الشيخ الأمين عبّاد بن العباس كان له جبّات كثيرة كلها عنّابي على لون واحد، يخدم بها ركن الدولة الحسن بن بويه، **فقال يوماً لحاشيته**: أنظروا إلى نظافته يلبس جبّة كذا كذا سنة لا يغيّرها ولا يبليها.

وقيل: أراد عمرو بن مسعدة يوماً الركوب إلى السلطان في ثياب وشي، **فقال له نوح بن إبراهيم**: لا تفعل، **فقال**: لم لا أفعل وغلتي كل شهر كذا؟ فقال إبراهيم غلّتك مسموعة وجبتك ملحوظة.

● **مَنْ لَبِس المَعَاوزِ من الصالحين**

قيل: كان أويس يلتقط الخرق من المزابل فيخيطها ويلبسها. وعمر رضي الله عنه رؤي عليه قميص فيه اثنتا عشرة رقعة وهو يخطب. **وقال أبو أويس الخولاني**: قلب نقي في ثوب دنس أحب من قلب دنس في ثوب نقي. وكان لعمر رضي الله عنه قميص قيمته أربعة دراهم، **فقال**: إني أخشى أن أسأل عن لينه يوم القيامة، فبكى سالم غلامه **وقال له**: رأيتك قبل الخلافة لبست ثوباً بأربعين ديناراً فاستحسنته. **فقال**: يا سالم إني كنت لم أنل شيئاً إلا طلبت ما فوقه فلما نلت الخلافة علمت أن ليس فوقها إلا الجنّة فدعني أطلبها.

وقال رجاء بن حيوة قوّمت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة بإثني عشر درهماً قميصه وخفّه وعمامته وسراويله وقلنسوته.

● **حمد لبس المعاوز**

قيل: ألبس من الثياب ما يخدمك ولا يستخدمك وقال عمرو بن العاص: لا أملّ

---

(١) **الطيلس**: جمع طيالس، كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء.

(٢) **دهقان**: (فارسية). جمع دهاقنة، رئيس الإقليم.

ثوبي ما ستر عورتي ولا دابتي ما حملت رحلي. وكان خزيم الناعم لم يكن يلبس في الصيف إلا خلقاً[١] ولا في الشتاء إلا جديداً.

● عُذْرُ مَنْ لَوُّمَ لبسُهُ وكَرُمَتْ نَفْسُهُ

دخل النجار العذري على معاوية فازدراه. **فقال**: يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك إنما يكلمك من فيها فملأ سمعه حكمة ثم نهض ولم يسأله شيئاً فقال ما رأيت أحقر أولاً ولا أكبر آخراً منه وعاتب يحيى بن خالد العتبي في خلق ثيابه، **فقال**: أخزى الله من ترفعه هيئتاه ثيابه وجماله ولم يرفعه أكبراه همته ونفسه إنما الهيئة للأبناء والنساء وقال حبيب بن أبي ثابت. لأن أعزّ في خميصة أحب إليّ من أن أُذَلّ في مطرف. وقيل: لا يسود الرجل حتى لا يبالي في أي ثوبيه ظهر. **قال أبو هفّان**:

تعجّبتْ درُّ من شيْبي فَقلتُ لها: لا تَعجَبي فطلوعُ الشمس في السَّدَفِ[٢]
وزادها عجَباً أن رحتُ في سَمِلٍ وما درتْ درّ أن الدرّ في الصَّدفِ[٣]

وقال:

أعاذلُ أن يكونَ بردايَ رثاً فلا يعدِمك بينهما كَريمُ

وقال النمر بن تولب:

فإن يكُ أثوابي تمزّقن عنْ بِلى فإني كمثلِ السيف في خَلَق الغِمْدِ[٤]

ونظرت جارية لابن هبيرة وهو أمير العراق وعليه قميص مرقوع فضحكت، **فأنشد**:

هزئتْ أمامةُ أن رأتني مُمْلِقاً ثَكِلَتْكَ أمُّك أي ذاك يروعُ
قد يدركُ الشرفَ الفتى ورداؤه خلِقٌ وجَيْبُ قَميصِهِ مرْقوعُ

وقيل: لا يسود الرجل حتى لا يدري أي ثوبيه لبس.

وقال البحتري:

وليس العُلى درّاعةً ورِداءَها ولا جُبّةً موشيةً وقميصَها

وفي صبيح الوجه عليه خلق:

لا تَعْجبوا من بِلى غلالتِه قد زرّ أزرارَهُ على القَمَرِ

● مَنْ عُوتِبَ في خَلَق ثيابِهِ فاعتذَر بالفَقرِ

قال بعض الكبار لأبي الأسود عليه جبة خز خلقة طال صحبتها له: أما تمل لبسها؟ **فقال**: رُبَّ مملول لا يستطاع فراقه فأمر له بمال ودخل محمد بن كعب على سليمان **فقال**:

---

(١) **الخلق من الثياب**: البالي. (٢) **السدف**: ظلمة الليل.
(٣) **السمل**: الثوب البالي.
(٤) **خلَق الغمد**: الغمد: غلاف السيف، والغمد الخلق البالي.

ما هذه الثياب الرثّة؟ **فقال**: أكره أن أقول الزهد فأطرى نفسي أو الفقر فأشكو ربي.

وقال الإسكندر لرجل رث تكلم بفصاحة: ليكن حسن ثيابك كحسن كلامك، **فقال**: أما الكلام فأنا قادر عليه وأما الثياب فأنت تقدر عليها. فخلع عليه.

● **العَرْيانُ**

قيل: فلان أعرى من المغزل، وقيل لأعرابي: ما تلبس؟ **قال**: الليل إذا عسعس[1] والصبح إذا تنفس. قال أبو هفان:

عـريـانُ أغـرى مـن قُـصـوص الـنَّـرْدِ كـالـسَّـيْـفِ مـاضٍ مـالَـه مـن غِـمْـدِ

وأنشد رجل يحيى بن خالد:

إنّـي امـرؤٌ فـي أعـالـي بـيـتِ مَـكـرُمـةٍ إذا تـمـزَّقَ ثَـوْبـي أرْتـدي حَـسَـبـي

فقال يحيى: ما أقل غناه هذا الرداء في الكانونين. **وقال الأصمعي**: قلت لأعرابي في يوم بارد ألا تصلي، **فقال**: البرد شديد ومالي كسوة، **وأنشد**:

فـإن يـكـسـنـي ربّـي قـمـيـصـاً وجـبّـة أصـلِّ واعـبـدْه إلـى آخـرِ الـدهـرِ

وإنْ لا يـكـن إلا بـقـايـا عـبـاءةٍ مـخـرّقة مالي على البرد من صَبْرِ

● **من يصونُ ثوبَه ويُهينُ نفسَهُ**

قال ابن أبي الصمت:

أرى حـلالاً تُـصـان عـلـى رِجـالٍ وأعْـراضـاً تُـزالُ ولا تُـصـانُ

وقال:

فَـتـرى خـسيـسَ القـوم يَتْرُكُ عِرْضَـهُ دنِـسـاً وَيَـمْـسـحُ نَـعْـلَـه وشِـراكَـهـا

● **عُذرُ مَنْ يتشوَّه لبسُهُ**

كان ابن أبي داود، مضطرب الطيلسان لا يحسن لبسه، **فقال له أبو العلاء المعري**: لئن كنت لا تحسن أن تلبس الطيلسان إنك لتحسن أن تلبس نعمك جماعة الإخوان. **وقال آخر** وقيل له لا تحسن أن تلبس الثياب، **فقال**: لكني أحسن أن ألبسها.

وعوتب آخر **فقال**: من عظمت مؤنته في نفسه قلّ تفقده لأمر غيره، **وقيل**: من كان شغله بنفسه فقد مكر به. وقيل ما استوت عمامة على رأس كريم قط.

● **إعطاءُ الخِلَعَ**

قيل: من راح منك في الثياب تغدو منه في الثناء.

قال البحتري:

وَراحَ فـــي ثـــنـــائـــي ورحــتُ فـــي ثِـــيـــابِـــه

---

(١) إذ اعسعس: إذا أظلم.

وقيل: أحق الناس بحلتك أصدقهم في خلتك **وقيل**: ثوبك على أخيك بالياً أحسن منه عليك جديداً **وقال المهلب لأولاده**: ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم.

● **مَن تُزَيِّنُ به الثِّيابُ ولا يَتَزَيَّنُ بِها**

كتب بعضهم: فلان تتزين به المطارف وتتشرف به المكارم.

قال بشّار:

زيْنُ الملابسِ حينَ يَلْبَسُها ... وإذا تَسلَّبَ زانه سَلْبُه

وقال:

إنَّ المليحةَ من تُزيِّن حُلْيَها ... لا من غَدَتْ بحُلِيها تتزينُ

قال جميل:

إذا ابتزلت لم يُزْرِهَا تركُ زِينةٍ ... وفيها إذا ازدانَتْ لدى نيقةٍ حسبُ(١)

قال المتنبي:

لبسْنَ الوشيَ لا متجمّلاتٍ ... ولكنْ كيْ يَصُنَّ بِهِ الجَمالا

قال كشاجم:

قد تأمّلْتُ في الغلالةِ منه ... جسدَ النُّورِ في قميصِ الهواءِ

● **ذَمُّ مَنْ حَسُنَ لِباسُهُ ولؤمَ فِعالُهُ وخَلْقُهُ**

ذمّ أعرابي رجلاً **فقال**: هو عبل البدن حسن الثياب عظيم الرواق صغير الأخلاق. الدهر يرفعه ونفسه تضعه. ونظر أرسطاليس إلى رجل حسن اللباس سيء الكلام **فقال له**: يا رجل تكلم على قدر لباسك أو ألبس على قدر كلامك. **وقيل** ثوب نظيف وجسم سخيف. **قال شاعر**:

إذا لبسُوا دكْنَ الخزوزِ وخضْرَها ... وراحُوا فقد راحتْ عليك المشاجِبُ(٢)

قال الفرزدق:

بكي الخِزّ من عوفٍ وأنكر جلدَه ... وعجّتْ عجِيجاً من جذامِ المَطارف(٣)

وقال البسامي:

كأنّه لمّا بدا مُقْبِلاً ... في حلل يَقْصِرُ عن لبسِها

جاريةٌ رعْناءُ قد قدَّرَت ... ثيابَ مولاها على نفسِها

---

(١) **النيقة**: الزينة والمعجب من الثياب.

(٢) **الخزوز**: جمع خَزّ، وهو الحرير ـ **والمشاجب**: جمع مشجب، وهو الخشبة تُعلّق عليها الثياب.

(٣) **المطارف**: جمع مِطرف، وهو رداء من حرير ـ **الجُذام**: داء يسبب تساقط اللحم والأعضاء.

قال الخوارزمي:

أبو سعدٍ له ثوبٌ نفيسٌ ... ولكنْ تحتَ ذاك الثوبِ عَزَبُه[1]
فإنْ جاوزت كِسوته إليه ... فليس وَراء عبادانِ قُرْبُه[2]

وقال:

وما الثقفيُّ إنْ جادت كِساهُ ... وراعك شخصُه إلاّ خيالُ[3]

وقال آخر:

استجيدوا الثيابَ إنَّ حمارَ السُّوءِ ... تُخفى عيُوبُه بالجِلالِ[4]

وقال المتنبي:

ولا يروق مُضيماً حُسْنُ بِزّتِهِ ... وهل يروقُ دفيناً جودةُ الكَفَنِ[5]

● ذمُّ ملابِس التصوُّفِ

قال ابن السماك الصوفي: إن كان لباسكم وفقاً لسرائركم فقد أحببتم أن يطّلع الناس عليها، وإن كان مخالفاً لها فقد نافقتم وهلكتم. **وقال الحسن** فيما أظن أن قوماً جعلوا تواضعهم في ثيابهم وكبرهم في صدورهم حتى لصاحبَ المدرّعة بمدرعته أشد فرحاً من صاحب المطرف بمطرفه.

● حَمْدُ لبْسِ الصُّوفِ وذمُّهُ

روي عن النبي ﷺ: من لبس الصوف وأكل خبز الشعير وركب الأتان فليس فيه شيء من الكبر. **وقيل**: من أحب أن يجد حلاوة الإيمان فليلبس الصوف. **وقيل**: لراهب لم تلبسون السواد؟ **قال**: لأنه أشبه بلباس المصيبة.

وقال ابن سيرين: كان عيسى عليه السلام يلبس الصوف ونبيّنا يلبس الكتان وهو أحب إلينا أن نقتدي به.

● لِبْسُ الحَريرِ والكتّانِ

قال النبي ﷺ: إنما يلبس الحرير من لا خلاق له وروي أنه ﷺ خرج وفي إحدى يديه حرير وفي الأخرى ذهب **فقال**: هذان على ذكور أمّتي حرامان حلالان على أنائهم. **وقال بعض الأمراء لحاجبه**: أدخل إليّ رجلاً عاقلاً فأدخل رجلاً **فقال**: من أين عرفت عقله؟ **قال**: رأيته لبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء والعتيق في الحرّ والجديد في

---

(١) **عزبه العَزَب**: من لا أهل له.

(٢) **القربة**: القرب من الرحم، **والقُرَب** ما يتقرّب به إلى الله.

(٣) **راعك شخصه**: أعجبك.

(٤) **الجلال**: ما تُلْبَسه الدابة لتصان به.

(٥) **المُضيم**: الذليل.

البرد. **وقال أمير المؤمنين**: لا يلبس الكتّان إلا غنيّ أو عني[1]

● ذَمّ سَحْبِ الثَّوْبِ ومَدحُهُ

روي في الحديث: فضل الإزار في النار. **وقال عمر بن عبد العزيز لمؤدّبه**: كيف كانت طاعتي إليك؟ **قال**: أحسن طاعة. **قال**: فأطعني كما أطعتك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثيابك حتى تبدو قدماك.

وخلع الرشيد على يزيد بن مزيد وكان يجالسه رجل من اليمن، **فقال المياني**: أجرر فما عرق جبينك في نسجه **فقال**: عليكم نسجه وعلينا سحبه. ونظر سعيد بن سالم إلى أحمد إبنه وعليه ثوب طويل يجرّه فعاتبه، **فقال**: يا أبتي إني قصير وعادتي إذا لبست ثوباً مرة ومرتين أن أهبه وأكره أن أهبه لمن لا يصلح له فاحتملت قبح ذلك لما فيه من مصلحتهم.

● الثوبُ الخَلِقُ

للحمدوني في ذلك أشعار كثيرة وله اختصاص بوصف ذلك، منها قوله في طيلسان كثر رفوه[2]:

يا ابنَ حرب أطلْتَ فقْري برفوي ... طيلسَاناً قد كنتُ عنه غنيّا
فهو في الرفوِ آلُ فرعون في العر ... ضِ على النّار بكرَةً وعَشِيّا

وقال:

طَالَ تردادُهُ إلى الرَّفو حتّى ... لو بعثْناه وحدَه لتهَدّى[3]

وقوله:

عمرَتْه الرِّقاعُ فهو كمصرٍ ... سَكَنتْهُ نِزاعُ كلُّ قبيلَه[4]

ولآخر في جبة:

دبَّ فيها البِلى فَدَقَّتْ ورقّتْ ... فهي تقرا إذا السماء انشقّتْ[5]

قال البسّامي:

أَرقَعُ كمَّيها وأرفو ذيولَها ... فلا رفوُها يُجدي ولا رَقْعُها يُغْني
إذا قمْتُ فيها أو قعَدْتُ تَنَفّسْتُ ... تنفُّسَ صبّ ما يَقِرُّ من الحُزْنِ[6]

● التعمُّم

قال ﷺ: اعتمّوا تزدادوا حلماً. **وقال عمر رضي الله عنه**: العمائم تيجان العرب.

---

(١) **العني**: المهتم. (٢) **الرفو**: إصلاح الثوب.
(٣) **لتهدّى**: أي لاهتدى واسترشد بمفرده. (٤) **نزاع**: خصومة.
(٥) إشارة إلى الآية القرآنية: ﴿**وإذا السماء انشقت**...﴾ [الانشقاق: ١].
(٦) **الصبّ**: العاشق، المولّه.

وقولهم سيّد معمّم معصب فيه تأويلان أحدهما هو المتعصب بجرائر قومه والآخر بمعنى الشرف، **ومنه قول دريد**:

عاري الأشاجعِ معصوبٌ بلمّته ... أمرُ الزعامةِ في عِرْنينه شَمَمُ[1]

وقال أبو أمامة: إذا طولت الكمة وكورت العمة ووسعت الأكمة فقد هلكت الأمة وكان السيد يتعمّم بعمامة صفراء ومنه الزبرقان لصفرة عمامته.

وذكرت العمامة لأبي الأسود **فقال**: هي جنّة في الحرب ومُكنة في الحر ومِدفأة في القرّ، ووقار في الندى، وزيادة في القامة وتعظيم للهامة. وبعث ﷺ أسامة بن زيد في بعض سراياه فعمّمه بيده، وسدل طرف عمامته.

قال شاعر:

إذا لَبسوا عمائمَهم طَوَوْها ... على كَرمٍ وإن سَفَروا أناروا

● مَدْحُ التقنُّع وذمُّهُ

كان فرسان العرب يتقنعون إلا أبو تميم بن طريف لم يتقنّع قط، ولم يبال أن يعرف. **وقيل**: التقنّع بالليل ريبة وبالنهار مذلة. وكان التقنّع من شيم الأشراف يقصدون بذلك مباينة العامّة، **ويقولون**: عدم القناع يفضي إلى ملال وابتذال. فمن وطئته الأعين وطئته الأرجل.

● التاجُ

كانت ملوك العجم وكثير من ملوك العرب يتتوجون **ويقولون للملك**: المتوّج. **وقالت الخزرج للنبي ﷺ** في عبد الله بن أبي بن سلول: لقد جئتنا حين نظمنا الخرز لتتويجه وكان السيف من قريش يتعصب في النادي ويفتخر.

وبنو أمية جلسوا على الأسرة ولم يتوّجوا. وكان الوليد الخليع بنى قبّة ليضعها فوق الكعبة، لتكون مجلساً له ونزهة، وانتظر بذلك مع وضع التاج على رأسه كيف احتمال الناس له.

● الألَوانُ

سئل بعض الأعراب عن ألوان الثياب **فقال**: الصفرة أشكل والحمرة أجمل والخضرة أنبل والسواد أهول والبياض أفضل.

وقال ابن عباس: لو كان البياض صبغاً لتنوفس فيه. **قال شاعر**:

وتعرّضت لك في البياضِ كأنّهُ ... درٌّ تنظّمُهُ بِغَيرِ فُصولِ

قال العباس في سوداء، لبست قميصاً مورداً:

فحمَةٌ ألبسَت رداءً من الجمـ ... ـر وناراً تستنّ في حِراقِ

---

(١) العرنين: الأنف. والسيد الشريف.

وكان الأوزاعي يكره لبس السواد **ويقول** يلبس في المأتم ويمثله يعاقب المحرِم، ولم أره على محرم ولا جليت فيه عروس ولا كفن فيه ميت. **قال أفلاطون**: الصبغ الشقائقي والروائح الزعفرانية تسكن الغضب، والصبغ الياقوتي والروائح الوردية والنرجسية تحرك السرور، فإذا قرنت اللون الأحمر باللون الأصفر حركت القوّة العشقية، وإذا قرنت الأصفر بالأسود تحركت الشوقية، وإذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية، وإذا مزجت التفاحيّة بالخمرية تحركت الطبائع كلّها.

● الحثُّ على صيانة الثّوبِ

قيل: لكل شيء راحة وراحة الثوب طيبه وراحة البيت كنسه. **وقيل**: إن الثوب **يقول**: صنّي[1] بالليل أصنك بالنهار.

● ذمُّ مَنْ وَسَخ ثوبَهُ

قال بعضهم:

وَسِخُ الثّوب والعمامة والبِر ... ذون والوَجْهِ والقَفا والغُلام

وقال بعضهم:

دنسُ القميصِ غليظُه ... من غير لحمَته سداه
وشعارُه من شعره ... فكأنّه في مَسْكِ شاه[2]

ودخل دسته على بعض المياسير بخراسان يستميحه، وكان وسخ الثياب، **فقال**: لو غسلت قميصك، **فقال**:

أشرت بغسل كمّتنا علينا ... وقد أرعيتها أذناً سميعَه
سأغسلُ كمّتي ويَدي مِنكم ... وأَنْشر عنكم لوْمَ الطبيعَه

وذكر لأبي أيوب المتقشفة **فقال**: ما علمت أن القذر من الدين. ورأى أبو الفتح بن زنكلة صوفياً قذراً، **فقال**: ما علمت أن طريق الجنة على الكنيف[3]

● النّعْلُ

قال عمر رضي الله عنه: اتّزروا وارتدوا وانتعلوا وتمدّدوا أي إفعلوا فعل معد.
وقيل: استجيدوا النعال فإنها خلاخيل الرجال. وألغز بعضهم فيه:

وَمَخزومةُ الأذنين ما تَشتَكيهما ... وَمَطْعونةٌ في الصَّدْرِ ما فَجَرَتْ دماً

ودخل ابن سكرة الحمام فسرقَتْ نعله، **فقال**:

وَلَستُ بداخلِ حَمّامَ موسى ... وإن كان المُنى طِيباً ويُشرا

---

(١) صنّي: من الصيانة، أي احفظني. (٢) المَسْك: الجلد. (٣) الكنيف: المرحاض.

تكاثفتِ اللصوصُ عليّ حتى دخلتُ محمّداً وخرجت بِشرا

أي كنت صاحب النعل فلما خرجت صرت بشراً الحافي. **وقال هشام بن محمد:** مثل الذي يقعد ولا يخلع نعليه مثل الدابّة فلا يحلّ حملها.

قال شاعر:

يُمشي ويغدو راجلاً في خَلِقٍ من الحِذا
خفّك يمشي جانباً وأنتَ منه في جِذا[١]

وفي المثل: كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع

• أنواعٌ من الثيابِ

قيل: ثلاثة من لباس البخلاء الخزّ والقومسية والأدم، **وقيل:** الدواويج من لباس القبط، والدراريع لباس الروم، والأقبية لباس الفرس، والفوط لباس الهند، والأزر لباس العرب.

وقيل: كان لأبرويز عمامة طولها خمسون ذراعاً إذا اتسخت طرحت في النار فتأكل وسخها، وكان له ثوب قرمز يتلوّن كل ساعة بلون، وسراويل جوهر وتكّة أنابيب زبرجد في اللين كالغصن.

• الخَاتَمُ

كان خاتمه ﷺ حلقة فضّة وعليه فصّ عقيق وكان يتختّم به في يمينه وسبب اتخاذه أنه كتب إلى ملك الروم، **فقيل** له: إنه لا يقبل كتاباً إلا مختوماً، فاتّخذه حينئذ. **وعنه** ﷺ: لا يلبس الخاتم إلا أمير أو ذو مال. وأوّل من تختّم في يساره معاوية رضي الله عنه، **وقيل:**

قالوا تَختَّمُ في اليمينِ وإنّما مارستُ ذاك تشبُّهاً بالصَّادِقِ
وتقرُّباً منّي لآل محمد وتباعُداً مني لكلّ مُنافِقِ
الماسحين فروجهم بخواتمَ اسم النبي بهنّ واسم الخالقِ

• إتخاذُ الحُلي

نهى النبي ﷺ عن اتخاذ أواني الذهب والفضة **وقال:** من شرب في إناء من فضة فكأنما تجرجر في جوفه نار جهنم. واتخذ الهادي لجاماً من فضّة **فقال له المهدي:** أما تعلم الناس أنّ لك فضة ارجع إلى حالك.

• مَحبةُ الطِّيبِ والحَثُّ عَلى تَناوُلِهِ

قال ﷺ: حبب إليّ من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة. **وقال** ﷺ: حقّ على كل مسلم الطّيب والغسل والسواك يوم الجمعة، وأن يلبس من أحسن ثياب أهله، وأن يمس الطيب إن وجد وإن لم يجد فالماء له طيب.

---

(١) وأنت في حذاء: وأنت بحذائه.

وقال الشعبي: الرائحة الطيبة تزيد في العقل. **وقيل**: من طاب ريحه زاد عقله ومن نظف ثوبه قلّ همه.

● نَهيُ مَنْ عُرِضَ عليه طِيبٌ فَرَدَّه والحَثُّ على عَرْضِهِ

قال النبي ﷺ: إذا أتى أحدكم بطيب فليمس منه وإذا أتى بحلواء فليمس منها. **وروى أبو هريرة**: لا تردّوا الطيب فإنه طيب الريح خفيف المحمل.

● ما يُستَحَبُّ للرّجال والنّساء مِنَ الطِّيبِ

كان ابن عمر يستجمر بالألُوَّة[1] غير مطراة وبكافورة معه. **وقال ﷺ**: طيب الرجال ريح لا لون له وطيب النساء لون لا ريح له، يعني طيب النساء إذا خرجن. **وروي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما**: تحفة الصائم أن يدهن لحيته ويجمّر ثيابه، وتحفة الصائمة أن تذرر وتمشط رأسها وتجمر ثيابها[2]

● أنواعُ الطِّيبِ

أوّل من سمى الغالية[3] معاوية، وذلك أن عبد الله بن جعفر اتخذها وأهداها له فسأله عن كلفتها فأخبره، فقال: هي غالية. **وقال مالك بن أسماء** لأخته وقد شم منها ريحاً طيبة علميني هذا الطيّب، **فقالت**: ما أخذته إلا من شعرك:

أطيبُ الطّيب طيبُ أم أبان ... فأرُ مسك بعنبر مسحوقِ[4]

فأدخل على الحجاج، فقال: ما الذي أسهرني فسمي الساهر به. **وقال بعض النصارى**: دخنة مريم تبلغ رائحتها عنان السماء، **فقال مخنث**: فالندّ[5] إذاً يبلغ تحت العرش.

● الإستقصاءُ في التبخُّرِ

قيل: من الظرف والكرم الإستقصاء في التبخُّر، ووضعت مجمرة تحت رجل فاستعجله الواضع، **وقال ألا تضجر منها، فقال**: إني أقعد على المستراح ساعات فلا أضجر، أفأضجر من ثلث ساعة أتبخّر فيها.

● المُسْتَغْني عَنِ الطِّيبِ بطِيبِ رائِحتِهِ

قال شاعر:

الطيّبون ثياباً كلّما عرقوا

وقال آخر:

يا باسطاً كفه نحوي يُطيّبني ... كفاكَ أطيبُ في نفسي من الطِّيبِ

---

(١) **الألُوَّة**: عودٌ يُتبخر به.

(٢) **يجمّر ثيابه**: يبخرها بالطّيب.

(٣) **الغالية**: الطِّيب، الرائحة العطرة.

(٤) **فأر مسك**: وعاء المسك.

(٥) **الندّ**: البخور.

وقال:

وما ضرّ مَنْ أمسيتُ جارةَ بيتِه ... وفي رَحلِهِ أن لا يمسَّ مِنَ الطِّيبِ

● **البخورُ الطيّبُ**

قال الخوارزمي:

بخورٌ مثلُ أنفاسِ الحبيبِ ... وطيبٌ قد أخلَّ بكلِّ طيبِ
يظلُّ الذيلُ يسترُه ولكنْ ... تنمُّ عليه أنفاسُ الجنوبِ[1]
إذا ما شمّ أنفٌ حنّ قلبٌ ... كأنّ الأنفَ جاسوسُ القلوب

● **وصفُ من رُؤي متطيّباً**

كان النبي ﷺ يُعرف خروجه برائحة المسك، وكان يعجبه المسك.

قال الشاعر:

ويضوعُ مسكاً ريحُ طيبِ ثيابِه ... وكذاك ريحُ الماجدِ الوهّابِ

وقال:

كأن تجاراً تحمل المِسكَ عَرّسوا ... به ثُمَّ فضّوا ثم كل خَتّام[2]

قال أبو ذهيل:

في كفه خيزرانٌ ريحُه عَبِقٌ ... من كفّ أَروعَ في عِرْنينه شَمَمُ[3]

وكان الزهري يشم منه رائحة المسك حتى من علاقة سوطه. **قال طرفة:**

ثم راحوا يعبق المسك بهم ... يلحقون الأرض هداب الأزر[4]

قال أبو نواس:

وكأنّ القومَ بُهتى ... بينهم مسكٌ ذبيحُ[5]

قال شاعر:

بأبي مِنْ بعضِه مِنْ ... طِيبِهِ يَعشقُ بَعضا

حُمل بخور إلى مجنون فَحُرق ثوبه فحلف لا يتبخر إلا عرياناً.

---

(١) **أنفاس الجنوب**: إشارة إلى ريح الجنوب.

(٢) **عرّسوا**: عرّس المسافرون: نزلوا للاستراحة. (٣) **العرنين**: الأنف.

(٤) **هُدّاب الأرز**: خيوط الثوب التي تبقى في طرفيه لا يكمل نسجها.

(٥) **بهتى**: مدهوشون.

(٢)

ومِمَّا جاء في آلاتِ الدارِ

●

قال الله تعالى في ذمّ قوم: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾[(١)] والمحلات عند العرب الدلو والمقدحة والفأس والقربة والقدر، وذاك أن من كان معه ذلك حلّ حيث أراد:

لا يعدلن إتاويون تضرُّ بهم ... نكباءُ صرّ بأصحابِ المحلاتِ[(٢)]

وقيل: أشبه امرأ بعض بزه وكل سلعة لا تشبه صاحبها سرقة. وقيل: إستبن حزم الرجل بمتاع بيته. وأراد رجل أن يمدح رجلاً عن خالد بن عبد الله، فقال: دخلت عليه فوجدته أثرى الناس داراً وآلة وأثاثاً وفرشاً، فقال خالد هذه حالة من لم تدع فيه شهوته للكرم والمعروف موضعاً.

ودعا بعض الناس حكيماً إلى داره وهي في غاية الفرش والرجل في غاية الجهل، فبزق الحكيم في وجهه فغضب الرجل، **فقال الحكيم**: طلبت موضعاً في دارك أبزق فيه فلم أجد موضعاً أقبح من نفسك فجعلتها موضعاً لبزاقي، إذ كان من شرطه أن يقذف في أخس ما كان. **قال شاعر في وسادة منقوشة**:

ومكسورة حمراً كأن متونَها ... نسورٌ لدى جَنْبِ الخوان جُموحُ

وقال:

ومكسورة باثنين وهي صحيحةٌ ... حبيبٌ إلى كلّ النفوس التزامُها

وقيل: في الفراش الطبري فضيلتان برد صفحته ومجانسة لونه لون السماء فالنفس تسكن إليه من الجهتين.

● الفُرشُ المُصوَّرةُ

كان ﷺ إذا رأى صورة في ثوب قصّه ونهى عن التصاوير. وبعث كسرى إلى أبي سفيان بوسادة مصورة فجعلها على رأسه فاستحمقه، **وقال** قد بعثتها إليك لتقعد عليها، **قال**: قد علمت ولكن رأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم أعضائي، **قال الببغاء في فأرة مصورة**:

أنظر إلى صورة لو أنها عَلِمتْ ... بمن تُشبه لم تَظْهرْ لبانيها

---

(١) **القرآن الكريم**: الماعون/ ٧.

(٢) **أتاويون**: جمع الإتاوي وهو الغريب ـ **النكباء**: ريح تخرق عن مهاب ريحين هما الصبا ورياح الشمال ـ **والريح الصر**: الشديدة.

ترى الملوكَ وقوفاً حوْلَ مالكِها وعدةُ الدولةِ المأمولُ يعليها

وقال الرّفاء:

صَنَعَتْ فوقَها التماثيل أيدٍ عاجزاتٌ عن صِنْعَةِ الخَلاَّقِ
ألبَسَتْها محاسنَ الخَلْقِ لما عجزتْ عن محاسِنِ الأَخْلاقِ
حيوانٌ بلا حياةٍ فمِنْهُ حائدٌ من منيةٍ وملاقِ(١)

وقال المتنبّي:

وأحسنُ من ماء الشبيبةِ كلِّهِ حَيا بارقٍ في فازةٍ أنا شائمُهْ(٢)
عليها رياضٌ لم تحُكها سحابةٌ وأغصانُ دوحٍ لَمْ تغنِّ حمائمُهْ(٣)
ترى حيوانَ البر منسرحاً بها يحارب ضدٌ ضدَّه ويسالمُه
إذا ضربَتْهُ الرِّيحُ ماجَ كأنّه تجُولُ مذاكيه وتَذأى ضراغِمُه(٤)
وفي صورةِ الرومي ذي التاجِ ذلةٌ لأبيَضَ لا تيجانَ إلاّ عمائمُه(٥)

وقال الببغاء في تمثال سبع في رمح:

وضيغم في ذابل يلوحُ مساورٌ تسيلُ مِنه الروحُ(٦)
جسْمٌ ولكنْ ليس فيه روحْ

● في صورة أفعى:

ومارقٍ معتدلِ الكُعوبِ يقلّ أفعى مدّةَ التركيبِ
تدب في الجو بلا دبيب

● اللّبدُ

قال أبو طالب المأموني:

وواضعةٍ خدَّها بالصَّعيدِ لأربابها فلَها حُرْمَهْ(٧)
منسجةٍ من جُلود النِعاج بغير سداءٍ ولا لُحْمَه

---

(١) الحائد: من حاد حيداً عن الطريق أي عدل عنه ومال ـ المنية: الموت ـ مُلاق: أي يلاقي المنيّة إذ لم يجد حيداً عنها.

(٢) الحيا: المطر ـ البارق: السحاب ذو البرق ـ الفازة: المظلّة بعمودين ـ والشائم: الناظر إلى البرق راجياً المطر.

(٣) الدوح: الشجر العظيم جمع دوحة.

(٤) المذاكي: الخيل المسنة ـ تذأى الصيد: تختله ـ الضراغم: الأسود.

(٥) الرومي ذو التاج: ملك الروم ـ يقول بأن تيجان العرب إنما هي العمائم.

(٦) الذابل: من الرماح: الدقيق. (٧) الصعيد: التراب.

تـزف عـلـى الـزِفّ زِفّ الـرِّئـال ... وتـربُـو عـلـى الـخزّ فـي نِـعْـمَـه[1]

- **خركاة**

قال أبو محمد الباوردي في خركاة عليها ثياب بيض وقد كُشف بعضها:

رأيتُـك والـبـسـتـانُ يـحْـكـي حسنُـه ... سـماءً وفيـهـا حَولَ حُسْنِك مَضرَبُ
وقـد كُـشِـفـتْ لـلـجوّ منـه جـوانـبٌ ... فـنـورُك فـي آفـاقِـه يـتَـشـعَّـبُ
كـأنّـك شـمـسٌ مـن وراء غـمـامـةٍ ... يـمَـزِّقـها عنـه الشـعـاع المـطنَّـبُ[2]

- **الكرسيّ**

قال أبو طالب المأموني:

ومـعـتـقـدٍ يـعْـجـبُ الـنـاظـريـنـا ... ويـعـجـزُ عـن وصـفِـه الـواصـفـونـا
كـأنّ دعـائـمَـه إذ حُـنـيـنـا ... صـوالـجـةٌ فـي يـد الـلاعـبـيـنـا[3]

وقال:

ومُـسـتـوقـفٍ بـجـلـوسِ الـخُـضـور ... عـلـى أربـع بـالـعُـرى مُـوثَـقَـه
يـمـدُّ عـلـى فـرعِـه مَـفـرشـاً ... ويُـظـهـرُ فـي خَـصْـره مِـنْـطَـقَـه
فَـمَـنْ شـاءَ صـيَّـره مـقْـعَـداً ... ومَـنْ شـاء صـيَّـره مـرفِـقَـه
إذ ظـل يـنـشُـرُ مـا قـد طَـواه ... أرى الـحـاضـريـن بـمـا أوسـقَـه[4]
صـلـيـبـي حـديـدٍ إزاءيـن فـي ... عـمـودٍ وتـعـلـوهُـمـا مِـشْـرَقَـه

- **الشمعة**

قال أبو طالب المأموني:

وطـاعـنـةٍ جـلـبـابِ كـلّ دجـنـةٍ ... بـمـاضـي سِـنـانٍ فـي ذؤابـة ذابـلِ[5]
تـجـودُ عـلـى أهـلِ الـنـدى بـنـفْـسـهـا ... ومـا فـوق بـذل الـنـفـس جـودٌ لـبـاذلِ
ويـقـرى عـيـون الـنـاظـريـن ضـيـاؤهـا ... وقـد قـيـدت ألـحـاظُـهـم بـالأصـائـل[6]

وقال السري:

أغـصـانُ تِـبْـرٍ عُـرِّيَـتْ مـن الـورقِ ... آثـارُهـا بـيـن مـصـابـيـحِ الأفـقِ

---

(١) **الرئال**: جمع رئل، وهو ولد النعام ـ **تزف**: زف الطائر: بسط جناحيه ـ **زفّ الرئال**: ريش ولد النعام.
(٢) **المطنّب**: المعلّق بالحبال.
(٣) **صوالجة**: جمع صولجان، وهي العصا المعقوفة الرأس.
(٤) **ما أوسقه**: ما حمّله. (٥) **ذؤابة ذابل**: علاقة رمح دقيق.
(٦) **الأصائل**: جمع أصيل، وهو العشية.

يُغني الندامَى ضوؤها عن الفلَقِ   شفاؤُها إنْ مَرِضتْ ضَربُ العُنُقِ[1]

- **المَنارة**

وقال أبو طالب المأموني:

وقائمةٍ بين الجلوس على سوى   ثلاثٍ فما تخطو بهنّ مكانَا
على رأسِها نجل لها لم تجنِه   حشاها ولا علّته قط لُبانا[2]
يسدِّدُ في أعلاه كلَّ عشيّةٍ   لِشَقِّ جَلابيبِ الظّلامِ سِنانا[3]

قال ابن طباطبا في منارة وسخة:

ومنارةٍ في زيِّ صاحبِها   وسَخاً تراها رثّةً قذِرَه
سوداءُ منتنةٌ فتحسبُها   ملطوخةً بالكُسْبِ والعُذْرَه[4]

وله:

يسيلُ على صَدْره المنارة بزرها   كَمِثْلِ لُعابٍ حينَ سال به أَنْفُ

وقال الصنوبري في سراج مظلم:

لَنا سراجٌ نورُه ظلمةٌ   كأنّما يوقَدُ من قَلْبي
الحبُّ أضناني فما بالُهُ   نضوٌ ولا يَشْكو جَوى الحُبّ[5]

- **الكُوزُ**

عاب عمرو بن عبيد قلّة الخزف **فقال**: ليست بصغيرة فيسقى بها ولا بكبيرة فيستقي منها، وهي ضيّقة الفم ويمنع ذلك من النظر إلى القذى فيها، وثخينة فلا يصل إليها الهواء، وثقيلة على اليد فاصلة عن الروي.

قال الخوارزمي في كوز فقاع:

وضيّقةِ الفمِ دحداحَةٌ   عليها قميصُ ندى أخضَرُ[6]
تثورُ إذا كشفوا رأسها   وإن قبّلوا فمها تهدرُ

- **الزُّجاج**

قال الله تعالى في شأنه: صرح ممرّد من قوارير وضربه مثلاً لنوره فقال: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ

---

(١) **الفلق**: الصبح.   (٢) **اللّبان**: الرضاع، **واللّبان**: الصدر.
(٣) **جلابيب**: جمع جلباب، وهو الثوب الواسع ـ **السنان**: نصل الرمح.
(٤) **الكُسْب**: عصارة الدهن ـ **العُذرة**: الغائط.
(٥) **نِضو**: ضعيف ومهزول ـ **جوى**: شدة الوجد والعشق.
(٦) **دحداحة**: قصيرة.

﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾[1] وسئل النظّام عن عيبه، فقال: يسرع إليه الكسر ويقصر عنه الجبر، فقال:

مثل الزجاجة صدْعُها لا يُشْعَبُ

وقيل: الزجاج لا يألف الزهومات[2] ولا يقبل القاذورات قابل للألوان المحمرة والأشكال المرموقة. وقيل: الزجاج أنقى في التراب من الذهب.

قال كشاجم:

وجسم هواء وإنْ لمْ يكُنْ ... يُرى للهواءِ بكفٍّ شَبَح
يردُّ على الشخْصِ تمثالَه ... وإن تتخِذْه مرآة صَلُح

● المِدْخنةُ

قال بعضهم:

فقُوّارةٌ من أديم الصُّخورِ ... تُخيِّم في فَلَكِ الخَيْزُرانِ[3]
تغذي قِطاعاً كعُرف الحَبيب ... وتَرْقى ولَيْس لَها مِسْرجانِ[4]
وتَنْبعُ عن مثل حَبّ القلوبِ ... من الجمْرِ ليس لها من دُخانِ

وقال الصنوبري:

مجمرةٌ طافَ بها الغِلْمانُ ... كأنّها فيما حكَى العيانُ
فوّارةٌ وماؤُها الدُّخانُ ... في برْكَةٍ حصباؤُها نيرانُ[5]

● المِشْطُ

قال كشاجم:

مِشْطٌ من العودِ لم نعبْه ولا ... مالتْ بِه خِفّةٌ ولا ثِقَلُ
يَحبو اللّحى طِيبُها وزينَتُها ... فَهْو على المَعْنيين مُشْتَمِلُ[6]

وقال آخر يذم مشطاً متنشر الأسنان:

مِشط إذا سرّحْتَ يوماً به ... قطّعَ لحيتكَ بأسنانِه

● المِنقاشُ[7]

قال أبو طالب المأموني:

لديّ ذو نابَيْن أعضلَيْنِ ... ينتزعان شَعَرَ الخدَّيْنِ

---

(١) **القرآن الكريم**: النور/ ٣٥.
(٢) **الزهومات**: جمع الزُّهمة، الرائحة النتنة.
(٣) **فوّاره**: أي تفور، وروي أيضاً فوارة: وهي ما فوّر وقطع من جوانب الشيء، من ثوب وغيره.
(٤) **ترقى**: ترتفع.
(٥) **الحصباء**: الحجارة.
(٦) **يحبو اللّحى**: يُعطيها.
(٧) **المنقاش**: المنتف.

حتّى ترى الوَجْنةَ كاللُّجَيْنِ   كخصومَةٍ قد طويَتْ طاقَيْنِ[1]

● **المِرآة**

قال امرؤ القيس:

وعينٌ كمرآةِ الصَّناع تُديرُها   لِمَحْجرِها تحت النَّصيفِ المُنقبِ[2]

وقال الببغا:

كلّ فضلٍ لكلّ نوعٍ وجنسٍ   دونَ فضلِ المرآةِ من غير لَبسِ

لطفتٍ رقّةً وفاقتْ صفاءً   فهْي كالماءِ في عَيانٍ ولَمْسِ

واستدارَتْ بباهرِ النّور حتّى   ظنّها الناظرون قطعةَ شَمْسِ

وهي أصفى أخٍ يكشف لي   عنّي وأدنى خلٍّ يوفّرُ أُنْسِي

وإذا ما نأى نَديمي عنّي   ظلّ طَرْفي بها ينادِمُ نَفْسِي

وفي ذمّها، قال بعض الشعراء:

مرآته سيان في لونِها   ولبنةٌ من بعضِ حِيطانِه

● **المِرْوَحةُ**

وذاتِ وَصْفٍ خُصّ بالثناءِ   من صِفَةِ الأرْواحِ والأنْداءِ

كأنّما صِيغَت منَ الهواء   تطرفُنا في الصَّيْفِ والشِتاء

● **الملبة**

قال كشاجم:

مذبّةٌ تُهدى إلى سيّدٍ   ما زالَ عن كل وَليٍّ يَذُبّ[3]

ناصيةُ الأدهم من عذوِها   لم تكُ من عَرف ولا من ذَنَبْ[4]

وذاكَ فألٌ إنْ تأمَّلتُه   لما يرجى من نواصي الرُّتَبْ

● **الزَّنبيلُ**

قال أبو طالب المأموني:

وذي أذنينِ لا تعيان قولاً   وجوف للحوائجِ ذي احتمالِ

يكلّفُ شغلَ أهلِ البيتِ طرًّا   ويَحْمَلُ فيه من قوت العِيالِ

---

(١) **اللجين**: الفضة.

(٢) **الصّناع**: المرأة الحاذقة، ومرآتها مجلوّة دائماً ـ **محجرها**: ما دار بعينها ـ **النصيف**: الخمار الذي يُغطّى به الرأس.

(٣) **يذبّ**: يدفع عنه ويمنع.

(٤) **الناصية**: مقدم الرأس ـ **الأدهم**: الحصان الأسود.

مُطيعٌ في الحوائج غيرُ عاصٍ ... ولا شاكٍ إليك من الكَلالِ[1]
تسرّ عليه في الأسواقِ سراً ... فلا يبديه إلا في الرّحالِ

● **التّفسرة**

وهي قارورة الطبيب التي تعرض عليه. قال المأموني:

ركيةٌ تشفُّ ذاتُ طول ... من الزجاج الفائق المغسولِ[2]
تُظهرُ ما في الجسم من فضولِ ... مُفصِحَة للطُّبِّ لا بقيلِ
عن كل داءٍ غامضٍ دخيلِ ... مرآةٌ ما في جسدِ العَليلِ
تبديهِ للعَيْنِ على التفصيلِ ... مؤيِّداً بواضحِ الدّليلِ

● **الأرجوحةُ**

قال المأموني:

سفينةٌ لا على ماء مُلجْلِجَة ... تجري براكبها في لجّةِ الرّيحِ[3]
إذا انتهتْ بيَ إلى أقصى نِهايتِها ... عادت كجريٍ أتى سالَ مسفوحِ

● **طَرّادةُ**

طائرةٌ تسري بلا بَراحِ ... حولَ العقاب في سنَا الصّباحِ[4]
ناطِقَةٌ بألسنِ الرّياحِ

● **أنواع**

قال بعضهم يصف البطّ:

وبطٌ لا يزال السما ... ءُ يسقاهُ ويَسقيهِ

وقال شاعر:

ثلاثة ثمنية تدورُ ... الطشتُ والكاساتُ والبخورُ

رؤي على مقراض مكتوباً هذه الكلمة:

دبر مِراراً ما هَمَمْتَ بقطْعِه ... فإذا استبانَ لكَ المِقَصُّ فَقصّه

---

(١) **الكلال**: التعب.

(٢) **الركية**: البئر ذات الماء.

(٣) **ملجلجة**: من لجلج: تردّد، وأدار الشيء.

(٤) **البراح**: الظهور والبيان،، ويقال: **بلا براح**: أي بلا ريب ـ **العقاب**: حجر ناتىء في جوف البئر أو الحجر الذي يقوم عليه الساقي.

الحدُّ التاسعَ عشر

في ذمّ الدنيا ونُوبِها

●

(١)
أَسْماءُ الدُّنيا

●

يُسمّى الدهرُ أبا العجب والدنيا أم دفر وأم شميل. **قال شاعر**:

ما الدّهرُ في فعله إلا أبو العجب

وقيل: الدهرُ اسم لزمانٍ متصل، والزمان اسم لدهر منفصل، **وقال بندار الصوفي**: الدنيا ما دنا من القلب وشغل عن الحق.

● قِلّةُ لبثُ الإنسانِ في الدنيا

قال النبي ﷺ: فيم أنا من الدنيا ومالي ولها وإنما مثلي ومثلها كراكب سار في يوم صائف، فرفعت له شجرة فقال تحتها ساعة من نهار ثم راح وتركها.

قال الموسوي:

وكأنّ طولَ العُمْرِ دوحةُ راكبٍ   قَضى اللّغوبَ وَجَدَّ في الإِسْراءِ(١)

وقال المسيح: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمّروها. **وقال أمير المؤمنين**: الدنيا دار ممر لا دار مقر، والناس فيها رجلان: رجل باع نفسه فأوبقها ورجل ابتاع نفسه فأعتقها.

وقال أبو يعقوب:

لعَمْرُك ما الدُّنيا بدار إقامةٍ   ولكنها دارُ انتقالٍ لمَنْ عَقَلْ

وقيل لنوح عليه السلام: كيف وجدت الدنيا؟ قال: كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

وكتب أبو زيد الطائي إلى صديق له: اجعل الدنيا كيوم صمته عن شهوتك، واجعل فطرك الموت.

● قِلّةُ مَتاعِ الدُّنيا

---

(١) اللّغوب: الإعياء والفساد.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[2] وقال المنصور لما حضرته الوفاة: بعنا الآخرة بنومة. وقال شاعر:

إنما الدنيا كرؤيا ساعةٍ ... من رآها فرّحته وانقضت

وقال آخر:

أراها وإن كانت تُحَبُّ فإنها ... سحابةُ صيفٍ عن قليلٍ تُقشَّعُ

وقال أعرابي: ما كانت الدنيا على بني فلان إلا طيفاً لما انتبهوا ولى عنهم.

وقال العلوي الكوفي:

مررتُ بدورِ بني مصعبٍ ... بدور السرورِ ودورِ الفرح
فشبّهتُ سرعةَ أيامِهم ... بسرعةِ قوسٍ يُسمّى قُزَح
تلوّن معترضاً في السماءِ ... فلمّا تمكّنَ منها نَزَح

● **الماضي مِنَ الحياةِ والحاضرُ والمستقبلُ**

قال حكيم: أمسُكَ ماضٍ ويومُك ممثّل وغدك مُبهم. **وقال الحسن**: أمسُ أجل واليومُ عمل وغداً أمل.

وقال أبو العتاهية:

أرى الأمسَ قد فاتني ردُّه ... ولستُ على ثِقَةٍ من غدِ

وقال أبو حازم: بيني وبين الملوك يوم واحد أما أمس فلا يجدون لذّته ولا أجد شدته، وأما غد فإني وإياهم منه على خطر، وما هو إلا اليوم فما عسى أن يكون.

● **التحذيرُ من تَضْييعِ الأيام**

قال عبد الله بن المبارك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[3] أي اعمل في الدنيا لآخرتك. وقيل: من لعب في عمره ضيّع أيام حرثه وإذا ضيع أيام حرثه ندم عند حصاده.

وقال الحسن: ما وعظني شيء مثلُ ما وعظني كلام الحجّاج في خطبته: إن امرأ ذهبت عنه ساعة من عمره في غير ما خُلق له لحقيق أن تطول حسرته يوم القيامة. **وقال حكيم**: الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما وقال رجل لداوود الطائي: ما ترى أن أتعلم الرمي؟ فقال: حسن ولكن إنما هي أيامك فافنها فيما شئت.

● **مرورُ الأوقاتِ هادمٌ للحياة**

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٧٦.
(٢) القرآن الكريم: يوسف/ ٥٤.
(٣) القرآن الكريم: القصص/ ٧٧.

قال حكيم: من كان الليل والنهار مطيّته سارا به وإن لم يسر.

وقيل:

رأيتُ أخا الدنيا وإن كان خافِضاً ... أخا سفرٍ يسعى به وهو لا يدْري[(١)]

وقيل: أنفاس المرء خطاه إلى أجله، وأمله خادِعه عن عمله. لكلّ زمن فوْت وفي كل طرفة موت. **وقال**:

ما ارتد طرف امرىء بلحظته ... إلا وشيء يموت من جسده

وقال أعرابي: كيف تفرح بعمر تقطعه بالساعات معرضاً للآفات. **قال أبو العتاهية**:

تظلّ تفرحُ بالأيام تقطعُها ... وكلّ يومٍ مضى يدْني من الأجَل

وقيل لأعرابي: أنظر إلى الهلال، **فقال**: ما أصنع به محل دين ومقرب حين. **قال عبدة**:

إذا ما سلخْتُ الشهرَ أهللتُ مثلَه ... كفى قاتِلاً سلخي الشهورَ وإهلالي[(٢)]

وقال:

إلا أنّ الفتى رهنٌ ... بذي لونينِ خَذاع[(٣)]

ومنه قول ابن قميئة:

رمتني صروفُ الدهر من حيث لا تُرى ... فكيفَ بمن يرْمي وليسَ برامِ

فلو أنني لما رمتْني رميتُها ... ولكنّها ترمي بغيرِ سِهامِ

وقال:

فوْق الدهرُ إلينا نبْلَهُ ... عللاً يقصدُنا بعْد نَهلِ[(٤)]

فهو راميـنا ولا نبْصُره ... مثلُ رامٍ رامَ صيداً فختَلْ[(٥)]

● البقاءُ في الدُّنيا سببُ الفناءِ

قال بعضهم: انصرفت من مجلس حمّاد الراوية فقال أبي ما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن النبي ﷺ أنه قال: لو لم يكسب ابن آدم إلا الصحة والسلامة لكفى بهما داء. **فقال أبي**: قاتل الله حميداً حيث قال:

أرى بصري قد رابني بعد صحّة ... وحسبكَ داءً أن تصِحّ وتسلَما[(٦)]

وقال:

---

(١) **خافض**: الخافض من العيش: الواسع.

(٢) **سلخ الشهر**: قضاه وصار في نهايته.

(٣) **خذاع**: قطاع.

(٤) **عِللاً**: الشرب تباعاً ـ **نهل**: أول الشرب.

(٥) **رام صيداً فختل**: مثلٌ للصياد يتخفى ويستر لطريدته.

(٦) **رابني**: أوقعني في الشك.

ودعوت ربّي بالسلامةِ جاهِداً   ليُصحِّني فإذا السلامةُ داءُ

وقال:

لو لمْ يوكّل بالفتى   إلا السلامةُ والنِّعَمْ
فتداولاه لا وشكا   أن يُسلماه إلى الهَرَمْ

قال معدي كرب:

أراني كلّما أبليتُ يوماً   أتاني بعدَه يومٌ جديدُ
يعودُ شبابُه في كلّ فجرٍ   ويأبى لي شبابي ما يعودُ

وقال الصّلتان:

إذا ليلة هرمت يومها   أتى بعدَ ذلك يومٌ فتي

● **فرحُ الدُّنيا مَشوبٌ بالتّرح ومعقبٌ بالهُموم**

قيل: في كل جرعة شرطة ومع كل أكلةٍ غصة. ونظر أنوشروان إلى ملكه فأعجبه، **فقال:** هذا ملك لولا أنه هالِكٌ ونعيم لولا أنه عديمٌ، وغناءٌ، لولا أنه عناء وسرور لولا أنه شرور، ويوم لو كان يوثق له بغد، **قال المغيرة بن جيناء:**

وكذاكَ الدهرُ مأتمه   أقربُ الأشياءِ من عرسِه

وقال:

لا يغرّنّك عيشٌ ساكنٌ   قد تولّى بالمنياتِ السَّحر

وقال:

إنّ الليالي لمْ تحسِن إلى أحدٍ   إلاّ أساءت إليه بعدَ إحسانِ

وقال بعضهم: ما من إنسان **قيل له:** طوباك إلا وقد هيأ له الدهر يوم سوء، **قال المتنبي:**

ومن كان في السّراء في حالٍ معجبٍ   فمحصولُه منها على حالِ نادمِ

وقال ابن لنكك:

كلُّ من حازَ سروراً   أو نعيماً هو فيهِ
فالمنايا والرزايا   عن قريبٍ تقتضيهِ

وقال:

لم يشفع الدهرُ الخؤونُ لمهجةٍ   في العمرِ إلا عادَ وهو خصيمُها(١)

● **الدُّنيا هُمومٌ وغُمُوم**

---

(١) **مهجة:** روح ونفس ـ **خصيمها:** عدوها ومنازعها.

قال رجل لأمير المؤمنين: صف لي الدنيا، **قال:** ما أصفُ في دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عذاب، من أمن فيها سقم ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن.

وقال بعض الصالحين: الدنيا دار غرستْ فيها الأحزان وذمّها الرحمن، وسلط عليها الشيطان يصل به الإنسان.

وسئل آخر عنها **فقال:** من نالها مات عنها ومن لم ينلها مات حسرة عليها.

وقال سفيان: الدنيا دار التواء لا الثواء من عرفها لم يفرح فيها برخاء، ولم يحزن بشقاء. وسمع حكيم رجلاً يقول لآخر: لا أراكَ الله مكروهاً، **فقال:** دعوت عليه بالموت. من عاش لا بدّ له من مكروه. **وقال شاعر:**

فـي كـل دار تـرحـةٌ وبـلـيـةٌ وهـمـومُ دارِك إن شكـرْتَ أقـلُّـهـا[1]

وقيل للنظام وفي يده قدح دواء: ما حالك؟ فقال:

أصـبـحـتُ فـي دار بـلـيّـات أدفَـع آفـاتٍ بـآفـاتِ

وقال أبو علي كاتب بكر:

أفٌ مـن الـدنـيـا وأسـبـابِـهـا فـإنّـهـا لـلـحُـزنِ مـخْـلـوقَـه

هـمـومُـهـا مـا تـنـقـضـي سـاعـةً عـن مـلِـك فـيـهـا ولا سُـوقَـه[2]

وقال:

أمـرَّ الـزمـانُ لـنـا طـعـمَـه فـمـا إن تـرى سـاعـةً عـذْبَـه

وقال:

مـضـى قـبـلَـنـا قـومٌ رجـوا أن يـقـوّمـوا بـلا تـعَـب عـيْـشـاً فـلـم يـتـقـوّمـا

وقال المنصور:

كـنْ مـوسـراً إن شـئـت أو مـعْـسـراً لا بـدّ فـي الـدنـيـا مـن الـغـمّ

وكـلّـمـا زادكَ مـن نـعْـمـةٍ زاد الـذي زادك فـي الـهـمّ

- **قِلّةُ السرورِ وكثرةُ الغُموم**

روي عن الأمام الشافعي رضي الله عنه، قوله:

مِحـنُ الـزمـانِ كـثـيـرةٌ لا تـنـقـضِـي وسـرورُهـا يـأتـيـكَ كـالأعـيـادِ[3]

وقال:

---

(١) ترحة: مصيبة.

(٢) السوقه: الرعيّة من النّاس واللفظة للواحد والجمع والمذكّر والمؤنث.

(٣) محن الزمان: مصائبه وفجائعه.

تأتي المكارهُ حين تأتي جملةً ... وترى السرورَ يجيءُ في الفَلَتاتِ

وقال ابن نباتة:

وما خيرُ عيشٍ نصفُه سنةُ الكرى ... ونصفٌ به نعتَلُّ أو نتوجَّعُ[1]

مع الوقت يَمْضي بؤسُه ونعيمُه ... كأنْ لم يكُنْ والوقت عمرك أجْمَعُ

● **سُرعةُ المكارِهِ وتباطؤُ المحابِّ**

وقال شاعر:

ألم ترَ أنّ سيرَ الخيرِ ريثٌ ... وإن الشرَّ راكبُه يَطيرُ[2]

وكان لسفيان جار مخنّث فمرض فعاده سفيان بأصحابه، **فقال**: كيف تجدك؟ فقال: إن العلل والآفات تجيء في الدنيا باقاتٍ والعافية تجيء طاقات، **فقال سفيان**: ما خرجنا إلا بفائدة.

وقال الحارثي:

تقضَّاك دهرٌ ما سَلَفا ... وكدَّرَ عيشَك بعْدَ الصَّفا

فلا تَنْكرَنَّ فإنّ الزمانَ ... رهينٌ بتشتيتِ ما ألفا

وقال أبو الوليد:

وليسَ الدهرُ مؤتَمَناً ... على تفريقِ ما جَمَعا

وقال:

ألا إنّما الدنيا مطيّةُ بُلْغةٍ ... علا راكبوها فوقَ أعوجَ أحدَبا[3]

شموسٌ متى أعطتْك طوعاً زمامَها ... فكنْ للأذى من عَسْفِها مترقّبا[4]

● **التحذيرُ من النُّقصانِ عند التّمام**

قيل: من بلغ غاية ما يحبّ فليتوقع غاية ما يكره. **وقال الأصمعي**: وجدت لبعض العرب بيتين كأنهما أخِذا من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[5] وهما قول سعيد بن وهب:

أحسنْتَ ظَنّك بالأيام إذ حَسُنت ... ولم تخفْ غِبَّ ما يأتي به القدرُ

وسالَمَتْك الليالي فاغترَرْت بها ... وعند صفوِ الليالي يحدُث الكدرُ

---

(١) **سنن الكرى**: النوم. (٢) **ريث**: بطيء.

(٣) **بُلغة**: ما يُتبلّغ به العيش، ولا يفضل.

(٤) **الشموس**: الصعبة المراس، والشديدة العداوة ـ **العسف**: الجور.

(٥) **القرآن الكريم**: الأنعام/ ٤٤.

ومن دعاء بعضهم: صرف الله عنك آفات التّمام.

وكتب الإسكندر إلى أرسطاطاليس: أكتب إليّ موعظةً تردعُ وتُقْنع، **فكتب إليه:** إذا استوت بك السلامة فجدّد ذكرَ العطب وإذا اطمأنّ بك الأمن فاستشعر الخوف، وإذا بلغت نهاية أملك فاذكر الموت. **وقال شاعر:**

إذا تــمّ أمــرٌ بــدا نَــقْــصُــه ... تــوقّــعْ زوالاً إذا قــيــل تَــمّ

● عَرَضُ الدنيا عاريةٌ

قال ابن مسعود: عرض الدنيا عارية ومن فيها ضيف، والعارية مؤداة والضيف مرتحل.

والـمـال فـي الأقـوام مـسـتـودَعٌ ... عـاريـةٌ والـشـرطُ فـيـهـا الأداءْ(١)

وقال:

ومـا الـمـالُ والأهـلـون إلاّ ودائـعٌ ... ولا بـدّ يـومـاً أن تُـرَدَّ الـودائِـعْ

وقال:

أبـداً تـسـتـردُّ مـا تَـهَـبُ الـدُّنـيـ ... ـا فـيـا لـيْـتَ جـودَهـا كـان بـخُـلا

فـكـفَـى كـون فـرحـةٍ تـورث الـهـ ... ـمّ وخِـلّ يـغـادرُ الـوجـدَ خِـلا

وقال:

لـم يـظـلـمِ الـدّهـرُ ولـكـنّـه ... أقْـرضَـنـي الإحـسـانَ ثـم اقـتـضـى

● الدُّنيا مُتقلّبةٌ

من أمثالهم: الدنيا طرفة عين لا تثبت على حالة. دخل أعرابي عمّر مئة وعشرين سنة على معاوية **فقال له:** صف لي الدنيا. **فقال:** سنيات بلاء وسنيات رخاء يولد مولود ويهلك هالك، ولولا المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الأرض.

وقال شاعر:

هـل الـدهـرُ إلا ضـيـقـةٌ وانـكـشـافُـهـا ... وشـيـكـاً وإلا تـرخَـةٌ وانـفـراجُـهـا

وقال:

وحـادثـاتٌ أعـاجـيـبٌ خـسـاً وذكـا ... مـا الـدهـرُ في فعلِه إلا أبـو الـعَـجَـب(٢)

وقال:

الـدهـرُ مـن شـأنـهِ أن لا يـدومَ لـه ... مـا يـحـتـويـه الـفـتَـى مـنـه ومـا يـمِـق(٣)

---

(١) العارية: ما يتداوله القوم بينهم، وما تعطيه لغيرك على أن يعيده إليك.

(٢) خسأً: عياء وضعفاً ـ ذكا: سمنة وبدانة. (٣) يمق: من ومق: أحب.

وقال:

وما حالةٌ إلاّ ستطرف حالُها ... إلى حالةٍ أخرى وسوفَ تزولُ

وقال آخر:

ومن عادةِ الأيام أنّ صروفَها ... إذا ساءَ منها جانبٌ سَرَّ جانبُ

وقال:

إنما الدنيا هباتٌ ... وعوارٍ مستَردّه[1]

شدّةٌ بعد رخاءٍ ... ورخاءٌ بعد شِدّه

● **الدُّنيا لا يدومُ فيها فَرَحٌ ولا تَرَحٌ**

قال شاعر:

وما اكتأبَتْ نفسٌ فدامَ اكتئابُها ... ولا ابتهجَت نفْس فدَام ابتهاجُها

وقال آخر:

هل الدهر إلا ساعةَ ثم تنقَضي ... بما كانَ فيها من بلاءٍ ومن خِفْضِ

فهونك لا تحفَل إساءة عارضٍ ... ولا فرحةً تأتي فكلتاهما تَمْضي[2]

ويُروى عن أبي الفتح بن العميد لما قبض عليه، **قال: الفلك أحد والدوار أجد من أن يُبقي أحداً على أحد.**

● **إعتبارُ الباقي بالماضي**

قال الحجّاج: والله إن الذي بقي من عمري لأشبه بما مضى من التمرة بالتمرة ومن الماء بالماء.

الدهرُ آخرُه شَبَهٌ بأوّله ... يومٌ بيومٍ وأيامٌ بأيامِ

وقال حارثة بن بدر:

وما الدهر إلا مثلُ أمس الذي مضى ... ومثلُ الغدِ الجائي وكلٌّ سيذهبُ

وقال أعرابي: جعلنا الله ممّن يعتبر ممن يعبر الدنيا أي يعتبر بمن يقطعها.

● **وصف الدنيا بأنّها غرّارة**

قال أمير المؤمنين: الدنيا تغرّ وتضرّ وتمرّ. وقيل الدنيا غرور حائل وزخرف زائل وظلّ آفل ومسند مائل. وقال يحيى: الدنيا جارية زانية وتتهم بمن يقرب منها:

يغرُّ الفتى مرُّ الليالي سليمةً ... وهنَّ به عما قليل عواثرُ[3]

---

(١) **عوار**: جمع عارية، ما يتداوله القوم بينهم.

(٢) **هونك**: أي هوّن عليك.

(٣) **عواثر**: جمع عاثر، وهي مصيدة الصياد.

وقال آخر:

وما زالتِ الأيامُ تستدرجُ الفتى ... وتملي له من حيثُ يَدري ولا يَدري

وقال آخر:

لقد غرّت الدنيا رجالاً فأصبحُوا ... بمنزلةٍ ما بعدَها مُتحوَّل

وقال آخر:

يعلّلنا هذا الزمانُ من الوغدِ ... ويَخدعُ عمّا في يديه من النّقدِ

وقال آخر:

فذي الدارُ أخدعُ من مومسٍ ... وأخوَنُ من كفّةِ الحابلِ(١)

وهذا مثل ما قيل: الدنيا قحبة، يوماً عند عطار ويوماً عند بيطار.

● **النهيُ عن الإغترارِ بأوقاتِها**

قيل: لا تغتر بصفاء الأوقات، فتحتها غوامض الآفات، وقيل: لا يغرّنك الإملاء فالإملاء من الإستدراج، والله تعالى يقول: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾(٢)

وقيل: مثل الدنيا مثل الحية ليّنٌ مسّها وفي جوفها السم الناقع، يهوي إليها الصبي الجاهل ويحذرها الحازم العاقل.

وقال شاعر:

إنّ دنياكَ حيّةٌ تنفثُ السُّـ ... ـمَّ وإن كانت المجسّةُ لانَت(٣)

وقال أبو عمرو بن العلاء: كنت أدورُ في ضيعتي في شدّة الحر فسمعت هاتفاً يقول:

وإن امرأً أدنياه أكبرُ همِّهِ ... لمُستمسكٌ منها بِحَبْلِ غُرورِ

فنقشت ذلك على خاتمي.

وقال الشاعر:

يا واثقاً بزمانِه ... أخطر تصرفُه ببالِك

ووجد بخط نصر بن أحمد:

ولا تخدعنْك صروفُ الزمانِ ... فإن الزمانَ كثيرُ الخِدع(٤)

---

(١) الحابل: الساحر

(٢) القرآن الكريم: الأعراف/١٨٢، ١٨٣.

(٣) المجسة: ملمس الحية أو موضع الجَس.

(٤) الصروف: الأحداث والتقلّبات.

● تصوُّر الدنيا يزيدُ الغُمُوْمَ

قال الشاعر:

ومن عرفَ الأيامَ لم يرَ خِفْضَها   نعيماً ولم يعدُدْ تصرّفَها بلْوى[1]

● الدُّنيا واعظةٌ

قال أمير المؤمنين: أيها الذام الدنيا بِمَ غرتك؟ بمصارع آبائك تحت الثرى، أم بمضاجع أمهاتك في البلى. كم مرّضت بيديكَ وغسلت بكفيك فلم يغن عنك. **وقيل:** ما ضمنت الدنيا لأحد المتاع بها، بل نادت فصرخت إنها ميراث الدول وصبابة الأزمنة وأوعية الفجائع ومفرقة الآلات.

وقال عبد الله بن عيينة:

إن الليالي والأيام لو بحثَتْ   عن عيبِ أنفسِها لم تَكْتمِ الخَبرا

وقال أبو تمّام:

عمري لقد نصحَ الزمانُ وأنه   لَمِن العجائبِ ناصحٌ لا يَشْفِقُ

وقال أبو العتاهية:

نحنُ في دارٍ تخبرنا   ببلاءٍ ناطقٍ لسِن

قال المسيح عليه السلام: الدنيا مزرعة إبليس وأهلها له حرّاث. **وقيل:** كل قتيل يُقتص له يوم القيامة إلا قتيل الدنيا يُقتص منه.

● مَدْحُ الدنيا بأنّها يُتوصّلُ بِها إلى الآخِرةِ

ذمّ رجلٌ الدنيا بحضرة أمير المؤمنين **فقال:** أسكت فإن الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار غناء لمن تزوّد منها ودار عافية لمن فهم عنها، مسجد أبينا آدم ومهبط وحيه، متجرُ أوليائه فاكتسبوا منها الرحمة وادّخروا منها الجنة.

وقيل: الدنيا دار تجارة والويل لمن تزوّد منها الخسارة.

● الدُّنيا مَحْبوبةٌ وإنْ كانت مَعيوبةً

قال الشعبي: ما أعلم لنا وللدنيا كقول كثيّر:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةٌ   لدينا ولا مقليّةٌ إن تقلّتِ[2]

وقال المأمون: لو نطقت الدنيا لم تصف نفسها بأجود مما **قال أبو نواس:**

إذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشّفَتْ   له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ

---

(١) **الخفض:** سعة العيش ـ **تصرّفها:** تقلّبها عليه.

(٢) **مقلية:** أي مبغضة ومكروهة ـ **قلى:** أي أبغض ومقت وكره.

وقال:

يـذمـون دنـيـا لا يُـرجّـون دُرَّهـا ... ولـم أرَ كـالـدنـيـا يُـذمُّ ويُـحـلـبُ

وقال سابق البربري:

النفسُ تكلَّفُ بالدنيا وقد عَلِمتْ ... أن السـلامـةَ مـنـهـا تـركُ مـا فـيـهـا

وقال أبو العتاهية:

كـلّـنـا يـكـثِـر الـمـذمّـة لـلـد ... نـيـا وكـلٌ بـحُـبِّـهـا مـفـتـونُ

وقال الموسوي:

دنـيـا تـضـرُّ ولا تـسـرّ وذا الـورى ... كـلٌ يـجـاذبُـهـا وكـلٌ عـائـبُ

• الدّنيا ضارّةٌ لأهلِهَا

قيل: الدنيا تضرّ محبيها ما كرمت على أحد نفسُه إلا هانت عليه الدنيا. **وقيل:** أوحى الله إلى الدنيا إن اَخدمي من جفاك واستخدمي من يهواك.

وقال عمر بن عبد العزيز: الدنيا لا تضرّ إلا من أمنِها ولا تنفَع إلا من حذرها.

وقال عمر رضي الله عنه: ما كانت الدنيا هم امرىء إلا لزم قلبه خصال أربع، فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضي مداه وشغل لا ينفد أولاه وأمل لا يدرك منتهاه.

أرَى الـدنـيـا لـمَـنْ هـي فـي يـديـهِ ... عـذابـاً كـلّـمـا كَـثُـرت لـديْـهِ

تـهـيـنَ الـمـكـرمـيـن لـهـا بـصـغْـرٍ ... وتُـكـرِمُ كـلَّ مـن هـانـت عـلـيْـه

وقال المتنبّي:

وكـلّ يـعـشـق الـدنـيـا قـديـمـاً ... ولـكـن لا سـبـيـلَ إلـى الـوِصَـالِ

وقال ابن نباتة:

تُـمَـلُّ مـآربُ الأيـام مـنـا ... ونـعـشـقُـهـا لـقـد عَـظُـم الـبـلاءُ[١]

وقال أبو العيناء:

مـذمـومـةٌ بـالـهـمّ مـخـطـوبـةٌ ... سُـمٌ زعـافٌ دَرّ أخـلافـهـا[٢]

ولـم تـزلْ تـقـتُـل ألافـهـا ... أفٌ لـمَـن تـقـتـل ألافـهـا

• تبكيتُ النّفسِ في الميْلِ إلى الدُّنيا مع المَعْرفةِ بها

قال شاعر:

ومن عجب الدنيا ركوني وصبوَتي ... إليْها على سنّي كأنّي وليدُها

أجاري الليالي ليلةً بعد ليلةٍ ... مُشيحاً كأنّي تربُها وطريدُها[٣]

---

(١) المآرب: الحاجات، جمع مأرب. (٢) الإخلاف للوعد: عدم الإيفاء به.

(٣) تربها: مماثلها في السن ـ طريدها: مطرودها.

وتنقصني في كلّ يومٍ وليلةٍ ... ونفسي على نقصانها تستزيدُها

وقال:

وإن امرأً يبتاعُ دنيا بدينِهِ ... لمنقلِبٌ منها بِصفقةِ خاسرِ

وقال الموسوي:

نرجو البقاء كأننا لم نختبر ... عاداتِ هذا العالَمِ المشهودِ

● **الدنيا غيرُ مستغنًى عنها**

قال العتبيّ: كنت قاعداً في دهليزي عقب علّة فدخل مجنون يدعى بالغيث **فقلت**: أنا منه بين لطمة وشتمة فنظر إليّ ساعة، ثم أنشأ يقول:

نظرتَ إلى الدنيا بعينٍ مريضةٍ ... بفكرةِ مغرورٍ وتأميلِ جاهلِ

فقلتَ هي الدارُ التي ليسَ مثلُها ... ونافسْتَ فيها في عناءٍ وباطلِ

وقال:

كفلت بنا الدّنيا ولا ... طفلٌ يعيشُ بغير ظِئرِ[1]

وذكر لأمير المؤمنين قوم يحبون الدنيا **فقال**: هم أبناؤها أفيُلام الرجل على حب والديه؟

● **بنو الدّنيا غرضٌ لأنواع البَلاء**

قيل للحسن: كيف أصبحت؟ **فقال**: كيف يصبح من هو غرض لثلاثة أسهم، سهم رزيّة وسهم بليّة وسهم منيّة.

وقال ابن المعتز:

أرى كلّ نفس للمنايا دريّةً ... وللعيس يمسي كدحُها ودؤبُها[2]

تناضِلُها الآفاتُ من كلّ جانبٍ ... فتخطئها يوماً ويوماً تصيبُها

وقال الربيع لأبي العتاهية كيف أصبحت؟ فقال:

أصبحتُ والله في مضيقِ ... فهلْ سبيلٌ إلى طريقِ

أفٍّ لدنيا تلاعبتْ بي ... تلاعبَ الموجِ بالغريقِ

وقيل: من أخطأه سهم المنيّة لم يخطئه سهم الرزيّة.

● **إنكارُ ذمّ الدّهرِ**

قال ﷺ: إذا قال الرجل لعن الله الدنيا قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربّه. **وقال**: لا

---

(١) **الظئر**: الانثى المرضعة لولد غيرها، أو العاطفة على ولد غيرها.

(٢) **دريّة**: تقال للفرس الكثير الجري.

تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر أي الفاعل هو الله لا الدهر. **قال الشيخ أبو القاسم الراغب**: ألمّ بهذا المعنى الخوارزمي، **فقال**:

وكم نُكنني وكم نهجو الليالي ... وليس بِخَصْمِنا إلا القضاءُ

وقال الناجم:

نعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا ... ولو نطَقَ الزمانُ بنا هجَانا

وقال رجل للأصمعي: فسد الزمان، **فقال**:

إن الجديدَيْنِ في طولِ اختلافِهما ... لا يفسدان ولكن يفسُدُ النَّاسُ[1]

وقال أبو عبد الرحمن الأصم لأبي العتاهية: أي خلق الله أصغر عنده؟ **قال**: الدنيا لا تساوي عنده جناحَ بعوضة، **قال**: أصغرُ منها مُحبّها.

لم يفسدِ الدهر لكنّ أهلَه فسدوا

وقال المتنبي:

ألا لا أري الأحداث حمداً ولا ذمّا ... فما بطشُها جهلاً ولا كفُّها حِلْما

● الدَّهرُ يَتَرَاذَلُ

قال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: معروفُ زمانِنا منكَرُ زمانٍ قد فات ومنكَرُه معروفُ زمانٍ لم يأت. وسمع زياد امرأة **تقول**: اللهم أعزل عنا زياداً، **فقال لها**: زيدي في دعائك وأبدي لنا خيراً منه فإن الأخير أبداً شر.

وقال بعض العلماء: آخرُ الناس شرارُهم الذين تقوم عليهم القيامة.

● حَمْدُ ماضي الزَّمانِ وذمُّ حاضرِهِ

كانت عائشة رضي الله عنها تنشد قول لبيد:

ذهبَ الذينَ يعاش في أكنافِهم ... وبقيت في خلْفٍ كجلْدِ الأجربِ[2]

وتقول: رحم الله لبيداً كيف لو عاش إلى زماننا. وكان ابن الزبير ينشده ويقول: رحم الله عائشة كيف لو عاشت إلى زماننا. **وقال بعضهم**: كان الناس ورقاً بلا شوك، فصاروا شوكاً بلا ورق.

وقال شاعر:

لم أبكِ من زمنٍ شكوتُ صروفَه ... إلاّ بَكَيْتُ عليه حينَ يَزولُ

وقال:

تنسى أيادي الزمان فينا وما ... نذْكُر من دهرِنا سوى نُوَبِه[3]

---

(١) **الجديدان**: الليل والنهار.

(٢) **جلد الأجرب**: كناية عن صعوبة العيش.

(٣) **نوب**: جمع نائبة، وهي المصائب.

● **المسرةُ مِن حَيثُ تُخشَى المَضَرَّةُ**

قال الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[1] وقيل: خف المضار من خلل المسار، وأرج النفع من موضع المنع. فأكثر ما يأتي الآمن من محل الفزع. **وقال حكيم**: أعناق الأمور تتشابه، فرب محبوب في مكروه ومكروه في محبوب ومغبوط بنعمة هي داؤه ومرحوم من داء فيه شفاؤه.

وقيل: رُبَّ سلامة تكون للتلفِ سبباً ومكروهٍ يكون للنجاة مفتاحاً.

وقد يأسفُ المرءُ من فوْت ما ... لعَلَّ السلامةَ من فوتِه[2]

وقال حكيم: لله مصالحُ في مكاره عباده. **وقيل**: العاقل لا يجزعُ لأول نكبة ولا يفرح بأول نعمة فربما أقلع المحبوب عما يضرّ وأسفر المكروه عما يسرّ.

كمْ مرةٍ حفّت بكَ المكارهُ ... خارَ لكَ الله وأنتَ كارهُ[3]

وقال أبو عمرو بن العلاء خرجت هارباً من الحجّاج فسمعت أعرابياً ينشد:

ربّما تجزع النفوسُ من الأ ... مرِ لها فرجَةٌ كحَلّ العِقالِ

سبب البلاء سبب إتيان الرخاء. **وقال ﷺ**: اشتدي أزمة تنفرجي. **وقيل**: إذا اشتدّ الأمر هان.

● **مَنْ أشرَفَ على الهَلاكِ فَفرّجَ اللّهُ تعالى عنه**

أتى يزيد بخارجي فأراد قتله، فقال:

عسى فرَجَ يأتي به الله إنه ... لهُ كلّ يوم في خليقته أمر

فقال: والله لأضربَنّ عنقَك أقتلوه. فدخل الهيثم بن الأسود فقال أمسكوه قليلاً، فدنا منه **فقال**: يا أمير المؤمنين هبْ مجرمَ قوم لوافدهم، **فقال**: هو لك، فخرج الخارجي وهو يقول: تأبَى على الله فأبى إلا أن يكذبه وغَالبه فأبى إلا أن يغلبه.

وأحضر رجل ليقتل في أيام نازوك فدعا بطعام فأخذ يأكل ويضحك، فقيل: تضحك وأنت مقتول؟ **فقال**: من الساعة إلى الساعة فرج فسمعَت صيحةٌ **فقيل**: مات نازوك، فخلوا الرجل.

وشدّ بعض العمال رجلاً إلى أسطوانة يريد ضربه، **فقال**: حلّني من هذه إلى هذه فحله فما حله إلا وقد عزل وشدّ إلى الاسطوانة بعينِها.

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ١٨.
(٢) الفوت: الانقضاء وذهاب الأوان.
(٣) حفّت: أحاطت به ـ خار الله: فضل واصطفى.

• **مُسْتَضْعَفٌ أعانَهُ اللَّهُ فقوّاهُ**

قال الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1] وقال ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾[2]

(٢)
حثُّ الممتحَنِ على مُصابرَة الزمن إلى انقضاء زمن المحن

•

قال النبي ﷺ: للمحن أوقات ولها غايات، واجتهاد العبد في محنته قبل إزالة الله لها زيادة فيها. قال تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[3] وقيل: الممتحن كالمختنق كلما ازداد اضطراباً إزداد اختناقاً. وقيل: إذا أراد الله خلاص غريق عبر البحر على سارية. وقيل: حامل الدهر إلى أن يحمل وأقبل منه إلى أن يقبل.

• **مَنْ زالَ غمُّه فنسي صُنعَ الله تعالى**

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[4]، وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[5] الآية، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[6] الآية، شكا يوسف عليه السلام طول الحبس فأوحى الله تعالى إليه أنت حبست نفسك حيث قلت السجن أحب إليّ. وقيل: من سبح في النهر الذي فيه التمساح عرض نفسه للهلكة. وقيل: ما صاحب البلاء الذي طال بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى.

• **مَنْ ذكر إحسانَ الزمانِ إليه بَعْدَ إساءَتِهِ**

قال شاعر:

أيها الدهر حبّذا أنت دهراً ... قِفْ حميداً ولا تزول حميدا
كل يوم تزدادُ حُسناً فما تبـ ... ـعَث يوماً إلا حسبناه عيدا

وقال آخر:

رقَّ الزمانُ لفاقتي ... ورثى لطول تحرُّقي

---

(١) القرآن الكريم: القصص/٦.
(٢) القرآن الكريم: النمل/٦٢.
(٣) القرآن الكريم: يوسف/٦٧.
(٤) القرآن الكريم: يونس/١٢.
(٥) القرآن الكريم: يونس/٢٢.
(٦) القرآن الكريم: الأنعام/٦٣.

فأنالني ما أرتجي　　وأجار مما أتقي
فلأغفرنّ له الكبير　　من الذنوب السّبقِ
حتى جنايته بما　　فعل المشيبُ بمفرقي

وقال آخر:

ربّما أحسن الزما　　نُ وإن كانَ قد أسا

وقال وهو الصدق:

وآخرُ إحسانِ الليالي إساءةٌ　　على أنها قد تُتبِعُ العسْر باليُسْرِ

● **أصحابُ الرّجاءِ والخوفُ**

قال شاعر:

في كلّ شيءٍ أرتجي مخافةٌ　　في كلّ شيء أشتهيه آفه

● **فضلُ العافيةِ وسلامةُ الدين**

قال النبي ﷺ: من أصبح آمناً في سربه معافًى في بدنه عنده قوتُ يومه فكأنما حيزَتْ له الدنيا. وقيل: أراني غنيّاً ما كنتُ سويّاً. وقيل: منْ أوتي العافية فظنّ أن أحَداً أوتي أكثرَ منه فقد قلّل كثيراً وكثرّ قليلاً.

وقيل: صلاح الآخرةِ بخلةٍ واحدة وهي التقوى وصلاحُ الدنيا بثلاث: العافية والغنى والعمر.

وقيل: العافية الملك الخفيّ الهنيء. وقيل: الدنيا بحذافيرِها الأمْنُ والعافية.

لا تأسَ من دنيا على فائتٍ　　وعندك الإسلامُ والعافِيَه
إن فاتَ شيءٌ كنتَ تسعَى له　　ففيهما مِنْ خلف كافِيَه

● **معرفةُ فَضْلِ السلامةِ عِندَ فوْتِها**

قيل: لا يعرف طعم النعمة إلا من نالته يد العلّة والبلاء:

فبضدها تتميّز الأشياء

وقيل: شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما الغنى والعافية. وقال أبو تمّام:

وليس يعرفُ طيبَ الوصْل صاحبُهُ　　حتى يُصابَ بنأيٍ أو بهُجرانِ

وقلب المتنبّي هذا المعنى فقال:

ولولا أيادي الوصل في الجمْع بينَنا　　غفلْنا فلمْ نشعُر لهُ بذُنوبِ(١)

وقال حكيم: كمْ من نعمَةٍ عُرفَتْ ببليّة نزلَت ونعمةٍ جُهِلَت بسلامَة لبثَت.

---

(١) الأيادي: النِعم؛ أي لولا إحسان الوصل لم تُعرف إساءته في التفريق.

الحدّ العشرون

في الديانات والعبادات

•

(١)
الدَّلالةُ على وِحدانية اللَّهِ تعالى

•

● من قول الأوائل

قال أفلاطون لتلميذه أرسطو: ما الدليل على وحدانية الله تعالى؟ **فقال**: ليس شيء من خلقه بأدلّ عليه من شيء.

وقال لبيد:

فوا عجباً كيف يُعصى الإلَهُ — أم كيف يجحده الجاحِدُ
وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ — تدلُّ على أنّه واحِدُ
ولله في كلّ تحريكةٍ — وتسكينةٍ أبداً شاهِدُ

وسئل سقراط عن دلالة الصانع، فقال: دلّ الجسم على صانعه فجمع بهذه اللفظة دلالة حدوث العالم، فإن صانعه حكيم. ونظر أعرابي إلى الناس في يوم الجمعة **فقال**: صورة واحدة وخلق مختلف، ما هذا إلا صنع رب العالمين.

● نَفيُ الكيفيةِ عن اللَّهِ سُبحانَهُ وتَعالى

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] وسئل جعفر بن محمد عن كيفية الله تعالى، **فقال**: نور لا ظلمة فيه وعلم لا جهل فيه، وحياة لا موت فيها. وسأل رجل أمير المؤمنين: أين الله تعالى؟ **فقال**: هذا سؤال عن المكان، وكان الله ولا مكان **وقال عثمان لأعرابي**: أين ربك؟ **قال**: بالمرصاد.

وقال العتبي: من جعل الله في مكان فقد حدّه وَمَنْ حدّه فقد عدّه ومن عدّه فقد ثنّاه، تعالى الله عن ذلك.

● حقيقةُ الإيمان

سئل الجنيد عن الإيمان **فقال**: ما أوجب الأمان. وأتى رجل إلى الحسن **فقال له**:

---

(١) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٣٧.

أمؤمن أنت؟ فقال له: إن كنت تريد قول الله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾[1] فنعم به نتناكح وبه نتناسل وبه حقنا دماءنا، وإن كنت تريد قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾[2]، فما أدري أنا منهم أم لا؟

وسئل الفضيل عن الورع فقال: اجتناب المحارم. وقيل لأبي هريرة: صف لنا التقوى، فقال: إذا دخلت أرضاً فيها شوك كيف تصنع؟ فقال: أتوقى وأتحرز، فقال: فاتقِ من الدنيا هكذا، فهذه التقوى. أخذه ابن المعتز، فقال:

كُنْ مِثْلَ مَاشٍ فَوقَ أرْ ضِ الشَّوكِ يَحْذَرُ مَا يَرى
لا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إنَ الجِبَالَ مِنَ الحَصَى

وقيل: ليس الإيمان بالتحلّي ولا التمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال، وأتى النبي ﷺ بجارية فقيل له: هل تجزي هذه عن العتق؟ فقال ﷺ: أين ربُّكِ؟ فرفعت يدها إلى السماء فقال لها: من أنا؟ قالت: رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة.

● حقيقةُ التقوَى

قيل: هي الامتناع من المحرّمات. وقيل: تغيّب المولى في قلوب أوليائه يحثّهم على الخير ويمنعهم من الشر. وقال الحارث: هي انتهاء الجوارح عما نهى الله تعالى عنه إلى ما أمر به. قال الله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ﴾[3] وقال عمر بن عبد العزيز: ليست التقوى قيام الليل ولا صيام النهار والتخليط فيما بين ذلك، ولكنّ التقوى ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق خيراً بعد ذلك فهو خير.

وسئل رسول الله ﷺ: مَنْ آلك؟ فقال: كلّ تقي ألا أن أولياء الله هم المتقون.

● حقيقةُ المحبةِ وعلاماتُها وأحوالُها

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: حقيقة المحبّة لا يزيدها البرّ ولا ينقصها الجفاء وقال ﷺ: إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه. وقال إن الله تعالى يقول: ما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ من أداء ما افترضت عليه وإنّ عبدي لا يزال يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته.

وقال جعفر إذا أحبّك الله سترك وإذا أحببته شهرك.

وقال: إذا أحبك أنامك وإذا أحببته أقامك، فهذا هو الفرق بين المريد والمراد.

---

(١) القرآن الكريم: آل عمران/ ٨٤. (٢) القرآن الكريم: الأنفال/ ٢. (٣) القرآن الكريم: الدخان/ ٥١.

وقال بعضهم: سمعت امرأة تطوف بالبيت **وتقول**: بحبك لي إلا ما غفرت لي. **فقلت لها**: أما يكفيك أن تقولي بحبي لك؟ **قالت**: أما سمعت قوله تعالى يحبهم ويحبونه، فقدم محبته لهم.

وسأل فقير الشبلي عن قول الله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1] فزعق وقال:

إذا أنتَ لم تعطِفْكَ إلا شفَاعَةٌ ... فلا خيرَ في ودٍ يكونُ بشافعِ

● حالُ التصوّفِ والمتصوّفةِ والمريدِ والمراد

قيل لأبي عبد الله الحضرمي وكان يعرف بالصامت لأنه صمت عشرين سنة وقد سئل عن المتصوّفة، **فقال**: رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه **فقيل**: كيف صفتهم؟ **قال**: لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء. **قيل**: فأين محلهم؟

فقال: في مقعد صدق عند مليك مقتدر. **قيل**: زدنا. **قال**: إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً

وسئل بعضهم عن حدّ الصوفي **فقال**: الأكول الكسول الكثير الفضول، فحكى ذلك للإمام الشافعي، **فقال**: الأكول للحلال، الكسول عن المعاصي، الكثير الفضول بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. **وقيل**: الصوفي من لبس الصوف على الصفا وذاق طعم الهوى والجفا وترك الدنيا والعفا. **وسئل** أبو سهل الصعلوكي عن التصوّف **فقال**: الإعراض عن الاعتراض. **وللجنيد**: التصوّف ترك التصرف. **وقال**: أبو عبد الله بن خفيف: هو لائح لاح فاصطلم واستباح، **وقال المحاسبي**: الرضا بسكون القلب تحت جريان الحكم.

وأقبل أبو العباس وشريح على الجنيد رحمه الله تعالى فقال: يا أبا العباس في كتاب الله تعالى آية تدل على مذهبكم. فبرك جنيد على رجليه، **وقال**: بلى قال الله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ الآية وقال أبو العباس بن عطاء في كتاب الله تعالى آية هي صفتهم يعرف معناها من تلاها وهي ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾[2] الآية. وسئل أبو عبيد الله عن المراد والمريد فقال المريد الذي سأل ربه فقال اشرح لي صدري ويسرّ لي أمري، والمراد الذي قيل له ألم نشرح لك صدرك إلى آخرها. وقيل ما حقيقة الفقر؟ قال أن لا ترى مع الله في الدارين غيره.

● حقيقةُ الذكر

هي أن يكون القلب فارغاً إلا منه. قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾[3] أي بذكر موسى من غير قصد منها إلى ذكره.

---

(١) **القرآن الكريم**: آل عمران/ ٣١.

(٢) **القرآن الكريم**: التوبة/ ٢٥.

● **مدح الله تعالى باللسان**

قال الله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾(1) و ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾(2) **وقيل**: أوجب الله الذكر في الصلاة في كثير من المواضع. **وقيل**: ما سمع ﷺ أحداً ذكر الله إلا جاذبه الحمد. **وقال معاذ**: لا يتحسر أهل الجنة على شيء كتحسرهم على وقت مرّ عليهم ولم يذكروا الله تعالى فيه.

● **ذمُّ ذكرِ الله تعالى باللّسانِ وتذكرُهُ عن النسيانِ**

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾(3) وقال تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾(4) **قيل**: السكران المذموم ههنا مَن تعرّى أجزاء صلاته عن الحضور.

● **التحذير من الكلام فيما يؤثم**

سمع حكيم رجلاً يفحش **فقال**: يا هذا إنك تملي على حافظيك كتاباً إلى ربك. **وقال**: عمر رضي الله عنه: من علم أن الكلام عمل أمسك. **وقال الجنيد**: الرحمة تنزل على العارف في ثلاثة مواضع: **عند الأكل**، فإنه لا يأكل إلا عن جوع **وعند الكلام**، فإنه لا يتكلم إلا عن ضرورة. **وعند السماع** فإنه لا يسمع إلا من الله. ورأى إبراهيم بن أدهم رجلاً يحدث بما لا يعنيه فوقف عليه، **وقال**: أكلاماً ترجو منه الثواب، **قال**: لا، **قال**: أفتأمن عليه العقاب، **قال**: لا، **قال**: فعليك بذكر الله ما تصنع بكلام لا ترجو منه ثواباً ولا تخاف عقاباً.

● **ذمُّ مَنْ خلا قلبُه مِن حَلاوةِ الوحدانيةِ**

قيل: أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء أما يستحي من يدّعي حبي وقلبه مملوء من غيري هذا علامة الخدام. **قيل**: وكان في بني إسرائيل حبر **فقال في دعائه**: يا ربّ كم أعصيك وأنت لا تعاقبني فأوحى الله تعالى إلى نبيّ ذلك الزمان: قُلْ لعبدي كم أعاقبك ولا تدري، أسلبك حلاوة مناجاتي. **وسئل الشبلي عن قول النبي**: إذا رأيتم أهل البلاء فسلوا ربكم العافية من هم؟ **قال**: هم أهل الغفلة عن الله. **وقيل**: من لم يرتدع بأمر الله وذكر الموت ثم تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع.

● **قلّة المبالاة بما يفوت من عَرَضِ الدنيا**

قال الله تعالى: و ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾(5) الآية. **وقيل**: حق المؤمن أن لا يتحاشى ما به نجاة نفسه ألا ترى إلى السحرة لما آمنوا وهددهم فرعون، **قالوا**: اقض ما أنت قاض.

---

(1) القرآن الكريم: الزمر/ ٢٩.
(2) القرآن الكريم: الأحزاب/ ٣٥.
(3) القرآن الكريم: الأحزاب/ ٣٣.
(4) القرآن الكريم: الماعون/ ٤.
(5) القرآن الكريم: النساء/ ٤٣.
(6) القرآن الكريم: التوبة/ ٢٤.

● **الحثُّ على اعتبارِ الله دونَ غيرِهِ**

قيل للشعبي: أوصني **فقال**: قل الله، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون. **وقال أبو جعفر الجوهري**: سمعت زنجياً يقول: هذا قلبي فتّشوه فإن وجدتم فيه غير واحد فانبشوه، **وسئل عن قوله تعالى**: وإبراهيم الذي وفّى **قال**: الذي رضي بإسقاط الوسائط فإنه لما جعل في المنجنيق، **قال**: حسبي الله ونعم الوكيل، فلما صار في الجوّ أتاه جبريل عليه السلام فقال: ألك حاجة؟ **قال**: أمّا إليك فلا.

وكتب الجنيد إلى علي بن سهل: سل محمد بن يوسف ما الغالب عليك؟ **فقال**: والله غالب على أمره. **وقيل للشبلي**: أنظر في الفقه لتفتي، **فقال**: خاطر يحرك سرّي أحب إليّ من سبعين قضية قضاها شريح.

● **الأنسُ باللَّهِ في الخَلْوةِ**

قال عمرو بن عثمان: من كان في خلوته عينا الله على نفسه كفاه الله هم أمره في علانيته. **وقال بنان الحمال**: دخلت بادية فاستوحشت فهتف بي هاتف نقضت العهد أليس حبيبك معك. **وقيل**: من أنس بغير الله في الخلوة فهو أبداً في وحشة.

● **تعظيمُ الله تَعالى**

سمع الشبلي رجلاً يكثر عند ذكر الله من قوله تعالى عزّ وجل، **فقال**: أحب أن تجلّه عن هذا فإنه أجل من أن يجل. **وقيل للجنيد**: تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله، فقال أخاف أن يدركني الحقّ في قولي لا وهو شأن الجحود. **وقال عبد الله بن سهل**: إن الله يطلع على القلوب فأيّ قلب رأى فيه غيره سلّط عليه العدو.

● **مراعاةُ الله في الشِّدةِ والرَّخاءِ**

دخل حميد الطويل على سليمان بن علي والي البصرة **فقال له**: عِظْني، **فقال حميد**: لئن كنت حين عصيت ربك ظننت أنه يراك فقد اجترأت على الله ولئن كنت ظننت أنه لا يراك فقد كفرت. **وقال عمرو بن عثمان**: قال عيسى: يا رب من أشرف الناس قال من إذا خلا علم أني ثانيه فأجلّ قدري عن أن يشهدني معاصيه. **وقال رجل للحسين بن علي**: من أشرف الناس؟ قال: من اتعظ قبل أن يوعظ واستيقظ قبل أن يوقظ، **فقال**: أشهد أن هذا هو السعيد. وسارّ سليمانُ عمر بن عبد العزيز، **فقال**: هل يرانا من أحد **فقال**: نعم عين لا تحتاج إلى تحديق وترميق. ومرّ عمر رضي الله عنه بمملوك يرعى غنماً **فقال**: أتبيعني منها شاة؟ قال ليست لي، **قال**: فأين العلل؟ قال فأين الله؟ فاشتراه عمر وأعتقه، **فقال المملوك**: اللهم قد رزقتني العتقَ الأصغر فارزقني العتق الأكبر، أعوذ بك من قلب غائب عنك.

وقال السري السقطي: بتصحيح الضمائر تغتفر الكبائر. **وقال النبي ﷺ**: تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، أي تعرف إليه في الرخاء بالشكر وذكر الآلاء يعرفك في الشدة بالعصمة.

● الحثُّ على مُراعاةِ ما فيه رِضا الله دونَ المخلوقين

قال النبي ﷺ: من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن طلب رضا الناس بسخط الله وكله إلى الناس. **وقيل**: من خاف الله تعال أجلّ ومن خاف الناس ذلّ، **وقال سهل بن عبد الله**: أعجز الناس من خشي ما لا يضره ولا ينفعه والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[1] **وقيل**: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء. **قال الشبلي**: ولذلك دليل، خاف يعقوب على يوسف الذئب فمحن بما محن ولو خاف الله تعالى لمنع كيد الأخوة. **وقال محمد بن السماك**: إن قدرت أن لا تكون لغير الله عبداً ما وجدت للعبودية بداً فافعل، **وقيل**: ما أوطأ راحة الواثق بالله وآنس المطيع لله.

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: عليك بما يبقى لك عند الله فإنه لا يبقى لك ما عند الناس، فبلغ ذلك الزهري **فقال**: لقد وعظه بالتوراة والإنجيل والفرقان. **وقال أمير المؤمنين**: من حاول دفع أمر بمعصية كان ذلك أبعد لما رجا وأقرب لمجيء ما اتقى. **وقال بندار بن الحسين الصوفي**: من أقبل على الدنيا أحرقته بنارها وصار رماداً لا ينتفع به، ومن أقبل على الآخرة أحرقته بنورها وصار سبيكة ذهب ينتفع بها، ومن أقبل على الله تعالى أحرقه التوحيد وصار جوهرة لا قيمة لها.

● الحثُّ على إصلاحِ الضّمير

قال سفيان بن عيينة: لو لم ينزل الله تعالى علينا إلا قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[2] لكان قد أعذر. **وقال ذو النون**: إذا فسدت النية وقعت البلية. **وقال أبو سعيد الجزار**: دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان فقلت في نفسي هذا وأمثاله كلّ على الناس فناداني: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[3]، فاستغفرت الله تعالى في نفسي، فناداني: و ﴿هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[4]، وغاب عني. وسئل ذو النون عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾[5] **فقال**: القرية قلب المؤمن والملك المعرفة فإذا سكنت المعرفة القلب طردت ما فيه غير ذكر الله. **وقال أبو علي السنوي**: بلغني يا رسول الله إنك قلت شيبتني هود فما الذي شيبك منها، **قال**: قوله تعالى ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[6]

● العفوُ عن حديثِ النّفسِ

قال النبي ﷺ: عفى عن أمتي الخطأ والنسيان. **وقال**: إن العبد إذا هم بمعصية لم تكتب عليه وسئل سفيان عن الهم هل يؤخذ به العبد، **قال**: نعم، إذا كان عزماً قال الله تعالى وهموا بما لم ينالوا.

---

(١) القرآن الكريم: المائدة/ ٣. (٣) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣٥. (٥) القرآن الكريم: النمل/ ٣٤.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣٥. (٤) القرآن الكريم: التوبة/ ١٠٤. (٦) القرآن الكريم: يونس/ ١٠٤.

● الحثُّ على تَقوى الله وطِيبُ عيشِ فاعِلها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾[1] الآية. **وقال النبي ﷺ**: من سرّه أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن سرّه أن يكون أقواهم فليتوكل على الله، ومن سرّه أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه. **وقال**: من أراد عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، وغنى بلا مال فليخرج من ذل معصية الله تعالى إلى عز طاعته. **وقال جعفر بن محمد**: اتقِ الله بعض التقوى وإن قل، واجعل بينك وبين الله ستراً وإن رقّ.

وقال بزرجمهر: من قوي فليقو على طاعة الله ومن ضعف فليضعف عن معصية الله. **وقال ابن المقفع**: ليحرص البلغاء أن يزيدوا على هذه الكلمة حرفاً. **وقال عبد الملك لبنيه في مرضه**: أوصيكم بتقوى الله فإنها أزين حلة وأحصن كهف، **فقال مسلمة**: وأقرب إلى الصواب وأنفع في المآب، فقال عبد الملك: هاتان لا الأوليان.

● الحثُّ على الإشتِغالِ باللّهِ عَنِ النَّفسِ

قيل لداوود الطائي: لو سرحت لحيتك، **قال**: إن الرجل إذا اشتغل بنفسه نسي الله وإذا اشتغل بالله نسي نفسه. وقيل لقي داود محمد بن واسع فقال: يا أخي مالي لا أراك؟ **قال**: لأني انقطعت إليه، **فقال**: الشأن في أن يقبلك فغشي عليه. **وقال الهيثم الهاشمي**: ذكر في مجلس أبي عبد الله بن خفيف أن جنيداً **قال**: لا تصحب من تحتاج أن تكتمه ما يعرف الله منك، **فقال**: أبو عبد الله أراد جنيد أن يشغل الخلق عن الخلق بالله. **وقال الجنيد**: من ذكر الله نسي نفسه ومن ذكر نفسه ذكر الخلق ومن ذكر الخلق فقد هلك. **وقال الشبلي**:

يا منيةَ المتمنّي شغلتَني بكَ عنّي
عجبت منك ومنّي

ونحو ذلك قيل لأبي يزيد البسطامي أين أبو يزيد؟ **فقال**: أنا في طلب أبي يزيد منذ عشرين سنة. **وقال رجل لأبي الربيع**: أوصني، **فقال**: إن الله لا يشغله عنك شيء فإن استطعت أن لا يشغلك عنه شيء فافعل.

● الحثُّ على الاهتمامِ بأمرِ الآخرةِ دُونَ الدُّنيا

قال ابن عباس: ما انتفعت بشيء بعده ﷺ كانتفاعي بما كتب إلى أمير المؤمنين: أما بعد فإن المرء يسرّه درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وأسفك على ما فاتك منها، وليكن همّك فيما بعد الموت والسلام.

وقيل: من كان بالآخرة اشتغاله حسنت في الدنيا حاله. **وقال زيد بن علي بن**

---

(١) القرآن الكريم: يوسف/ ٩٠.

الحسين رضي الله تعالى عنهم: أطلب ما يعنيك ودع ما لا يعنيك. ففي تركه درك ما يعنيك فإنما تقدم على ما قدمت ولا تقدم على ما أخرت، فآثر ما تلقاه غداً على ما لا تلقاه أبداً. وقيل: الدنيا والآخرة في قلب المؤمن ككفتي الميزان إذا رجحت هذه خفت هذه. وقال يحيى بن معاذ: الناس ثلاثة، رجل يشغله معاده عن معاشه وتلك درجة العابدين ورجل يشغله معاشه عن معاده وتلك درجة الهالكين ومشتغل بهما وهي درجة المخاطرين. وقيل لعبد الله بن إبراهيم من أسخى الناس، فقال: من بذل دنياه في صلاح دينه. وقال ﷺ: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني. وقال رجل: من جعل همه في الله هماً واحداً جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً وجعل الغنى في قلبه وأتته الدنيا راغمة ومن شتت عليه همه شتت الله عليه ضيعته وجعل الفقر بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له ثم لا يبالي في أي واد هلك.

● الحثُّ على مُراعاةِ الدين والدّنيا ومَدْحُ فاعلِ ذلِك

قال النبي ﷺ: ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه، ولكن من أخذ منهما جميعاً. وكان محمد بن علي يقول: اللهم أعني على الدنيا بالغنى وعلى الآخرة بالتقوى. وقال بعض العلماء: لست آمركم بترك الدنيا فترك الدنيا فضيلة وترك الذنب فريضة وأنت إلى إقامة الفرائض أحوج منك إلى اكتساب الفضائل. وقيل لعمر بن عبد العزيز: لِمَ لا تنام، قال: إن نمت بالليل أضعت نفسي وإن نمت بالنهار أضعت الرعية. وقالت امرأة:

وللهِ مـنـي جـانـبٌ لا أضـيـعُـه ... ولـلـهـو مـنـي والـخـلاعـةِ جـانِـبُ

وقال ابن أبي حفصة لعمارة أنشدت المأمون قولي:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلاً ... بـالـديـن والـنـاس بـالـدنـيـا مـشـاغـيـل

فلم يهتم لذلك، فقال عمارة: ما زدت على أن صيرته عجوزاً معتكفة في محرابها، فمن لأمور المسلمين هلاّ قلت كجرير:

فـلا هـو في الـدنـيـا مـضـيِّـع نـصـيـبَـه ... ولا غـرضُ الـدنـيـا عـن الـديـنِ شـاغـلُـه

● احتمالُ المضرةِ في العاجلِ رجاءَ المسرّةِ في الآجِلِ

قال ﷺ: لن تنالوا ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون ولا تبلغون ما تهوون إلا بترك ما تشتهون. وقال عليه الصلاة والسلام: حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، احتمل مضرّة يومك لمسرّة غدك، العاقل يحتمل الضر في دار الفناء إيقاناً بالنفع في دار البقاء. ولما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنأ بطعام ولا شراب، فقالت له أمه: أرفق بنفسك، فقال: الرفق أطلب لها.

● **الحَثُّ على حِفظِ النَّفسِ من النّار**

نظر أبو هريرة إلى رجل وضيء **فقال**: إني أرى لك قدمين لطيفتين فابتغ لهما موقفاً صالحاً يوم القيامة. **وقال رجل لحكيم** أوصني، **فقال**: إن استطعت أن لا تسيء إلى من تحب فافعل، **فقال**: وهل يسيء المرء إلى من يحب، **قال**: نعم. نفسك إن عصيت الله. **وقيل**: المغبون من رأى الدنيا بحذافيرها لبدنه ثمناً. **وقيل**: كل قتيل يودي إلا قتيل نفسه.

● **النَّهيُ عن التَّهافُتِ في العِبادَةِ**

قال ﷺ: إن الدين متين فأوغلوا فيه برفق، فإن المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. **وقال ابن مسعود رضي الله عنه**: استبق نفسك ولا تكرهها فإنّك إن أكرهت القلب على شيء عمي. وقال ﷺ: إن الله بعثني بالحنيفية السمحة ولم يبعثني بالرهبانية، فمن رغب عن سنتي فليس منّي. **وقال المرعشي**: من شغله الفرض عن الفضل فهو معذور، ومن شغله الفضل عن الفرض فمغرور.

● **التَّوبة**

قيل: التوبة النصوح ترك ما تنكره السنة في الظاهر والباطن. **وقال أمير المؤمنين**: التوبة على **أربعة دعائم**، استغفار باللسان ونية بالقلب وترك بالجوارح وإضمار أن لا يعود وسئل السوسني عنها، فقال: الرجوع عن كل ما ذمه العلم إلى ما مدحه. **وقيل**: هي الإعتراف والندم والإقلاع. **وقال عليه الصلاة والسلام**: من تاب قبل موته بفواق ناقة حرم الله وجهه على النار.

● **الحثُّ على المُبادَرةِ إليها**

قيل في قوله تعالى: بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئة، هو من مات على المعصية من غير توبة، **وقال مجاهد**: التوقف حسن إلا في التوبة. **وقيل لرجل**: أوص فقال: أحذركم سوف. قال شاعر:

والمرء مرتهن بسوف وليتني وهلاكه في سوفه والليتِ

وقال ﷺ: إياكم ولو، فإن لو من أقوال المنافقين. **وقيل**: من وجد في قلبه التخويف فلا يطلبن لنفسه التسويف. وقيل في قوله تعالى: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾[1] أي يقول غداً أتوب وقال أبو حازم: نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ولا نتوب حتى نموت. قال شاعر

أسوِّفُ توبَتي خمسينَ عاماً وظنِّي أن مِثلي لا يَتوبُ

وقال:

متى يفلحُ منْ قدْ عاشَ خمسين وما أفلح

---

(١) القرآن الكريم: القيامة/ ٥.

وقال عمر بن عبيد الله لرجل: عظني، **فقال**: قد قطعت عامة سفرك فإن استطعت أن لا تضلّ في آخره فافعل. **وقال المؤلف وأنا أقول**: قد ضللت عامة سفري فإن لم يهدني الله فويل لي. ختم الله لي بخير ولمن كتب، وقرأ. **وقال مصعب بن الزبير**: إدفع سطوة الله بسرعة النزوع وحسن الرجوع ويوشك أن المنايا تسبق الوصايا.

● الحثُّ على الاستغفارِ واختلاط سيّءِ الأفعال بالحَسَنِ

قال ﷺ: ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم خمسين مرة. **وقال بعضهم**: حق على المؤمن أن يقتدي بأبويه في قولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[1] الآية، وبما **قال نوح عليه السلام**: وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين. وقوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾[2] الآية. **وقال أمير المؤمنين**: العجب لمن يقنط ومعه النجاة الإستغفار. **وقيل**: لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الإستغفار. **وقال عمر رضي الله عنه**: لم أر أشد طلباً وأسرع دركاً من حسنة حديثة لذنب قديم. **وقيل** لرجل ألا تأتي إلى الحسن لتسمع منه؟ **فقال**: أنا مشغول بذنب أستغفر منه وبنعمة أشكر عليها فمتى أتفرغ لإتيانه. وسئل بعض المجان كيف أنت في دينك؟ **قال**: أخرقه بالمعاصي وأرقعه بالإستغفار. **وقال بزرجمهر**: أيها السلاطين لا بدّ لكم من المعاصي الكبار فافعلوا بإزائها طاعات عظيمة، أيها الأوساط يمكنكم الطاعات العظيمة كالمصالح التي لا يقدر عليها إلا السلطان فلا تركبوا المعاصي الكبيرة.

● النَّهيُ عن الإستغفارِ ما لَمْ يصاحبهُ الفِعلُ

سمع مطرف رجلاً **يقول**: أستغفر الله وأتوب إليه فأخذ بذراعيه **وقال**: لعلك لا تفعل ومن وعد فقد أوجب. **وقال أبو عبد الرحمن** سمعني راهب أقول أستغفر الله فقال يا فتى سرعة اللسان بالإستغفار توبة الكذابين ويدل على ما قاله ﷺ: المستغفر باللسان المصر على الذنب كالمستهزىء بربه. **وقيل**: الإستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين، **وقال الربيع بن خيثم**: لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنباً جديداً إذا لم يفعل، ولكن **ليقل**: اللهم تب عليّ واغفر لي، فقيل لِمَ. فقال: انتهِ عما ينهاك عنه فإنّه يغفرلك.

● تحذير من دَنا أجَلُه وساء عَمَلُه

اجتمع فيلسوف الروم وحكيم الهند وبزرجمهر عند كسرى فتذاكروا في شر الأشياء. **فقال الرومي**: الهم يقترن به العدم **وقال الهندي**: سقم البدن ودوام الحزن. **وقال بزرجمهر**: دنو أجل وسوء عمل، فحكم له. ودعا بعض الصالحين، **فقال**: اللهم اجعل خير عملي ما ولي أجلي **وقال آخر** أعوذ بالله من وقوع المنية ولما أبلغ الأمنية، **وقال ابن أبي البغل**:

أستغفرُ اللهَ من عمرٍ أضعتُ به ... حظّي من الذكرِ في قالٍ وفي قيلِ

---

(١) القرآن الكريم: الأعراف/ ٢٣.
(٢) القرآن الكريم: الأعراف/ ١٩٠.

أستغفرُ اللهَ ربَّ العرشِ من عمرٍ　　أضعته في خساراتٍ وتضليلِ

● الحثُّ على تجنُّب فعلٍ مذموم

قال حكيم: الأيام صحائف آجالكم فأودعوها أجمل أفعالكم. **وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما** عجبت لمن يحتمي عن الطعام لمضرته ولا يحتمي عن الذنب لمعرته[1] **فأخذ ذلك محمود الوراق حيث يقول:**

عمرُك قد أفنيتَه تحتَمي　　فيه من الباردِ والحارِ
وكان أولى بكَ أن تحتَمي　　من المعاصي خشيةَ النّارِ

وقال بعضهم: حضرت مجلس الشبلي فقام إليه رجل من أصحابه، **فقال له:** أوصني، **فقال له:** لقد أوصاك الشاعر بقوله:

قالوا توقَّ ديارَ الحيّ إنَّ لهُم　　عيْناً عليك إذا ما نِمْتَ لم تَنَمِ

وقال يحيى بن معاذ: اجتناب السيئات أشد من اكتساب الحسنات.

● النَّهيُ عن تضييع الوقتِ

قال النبي ﷺ: إغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك. **وقال سفيان:** تذكر الماضي ورجاء الباقي ذهباً ببركة ساعاتك. **وقال عمر بن ذر:** الأيام إذا فكرت فيها ثلاثة، يوم مضى لا ترجوه ويوم أنت فيه ينبغي أن تغتنمه ويوم في يدك أمله، فلا تغتر بالأمل فتخل بالعمل فإنما اليوم وأمس كأخوين نزل بك أحدهما فأسأت نزله وقراه فرحل عنك وهو ذام لك، ثم نزل بك أخوه **فقال:** إن أسأت إليّ كما أسأت إلى أخي فما أخلقك أن تعدم شهادتنا.

وسمع الحسن رجلاً **يقول:** اللهم اجعلنا منك على حذر، **فقال:** إنه فعل ذلك، أليس قد ستر عنك أجلك فلست من حياة ساعة على يقين.

● عَتْبُ مَنْ يَتوبُ ثم يَعود

قال شاعر:

كمْ قلتَ لستَ بعائدٍ في توبَة　　ونذرتَ فيها ثم صرْتَ تعودُ

قال مالك بن دينار: دخلت على جار لي وهو مريض فقلت له عاهد الله أن تتوب فلعله أن يشفيك **فقال:** هيهات قد عاهدته فسمعت هاتفاً من جانب البيت قد عاهدناك مراراً فوجدناك كذوباً.

---

(١) معرته: معرّة الذنب.

● **حثّ الراجعِ عن التوبةِ إلى العودة**

جاء حبيب بن الحارث إلى النبي ﷺ **فقال**: إني مقارف للذنوب فقال: تب فقال: إني أتوب ثم أعود فقال: كلما أذنبت ذنباً فتب فعفو الله أكبر من ذنوبك. **وقال** ﷺ: إن الرجل ليذنب الذنب فيدخل به الجنة. **فقيل**: كيف يا رسول الله؟ **قال**: يكون نصب عينه خائفاً منه حتى يدخل الجنة.

● **قِلّةُ مَنْ لا ذَنْبَ له من المُكلّفين**

قال الله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[1] وذكر يونس عليه السلام **فقال**: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾[2] الآية، وقصّ قصة داوود عليه السلام وقد عوتب محمد عليه الصلاة والسلام بعبس وتولى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ و ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾[3] الآية، **وقال**: في جميع الناس، ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة.

● **جوازُ إظهارِ الكفر تقيّةً**

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[4] وكان عمار أظهر الرضا بفعل الكفار مع إنطواء قلبه على الإخلاص. **وقال** ﷺ: إن عادوا فعد وأتى مسيلمة برجلين فقال **لأحدهما**: تعلم أني رسول الله. **قال**: بل محمد رسول الله فقتله. **وقال للآخر فقال**: أنت ومحمد رسول الله فخلّى سبيله فبلغ ذلك رسول الله ﷺ **فقال**: أما الأوّل فمضى على عزمه ويقينه، وأما الآخر فأخذ برخصة الله فلا تبعة عليه، وكالمضاد له.

مَن راقبَ الناسَ في مذاهبِه أصمّه ربُّه وأغماهُ

● **رجاء رحمة الله وغفرانه ومدح ذلك**

قال النبي ﷺ: ما أحبّ أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[5] **وقال**: إن الله تعالى **يقول**: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء. **وقال ابن عباس لابن عمر رضي الله عنهما**: أي آية أرجي؟ **فقال**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[6] الآية، **فقال**: إن هذه لمرجوة وأرجى منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[7] وقيل: أعظم من الذنب اليأس من الرحمة وأشد منه المماطلة بالتوبة. **وقال أعرابي لابن عباس** من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ **قال**: يحاسبهم الله تعالى **قال**: نحونا ورب الكعبة فقال: كيف؟ قال إن الكريم إذا قدر غفر. ورؤي الشبلي

---

(١) القرآن الكريم: طه/ ١١٥.
(٢) القرآن الكريم: الأنبياء/ ٨٧.
(٣) القرآن الكريم: الأنفال/ ٦٨.
(٤) القرآن الكريم: النحل/ ١٠٦.
(٥) القرآن الكريم: الزمر/ ٥٣.
(٦) القرآن الكريم: النساء/ ٤٨.
(٧) القرآن الكريم: الرعد/ ٦.

في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فأنشد:

حاسبونا فدققوا ثم منّوا فأعتقوا

وسمع أعرابي ابن عباس يقرأ قول الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[1] قال: والله ما أنقذنا منها وهو يريد أن يلقينا فيها، فقال ابن عباس: خذوه من غير فقيه. ولقي يحيى عيسى عليهما السلام فعبس هذا وتبسم هذا، فقال: هذا لهذا مالك عابس كأنك قانط، وقال: هذا لهذا مالك ضاحك كأنك آمن، فأوحى الله تعالى إليهما: أن أحبكما إليّ أحسنكما ظناً بي. وقيل لرجل: كم تكون تاركاً للتوبة؟ فقال: رأيت الله تعالى وصف قوماً فقال: وآخرون اعترفوا بذنوبهم إليّ عسى الله أن يتوب عليهم، وعسى من الله واجب. فقيل له: قد قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[2] الآية وقال عمر بن عبد العزيز لعمر بن علقمة: أخاف عليك النار، فقال: لكني لا أخافها قال لِمَ، قال لأن الله تعالى يقول: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[3]، وأنا صدقت وأقبلت.

وقال أبو نواس:

يا كثيرَ الذنب عفـ ـوُ الله من ذنبِك أكبر

وقال بعضهم: يا رب حجّتي حاجتي ووسيلتي فاقتي.

● الحثُّ على الجَمعِ بينَ الرَّجاءِ والخَوف

قال الله تعالى في صفة المؤمنين: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[4] وقال أمير المؤمنين: خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيت بحسنات أهل الأرض لم تقبل منك، وأرجه رجاء ترى أنك لو أتيت بسيئات أهل الأرض غفرها لك. وقيل: أرج إذا خفت وخف إذا رجوت؛ وكن كالمرأة الحامل ليس رجاؤها أن تلد ولداً ذكراً بأكثر من خوفها أن تلد أنثى. وقال بعض الصالحين: لو أنزل الله كتاباً إني معذب رجلاً واحداً لخفت أن أكون، أو أنه راحم رجلاً واحداً رجوت أن أكونه ولو أنزل الله أنه معذبي ما ازددت إلا اجتهاداً لئلا أعود على نفسي بلائمة. وقال رجل لابنه: خف الله خوفاً لا يمنعك من الرجا، وأرجه رجاء لا يمنعك من الخوف، فالمؤمن له قلبان يرجوه أحدهما ويخافه الآخر، وقال:

أنا بينَ الرجاءِ والخوفِ منه واقفٌ بينَ وَعْدِهِ والوَعيدِ

وقال أبو نواس:

لا تحظَرِ العفوَ أن كنت أمرءاً حرجاً فإن حظرَكَهُ بالدّين إزراءُ

---

(١) القرآن الكريم: آل عمران/١٠٣.
(٢) القرآن الكريم: الزلزلة/٧.
(٣) القرآن الكريم: الليل/١٦.
(٤) القرآن الكريم: الإسراء/٥٧.

● **ذمّ مَنْ يرجو الغُفرَان مِنْ غيرِ تركِ ذَنْبٍ**

قال سعيد بن جبير: من الاغترار بالله المقام على الذنب ورجاء الغفران. **وقال** سليمان بن علي لعمرو بن عبيد: أخبرني عن هذا المال، **فقال**: إن أخذ من حله فوضع في حقه سلمت **فقال**: أنا أحسن ظناً بالله، **قال**: ما كان أحد أحسن ظناً بالله من رسول الله ﷺ فما أخذ درهماً إلا من حلّه ولا وضعه إلا في حقه.

وقيل في قوله تعالى بل يريد كل امرىء منه أن يؤتى صحفاً منشرة. **قال**: يراه من الله من غير عمل يقدمه. ولقي زاهد أخاً له **فقال**: أتاك اليقين أنك وارد جهنم، **قال**: نعم، **قال**: فهل أتاك اليقين بالصدر؟ **قال**: لا، **قال**: فما الانتظار والتناعس. **وقال الثوري**: قطع أطماع العباد آيتان: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[1] وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[2] الآية، **وقال محمود الوراق**:

يا ناظراً يرنو بعيني راقدٍ ... ومُشاهِداً للأمرِ غيرِ مشاهدِ
تصلُ الذنوبَ إلى الذنوبِ وترتَجي ... درك الجنانِ بها وفوزَ العائدِ
ونسيتَ أن الله أخرج آدماً ... منها إلى الدنيا بذنب واحدِ

● **تكذيبُ مَنْ ادّعى حُسنَ ظنّه بربّهِ وفِعْلُهُ مُنافٍ لذلكَ**

قال الحسن: إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة. **يقول**: إني أحسن الظن بربي وكذب لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل ثم تلا ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3] **وقال جعفر**: رأيت ميسرة العابد وقد بدت أضلاعه من الاجتهاد **فقلت له**: إن رحمة الله قريب قال نعم من المحسنين.

● **ذمّ متمنٍّ غيرِ عاملٍ**

قيل: إذا أبغض الله عبداً أعطاه ثلاثاً يحبب إليه الصالحين ويمنعه القبول منهم ويحبب إليه الأعمال ويمنعه الإخلاص فيها ويجري الحكمة على لسانه ويمنعه الصدق بها. **وكتب أبو عمير إلى صديق له**: أما بعد فإنك تتمنى على الله بسوء فعلك إنما تضرب في حديد بارد.

● **التحذير من الاغترارِ باللهِ تعالى في تأخيرِ العُقوبةِ**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾[4] **وقال ابن السماك**: إن الله أمهلهم حتى كأنما أهملهم ولقد ستر حتى كأنه غفر، وخطب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

---

(١) القرآن الكريم: الزمر/ ٤٤.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٥٥.
(٣) القرآن الكريم: فصلت/ ٢٣.
(٤) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٧٨.

فقال: لا يغرنكم الإملاء فإن الإملاء من الإستدراج، والله تعالى يقول: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[1] وكتب أيضاً إلى عامل له لا تغتر بتأخير العقوبة من الله فإنما يعجل خائف الفوت.

• عَتبُ طالبِ الرّخَصِ

قال الأصمعي: من التمس الرخص من الإخوان عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة تاه وازداد سقماً واحتمل وزراً. **وقيل**: إذا رأيت الزاهد يتروح إلى طلب الرخص فاعلم أنه قد بدا له في الزهد.

• تفضيلُ المُذنبِ الخائفِ على الورع المُعجبِ

الورع الوقوف مع الشرع. **وقال بعضهم**: الورع ترك ما حاك في صدرك. **وقال بعض الصالحين**: ضحك العبد وهو مشفق من ذنبه خير من بكائه وهو مدل بربه.

وقال أبو سليمان الداراني: ما عمل داوود عملاً خيراً من خطيئته ما زال خائفاً منها حتى لحق بربه، **وقال مطرف**: لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً خير من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً. **وقال القاسم بن محمد الصوفي**: إذا كان الرجل لجوجاً معجباً برأيه ممارياً فقد استكمل الخسارة.

وقال رجل ليحيى بن معاذ: متى أتهم قلبي؟ قال إذا فارقه الخوف. **وقال الخلدي**: سألت الجنيد عن الظرف، **فقال**: أن تعمل لله ولا ترى أنك عملت.

وقالت عاجلة في قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[2] يخاف أن لا يقبل منهم. **وقال الحسين الحلاج**: من نظر إلى العمل حجب عمن عمل له ومن نظر إلى من عمل له حجب عن رؤية العمل.

• التّوَقّي من الصّغائِرِ

قال علي كرم الله تعالى وجهه: إياكم ومحقرات الذنوب فإن الصغير منها يدعو إلى الكبير. **وقيل**: من العود إلى العود ثقلت ظهور الحطابين ومن الهفوة إلى الهفوة كثرت ذنوب الخطائين. **وقال بعض الأسديين**:

ألا من لنفسٍ بالذنوب رهينةٍ ... قليلٌ على مسّ العذابِ اصطبارُها
كفى سقماً بالمرء يا أم عاصم ... ركوب المعاصي عامداً واحتقارها

وسقط من يد بعض الصالحين دينار فوجده في الحال، فلم يأخذه، **وقال** لعله غير ديناري. وكان عمر أتي بالعشاء فأطفأ السراج، **وقال**: لا آكل على سراج العامة.

---

(١) القرآن الكريم: الأعراف/ ١٨٢، ١٨٣.
(٢) القرآن الكريم: المؤمنون/ ٦٠.

● **المُتبيِّنُ فيهِ مَخافةُ الله تَعالى**

قيل: ما رؤي النبي ﷺ ضاحكاً بعد نزول قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[1] **وقال رجل ليونس بن عبيد**: صف لي الحسن. **قال**: إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حبيبه، وإذا جلس فكأنما أمر بضرب عنقه وإذا ذكرت النار فكأنما خلقت له.

ووصف ابن عباس أبا بكر رضي الله عنهم **فقال**: كان كالطائر الحذر له في كل وجه جسد، وكان يعمل لكل يوم بما فيه وكان محمد بن المنكدر لا يرى إلا كئيباً، فقيل له في ذلك، **فقال**: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[2] **وقال الفضيل** من علامة الشقاء جمود العين وقساوة القلب وطول الأمل. **وكان يقول**: حقيق على من كان الموت موعده والقيامة مورده والوقوف والحساب مشهده أن يطول حزنه وبكاؤه. قال مالك بن دينار في التوراة إن الرجل إذا استكمل النفاق ملك عينيه.

● **المُستكبِرُ ذَنبَ نَفسِه والمُتندِّمُ لفِعلِه**

قال بعض الصالحين: كم لي من ذنب لو عرف به الصديق لمقتني ولو عرف به العدوّ لهتكني وقال مطرف: ما نزل بلاء فاستعظمته إلا ذكرت ذنوبي فأستصغره. قيل لحكيم كيف أصبحت؟ **قال**: آكل رزق ربي مطيعاً عدوه. وقيل لحسان بن سنان كيف أصبحت؟ **قال**: أصبحت قريباً أجلي بعيداً أملي سيئاً عَملي. **وقال أبو العتاهية**:

يظنُّ الناسُ بي خيراً وإنّي ... لشرُّ الناسِ إنْ لم تعفُ عنّي

وقال أبو محمد الخازن:

بنعمةِ الله وفي دارهِ ... عصيتُهُ جَهلاً وسوءَ اختيارِ

إن لم يغشني عفوُهُ عاجِلاً ... فإنني واللهِ في النّار جارِ

● **المُمتنِعُ من تناول المشتهيات والمباحات**

عاد مالك بن دينار جاراً له **فقال له**: أتشتهي شيئاً **فقال**: نفسي تنازعني منذ أربعين سنة رغيفاً أبيض ولبناً في زجاج فأتاه بهما فجعل ينظر إليهما **ويقول**: دافعت شهوتي عمري حتى لم يبق إلا مثل ظمأ الحمار، ومات بشهوته.

● **الحثُّ على عِبادةِ الله تعالى لا طلباً لثوابِهِ ولا مَخافَةً مِنْ عِقَابِه**

قال النباجي: لو لم يكن لله ثواب يرجى ولا عقاب يخشى لكان أهلاً أن لا يعصى ويذكر فلا ينسى بلا رغبة في ثواب ولا رهبة من عقاب لكن لحبه وهو أعلى الدرجات، أما

---

(١) **القرآن الكريم**: النجم/ ٦٠.

(٢) **القرآن الكريم**: الزمر/ ٤٧.

تسمع قول موسى عليه السلام: وعجلت إليك ربّ لترضى. وإن من عمل لحبه أشرف ممن عمل لخوفه.

وقال حكيم: إني لأستحي من ربي أن أعبده رجاء الجنة فأكون كالأجير أو خوف النار فأكون كعبد السوء إن خاف عمل وإن لم يخف لم يعمل، لكن يستخرج مني حب ربّي ما لا يستخرجه غيره.

قال أبو يزيد البسطامي: الظالم الذي يعبده على العادة والمقتصد للرغبة والرهبة والسابق للمحبة. **وقال الشبلي:** من عبده رجاء الجنة فهو عبدها أو خوف النار فهو عبدها، لأن من خاف شيئاً أو رجاه فهو معبوده. **وقال بعضهم:** من عبده الله بعوض فهو لئيم. وقال علي بن الموفق: اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفاً من نارك فاحرقني أو طمعاً في جنتك فاحرمنيها، وإن كنت تعلم أني أعبدك حباً لك وشوقاً إلى لقائك فأبحنه.

وقال بعض الصوفية: حقيقة المحبة أن لا يزيدها البر ولا ينقصها الجفاء. وقيل لرابعة مالك لا تسألين الله الجنة في دعائك فقالت: الجار ثم الدار.

وقال سهل بن عبد الله وتلا ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ﴾[1] لو علموا عمن شغلوا ما اشتغلوا به. **وقيل:** في قوله ﷺ أكثر أهل الجنة البله قال: لأنهم في شغل فاكهون شغلهم النعيم عن المنعم ومن رضي بالجنة عن الله فهو أبله. **وقال البوشنجي:** الدنيا سجن المؤمن والجنة سجن العارف.

● فضيلةُ من كان في كَلاءةِ الله تعالى وحفظِه

قال ممشاد الدينوري: من كان مع الله فقد هلك وإنما نجا من كان الله معه. **وقال رجل للشبلي:** متى يقرب العبد من ربه، فزعق ثم أنشد:

مَـنْ لَـمْ يـكـنْ لـلـوصـالِ أهـلاً ... فـكـلُّ إحـسـانِـه ذنـوبُ

وقيل: أجلّ ما ينزل من السماء التوفيق وأجلّ ما يصعد من الأرض الإخلاص.

● في ذمّ عالم غيرِ عاملٍ

قال أبو الدرداء: إن أخوَفَ ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي قد علمت فما عملت فيما علمت. **وقيل:** ويل للذي لا يعلم مرة وويل للذي يعلم سبع مرات. **وقال محمد بن واسع:** إنّ قوماً يشرفون على قوم يوم القيامة فيقولون قد نجونا بما أخذنا منك، فما لكم في العذاب فيقولون كنا نعلم ولا نعمل.

● قِلّةُ اليقينِ في الناسِ

قال الشعبي: لم يقسم الله بين الناس أقل من اليقين، **وقال بعض أصحابنا:** من الدلالة

---

(١) القرآن الكريم: يس/٥٥.

على قلة اليقين إنك تخيّر يوماً عن خير الدنيا بالسّيئة طمعاً في الربح طفيف ربح مع ما فيه من الخطر وتأبى أن تقرض الله درهماً بثمانمائة مع زعمك وقولك إنّ مستقرضه مليّ وفيّ.

• ترغيبُ اللّهِ تعالى عبادَهُ في جنّتِهِ

قال الحسن: إن الله دعا كل قوم إلى الجنة، **فقال للعرب** يشوّقهم ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً لما كان أحب لأشياء إليهم ذلك، **وقال للفرس** يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيه حرير لما كان أحب الأشياء إليهم ذلك. **وقيل**: إنما ذكر الله تعالى درجة الخائفين ولم يذكر درجة المحبين، لأن القلوب لا تحتمل ذلك، كما أمسك عن ثواب النبيين وأظهر ثواب المتقين، **فقال في النبيين** ﴿واذكر عبدنا داوود. .﴾[1] الآية وأظهر ثواب المتقين فقال وإن للمتقين لحسن مآب. ومثال ذلك إن الشيء إذا عظم ثوابه لم يذكر مفصلاً كصوم رمضان والزكاة. **وقال**: فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين. **وقال**: ولدينا مزيد. **وقال النبي** ﷺ: فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وذكر الثواب في إماطة الأذى عن الطريق وعيادة المرضى ونحو ذلك.

• فضيلةُ العِبادَة مع العِلْم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[2] وقال النبي ﷺ: فقيه واحد أشد على إبليس من ألف عابد. وقال الحسن: أدركت قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من عمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه.

• ذمُّ الوَرَع مَعَ الجَهْلِ

روي عن أمير المؤمنين أنه **قال**: قصم ظهري رجلان، جاهل متنسك وعالم متهتك. وروي عن الحسن: قصم ظهري عالم لا زهد معه وزاهد لا علم معه، هذا يدعو إلى جهله بزهده وهذا ينفر عن علمه بحرصه. **وقال النبي** ﷺ: يكون في آخر الزمان قراء فسقة وعباد جهلة، وركعة من عالم أفضل من سبعين ركعةً من عابد لا علم معه وكان لأبي سعيد الخراز ابن فمات فرآه في المنام، **فقال**: يا ولدي أوصني، **فقال**: يا أبت لا تعامل الله على الحمق، فقيل لإبراهيم، **فقال**: نعم لأنه لم يلبس القميص ثلاثين سنة. **وقيل لأنوشروان**: أي الناس أولاهم بالسعادة؟ **فقال**: أقلهم ذنوباً، **قيل**: ومن أقلهم ذنوباً؟ **قال**: أكملهم عقلاً.

• ذمُّ متحامقٍ رقيعٍ في وَرَعِهِ

حلق صوفيٌ لحيته **وقال**: إنها نبتت على المعصية. ولطّخ رقيع شاربه بالعذرة فقيل له في ذلك، **فقال**: أردت التواضع لله. وأذّن مؤذن **فقال**: أشهد أن أبا القاسم رسول الله، **وقال النبي**: عندنا أعظم من أن نسميه ولا نكنيه. ورأى ابن أبي ليلى رجلاً قد أخذ رمانة

---

(١) القرآن الكريم: ص/١٧.

(٢) القرآن الكريم: فاطر/٢٨.

من حمال وأعطاها مريضاً، **وقال**: إن سيئة بسيئة وحسنة بعشرة فقد ربحت تسعة.

وكان رجل يحج عن حمزة بن عبد المطلب ويقول: قتل قبل فرض الحج. وآخر يضحي عن أبي بكر وعمر **ويقول**: أخطأ السنة في الأضحية. وكان أبو شعيب العلائي لا يصلي ولا يصوم ويقول من أنا حتى أصلي وأصوم، إنما يفعل ذلك الكبراء الذين أريد منهم التواضع.

وفضل اللخمي قبر إحدى عينيه، **وقال**: النظر بهما إسراف. **وقال بعضهم**: صحبني رجل في طريق يدعي أنه بلغ في التصوف منزلة الرضا، فجاءني يوماً فقال إن فلاناً دب عليّ البارحة فما قلت شيئاً حتى فرغ وكرهت أن أخرج من منزلة الرضا فقلت هذا رضا مأبون أحمق.

وقال بعضهم: مررت برجل في يده سبحة أطول من باع وهو يقف في كل حبة مقدار عشر آيات فقلت له: ما تقول؟ **قال**: أقول أيري في حر أم المعتزلة سبع مرات، وأيري في إست القدرية عشر مرات، **فقلت**: لِمَ زدت هؤلاء، **قال**: لأنهم خرجوا على أمير المؤمنين الحجاج بن مروان.

● ذمُّ مبالغ في نُسكِهِ إلى حدِّ الرَّقاعة

سأل الشعبي رجلاً بِمَ أفطر **قال**: أفطرت بزيتونة أو نصف زيتونة أو ربع زيتونة أو ما شاء الله من زيتونة ومر آخر بحمال معه شوك فشكت رجله، **فقال للحمال**: اجعلني في حل من هذه الشوكة فلا يمكنني إخراجها.

● الحثُّ على التَّنظيف

قال الله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[1] **وقال ﷺ**: إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس. **وقال ﷺ**: إن الله جميل يحب الجمال. **وقال عيسى عليه السلام**: ألبسوا لباس الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية.

● النَّهيُ عن التماوتُ وفَرْطُ التَّخشُّع

رُوي أن عمر رضي الله عنه رأى رجلاً متماوتاً في إظهار النسك فعلاه بالدرة **وقال**: لا تمت علينا ديننا. ومرّ رجل بعائشة رضي الله عنها متماوتاً **فقالت**: ماله؟ **قالوا**: متخشع. **قالت**: هو أخشع من عمر، وكان إذا مشى أسرع وإذا قال أسمع وإذا ضرب أوجع.

● مَنْ تورَّعَ في الفُسْق

اجتمع جماعة على امرأة **فقال أحدهم**: خذي هذه الخمسة دراهم **وقولي**: قد فعل **فقالت**: أعوذ بالله أن أكذب جماعة بخمسة دراهم.

---

(١) القرآن الكريم: الأعراف/ ٣١.

فسق بعضهم بغلام وكان عليه خف فقال: له إنزع خفك، فقال أخاف أن ينتقض وضوئي. **وقال بعضهم**: أدخلت قحبة على جماعة فشارطوها كل فرد بدرهم وواحد يصلي ويقول سبحان الله ويشير إني أريد فردين بدرهم.

● ذمُّ الرِيَاءِ

قال النبي ﷺ: إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء الظاهر والشهوة الخفية. **وقال أمير المؤمنين**: لا تفعل شيئاً رياء ولا تتركه حياء. **وقيل**: أعظم الرياء حب المحمدة.

وقيل: إذا عمل الرجل العمل وكتمه وأحب إعلام الناس أنه كتمه فذلك أقبح الرياء. وكان الشبلي إذا رأى من يدعي التصوّف يقول: ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب.

وقال أبو نواس:

وإذا نـزعْـتَ عـن الـغـوايـة فَـلْـيَـكُـن ... لله ذاكَ الـمـنـزعُ لا لـلـنـاسِ(١)

وقال لقمان لابنه: اتق الله ولا تُرِي الناس أنك تخشاه ليكرموك وكان الناس يراؤون بما يفعلون. فصاروا يراؤون بما لا يفعلون وقيل ما الدخان بادل على النار من ظاهر أمر الرجل على باطنه قال شاعر:

إن الـتـخـلّـق يـأبـى دونـه الـخـلـقُ

وقيل:

لـه سـمـت أبـي ذر ... عـلـى قـلـب أبي جـهـل(٢)

● ذمُّ متنسِّكٍ طمعاً في عَرَضِ الدنيا

قال ﷺ: أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها. **وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما**: إن الناس عبيد المال والدين نعو على ألسنتهم يحوطونه ما درت به معايشهم فإذا فحص للإبتلاء قل الديانون. **ويقال**: إن بلال بن أبي بردة وفد على عمر بن عبد العزيز فجعل بديم الصلاة، فقال عمر: ذلك للتصنع، **فقال له العلاء**: أنا آتيك بخبره فجاءه وهو يصلي، **فقال له**: مالي عندك إن بعثت أمير المؤمنين على توليك العراق، **قال**: عمالتي سنة وكان مبلغه عشرين ألف درهم، **فقال**: أكتب به خطك فكتب إليه، فجاء العلاء إلى عمر فأخبره، **فقال**: أراد أن يغرنا بالله.

ودخل على المنصور رجل بين عينيه كركبة البعير يريد القضاء، **فقال**: إن كنت أبررت الله بهذا فما ينبغي لنا أن نشغلك عنه، وإن كنت أردت خداعنا فما ينبغي أن ننخدع لك. **قال شاعر**:

لا تـصـحـبَـنّ صـحـابـةً ... حـلـقُـوا الـشـواربَ لـلـطـمَـعِ

---

(١) نزعت عن: كففت ـ الغواية: الضلالة. (٢) السمت: الهيئة.

يـبـكـي وجـلُ بُـكـائـه … مـا لـلـفـريـسـة لا تـقـع

ورأى المنصور رجلاً واقفاً ببابه وبين عينيه سجادة، **فقال له**: بين عينيك درهم مثل هذا وتقف ببابي **فقال**: إنه ضرب على غير سكة. **وقال بعضهم في أصحاب السجادات**: أما ثقلت رؤوسهم أو خشنت الأرض. قال شاعر:

تـصوَّفَ فـازدهـى بـالـصّـوفِ جَـهْـلاً … وبـعـضُ الـنـاسِ يـلـبـسـه مـجـانَـهِ[1]

ولـم يـرد الإلَـه بـه ولـكـن … أراد بـه الـطـريـق إلـى الـخـيـانـه

وقال:

عـمّـروا مـواضـعَ الـتـصـنُّـعِ مـنـهـم … فـكـأنَّ الـصَّـلاحَ مـنـهـم خـرابُ

وقال:

تـسـبـيـحـهُ ريـحٌ فـلا تـسـكـنـوا … مـن شـفـةِ الـشـيـخ إلـى الـريـح

وقال عبدان في أبي القاسم بن بحر وقد عاد من الحج:

تـعـنـيـتَ أبـا الـقـاسـم فـ … ـي الـسـعـي إلـى الـحـجّ

بـمـا سـوّغـت مـن سُـحْـتٍ … زمـانَ الـسـجْـوَرِ والـهَـزْجِ[2]

ومـا يـصـلُـحُ مـا تـنـ … ـفِـق لـلـثـجّ ولـلـعـجّ[3]

ودخـل الـمـرء مـن سـحـتٍ … كـذا يَـخـرُجُ فـي الـخَـرْجِ

● مَنْ يُخَادِعُ اللّهَ في زكاتِهِ وصَدَقَتِهِ

قال الجاحظ: كان ببغداد لوطي موسر فإذا كان وقت الزكاة يدعو الغلام **ويقول له**: ألك أم أو أخت تستحق الزكاة فيدفعه له؟ **ويقول**: خذ هذا من زكاة مالي وأنعم لي بواحد. وبعض أصحابنا يبيع زكاته من الفقير ويسترجعها منه بدرهم أو درهمين يخادعون الله وهو خادعهم.

● ذَمُّ مَنْ حَسُنَ مقالهُ وقَبُحَ فِعَالُهُ

قال النبي ﷺ: سيكون بعدي أقوام يعطون الحكمة على المنابر وقلوبهم أنتن من الجيفة. **وقال سليمان بن عبد الملك** لبلال بن أبي بردة: صف لي الحجّاج **فقال**: كان يتزين بزينة المومسة فإذا صعد المنبر تكلم بكلام القسيسين وينزل فيعمل بعمل الفراعنة، **وقال شاعر**:

إذا نَـصـبـوا لـلـقـول قـالـوا فـأحْـسـنـوا … ولـكـنّ حُـسْـنَ الـقـولِ خـالـفَـهُ الـفـعْـلُ

---

(١) **المجانة**: المزاح والهزل. (٢) **السحت**: الحرام.

(٣) **الثج**: سيلان دم الأضحية ـ **العج**: الصياح وارتفاع الأصوات.

وذمُّوا لنا الدنيا وَهُمْ يُرْضِعونَها أفاويقَ حتّى ما يدرُّ لها رَسْلُ[1]

وقال:

قلوبُهم أمرُّ من دَفَلِ ولفظهم أحلى من العسَلِ[2]

● المتبجّحُ بتقواهُ رَقاعةً

صلى رجل بحضرة الشعبي فأطال، **فقال الشعبي**: ما أحسن صلاته فلما سلم الرجل، **قال**: وأنا مع هذا صائم. **وقال ذو اليمينين لأبي بكر المروزي**: مذ كم صرت إلى العراق؟ **قال**: مذ عشرين سنة وأنا أصوم مذ ثلاثين سنة.

● تَنسُك كلِّ صِنفٍ من الناس

قال الجاحظ: لكل صنف من الناس نسك، فنسك الخصيّ غزو الروم، ونسك الخراساني الحج، ونسك المغنّي كثرة التسبيح والصلاة على النبي ﷺ وشرب النبيذ، ونسك الرافضيّ ترك النبيذ وزيارة المشهد، ونسك السواديّ ترك شرب المطبوخ، ونسك المتكلم رمي الناس بالجبر والتعطيل والزندقة، ونسك المخنث أن يصير دلال النسوة.

وقيل: إذا نسك الشريف تواضع أو الوضيع تكبر.

● رقاعَةُ الجُهّالِ في زَمَنِ العُلماء بالبدعة

رفع إلى المأمون سبعمائة قصة في بشر المريسي تشهد بكفره فجمعهم يوماً **وقال لهم**: ما الذي ظهر من كفره؟ **قالوا**: قوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك، **فقال المأمون**: قد شهد الله بهذا. فقال شيخ منهم هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: وحاج موسى إبراهيم، **فقال له**: على من قرأت القرآن؟ قال على أبي وكان يقرأه بسبعة ألسن.

وسئل رجل كان يشهد على رجل بالكفر عند جعفر بن سليمان، **فقال**: إنه خارجي معتزلي ناصبي حروريّ جبريّ رافضيّ يشتم علي بن الخطاب وعمر بن أبي قحافة وعثمان بن أبي طالب وأبا بكر بن عفان ويشتم الحجّاج الذي هدم الكوفة على أبي سفيان، **فقال جعفر**: ما أدراك على أي شيء أحسدك، أعلى علمك بالأنساب أم بالأديان أم بالمقالات.

وقال الصاحب: رأيت يوماً جماعة مجتمعين على رجل يضربونه ويقولون يجب أن يقتل فسألتهم ما فعل، **فقال كلٌ**: لا أدري. كان المنصور أمر أبا دلامة أن يلازم صلاة الجماعة ويترك البطالة، **فقال**:

ألم تعلَمي أنّ الخليفةَ لزّني بمسجدِهِ والقصرِ مالي وللقَصْرِ[3]

---

(١) **أفاويق**: ـ **الرسل**: اللبن.

(٢) **الدفل**: الزفت أو القطران.

(٣) **لزني بالمسجد**: ألزمني إياه.

يُكلِّفني من بعد ما شبتُ توبةً ... يحطُّ بها عنّي العظائمَ من وزري[1]
وما ضرّه والله يصلحُ أمرَهُ ... لو أن ذنوبَ العالمين على ظهري

وقال:

وجفاني الأميرُ كيْ أتقرّا ... فتقرأتُ مُكرَهاً لجفائِهِ[2]
والذي أنطوي عليه المعاصي ... عَلِم اللّهُ نيّتي من سمائه

● **التّجاسرُ على الذّنب إتكالاً على التوبة**

حُكِيَ أن الأعشى لما مدح النبي ﷺ **بقوله:**

ألم تغتمِض عيناك ليلةَ أرمدا

قصده بها فلقيه بعض الكفار **فقال:** ما تصنع عنده وقد حرم عليك الزنا وشرب الخمر؟ فقال أما الزنا فقد ضعفت عنه لكبري ولكن عندي دنّان فسأشربهما ثم أقصده قبل استيفاء شربهما. **وقال جميل:**

تعالي نبغ في العام يا بثنَ ديننا ... بدنيا فإنّا قابلاً سنتوبُ

وقال:

تعالي نبغ دينا بدنيا نُصيبُها ... ونستغفرُ الرحمنَ فاللّهُ غافِرُ

وقال:

سقى الله أيامَ الوِصال وقولَنا ... إذا ما صبَوْنا صبوةً سنتوبُ[3]

وقال:

نسرقُ هذا اليومَ من دهرِنا ... فرُبّما يُعفى عنِ اللصِّ

● **ذمُ خليعٍ مُتمثّلٍ بما اعتقدَ فيه الصّلاح**

مرّ أبو حازم في بعض الليالي فسمع قائلاً ينشد:

أساتُ وقد أنبتُ فلا أعودُ[4]

فقال: اللهم إن الرحمة بيدك وعبدك هذا قد اعترف بذنبه، وقرع عليه الباب وقال: سَلْ ما تريد فإنه كريم يعطيك، **فقال:**

فعدْ للوصل قد سمُجَ الصدُود[5]

فقال أبو حازم: أنت من جند إبليس يا فاسق أتمزج الخبيث بالطيّب، أستغفر الله من دعائي. **ومرّ سفيان برجل ينشد:**

أتوبُ إلى الذي أمسى وأضحى ... وقلبي يرتَجيه ويتّقيهِ

---

(١) **الوزر:** الاثم والخطيئة.

(٢) **أتقرا:** أتنسك.

(٣) **صبونا صبوة:** ملنا إلى اللهو.

(٤) **أنبتُ:** تبت.

(٥) **سَمُجَ:** قَبُح.

تشاغلَ كلُّ مخلوق بشيء   وقلبي من محبّته وفيه

فدنا منه وأخذ يبكي معه، ثم قال:

عسى قلبُ الممكّن من فؤادي   يدقُّ لذُلِّ طاعةِ عاشقيه

فقال سفيان: اللهم لا تضلّنا بعد إذ هديتنا. ومرّ ناسك بدار فيها أبو نواس ينشد:

إن في توبَتي لَفَسْخاً لجُرمي   فاعفُ عنّي فأنت للعفو أهلُ

فرفع يده وقال: اللهم تبْ عليه، فقال:

لا تؤاخذْ بما يقولُ على السـ   ـرِّ فتىً ماله لدى الصَّحْوِ عَقْلُ

فقال: اللهم أرشدنا.

● **خليعٌ تأوّلَ كلامَ صالحٍ على اعتقادِهِ**

سُرِقَ لرجل دراهم فقيل له: تكون في ميزانك غداً، فقال: مع الميزان سرقت. وسرِقَ لآخر خرجٌ فقيل: لو قرأت عليه آية الكرسي لما سُرق، فقال: كان فيه مصحف. وسرق أعرابي نافجة مسك فقيل له: من غل شيئاً يأتي به يوم القيامة، فقال إذاً والله آتي بها خفيفة المحمل طيبة الريح.

● **عَكْسُ ذلك**

رُوِيَ أن رجلاً سأل بلالاً وقد أقبل من الحلبة من سبق، فقال: المقربون فقال السائل: سألتك عن الخيل فقال: أنا أجيبتك بالخير. قيل لعمرو بن عبيد ما البلاغة؟ فقال ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار. وقيل لأبي الدرداء وكان مريضاً: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي فقيل له: ما تشتهي؟ قال: الجنة، فقيل أندعو لك طبيباً قال: الطبيب أمرضني.

وجاز الشبلي بمن يقول السعتر البري فتواجد، فقيل له ما يقول؟ قال يقول الساعة ترى بري. وأمّ أبو العلا عمراً يوماً فلما قال استووا غشي عليه. وقال: قد وقع بقلبي هل استوى معي طرفة عين.

● **أنواعٌ مختلفة**

قيل ليحيى بن معاذ: ما بال أبناء الدنيا يحبون الزاهدين وهم يفرون منهم، قال: ذلك كالدباغ يستروح إلى العطار والعطار يفر من ريحه. وقال ابن أبي الورد: إبليس يقول من ظن أنه نجا مني فبجهله وقع في حبائلي. ومرّ داوود الطائي برطب فقال لبائعه انسئني بدرهم لغدٍ فأبى فتبعه رجل وعرض عليه المال، فوجده يقول: يا نفس تريدين الجنة وأنت لا تساوين درهماً، وأبى قبول المال، وقال: إنما أردت أن أعرف نفسي قدرها.

وقال راهب: إزهدْ في الدنيا ودع أهلها. وكن مثل النحلة إن أكلت أكلت طيباً وإن

أطعمت أطعمت طيباً وإن وقعت على عودة لم تنكسر. **وقالت امرأة العزيز**: الحمد لله الذي جعل العبيد بطاعته ملوكاً والملوك بمعصيته عبيداً.

وقيل: المحسن في معاده كالغائب يرد إلى أهله مسروراً والمسيء كالآبق يرد مأسوراً.

وقيل في قوله ﷺ: نية المرء خير من عمله، أي خير يعد من عمله وليس مِنْ للتفضيل. **وقال ابن عباس**: كنا نحدث عن رسول الله ﷺ قبل أن يركب الناس الصعب والذلول فلما ركبوهما أقللنا.

وقال الزهري: حدثني فلان وفلان قبل تلاطخ الأحاديث. **وقال الحسن**: يا ابن آدم تحب الصالحين وتفر من أعمالهم وتبغض الفجار وأنت منهم. وعن بعضهم أنه **قال**: ما معي من الصلاح غير حبي لأهله. **وقال ﷺ**: المرء مع من أحب.

(٢)
وممّا جاءَ في المذاهب المختلفة

●

● اختلافُ أقوالِ غيرِ أهلِ الكتابِ في العَالَم

قال أهل الدهر جميعاً: العالم كله قديم الطينة والصنعة وأهل هذه المقالة مختلفون، فمنهم من **قال** إنه أربعة أشياء حر وبرد ويبس وبلة ومعها روح سائح في جميعها يديرها ويصورها ولا أول له ولا آخر، **وقال آخر**: الأشياء صنعت نفسها وصنعت بعضها بعضاً. **وقالت السمنية**: لم تزل الأشياء منتقلة كانتقال البيضة من الدجاجة والدجاجة من البيضة. **وقال بلعام بن باعوراء**: العالم قديم وله مدبر خلافه في جميع معانيه. **وقال بعض الملحدة** العالم جوهرة قديمة وهي في ذاتها واحدة لا اختلاف فيها ولكنها تختلف على قد الالتقاء والمماسة وعلى الحركات فتصير رطوبة وحر أو برد أو يبساً. **وقال أرسطو**: الهيولى أصل طينة العالم قديمة ومعناها أصل الشيء كالفضة أصل الدراهم. **وقال الصابئون**: النور قديم لم يزل وهو خالق الظلمة.

وقالوا: الشيطان كلمة الله لا خلقه **وزعموا** أن الظلمة تقب على النور امتزاجاً فما كان من خير فمن الله وعمله ومن شر فمن الشيطان. **وقول المجوس** مثله لكنهم تفردوا أنهم زعموا إن النور يخلق كل حسن والظلمة تخلف كل قبيح. **وقالت الجرمية**: أصل العالم النور فمسخ بعضه بعضاً فاستحالت ظلمة. **وقالت الثنوية** بالنور والظلمة. **وأن للنور خمسة أجناس**، الضياء والنسيم والماء والنار والروح. **والظلمة خمسة أشياء** الدخان والحريق والظلمة والسموم والضباب، فخالط الدخان النسيم وخالط الحريق النار وخالط النور الظلمة وخالط الريح السموم وخالط الضباب الماء، فما كان محموداً منها فمن النور أو مذموماً فمن الظلمة. وزعموا أن هذه

الأجناس من الظلمة لما خالطت أجناس النور عمد النور فبنى فيها عشر سموات وثمان أرضين وعمد إلى أكابر الشياطين فشدهم في السموات وكبس العفاريت تحت الأرض ووكل ملكاً بإدارة السموات ليشد ما فيها فيمنعها من الصعود إلى النور، ووكل ملكاً بحمل السماوات وآخر بحمل الأرضين ووكل الجو بأسفل الأرض إلى أعلى السموات.

وقالت المجوس: الأشياء شيئان قديمان سميعان بصيران، وزعموا أن الله كان وحده ولا شيء معه فلما طالت وحدته فكر فتولد من فكرته أهرمن وهو إبليس، فلما مثل بين يديه أراد قتله فامتنع عليه وسالمه إلى غايته، وزعموا أن العالم جوهر والظلمة والنور فيه غريب مجتاز، وزعموا أن للثلاثين يوماً كل يوم ملائكة إلا أهرمن فإن الله تعالى قالوا وكل ما يقرب من أهرمن من الأيام فهو أقرب منه في المنزلة. **وعظموا النار** لكونها من جنس النور وزعموا أن العذاب في الجحيم البرد لأنه لما جاء زردشت إلى بلخ وادعى بها النبوة كان البرد فيها يعظم. **وزعموا** أن كل مؤذ من خلق أهرمن وكل نافع من خلق الله. **وقالوا الفأرة** من خلق الله والهرة من خلق الشيطان. **وزعموا** أن سنورا لو بال في البحر يقتل عشر آلاف سمكة والسمك أحق أن يكون من خلق الشيطان لأنه يأكل بعضه بعضاً ويأكل من غرق من الناس، وشرّع لهم نيك الأمهات والتوضؤ ببول البقر لما رآهم في غاية الغباوة.

وقالت السوفسطائية الأشياء على الحسبان نظنها ظناً ولا نعرف لها حقيقة استدلالاً بأنا نرى الأشياء في المنام كما نراها في اليقظة، فلا ندري العالم قديم أم محدث. وأما البراهمة فاختلفوا فمنهم من قال بقدم العالم، **فقال**: المدبرات هي النجوم، ومن قال محدثة. غير أنهم نفوا النبوات.

وأما عبدة الأصنام من العرب فقد أثبتوا الصانع قديماً والأشياء محدثة وزعموا أن ذلك يقربهم إلى الله، **وقالوا**: إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر. **والفلاسفة** يثبتون أشياء كثيرة ثم يسمون واحداً منها ملك الأملاك ويجعلونه رأساً على ما يعبدون.

● اختلافُ أَهْلِ الكُتُبْ غيرِ الإسلام

فمنهم **اليهود** فعامتهم جعلوه لحماً ودماً كمقالة مقاتل بن سليمان. **وقال** أبيض الرأس واللحية، **والسامرية** لا يشبه شيئاً **والأصبهانية** عزير ابن الله، وعامة اليهود تقول ذلك لا على معنى يعقل. **وقالوا** ذلك من أجل أن **بختنصر** لما هدم بيت المقدس وقتل قراء التوراة كان عزير صغيراً فلم يقتله، ثم مات عزير ببابل ورجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس، ولم يكن معهم أحد ليجدد لهم التوراة، فلما بعث الله عزيراً أتاهم، **وقال**: أنا عزير فكذبوه، **وقالوا**: إن كنت إياه فأمل علينا التوراة ففعل، **فقال بعضهم** أبي حدثني أن التوراة جعلت في خابية ودفنت في أصل كرم لنا فانطلقوا فاستخرجوها ونظروا فإذا هو لم يغادر منها شيئاً، **فقالوا**: ما قدر على هذا إلا وهو ابن الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

● **النصارى**

النسطورية واليعقوبية والملكانية واللاهوتية والصقالبة. فالنسطورية منسوبون إلى نسطور الاسكندراني[1]، **يقول**: عيسى كلمة الله وروحه حلت في بطن مريم بطبيعة لاهوتية. **ويقولون** أنه ليس بجسم، وفي عيسى روحان قديم ومحدث. **والملكانية** وصاحبهم **توقياس** قالوا ليس في عيسى نفس مخلوقة والله إسم لثلاثة معان أب وابن وجوهر ثالث وهو روح القدس. **واليعقوبية** إلى يعقوب يقولون عيسى كلمة الله وكلمة الله لا لحم ولا دم، ثم نزل في بطن مريم عليها السلام فاتخذ من لحمها هيكلاً فصارت الكلمة لحماً ودماً فذلك هو الابن اللاهوتي، وكان في مكان ثم صار في مكان وهم ينالون مذهبهم للفظة زعموها في الإنجيل. **والصابئون** هم قوم من النصارى الصقالبة يقرون بالخالق ويسمونه نعم، وكان له ولد فغرقت الدنيا ولم يبق إلا الله كأنهم يعنون نوحاً.

● **المُتَبجّحُ بالتّعطيل**

قال أبو نواس:

وأيسر ما أبثك أنّ قلبي … بتصديق القيامةِ غيرُ صافِ

وقال ديك الجن:

أأترك لذةَ الصهباءِ عَمْداً … لما وعدوه من لبَنٍ وخمْرٍ[2]

حياةٌ ثم موتٌ ثم بعْثٌ … حديثُ خرافةٍ يا أم عمرو

وغضب الفضل بن الربيع على أبي نواس، **وقال أنت القائل**:

يا أحمدَ المرتجى في كل نائبةٍ … قمْ سيدي نعصِ جبارَ السماوات

فقال: نعم، فسأل جماعة الفقهاء عنه فكل قال بحل دمه، **فقال** أبو نواس إن كنتم قلتم ذلك من عقولكم فقبحاً لها وتخميناً، فما أبعدكم من العقل هل للسماء من جبر أو كان بها كسر فاحتيج إلى أن تجبر. **قال بعض الثنوية**:

عجبٌ لِكِسرى وإيوانِه … وغسلِ الوجوه ببوْلِ البقرْ

وقيصرُ لمّا ثوى عاكِفاً … لِما عملتْه أكفُّ البشرْ

وعجبُ اليهود بربٍّ يُسَرُّ … بسفك الدماء وشمِّ القَذَرْ

وعند النصارى طريقُ النجاة … بشرب الخمور وترك الزّفرْ

وقوم يرومون بيت الحرام … لرمي الجمار وحَلْق الشعَر

---

(١) **نسطور** (نحو ٣٨٠ ـ ٤٥١) وُلد في قيصرية ـ سورية. بطريرك القسطنطينية ٤٢٨. أتباعه هم النساطرة. قال بأقنومين في المسيح.

(٢) **الصهباء**: الخمرة ـ **اللبن والخمر**: إشارة إلى الآيات المتعلقة بوصف النعيم في القرآن.

يعيبون إذا أبصروا ساجداً ... لشمس النهار وضوء القمر

- **ذمُّ المتبجِّحِ بالمَيْلِ إلى الزَّنْدقةِ والتَّمجُّس**

قال شاعر:

ليس بزنديق ولكنما ... أرادَ أن يوسَمَ بالظُّفَر

وقال:

تزندَق معلِناً ليقولَ قومٌ ... إذا ذَكروه زِنديقٌ ظريفُ

فقد بقي التَّزندقُ فيهِ وسماً ... وما قيل الظَّريفُ ولا اللطيفُ

وقال:

إذا ذَكرَ أشرك في مَجْلِسٍ ... أضاءت وجوهُ بني بَرْمَك[1]

فإن تُليَت عندَهم آيةٌ ... أتوا بالأحاديث عن مزدَك[2]

وقال:

يصيحُ لكسرى حين يسمعُ ذكرَهُ ... بصمّاءَ عن ذكرِ النبيِّ صدوفِ

ويُعجبه أخبار كسرى ورهطِهِ ... وَمَا هُو في أعلاجِهِم بشريف[3]

وقال علي بن الحسين الكاتب في الكندي:

ما أرغبَ الكنديَّ في الزَّنْدقه ... تعساً ليعقوب فما أحمقه

لو علِّق الكِنديّ في حلقه ... قلفة ناء أبداً مخنقه

ما كان إلا مؤمناً مسلماً ... لا غفر الله لمن زندقه

- **نوادرُ لِمَن أَسْلَمَ عن كُفْرٍ**

قيل لمجوسي أسلم، وكان يتعاطى كل ما يتعاطاه في التمجس: ما أحسن ما عملت أسقطت عن نفسك الجزية؟ وأسلم نصراني **فقالت أمه**: سخنت عيناك، محمد لم يعرفك والمسيح تبرأ منك. ولمّا أسلم صاعد قصده أبو العيناء مرتين فوجده يصلّي، **فقال**: لكل جديد لذة. وأسلم رجل فقيل له صلِّ اليوم فقال لا أبتدىء اليوم بالصلاة والقمر في المحاق.

- **نوادِرُ مَنْ مَالَ إلى الكُفرِ**

سئل زنديق عن الأضحى **فقال**: وباء كل سنة يقع في الأغنام والبقر. وختن رجل إبنه

---

(١) **بنو برمك**: البرامكة.

(٢) **مزدك**: إشارة إلى المذهب المزدكي.

(٣) **الأعلاج**: جمع علج، صفة تطلق على الرجل الكافر.

فقال: أوه قتلتني، **فقال:** إنما قتلك أبوك إبراهيم. ولما أسر عيينة بن حصن دخل المدينة **فقال له رجل:** يا منافق فقال يا بارد متى كنت مسلماً حتى أكون منافقاً.

(٣)

نوادرُ في مناظرَةِ النَّصارَى والمَجوسِ واليَهودِ

●

قال بعض المتكلمين لبعض النصارى: لِمَ قلتم إن لله تعالى ولداً؟ **فقال:** لأن كل من لم يكن له ولد يكون عقيماً وهو وصف نقص. **قال:** فهل للابن ابن؟ **قال:** لا، **قال:** فإذاً يكون عقيماً.

وجلس المأمون وبحضرته المتكلمون والجاثليق **فأقبل الموبذ فقال:** يا أمير المؤمنين أتحب أن أضحكك من الموبذ، **فأقبل على الموبذ وقال:** هذا يزعم أن باب الجنة في حرامه، فكما أكثر من جماعه كان أقرب إلى باب الجنة. **فقال الموبذ:** ما كنا نفعل ذلك حتى أُخبرنا أن إلٰهكم خرج من ذلك، فأخجله، وضحك المأمون حتى فحص برجله.
وقيل: أول ما ظهر من كيس إياس بن معاوية أنه كان في المكتب فسمع عند المعلم نصارى يعيبون الإسلام، **فقال:** من العجب أنكم تقولون إنكم في الجنة تأكلون وتشربون ولا تتغوطون. فقال إياس: أفما علمتم أن الدنيا مرآة الآخرة **قالوا:** نعم. **قال:** أفكل ما يؤكل في الدنيا يخرج غائطاً. **قالوا:** لا، **قال:** فأين يذهب؟ قالوا غذاء **قال:** فما يبعد أن يكون كل ما يؤكل في الجنة يكون غذاء، **فقال المعلم:** قاتلك الله منكراً.

وقال يهودي لمسلم: أنتم قريبو العهد بنبيكم وافتتنتم. **فقال:** أنتم ما جفت أقدامكم من البحر حتى قلتم اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة. وناظر المأمون ثنوياً، **فقال:** أخبرني هل ندم مسيء على فعله قط؟ **قال:** نعم، **قال:** فالندم على الإساءة ما هو؟ **قال:** إحسان، لكني أقول إن الذي أحسن غير الذي أساء، **قال:** فهذا الذي ندم على فعله أو فعل غيره فأفحمه.
وغرق مجوسي في البحر فجعل يقول يا نار فارس يا نار أذربيجان، فقال قل يا رب النار فإنك لو وقعت موقعها لكنت أسوأ حالاً منك.

وقال أبو الهذيل لمجوسي: ما تقول في النار؟ **قال:** بنية الله، **قال:** فالبقر، **قال:** ملائكة الله تعالى، **قال:** فالماء، **قال:** نور الله، **قال:** فالجوع والعطش، **قال:** هما فقرا بهمن وفاقته، **قال:** فمن يحمل الأرض، **قال:** بهمن الملك، **قال:** بئسما عملتم، أخذتم الملائكة ذبحتموها ثم غسلتموها بنور الله ثم شويتموها ببنت الله ثم دفعتموها إلى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحتموها على الملك.

● المُتبجِّحُ بارتكابِ المَحْظورِ المُحتجُّ له

قيل لأبي الطمحان: ما أدنى ذنوبك؟ **قال:** ليلة الدير نزلت على نصرانية فأكلت

عندها طنشيلاً بلحم خنزير وشربت من خمرها وزنيت بها وسرقت كساءها. **وقيل** لرجل من أين؟ **فقال** من دير ليلى، وزنت درهمين وأكلت رغيفين وشربت رطلين وعملت فردين ولم أبع نقداً بدين. ورؤي شيخ بعفج أتانا يوم الجمعة وكلما ضرطت صلّى على النبي ﷺ، **فقيل له**: تنيك أتاناً. **فقال**: عوّضني عنها أختك وأنا أترك الأتان، **فقيل له** في يوم الجمعة، **فقال**: تضمنها إلى يوم السبت. فقيل له: ولِمَ تصلي على النبي ﷺ فقال لأيرِ يضرط الأتان.

● اختلافُ الناسِ في القَدَرِ

قالت عامة المعتزلة: إن الله يقدر على فعل الظلم ولكن لا يفعل والدلالة على القدرة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡ﴾[2] وإنما يتمدح بذلك من قدر على ضده. **وقال بعضهم**: لا يوصف بأنه قادر على الظلم. **وقال بعضهم**: لا يقدر على ذلك وقال جهم بن صفوان: إن الله تعالى يفعل ما نعتقده ظلماً لكنه عدل. **وقالت المعتزلة**: قدرتنا تصلح للضدين. **وقال جهم**: تصلح لأحدهما فالكافر لم تجعل له قدرة على الإيمان والمؤمن لم تجعل له قدرة على الكفر.

● مَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَ أحدِ الفريقينِ مِن الشُّعراء

قال بعض العلماء: قد ذهب الأعشى مذهب المعتزلة في قوله:

استأثرَ اللّهُ بالوفاءِ وبالعدْ ... ل وولّى الملامةَ الرّجُلا

وقال صالح بن عبد القدوس:

ولا أقول إذا ما جئتُ فاحشةً ... إنّي على الذنب محمولٌ ومجبور

وقال:

لم تخلُ أفعالُنا اللاتي نُذلُّ بِها ... إحدى ثلاثِ خصالٍ في معانيها
إما تفرّدُ مولانا بصنعتِها ... فاللومُ يسقطُ عنّا حينَ نأتيها
فكانَ يُشركُنا فاللومُ يلحَقُهُ ... إن كانَ يلحقُنا من لائم فيها
ولم يكن لإلهي في جنايتها ... صنعٌ فما الصنعُ إلا ذنبُ جانيها

وقال الصاحب:

اصفعِ المُجْبِرَ الذي ... بقضا السوء قد رضى
فإذا قال لِم فعلْتَ ... فقلْ هكذا قضى

● الزاماتٌ في المُناظرةِ لِمَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَ المعتزلة

قال أبو العتاهية لثمامة: ألا ترضى من خلق المعاصي رباً قال لا ولا عبداً. وحضر

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٤٠. (٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٢٠.

يوماً عند الرشيد فحرك أبو العتاهية أصبعه، **وقال لثمامة**: من حرك هذا، **قال** ابن زانية، **فقال أبو العتاهية** أفتوني، **فقال ثمامة**: إن قلت إني حركتها فقد تركت المذهب وإن قلت حركها غيري فلم أشتمك وإنما شتمته.

● إلزامات مخالفِيهِمْ

صحب مجوسي معتزلياً **فقال**: ما بالك لا تسلم؟ **فقال**: حتى يشاء الله. **قال**: قد شاء الله ولكن الشيطان لا يدعك، **فقال**: أنا مع أقواهما.

● النَّهيُ عن الخَوْضِ في ذِكْرِ القَدَر

روى أبو هريرة **قال**: قال رسول الله ﷺ: آخر الكلام في القدر لشرار هذه الأمة. **وقال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله عن القدر**: إن الله لا يطالب بما قضى وقدر وإنما يطالب بما نهى وأمر. **وقال الأصمعي**: سألت أعرابياً عن القدر **فقال**: ذاك علم اعتصمت فيه الظنون واختلف فيه المختلفون فالواجب عليناأن نرد ما أشكل علينا من حكمه إلى ما سبق من علمه.

وذُكر القدر عند أعرابي، **فقال**: الناظر في القدر كالناظر في ضوء الشمس يعرف ضوءها ولا يقف على حدودها. **وقيل**: اختصمت بنو إسرائيل في القدر خمسمائة سنة ثم صاروا إلى عالم فسألوه عنه، **فقال**: القدر حرمان للعاقل وظفر للجاهل ولم يعرف القدماء القدر

● حماقاتٌ لعَوَامِ المُجْبِرة

قال أبو المنذر وكان من أجلة القرّاء المصريين: ما كان موسى إلاّ قدرياً حيث قال وما أنسانيه إلا الشيطان. **وقال**: هذا من عمل الشيطان. وقال: لا أملك إلا نفسي وأخي فلم يرض أن ادعى أن يملك نفسه حتى ادعى أنه يملك أخاه. ووجد عامي رجلاً يفجر بجاريته في دهليزه فأراد رفعه إلى السلطان **فقال**: اتّق الله فهذا قضاء الله عليّ فقال قد عفوت عنك لمعرفتك بالسنة.

ومر جعفر بن حرب برجل يقول ما سرق مالي بعد الله إلا فلان فاطلبوه، **فقيل له**: قد ظفرت بأحد اللصين فكر وراء الآخر. وانكسرت رجل رجل فقيل له أطلب مجبراً يجبرها، **فقال**: معاذ الله أيكسره الله وأجبره أنا، إنّي إذاً عاديته. وكان عبادة مجبراً فناظره الزيادي عند المتوكل، **فقال**: أترضى بقضاء الله، **قال**: نعم، **قال**: إن دخلت دارك ورأيت رجلاً مع إمرأتك أليس ذلك بقضاء الله قال ما عندي جواب. فإني إن قلت رضيت أكون ديوثاً وإن قلت لم أرض أكون قدرياً فسقط المتوكل ضحكاً.

● حكاياتٌ عن الأوائل

حكى بعض الأوائل أن عبد الله بن الحسن قال لابنه محمد: يا محمد إن لأمك

لائم في العزل فما يكون من جوابك قال: أقول أتلومني على ما أقدر على تركه أم على ما لا أقدر على تركه، فإن قال على ما لا تقدر على تركه قلت له: كيف أترك ما لا أقدر على تركه، وإن قال الأخرى، قلت له: صرت على قولي. قال: لله درك.

وقال موسى بن جعفر: ليس من العدل أن يشترك إثنان في فعل فيُعَذَّرُ القوي ويلام الضعيف، يعني ما يقوله الأشعرية ما من حركة ولا سكون إلا والله خالقه والعبد مكتسبه. وقال بعضهم: لو كان الزنا مما قضى الله لكان الرضا به خيرة لإجماع الناس على قولهم الخيرة فيما قضى الله. وقيل: إن الحسن لما بلغه قول الحجاج بعد قتله لسعيد بن جبير الله قتله، قال: لعن الله قوماً باتوا وأقلامهم تجري بدماء المسلمين وأموالهم. يقولون إنما تجري بأقلام الله وكذبوا لأن أقلام الله تجري بالبر والتقوى وأقلامهم تجري بالإثم والعدوان فإن كذبوا زعموا أن الله قد أسر عندهم كتاباً نهاهم عنه في العلانية، لقد اغتشوا ربهم واتهموه وقالوا عنه قولاً عظيماً.

وقال محمد بن سيرين لرجل كيف جارك النصراني؟ قال كما شاء الله، قال: قل كما علم الله إن الله لا يشأ المعاصي. وأُتي عمر بسارق فقال له ما حملك؟ قال: قضاء الله، فقطع يده وقال هذه للسرقة، وجلده وقال هذه لكذبك على الله. وسئل ابن خفيف: هل منع إبليس من السجود أو امتنع، فقال منع في لسان حكمه وامتنع في لسان ملكه.

وقيل ليحيى بن معاذ: إنّ الله ضمن أرزاقنا اضمنها حلالاً أم حراماً، فقال إن الله وعدنا شيئين فإن وفينا له وفى لنا. أوجب الطاعة على أن يجعل لنا الجنة وأوجب الصبر على أن يطعمنا الحلال فإن صبرنا أكلنا الحلال وإن لم نصبر وقعنا في الحرام.

● الإيعادُ والإستطاعةُ

قال أبو عمرو بن العلاء لعمرو بن عبيد: أتيأس لناس من عفو ربهم، والعرب تتمدح بإنجاز مواعيدها وتناسي وعيدها، وعلى ذلك قول الشاعر:

وإنـي وإن أَوْعـدْتـه أو وَعـدْتُـهُ ... لـمخلفٌ إيعادي ومنجزٌ موْعِدي

وروي أن عمراً قال: إن الشاعر قد يذمّ بعض ما يمدح فأين أنت عن كتاب الله ما يبدل القول لدي وأن أبيت إلاّ الشعر، فقل كما قال الأول:

إنّ أبـا ثـابـت لـمـجـتـمـع الـرأ ... ي كـريـم الآبـاء والـبـيـتِ

لا يـثـبـتُ الـوعـدَ والـوعـيـدَ ولا ... يـثـبـت مـن ثـاره عـلـى فـوتِ

وقيل: ثلاثة ضمنهن الله على نفسه إن الله لا يضيع أجر المحسنين، إن الله لا يهدي كيد الخائنين، إن الله لا يصلح عمل المفسدين. ورأى محمد بن سويد بخارياً فقال

البخاري: أتقول لا استطاعة قبل الفعل وما من عامي إلا ويعلم خلاف قولك، **فقال**: بل يعلم خلاف قولك فانظر، فدعا بحمال **فقال**: إن هذا يزعم أنك لا تستطيع حمل هذا الكور. **فقال**: أم الذي يقول هذا ألف فاعلة.

● خَلْقُ القرآنِ

قال الذهبي: سألت جعفر بن محمد عن القرآن **فقال**: لا أقول خالق ولا مخلوق. واحتج بهذا أحمد بن حنبل رضي الله عنه على المعتصم فقال ابن أبي داوود: أين حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ: ما خلق الله خلقاً أعظم من آية الكرسيّ وكان الخليل يمنع أن يوصف الكلام بالمخلوق، فيقول: الكلام متى وصف بالخلق فالقصد به الكذب ولهذا يقال هذا كلام خلقه فلان أي تقوّله **وقال بعضهم**: أصفه بأنه محدث ولا أقول أنه مخلوق لقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[1] وسمع مخنث رجلاً يقرأ قراءة قبيحة فقال أظن هذا القرآن الذي يزعم ابن أبي داوود أنه مخلوق. قال أبو العالية:

لو كان رأيك منسوباً إلى رشد ... وكان عزمك عزماً فيه توفيق
لكان في الفقه شغل لو قنعت به ... عن أن تقول كلام الله مخلوق
ماذا عليك وأصل الدين يجمعكم ... ما كان في الفرع لولا الجهل والموق[2]

وكان بعض القصاص بأصبهان يتشدد في خلق القرآن، فسئل عن معاوية هل كان مخلوقاً، **فقال**: نعوذ بالله من نهايات الجهالات.

● رؤيةُ اللّهِ تَعالى وتَقدّس

من نفى عنه الرؤية احتج بقوله تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾[3] وذلك مذكور على طريق التمدح فلا يختص به وقت دون وقت ومخالفوه احتجوا بقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.[4] وقالت عائشة رضي الله عنها: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفريّة على الله، ولكنه قد رأى جبريل مرتين في صورته وخلقه ساداً ما بين الأفق.

وقال ابن عباس لقد رأى من آيات ربه الكبرى أنه رأى جبريل على رفرف قد سد أفق السماء وروي أن أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه سمع رجلاً يقول والذي احتجب بسبع سماوات، **فقال**: إن الله لا يحجبه شيء عن شيء، فقال هل أكفر عن يميني قال لا لأنك حلفت بغير الله ومن حلف بغيره لا تلزمه.

---

(١) القرآن الكريم: الأنبياء/ ٢.
(٢) الموق: الجهل والحمق.
(٣) القرآن الكريم: الأعراف/ ١٤٣.
(٤) القرآن الكريم: القيامة/ ٢٢، ٢٣.

(٤)
وممّا جاء في الأنبياء والمتنبئين

●

● أدلةُ نبوةِ النبي مِنَ القُرآن

إعجاز العرب عن الإتيان بمثل القرآن، حيث قال الله تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾(١) فلم يقدروا مع فصاحتهم وبلاغتهم على الإتيان بمثله وإخباره عن غيوب تحققت نحو: ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾(٢) فكان كما ذكر. وقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾(٣)، يعني فتح مكة فكان. وقال: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ . .﴾(٤) الآية، فكان كما قال وقال: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾(٥) . . . الآية فوعدوه إلى وادي باهلة، فقال: والذي نفسي بيده إن باهلوا أضرم الله عليهم الوادي فامتنعوا. وقال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾(٦)، كانوا: الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن عبد المطلب والعاص بن وائل والحارث بن الطلاطلة فنزل جبريل عليه السلام وقال: إذا طافوا بالبيت فاسأل فيهم ما أحببت حتى أفعل، فمر به الأسود فرمى في وجهه بورقة خضراء. وقال اللهم أعم بصره وأثكله ولده ففعل، ومر بالأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى بطنه فشُق فمات، ومر به الوليد بن المغيرة فاندمل جرح ببطنه فمات، ومرّ به العاص فأشار إلى أخمص رجله فدخل به شوك فمات، ومر به الحارث فأومأ إليه فتفقأ قيحاً فمات.

● مُعجزاتُهُ المَشهورةُ من فِعْلاتِهِ وأخبارِهِ الدالّةِ على صُدْقِهِ

لما أصاب مضر الجهد ونهكهم الأزل سألوه أن يسأل الله تعالى الغيث لهم فسأل فأتاهم ما هدم بيوتهم، حتى قال ﷺ حوالينا ولا علينا. فأمطر الله تعالى ما حولهم وأمسك عنهم.

وكتب عليه الصلاة والسلام إلى كسرى وبدأ باسمه فمزق كتابه، فقال: اللهم مزق ملكه كل ممزق، فجذّ الله تعالى أصله، فكل ملك له بقية إلا ملكه. وكتب كسرى إلى فيروزالديلمي أن أحمل إليّ رأس هذا العبد الذي بدأ باسمه قبل اسمي ودعاني إلى غير ديني فأباه فيروز، فقال: إن ربي أمرني أن أحملك إليه، فقال ﷺ: إن ربي أخبرني أنه قتل ربك البارحة فألبث، فإن جاءك ما دلّ على صدقي، وإلا فأنت

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣.
(٢) القرآن الكريم: الروم/ ٢.
(٣) القرآن الكريم: النصر/ ١
(٤) القرآن الكريم: الفتح/ ١٦.
(٥) القرآن الكريم: آل عمران/ ٦١.
(٦) القرآن الكريم: الحجر/ ٩٥.

على رأس أمرك، فأتاه الخبر أن شيرويه قتل أباه في الليلة التي ذكرها ﷺ فأسلم فيروز وحسن إسلامه، وهو الذي قتل مسيلمة **وقال** في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه إلى الجنة فقطعت يده في يوم نهاوند.

وقال عمر رضي الله عنه: فلأنزعنّ ثنيتيْ سهيل بن عمرو فلا يقوم عليك خطيباً **قال:** فعسى يقوم مقاماً محموداً فكان منه ما بلغنا حين هاج أهل مكة عند موته ﷺ وضلت ناقته، **فقالت قريش:** إن هذا يخبرنا عن السماء ولا يدري أين ناقته فصعد المنبر وخطب، **فقال:** إني لا أعلم إلا ما علمني الله وقد أخبرني أنها في وادي كذا وتعلق زمامها بشجرة فوجدوها.

كذلك وأخبار الأمم بذلك كثيرة وكلمته الذراع المسمومة والذئب والبعير وأظلته غمامة وحنّ إليه عود المنبر وأطعم عشراً من ثريدة وسقى عالماً ووضأهم بميضأة في جسم صاع وأمرّ يده على ضرع شاة حائل حتى عادت كالحامل، وما أرى أبا جهل حين أهوى بالصخرة نحو رأسه فهوى له فحل ليلقم رأسه فرمى الصخرة وعاد إلى أصحابه ممتقع اللون، **فقال** كان كذا وكذا.

● ما دلّ على نبوّتِهِ من أخبَارِ الفُرْسِ

قيل: لما كانت الليلة التي وُلِدَ فيها رسول الله ﷺ إرتجس إيوان كسرى فسقطت منه اثنتا عشرة شرفة، وخمدت نار فارس ولم تكن خمدت قبل بألف عام، وغارت بحيرة ساوة، فجمع كسرى الأكابر وأخبرهم. **فقال الموبذان:** وأنا قد رأيت الليلة إبلاً صغاراً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادنا، **فقال** وما هو **قال:** حادث يكون من العرب.

فكتب إلى النعمان بن المنذر أن أبعث إليّ عالماً فبعث إليه بعبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغسّاني فلما أخبره، **قال:** عِلْم ذلك عند خال لي يسكن مشارق الشأم **فقال له:** إذهب وائتني بخبره فذهب وقال له، أصم لم يسمع غطريف اليمن. فلما رفع صوته رفع سطيح رأسه **وقال عبد المسيح** على جمل مشيح إلى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك ساسان لارتجاج الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان، ثم **قال:** يا عبد المسيح إذا بعث صاحب الهراوة وكثرت التلاوة وفاض وادي سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس فليست الشام لسطيح شاماً يملك منهم ملوك على عدد الشرافات وكل ما هو آت آت فأثار عبد المسيح راحلته وهو ـ يقول:

شمّر فإنك ماضي الأمر شمير — لا يفزعنّك تفريقٌ وتغييرُ

الخيرَ والشر مقرونان في قرنٍ — والخير متبع والشرُّ محذورُ

● ما دلَّ على نبوّتِهِ ممّا أنزل اللّهُ تعالى في الكُتبِ الأوّل

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾[1] واسمه مشفع ومعناه محمد.

● كثرةُ آياتِ الأنبياءِ وقلتُها

قال العلماء رضي الله عنهم: إنما كثر أعلام موسى لأن عمله كان مع غباوة بني إسرائيل ونقصان أحلام القبط. **قال الجاحظ:** ومتى أردت ذلك فانظر إلى بقاياهم هل لهم حكمة أو مثل أو شعر. وانظر إلى أولادهم مع طول لبثهم معنا هل تغيرت بذلك أخلاقهم، ثم من غباوتهم ما حكى الله تعالى عنهم في قولهم: **﴿اجعل لنا إلّهاً كما لهم آلهة وأرنا الله جهرة واذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾**[2] وآياتهم انقطعت بموتهم وعرفها من بعدهم وجعل من معجزات نبينا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأشرك الله تعالى فيه السلف وجعله باقياً على مرور الأزمان.

● من ادعَى النُبوّة برقاعة غير حِذْقٍ

قيل للأحنف وكان ممن زف سجاح إلى مسيلمة: ما وجدته؟ **قال:** ما هو بنبي صادق ولا متنبىء حاذق، وفيها يقول:

أضحت نبيتنا أنثى يُطاف بها ... وأصبحت أنبياءِ الله ذكرانا

ولما تنبأت سجاح أتبعها ناس كثير من بني تغلب ومسيلمة باليمامة، وكان أصحاب سجاح يكذبون مسيلمة وأصحاب مسيلمة يكذبون سجاح، **فقالت سجاح:** نذهب إليه فإن كان نبياً أطعناه فذهبت بقومها فأغلق باب حصنه وشارطها على الدخول وحدها فلما خلت به **قالت:** ما أنزل عليك؟ قال إنه يحل لي أن أنكح المتزوجات وتصبو إليّ المرأة الفضيلة تجدها فيّ وتدع زوجها، **قالت:** فهل من آية غيرها؟ **قال:** لم أؤمر بآية فأقلع عنها حتى تقبل أو ترد. **قالت:** فقد ركنت إلى ذلك، قال فاسمعي:

ألا قومي إلى النيكِ ... فقد هُيء لكِ المَضْجَعْ
فإن شئتِ علقناك ... وإن شئتِ على أربع
وإن شئت ففي البيت ... وإن شئت ففي المخدع
وإن شئت بثلثيه ... وإن شئت به أجمع

ثم واقعها فخرجت إلى قومها **فقالت:** إني وجدت نبوّته صادقة وتزوجته **فقالوا لها:** إنا نكره رجوعنا بها بلا صداق، **قال:** قد حططت عنكم صلاة الفجر والعشار الأخيرة. **وقيل** لنبي ما دليلك؟ قال القرآن، أما قال الله تعالى: **﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾**[3]، واسمي الفتح قالوا، فينبغي أن يشركك في النبوّة من اسمه اسمك. قال كم

---

(١) القرآن الكريم: الأعراف/١٥٦. (٢) القرآن الكريم: المائدة/ ٢٤. (٣) القرآن الكريم: النصر/ ١.

في الناس من محمد والله تعالى يقول: وما محمد إلا رسول.

ومن خرافات مسيلمة أنه كتب إلى رسول الله من مسيلمة إلى محمد أمّا بعد، فإن الأرض بيننا وبين قريش نصفان ولكن قريشاً قوم يظلمون، فأجابه ﷺ من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

● نوادرُ من تَنبأ فَقُتِل

تنبأ رجل في زمن ابن هبيرة فصُلب فمرّ به خلف بن خليفة فقال: أما أنزل عليك قرآن؟ قال: نعم، إنّا أعطيناك الجماهر فصلّ لربك وجاهر إن عدوك هو الفاجر.

فقال ابن خليفة: إنا أعطيناك العمود فصلّ لربك على العود وأنا كفيلك أن لا تعود.

وادّعى رجل النبوة وادعى أنه نوح فصُلب فَمَرّ به مجنون فقال: يا نوح لم تحصل من سفينتك إلا على دقل. وتنبأ آخر في زمن الرشيد فضربه بالسياط فأخذ يصيح، فقال له المأمون اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فاستطار الرشيد إعجاباً بقوله وتنبأ رجل فأمر بضربه والطواف به، فجعل يقول:

أنــا مــالـــي والـــنـــبـــوّة ــــ لـــيـــس لـــي بـــالـــنـــاس قُـــوّه
تــركــوا بــطــنـــي وظـــهـــري ــــ فـــيـــهـــمـــا عـــشـــرون كـــوّه

● متنبيءٌ طالبهُ سلطانٌ بمعجزتِهِ فتخلص

تنبأ رجل في زمن المأمون فقال أنا إبراهيم الخليل فأحضره وقال: إن إبراهيم أُلقِيَ في النار فصارت عليه برداً وسلاماً، فهلمّ نلقيك في النار لنعرف معجزتك، فقال: هات غير هذا، قال: ائتني بمثل براهين موسى وعيسى عليهما السلام، قال جئتني بالطامة الكبرى. قالوا: مالك معجزة، قال: سألتهم وقلت إنكم توجهونني إلى قوم شياطين فأعطوني حجة وإلاّ لم أذهب، فقال جبريل: أخذت في الشؤم الساعة أذهب أولاً وأنظر ما يقولون فضحك المأمون، وقال: هذا هاجت به السوداء فخلّوا عنه.

وتنبأ آخر في زمن الواثق فأدخل عليه وهو على بركة، فقال له: اضرب بعصاك هذا الماء حتى ينفلق، فقال حتى تقول أنا ربكم الأعلى. وقيل لآخر: ما معجزتك؟ قال ائتنوني بجارية أحبلها حتى يكلمكم جنينها فقالوا هذه الشاة إن أحبلتها فأنت نبي، فقال أنتم تريدون تيساً لا نبياً. وقيل لآخر: ما نبوتك؟ فقال: في حرام من يشك في نبوتي، فقال: عبادة أشهد بنبوّتك. وتنبأ آخر في زمن المعتصم وقال: أحيي الموتى ائتني بسيف أضرب به عنق ابن أبي داود ثم أحييه، فقال ابن أبي داود آمنت بك. وأتى المأمون بآخر فقال له: ما تقول؟ قال: قال لي ربي لا تكلم المأمون بشيء واذهب إلى الهند فضحك وأطلقه. وأتى المهدي بمتنبيء فقال له إلى مَنْ بعثت؟ فقال: أو تركتموني بعثت بالغداة فحبست بالعشي؟

(٥)

ومما جاءَ في مبدأ القرآن ونزولِه

●

قال النبي ﷺ: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً فرفعت رأسي فإذا بالملك الذي جاءني على كرسي بين السماء والأرض، فجئتُ خديجة **فقلت**: زمّلوني زمّلوني فأنزل الله تعالى. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾[(١)] وعن جابر أن ذلك أول ما نزل.

وعن ابن عبّاس رضي الله تعالى اعنه أوّل ما نزل من الوحي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[(٢)] و ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾[(٣)] **وقال الزهري**: أوّل آية نزلت في القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾[(٤)]

وقال علقمة: كل ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ﴾. فإنه نزل بالمدينة. و ﴿ظُلِمُوا۟ ٱلنَّاسُ﴾ فإنه نزل بمكة.

وقيل: نزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل في عشرين سنة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ. ..﴾[(٥)] (الآية).

وقال البراء: آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾[(٦)] **وقال ابن عبّاس**: آخر آية نزلت: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[(٧)] فمات ﷺ بعد نزولها بليال. **وقيل**: آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا والوالدين.

● جَمْعُ المصاحِفِ

كان رسول الله ﷺ إذا نزلت سورة قال: ضعوا هذه في الموضع الذي ذكر فيه كذا. وروي أن عمر رضي الله عنه كان قد جمع القرآن في مصحف، كان عند حفصة وهو الذي أرسل مروان فيه وهو والي المدينة إلى عبد الله بن عمر يوم ماتت حفصة فأمر بإحراقه مخافة الاختلاف.

وقال أبو بكر إن عمر لما رأى القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة قال: إني لأخشى أن يذهب قرآن كثير، وإني أرى أن يجمع القرآن. **فقلت**: كيف أفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ؟ **فقال**: إنه لخير. فشرح الله صدري ففعلت.

---

(١) القرآن الكريم: المزمل/ ١.

(٢) القرآن الكريم: العلق/ ١.

(٣) القرآن الكريم: ن/ ١.

(٤) القرآن الكريم: الحج/ ٣٩.

(٥) القرآن الكريم: الإسراء/ ٦.

(٦) القرآن الكريم: النساء/ ١٧٥.

(٧) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٨١.

وقيل: أول من جمع القرآن بين لوحين أبو بكر رضي الله عنه. **وقال زيد بن ثابت**: دعاني أبو بكر **وقال**: **إنك** رجل شاب وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فاجمع القرآن واكتبه ففعلت.

قيل: أحرق عثمان رضي الله تعالى عنه مصحف ابن مسعود، وإن ابن مسعود كان يقول لو ملكت كما ملكوا لصنعت بمصحفهم كذلك، وأحرق مروان مصحف عمر رضي الله عنه. **وقيل**: **القرآن ثلاثمائة ألف حرف وواحد وعشرون حرفاً، وهو ستة آلاف وستمائة وتسعٌ وتسعون آية**.

● ما ادّعى أنّه من القرآنِ ممّا لَيس في المِصْحَفِ وما ادّعى أنه مِنْهُ ولَيْسَ فِيه

أثبت زيد بن ثابت سورتي **القنوت في** القرآن، **وأثبت ابن مسعود في مصحفه** لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب.

ورُوي: أن عمر رضي الله تعالى عنه **قال**: لولا أن يقال زاد عمر في كتاب الله تعالى لأثبت في المصحف، **فقد نزلت**: الشيخ والشيخة إذا زنيا فأرجموهما البتة نكالاً من الله والله شديد العذاب.

وقالت عائشة: لقد نزلت آية الرجم ورضاع الكبير وكانتا في رقعة تحت سريري وشغلنا بشكاة رسول الله ﷺ فدخلت داجن فأكلته. **وقال علقمة**: أتيت الشأم فجاء رجل فقعد إلى جنبي **فقيل لي**: هو أبو الدرداء، **فقال**: ممن أنت؟ **قلت**: من الكوفة، **قال**: أولم يكن فيكم صاحب السواك والنعلين والمطهرة يعني ابن مسعود، **قلت**: نعم **فقال**: أتحفظ كيف كان يقرأ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى؟ **قلت**: نعم هكذا أقرأنيه رسول الله ﷺ وفوه إلى فيّ فما زال هؤلاء بي حتى كادوا يردونني عنهما.

وأثبت ابن مسعود بسم الله في سورة البراءة. **وقالت عائشة**: كانت الأحزاب تقرأ في زمن رسول الله ﷺ مائة آية، فلما جمعه عثمان لم يجد إلا ما هو الآن. وكان فيه آية الرجم وأسقط ابن مسعود من مصحفه أم القرآن والمعوذتين.

● قراءةٌ تخالِفُ صورةُ حروفِها ما في المِصْحَفِ أو ترتيبها

قرىء بدل كالعهن كالصوف، **وبدّل** **نهي** كالحجارة فكانت كالحجارة. وذكر بعض العلماء أن ابن عباس كان يجوز أن يقرأ القرآن بمعناه، واستدل بما روي عنه أنه كان يعلم رجلاً طعام الأثيم فلم يكن يحسن الأثيم **فقال**: قل الفاجر. وليس ذلك بشيء فيما ذكره جلّ العلماء، لأن ابن عبّاس أراد أن يعرفه الأثيم فعرفه بمعناه لما أعياه، **وقُرىء بدل** والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما فاقطعوا أيمانهما.

وكان عمر يقرأ غير المغضوب وغير الضالّين، وعبد الله بن الزبير صراط من أنعمت عليهم. وقرأ بعضهم: وضربت عليهم المسكنة والذلّ، وأبو بكر رضي الله تعالى عنه وجاءت سكرة الحق بالموت.

• ما رُوِيَ فيهِ زيادةٌ

قرىء: اصبروا وصابروا ورابطوا بعضهم. وقرأ بعضهم: وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم. وقرأ بعضهم إن هذا أخي له تسعة وتسعون نعجة أنثى. وقرىء: السارقون والسارقات فاقطعوا أيديهما.

وقرأ ابن عباس: أن لا يطوف وليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج عبد الله: فلا إثم عليه لمن اتقى. وعن أبي ذرّ: فان فأوافيهن فإن الله غفور رحيم. وقوله: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر. وقرأ سعد: فإن كان له أخ أو أخت، من أبيه ومثل هذا كثير فلنقتصر على هذا القدر منه.

• ما في القُرآن مِنْ تَغْييرِ الكِتابةِ

كان القوم الذين كتبوا المصحف لم يكونوا قد حذقوا الكتابة فلذلك وضعت أحرف على غير ما يجب أن تكون عليه. وقيل: لما كتبت المصاحف وعرضت على عثمان وجد فيها حروفاً من اللحن في الكتابة، فقال: لا تغيّروها فإن العرب ستغيرها أو ستعبر بها، ولو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف.

• ما سدُّ مِنه لَحْناً

عن ابن عروة عن أبيه قال: سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله: إن هذان لساحران، وعن قوله: والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة، وعن قوله: إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون، فقالت: يا ابن أختي هذا عمل الكتّاب اخطأوا في الكتابة.

• الرخْصةُ في اخْتِلافِ القراءاتِ

كان عمر رضي الله عنه يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها فأخذت بثوبه فذهبت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعته يقرأ القرآن على غير ما أقرأتني فقال: إقرأ. فقرأت فقال ﷺ: هكذا أنزلت، ثم قال لهشام: إقرأ فقال ﷺ: هكذا أنزلت. ثم قال: إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه.

وفي خبر أنه ﷺ قال: إن جبريل وميكائيل أتياني فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: إقرأ القرآن على حرف فقال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف وكل حرف شافٍ كافٍ.

● تعظيمُ القرآنِ

رأى عمر رضي الله عنه مصحفاً بخطٍ دقيق، **فقال**: ما هذا؟ **فقيل**: القرآن كله فضرب صاحبه، **وقال**: عظموا كتاب الله. وكان أمير المؤمنين يكره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير.

وكان ابن عبّاس إذا رأى مصحفاً قد فضض أو ذُهِّب **يقول**: أتغرون به السارق وزينته في جوفه. **وقال أبو ذر**: إذا حلّيتم مصاحفكم وزخرفتم مساجدكم فالدمار عليكم.

وقال مالك والشافعي رضي الله عنهما: لا يمس القرآن إلا طاهر. قال الله تعالى: لا يمسه إلا المطهرون. وكان الشعبي لا يرى بأساً أن يأخذ بغلافه وهو على غير وضوء. **وقال** ﷺ: لا توسدوا القرآن واتلوه بالليل والنهار.

● فضلُ قراءةِ القرآنِ

قال النبي ﷺ: إن العبد إذا قرأ فحرف كتبه الملك كما أنزل وكان ابن مسعود **يقول**: من ختم القرآن فله دعوة مستجابة. وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[1] قال ابن عباس: يتبعونه حق اتباعه. **وقال تعالى في ذم قوم**: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾[2]، **قال الشعبي**: أما أنه كان بين أيديهم ولكن نبذوا العمل به. **وقال** ﷺ: قراءتك في المصحف تزيد على قراءتك ظاهراً كفضل المكتوبة على النافلة.

● تعظيمُ قرّاءِ القُرآنِ

قيل: عظموا من زيّنه الله بالقرآن، **وقال** ﷺ: إنّ من تعظيم الله إجلال **ثلاثة**: الإمام المقسط وذي الشيبة وحامل القرآن لا الغالي فيه ولا الجافي فيه. وكان عمر رضي الله عنه يجري على كل حافظ قرآن مائة دينار.

● فضلُ تعلُّمِ القرآنِ وتعليمِهِ

روي عن النبي ﷺ: إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبته. **وروي عنه**: خياركم من تعلم القرآن وعلمه. **وقال عقبة بن عامر**: خرج علينا رسول الله ﷺ وكنا في الصفة **فقال**: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق فيأخذ كل يوم ناقتين كوماوين زهراوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟ فقلنا: كلّنا يا رسول الله. **قال**: فلأن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين ومن ثلاث. **وقيل**: في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾[3] وبالإسلام والقرآن.

---

(١) **القرآن الكريم**: المائدة/ ٢٧.

(٢) **القرآن الكريم**: آل عمران/ ١٨٧.

(٣) **القرآن الكريم**: يوسف/ ٥٨.

● الرُخصةُ في أخذِ الأجرةِ بتعليمِهِ

ممّا يدل على الرخصة في ذلك ما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ مروا بحيٍّ من أحياء العرب فلدغ رجل منهم، **فقالوا**: هل فيكم من راق فرقاه رجل بأم الكتاب فأعطي قطيعاً من الغنم؟ فقدموا على النبي ﷺ فأخبروه، **فقال**: من أخذ برقية باطل فقد أخذت برقية حق اضربوا معكم بسهم **وقال** ﷺ: تعلموا القرآن وسلوا الله به من قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه **ثلاثة نفر**: رجل يباهي به ورجل يستأكل به ورجل يقرأه لله. وأقرأ أبي رجلاً من اليمن سورة فأعطاه فرساً، **فقال**: إن كنت تريد أن تقلّد سيفاً من النار فخذها.

● الجهرُ والمُخافَتَةُ

مر ﷺ بأبي بكر وهو يخافت وبعمر يجهر فسألهما فقال أبو بكر: إني أسمع من أناجي فقال ﷺ: إرفع شيئاً. **وقال عمر**: أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان **فقال**: أخفض شيئاً كأنه ذهب إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[1]

● المدةُ التي يُستَحَبُ فيها الخَتمُ

سأل قيس بن صعصعة النبي ﷺ في كم أقرأ القرآن؟ **قال**: في كل خمس عشرة **قال**: إني أجد فيّ أقوى من ذلك. **قال**: ففي كل جمعة. **وقال سعد بن المنذر الأنصاري للنبي** ﷺ أقرأ القرآن في كل ثلاث، **قال**: نعم إن استطعت. وكان سليمان يقرأ القرآن في كل ليلة ثلاث مرات، يقعد في كل مرة ويجامع امرأته ويغتسل، فلما مات قالت رحمك الله إن كنت لترضي ربك وأهلك. وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقرأ القرآن في ركعة.

● تَحقيقُ القُرآنِ والتّغنّي به

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أعربوا القرآن فإنه عربي. **وقال أبو بكر**: لأن أعرب آية من القرآن أحب إليّ من أن أحفظ آية. **وقال عمر**: تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه. **وقال** ﷺ: زينوا القرآن بأصواتكم ودخل ﷺ المسجد فسمع صوت رجل **فقال**: من هذا؟ قيل عبد الله بن قيس **فقال**: لقد أوتي هذا من مزامير آل داود.

وكان عمر إذا رأى أبا موسى **يقول**: ذكرنا ربّنا فيقرأ عنده وقول النبي ﷺ ليس منا من لم يتغن بالقرآن، فقد تأوّلوه على هذا وعلى الإستغناء. وكره بعض الفقهاء التحدّث بهذا الحديث كراهة أن يتأوّل على الألحان المكروهة، فقد روي عن النبي ﷺ: أن قوماً يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأفقههم وأعلمهم ليغنّيهم به غناء.

وقال الهيثم العلاف: قرأت عند المنصور **فقال**: ما لكم أهل البصرة أقرأ

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/ ١٢١.

البلاد، **فقلت**: إن أهل الحجاز قرأوا على النصب غناء العرب، وأهل الشأم قرأوا على قراءة الرهبان، وأهل الكوفة قرأوا على قراءة النبط، والبصرة على الخسرواني غناء فارس.

● النَّهيُ عن المَراءِ فيه وَعَنْ تَفْسِيرِهِ

قال ﷺ: لا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر. وسأل أبو بكر عن قوله تعالى ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[1]، **فقال**: أي سماء تظلّني وأي أرض تقلني؟، إن قلت في كتاب الله بما لا أعلم.

● التَّداوي بالقُرآنِ

قالت عائشة: كان النبي ﷺ إذا مرض يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث. وكان **الحسن** يكره أن يغسل القرآن ويسقى. وسئل إبراهيم عمّن حُمَّ فعلق عليه تعويذ فيه ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا﴾ (الآية)، فكرهه. وسئل عطاء عن الرجل يعلق عليه شيئاً من القرآن **فقال**: ما سمعنا بكراهة ذلك إلا منكم معاشر أهل العراق.

● الحُذَّاقُ بالقُرآنِ

المشهور منهم ثلاثة: عبد الله بن مسعود وأُبيّ وزيد. وقال ﷺ: من أحب أن يقرأ القرآن غضاً فليقرأه على **قراءة ابن أم عبد. وقال ابن مسعود**: كنّا مع رسول الله ﷺ وأنزلت والمرسلات عرفاً فأخذتها رطبة من فيه، وهو أول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وأقرأ **معاذ بن جبل** رضي الله تعالى عنه. وروي أنه ﷺ **قال**: أقرأكم أبي وقال له النبي ﷺ: أمرت أن أعرض عليك القرآن. فقال أبيّ: سماني لك ربك **قال**: فبفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون. **وقال له**: أي آية في كتاب الله أعظم؟ **فقال**: الله لا إله إلا هو الحي القيّوم. فضرب في صدره، **وقال**: ليهنك العلم أبا المنذر، وإنما أخذ الناس بقراءته لكونه كان آخر من يقرأ على رسول الله ﷺ. **وقال ابن عباس رضي الله عنهما**: إنّا نأخذ بالآخر من قول رسول الله ﷺ وفعله.

● بَيْعُ المَصَاحِفِ

بيعت المصاحف في زمن معاوية، وكره ابن عمر بيع المصاحف. **وقال ابن عباس**: اشتر المصاحف ولا تبعها. وسئل بعض الفقهاء عن ذلك، **فقال**: كان حبرا هذه الأمة لا يريان ببيعها بأساً: الحسن والشعبي

---

(١) القرآن الكريم: عبس/ ٣١.

(٦)

ومِمَّا جَاءَ فِي العباداتِ

•

• الطَّهارَةُ والوُضُوءُ

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾(١) وسئل ﷺ عن البحر **فقال**: الحلُّ ميتته الطهور ماؤه. **وقال**: من لم يطهره البحر فلا طهارة له. **وقال** ﷺ: خلق الماء طهوراً لا ينجسه شيء إلا ما غيَّر طعمه ولونه.

• دِبَاغُ الجُلُودِ

قال ﷺ: أيّما إهاب دبغ فقد طهر، ومرّ بشاةٍ لميمونة وقد ماتت فألقيت، **فقال**: هلا أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به. **وقال** ﷺ: لا بأس بجلد الميتة إذا دبغ ولا بصوفها إذا غسل بالماء، واعتبر المزني الغسل في الشعر. **وقال الشافعي**: نجس غسل أو لم يغسل.

• تحليلُ الأواني وتحريمُها

قال ﷺ وقد خرج على أصحابه وفي إحدى يديه حرير وفي الأخرى ذهب، **فقال**: هذان حرامان على ذكور أمتي حلّ لأناثها. **وقال** ﷺ: من شرب في آنية من فضة فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم.

• السِّواكُ

قال ﷺ: مالكم تدخلون عليّ قلحاً استاكوا. **وقال**: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة. **وقال**: نظفوا أفواهكم فإنها ممر القرآن. **وقيل**: السواك مغسلة للفم، مجلبة لشهوة الطعام، جلاء للأسنان مطلق للسان، **وعن ابن عباس**: فيه عشر خصال مرضاة للرب ومسخطة للشيطان ومقربة للملائكة ومشد للثة وذاهب بالحفر وجال للبصر ومطيب للفم ومقلٌ للبلغم وهو من السنة ومما يزيد في الحسنات.

• التغوُّطُ والإستنجاءُ

قال النبي ﷺ: لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها بغائط أو بول، ثم رؤي جالساً على لبنتين مستقبل بيت المقدس، **فقيل**: إن الإستدبار منسوخ. وقيل لم ينسخ وإنما النهي في الصحراء دون البيوت. **وقال** ﷺ: إتقوا الملاعن وهو التغوط على قارعة الطريق. **وقال**: من استجمر فليوتر ومن لا فلا حرج.

وقال سلمان رضي الله عنه: نهانا النبي ﷺ أن نجتزي بأقل من ثلاثة أحجار نستطيب

---

(١) القرآن الكريم: الأنفال/ ١١.

بهن ونهى عن الروث والرمّة، **وقال**: إنه زاد إخوانكم من الجنّ. **وقال**: إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه ولا يتمسّح بيمينه.

وأهدى أعرابي إلى عبد الملك شيئاً **فقال**: كيف أقبله منك وأنت لا تحسن أن تطوف أي تقضي حاجتك؟ **فقال**: إني لأطيل المشي حتى أتوارى كراهة أن أرى ولا أستقبل الريح وأجتنب القبلة وأستتر بالموجود وأقدم رجلاً وأؤخر أخرى وأفج إفجاج الثعلب وأتمسح بالحجر والمدر وأجتنب الروث والرمة، فقال عبد الملك: أنت نبيل أصيل فقيه، وقبل هديته وأجزل عطيته.

وكان ﷺ **إذا دخل الخلاء يقول**: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث. **ورُوي**: أعوذ بك من الرجس النجس الشيطان الرجيم، ولم يكن يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض.

● **الوُضوءُ**

اعتبر الشافعي رضي الله عنه النيّة في الوضوء لقوله ﷺ: الأعمال بالنيات، والتسمية مستحبة لقوله إذا تطهر أحدكم فليذكر اسم الله فإنه يطهر جسده وإن لم يذكر اسم الله لم يطهر إلا ما مرّ عليه الماء. **وقال** ﷺ: لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله وقال: بالغ في الإستنشاق إلا أن تكون صائماً. **وقال**: خللوا الشعر وأنقوا البشرة فإن تحت كل شعرة جنابة.

وتوضأ ﷺ مرة مرة **وقال**: هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به، ومن توضأ مرتين فهو أفضل ثم ثلاث مرات **وقال**: هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي. ورأى ﷺ قوماً تلوح عراقيبهم ما يصيبها الماء **فقال**: ويل للعراقيب من النار. وكان عبد الله بن رواحة وقع على جارية له ورأته امرأته فأنكر، فأمرته أن يقرأ القرآن، **فقال**:

شهدتُ بأنّ وعدَ الله حقٌّ وأنّ النارَ مأوى الكافرينا

فقالت: صدق الله وكذب بصري ثم أخبر النبي عليه السلام فضحك ولم ينكره.

● **كراهةُ صبِّ ماءِ الوُضُوءِ على الإنسان**

كان الرضا عند المأمون فلما قرب وقت الصلاة رأى الخدم يأتونه بالطشت والماء **فقال الرضا**: لو توليت هذا من نفسك، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(1) **فقال**: سمعاً وطاعة، وأمر الغلمان بانصرافهم وقد أجازوا ذلك. ووضع لرسول الله ﷺ وضوء **فقال**: من صنع هذا؟ فقيل ابن عبّاس **فقال**: اللهم فقهه في الدين.

● **وُضوءُ العربِ والحَمقَى**

كان أعرابي إذا توضأ قدم غسل وجهه على إسته، **ويقول**: لا أقدّم السوءة على

---

(١) القرآن الكريم: الفرقان/ ٤٨.

الوجه. **وقال أبو مهدية**: كنا نتوضأ وضوءة تكفينا الأسبوع والأسبوعين حتى جاءنا هذا الوالي يأمرنا أن نليق كل يوم استاهنا إلاقة الدواة فأفسد علينا ما كنا فيه، وانتفض أعرابي ثم أقبل فقيل له: ألا تمس ماء فتتنظف به، فقال هبوني غسلت ظاهرها فكيف أصنع بباطنها. **وقال أعرابي**: إني لأسبغ الوضوء وما تقع على الأرض مني قطرة. وكان بعض الناس يعاتب ابنه في تركه الوضوء والصلاة، فلما أكثر عليه، **قال**: يا أبت إما أن أتوضأ ولا أصلّي أو أصلّي ولا أتوضأ.

● نَقْضُ الوُضُوء

قال النبي ﷺ: إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكل عليه أخرج منه شيء أم لا، فلا يخرجنّ من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً. وقع الخلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في التقاء الختانين من غير إنزال، **فقال بعضهم**: لا يجب عليه الغسل لقوله ﷺ إنما الماء من الماء. **وقال بعضهم** يجب. فبعث عمر إلى عائشة رضي الله عنها فقالت: قال ﷺ إذا التقى الختانان وجب الغسل، **فقال عمر**: لئن بلغني عن أحد أنه فعل ذلك ولم يغتسل عاقبته.

● سؤرُ الكلبِ

قال ﷺ: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات أولاهن أو أخراهن بالتراب.

● التنزّه من البول وغسله

قال ابن عبّاس: مرّ رسول الله ﷺ بقبرين **فقال**: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كثير أما أحدهما فكان لا يتنزه من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقّها نصفين فغرز في كل قبر واحدة ثم قال لعلهما يخفف عنهما ما لم ييبسا.

● المَنِيّ

قالت عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ إذا أصاب ثوبه المني غسله وكأني أنظر إلى البقع في ثوبه من أثر الغسل. ورآه ﷺ في ثوب رجل فقال أمطه عنك بإذخرة[(١)]

● فَضْلُ مَنْ بَاتَ على الوُضوءِ

قال ﷺ: إذا أتيت مضجعك فتوضأ للصلاة ثم اضطجع على شقّك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت وجهي إليك وفوّضت أمري إليك والجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيّك الذي أرسلت فإن متّ في ليلتك متّ على الفطرة.

---

(١) **الإذخرة**: واحدة الإذخر، وهو نبات طيب الرائحة، والإذخر الحشيش الأخضر.

● **الحَيضُ**

قالت عائشة: كنت إذا حضت يأمرني ﷺ أن أتزر ثم يباشرني وأيّكم يملك أربه كما كان ﷺ يملك أربه.

● **التيمُّم**

قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾(١) وقال ﷺ: التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين وقال ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً. وجاء رجل إلى عمر بن الحطاب وقال: إني أجنبت فلم أصب الماء، فقال عمار بن ياسر لعمر رضي الله عنهما: أما تذكر أنا كنا في سفر فأجنبت أنا وأنت فأما أنت فلم تصل وأنا تمعكت في التراب فصليت، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال لي: إنما كان يكفيك هكذا. وضرب بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه.

(٧)
وَمِمَّا جاءَ في الصلاةِ

●

● **الحثُّ على عَمارةِ المساجدِ**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾(٢) وقال ﷺ: إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان، لأن الله تعالى **قال**: إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله (الآية).

وقال أبو بكر رضي الله عنه: من بنى مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنّة. **وقال الحسن**: مهور الحور العين في الجنّة كنس المساجد وعمارتها. وروي أن مسجد النبي ﷺ في عهده كان مبنياً باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل، فلم يزده أبو بكر، وبناه عمر كما كان في عهده ﷺ، ثم غيّره عثمان وزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره من الحجارة المنقوشة والفضة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه من ساج.

وقال ﷺ: جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع أصواتكم وخصوماتكم وإقامة حدودكم وسلّ سيوفكم وشراءكم وبيعكم. ولما حصب عمر المسجد **قال**: هو أغفر للنُّخامة(٣)

● **فَضلُ القعودِ في المساجدِ**

قال أبو الدرداء: لابنه ليكن المسجد بيتك فإني سمعت رسول الله ﷺ **يقول**:

---

(١) **القرآن الكريم**: الكهف/ ١١١.

(٢) **القرآن الكريم**: النساء/ ٤٢.

(٣) **النخامة**: ما يدفعه الإنسان من صدره أو أنفه.

المساجد بيوت المتقين. **وقال ﷺ**: ترهب أمتي الجلوس في المساجد **وقيل**: المساجد مجالس الكرام.

وقال بعض الأنصار: من أتى المسجد وجد فيه ثماني خلال أخاً مستفاداً وعلماً مستظرفاً وآية محكمة ورحمة منتظرة وكلمة تردّ عن رديء وترك الذنوب حياء وحشمة. **وقال ﷺ**: الملائكة يصلّون على أحدكم ما دام في المسجد الذي صلى فيه. **يقولون**: اللهم أغفر له اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه أو يحدث فيه.

● أوقاتُ الصلواتِ

قال الله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾[1] **وقال ﷺ**: إذا زالت الشمس فصلّوا. وصلى جبريل بالنبي ﷺ لما صار ظل كل شيء مثله. وصلى في اليوم الثاني لما صار ظل كل شيء مثليه، **وقال**: يا محمد ما بين هذين وقت. **وقال ﷺ**: إذا اشتد الحر فأبردوا بالظهر فإن شدة الحر من فيح جهنم. ورُوي أنا كنا نصلي العصر ثم يرجع أحدنا إلى أقصى المدينة والشمس حية. **وقال**: لا تزال أمتي بخير ما لم يؤخروا المغرب إلى اشتباك النجوم فإذا غربت فقد وجبت الصلاة.

وقال: لولا أن أشق على أمتي لأخرت العشاء إلى نصف الليل. وعن أنس أن النبي ﷺ أخر العشاء الأخيرة إلى نصف الليل ثم صلّى بنا ثم **قال**: قد صلّى الناس وناموا أما أنكم أن تزالوا في صلاة منذ انتظرتموها.

● أوقاتُ الضرورةِ للصلاةِ

قال ﷺ: من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة، **وروي**: من أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر.

● الأوْقاتُ المَنْهي فيها عن الصَّلاةِ

نهى النبي ﷺ عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وعن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس.

وقال ﷺ: لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان. **وقال**: إذا بزغ حاجب الشمس فدعوا الصلاة وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغرب الشمس. وروت عائشة رضي الله عنها: ما ترك النبي ﷺ ركعتين بعد الصلاة في بيتي قط.

---

(١) القرآن الكريم: الإسراء/ ٧٨.

(٨)
بابُ الأذان

●

روي عن بلال أنه **قال**: أمرني النبي ﷺ أن أؤذن للفجر بالليل. وروي أنه غاب ليلة عن أصحابه ومعه أخو صدى فلما كان وقت السحر، **قال**: قمْ فأذن. فما زلنا ننتظر الصبح بعد ذلك حتى جاء بلال فأراد أن يقيم، **فقال** ﷺ: إن أخا صدى قد أذّن وإنما يقيم من أذن.

وروي أنه ﷺ أمر بلالاً بالترجيع. **وقال ابن عمر رضي الله عنهما**: كان الآذان على عهد رسول الله ﷺ مثنى مثنى والإقامة مرة مرة، غير أنه يقول قد قامت الصلاة مرتين.

وكان عثمان رضي الله عنه يقول إذا سمع الأذان: مرحباً بالقائلين عدلاً وبالصلاة مرحباً وأهلاً. ورُوي أن المسلمين لمّا قدموا المدينة كانوا يجتمعون فيتحينون الصلاة وليس ينادى بها **فقال بعضهم**: اتخذوا ناقوساً كناقوس النصارى. **وقال بعضهم** قرناً كقرن اليهود، فقال عمر رضي الله عنه: أولا تبغون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ فناد بالصلاة فأمره أن يشفع الأذان ويوتّر الإقامة.

● السُخْفُ في الأذانِ

قيل: استؤجر رجل في قرية على أن يؤذن بعشرة دراهم، فاستزادهم، **قالوا**: ليس لنا ما نزيدك ولكن قد سامحناك في حيّ على الفلاح فلا معنى له مع قولك حي على الصلاة.

وقال بعضهم: مررت برجل يقول في أذانه أشهد أن لا إله إلا الله وهم يشهدون أن محمداً رسول الله **فقلت**: مالك لا تشهد شهادتهم؟ **فقال**: إنه يهودي مستأجر. **وقال بعضهم**: دخلت قرية فحان وقت الصلاة فدخلت مسجدها، فأذنت وأقمت وصليت بجماعة منها دخلوا المسجد، فلما سلمت ودعوت **قال أحدهم**: أمسلم أنت أم يهودي؟ **فقلت**: هل رأيت يهودياً صلّى بمسلمين؟ **قال**: إنما نقول لأن يهودكم خير من مسلمينا.

● الواجبُ من الصَلاةِ

قال أبو حنيفة رضي الله عنه: الوتر واجب ولم يوجبه غيره واستدلّ بما روي عن النبي ﷺ أنه **قال**: إنّ الله تعالى زادكم صلاة ألا إنها هي الوتر فأوتروا. **وروي** أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فسأله عن الصلاة الواجبة عليه فذكرها له، **فقال**: هل على غيرها فقال لا إلا أن تتطوع. وروي أن أعرابياً قال للنبي ﷺ بعد أن علمه الصلاة: هل عليّ غيرها؟ **قال**: لا، **قال**: والله لا أزيد فيها ولا أنقص، **فقال**: أفلح إن صدق. وروي الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله. ورُوي من ترك صلاة العصر فكأنما حبط عمله.

● الحثُ على صلاةِ الجَماعة

قال ﷺ: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد. وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا

﴿يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾[1] أي بالسعي إليها والصلاة فيها.

• الصَّلاةُ في المطرِ

خطب ابن عباس في يوم جمعة، وكان ذا مطر، فأمر المؤذن أن يؤذن فلما قال: حي على الصلاة. قال: أمسك وأذن، الصلاة في الرحال[2]، فنظر القوم بعضهم إلى بعض فقال: قد أنكرتم ذلك قد فعله خير مني ومنكم فإنها عزمة، وإني كرهت أن أخرجكم. وقال ﷺ: إذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال.

• القراءةُ في الصلاةِ

قال الله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾[3]، قيل: عنى ذلك في الصلاة. وقال ﷺ: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب. وروى أبو سعيد الخدري أنه ﷺ قال في كل ركعة قراءة فمن لم يقرأ في جميع الركعات فلا صلاة له. وقال: إذا أمن الإمام فأمنوا.

• رَفْعُ اليدينِ والذِّكرُ

روى جابر أن النبي ﷺ كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع. وقال: إذا سجد أحدكم فليبدأ بركبتيه قبل يديه، ولا يبرك بروك الجمل. وقال: مكّن وجهك من الأرض حتى تجد حجم الأرض. وقال: أمرت أن أسجد على سبعة آراب

• التشّهدُ والتسليمُ

قال النبي ﷺ: إذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات إلى آخره. وروي أنه كان يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن. وقال ﷺ: تحريمها التكبير وتحليلها التسليم.

• سترُ العورةِ في الصَّلاةِ

قال الله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[4] قيل المراد بها في الصلاة لإجماع الناس أن أخذ الزينة لأجلِ المكان لا يجب. وسأل سلمة بن الأكوع النبي ﷺ قال: ربما أكون في الصيد وليس عليّ إلاّ ثوب واحد وأريد الصلاة فقال: زره لو بشوك. ولما سئل عن جواز الصلاة في الثوب الواحد، قال: أوكلكم يجد ثوبين، وقال: غطّ فخذك فإنها عورة. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: لا تكشف فخذك ولا تنظر إلى فخذ حيّ ولا ميت. وقال: إذا زوج أحدكم عبده من أمته فلا ينظر إلى ما بين سرتها وركبتها فإن ذلك عورة من كل مسلم ونهى النبي ﷺ الرجل عن اشتمال الصماء وهو أن يجعل الثوب على أحد عاتقيه.

---

(١) القرآن الكريم: التوبة/ ١٩

(٢) الرحال: جمع رحل وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج، وما تستصحبه من الأثاث في السفر، والرحال الطنافس المصنوعة بالحيرة.

(٣) القرآن الكريم: المزمل/ ٢٠.

(٤) القرآن الكريم: الأعراف/ ٣٠.

- **الكَلامُ في الصَلاةِ**

روى أبو هريرة أن النبي ﷺ تكلم بالمدينة فبنى، وروى زيد بن أرقم **قال**: كان الرجل منا يتكلم خلف رسول الله ﷺ فيدخل الداخل فيقول بكم سبقت، حتى أنزل الله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[1]، فأمرنا بالسكوت. **وقال النبي ﷺ**: إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين إنما هي قراءة وتسبيح.

- **إعادةُ الصلاةِ لِمَنْ حَضَرَ الجَماعةَ.**

رُوِي أن النبي ﷺ صلى صلاة الفجر فلما فرغ رأى رجلين خلف الصف **فقال**: ما منعكما أن تصليا معنا؟ **قالا**: كنا قد صلينا في رحالنا فقال إذا جئتما فصليا وإن كنتما قد صليتما تكون الأولى فريضة والثانية سنة.

- **إعادةُ الصلاةِ**

قال النبي ﷺ: من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة إلا ذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾[2]

- **سجودُ التلاوةِ والشُكْرُ**

قيل: سجدات القرآن أربع عشرة. **وقال مالك**: ليس في المفصل سجود. وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ كان يسجد في ﴿إِذَا السَّمَآءُ انشَقَّتْ﴾[3] واقرأ ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[4] وروى عقبة بن عامر رضي الله عنه **قال**: قال ﷺ: في الحج سجدتان فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما. وروى عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ سجد فأطال السجود **فقال**: بشرني جبريل أن من صلى عليك واحدة صليت عليه عشراً فسجدت هذه السجدة شكراً لله تعالى.

- **الشَكُّ في الصَلاةِ**

قال ﷺ: من شك في صلاته فلم يدر أثلاثاً صلّى أم أربعاً فليصل أخرى، فإن كانت رابعة فقد تمت صلاته وإن خامسة كانت الركعة والسجدتان ترغيماً للشيطان. وروي عنه أنه صلى الظهر خمساً فلما أن سلم قيل له: أحدث في الصلاة حدث؟ قال وما ذاك؟ فقيل له في ذلك فثنى رجله وسجد سجدتي السهو.

- **المرورُ بين يَدَي المصلي والاعتراضُ بينه وبَيْنَ القِبلَةِ**

روي أن أبا سعيد كان يصلي فمرّ رجل من آل أبي معيط بين يديه فمنعه، فأبى أن ينتهي، فمنعه فأبى فدفع في صدره. **قال ومروان** يومئذ على المدينة فشكا إليه، فقال مروان لأبي سعيد: فقال أبو سعيد قال رسول الله ﷺ: إذا مر بين يدي أحدكم شيء وهو يصلي

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/٢٣٨.
(٢) القرآن الكريم: طه/١٤.
(٣) القرآن الكريم: الانشقاق/١.
(٤) القرآن الكريم: العلق/١.

فليمنعه، فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان. وإني كنت نهيته فأبى أن ينتهي. وروي أن النبي ﷺ كان يصلّي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة على الفراش الذي ينامان عليه.

وذكر بعد ذلك عند عائشة أنّ الصلاة يقطعها الكلب والحمار والمرأة، فأنكرت ذلك لما كانت تعلم من حالها. وكان ﷺ يحمل أمامة بنت زينب على عاتقة فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها.

● التوجُهُ للقِبلةِ

قال البراء: قدم رسول الله ﷺ المدينة فصلى للقدس ستة عشر شهراً أو سبعة وكان ﷺ يحب أن يتوجه نحو القبلة فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ..﴾(١) (الآية) فمرّ رجل من الذين انحرفوا معه للقبلة بقوم من الأنصار يصلون للقدس، **فقال:** أشهد لقد تحولت القبلة للكعبة، فانحرفوا في صلاتهم نحو الكعبة فقالت اليهود ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ..﴾(٢) الآية وكان ﷺ يصلي على راحلته حيث توجهت فإذا أراد الفريضة نزل فاستقبل.

● رَميُ البزاق في الصّلاةِ

رأى النبي ﷺ نخامة(٣) في الصلاة، فشقّ ذلك عليه حتى رؤي في وجهه، فقام فحكه، **وقال:** إنّ أحدكم إذا قام في صلاته فإنما يناجي ربّه وإن ربّه بينه وبين القبلة فلا يبصقن في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ثم رد بعضه إلى بعضه فقال أو يفعل هكذا.

● الصلاةُ خَلفَ كلّ مُسْلِمِ

قال ﷺ: صلوا خلفَ كل برّ وفاجر. وكان ابن عمر رضي الله عنه يصلّي مع الحجاج فقيل له في ذلك، **فقال:** إذا دعونا إلى الصلاة أجبناهم وإذا دعونا إلى الشيطان تركناهم.

● القصرُ في الصّلاةِ

قال الله تعالى: لا ﴿عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾(٤) وسئل رسول الله ﷺ ما بالنا نقصر وقد أمنا؟ **فقال:** صدقة تصدق الله بها عليكم. **وروي:** أنا سافرنا مع النبي ﷺ فمنا من أتم ومنا من قصر فلم يعب بعضنا بعضاً.

● غسلُ الجُمعَة وَفَضْلُهُ

قال النبي ﷺ: من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنه، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما

---

(١) **القرآن الكريم:** البقرة/ ١٤٤.
(٢) **القرآن الكريم:** البقرة/ ١٤٢
(٣) **النخامة:** ما يدفعه الإنسان من صدره أو أنفه.
(٤) **القرآن الكريم:** التوبة/ ١٩.

قرب كبشاً، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة.

● وُجُوبُ الجُمُعَةِ

قال النبي ﷺ: إن الله فرض عليكم الجمعة في عامكم هذا في شهركم هذا في يومكم هذا إلا من تخلف عنها في حياتي أو بعد وفاتي، ألا لا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره. ألا لا صلاة له، ألا لا زكاة له، ألا لا حج له. **وقال**: الجمعة واجبة على كل مسلم إلا امرأة أو صبياً أو مملوكاً. **وقال**: من ترك ثلاث جمعات متواليات طبع الله على قلبه.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه من علم أن الليل يؤويه إلى أهله فليشهد الجمعة. **وقال**: إذا جاء أحدكم الجمعة والإمام يخطب فليصلّ ركعتين قبل أن يجلس.

● النهيُ عن تأخيرِ الصَلاةَ عن وَقْتِهَا

قال ﷺ: الصلاة في أول الوقت رضوان الله وفي آخر الوقت عفو الله. **وقال وكيع**: من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها فما وقرها. **وقال رجل لابنه وهو مسافر** إياك وتأخير الصلاة عن وقتها فإنك تصليها لا محالة فصلها وهي تقبل. وقام بشر المريسي من مجلس المأمون للصلاة، **فقال له علي بن صالح**: أتقوم وأمير المؤمنين جالس؟ **فقال**: هذا وقت ليس لمخلوق فيه طاعة، **فقال المأمون**: صدق. وكان الحجّاج يخطب فأطال، فقام إليه رجل، **فقال**: إن الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك. **وقال ثعلب**: ما يكاد وقت الصلاة إلا تذكرت قول أبي تمّام:

وأحق الفتيان أن يقضي الد ... ين امرؤ كان للإله غريما

● الحثُ على المحافظة على الصلوات

قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾(١) قيل هي العصر، وقيل هي العشاء. **وقال ﷺ**: الصلاة عماد الدين. **وقال**: أقرب ما يكون العبد من ربه وقت صلاته ولذلك أمر بالدعاء في عقبها. **وقيل**: إذا كان يوم الجمعة بعث إبليس شياطينه إلى الناس بالركائب أي يذكرونهم الحاجات.

● بَرَكَةُ الصَلاةِ وفَضلُ التهجُدِ

كان ﷺ إذا أصاب أهله خصاصة، أمرهم بالصلاة. ويقول: بهذا أمرني ربي. قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾(٢) ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾(٤)

---

(١) القرآن الكريم: الإسراء/ ٧٨.
(٢) القرآن الكريم: النساء/ ١٠٠.
(٣) القرآن الكريم: طه/ ١٣٢.
(٤) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣٨.

وقال ﷺ: عليكم بقيام الليل فإنه توبة إلى الله وتكفير للسيئات ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسم.

وقال جعفر الخلدي: رأيت الحسن في المنام فقلت ما فعل الله بك؟ **فقال**: طاحت تلك العبارات وطارت تلك الإشارات وفنيت تلك العلوم ودرست الرسوم فما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في السحر.

وقال يوسف بن أسباط: إذا أخلص الرجل التعبد لله أربعين صباحاً أجرى الله على لسانه ينابيع الحكمة.

وقال ﷺ: أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم. وقيل للربيع: لِمَ لا تنام بالليل؟ **فقال**: أخاف البيات. وحُكِيَ عن بعض المتعبدين بمكة أنه افتتح الصلاة ورفع رجلاً إلى نصف الليل ثم وضعها ورفع الأخرى إلى الصباح، فقيل له **فقال**: لسعتني عقرب لما دخلت في الصلاة فرفعت الملسوعة، فلما كان نصف الليل لسعت عقرب الرجْلَ الأخرى فرفعتها ووضعت الأخرى، واستحييت أن أنصرف من بين يدي الله تَعالى للسعة عقرب.

وقال أبو ذر: صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور وصوموا في شدّة الحرّ لحرّ النشور.

● التكاسُلُ عن التَهَجُدِ

قال رجل للنبي ﷺ: لست أقوى على قيام الليل، **قال**: فلا تعصه بالنهار، أي عجزك بالليل لعصيانك بالنهار. **وقال رجل لسليمان**: لا أستطيع قيام الليل فقال لعلك تفجر بالنهار.

● عَتَبُ مَنْ يخفّف حتى يُخِلُ بالأركانِ

قال ﷺ: أسوأ الناس سرقة من يسرق من صلاته. ونظر الشبلي إلى رجل يسرع في صلاته **فقال له**: إنك لتخون، وبعد الخيانة لا تقبل الأمانة. **وقال بعضهم**: إن الصلاة مكيال فمن وفى وفي له ومن طفف فـ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[1] وصلى رجل صلاة خفيفة ثم **قال**: اللهم زوجني من الحور العين، فقال أعرابي: بئس الخاطب أنت أعظمت الخطبة وأسأت النقد. ونظر الجماز إلى من يخففها فقال صلاتك رجز فأتى في التشبيه بما هو من صنعته.

● عُذْرُ مَنْ صلّى صلاةً خفيفةً

صلى رجل صلاة خفيفة فقيل له ما هذه الصلاة؟ **قال**: صلاة ليس فيها رياء. وصلّى بعض العلماء فخفّف **وقال**: أغالب شيطاني. ورأى أبو حنيفة رجلاً يصلّي ولا يركع فقال ما

---

(١) **القرآن الكريم**: المطففين/ ١.

هذا؟ **فقال**: إني رجل عظيم البطن فإذا صليت وركعت ضرطت فأيما أحسن.

● عَتَبُ إمام يُطِيلُهَا

قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: أفتان أنت يا معاذ. **وقال عثمان بن أبي العاص**: آخر ما عهد إلينا رسول الله ﷺ **قال**: إذا أممت قوماً فأخف بهم الصلاة. وقرأ إمامٌ سورةً طويلة فعاتبه من كان خلفه، **فقال الإمام**: قد قرأ أبو بكر البقرة وآل عمران في صلاة الصبح، **فقال الرجل**: قد رأيت ما فعل أهل الردة من هذا وأشباهه. وأطال إمام الصلاة فلما فرغ عاتبه من كان خلفه **فقال**: وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين، **فقال الرجل**: أنا رسول الخاشعين إليك، إنك ثقيل وإنهم لا يقدرون على احتمال بردك.

● المعيَّرُ بتركِ الصَّلاةِ

قال أبو العيناء لابن مكرم: قم وصلِّ فقال قد جمعت بينهما، **فقال**: نعم بالترك. وكان بأصبهان رجل يقال له الكناني في أيام أحمد بن عبد العزيز، وكان يتعلم أحمد منه الإمامة فاتفق أن تطلعت عليه أم أحمد يوماً **وقالت**: يا فاعل جعلت ابني رافضياً، فقال الكناني: الرافضة تصلّي كل يوم إحدى وخمسين ركعة وابنك لا يصلي كل أحد وخمسين يوماً ركعة.

● المُكْرَهُ على الصَّلاةِ

أمر المنصور أبا دلامة أن يلازم الصلاة، **فقال**:

ألـم تـعـلـمـوا أن الـخـلـيـفـة لـزّنـي ... بـمـسجده والـقـصـر مـالـي ولـلـقَـصْـرِ
أصـلّـيـهـمـا كَـرْهـاً عـلـى غـيـر نـيّـةٍ ... فمالي في الأولى ولا العصر من أجرِ
ويـحـبـسُـنـي عـن مـجـلـس أسـتـلـذّه ... أُعَـلِّـلُ فـيـهِ بـالـغـنـاء وبـالـخَـمْـرِ
ومـا ضـرّه والله يـصـلِـحُ أمـرَه ... لو أن ذنوبَ العالمين على ظَهْرِيَ

وله:

وجـفـانـي الأمـيـر كـي أتـقـرأ ... فـتـقـرأت مُـكْـرَهـاً لـجـفـائـهْ
والـذي أنـطـوى عـلـيـه الـمـعـاصـي ... عـلـم الله نـيـتـي مـن سـمـائِـهْ

وكانت امرأة تكره ابنها على الطهارة والصلاة وهو يأبى، **فقال**: أرضي بإحداهما **فقالت**: رضيت بالطهارة. فلما تطهّر قالت له: صَلِّ فالطهارة بلا صلاة ليست بشيء فضرط **وقال**: نَقَضْتِ فنقضنا.

● طُرَفٌ مِنْ صَلاةَ الأعْرَابِ

أقام أعرابي فقال: على العمل الصالح قد قامت الفلاح. ثم قام يصلّي **فقال**: اللهم حسبي ونسبي وأردد ضالّتي واحفظ هملي والسلام عليكم. ودخل أعرابي الحضر فقام يصلّي في الصف الأول فقرأ الإمام ألم نهلك الأولين؟ فتأخر إلى الآخر، فقال ثم نتبعهم

الآخرين. فخرج من المسجد يقول: يا ابن الفاعلة أهلكت الفريقين

وصلّى أعرابي مع قوم فلما سجدوا عدا وقال: قد صعق القوم ورب الكعبة. وصلّت أعرابية مع الجماعة فقرأ الإمام: وأنكحوا الأيامى وأرتج عليه، فجعل يرددها، فخرجت الأعرابية إلى أخيها فقالت يا أخي ما زال الإمام يأمرهم بنكاحنا حتى خفت أن يثبوا عليّ

• المتبجّحُ بتركِ الصَّلاةِ

رؤي أبو نواس وهو يصلي في الجماعة فقيل له: ما هذا؟ فقال أردت أن يرتفع إلى السماء خبر ظريف. وقال السفّاح لأبي دلامة: الصلاة، فقال حتّى تذهب حمياها قال وما حمياها؟ قال: الركعتان الأولتان لأنهما أطول.

وقال بعضهم: تعلمت من أحاديث النبي ﷺ ثلاث أحاديث ونصفاً الأول إذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال، الثاني ليس من البر الصيام في السفر، الثالث إذا حضرت الصلاة والعشاء فابدأوا بالعشاء. ونصف الحديث: حبب إليّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب، وقد قال وجعلت قرة عيني في الصلاة.

• المُعتذِرُ لتركِهِ الصَّلاةَ

قال الأصمعي: رأيت أعرابياً في يوم بارد وقد عمد إلى أكمة فكنسها بشملته ثم توجه إلى القبلة، فقال:

إليكَ اعتذاري من صلاتي قاعداً ... على غيرِ طهر مؤمناً نحو قبلةِ
فمالي ببردِ الماء يا ربّ طاقةٌ ... ورجلاي لا تقوى على ثني رِكبتي
ولكنني أُحصيه والله جاهداً ... واقضيكهُ يا ربُّ في وجهِ صيفتي
فإن أنا لمْ أفعلْ فأنتَ مُسلّطٌ ... بما شئتَ من صَفْعي ومن نتفِ لحيتي

وقال ابن طباطبا:

وما طلت ربي بالصلاة ولم يزل ... يساهلني ربّي لحسن قضائي

• المحرّضُ على تَرْكِ الصَّلاةِ

قال بعض الخاسرين لرجل كان يأتي الصلاة من أربع فراسخ ويكري حماراً بأربعة دراهم: أنت تسير أربعة فراسخ وترجع أربعة وتضيع أربعة، وتغرم أربعة. ونظر بعض المعتزلة إلى رجل مغموم، فسأله فقال: فاتتني ركعة فقال إنما فاتك ما أدركته. وكان بعضهم يتباطأ عن الجمعة فرأى من يستعجل ويقول أخشى أن تفوتني الجمعة فقال: أنا أخشى أن أدركها.

• صَلاةُ الاستِسْقَاءِ

خرج رسول الله ﷺ فاستسقى فقلب رداءه وكان يخطب يوم الجمعة، فدخل رجل المسجد، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطع النسل فادع الله أن يغيثنا، قال فرفع ﷺ يديه وقال: اللّهم أغِثْنا اللّهم أغِثْنا.

قال أنس رضي الله عنه: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت أو دار. فطلعت سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المستقبلة **فقال**: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يمسكها عنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه **فقال**: اللّهم حوالينا ولا علينا، اللّهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الأشجار. **وقال**: فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس.

(٩)
الزكاة

●

● فَضلُ التَّصدُّقِ وَمَدْحُهُ

في الخبر: الصدقة تطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء. **وقال ﷺ**: ما تصدق أحد بصدقة إلا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل، ثم قرأ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾(١)

وقال: استنزلوا الرزق بالصدقة. وكان أهل الصفة إذا أمسوا ينطلق الرجل بالرجل والرجلين وسعد بن عبادة ينطلق بثمانين.

● التَدَاوي بالصَدَقَةِ

قال النبي ﷺ: الصدقة دواء منجح. **وقال عليه الصلاة والسلام**: حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا البلاء بالدعاء. وعاد حاتم الأصم بعض الأغنياء، فلما خرج، بعث إليه بمال، **فقال**: أهذا كان فعله في الصحة؟ فقيل: لا، **فقال**: اللهم أدم حاله هذه فإنه صلاح الفقراء.

● الحثُّ على الصدقةِ بالقليلِ

قال النبي ﷺ: اتقوا النار ولو بشق تمرة. **وقال عليه الصلاة والسلام**: لا يمنعكم من معروفٍ صغرُهُ. **وقال عليه السلام**: لا تردوا السائل ولو بظلف محرق أوصلة حبل. **وقال عليه السلام**: لا تحقروا اللقمة فإنها تعود يوم القيامة كالجبل العظيم. ثم تلا: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾(٢) **وقال عليه الصلاة والسلام**: مهور الحور العين فلق الخبز وقبصات التمر. **وقال ﷺ**: على كل مسلم صدقة. **قيل**: يا رسول الله أرأيت لو لم يجد. **قال** يعتمل بيده فينفع نفسه ويتصدق. **قيل** فإن لم يجد، **قال**: يعين ذا الحاجة الملهوف، **قيل** فإن لم يستطع، **قال** يأمر بالمعروف، **قيل**: فإن لم يستطع، **قال**: يمسك عن الشر فإن له صدقة.

---

(١) القرآن الكريم: طه/ ١٣٢.

(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٧٦.

وروي أن عائشة كانت تأكل العنب فتعرضت لها سائلة فأعطتها حبة، فقيل لها في ذلك، فقالت: إن فيها مثاقيل ذر تعني بذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾.

● **الحثُّ على إخفاءِ الصَّدقةِ**

قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(١) وقال: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾(٢) وقيل: لا خير في المعروف إذا ذُكِرَ، ولا في الصدقة إذا نُشِرَتْ. وقال عليه السلام: ثلاث من كنوز الجنة، كتمان الصدقة والمرض والمصيبة. وقال جعفر بن أبي طالب: حسن الجوار عمارة الدار وصدقة السر مثراة للمال.

● **الحثُّ على التصدُّقِ أيامَ الصِّحة**

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أي الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: أن تتصدق صحيحاً تأمل العيش وتخاف الفقر، ولا تمهل حتى إذا كانت في الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا.

● **الحثُّ على تَطْييبِ الصَّدَقَةِ**

قال النبي ﷺ: لا يقبل الله صلاة بلا طهور ولا صدقة من غلول. وقال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(٣) فلما نزلت هذه الآية قام أبو طلحة فقال: أحب الأموال إليّ بئر ماء والصدقة لله تعالى أرجو ذكرها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال عليه السلام: بخ بخ إن ذلك مال رابح أرى أن تضعه في الأقربين، وقال بعضهم:

بَنَيْتَ بما خنتَ الإمام سقايةً ... فلا شربوا إلا أمرَّ من الصَّبر
فما كنتَ إلا مثلَ بائعةٍ إستَها ... تعود على المرضى به طلب الأجر

● **مَنْ يُحِبُّ أن يتصدّق من غير مالِهِ**

قال النبي ﷺ: إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة فإن لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما اكتسب، وللخادم مثل ذلك، ولا ينقص بعضهم أجر بعض.

● **ما يَدلُّ على وُجُوبِ الزكاةِ**

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾(٥) وقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(٦) وقال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾(٧) وقال تعالى:

---

(١) القرآن الكريم: العنكبوت/ ٤٥.
(٢) القرآن الكريم: التوبة/ ١٠٥.
(٣) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٧١.
(٤) القرآن الكريم: البينة/ ٥.
(٥) القرآن الكريم: الأعلى/ ١٤.
(٦) القرآن الكريم: التوبة/ ١٠٣.
(٧) القرآن الكريم: الذاريات/ ١٩

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] **وقيل**: الكنز هو كل ما لم تؤدَّ زكاته بدلالة قوله عليه الصلاة والسلام: ما أدى زكاته فليس بكنز ولما منع الزكاة مَنْ منع من العرب. **قال عمر لأبي بكر** كيف تقاتل؟ وقد قال النبي ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله، فقال أبو بكر رضي الله عنه من حقّه أداء الزكاة والله لو منعوني عناقاً لقاتلتهم على عنقها.

- **من يجب أن تُدفع إليه الزكاة وَمَنْ لا يجوزُ دفعُها إليه**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[2] **وقال** ﷺ: إبدأ بمن تعول. **وقال** ﷺ: لا تردوا السائل ولو على فرس. وقال عليه السلام: قال رجل لا تصدقنّ بصدقة فخرج بصدقته فوقعت في يد سارق، وتصدق في اليوم الثاني فوقعت في يد زانية، وتصدق في اليوم الثالث فوقعت في يد غني فقيل له في ذلك، فساءه ذلك فأتى في منامه **فقيل**: إن الله قبل صدقتك فالزانية استعفت بصدقتك وكذلك السارق والغني اعتبر بصدقتك.

وقال أبو هريرة: أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي ﷺ: كخ كخ ليطرحها، أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة. **وقالت عائشة رضي الله عنها**: أتى النبي ﷺ بلحم فقلنا هذا مما تصدق به على فلانة، **فقال**: هو لها صدقة وهو لنا هدية.

- **فَرَضُ الإبِلِ**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ التي أمر الله بها فمن سئلها على وجهها فليعطها، ومن سئل فوقها فلا يعطه في أربع وعشرين من الإبل فما دونها الغنم، وفي كل خمس شاة فإذا بلغت خمساً وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها ابنة مخاض فإن لم تكن ابنة مخاض، فابن لبون ذكر.

وإذا بلغت ستاً وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون، وإذا بلغت ستاً وأربعين إلى ستين ففيها حقة طروقة الفحل، فإذا بلغت إحدى وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة، فإذا بلغت ستاً وسبعين إلى تسعين ففيها ابنا لبون، فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة ففيها حقّتان طروقتا الفحل.

فإذا زادت على عشرين ومائة، ففي كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة، ومن بلغت صدقته جذعة وعنده حقة، فإنها تقبل منه ويجعل معها شاتين إذا استيسر أو عشرين درهماً، فإذا بلغت صدقته الحقة وليست عنده حقة وعنده جذعة فإنها تقبل منه الجذعة ويعطيه المتصدق عشرين درهماً أو شاتين.

---

(١) القرآن الكريم: التوبة/ ٣٤.   (٢) القرآن الكريم: التوبة/ ٦١.

● **صَدَقَةُ البَقَرِ والغَنَم**

روي أن النبي ﷺ أمر معاذاً أن يأخذ من ثلاثين تبيعاً ومن أربعين مسنة. وروي أنه أتي بدون ذلك فلم يأخذه **وقال**: لم أسمع من رسول الله ﷺ فيه شيئاً حتى ألقاه فأسأله. فتوفي رسول الله ﷺ قبل أن يقدم معاذ.

وقال عليه السلام: ليس في الغنم صدقة حتى تبلغ أربعين، فإذا بلغتها ففيها شاة ولا شيء في زيادتها حتى تبلغ مائة وإحدى وعشرين، فإذا بلغتها ففيها شاتان وليس في زيادتها شيء حتى تبلغ مائتين وشاة، فإذا بلغتها ففيها أربع شياه ثم في كل مائة شاة.

وقال عمر رضي الله عنه: اعتد عليهم بالسخلة يروح بها الراعي ولا تأخذها ولا تأخذ الأكولة ولا الربي ولا الماخض ولا فحل الغنم وخذ الجذعة والثنية. وقال النبي ﷺ لمعاذ: إياك وكرائم أموالهم.

● **صَدَقَةُ الخلِيطينِ**

في الحديث لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة. وما كان في الخليطين فإنهما متراجعان بالسوية، معناه لا يفرق بين ثلاثة خلطاء في عشرين ومائة شاة فإنما عليهم شاة وإذا كانت لثلاثة كان فيها ثلاث شياه ولا يجمع بين متفرق رجل له مائة شاة ورجل له مائة شاة فإذا تركتا متفرقتين ففيهما شاتان وإذا جمعتا ففيهما ثلاث شياه. فخشية الساعي أن تقل الصدقة وخشية رب المال أن تكثر فأمر كلاً.

وفي حديثه عليه الصلاة والسلام: لا أخلاط ولا وراط. ومن أحبى فقد أربى وكل مسكر حرام.

● **وُجُوبُ الزَّكاةِ في مالِ اليتيمِ لا المُكاتبِ**

قال النبي ﷺ: اتجروا في مال اليتيم لا تأكله الصدقة. وروى جابر عن النبيّ ﷺ: لا زكاة في مال المكاتب وهو عبد ما لم يؤدِ كتابته بدلالة قوله ﷺ المكاتب عبد ما بقي عليه درهم.

● **تعجيلُ الزكاة**

رُوي أن العباس استأذن النبي ﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تحل، فأذن له وشكوا خالداً والعبّاس وابن جميل **فقال**: أما العباس فإنا قد أسلفنا منه صدقة العام والعام المستقبل. وروي أنه عليه الصلاة والسلام استسلف بكراً من الصدقة.

● **ما لا تجِبُ فيه الزَّكاةُ**

قيل: لا تجب في عوامل الإبل صدقة بدلالة قول النبي ﷺ في سائمة الغنم زكاة، فدلالة خطابه دل أن لا زكاة في علوفتها. **وقال عليه السلام**: ليس في الكسعة ولا في الجبهة ولا في النحة صدقة. والأفراس عند الشافعي رضي الله عنه لا تحب فيها الزكاة،

وعند أبي حنيفة تلزم في إناثها ويستدل أن عمر رضي الله عنه جمع الصحابة واستشارهم حتى كتبوا إليه في الشأم أن أخرج المصدقين إليها فأوجب في كل فرس ديناراً. وروى أصحابه عن النبي ﷺ أنه **قال**: في كل فرس سالم دينار وليس في المرابطة شيء.

• زَكَاةُ الحُبوب والثمار

قال الله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[1] وروي أن رسول الله ﷺ أخذ الصدقة في الحنطة والشعير والذرة، وقال عليه السلام: فيما سقت السماء العشر. فلم يعتبر أبو حنيفة القدر وأوجب في القليل والكثير. والشافعي خصص هذا الخبر بقوله عليه السلام: ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة فلم يوجب فيما دونها، وأما الخضراوات فقد أوجب أبو حنيفة رحمة الله عليه في جميعها الزكاة، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾. ومنع من إيجابه الشافعي استدلالاً بقول النبي ﷺ: ليس في الخضراوات صدقة.

• خرصُ النّخلِ والكَرْم

قال النبي ﷺ لليهود حين افتتح خيبر: ما أقركم إلا على أن التمر بيننا وبينكم؟ وكان يبعث عبد الله بن رواحة فيخرص عليهم ثم يقول: إن شئتم فلكم وإن شئتم فلي فكانوا يأخذونه. **وقال عليه السلام في زكاة الكرم**: تخرص كما تخرص النخل ثم يؤدي زكاته زبيباً كما يؤدي زكاة النخل تمراً وقال أبو حنيفة: لا يعتبر الخرص بدلالة ما روى جابر أنه نهى عن الخرص وعن المزابنة وهي بيع الثمار على رؤوس النخل بخرصه تمراً.

• زكاة الذّهبِ والفِضّةِ والعَرْضِ

قال النبي ﷺ: ليس فيما دون مائتي درهم شيء فإذا بلغت مائتي درهم ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه. **وقال عليه السلام** في الرقة ربع العشر، فأما الحلى فقد اختلف فيه. وروي أن النبي ﷺ قال لامرأتين معهما حلى: أديا زكاتهما، وأنه **قال**: في الحلى زكاة. وروي عنه أنه **قال**: زكاة الحلى إعارتها.

وقال حماس: مررت على عمر بن الخطاب وعلى عنقي أدمة أحملها **فقال**: ألا تؤدي زكاتك يا حماس؟ فقلت: يا أمير المؤمنين مالي غير هذه راهت في القرظ. **فقال**: ذاك مال فضع فوضعتها بين يديه فوجدها قد وجب فيها الزكاة فأخذها منها.

• زكاةُ الفِطرِ

روى ابن عمر أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على كل حر وعبد ذكراً وأنثى من المسلمين.

---

(١) القرآن الكريم: آل عمران/ ٩٢.

(١٠)

ومِمَّا جاءَ في الصَّوْمِ

• وجُوبُ الصَّوْم

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[1] الآية وقال: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[2] **وقال رجل للنبي ﷺ** أخبرني بما فرض الله من الصيام **قال**: شهر رمضان إلا أن تتطوع.

• فَضْلُ شَهْرِ رَمَضَانَ والصَّوْمِ

قال النبي ﷺ: من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر غُفر له ما تقدم من ذنبه. **وقال ﷺ**: إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين. **وقال عليه السلام**: يا معشر الشبان من استطاع منكم الباءة[3] فليتزوج فإنه أغضّ للبصر وأعف للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له.

وقال ابن عباس: ما صام رسول الله ﷺ شهراً كاملاً قط غير رمضان وكان يصوم إذا صام حتى يقول القائل لا يفطر، ويفطر حتى يقول القائل لا يصوم.

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: أخبروا النبي ﷺ إني أقول لأصومن النهار ولأقومن الليل ما غشت، **فقال عليه السلام**: إنك لا تستطيع ذلك، فصم وافطر ونم وقم وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر، **فقلت**: إني أطيق أكثر من ذلك **قال**: فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود وهو أعدل صيام فقلت إني أطيق أكثر من ذلك فقال عليه السلام: لا أفضل من ذلك.

• النِّيَّةُ في الصَّوْم

قال النبي ﷺ: لا صيام لمن لم يبيت النية من الليل وروي من لم ينو الصوم قبل الفجر فلا صوم له. **وروي** أنه بعث إلى أهل العوالي وقد تعالى النهار إن من أكل فليمسك ومن لم يأكل فليصم. وتجوز النية للمتطوع في النهار عند الشافعي واستدل بأن النبي ﷺ دخل على بعض أزواجه **فقال**: هل عندكم غداء فقالوا لا، **فقال**: إني إذاً صائم.

• صَوْمُ عاشوراء

روى ابن عمر أن النبي ﷺ أمر بصوم عاشوراء إلى أن فُرض رمضان، وروي أن

---

(١) القرآن الكريم: طه/ ١٣٢. (٢) القرآن الكريم: البينة/ ٥. (٣) الباءة: المنزل، والباءة المحيط.

معاوية دخل المدينة فخطب **فقال**: أين علماؤكم؟ سمعت النبي ﷺ **يقول**: ما كتب الله عليهم صيامه فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر.

• نَفْعُ الصَوْمِ وَثَوابُهُ

سئل أبو عبد الله بن الحسين رضي الله تعالى عنه عن الصوم لِمَ أوجبه الله تعالى؟ **فقال**: ليجد الغني الجوع فيعود بالفضل على الفقير وعن ابن مسعود رضي الله عنه: للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وحدّث مجاهد: أيما رجل أكل عنده وهو صائم صلت عليه الملائكة ما دام ذلك الطعام يؤكل عنده. وعن رسول الله ﷺ: لا يصوم العبد يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه من النار خريفاً.

• رُؤْيَةُ هِلالِ رَمَضانَ

قال ﷺ: صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم الهلال فعدوا ثلاثين. **وقال ابن عمر رضي الله عنهما**: تراءينا الهلال فرأيته فأخبرته ﷺ فصام وأمر الناس بالصيام. **وقال ابن عباس رضي الله عنهما**: تراءينا الهلال على عهد رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فشهد عنده أنه رأى الهلال، **فقال له رسول الله** ﷺ: أتشهد أن لا إله إلا الله وتمامه، **فقال**: نعم، **فقال**: يا بلال نادِ في الناس أن يصوموا غداً.

وفي خبر آخر: لأن أصوم يوما من شعبان أحب إليّ من أن أفطر يوماً من رمضان وروي أنه كان يقبل في هلال رمضان شهادة الواحد ولا يقبل في شهادة شوال إلا عدلين. وأتى رجل في زمن عمر رضي الله عنه فشهد أنه رأى الهلال **فقال**: بأي عينيك رأيت الهلال؟ قال بشرهما وهي الباقية لأن الأخرى ذهبت مع النبي ﷺ في بعض غزواته، فأجاز شهادته.

• كَراهَةُ رؤْيَتِهِ

نظر مخنث إلى قمر رمضان فقال أرانيك الله بالسل، فأخذه ابن المعتز فقال:

يـا قـمـرا قـد صـارَ مـثـلَ الـهـلالِ ... مـن بـعـدِ مـا صـيّـرنـي كـالـخِـلالِ

الـحـمـدُ لله الـذي لـم أمُـتْ ... حـتـى أرانـيـك بـداء الـسـلالِ

وطلبوا يوماً هلال رمضان **فقال لهم أبو مهدية**: كفوا فما طلب أحد عيباً إلا وجده. وصعد قوم لطلب هلال رمضان فلم يروه فلما أرادوا الانصراف رآه صبي فأراه القوم **فقال له بعضهم**: بشر أمك بالجوع المضني. وقيل لرجل: أما تنظر إلى الهلال **فقال**: ما أصنع به؟ محل دين ومقرب حين ومؤذن بالجوع.

● **ما يُستَحبُ للصَائِمِ تَجنُبُه**

قال النبي ﷺ: الصيام جنة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم. **وقال ﷺ**: من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فلا حاجة لله أن يدع طعامه وشرابه.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقبّل وهو صائم ويباشر وهو صائم وكان أملككم لإربه.

● **ما يُفسِدُ الصَومَ والكافرةُ المتعلّقة بإفطارِه والرُخصَةَ فِيه**

قال النبي ﷺ: من ذرعه القيء لم يقض، ومن استقاء عامداً فليقض. وروي أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ **فقال**: هلكت وأهلكت فقال ما أهلكك؟ **قال**: واقعت امرأتي في نهار رمضان وأنا صائم، **فقال**: أعتق رقبة، **فقال**: لا أستطيع، **فقال**: صم شهرين متتابعين. **قال**: لا أستطيع، قال فأطعم ستين مسكيناً. **قال**: لا أستطيع. فأتى النبي ﷺ بعرق من تمر فيه ثلاثون صاعاً **فقال**: تصدّق به، **فقال**: ليس بين لابتيها أحوج إليه مني فقال ﷺ: كله أنت وعيالك. **وقال**: من أكل أو شرب في نهار رمضان ناسياً فلا قضاء عليه ولا كفارة، وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾(١)

وقال ﷺ في المرضع: إذا خافت على ولدها أفطرت ولزمها نصف صاع. وروى بعضهم إذا سافرنا مع النبي ﷺ في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يعير المفطر على الصائم ولا الصائم على المفطر.

● **ما يَفعَلُ عن نسيان في الصوم مما يُنَافيه**

قال النبي ﷺ: من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه. ومن النوادر في ذلك ما روي أن أبا هريرة أتاه رجل **فقال**: دخلت داراً فأطعموني ولم أدر **فقال**: الله أطعمك وسقاك، **قال**: ثم دخلت داري فجامعت، فقال ليس هذا فعل من تعوّد الصيام. وسئل عكرمة عن القبلة للصائم فقال هي كالخبز إذا وضعته على فمك.

● **الوقتُ المُنهى عنِ الصومِ فيه**

نهى النبي ﷺ عن صوم يوم الفطر ويوم النحر وأيام التشريق. **وقال أيضاً**: ليس من البر الصيام في السفر. **وقال**: من صام في السفر فلا صام ولا أفطر. وهذا على مذهب الإمام أبي حنيفة، فأما الشافعي فمذهبه أنه مخير بين أن يصوم أو يفطر.

وروي أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال لرسول الله ﷺ: أصوم في السفر، **فقال**: إن شئت فصم وإن شئت فافطر. **وقال أنس رضي الله تعالى عنه**: سألت رسول الله ﷺ أصوم

---

(١) القرآن الكريم: البينة/ ٦١.

يوم الجمعة فلا أكلم أحداً، فقال: لا تصم يوم الجمعة إلا في أيام هو أحدها أو في شهر، ولأن تتكلم تأمر بمعروف وتنهى عن منكر خير من أن تسكت.

• النَهْيُ عن المُوَاصَلَةِ

قال النبي ﷺ: لا تواصلوا، قالوا: إنك لتواصل. قال: إني لست كأحد منكم إني أطعم وأسقي.

• إباحةُ الأكلِ والجُماعِ في لَيالي الصوْم

كان أصحاب النبي ﷺ إذا كان أحدهم صائماً فنام قبل أن يفطر لم يأكل إلى مثلها. وإن قيس بن صرمة كان صائماً وكان يومه ذاك يعمل في أرضه، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال: هل عندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك. فغلبته عيناه فنام فجاءته امرأته فلمّا رأته قالت: قد نمت، وذكر للنبي ﷺ فنزل قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[١] إلى قوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ. .﴾[٢] الآية.

وقال عدي بن حاتم: لما نزلت هذه الآية عمدت إلى عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر إليهما، فلما تبين لي الأبيض من الأسود تركت الأكل، فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: إن كان وسادك لعريضاً إنما ذاك بياض النهار وسواد الليل. وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: من أصبح جنباً أفطر ذلك النهار. فسألتُ عائشة عن ذلك فقالت: ليس كما قال، أشهد أن الرسول ﷺ إن كان ليصبح جنباً من جماع غير احتلام، ثم يصوم ذلك اليوم، ثم سئلت أم سلمة فقالت كقول عائشة، فلما رجع أبو هريرة قال: لا علم لي إنما أخبرنيه مخبر. وبعض الأخبار أنه قال أخبرنيه الفضل بن العباس.

• ما يتَقَوّى به على الصَوْمِ

قيل لرجل: كيف تقدر على الصوم في هذا الحر؟ فقال: من عرف قدر ما يسأله هان عليه ما يبذله. وقيل: قوام الصوم بثلاث من أطاقهن فقد ضبط الصوم: من تسحر وقال وأكل قبل أن يشرب وقيل: لا يقوى على الصوم إلا من كبر لقمه وطاب أدمه.

• التَسَحُرُ والإفطَارُ

في الخبر: من السنّةِ تعجيلُ الإفطار وتأخيرُ السحور. وقال ﷺ: لا تزال الناس بخير ما عجلوا الفطر. وقال أيضاً: تسحروا فإن في السحور بركة.

---

(١) القرآن الكريم: الأنعام/١٤١. (٢) القرآن الكريم: البقرة/١٨٣.

- **الرّخصةُ في الإفطارِ عن التطوّع**

روي أن رسول الله ﷺ آخى بين سلمان وأبي الدرداء. فرأى سلمان امرأة أبي الدرداء صيدلة، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: إن أخاك أبا الدرداء يقوم بالليل ويصوم بالنهار وليس له في شيء من الدنيا حاجة، فجاء أبا الدرداء فرحب به وقرب إليه طعاماً فقال له سلمان: أطعمه قال: إني صائم قال: أقسمت عليك لتفطرن، فقال ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل معه.

ثم بات عنده فلما كان من الليل أراد أبو الدرداء أن يقوم فسمعه سلمان فقال إن لجسدك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، صم وافطر وصل وَأْتِ أهلك، وأعط كل ذي حق حقه. فلما كان وجه الصبح قال له: قم الآن إن شئت فقام وتوضأ ثم ركعا وخرجا إلى الصلاة، فدنا أبو الدرداء ليخبر رسول الله ﷺ بالذي أمره سلمان، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا الدرداء إن لجسدك عليك حقاً على ما قال سلمان.

- **المَسَرةُ بإتيانِ الصَوْمِ**

قال شاعر:

جاءَ الصيامُ فجاء الخيرُ أجمعُهُ ... ترتيلُ ذكرٍ وتحميدٌ وتسبيحُ
فالنفسُ تدأبُ في قولٍ وفي عمل ... صومُ النهارِ وبالليل التراويحُ

- **أدعيةُ الصَوْمِ**

كان ﷺ يقول في شهر رمضان: اللّهم سلمه لنا وتسلمه منا. وكان الربيع بن خيثم يقول: الحمد لله الذي أعانني فصمت ورزقني فأفطرت. وقال النبي ﷺ اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت.

- **التبرّمُ بالصومِ في غَيْرِ رَمَضان.**

قيل لأعرابي: ألا تصوم البيض؟ قال: دعني منها فبين يديها ثلاثون كأنها القباطي. وقيل لزيد: صوم يوم عرفة يعدل صوم سنة فصام إلى الظهر وقال يكفيني ستة أشهر فيها رمضان.

- **التبرّمُ بشهرِ رَمَضَان**

أسلم مجوسي فأطلّ عليه شهر رمضان فعجز عن الصوم. فقيل له: كيف ترى الإسلام فقال:

وجدنا دينَكم سهلاً علينا ... شرائعُه سوى شهر الصيامِ

وقال ابن الرومي:

شهرُ الصيام وإن عظُمتْ حُرمتُهُ ... شهرٌ ثقيلٌ بطيءُ السيرِ والحَرَكَة

يا صدقَ من قال أيامُ مباركةٌ ... إن كان يُكنى عن إسم الطولِ بالبَرَكة

وقال آخر:

الغوث من شهر الصيام ... إذا صارَ لي مثلَ اللجام
ما إن أمتَّع بالطعا ... م وبالمدام وبالغلام

وقال بعض الكتاب:

ثقُلَ الصومُ علينا ... أثقل الله عليه
زارني بالأمس خلٌ ... كنت مشتاقاً إليه
فمضى لم أقض منه ... حاجة كانَتْ لديه

● المسَّرةُ بانقضاءِ شهرِ رَمَضَان

قال أبو علي البصير:

أقولُ لصاحبي وقد بدَا لي ... هلالُ الفطر من خلل الغمامِ
غداً نغدو إلى ما قد ظمئنا ... إليه من المدامة والغلامِ
ونسكر سكرة شنعاءَ جهْرا ... وننقر في قفا شهر الصيامِ

وقال أبو نواس:

مَنَّ شوالٌ علينا ... وحقيقٌ بامتنانِ
جاءَ بالقصْف وبالعز ... فِ وتغريدِ القِيانِ[(١)]
أوفى الأشهـ ... ـر لي أبعدُها من رمضان

وقال السريّ:

تصرّم شَهرُ الصوم شهر الزلازل ... وشال به شوال شهر الفضائل
ولاح هلالُ الفجر نِضواً كأنه ... سنان لواه الطعن في رأس عامل
ودارت علينا الراح بين أهلّة ... تضيء وأغصان رطاب موائل[(٢)]
فرحنا وفي أجسامِنا سحرُ بابل ... يدبّ وفي أيمانا خمر بابل

● التجَاسُرُ على رُكُوبِ المَعَاصي في رَمَضَان

حكى بعض الناس أن ديك الجن رآه يوماً في شهر رمضان. **فقال له**: هل لك في

---

(١) **القصف**: الإعلان باللهو ـ **تغريد القيان**: غناء المغنيات

(٢) **الراح**: الخمر ـ **أغصان رطاب**: لينة وناعمة.

سكباجة وشواء حنيذ وخمر صافية وغلام غرير يلهينا، فقلت: أفي هذا الوقت؟ فقال: أي والله، فأزريت به وأعرضت عنه، فقال:

وحياة ظبيي لم أصم عن ذكره ... إلا عضضتُ تندماً إبهامي
لا شافهنّ من الذنوب عظامها ... ينقد عنها جلدُ كلِّ صيام

قال الخبزارزي:

أرى لي في شهر الصيام إذا أتى ... ليالي عيارٍ وأيام عابد[1]
أناسٌ بعلات الصيامِ تفرّجوا ... وكانت أمور باعتلال المساجد

صام أعرابي رمضان فلما اشتد به أفطر فقالت ابنته: ألا تصوم يا أبت؟ فقال:

أتأمرني بالصومِ لا دُرّ درُّها ... وفي القبر صومٌ يا أميمَ طويل

وقال:

طالَ ما عذبنا الصو ... مُ وقراء المصاحِف

• نَوَادِرُ تارِك صوم رَمَضَان

قدم أعرابي إلى الوالي، فقيل له: إنه أفطر رمضان، فقال الأعرابي: إن الله يعلم أني صائم ولكني وجدت حماوة فؤادي فأردت أن أفثأها بشربة. وأسلم مجوسي يقال له مرزبان فأظله رمضان حار، فعجز عن الصوم فتناول خبزاً واستتر في بيت يأكله، فرآه بعض أصحابه فقال له: من أنت؟ قال: أنا مرزبان آكل خبز نفسي من شؤمي في خفية. وقيل في مجلس عضد الدولة: إن الشيعة تعقد الصوم قبل وجوبه بيوم، وتخرج منه قبل رؤية الهلال بيوم. وأهل السنة يعقدونه برؤية الهلال ويفارقونه. فقال: إنا نتسانن عند الدخول فيه ونتشيع عند الخروج منه ليحصل لنا يومان يوم من أوله ويوم من آخره.

• الإعتكافُ

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾[2] وكان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر. وقال: التمسوها في العشر الأواخر يعني ليلة القدر. وكان إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر.

وقال عمر: يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن اعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال عليه السلام: أوفِ بنذرك.

---

(١) ليالي عيار: العيار وعيارُ الشيء ما جعل قياساً ونظاماً.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ١٨٧.

وَمِمَّا جَاءَ في الحجِّ والعُمْرَةِ

●

● وجوب الحج والعمرة

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1] وقال ﷺ: الإستطاعة الزاد والراحلة. وقيل: لما أهبط آدم إلى الأرض أمره الله تعالى بحج البيت. وفي رواية أن الملائكة لقيت آدم بمكة عند باب زمزم فهنأنه على ذلك، وقالت له: يا آدم برّ حجك، فلقد حججناه قبلك بألفي عام. ثم أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بالآذان بالحج فقال: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[2] الآية. فقال إبراهيم وأين يبلغ ندائي؟ فقال الله تعالى: عليك النداء وعلينا الإبلاغ فوقف إبراهيم على أبي قبيس أو بين البيت والمقام، فنادى فأجابه من في أصلاب الرجال وأرحام النساء. وقال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[3] وقال ﷺ: من وجد زاداً وراحلة وأمكنه الحج ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً. **وقال**: حجوا قبل أن لا تحجوا. **وقال**: حجة مبرورة لا ثواب لها إلا الجنة. **وقال**: علامة الحجة المبرورة أن يكون صاحبها بعدها خيراً منه قبلها. **وقال**: الحج والعمرة فريضتان.

● فضلُ الحج

قال النبي ﷺ: من مات في هذا الطريق جائياً أو ذاهباً لقيه الله تعالى يوم القيامة ولم يحاسبه وأدخله الجنة. **وقال**: ما من أحد جاء يؤم البيت العتيق فركب بعيره ألا لم يرفع البعير خفاً إلا كتبت له به حسنة ومحيت عنه سيئة. **وقال**: من حج هذا البيت أو اعتمر فلم يرفث ولم يفسق كان كمن ولدته أمه. **وقال**: من حجّ وعليه دين قضى الله دينه.

واستأذن رجل الجنيد في الحجّ **فقال**: جرّد قلبك من اللهو ونفسك من السهو ولسانك من اللغو.

● فَضِيلَةُ العُمْرَةِ

قال النبي ﷺ: العمرة إلى العمرة كفّارة ما بينهما. **وقال**: عمرة في رمضان تعدل حجة. **وقال ابن عبّاس**: كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض، ويجعلون المحرم صفر. ويقولون إذا وبر الوبر وعفا الأثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر.

---

(١) القرآن الكريم: آل عمران/ ٩٧. (٢) القرآن الكريم: الحج/ ٢٧. (٣) القرآن الكريم: البقرة/ ١٩٦.

فلما قدم النبي ﷺ صبيحة رابع مهل ذي الحجة، أمرهم أن يحلوا، فتعاظم ذلك عندهم فقالوا: يا رسول الله أي الحل؟ قال: الحل كله وقال أيضاً: لولا أني سقت الهدى لفعلت مثل الذي أمرتكم ولكن لا أتحلل من حرام حتى يبلغ الهدي[1] محله.

● النِيابةُ في الحجّ

روي أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن فريضة الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع إن يستمسك على راحلته، فهل ترى أن أحج عنه؟ فقال: نعم، قالت: أفينفعه ذلك، قال: أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته أما كان ينفعه؟ قالت: نعم فقال ﷺ: ودين الله أحق أن يُقضى.

وروى ابن عباس: أن النبي ﷺ سمع رجلاً يلبي عن شبرمة فقال: ومن شبرمة؟ قال: أخ لي أو قريب لي، قال: وهل حججت عن نفسك؟ قال: لا قال: هذه عن نفسك ثم حج عن شبرمتك.

● كَيفِيَّةُ حُجّةِ النّبي ﷺ

اختلفت الصحابة في حجّ النبي ﷺ فمنهم من قال أفرد، ومنهم من قال قرن، ومنهم من قال تمتّع. والصحيح هو الأول عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لما روى جابر أن النبي ﷺ مكث تسع سنين لم يحجج، ثم أذن في الناس بالحج، فخرج وأحرم ﷺ ينتظر القضاء، ولم ينو أحد بهما فلما دخلنا مكة وسعينا بين الصفا والمروة نزل عليه القضاء بأن من ساق الهدى فليقم على إحرامه، ومن لم يسق فليجعلها عمرة.

وروى أنس رضي الله عنه أنه قرن، فقال نافع: دخلت على ابن عمر فأخبرته بما قال فقال: رحم الله أنساً، إن أنساً كان يتولج على النساء متكشفات الرؤوس لصغره في ذلك الوقت وأنا كنت تحت ناقة رسول الله ﷺ يصيبني لغامها أسمعه يلبّي بالحج، وقال ﷺ: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة.

● الإهلالُ بالحجّ وتقبيلُ الحَجَرِ والوُقوفُ بِعَرَفَة

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: ما بر الحج قال: العج والثج، فالعج الإهلال والثج النحر، وقال ﷺ إن الله يحب الشعث الغبر والثجاج والعجاج. وكان عمرو بن معد يكرب يقول: الحمد لله لقد رأيتنا من قريب ونحن إذا حججنا نقول:

لبيكَ تعظيماً إليك عمرا ... نغدو بها مضمرات شزرا[2]
قد تركوا الأوثان خلواً صفرا

---

(١) الهديّ: ما أهدي إلى الحرم من النَعَم.

(٢) مضمرات: من أضمر الفرس صيّره ضامراً ومدّة التضمير أربعون يوماً ـ شزراً: أي نظر إليه بجانب عينه مع إعراض.

ونحن نقول اليوم كما علمنا النبي ﷺ: لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. وأتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحجر فقبله **وقال**: إني أعلم أنك حجر أسود لا تضرّ ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. وقال عروة بن مضرس رأيت النبي ﷺ وهو يجمع **فقلت**: يا رسول الله إني جئت من جبلي طيء، لم أدع جبلاً إلا وقفت عليه فهل لي من حج فقال ﷺ: من صلى هذه الصلاة معنا وقد وقف قبل ذلك بعرفة من ليل أو نهار فقد تم حجه وقضى تفثه[1]

● دخولُ البيتِ والخروجُ مِنهُ

لا يجوز لأحد دخول الحرم إلا محرماً إلا الحطابين والرعاة، وحُرّم على المشركين دخول الحرم. **وقال البراء**: كانت الأنصار إذا حجوا فرجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها فجاء رجلا فدخل من بابه فقيل له في ذلك فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[2]

● السّعيُ والطَّوافُ

قال عروة: قلت لعائشة رضي الله عنها أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾[3] (الآية) ما على أحد جناح أن لا يطوف بهما قالت: بئسما قلت، يا ابن أختي، لأنها لو كانت على ما أولتها عليه لكانت أن لا يطوف بهما ولكنما أنزلت هذه الآية إن هذا الحي من الأنصار كانوا قبل أن أسلموا يتحرجون أن يطوفوا بالصفا والمروة فلماأسلموا سألوا رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية، ولما قدم النبي ﷺ وأصحابه وقد وهنتهم حمى يثرب، **فقال المشركون**: قدم عليكم قوم قد وهنتهم الحمى فقعد لهم المشركون فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة فصار ذلك سنة.

● ما يَجِبُ للمحرَمِ تجنّبُهُ

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾[4] ورأى النبي ﷺ أعرابياً متضمخاً بالخلوق فقال ﷺ: إنزع الجبة واغسل الصفرة، وكان ﷺ يتطيب لإحرامه. وروي أن النبي ﷺ نهى النساء عن القفازين والنقاب ومس الورس والزعفران.

وقال ﷺ: لا ينكح المُحرِمِ ولا يُنكح. وحرم الله تعالى الصيد على المحرم في حال الإحرام، وأوجب فيه كفارة فقال تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[5]

---

(١) **قضى تفثه**: تفث تفثا علاه التفث وهو التلطخ بالدم والوسخ، وقضى تفثه أي أزاله وذلك أثناء أداء الحج.

(٢) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٨٩.

(٣) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٥٨.

(٤) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٩٦.

(٥) **القرآن الكريم**: المائدة/ ٩٥.

● الرَّمْي والحَلْق

روى ابن عباس **قال**: قدمنا رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة أغيلمة بني المطلب على جمرات العقبة، وجعل يلطح أفخاذنا ويقول: أبنيّ لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس.

وقال ابن عمر: وقف رسول الله ﷺ بمنى في حجة الوداع للناس يسألونه، فجاءه رجل **فقال**: يا رسول الله نحرت قبل أن أرمي، **فقال**: إرم ولا حرج. **قال**: فما سئل يومئذ عن شيء قدم أو أخر إلا قال إفعل ولا حرج.

● حَرَمُ مكةَ والمَدينةِ

قال رسول الله ﷺ: من قطع شجرة من الحرم صوّب الله رأسه في جهنم. **وقال يوم فتح مكة**: إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا ينفر صيده ولا يعضد شوكة ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلي خلاه ولا يحل فيه القتال لأحد من بعدي. ولم يحلل إلا ساعة من نهار.

وقال ﷺ: صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فيما سواه. **وقال عليه الصلاة والسلام**: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدكم هذا والمسجد الأقصى. وحرم ما بين لأبتي المدينة ونهى عن الصيد فيه.

وقال: من أخذ رجلاً يصيد فيه فله سلبه وسلب سعد بن أبي وقاص. من رآه يصيد في حرم المدينة فكلموه فيه، **فقال**: لا أرد عليكم طعمة أطعمنيها الله، ولكن إن شئتم أعطيتكم ثمن سلبه.

● زِيارةُ قَبرِه ﷺ

قال رسول الله ﷺ: من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة. **وقال**: من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ من البعد سمعته.

● إباحَةُ المُبايَعَةِ وَكَراهتُها للحُجَّاج

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ذو المجاز وعكاظ متجر الناس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1] **وقالوا**: ما حج ولكن دج أي خرج للتجارة، وقيل فلان حاج أو داج.

وقال الفضيل رحمه الله: وضعت مكة للعبادة والتوبة والحج والعمرة والزهادة

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/١٩٨.

وأعمال الآخرة ولم توضع للتجارة، ولا يغرنك أقوام اتخذوا فيها حوانيت ويقولون نحن مجاورون وقد أعياهم الكسب في بلادهم فصاروا فيها تجاراً، كذبوا ما هم بمجاورين إنما المجاور من هو مقيم بها للعبادة وعمل الآخرة، فينفق من فضل الله ما آتاه لله ولا يكسب فيها ولا يشغل نفسه بالكسب فيها، ولأن ترجع إلى بلدك فتشتري به وتبيع وتحج في كل عشرين سنة أحب إليّ من أن تكون مقيماً بمكة تحج وتعتمر كل سنة وتبيع وتشتري فيها.

● **دخولُ الباديةِ بلا راحلةٍ ولا زادٍ**

قال علي بن الموفق، وكان من كبار الصوفية متحققاً مجتهداً: حججت ستين سنة فكنت سنة في محملي، فرأيت رجالة، فأحببت أن أمشي معهم، فنزلت ومشيت وتقدمت الناس ثم عدلنا إلى الطريق فَنِمْتُ فرأيت في المنام جواري لم أر كحسنهنَّ، معهن طسوت من ذهب وأباريق، فأقبلن على أولئك المشاة يغسلن أرجلهن حتى بقيت فأرادت واحدة أن تغسل رجلي، فقالت لها أخرى: ليس ذا منهم، هذا له محمل. **فقالت**: بلى أحبُّ أن يماشيهم فغسلت رجلي فذهب عني كل تعب.

وسئل الجلاء عن رجال يدخلون البادية بلا زاد **فقال**: هم رجال الحق. قيل: فإن هلك أحدهم **قال**: الدية على العاقلة.

وقال بنان الحمال: دخلت بادية تبوك فاستوحشت، فهتف بي هاتف نقضت العهد تستوحش. أليس الحبيب معك؟ وقيل لبعضهم: أتدخل البادية بلا زاد؟ **فقال**: إن معي زادي وهو التقوى، أليس الله **يقول**: وتزودوا فإن خير الزاد التقوى. وأما الفقهاء فقد كرهوا ذلك لقول الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.

● **يَوْمَ النَحْرِ**

وقف رسول الله ﷺ بين الجمرتين بمنى في الحجة التي حج، وذلك يوم النحر، **فقال**: هذا يومُ الحج الأكبر. **وقال** ﷺ: أفضل الأيام عند الله تعالى يوم النحر.

● **الأضحيةُ**

روي أن النبي ﷺ ضحّى بكبشين أملحين أقرنين، يهلل ويكبر ويسمّي، **وقال**: البدنة عن سبعة. والبقرة عن سبعة. **وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه**: أمرنا النبي ﷺ أن نستشرف العين والأذن ولا نضحي بعوراء ولا مقابلة ولا مدابرة ولا شرقاء ولا خرقاء، فالمقابلة التي يقطع طرف أذنها والشرقاء التي تشق أذنها. والخرقاء التي تخرق أذنها ونهى النبي ﷺ عن المصفرة والمستأصلة والبخقاء والمشيعة، فالمصفرة التي تستأصل أذنها حتى يبدو صماخها، والمستأصلة المقدودة من أصلها والبخقاء التي تبخق عينها والمشيعة التي لا تزال تتبع الغنم عجفاً وضعفاً والكسراء الكسيرة.

● مَن تَعاطى الخِسارةَ بِعلَّةِ الحجّ

قال أبو علي البصير:

أتـينـا بـعـدَكُـم مـكـ ـةَ حـجَّـاجـاً وعُـمَّـارَا
فـلـمـا شـارفَ الـحـيـر ةَ حـادي إبـلٍ حَـارَا
فـقـلـتُ أحـطـط بـهـا الـرحـلا ولـم أحـفـلْ بـمـن سـارَا
وجـدْنـا عُـهُـوداً أخـلـقَـتْ مـنّـا وآثـارَا
فـصـادفْـنـا بـهـا دَيْـراً وبـسـتـانـاً وخَـمَّـارَا
وظَـبْـيـاً عـاقـداً بـيـن الـنـ ـقـا والـخـصـر زُنَّـارَا
إذا جـاذبـتَـه حـارا وإن حـاكـمْـتَـه جـارَا
كـشـفْـنـا لـك أخـبـاراً ودامـجـنـاك أخـبـارَا

وقال أبو نواس:

ألـم تـرنـي ومـوسـى قـد حـجَـجْـنـا وكـانَ الـحـجُّ مـن خـيـرِ الـتـجـارَه
فـآبَ الـنـاسُ قـد بـرّوا وحـجّـوا وأبْـنـا مـوقَـريـن مـن الـخـسـارَه

(١٢)

ومِمَّا جاءَ في الأدْعِيَةِ

●

● الحَثُّ على الإستغفارِ

قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ وقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾(١) ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢) وقال ﷺ: افصلوا بين حديثكم بالاستغفار، **وقال**: الإستغفار ممحاة للذنوب. **وقال**: لكل داء دواء ودواء الذنوب الإستغفار. **وقال مالك بن أنس**: كنا عند جعفر بن محمد فدخل سفيان الثوري **فقال له**: حدثني رحمك الله **فقال**: يا أبا عبد الله قد أكثرت من الحديث وكثرة الحديث تخبل. أعلمك ثلاثاً هن خير لك من مال كثير. يا سفيان إذا أنعم الله عليك نعمة فأكثر من الحمد لله فإن الله تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(٣)، وإذا قلّت نفقتك فعليك بالإستغفار، فإنه يزيدك من المال والولد والنعمة. قال الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾(٤) وإذا اشتد بك كرب فعليك بلا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز

---

(١) القرآن الكريم: نوح/ ١٠.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ١٩٩.
(٣) القرآن الكريم: إبراهيم/ ٧.
(٤) القرآن الكريم: نوح/ ١٠، ١١.

الجنة فجعل سفيان يقولها ويعدها في يده ثلاثاً وأي ثلاث، فقال جعفر: قد والله عقلها وفهمها.

• الحثُ على حِفْظِ مَعنى الإستغفارِ ومُراعاتِه دُون التَّفوُه بِهِ

قال أبو عبد الرحمن المقري: سمعني سوار الراهب وأنا أستغفر الله. فقال لي: يا فتى، سرعة اللسان بالإستغفار توبة الكذابين. **وقالت رابعة**: أستغفر الله من قلّة صدقي في قولي أستغفر الله وقيل من قدم الإستغفار على الندم كان مستدعياً.

• الحَثُ على الأدعيةِ وإنها متضمِّنةٌ للإجابةِ

قال النبي ﷺ: من أعطي أربعاً أعطى أربعاً. وهي في كتاب الله من أعطى الذكر ذكره الله لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾(١) ومن أعطي الدعاء أعطى الإجابة لقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٢) ومن أعطى الشكر أعطي الزيادة لقوله تعالى: و ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(٣) ومن أعطى الإستغفار أُعطي المغفرة لقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾(٤) **وقال ﷺ**: حصنوا أموالكم بالزكاة وادفعوا البلاء بالدعاء.

• الحثُ على فِعْلِ ما يقتضي إجابة الدعاءِ

قال بعضهم: لا تستبطىء الإجابة من دعائك وقد سددت طريقه بالذنوب. وقيل لمالك بن دينار: ادع الله لفلان المحبوس. **فقال**: مثل محبوسكم مثل شاة غدت إلى عجين فقير فأكلته فاتخمت، فصاحبها **يقول**: اللّهم سلمها. وصاحب العجين **يقول**: اللّهم أهلكها، ولا ينفع دعاء صاحبها مع دعاء المظلوم، فقولوا لصاحبكم يرد إلى كل ذي حق حقه، فإنه لا يحتاج إلى دعائي حينئذ قال طاوس: يكفي من الدعاء مع الورع ما يكفي العجين من الملح.

وقيل: ثلاثة لا يستجاب لهم دعوة رجل كانت له امرأة يدعو عليها، فيقول: ألم أجعل أمرها بيدك، ورجل جالس في بيته يقول اللّهم ارزقني، فيقول: ألم آمرك بالطلب، ورجل له مال فأفسده ثم يقول إخلفه لي، فيقول: ألم آمرك بإصلاح المال.

ورأى أعرابي ظالماً يدعو **فقال**: يا هذا إنما يستجاب لمظلوم أو لمؤمن ولست بأحدهما وإني أراك تخف لديك العيوب وتخفى عليك الغيوب.

• مدحُ الإستغفارِ بالأصابع

قال النبي ﷺ: إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم، وإذا استعذتموه فاستعيذوا بظاهرها. **وقالت عائشة رضي الله عنها**: استغفروا الله بأصابعكم التي كسبتم بها الذنوب.

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/ ١٥٢.
(٢) القرآن الكريم: المؤمنون/ ٦٠.
(٣) القرآن الكريم: إبراهيم/ ٧.
(٤) القرآن الكريم: نوح/ ١٠.

وفي بعض التفاسير فما استكانوا لربهم وما يتضرعون، قالوا: ما دعوه وما رفعوا أيديهم ولم يبسطوا راحتهم ولا حركوا أصابعهم.

ولما صاف قتيبة الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع فقالوا: ها هو ذا في أقصى الميمنة جانحاً على سية قوسه، يبصبص بأصابعه نحو السماء فقال قتيبة: تلك الأصابع الفاردة أحب إليّ من مائة ألف سيف شهير وسنان طرير.

● ذمُّ رفعِ اليدين واستعمالِ السبّحةِ

رأى شريح رجلاً يدعو ربه رافعاً يديه إلى السماء فقال له: غض بصرك وكف يديك فإنك لن تراه ولن تناله. ومرّ عمر بن عبد العزيز برجل يسبح بالحصى فإذا بلغ المائة عزل حصاة، فقال له: ألق الحصى وأخلص الدعاء.

● شكرُ الله تعالى على نِعمِهِ

قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾[2] قال: ينسى النعم ويذكر المصائب.

وقالت هند بنت المهلب: إذا رأيتم النعيم مستدراً فبادروه بالشكر قبل الزوال. إلهي قد أوليتني منائح تعيد باع الحمد قصيراً وترد لسان الشكر حسيراً، فأجرني ما عودتني وأنجز أفضل ما وعدتني، إلهي لك الحمد على النعم. ما اختلفت يمين وشمال ولك الشكر ما هبت جنوب وشمال.

وقال بعضهم اللّهم إنك تعرف عجزي عن الشكر فاشكر نفسك عني.

● الدعاءُ بإزالةِ الخوفِ والبلاءِ المخوفِ

حُكيَ عن سنيد بن داوود قال: رأيت عفان بن مسلم يمضي به ليمتحن فقلت له: قف يا شيخ أعطك كلمات فإنك لن ترى إلاّ خيراً، قل حسبي الله ونعم الوكيل فإن الله تعالى يقول: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾[3] وقل: وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد فإنه يقول ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾[4] وقل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. قال عفان فقلتها فما رأيت إلا خيراً.

ويروى أن رجلاً أخافه عبد الملك فهرب منه فلقيه شيخ وسيم بأرض فلاة فقال ما قصتك؟ قال: خائف. قال: ومن أخافك؟ قال: عبد الملك، قال: فأين أنت عن السبع؟ فقال: لا أعرفها. فقال: قل سبحان الواحد الذي ليس غيره إله، سبحان الدائم الذي لا يعاد له شيء، سبحان الذي خلق ما يرى وما لا يرى سبحان الذي علم كل شيء بغير تعلم. قال: فقلتها

---

(١) القرآن الكريم: إبراهيم/ ٧.
(٢) القرآن الكريم: العاديات/ ٦.
(٣) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٧٤.
(٤) القرآن الكريم: المؤمن/ ٤٥.

فألقى الله تعالى في قلبي الأمن فأتيته، فلما مثلت بين يديه، قال لي: أف تعلمت السحر؟ قلت: لا ولكن من قصتي. كيت وكيت. فكتبه عني وأمنني وأجرى لي رزقي.

- **من سأل اللّهَ أن يوفّقهُ للشُكرِ والصَبرِ**

قال أعرابي أبطأ عنه ابنه فخافه: اللّهم إن كنت أنزلت به فأنزل معه صبراً، وإن كنت وهبت له عافية فأفرغ عليه شكراً اللّهم إن كان عذاباً فاصرفه وإن كان صلاحاً فزد فيه، وهب لنا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء.

- **التعوُّذُ مِنَ الفقر والإستدعاءُ للرِزْقِ**

قال بعضهم في بعض مواقف الحج: اللّهم لا تعينني بطلب ما لم تقدر لي، وما قدرته فاجعله ميسراً سهلاً، وكافىء عني أبوي وكل ذي نعمة عليّ.

وقال سعيد بن المسيب: كنت جالساً عند القبر والمنبر فسمعت قائلاً ولم أر شخصاً اللّهم إني أسألك باراً ورزقاً داراً وعيشاً قاراً، اللّهم لا تجعل بيننا وبينك في الرزق أحداً سواك، اللّهم إن كان رزقي في السماء فأنزله، وإن كان في الأرض فيسره، وإن كان قليلاً فثمّره وإن كان يسيراً فكثّرهُ، أعوذ بالله من القنوع والخضوع والخنوع. اللّهم اجعلني أفقر خلقك إليك وأغناهم بك، اللّهم اجعل لي رزقاً واسعاً واجعلني به قانعاً.

وقال قيس بن سعد: اللّهم إرزقني مجداً وحمداً فلا حمداً إلا بفعال ولا مجداً إلا بمال، اللّهم إني أعوذ بك من فقر مكب وضروع إلي غير محب.

- **مَنْ فَزَعَ إلى الله في أن يُوفّقَه لِمصْلحةٍ في كسبِهِ وإنفاقه**

اللّهم أحجبني عن السرف وقوّمني بالاقتصاد، وعلّمني حسن التقدير وأجر من أسباب الحلال رزقي، ووجه في أبواب البر نفقتي، واجعل ما خولتني من عطائك وصلة إلى قربك وذريعة إلى جنتك، اللّهم هب لنا غنى لا يطغينا، وصحةً لا تلهينا، وأعذنا من فقر ينسينا.

وكان جعفر يقول: اللّهم أرزقني التفضل على من قترت عليه مما وسعته عليّ، اللّهم أغنني عمن أغنيته عني وسهلني لمن أحوجته إليّ واجعلني لأنعمك من الشاكرين.

- **مَنِ استعاذَ باللّهِ يَقيهِ من آفاتٍ ونوبِ حضرها**

اللّهم إنّا نعوذ بك من هيجان الحرص، وسورة الغضب، وغلبة الحسد، وضعف الصبر، وقلّة القناعة، وإلحاح الشهوة، ومخالفة الهدى، وسنة الغفلة، وتعاطي الكلفة، وإيثار الباطل على الحق، والإصرار على المأثم، واستكثار الطاعة، والإزراء على المقلّين وسوء الولاية لما تحت أيدينا، وترك الشكر لمن اصطنع العازفة[1] عندنا، وأن نعضد ظالماً أو نخذل ملهوفاً أو نروم ما ليس لنا بحق، أو نقول في العلم بغير علم، ونعوذ بك من سوء السيرة وإحصاء

---

(١) **العازفة**: اللاعبة بالمعازف أي آلات العزف والطرب من مثل الطنبور والعود وسواهما.

الصغيرة، ونعوذ بك من شماتة الأعداء ومن الفقر إلى غير الأكفاء، ومن عيشة في شدّة وميتةٍ على غير عدة، ومن سوء المآب وحرمان الثواب وحلول العقاب.

ودعا أعرابي **فقال**: اللّهم إني أعوذ بك من الفاجر وجدواه، والسفيه وعدواه، وذي الرحم ودعواه، ومن عمل لا ترضاه. اللّهم أمتعْنا بخيارنا وأعنّا على شرارنا واجعل المال في سمحائنا. ودعا أعرابي **فقال**: اللّهم إني أعوذ بك من عضال الداء، وخيبة الرجاء، وشماتة الأعداء، وزوال النعمة، وفجاءة النقمة.

• مَنْ سألَ اللّهَ العافيةَ

اللّهم إني أعوذ بك مما يقلق قلب الصديق ويضحك سن العدو، اللّهم أسترنا بستورك الحصينة وأعصمنا بحبالك المتينة وأدخلنا في كفالتك الأمينة، اللّهم إني أسألك سترك الذي لا تخرقه الرماح ولا تزيله الرياح.

• مَنْ دَعَا لِنَفْسِهِ وقومِهِ بالعافيةِ

قال رجل في عقب صلاته: اللّهم عافني في نفسي فإنها أعزّ الأنفس عليّ، وفي أولادي فإنهم لحمي ودمي، وفي عشيرتي فإنهم عزي وناصري، وفي جماعة المسلمين فإنّ صلاحي لا يتم إلا بصلاحهم اللّهم أستودعك ما أحاطت به شفقتي وعجزت عنه قوتي.

• مَنْ سألَ اللّهَ أن يَقيهِ الشرَّ من مُرِّ يَديهِ

اللّهم مَنْ أراد بي شراً فأحط السوء به كإحاطة القلائد بترائب الولائد، ثم أرسخه على هامته كرسوخ السجيل على أصحاب الفيل. يا سابق الفوت ويا سامع الصوت، ومنشىء العظام بعد الموت، صلّ على محمد وآله واجعلْ لي من هذا الأمر مخرجاً وفرجاً. وقال أعرابي اللّهم قني من عثرات الكرام.

• مَنْ سألَ الله تعالى أن يتوكَّلَ لَهُ

أسأل الله الذي يعد أنفاسي أن لا يكلني إلى احتراسي. اللّهم إني تخليت من حولي وحيلتي إلى حولك وحيلتك، اللّهم اجعلني أفقر خلقك إليك وأغناهم بك. وكان مطرف **يقول**: اللّهم إنك أمرتنا بأمرك ولا نقوى عليه إلا بكرمك، ونهيتنا عمّا نهيتنا عنه ولا ننتهي عنه إلا بعصمتك.

• أدعيةٌ لأوقاتٍ معلومةٍ

كان إبراهيم بن أدهم إذا أصبح **يقول**: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون. وقيل لرجل: إلحقْ دارَك فقد احترقت، **فقال**: ما احترقت والله، **فقيل**: أتحلف على ذلك **فقال**: نعم إني سمعت رسول الله ﷺ **يقول**: من قال حين يصبح إن ربي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربّ العرش

العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، أعوذ بالله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها. إن ربي على صراط مستقيم، لم يرَ يومئذ في نفسه ولا أهله ولا ماله شيئاً يكرهه وقد قلتها اليوم. فلما انتهوا إلى داره وجدوها قد احترق ما حولها ولم تحترق.

وكان رسول الله ﷺ إذا رأى هلال رمضان يقول: اللّهم هذا شهر رمضان فسلمه لنا، وسلمنا له، وتسلمه منا في يسر وعافية، وأرزقنا صيامه وقيامه متقبلاً بإيمان واحتساب، وكان إذا أتي بالباكورة قبلها ووضعها على عينيه ويقول: اللّهم أريتنا أوله فأرنا آخره.

وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: علمني رسول الله ﷺ إذا لبست ثوباً جديداً أن أقول الحمد لله الذي كساني من الرياش ما أتجمّل به في الناس. اللّهم اجعلها ثياب بركة أسعى بها لمرضاتك وأعمل فيها بطاعتك.

وكان عليه الصلاة والسلام يقول: اللّهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له. اللّهم هب لي من حقك، وأرض عني خلقك. قال البناني: بلغنا أنه يستجاب الدعاء عند المطر ثم تلا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾(١)

● **مَنْ سألَ اللّهَ التوفيقَ لِعبادته**

قال سعيد بن المسيب: مرّ بي صلة بن أشيم فقلت: ادع لي. **فقال:** رغبّك الله فيما يبقى، وزهدك فيما يفنى، ووهب لك اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يعوّل في الدين إلا عليه. اللّهم إني أحب طاعتك وإن قصرت فيها، وأكره معصيتك وإن ركبتها، فتفضّل عليّ بالجنة وإن لم أستحقها، وخلصني من النار وإن استوجبتها. اللّهم إني أسألك الإقبال عليك والإصغاء إليك، والفهم عنك، والبصيرة في أمرك، والنفاذ في طاعتك، والمراقبة على إرادتك، والمبارزة في خدمتك، وحسن الأدب في معاملتك، والتسليم والتفويض إليك.

● **المقرُّ بِذَنْبِهِ السائلُ من الله تعالى الرحمةَ**

اللّهم إني رهين بذنوبي، أتعثّر في ذيولها وأستخفي تحت سدولها، فتفضل عليّ بعفو يبسط حافة رجائي ويقبض المخافة عن أرجائي. إلهي لست أنفك مقلباً أزمة الخطايا وأعنة السيئات، فوفقني لتوبتي وأمنن عليّ عند إنتهاء نوبتي.

---

(١) القرآن الكريم: الشورى/٢٨.

وقال أعرابي يا رب تظاهرت عليّ منك النعم، وتكاثفت مني عندك الذنوب، وأحمدك على النعم التي لا يحيط بها إلا علمك. ووضع أعرابي يده على باب الكعبة **فقال**: يا رب سائلك ببابك قد مضت أيامه، وبقيت آثامه، فأرض عنه وإلا ترض عنه فأعف عنه، فقد يعفو السيد عن العبد وهو عنه غير راض.

وقال عمرو بن العاص حين احتضر: يا رب إنك أمرتنا فلم نأتمر، وزجرتنا فلم نزدجر، وإنا لا نعتذر ولكن نستغفر. **وقال ابن السماك عند وفاته**: اللّهم إنك تعلم أني كنت أعصيك، وأحب أن أكون ممن يطيعك، إلهي كم تتحبب إليّ بنعمتك وأنت غني عني، وكم أتبغض إليك بذنوبي وأنا إليك فقير سبحان من إذا توعد عفا، وإذا وعد وفى. **وقالت امرأة**: اللّهم إني أقوم كسلى وأصلي عجزى فاغفر لي قبل عروي[1] ما جرى.

ووقف أعرابي على قبر النبي ﷺ فقال: قد قبلنا منك وحفظنا ما أديت عن ربك ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول، لوجدوا الله تواباً رحيماً. فقد ظلمنا أنفسنا واستغفرنا فاستغفر لنا.

وكان شريح **يقول**: اللّهم إني أسألك الجنة بلا عمل عملته، وأعوذ بك من النار بذنب ركبته، قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد وهو ساجد إن ظلمت نفسي فاغفر لي ثلاثاً.

● مَنْ سَألَ خيْرَ الدارين

طاف أعرابي بالبيت ثم صلّى ركعتين ونهض فقيل له: ما لك حاجة إلى الله؟ **قال**: بلى وقد سألته. قيل وما قلت؟ **قال**: قلت اللّهم إنك قد أحصيت ذنوبي فاغفرها وعلمت حاجتي فاقضها. **وقال بعضهم**: أستغفر الله والحمد لله فقيل له في ذلك **فقال**: ما رأيت أجمع من هاتين الكلمتين، أنا بين ذنب ونعمة أستغفر الله من الذنب وأحمده على النعمة.

● مَنْ سألَ اللّهَ الغُفرانَ بِغفلةَ كانتْ مِنْه

دعا رجل بالبصرة في مسجد **فقال**: اللّهم إني وإن كنت عصيتك فبحبي فيك من أطاعك إلا رحمتني. **فهتف به هاتف**: يا هذا لقد عقدت عقداً لا ينحل أبداً. ولما حج عمر بن ذر اجتمع الناس إليه فقالوا له: ادع لنا بدعوة. **فقال**: اللّهم أرحم قوماً لم يزالوا منذ خلقتهم على مثل ما كانت عليه السحرة يوم رحمتهم وقانا الله هول المطلع وضيق المضجع وسوء المرتجع، اللّهم لو سألتني حسناتي مع حاجتي إليها لوهبتها لك وأنا عبد فكيف لا تهب لي سيئاتي مع غناك عنها وأنت رب، اللّهم أسألك المغفرة يوم كل نفس إليك فقيرة، فإن النعمة فيها كثيرة.

---

(١) عروي: من عرا عروا فلاناً قصده طالبا معروفه.

● **الإستسقاء**

اللّهم أسقنا غيثاً مريعاً ريعاً مجللاً مجلجلاً سحاً سفوحاً طبقاً غدِقاً وَدِقاً. فسمع أعرابي ذلك **فقال**: أخشى الطوفان ورب الكعبة دعني يا نوح آوي إلى جبل يعصمني من الماء.

وقال النبي ﷺ: اللّهم إنك حبست عنا مطر السماء فذاب الشحم وذهب اللحم ورق العظم، فارحم أنين الآنة وحنين الحانة. اللّهم إرحم تحيرها في مراتعها وحنينها في مرابضها.

وصعد عمر المنبر للإستسقاء فلم يزد على الإستغفار، فقيل له: إنك لم تستسق، **فقال**: قد استسقيت بمجاديح[1] السماء. ذهب إلى قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[2]

وخرج سليمان بن عبد الملك يستسقي فسمع أعرابياً يقول:

ربَّ العبادِ مالنا ومالكَا ... قد كنتَ تسقينا فما بدَا لكَا
أنزلْ علينا الغيثَ لا أبا لكَا

فضحك سليمان، وقال أشهد أنه لا أبا له ولا صاحبة ولا ولد.

● **أنواعٌ شتى من ذلك**

اللّهم إني أعوذ بك من أن تَحْسُنَ في العيون علانيتي وتَقْبُحَ في الخفيات سريرتي. اللّهم كما أسأت وأحسنت إليّ فإن عدت فعد عليّ. وكان الحجاج إذا تلا قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾[3] **يقول**: كان سليمان حسوداً، وإذا تلا قوله تعالى: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾[4] **قال**: أحب يوسف الإمارة يا من يغضب على من لا يسأله لا تحرم من قد سألك.

وقال الأصمعي: سمعت أعرابية تدعو على ظالم لها: اللّهم أشفني منه في الدنيا فإني في الآخرة عنه مشغولة، اللّهم لا تنزلني منزل سوء فأكون امرأة سوء، اللّهم أصلحني قبل الموت وأرحمني عند الموت واغفر لي بعد الموت. وقال أعرابي وقد صلى: اللّهم عفرت لك جبيني وبسطت إليك يميني فانظر ما تعطيني. وقال مالك بن دينار: اللّهم سهّل لي المجاز ويسّر لي الجواز. ومن دعاء موسى بن جعفر عليهما السلام: اللّهم أفرغني لما شغلتني له ولا تشغلني بما تكفلت لي به يا رب العالمين.

---

(١) **مجاديح السماء**: أنواؤها التي ترسل الأمطار، جمع مجداح، **والمجداح أيضاً**: ساحل البحر.
(٢) **القرآن الكريم**: نوح/ ١٠، ١١. (٣) **القرآن الكريم**: ص/ ٣٥.
(٤) **القرآن الكريم**: يوسف/ ٥٥.

(١٣)
وممّا جاءَ في فضائلِ أعيانِ الصحابةِ

●

قد كان من شرط هذا الكتاب أن لا نشتغل بذكر الرجال على الترتيب إذ كان القصد فيه إلى تنويع المعاني لكن لم يوجد بد من ذكر فضائل الصحابة إذ كانت الحاجة إليه تكثر.

● أبو بكر الصديق رَضِيَ الله عَنْهُ

قيل: سمي عتيقاً لجمال وجهه. وقيل لقول النبي ﷺ: أنت عتيق الله من النار. **وقيل**: لأن أمه لم يكن يبقى لها ولد، فلما ولدته استقبلت به البيت **وقالت**: اللّهم اجعل هذا عتيقاً من الموت وهبه لي. **وقيل**: كان لأبيه ثلاثة أولاد عتيق ومعتق وعُتيْق، ولد بعد عام الفيل بسنتين ودوين أربعة أشهر، ومات بعد النبي ﷺ بسنتين وأربعة أشهر وهو ابن ثلاث وستين سنة.

● مِنْ فَضَائِلِهِ

قيل: له أربعة فضائل لم يشاركه فيهن أحد كان ثاني إثنين في الغار، وثاني إثنين في المشورة، وثاني إثنين في العريش، وثاني إثنين في القبر. وصلى النبي ﷺ خلفه.

قال الشعبي: سألت ابن عباس عن أول الناس إسلاماً. **فقال**: أما سمعت قول حسان بن ثابت فيه:

إذا تذكرتَ شجواً من أخي ثقةٍ فاذكرْ أخاك أبا بكر بما فعَلا
الثاني التالي المحمودُ مشهدُه وأولُ الناس منهم صدّق الرُسلاَ

وقال النبي ﷺ: ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كان له تردّد وكبوة، إلا أبا بكر. وقال ما أحد أمن عليّ بصحبته وماله من أبي بكر، وسمّاه النبي ﷺ عتيقاً حتى غلب على إسمه وإسم أبيه وكفى له شرفاً، قوله عز وجل: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(١) فسماه صاحباً في كتابه.

ولما برز إبنه عبد الرحمن يوم أحد **وقال**: هل من مبارز، نهض إليه أبو بكر بسيفه، فقال له النبي ﷺ شم سيفك وارجع إلى مكانك ومتعنا بنفسك.

● عمر رَضِي اللّهُ تعالى عَنْهُ

سُمي الفاروق لفرقه بين الحق والباطل طعن لسبع بقين من ذي الحجة، ومات غرة

---

(١) القرآن الكريم: التوبة/ ٤٠.

المحرم، **وقيل**: كان ابن ثلاث وستين سنة. **وقيل**: ابن ستين **وقيل**: خمس وخمسين. وخلافته كانت عشر سنين وسبعة أشهر وخمس ليال وقيل ثمانية أشهر وأربعة أيام.

● مِنْ فَضائِلِهِ

كان النبي ﷺ يقول: اللّهم أيدّ الإسلام بعمر ابن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام فأصبح عمر فقرع الباب على النبي ﷺ فأسلم وخرج فصلى في المسجد ظاهراً.

وقال عليه الصلاة والسلام: إن الشيطان يفرق من عمر. وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ **قال**: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، **فقلت**: لمن هذا القصر؟ **قالوا**: لعمر بن الخطاب فذكرت غيرته فوليت مدبراً، فبكى عمر **وقال**: بأبي وأمي يا رسول الله ﷺ أعليك أغار.

وقال عليه الصلاة والسلام: بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون وعليهم قمص[١]، منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض على عمرو عليه قميص يجره **قالوا**: ما أوّلْتَ يا رسول الله؟ **قال**: الدين.

وقال عليه الصلاة والسلام: إن من قبلكم كان فيهم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإنه عمر بن الخطاب.

وقال عبد الله بن مسعود: إذ ذكر الصالحون فحيهلا[٢] بعمر كان والله للإسلام حصناً حصيناً يدخل فيه الناس ما دام حياً ولا يخرجون منه، فلما مات انثلم ذلك الحصن. وكان يبغض الملق والتقرب وضرب ناساً على أن **قالوا**: يا خير الناس وقدموا إسمه في الديوان، فغضب **وقال**: ضعوا عمر وآل عمر حيث وضعهم الله وكان عبد الملك **يقول**: إذا ذكر عمر كان ذكره أسفاً للأمة وطعناً على الأئمة.

● مِنْ فَضائلِ أبي بكرٍ وعمَر رَضِيَ اللَّهُ تعالى عنهما

روي عن أمير المؤمنين أن النبي ﷺ نظر إلى أبي بكر وعمر **فقال**: هذان سيدا كهول أهل الجنة. **وقال عليه السلام**: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر. **وروي أن النبي ﷺ** لما أسس بناء المسجد، جاء بحجر فوضعه ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه، فسئل النبي ﷺ عن ذلك **فقال**: هم أمراء الخلافة بعدي وقيل لعلي بن الحسين رضي الله عنهما: ما منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ فقال منزلتهما منه اليوم وحثّ النبي ﷺ على الصدقة فجاء أبو بكر بماله كله، **فقال له** النبي ﷺ: ما أعددت لعيالك؟ **فقال**: الله ورسوله. وجاء عمر بنصف ماله، **فقال**: ما

---

(١) **القمص**: جمع قميص.

(٢) **حيهلا**: اسم فعل بمعنى عجّل وأقبل ويقال **حيهلى** أي هلّم، والحيهل في الأصل ضرب من الشجر واحدته حيهلة.

أعددت لعيالك؟ فقال نصف مالي، فقال النبي ﷺ: ما بين الرجلين ما بين الكلمتين.

ولما استشار النبي ﷺ أبا بكر في أساري بدر قال: قومك فيهم الآباء والأبناء والاخوان فامنن عليهم أوفادهم يستنقذهم الله بك من النار وما أخذت منهم فهو قوة للإسلام فاستشار عمر، فقال: يا نبي الله هم أعداء كذبوك وحاربوك وأخرجوك، أضرب رقابهم. فقال النبي ﷺ: مثل أبي بكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرضا والغفران وفي الأنبياء بإبراهيم طرحه قومه في النار فما زاد على أن قال أف لكم ولما تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون؟ وقال: فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم. وكمثل عيسى إذ يقول: أن تعذبهم فإنهم عبادك وأن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

ومثل عمر في الملائكة كجبريل ينزل بالسخط والنقمة وفي الأنبياء كنوح، حيث قال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فجاراً كفاراً. ومثل موسى حيث قال ربنا أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.

وقد أحسنا تأثيرهما في الولاية: أما أبو بكر رضي الله عنه فإنه لما مات النبي ﷺ قال عمر: كيف مات النبي والله تعالى يقول ليظهره على الدين كله فقام أبو بكر فقال: أيها الناس إن الله تعالى قد نعى إليكم نبيكم وهو حي بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم فقال: إنك ميت وإنهم ميتون فسكن الناس. وتلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾[1]، ثم تلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ و كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[2] ثم قال: ليظهر الله دينه ويتم نوره.

وأمره في ارتداد العرب ومنعهم الزكاة معروف حيث خالف جماعة الصحابة، وقال: لو منعوني عقالاً لقاتلتهم وقال إن قبلت قولكم لا لأنقضن عرى الإسلام عروة عروة واجتهد في تجيهز جيش أسامة، وخالفه الصحابة. فقال: لو بقيت وحدي حتى تأكلني الكلاب ما أخرت جيشاً. أمر النبي ﷺ بإنفاذه والوحي ينزل عليه. وأما عمر رضي الله عنه فإنه فتح الفتوح ودوّن الدواوين وفرض العطية ومصّر الأمصار وجبى الفيء وبلغت خيله أفريقية وأوطأ خيله خراسان وكرمان وأزال ملك بني ساسان، ولما طعن قيل له: ألا تستخلف؟ فقال أن أترك، فقد ترك من هو خير مني يعني رسول الله وإن استخلف فقد استخلف خير مني يعني أبا بكر.

● **عثمان رَضيَ اللّهُ تعالى عَنه**

كان يلقب ذا النورين، وكان ختن النبي ﷺ على ابنتيه. قتل يوم الأربعاء لعثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة. وقيل: إنه

---

(١) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٤٤.
(٢) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٨٥، والرحمن/ ٢٦.

كان أصبح. **فقال**: إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام. **فقال**: يا عثمان أفطر عندنا الليلة، فأصبح صائماً. فقتل من يومه وأشرف عليهم. **وقال**: علامَ تقتلونني وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث، رجل زنا بعد إحصان فعليه الرجم، أو رجل ارتد بعد الإسلام فعليه القتل، أو قتل عمداً فعليه القود فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام ولا قتلت أحداً ولا ارتددت منذ أسلمت.

وقال أبو موسى: دخل النبي ﷺ حائطاً وأمرني بحفظ الحائط فجاء رجل يستأذن **فقال** ائذن له وبشره بالجنة فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن **فقال**: ائذن له وبشره بالجنة فإذا عمر، ثم استأذن آخر فسكت هنيهة ثم **قال**: إئذن له وبشره بالجنة بعد بلوى ستصيبه فإذا عثمان بن عفان. وصعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فضربه برجله، **وقال**: أسكن أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان. واستأذن عثمان على النبي ﷺ وكان مكشوف الفخذ فغطاها وعنده أبو بكر وعمر فقيل له في ذلك **فقال**: كيف لا أستحي ممن تستحي منه الملائكة؟

● ذِكرُ فتوحاتِهِ

إفتتح أرمينية بحبب بن مسيلمة وأذربيجان بالمغيرة وأفريقية بعبد الله بن سمرة.

● ذِكرُ ما عُتِبَ عليه

قالوا: آوى طريد رسول الله ﷺ الحكم بن العاص، وأعطاه مائة ألف درهم ونفى أبا ذر إلى الربذة وعامر بن عبد القيس إلى الشأم، وتصدق رسول الله ﷺ بمهزور على المسلمين وهو موضع سوق المدينة، فنقضه عثمان وأقطعه الحارث بن الحكم أخا مروان. وأقطع فدك مروان، وكل ذلك مما وصفه به عمر رضي الله عنهما حيث **قال**: هو كلف بأقاربه.

● عليُّ بن أبي طالبٍ كرّم اللّهُ تعالى وَجْهَهُ

قتل لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان يوم الجمعة سنة أربعين، وهو ابن ثلاث وستين. وقيل ابن ثلاث وخمسين، وخلافته أربع سنين وثمانية أشهر وتسعة عشر يوماً. ودُفن بالكوفة وغيّب قبره.

وقال ﷺ: الخلافة ثلاثون عاماً، ثم تكون ملكاً. وكناه النبي ﷺ أبا تراب، وذلك أنه دخل على ابنته فاطمة **فقال**: أين ابن عمك؟ قالت: في فناء المسجد. فوجده مضطجعاً في التراب **فقال النبي** ﷺ: قم أبا تراب وذلك من شدة ما أعجب به.

● مِنْ فضائِلِهِ

قال له النبي ﷺ: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي **قال**: بلى. **قال**: فأنت كذلك. **وقال**: عليّ مني وأنا منه وهو وليّ كل مؤمن بعدي

وأخذ بيده فقال: اللّهم والِ من والاه وعاد من عاداه وأبغض من أبغضه وأنصر من نصره وأخذل من خذله، وقال يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. ثم دعا علياً وهو رمد فأعطاه اللواء وقال: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

وقال ﷺ: النظر إلى علي عبادة. أي إذا برز يكبّر الناس فيقولون: لا إله إلا الله، ما أجله ما أعلمه ما أشجعه ما أشرفه. وقال عليه السلام: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله أتبعثني وأنا حديث السن لا علم لي بالقضاء، فقال: إنطلق فإن الله تعالى سيهدي قلبك ويثبت لسانك. قال: فما شككت في قضاء بين رجلين.

ولما أنزل الله عز وجل ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[1] قال النبي ﷺ لعلي: سألت الله أن يجعلها أذنك فما سمع بعدها شيئاً إلا حفظه. وعن أنس بن مالك قال: جاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وإني وإني قال وما ذاك؟ قال تزوّجني فاطمة فسكت عنه، فرجع أبو بكر إلى عمر فقال هلكت وأهلكت، قال وما ذاك؟ قال خطبت فاطمة إلى النبي ﷺ فأعرض عني، فقال: مكانك حتى آتي النبي ﷺ فأطلب مثل ما طلبت فأتى عمر النبي ﷺ فقعد بين يديه، وقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وإني وإني، فقال وما ذاك؟ قال تزوجني فاطمة فأعرض عنه، فرجع عمر إلى أبي بكر فقال إنه ينتظر أمر الله فيها، إنطلق بنا إلى علي حتى نأمره أن يطلب مثل الذي طلبنا، قال علي فأتياني وأنا في سبيل فقالا: ابنة عمك تخطب فنبهاني لأمر فقمت أجرّ ردائي، طرف على عاتقي وطرف في الأرض حتى أتيت النبي ﷺ فقعدت بين يديه، فقلت: يا رسول الله ﷺ قد علمت قدمي في الإسلام ومناصحتي وإني وإني، قال وما ذاك يا علي؟ قلت: تزوجني فاطمة قال وما عندك؟ قال: فرسي وبدني يعني درعه. فقال: أما فرسك فلا بد لك منه وأما درعك فبعها فبعتها بأربعمائة وثمانين فأتيت بها النبي ﷺ فوضعتها في حجره فقبض منها قبضة، فقال: يا بلال أبغنا بها طيباً وأمر أن يجهزوها، فجعل لها سرير مشرط بالشريط ووسادة من أدم حشوها ليف، وملأ البيت كثيباً يعني رملاً، وقال: إذا أتتك فلا تحدث شيئاً حتى آتيك. فجاءت مع أم أيمن: فقعدت في جانب البيت وأنا في جانب، وجاء النبي ﷺ فقال: ههنا أخي. فقالت أم أيمن: أخوك وقد زوجته ابنتك. فدخل النبي ﷺ فقال لفاطمة: ائتيني بماء فقامت إلى قعب في البيت فجعلت فيه ماء وأتته به، فمج فيه ثم قال: قومي فنضح ثدييها وعلى رأسها ثم قال: اللّهم أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، ثم قال ائتني بماء، فعلمت الذي يريده، فملأت القعب ماء وأتته به فأخذ منه بفيه ثم مجه ثم صب على رأسي وبين يدي وقال: اللّهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم. ثم قال: أدخل على أهلك بسم الله والبركة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة. وعمر

---

(١) القرآن الكريم: الحاقة/ ١٢.

على بغل وأنا على فرس، فقرأ آية فيها ذكر علي بن أبي طالب **فقال**: أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر. فقلت في نفسي: لا أقالني الله إن أقلته فقلت: أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين وأنت وصاحبك وثبتما وافترعتما الأمر منا دون الناس. **فقال**: إليكم يا بني عبد المطلب أما أنكم أصحاب عمر بن الخطاب فتأخرت وتقدم هنيهة، فقال سر لا سرت. **وقال**: أعد علي كلامك فقلت: إنما ذكرت شيئاً فرددت عليك جوابه ولو سكت سكتنا. **فقال**: إنا والله ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوة ولكن استصغرناه وخشينا أن لا تجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها. قال فأردت أن أقول: كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره، أفتستصغره أنت وصاحبك؟ **فقال**: لا جرم، فكيف ترى والله ما نقطع أمراً دونه ولا نعمل شيئاً حتى نستأذنه.

وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما، إن عمر بن الخطاب **قال**: ثلاث لم أسأل عنهن رسول الله ﷺ فقال علي: وما هن؟ قال عمر: حب الرجل الرجل لم يجر بينهما خلطة ولا معرفة، فأنى ذلك والرؤيا، منها ما يصدق كأخذ باليد، ومنها ما يكون أضغاثاً، فأنّى ذلك والرجل يتحدث بالحديث أحياناً، ويختلف أحياناً فأنى ذلك.

فقال علي عليه السلام: أما ما ذكرت من حب الرجل الرجل لم تجر بينهما ما خلطة ولا معرفة، فإن الله خلق الأرواح قبل الأجساد فتلتقي الأرواح على سبب بين السماء والأرض، فتتشام كما تتشام الخيل فما تعارف ثم ائتلف هنا.

وأما الرؤيا فإن العقل إذا عرج بنفسه وهو في النوم في المصعد، فهو كأخذ باليد وإذا هبط إلى جسده تلقته الشياطين بالأضغاث لكي تحزنه، وما أخبرت به فهو الذي لا يصدق. وأما الرجل يتحدث بالحديث ثم ينسى، فإن القلب تغشاه ظلمة كظلمة القمر فإذا تغشى القلب تخلى عنه ذكره.

وعن أنس **قال**: قال النبي ﷺ: إن خليلي ووزيري وخليفتي، وخير من أترك بعدي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب. وقال رسول الله ﷺ لفاطمة: لقد زوجتكه سيداً في الدنيا سيداً في الآخرة، لا يبغضه إلا منافق.

وقال النبي ﷺ: لقد أوحى إليّ في علي ثلاث، أنه سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين.

وعن البراء أن النبي ﷺ قال لعلي: أنت مني وأنا منك. وقال عليه الصلاة والسلام: الحق مع علي وعلي مع الحق لن يزولا حتى يردا على الحوض. وعن جابر وابن عباس أن رسول الله ﷺ **قال**: أنا وعلي من شجرة واحدة. **وقال له علي**: آخيت بين الناس يا رسول الله فمن أخي؟ **قال**: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

- **فضائلُ الحَسنِ والحُسين رضيَ الله عَنهما**

قال النبي ﷺ: ألا أدلكم على خير الناس عمّاً وعمة؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين عمهما جعفر الطيّار وعمتهما أم هانىء بنت أبي طالب.

وقال ابن عباس كان النبي ﷺ حاملاً الحسن فقال له رجل: يا غلام نعم المركب ركبت. وروي أنه قال ﷺ وقد امتطاه الحسن والحسين: نعم المطي مطيكما ونعم الراكبان أنتما، وأبوكما خير منكما.

وقال أبو هريرة: سجد رسول الله ﷺ خمس سجدات بلا ركوع فقيل له: **قال**: أتاني جبريل **فقال**: إن الله يحب علياً، فسجدت ورفعت رأسي، **فقال**: إن الله يحب فاطمة، فسجدت. ثم **قال**: إن الله يحب الحسن والحسين فسجدت **فقال**: إن الله يحب من أحبهم فسجدت.

وقال إبراهيم النخعي: لو كنت ممن أعان على الحسين ثم قيل لي أدخل الجنة، لأستحييت أن يراني رسول الله ﷺ فيها.

وقال أبو بكر: رأيت النبي ﷺ يخطب على المنبر ينظر إلى الحسن مرة وإلى الناس مرة **وقال**: إن إبني هذا سيد يصلح الله به بين فئتين من المسلمين. وسأل بعض أهل العراق ابن عمر عن قتل الذباب **فقال**: يا أهل العراق تسألونني عن قتل الذباب وقد قتلتم ابن بنت رسول الله ﷺ.

وقد قال رسول الله ﷺ: هما ريحانتي من الدنيا. وقال عمر بن عبد العزيز يوماً وقد قام من عنده علي بن الحسين: من أشرف الناس؟ فقالوا: أنتم **فقال**: كلا أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفاً من أحب الناس أن يكونوا منه ولم يحب أن يكون من أحد.

وذكر الحسن والحسين عليهما الرضوان عند المأمون **فقال**: بخ بخ ما تقولون في غلامين حسن خلقهما الجليل وناغاهما جبريل وولدا بين التنزيل والتبجيل، هل لذين من عديل جدهما الرسول وأمهما البتول وأبوهما المقبول.

وقال عمر بن الخطاب في طلب مصاهرته علياً: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي. وقال عليه الصلاة والسلام: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني.

● مَنَاقِبُ جماعةٍ من الصَّحابةِ رضوانُ الله عليهِمْ أجمعين

سمّى النبي ﷺ **طلحة** يوم أحد **طلحة الخير**، وفي غزوة العسرة **طلحة الفياض**، ويوم خيبر **طلحة الجود**.

ودخل على النبي ﷺ **فقال**: يا طلحة أنت ممن قضى نحبه وقال الزبير حواريّ وابن عمتي وطلحة حواريي.

وقال سعد: ما أسلم في اليوم الذي أسلمت فيه أحد، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام. **وقال**: نبلني رسول الله ﷺ يوم أحد، **وقال**: إرم فداك أبي وأمي. وقال عليه الصلاة والسلام: اللّهم سدد رميه وأجب دعوته.

وقال عبد الرحمن: كان اسمي عبد عمرو فلما أسلمت سماني رسول الله ﷺ

عبد الرحمن. **وقال النبي ﷺ**: لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح.

وقال النبي ﷺ: اهتز العرش لموت سعد بن معاذ. **وقال النبي ﷺ**: أقواكم أبي وأفرضكم زيد وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ وأقضاكم علي. **وقال**: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر. **وقال**: يأتيكم خير ذي يمن وعليه مسحة ملك، فأتاهم جرير بن عبد الله العجلي **وقال**: رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك. **وقال**: رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد، وكرهت لها ما كره ابن أم عبد يعني عبد الله بن مسعود.

وقال ابن عباس: ضمّني النبي ﷺ إلى صدره **وقال**: اللّهم علمه الحكمة **وقال النبي ﷺ**: نعم الرجل عبد الله بن عمر كان يصلي بالميل، ثم ما كان ينام من الليل إلا قليلاً. **وقال عليه الصلاة والسلام**: إن عبد الله بن عمر رجل صالح. **وقال**: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون. وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الأطعمة. **وقال**: بلال سابق الحبشة.

وكان عمر يقول: أبو بكر سيدنا أعتق بلالاً وكان عليه السلام يقول: مالكم وعمار إنما عمار جلدة ما بين عيني وكان بنو مخزوم يعذبونه وأمه وكان يمر بهما النبي ﷺ ويقول: صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة. **وقال**: من أحب أن ينظر إلى رجل يحب الله ورسوله بكل قلبه فلينظر إلى سالم. وقال عمر في شكاته وعنده المهاجرون والأنصار: لو أدركت سالماً ما تخالجني فيه شك. واجتمع بباب عمر الإجلاء من العرب فخرج أذنه وفيهم أبو سفيان وعيينة بن حصن، فخرج الأذن **وقال**: أين بلال أين عمار أين صهيب أين سليمان أدخلوا فتمعرت وجوههم واستبان الجزع فيهم فقال سهيل بن عمر ومالكم دعوا ودعينا، فأسرعوا وأبطأنا ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد لهم في الجنة أعظم.

وقال المهدي لعبد الله بن مصعب: ما تقول فيمن ينتقص أصحاب النبي ﷺ؟ **فقال**: أمرنا أن نقتل من ينتقص النبي بأيسر تنقص، وإن من أشد النقص أن يقال: كان راضياً بأصحاب سوء يصحبونه. وقال سفيان بن عيينة: من أبغض أبا طالب فهو كافر فقيل لمه. **قال**: لأن النبي ﷺ كان يحبه ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1] ومن أبغض من يحبه رسول الله ﷺ فهو كافر.

● نَبْذٌ مِنْ ذِكْرِ فضائِلَ معاوية رضي الله تعالى عنه

قيل لأبي برد الأسلمي: لم اخترت صاحب الشأم على صاحب العراق؟ **فقال**: لأني رأيته أطوى لسره وأملك لعنان أمر جيشه وأفطن لما في نفس عدوه. وسئل عمر بن

---

(١) القرآن الكريم: القصص/٥٦.

عبد العزيز عن يوم الجمل ويوم صفين، **فقال**: تلك دماء صان الله عنها يدي فلا أغمس فيها لساني. وقال بعضهم: علي بن أبي طالب آخرة لا دنيا معه ومعاوية دنيا لا آخرة معه.

● مِمّا طُعِنَ فِيْهِ

قيل لهشام بن الحكم: هل شهد معاوية يوم بدر؟ **فقال**: نعم، من ذلك الجانب. وبلغ الحسن أن نافعاً كان يقول: إن معاوية كان يسكته الحلم وينطقه العلم. **فقال**: كان يسكته الحصر وينطقه البطر. وقال الحسن: لقد فعل معاوية ثلاثاً كلها موبقات، منازعة الأمر أهله وادعاؤه زياداً واستخلافه يزيد وقال معاوية: أعنت على علي بثلاث. كان رجلاً يظهر سره وكنت كتوماً، وكان في أخبث جند وشره وكنت في أطوع جند وأقله خلافاً، وكنت أحب إلى قريش منه رضي الله عن الصحابة أجمعين.

● نَوادِرُ للشيعةِ

قيل لبهلول وكان يتشيع: وزن أبو بكر وعمر بالأمة فرجحا **فقال**: لعله كان في الميزان عيب. وقيل له: أتأخذ درهمين وتشتم فاطمة؟ **فقال**: بل آخذ دانقاً وأشتم معاوية. وقال بعضهم: رأيت في بغداد مكفوفاً يقول من أعطاني حبة سقاه الله من الحوض على يد معاوية، فتبعته حتى خلوت به فلطمته لطمة وقلت له عزلت أمير المؤمنين عن الحوض، **فقال**: بحبة أسقيهم من يد أمير المؤمنين لا والله.

وتخاصم رجلان إلى بعض الولاة وكان يتشيع وكان إسم أحد الخصمين علي وكنيته أبو عبد الرحمن واسم الآخر معاوية فلما عرف الوالي إسميهما، ضرب معاوية مائة سوط ففطن الخصم للقصة فقال للوالي إن رأيت أن تسأل خصمي عن كنيته، فسأله فقال كنيتي أبو عبد الرحمن، فغضب عليه وضربه مائة سوط، فقال له المسمى معاوية: ما أخذته مني بالاسم استرجعته منك بالكنية.

وبقزوين قرية أهلها متناهون في التشيع فمر بهم رجل فسألوه عن اسمه، **فقال**: عمران، فاجتمعوا عليه يضربونه، فقال ليس اسمي عمر فتضربونني لماذا، قالوا: هو أشرُّ من ذلك فإنه عمر وفيه حرفان من عثمان.

● تعريضاتٌ للشيعةِ

كان شيطان الطاق يتشيّع، فأخذه بعض الخوارج. **فقال له**: إن لم تتبرأ من عثمان وعلي قتلتك. **فقال**: أنا من علي ومن عثمان بريء، وإنما أراد من علي أي من مواليه وبريء من عثمان فتخلص من الخارجي. ومر ابن المعدل بقوم، فسلّم عليهم، فلم يجيبوه، **فقال**: لعلكم تظنون ما يقال فيَ من الرفض أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، من نقّص واحداً منهم فهو كافر وامرأته طالق، فسر القوم ودعوا له، **فقال**: بعض من كان معه من شيعته: ويحك ما هذه اليمين؟ **فقال**: إني أردت بقولي من نقص واحداً منهم علي بن

أبي طالب وحده. وقال أبو سهل الصعلوكي لأبي عبد الله الحصيري: كم تقول أمير المؤمنين وما كان له قط يوم أبيض، **فقال**: ولا اليوم الذي رجع فيه إلى الحق وبايع أبا بكر **فقال**: كان في ذلك اليوم مكرهاً. فقال أبو عبد الله: إشهدوا حتى لا يقول في المناظرة إنّ أمير المؤمنين كان راضياً بتولية أبي بكر.

● نوادرُ للنّاصبة

كان بعض الشيعة يستدل بقول النبي ﷺ: عليٌّ مني كهارون من موسى، **فقال**: بعض النواصب ما تلك المنازل فإنّ هارون كان أخا موسى من أبيه وأمه وكان شريكه في النبوة ومات قبله وليس شيء من هذه المنازل لعلي، فلم يبق إلا أن يأخذ بلحيته وبرأسه، يعني قوله لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي. وولد لرجل من النواصب ولد فسماه حسيناً فقال بعض أصدقائه: والله لو عق عن ابنه بمعاوية ما كان إلا ناصبياً.

● ذَمُّ الغلوّ والتّهافتِ في الصّحابة

قال يحيى بن زيد بن علي: نحن من أمتنا بين أربعة أصناف: ظالم لنا حقنا وبالغ بنا فوق قدرنا، ومعطينا ما يجب لنا، وحامل علينا ذنب غيرنا. وقال بعض عوام الناصبة: معاوية ليس بمخلوق، **فقيل**: كيف؟ **قال**: لأنه كاتب الوحي والوحي ليس بمخلوق وكاتبه منه. **وقيل**: إن عبد الرحمن صاحب الأندلس أنهى إليه أن رجلاً من العملة وقع في علي رضي الله عنه، فأمر بتأديبه، **فقيل له**: لم يزل الخلفاء من أسلافك يجوزون هذا، **فقال**: أنا لم أنكر من فعل معاوية شيئاً كإنكاري لهذا. فإن في هذا تجسيراً للعامة على الوقوع في علي وعليّ إنْ قعد به أدبه لم يقعد به حسبه ومن الخطأ في السياسة ترخيص الملوك للعامة في الوقيعة فيهم.

وسئل رجل: هل الحسن أفضل أم الحسين؟ **فقال**: الحسن، لأن الله تعالى يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة ولم يقل حسينة. وسئل بعضهم: هل كان النبي حسنياً أم حسينياً **فقال**: كان حسنياً وحسينياً رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

الحدّ الحادي والعشرون

في الموت وأحواله

•

(١)
أسماء الموت ووصفه

•

يقال له: النبط والهمع والرمد وأم قشعم وشعوب والموتان والحمام والفود ومرت زؤام وذعاف وجحاف.

ويقال: فقس وفطس وعضد ويتبل وعضد وطن ولعق أصبعه ورق بنفسه وجرض بريقه وآثر الله به وانحل تركيبه ومضى لما خلق له وأتاه ما كان يحذر ودعاه ما كان يخبر، شرب الدهر عليهم: وأكل وأفلت حريضاً، وأفضه شعوب ووجبت نفسه ونضب ظله، وقرض رباطه، وصل به إلى أبي يحيى وسلم لمائه.

وقيل لحكيم: ما الحياة وما الموت، **فقال**: الحياة ميتة أدّت إلى سعادة والموت حياة أوجبت على أهلها الحجة. وأجود اسم له ما قال النبي ﷺ أكثروا من ذكر هادم اللذات. **وقيل**: الحتوف أربعة، سخطي بعقوبة الله وذلك ما ذكر الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[١]، وطبيعي وذلك بالهرم وانقطاع الأمل، وعرضي وهو ما يسمى الموت الفجأة، واكتسابي وهو ما يكون بالتعرض لحرب أو سباع ونحو ذلك.

• تعظيمُ أمرِ المَوْتِ

قال النبي ﷺ: ما رأيت منظراً فظيعاً إلا والموت أفظع منه. **قال عبد الله بن معاوية**:

والموتُ أعظم حالةٍ ... مما يمرّ على الجِبلّة[٢]

وقال رجل للحسن: إن عشت تر ما لم تره، **فقال الحسن**: إن مت تر ما لم ترَ، وكان كثيراً ما يقول الحسن: عند الموت يأتيك الخبر. **وقال**: إن الموت فضح الدنيا

---

(١) القرآن الكريم: الأنعام/ ٤٤.

(٢) الجبلة: الطبيعة أو الخلقة.

● الحَثُّ على تصوُّر المَوت

قال بعض الخلفاء لابن السماك: عظني وأوجز. **فقال**: اعلم أنك أول خليفة تموت وهذا كما سأل أزدشير بعض الحكماء عن دار بناها، وقال هل ترى فيها عيباً؟ **فقال**: نعم عيباً لا يمكنك إصلاحه، فقال وما هو؟ **قال**: لك منها خرجة لا عود بعدها أو دخلة لا خروج بعدها. وقال روح بن عبادة رأيت في منامي كأن قائلاً يقول:

لا تكونوا كالأولى من قبلكم ... لم يخافوا بأسنا حتى نزل

وكتب أبو العتاهية على سقف بيته بتزويق:

أتطمعُ أن تخلدَ لا أبا لك ... أمنتَ قوى المنية أن تنالَك

أما والله إنّ لها رسولاً ... بها لو قد أتاك لما أقالَك[1]

كأنّي بالتّراب عليك يُحثى ... وبالباكين يقتَسِمون مالَك

ولستَ مخلّفاً في النّاس شيئاً ... ولا متزوّداً إلا فعالَك

وكان الحسن إذا خوف من الموت **يقول للشيوخ**: الزرع إذا بلغ لا بد أن يحصد. **ويقول للشبان**: هل رأيتم زرعاً لم يبلغ أدركته الآفة؟ وقيل أذكر حفرة سمكها قصير وساكنها أسير.

وقيل: من ضاق به أمر فليتذكر الموت فإنه يتسع عليه، **ونحوه**: من أحس بأنه يموت فليس ينبغي أن يغتم لأمر صعب ينزل به.

وقيل لجعفر بن محمد عليهما السلام: كيف صار الموت يأخذ على فنون شتى، **فقال**: أحب الله أن لا يؤمن على حال. شكا رجل إلى النبي ﷺ قساوة قلبه **فقال**: أكثر من ذكر هادم اللذات فإنه ما ذكره أحد في ضيق إلا وسعه عليه ولا في سعة إلا ضيقها عليه.

وقال معبد الجهني: نعم نصيحة القلب ذكر الموت يطرد فضول الأمل ويكف غرب المنى ويهوّن المصائب ويحول بين القلب وبين الطغيان. **وقيل**: ما دخل ذكر الموت بيتاً إلا رضي أهله بما قسم الله لهم وجدوا في أمر آخرتهم. **وقيل**: أبلغ العظات النظر إلى محل الأموات ومصارع البنين والبنات.

● التّخويفُ مِن الموتِ بما يُشاهَد

قال الحسن، وقد قعد عند رأس ميت: أن امرأ هذا آخره لأهل أن يزهد فيما قبله، وإن أمرأ هذا أوله لأهل أن يحذر ما بعده. وقف أعرابي على قبر هشام وخادم له يقول ما لقينا بعدك صنع بنا، **فقال الأعرابي**: ايها عليك أما أنه لو نشر لأخبر أنه لقي أشد مما لقيتم.

---

(١) **لما أقالك**: لما صفح عنك.

ومر أمير المؤمنين بمقابر الكوفة **فقال**: السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة، أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع. أما الأزواج فقد نكحت، وأما الديار فقد سكنت، وأما الأموال فقد قسمت، هذا خير ما عندنا فما خير ما عندكم؟ ثم التفت إلى أصحابه **فقال**: أما أنهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى.

ونظر الحسن إلى صبية بين جنازة أبيها تقول: يا أبت مثل يومك لم أره. فضمها الحسن **وقال**: أي بنية وأبوك مثل هذا اليوم لم يره، فبكى الخلق.

● حثُّ الإنسانِ على الإستدلال على مَوْتِهِ بِمن مَاتَ مِنْ أقارِبِهِ

قال بعضُ الحكماء: ذهب أبوك وهو أصلك، وابنك وهو فرعك فما حال الباقي بعد ذهاب أصله وفرعه! وقال محمود في معناه:

وغــادروك بــلا أصْــل ولا طــرفٍ ... فــمـا بقـاؤُك بـعـدَ الأصـلِ والـطّـرفِ

وقال أبو نواس:

ألا يــا ابــنَ الــذيــن فـنُـوا ومـاتـوا ... أمــا والله مــا مــاتــوا لــتَـبْـقـى

قال أبو حازم: إن امرأ ما بينه وبين آدم أب إلا ميت لمعرق في الموت.

قال لبيد:

فإن أنتَ لم ينفعْك علمُك فانتبه ... لـعـلّـك تـهـديك الـقُـرونُ الأوائـلُ

فإن لم تجدْ من دونِ عَدنانَ باقياً ... ودونَ مـعـدٍ فـلْـتـزَعْـك الـعـواذِلُ(١)

وقال امرؤ القيس:

فـبـعـضُ الـلـوم عـاذلَـتـي فـإنـي ... سَـيَـكْـفـيني الـتـجاربُ وانـتـسـابي

إلى عِرْقِ الثرى وشجَتْ عروقي ... وهـذا المـوتُ يَـسْـلُـبُـني شبابي(٢)

وقال أبو تمّام:

تـأمّـل رويـداً هـل تـعـدنْ سـالـمـاً ... إلـى آدم أو هـل تُـعِـدُ ابـنَ سـالـمِ

متى يرغ هذا الموتُ عيْناً بصيرة ... تـجـد عـادلاً مـنـه شَـبـيـهاً بـظـالـمِ

وقال عمارة:

ومـا نـحـن إلا رفـقـةٌ قـد تـرحـلـت ... لـقصـدٍ وأخرى قد أنـيـخَـت ركـابُـهـا

وقال البحتري:

ومـا أهـلُ الـمـنـازل غـيـرَ ركْـب ... مــنــايــاهــم رواحٌ وابــتــكــارُ(٣)

---

(١) **العواذل**: جمع عاذل، اللائمون ـ **وعدنان ومعد**: من اجداد العرب.

(٢) **عِرق الثرى**: جوهر الأرض ـ **وَشَجتْ عروقي**: انسابت، أوت، سربت.

(٣) **الرواح**: العشي ـ **الابتكار**: المجيء «بكرة» أي غدوة.

ولما أتى معاوية موت زياد توجع، وقال:

وأفردتُ سهماً في الكِنانة واحِداً ... سيرمى به أو يكسرُ السهمَ كاسرُهُ

- **الإعتبارُ بِمَنْ ماتَ من الكِبار والسَّلاطين**

قيل: لمَّامات الإسكندر وقف عليه أرسطاطاليس **فقال**: طالما كان هذا الشخص واعظاً بليغاً وما وعظ بموعظة في حياته أبلغ من عظته في مماته. أخذ هذا المعنى أبو العتاهية، فقال:

وكانتْ في حياتِك لي عِظاتٌ ... فأنتَ اليومَ أوعظُ منكَ حيّا

وحمل إلى أمه في تابوت من ذهب، **فقالت**: جمعت الذهب حياً وجمعك الذهب ميتاً.

قال الأسود بن يعفر:

ماذا أؤمل بعد آل محرق ... تركوا منازلَهم بغَير إيادِ[1]

أهلِ الخورنقِ والسَّديرِ وبارقٍ ... والقصرِ ذي الشرفات من سندادِ[2]

وقال المتنبي:

أين الأكاسرةُ الجبابرة الألى ... كنزوا الكنوزَ فما بَقين ولا بَقُوا

من كلِّ من ضاقَ الفضاءُ بِجيْشِهِ ... وحواهُ عند الموتِ لحدٌ ضيِّقُ

وقال آخر:

ألم ترَ صولَ الدهر في آل برمك ... وآل نهيك والألى سلفُوا قبلُ

لقد غرسُوا غرسَ النخيل تمكّناً ... فما حصَدوا إلا كما يُحصد البقلُ[3]

ونظرت امرأة إلى جعفر بن يحيى مصلوباً فقالت: لئن كنت في الحياة غاية فلقد صرت في الممات آية.

قال شاعر:

ومن كانَ ذا بابٍ شديدٍ وحاجِبٍ ... فعمّا قليل يهجرُ البابَ حاجبُه

وقال آخر:

الموتُ يأتي كلَّ ... محتجبٍ ولا يَستأذِنُ

- **تناهي بعد من مات**

قال أبو حية النمري:

فلا غائبٌ من كان يُرجى إيابُه ... ولكنه مَنْ ضُمِّنَ اللحدَ غائبُ

---

(١) **بغير إياد**: دون قوة أو مؤازرة.

(٢) **الخورنق والسدير وبارق**: قصور معروفة بعظمتها.

(٣) **كمايُحصد البقل**: كناية عن سرعة اقتلاعهم واندثارهم.

وقال آخر:

بلى كلُّ من تحت التراب بعيدُ

وقال آخر:

ومَنْ نصب المنون بعيدُ

قال النابغة:

حسب الخليلين نَأْيُ الأرض بينَهما هذا عليها وهذا تحتَها بالي

- **الغفلةُ عن الموتُ**

قال النبي ﷺ: كان الحق على غيرنا وجب، وكان الموت على غيرنا كتب، وكان من نشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم. وقال الحسن ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت، أخذه محمد بن وهب، فقال:

تُراع لذكر الموتِ ساعةَ ذِكرهِ وتعترضُ الدنيا فتلهو وتلعبُ
يقينٌ كان الشكُّ غالبَ أمرِهِ عليه وعُرفانٌ إلى الجَهْلِ يُنسبُ

وقال الحسن وهو في جنازة: يا قوم لو أن هذا الرجل أخذه سلطانكم لفزعتم.

قالوا: بلى. **قال:** قد أخذه ربكم فلمَ لا تفزعون.

وقيل: من لم يرتدع بالموت وبالقرآن، ثم تناطحت الجبال بين يديه، لم يرتدع.

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: ما هذا التغافل عما أمرتم به والتسرع إلى ما نُهيتم عنه، إن كنتم على يقين فأنتم حمقى وإن كنتم على شك فأنتم هلكى. قال أبو العتاهية:

الموتُ لو صحَّ اليقينُ به لم يَنتَفِعْ بالموتِ ذاكِرهُ

وقال محمد بن بشير:

يا حسرَتي في كلّ يوم مضَى يذكُرني الموتُ وأنساه

وقال الموسوي:

ونأمل من وَعد المُنى غيرَ صادقٍ ونأمنُ من وعد المنى غيرَ كاذِبِ
نُراعُ إذا ما شيك أخمصُ بَعْضِنا وأقدامُنا ما بينَ شوْكِ العقارِبِ

- **الأَجَلُ حائلٌ بينَ الإنسانِ والأَمل**

قيل: لو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال ووجد حجر بدمشق **مكتوب عليه:** يا ابن آدم لو رأيت ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك.

وقال أمير المؤمنين: إنكم في أجل محدود، وأمل ممدود، ونفس معدود، ولا بد للأجل أن يتناهى وللأمل أن يطوى وللنفس أن يحصى.

وقيل لحكيم: ما أبعد الأشياء من الناس؟ **قال:** الأمل، فقيل: وما أقرب الأشياء منهم؟ **فقال:** الأجل.

● **مَنْ ماتَ بعدَ الكِبَر**

عاش نوح عليه السلام ما عاش، **وقيل له** لما أشرف على الموت: كيف وجدت الدنيا؟ **فقال**: وجدتها داراً دخلتها من باب وخرجت من آخر.

وقال بعضهم:

وكلّ امرىء يوماً وإن عاشَ حقبةً ... له غايةٌ تجري إليه ومنتَهى

وقال محمود الوراق:

وما صاحبُ السبعين والعشرِ بعدَها ... بأقربَ ممّن حنكّتْه القوابلُ[1]

ولكنّ آمالاً يؤمّلُها الفتى ... وفيهنّ للراجِين حقٌ وباطلُ

وقال المتنبي:

وأوفى حياةِ الغادرين لصاحبِ ... حياةُ امرىءٍ خانتْه بعْد مشيبِ

● **الموتُ لا يفوتُهُ أحدٌ**

قيل: مَن لم يمت عاجلاً مات آجلاً.

قال شاعر:

فمنْ لم يلاقِ الموتَ كاس منيّة ... فلا بدّ منه أن تصادفَه غدا

وقال آخر:

كلّ حيّ ممَلكٍ ... سوفَ يَفْنى وَمَا مَلَكْ

وقال آخر:

وكُلُّ جَمْعٍ في الورى لِتفرُّقِ

وقال آخر:

من لَمْ يمت غبْطةً يمُت هرماً[2]

وقيل لابن المقفع: قد كنت نُعيت إلينا. **فقال**: ما بُعدٌ كائن ولا قرب بائن.

وقال ابن المعتز:

ألا إنما جسمي لروحي مطيةٌ ... ولا بد يوماً أن يُعرّى من الرحلِ[3]

● **الموتُ لا يُتخلصُ منه بالطبِ**

قيل للربيع بن خيثم في مرضه: ألا ندعو لك طبيباً؟ **فقال**: وعاداً وثموداً وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً لقد كان فيهم أطباء فما أرى المداوي بقي ولا المداوى صَلُح:

ما للطبيبِ يموتُ بالداء الذي ... قَدْ كان يُبرىء مِثلَه فيما مَضَى

---

(١) **حنكته القوابل**: أحكمته وجرّبته الأعوام التالية.

(٢) **الغبطة**: حُسن الحال.

(٣) **الرحل**: هو للبعير بمثابة السرج للحصان.

هَلَكَ المداوِي والمداوَى والذي جلبَ الدواء وباعَه ومن اشترى

وقال المتنبي:

يموت راعي الضأنِ في جهْله موتةَ جالينوس في طُبّهِ

ودخل الفرزدق على مريض يعوده فسمعه يطلب طبيباً، **فقال:**

يا طالبَ الطبَّ من داءٍ تخوَّفَهُ إن الطبيبَ الذي أبلاك بالداءِ

هو الطبيبُ الذي يرجى لعافيةٍ لا مَنْ يدوفُ لك التِرياقَ بالماءِ[1]

وقال آخر:

وأعيا دواءُ الموتِ كلَّ طبيبِ

وفي باب الطب بعض ذلك وأشباهه.

● **التحرُزُ لا يُخلِّصُ من الموت**

قيل: إذا انقضت المدة فالحتف في العدة.

وقال شاعر:

كلُّ شيءٍ قاتِلٌ حين تَلْقَى أجلَك

وقال أبو ذؤيب:

وإذا المنيةُ أنشبَتْ أظْفارَها ألفيتَ كلّ تميمَةٍ لا تنفعُ[2]

وقال المخبل:

ولئن بنيت لي المشقّر في هَضبٍ يُقصر دونَه العصمُ

وقيل: إن عبد الملك هرب من الطاعون، فركب ليلاً وأخرج غلاماً معه وكان ينام على دابته **فقال للغلام:** حدثني، **فقال:** ومن أنا حتى أحدثك؟ **فقال:** على كل حال حدِّث حديثاً سمعته. **فقال:** بلغني أن ثعلباً يخدم أسداً ليحميه ويمنعه ممن يريده، فكان يحميه فرأى الثعلب عقاباً فلجأ إلى الأسد فأقعده على ظهره فأنقض العقاب واختلسه، فصاح الثعلب: يا أبا الحارث أغثني واذكر عهدك لي، **فقال:** إنما أقدر على منعك من أهل الأرض وأما أهل السماء فلا سبيل لي إليهم. فقال عبد الملك: وعظتني وأحسنت. انصرف فانصرف ورضي بالقضاء. ويروى لبعض الجن:

رأى الحصنَ منجاةً من الموتِ فارتقى إليه فزارته المنيّة في الحِصْنِ

وقال آخر:

يوشِك مَنْ فَرَّ مِنْ مَنيَّتِهِ في بعض غرّاته يصادفُها[3]

---

(١) **يدوف الترياق:** يخلط الدواء بالماء، ويذيبه.

(٢) **تميمة:** جمع تمائم، وهي شبه حرز يُعلّق في العنق دفعاً للعين والأذى.

(٣) **غراته:** جمع غرة، وهي الغفلة.

وقال آخر:

وإذا خشيتَ من الأمور مقدّراً   وفررتَ منه فنحوَه تتوجّهُ

وقال حجر العبسي:

فقلْ للملتقي عرضَ المنايا   توقَّ فليس ينفعُك اتقاءُ

وقال ثعلبة العبدي:

أمن حذرٍ آتي المتالِفَ سادراً   وأيةُ أرضٍ ليس فيها مَتالِفُ[(١)]

وقال آخر:

لا تأمننَّ وإنْ أصبحتَ في حَرَمٍ   إن المنايا بجنبَيْ كلِّ إنسانِ

وقال أبو ذؤيب:

يقولونَ لي لو كانَ بالرملِ لم يمُت   نشيبة والطراق يكذبُ قبولُها[(٢)]

ولو أنني استودعْته الشمسَ لارتقَت   إليه المنايا عينُها ورسولُها

وقال آخر:

كلٌّ يدورُ على البقاءِ مجاهِداً   وعلى العَناء تديرُه الأيامُ[(٣)]

● **كلُّ إنسانٍ يُفقَدُ أو يَفقِدُ أقاربَهُ**

قال بعض الحكماء: من طال عمره رأى المصائب في إخوانه وجيرانه، ومن قصر عمره كانت مصيبته في نفسه.

قال شاعر:

كل أمرىءٍ ستئيم منـ   ـه العرسُ أو منها يئيم[(٤)]

وقال الموسوي:

فمؤجّل يلقى الرّدى في أهلِهِ   ومعجّلٌ يَلْقَى الرّدى في نَفْسِهِ

وقال المتنبي:

سُبِقْنا إلى الدنيا فلو عاشَ أهلُها   مُنِعْنا بها من جيئةٍ وذهوبِ

تملّكها الآتي تملُّكَ سالبٍ   وفارقَها الماضي فِراقَ سليبِ

---

(١) **المتالف**: جمع متلفة، الأرض الخالية الواسعة ـ والمتالف: محل التلف.

(٢) **الطراق**: الحوادث، والآتون ليلاً ـ **قَبُولها**: ريحها.

(٣) **العناء**: التعب.

(٤) **يئيم**: آم الرجل أو المرأة من زوجها: فقدته أو فقدها.

● **الموتُ لا يُدْفَعُ بالأسلحةِ**

قال علقمة:

بـل كـلّ قـوم وإن عـزوا وإن كـثـرُوا ... عـريـقـهـم بـأثـافـي الـشرّ مـرجـومُ(١)

وقال المتنبّي:

نـعـدّ الـمـشـرفـيّـةِ والـعـوالـي ... وتـقـتُـلـنـا الـمـنـونُ بـلا قـتـالِ(٢)

ونـرتـبـطُ الـسـوابـقَ مُـقـرَبـاتٍ ... ومـا يُـنْـجِـيـن مـن خَـبَـب الـلـيـالـي(٣)

ومَـنْ لَـمْ يَـعْـشَـقِ الـدنـيـا قـديـمـاً ... ولـكـن لا سـبـيـلَ إلـى الـوصـالِ

وقال الموسوي:

تـفـوز بـنـا الـمـنـونُ وتـسـتـبِـدّ ... ويـأخـذُنـا الـزمـانُ فـلا يـردُّ

رويـدَك بـالـفَـرار مـن الـمـنـايـا ... فـليس يـفـوتُـهـا الـسـاري الـمـجِـدُّ(٤)

وكـلُّ فـتـىً يـحـفُّ بـجـانـبَـيْـه ... خـواطـرُ بـالـقـنـا قـنـبٌ وجـردُ(٥)

فـمـا دفـع الـمـنـايـا عـنـه وفـرٌ ... ولا هَـزَمَ الـنُّـوائِـبَ عـنـه جُـنـدُ

● **الحياةُ معرضَةٌ لسهامِ المنايا**

قال أبو العتاهية:

إنَّ لـلـمـوتِ لَـسَـهْـمـاً قـاصِـداً ... لـيـس يَـفْـدي أحـداً مـنـه أحَـدُ

وقال الرفاء:

نـحـنُ أغـراضُ خـطـوبٍ إنْ رمَـتْ ... حـيـرتْ فـي دقّـةِ الـرمـي ثُـعَـل(٦)

وإذا مـا اخـتـلـفـت أسـهـمُـهـا ... فـأصـابـتْ بـطـلَ الـقـرمِ بـطَـل(٧)

● **صحيحٌ مات**

قيل لحكيم: مات فلان أصح ما كان، **فقال:** أو صحيح من الموت في عنقه. **وقيل للحسن:** مات فلان فجأة، **فقال:** لم يمت فجأة لمرض فجأه، **ثم قال:** اللهم أجرني من أن أكون مختلساً. **وقيل لأعرابي:** كيف مات أبوك؟ قال: مات سراً يعني فجأة. **وقال شاعر:**

وربـمـا غـوفـص ذو غـرّة ... أصـحّ مـا كـانَ ولـم يـسْـلـم(٨)

---

(١) **أثافي الشر:** المصائب العظيمة.

(٢) **المشرفية:** السيوف ـ **العوالي:** جمع عالية، وهي صدر الرمح، والمنون: الموت.

(٣) **السوابق:** الخيل، مقربات: أي محبوسة قرب البيوت ـ **الخبب:** ضرب من العدْو.

(٤) **الساري:** الذي يسير ليلاً. (٥) **القُنب:** الخيل تجمع للغارة ـ **الجرد:** التي لا شعر عليها.

(٦) **الخطوب:** المصائب ـ **ثعل:** قوم من العرب برعوا في الرماية لا تخطىء سهامهم.

(٧) **القرم:** العظيم.

(٨) **غوفص:** أي غفص وغافص مغافصة فلاناً أخذه على غرّة وركبه بمساءة (لسان العرب، مادة غفص).

وقيل لرجل: ما كان سبب موت فلان؟ **قال**: كونه. **وقال سفيان**: يا ابن آدم إن جوارحك سلاح الله عليك بأيها شاء قتلك.

● ضعفُ بنيةِ الإنسانِ وَتركِيبِهِ

سُئل جالينوس عن الإنسان **فقال**: سراج ضعيف وكيف يدوم ضوؤه بين أربع رياح. يعني بالسراج روحه وبالرياح الأربع طبائعه **قال شاعر**:

وما المرءُ إلا كالشهابِ وضوئِه ... يصيرُ رماداً بعد إذ هوَ ساطِعُ

وقال أفلاطون: إذا كانت الطينة فاسدة والبنية ضعيفة والطبائع متنافية والعمر يسيراً والمنية راصدة فالثقة باطلة. **قال شاعر**:

أنظرْ إلى هذا الأنامِ بعِبْرةٍ ... لا يعجبنْك خلقُه ورِواؤه[1]

بيناه كالورق النضير تقضّبَتْ ... أغصانُه وتسلّبَت شجراؤه[2]

وقال الحسن: مسكين ابن آدم مكتوب الأجل والعلل، أسير الجوع والشبع.

● إتيانُ المرءِ حتفَهُ حيثما قُدِّر له

قيل لفيلسوف: مات فلان في غربة، **فقال**: ليس بين الموت في الوطن والغربة فضل. لأن الموت في جميع المواضع واحد والطريق إلى الآخرة من كل مكان سواء.

قال شاعر:

إذا ما امرؤٌ حانت عليه منيّةٌ ... بأرضٍ أتاها مكرَهاً لا تَطوُّعا

وقال آخر:

إذا ما حِمامُ المرءِ كانَ ببلدةٍ ... دعتْه إليها حاجَةٌ أو تطرُّبُ[3]

● جهلُ الإنسانِ بوقتِ موتِهِ وموضعِ مَضجَعِهِ

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[4] وقيل لجعفر بن محمد عليهما الرضوان: كيف يأتي الموت من وجوه شتى على أحوال شتى؟ **فقال**: إن الله أراد أن لا يؤمن في حال. **وقيل**: أمر لا تدري متى يغشاك ألا تستعد له قبل أن يفجأك.

وقال ديك الجن:

النّاسُ قد علموا أن لا بقاءَ لهم ... لو أنهم عمِلوا مقدارَ ما علِموا

---

(١) **الأنام رواؤه**: ماء وجهه. (٢) **تقضبت الأغصان**: تقطّعت وتكسرت.

(٣) **التطرّب**: الاهتزاز طرباً. وهنا بمعنى الميل والهوى.

(٤) **القرآن الكريم**: لقمان/ ٣٤.

وقال آخر:

وإنــك لا تــدري بــأيــةِ بــلــدةٍ ... تموتُ ولا عنْ أي شِقَّيْكَ تُصرعُ[1]

● تسويةُ الموتِ بين الأفاضلِ والأراذلِ

قال مالك بن دينار: قدم علينا بشر بن مروان أخو الخليفة فطعن في قدمه فمات، فأخرجناه إلى القبر فلما صرنا إلى الجبان، إذا نحن بسودان يحملون صاحباً لهم إلى القبر فدفناه ودفنوا صاحبهم، فعدت قبل الأسبوع فلم أعرف قبر الأسود من قبره، **وعلى هذا قول الشاعر**:

ولـقـد مـررتُ عـلـى الـقـبـورِ فـمـا ... مـيـزْتُ بـيـن الـعـبْـد والـمَـوْلَـى

وقال المتنبّي:

وصلتْ إليك يدٌ سواءُ عندها الـ ... ـبازي الأشيهِبُ والغُرابُ الأبقعُ[2]

ويُروى أن الإسكندر مرّ بمدينة قد ملكها غيره من الملوك **فقال**: انظروا هل بقي بها أحد من نسل ملوكها؟ **فقالوا**: رجل يسكن المقابر، فأحضره وسأله عن إقامته، **فقال**: أردت أن أميز عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدتها سواء. **فقال**: هل تتبعني فأحيي شرفك إن كان لك همة، **فقال**: همّتي عظيمة إنْ أنلتنيها، **فقال**: ما هي؟ **قال**: حياة لا موت معها، وشباب لا هرم معه، وغنى لا فقر معه، وسرور لا مكروه فيه. **فقال** ليس عندي هذا، **فقال**: دعني ألتمسه ممّن هو عنده، **فقال**: ما رأيت مثله حكيماً.

وأمر بشر بن الوليد أن يكتب على قبره:

من مات فَات وفي المقابرِ يسْتوي ... تـحـتَ الـترابِ شـريـفُـهُ ووضـيـعُـهُ

وقال صالح بن عبد القدوس:

فـيـا مـنـزلاً سـوّى الـبِـلـى بـيـن أهـلِـهِ ... فلم يستبِنْ فيه الملوكُ من السّوقي[3]

● انقضاءُ ناسٍ بعدَ ناسٍ ورُجوعُهُمْ إلى المَوْتِ

قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: إن لله في كل يوم ثلاث عساكر، عسكر ينزل من الأصلاب إلى الأرحام، وعسكر ينزل من الأرحام إلى الأرض، وعسكر ينتقل من الدنيا إلى الآخرة. **وقال شاعر**

ومـا نـحـن إلا رفـقـةٌ غـيـرَ أنّـنـا ... أقـمْـنـا قـلـيـلاً بـعـدَهـم ونـروحُ

---

(١) **شقّيك**: جانبَيْك، مثنى شِقّ.

(٢) **الأشيهب**: تصغير الأشهب وهو ما غلب عليه البياض - **الأبقع** في الطير كالأبلق في الدواب - **اليد** (هنا): يد المنية.

(٣) **السوقي**: الواحد من عامة النّاس.

ودخل العتبي المقابر، فأنشد:

سُقياً ورعياً لإخوانٍ لنا سَلفوا ... أفناهُم حدثانُ الدهرِ والأبدُ[1]
نمدّهم كلَّ يومٍ من بقيّتِنا ... ولا يؤوبُ إلينا منهُمُ أحَدُ

وقال الغطمش:

أرى الأرضَ تبقى والأخلاءَ تذهبُ

ونحوه:

إذا زرتَ أرضاً بعدَ طولِ اجتنابِها ... فَقَدْتَ صَديقاً والبلادُ كما هِيَا

وقيل لبهلول وقد أقبل من مقبرة: من أين؟ **فقال:** من عسكر الموتى. **فقيل:** ما قلت وما قالوا؟ **فقال:** سألتهم متى يرحلون؟ **فقالوا:** ننتظر قدومكم ثم نرتحل. **ونحو هذا قول الحسن:** يا عجباً بقوم أمروا بالزاد وأذنوا بالارتحال وأقام أولهم على آخرهم وآخرهم قعود يلعبون فليت شعري ما الذي ينتظرون؟

قال الموسوي:

تُملي المقاديرُ أعماراً وتنسخُها ... ويضرِبُ الدهرُ أياماً بأيّامِ[2]

● **مرجعُ الإنسانِ إلى ما خُلِقَ منه**

قال الله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[3]

وقال المتنبي:

إلى مثلِ ما كان الفتى يرجعُ الفتى ... يعودُ كما أُبدي ويُكري كما أرمَى[4]

قال الخبزارزي:

هو الموتُ مخلوقٌ له الخلقُ أجمعُ ... فليسَ له عن أنفسِ النّاسِ مَقْلَعُ[5]

وقال المتنبي:

نحنُ بنو الدنيا فما بالُنا ... نعافُ ما لا بُدَّ من شُربِهِ[6]
تبخلُ أيدينا بأرواحِنا ... على زمانٍ هنَّ مِن كَسْبِهِ
فهذه الأرواحُ من جوِّهِ ... وهذه الأجسادُ من تُربِهِ
لو فكَّر العاشقُ في مُنتهى ... حُسنِ الذي يَسبيه لم يَسْبِهِ[7]

---

(١) **الحدثان:** الليل والنهار وحِدْثان الدهر أيضاً نوائبه ومصائبه.

(٢) **تنسخها:** تزيلها وتبطلها. (٣) **القرآن الكريم:** طه/ ٥٥.

(٤) **يكري الشيء:** ينقص ـ أرمى: زاد.

(٥) **المقلع:** من أقلع أي ترك وكفّ، وليس له مقل: أي ليس بخياره أن يتركهم أو يتجنب إماتتهم.

(٦) **نعافُ:** نكره.

(٧) أي لو فكر فيما تصير إليه محاسن معشوقه بعد الموت لم يعشقه.

ومنها:

يموتُ راعي الضأنِ في جَهْلِهِ ... ميتةَ جالينوسَ في طُبِّه[1]

وربّما زادَ على عُمْرِه ... وزاد في الأمن على سِرْبِهِ[2]

فهذا الكلام هو الجوهر الذي لا قيمة له.

● ذمُّ مَنْ يَخافُ الموتَ ولا يَسْتَعِدُّ لهُ

قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل: كيف أنتم؟ قال: نرجو ونخاف قال: من رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه. وقال أبو الدرداء: العجب لمن يكره الموت لإساءته ولا يكره الإساءة في حياته. ونظر الحسن إلى جنازة يزدحم الناس عليها، فقال: مالكم تزدحمون ها هي سارية في المسجد، أقعدوا تحتها واصنعوا ما كان يصنع حتى تكونوا مثله.

وقال الحسن لشيخ في جنازة: أترى هذا الميت لو رجع إلى الدنيا كان يعمل صالحاً. قال: نعم، قال: إن لم يكن ذاك فكن أنت ذاك. وقال علي بن عبد العزيز:

إذا قلتُ لم يَبْلغ بيَ السِّنُّ مبلَغاً ... وعُظْتُ بطِفْلٍ صارَ قبْلي إلى التُّرْبِ

● الحثُّ على تعاطي ما يُسهِّلُ الموتَ

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أكره الموت. فقال: ألك مال؟ قال: نعم، قال: قدّمه فإن قلبَ كل امرىء عند ماله. وقال رجل لأبي الدرداء: ما بالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم، فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب.

وقال أبو حازم: كل عمل تكره الموت لأجله فدعه كي لا تخاف منه متى أتاك.

● مَنْ أمرَ ذَويهِ بالبُكاءِ عَلَيْهِ

قيل فيما روي عن النبي ﷺ: إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه، أنه إنما عنى إذا هو أمرَ به، نحو قول طرفة بن العبد:

إذا متُّ فانعيني بما أنا أهله ... وشُقّي عليّ الجَيْبَ يا أمّ مَعْبدِ[3]

وقول الفرزدق:

إذا متّ فانعيني بما أنا أهلُهُ ... فكلُّ جميلٍ قلتِ فيَّ مُصَدَّقُ

وقال ابن المعتز:

إذا متُّ فانعيني بما أنا أهلُهُ ... ولا تذخري دمعاً إذا قام نائحُ

---

(١) و (٢) جالينوس من أطباء اليونان المعروفين، ومع ذلك فلربّما زاد عمر الراعي على عمر جالينوس وكان آمن على نفسه من الهلاك.

(٣) شق عليه الجيب: ناح عليه وبكى نادباً.

وقولي ثوى طَوْدُ المكارمِ والعُلى وعُطِّلَ ميزانٌ من الحِلْمِ راجحُ[١]

● من أظهر جزعاً عِندَ مَوْتِهِ

لما أحضر حجر بن عدي ليُقْتَل سأل أن يُمْهَلَ حتى يصلي ركعتين، وأظهر جزعاً. فقيل له أتجزع؟ فقال: كيف لا؟ وإني لأرى سيفاً مشهوراً وقبراً محفوراً، ولست أدري إلى جنة يمضي بي أم إلى نار؟ وبكى الحسن بن علي عليهما الرضوان فقيل له: ما يبكيك؟ وقد ضمن لك رسول الله ﷺ الجنة. فقال: إني أسلك طريقاً لم أسلكها وأقدم على سيد لم أره. وقيل لبشر بن الحارث: كرهت الموت فقال: القدوم على الله شديد.

● مَنْ أظهر النَّدَمَ عِند موتِهِ ما فَرَّطَ مِنه

قال عبد الملك عند موته: وددتُ أني كنت غسالاً آكل كل يوم كسب يومي لا يفضل عني. فقيل ذلك لأبي حازم فقال: الحمد لله الذي جعلنا بحيث يتمنى الملوك حالنا عند الموت ولا نتمنى حالهم.

ولما نزل الموت بهشام جعل وُلده يبكون عليه فقال: جاد هشام عليكم بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء، وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما اكتسب. ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له. ولما أدنف المأمون أمر أن يفرش له فجعل يتمرّغ فيه ويقول:

كلُّ عيشٍ وإن تطاولَ يوماً صائرٌ مرَّةً إلى أن يزولا
ليتني كنتُ قبلَ يومي هذا في قِلال الجِبالِ أرْعى الوُعولا[٢]

وأغمي عليه ثم أفاق، وهو يقول:

لبيكُما لبيكُما ها أنا ذا لديكُمَا

اللهم لا بريء فأعتذر ولا قويّ فأنتصر، ثم أغمي عليه فلما أفاق، قال:

إن تغفر اللهم تغفر جمّاً وأي عبدٍ لك ما ألمّا

وتمثّل عضدُ الدولة عند موته بقول القاسم بن عبيد الله:

قتلتُ صناديدَ الرجال ولم أدعْ عدواً ولم أمْهِل على ظنة خَلْقَا[٣]
وأخليتُ دورَ الملك من كل نازلٍ فشرّدتُهم غرباً وبدّدتُهم شرقَا
فلمّا بلغتُ النجمَ عِزّاً ورفعة وصارت رقابُ الخلقِ أجمع لي رِقّا
رمى لي الرّدى سهماً فأخمدَ جمْرتي فها أنا ذا في حُفرتي عاجِلاً ملقَى[٤]
فأذهب دنياي وديني سفاهةً فمَنْ ذا الذي مني بمِصرَعِهِ أشقَى[٥]؟

---

(١) الحِلم: العقل.
(٢) قِلال الجبال: أعلاها.
(٣) صناديد الرجال: السادة الشجعان.
(٤) الردى: الموت ـ أخمد جمرتي: أطفأ جذوة حياتي وأهلكني.
(٥) سفاهة: جهلاً وطيشاً.

وأوصى الشبلي رحمه الله أن يكتب على قبره: تركت الجنة وليس لها قيمة وتعلقت بالدنيا وليس لها بقاء، وضيعت العمر وليس له بدل، واتبعت النساء وليس لهن وفاء، وجفوت الربّ وليس منه عوض.

• ذمّ مَنْ امْتنعَ مِن التّوْبةِ عِنْدَ مَوْتِهِ

إعتل أعرابي فقيل له: لو تبت، فقال: لست ممن يعطي على الذلّ إن عافاني الله تبت وإلا مت هكذا. وقيل للحجّاج: ألا تتوب؟ فقال: إن كنت مسيئاً فليست هذه ساعة التوبة، وإن كنت محسناً فليست ساعة الفزع.

• ذمّ مَنْ أوصى بِما لَيس لَهُ مِنْ مَاله

قال النبي ﷺ: إن لك من مالك الثلث والثلث كثير. وقال: لا نذر في معصية الله ولا وصية في مال الغير. وقيل لميمون بن مهر: إنّ رقية أعتقت كل مولاة لها عند موتها فقال: إنهم يعصون في أموالهم مرتين، يبخلون بها وهي في أيديهم حتى إذا صارت لغيرهم أسرفوا فيها.

• الحَثُ على أنْ يكونَ الإنسانُ وصيَ نفسِهِ.

قيل: كُنْ وصيَّ نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك واعلم صدق الذي يقول:

ولا يَـغْـرُرْك مـنْ تـوصـي إلـيـه ... فـقـصـر وصـيـةِ الـمـرءِ الـضـيـاعُ

• وفي الزُهدياتِ بعضُ ما أوْصَى به الصّالحون

ذكر الحسن عن بعضهم لمّا حضرته المنية قيل له: أوص. فقال: أوصيكم على المحافظة بآخر سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[1] وقيل لهرم بن حيّان: أوص. قال: مالي من مال فقد صدقتني في الحياة نفسي، ولكني أوصي بخواتيم سورة البقرة.

وقيل لعمر بن عبد العزيز: أوص لبنيك. فقال: أوصي بهم الذي أنزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين.

• مَنْ أوصى بِشَرٍّ عند موْتِهِ وذَكَر قساوَةَ قلبِهِ

لما حضرت وكيعاً الوفاة دعا بنيه فقال: يا بنيّ إن قوماً سيأتونكم قد قرّحوا جباههم وعرّضوا لحاهم يدعون أن لهم عند أبيكم ديناً فلا تقضوهم فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفرها الله له لم تضره هذه وإلا فهي معها.

ولما حضرت سعد بن زياد الوفاة جمع وُلده وقال: يا بني أوصيكم بالناس شراً

---

(١) القرآن الكريم: النحل/١٢٨.

كلموهم نزراً وأطعنوهم شزراً ولا تقبلوا لهم عذراً، أقصروا الأعنّة واشحذوا الأسنّة وكلوا القريب يرهبكم البعيد. **ولما حضرت الفرزدق الوفاة قال لقومه:**

أروني مَن يقومُ لكُم مقَامي ... إذا ما الأمرُ جلَّ عن العِتابِ[1]
إلى من تَفزعون إذا حَثَيْتم ... بأيديكم عليَّ من الترابِ[2]

فقالت مولاة له: إلى الله تعالى، **فقال:** أتتكلمين على غيري، وأنت تعيشين في مالي؟ أمحو اسمها وكتبها من الوصية.

وقيل للحطيئة: أوص يا أبا مليكة، **قال:** نعم أخبروا الشمّاخ أنه أشعر العرب، فقيل أوصِ للمساكين، **فقال:** أوصيهم بالإلحاف في المسألة، **قيل:** أعتق عبدك فلاناً، **قال:** هو عبد ما بقي على ظهر الأرض وعتيق إذا صار في بطنها، فقيل: أوصِ فإن لك بنات **قال:** مالي للذكور دون الإناث، فقالوا له: إن الله لم يقل كذا **قال:** أنا أقوله، **قيل:** فأوص للأيتام بشيء، **قال:** كلوا أموالهم وأنكحوا أمهاتهم. **ثم قال:** احملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم قط، وويل للشعر من رواة السوء.

وكان دريد بن الصمة قد عاش أربعمائة سنة فلما نزل به الموت قال لولده: أوصيكم بالناس شراً، طعناً لزاً وضرباً أزاً، وإن أردتم المحاجزة فقبل المناجزة، أقصروا الأعنة وأطيلوا الأسنة وأرعوا الكلأ، ثم قال:

اليوم هُيِّيَ لدريدٍ بيتُهُ ... يا رُبَّ بهتٍ حسنٍ حَوَيْتُه[3]
ومعصمٍ ذي مرةٍ لويتُه ... لو كان للدهر بِلى أبليتُه
أو كان قِرني واحداً كفيتُه[4]

قال إسماعيل بن قيس: دخلنا على معاوية في مرضه الذي مات فيه، **فقال:** هل الدنيا إلا ما جربنا لوددت أني لا أقيم فيكم ثلاثاً حتى ألقى الله، **فقلنا:** إلى رحمة الله. **فقال:** إلى ما شاء الله. إني لم آل فيكم إذ وليتكم فإن الله لو كره أمراً غيره. **قال ابن عبينة:** هذا والله الاغترار، ألم تكن مقاتلته علياً وقتله حجراً وبيعته ليزيد مما يكره الله تعالى؟

● مَن أحبَّ الموتَ وَذكَر نفعَه وَمَضرَّته

قال عبد الله بن مسعود: ما من نفس حيّة إلا والموت خير لها إن كان براً فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[5]، وإن كان فاجراً فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا

---

(١) **العِتاب:** اللوم. (٢) **تفزعون إلى:** تلجأون.
(٣) **البهت:** الباطل، والضعف.
(٤) **قرني:** القِرن الكفؤ والنظير ـ **أبليته:** اجتهدت في مصارعته.
(٥) **القرآن الكريم:** آل عمران/١٩٨.

﴿يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾[1]

ولما حضر بشراً الموت فرح، **فقيل له**: تستبشر بالموت، **فقال**: أتجعلون قدومي على خالق أرجوه كمقامي على مخلوق أخافه.

وقال بعضهم: لا يكره الموت إلا مريب.

وسئل فيلسوف عن الموت: فقال هو فزع الأغنياء وشهوة الفقراء، **وقال المتنبي**:

نعير حلاوات النفوسِ قلوبَنا ... فنختارُ بعضَ العيْش وهو حِمامُ

وله:

وما الدهرُ أهلٌ أن تؤمّلَ عنده ... حياةٌ وأن تشتاقَ فيهِ إلى النَّسْلِ[2]

وقال آخر:

قد قلتُ إذ مدحُوا الحياةَ فأسْرفُوا ... في الموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعرفُ

وقال بعضهم: لا يكون الحكيم حكيماً حتى يعلم أن الحياة تسترقُّه والموت يعتقه.

وقال الأخطل:

والناسُ همُّهمُ الحياةُ ولا أرى ... طولَ الحياةِ يزيدُ غيرَ خَبالِ[3]

وقال الجنيد: من كان حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه فتصعب عليه، ومن كان حياته بربّه فإنه ينتقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل وهي الحياة على الحقيقة.

● مَنْ تَمنّى الموتَ

قيل: شر من الموت ما إذا نزل تمنيت الموت لنزوله. **وقيل**: خيرٌ من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقده الحياة.

قال المهلبي:

ألا موتٌ يُباعُ فأشتريهِ ... فهذا العيْشُ ما لا خيرَ فيهِ

ألا رحمَ المهيمِنُ روحَ حرٍّ ... تصدّقَ بالوفاةِ على أخيهِ

وقال المتنبي:

كفى بك داءً أنْ ترى الموتَ شافيا ... وحسْبُ المَنايا أن يكنَّ أمانِيا

وقال الموسوي:

آهاً لنفسٍ حُبِستْ في جِلْدي ... إن الأسيرَ غرضٌ بالقِدِّ[4]

---

(١) **القرآن الكريم**: آل عمران/ ١٧٨.

(٢) أي شأن الدهر أن يغتال نفوس أهله، فليس بأهلٍ لأن ترجى عنده الحياة.

(٣) **الخبال**: من الخبل وهو فساد العقل.

(٤) **القِد**: الجلد يقيد به الأسير، أو السوط.

واعتل الشبلي ثم برأ فقال له بعض أصحابه: كيف أنت؟ فقال:

كلما قلت قد دنا حل قيدي قدموني وأوثقوا المسمارا

● الحياةُ لا تُملُّ

قال بعض الحكماء: الحياة وإن طالت لا تُمل وإنما يمل المرء تكاليف الحياة ولهذا فُضّل قول زهير:

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يعِش ثمانينَ حولاً لا أبا لك يَسْأَمِ

على قول لبيد:

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولِها وسؤالِ هذا الناس كيفَ لبيدُ؟

وقيل: إن الحياة لا تسأم وإنما تُسأم تكاليفها، قال المتنبي:

ولذيذُ الحياة أنفَسُ في النفسِ وأشهى من أن يُملَّ وأحلَى
وإذا الشيخُ قال أفٍ فما مـ ـلّ حياةً وإنما الضعفَ مَلاَ
آلةُ العيشِ صِحّةٌ وشبابٌ فإذا ولّيا عن المرءِ ولّى

ودخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق فرأى شيخاً. **فقال**: يا شيخ أيسرك أن تموت؟ **فقال**: لا والله. **قال**: لِم؟ وقد بلغت من السن ما أرى؟ **قال**: نفى الشباب وشره وبقي الشيب وخيره، فأنا إذا قعدت ذكرت الله وإذا قمت حمدت الله فأحب أن تدوم لي هاتان الحالتان.

● المستنكِفُ أنْ يموتَ حَتْفَ أنفِهِ

قال الشنفرى:

فلا تقبروني إنّ قبْري محرّمٌ عليكُم ولكن أبشري أم عامرِ[1]

وقال بكر بن عبد العزيز:

إن موتَ الفراش ذلٌّ وعارٌ وهو تحتَ السيوفِ فضلٌ شريفُ

وإني لأستحسن قول أبي فراس بن حمدان:

متى ما يدنُ من أجَلي كِتابي أمُتْ بينَ الأسنّةِ والأعنّة[2]

وقال آخر:

فيا ربِّ لا تجعلْ حياتي دنيئةً ولا مِيتَتي يا ربّ بين النوائحِ
ولكنْ صريعاً بين أرماحِ فِتْيةٍ طوالِ القنا من فوقِ أدهمَ قادحِ[3]

---

(١) **أم عامر**: الضبع.
(٢) **الأسنة والأعنة**: كناية عن الحروب والمعارك.
(٣) **أدهم قادح**: فرس ضامر.

وقال أبو عمرو الشيباني: رأيت بالبصرة جنازة عليها مطرف خزّ أخضر، فسألت عنها فقيل: جنازة الطرمّاح، فذكرت قوله:

فيا ربِّ إن حانت وفاتي فلا تكنْ على شَرْجعٍ يعلَى بخضر المطارفِ[1]

فعلمت أنّ الله لم يستجب دعاءه وهذا من باب الشجاعة، وقد مرّ مثله.

● **العُذْرِ لعصابةٍ تسرعُ إليهم المنيةُ**

قال أبو تمّام:

عـلـيـكَ سـلامُ الله وقـفـاً فـإنّـنـي رأيتُ الكريـمَ الحرَّ ليْس له عُمْرُ

وقال السامي:

فلا تـجْزَعَـنَّ من موتـهِ وهـو ناشـىءٌ ولا ينكـرَنَّ هـذاك من جرَّب الدهْرا

فكلّ طـويـل المجدِ يقصرُ عمرُه كـذاك سِباعُ الطيرِ أقصرُها عُمْرا

● **تَسلي النّاسِ عمَّنْ مات**

قيل: إذا أردت أن تنظر الناس من بعدك فانظر إليهم بعد من مات قبلك.

قال أبو العتاهية:

سيعرِضُ عن ذكري وتُنسى مودّتي ويحدُثُ بعْدي للخليلِ خليلُ

وقال منصور الفقيه:

كـلُّ مـذكـورٍ مـن الـنّـاس إذا مـا فـقـدُوهُ

فـهـو فـي حُـكْـمِ حـديـثٍ حـفـظـوه فـنـسُـوهُ

وقال آخر:

هـالـوا علـيـه التُّـربَ ثـم انثـنَـوا عـنـه وخـلّـوه وأعـمـالَـه

لـم يـنـقـضِ الـنّـوْحُ مـن دارِه علـيـه حـتـى اقـتـسـمـوا مـالَـه

● **كلماتٌ وجدت مكتوبةً على قبور**

قرىء على قبر: نقلنا من دار خبرة إلى دار عبرة أليس فينا عبرة؟ حكى أبو الفرج الكوفي **قال:** حضرت مجلس الصاحب وعنده علوي شامي يحدثه بما شاهد من الأعاجيب. **قال:** رأيت قبراً بفلسطين مكتوباً عليه: قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون.

وقرىء على قبر:

أنـا فـي الـقـبـرِ وحـيـدٌ قـد تـبـرّا الأهـلُ مـنّـي

---

(١) **الشرجع:** السرير يحمل عليه الميت ـ **المطارف:** جمع مِطرف، وهو رداء من حرير ذي أعلام.

أسلموني بذنوبي ... خبتُ إن لم تغفُ عنّي

وقُرِىء على آخر:

سيعرضُ عن ذكري وتُنسى مودّتي ... ويحدِثُ بعدي للخليل خليلُ
إذا انقطعتْ عنّي من العيش مُدّتي ... فإن غناءَ الباكياتِ قليلُ

وعلى آخر:

أيّها الأخُ الذي قد ... غابَ عنّي وجَفاني
سوفَ يأتيكَ من اللـ ... ـهِ رسولٌ قد أتاني
فيبوئُكَ من الأر ... ضِ مكاناً كمَكاني

وعلى آخر:

عشتُ دهراً في نعيم ... وسرورٍ واغتباطِ
ثم صارَ القبْرُ بيْتي ... وثرى الأرضِ بِساطي

وعلى باب مدينة جبلة بالشأم:

إلى أيِّ المدائنِ صرْت يوماً ... رأيتَ قبورَها قبلَ القصورِ
أتاك الوعظُ قبل الحظ منها ... نعم، ونذيرُها قبلَ البشيرِ

- **نفيُ الشماتةِ عن الموتِ والنهيُ عنها**

لما مات الحسن بن علي عليهما السلام دخل عبد الله بن عباس على معاوية **فقال له معاوية**: يا ابن عباس مات الحسن بن علي. **قال**: نعم وقد بلغني سجودك. أما والله ما سد جثمانه حفرتك ولا زاد انقضاء أجله في عمرك. **قال**: أحسبه ترك صبية صغاراً ولم يترك عليهم كثير معاش. **فقال**: إن الذي وكلّهم إليه غيرك. **وقال الفرزدق**:

فَقُلْ للشّامتين بِنا أفيقوا ... سيلقَى الشّامِتونَ كما لقِينا

وقال عديّ بن زيد:

أيها الشامِتُ المعيِّر بالدهـ ... ـر أأنت المبرّأُ الموفورُ؟
أم لديْك العهدُ الوثيقُ من الأ ... يامِ بلْ أنتَ جاهلٌ مغرورُ

وقال آخر:

تمنّى رجالٌ أن أموتَ وإن أمتْ ... فتلكَ سبيلٌ لسْت فيها بأوحَدِ

وحكى المبرد عن بعضهم أنه شاهد رجلاً على قبر وهو يكثر البكاء، **فقلت**: أعلى قريب أو على صديق؟ **فقال**: أخصّ منهما، قد كان لي عدو فخرج إلى الصيد فرأى ظبياً فتبعه فعثر بالسهم فخرّ هو والظبي ميتين فدفن فانتهيت إلى قبره شامتاً به، فإذا عليه مكتوب:

وما نحنُ إلا مثلُهم غيرَ أنّنا ... أقَمْنا قليلاً بعدَهم وترحّلوا

فها أنا واقف أبكي على نفسي.

ولما مات الفرزدق بكى عليه جرير ورثاه، **فقيل له**: أبعد تلك المعاداة؟ **فقال**: لم أر إثنين بلغا الغاية ومات أحدهما إلا ولحقه الآخر عن كثب، فكان كذلك.

وقال النبي ﷺ: لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك. وممّا يتصل بذلك لما أتى عبد الله بن الزبير خبر قتل مصعب أخيه احتجب أياماً، فخبّر بمجيء قوم للتعزية **فقال**: أكره وجوهاً تعزّي ألسنتها وتشمَت قلوبها.

- **نفيُ العارِ عن الموت**

قالت ليلى الأخيلية:

لعمرُك ما بالموتِ عارٌ على الفتى ... إذا لم تُصبْهُ في الحياة المعايرُ

ومثله:

وهلْ بالموت يا للناس عارُ؟

- **آخِرُ أمرِ المرءِ الموتُ**

قال شاعر:

نل كلَّ ما شِئْتَ وعِشْ ناعِماً ... آخِرُ هذا كلّه الموتُ

- **الموتُ مَنهاةُ الرجالِ**

قال أبو بكر العنبري: كنت قاعداً في الجامع فمرّ بي معتوه فأقبل عليّ، وقال:

فهبْك ملكتَ هذا الناس طرّاً ... ودانَ لكَ العِبادُ فكانَ ماذا

ألستَ تصيرُ في لحدٍ ويُحوى ... تراثُك عنك هذا ثمَّ هذا

وقال آخر:

هبْك قد نِلتَ كلّ ما تحملُ الأر ... ضَ فهلْ بعدَ ذاك إلاّ المنيّه

وقال آخر:

لِدُوا للموت وابنُوا للخراب ... فكلُّكُمْ يصيرُ إلى ذهابِ

- **كلماتٌ لهجَ بها مَنْ حضرَهُ الموتُ فذكرَ الشهادةَ**

لما حضرت ابنَ جلاء الوفاةُ **قيل له**: قل لا إله إلا الله، **فقال**: اليوم كذا سنة في أي شيء نحن؟ **وقال الكسائي**: دخلت البادية فرأيت شاباً قد أشرف على الموت، فدنوت منه **وقلت قل**: لا إله إلا الله فلم يجب فثنّيت وثلّثت **فقال**: كم تذكرني بالله وأنا محترق في الله. **وقيل**: لرجل كان مستهتراً بالنبيذ، قلّ: لا إله إلا الله، **فقال**:

يا ربّ سائلة تمشي وقد تعِبتْ ... كيف الطريقُ إلى حمامِ منجابِ[1]

---

(١) **الحمام منجاب**:

وقيل لبعض الشطرنجيين ذلك، **فقال:** شاه مات.

● الكَفن

لما حضرت زياد الوفاة، **قال له ابنه:** يا أبت قد هيأت لك ثوبين لكفنك، **فقال:** يا بني قد دنا من أبيك لباس هو خير من هذا، أو سلب هو شر منه. وأوصى عبد الوهاب الأفريقي أن يكفّن في عباءته **وقال:** إني ختمت فيها ثلاثة آلاف ختمة.

● الطّواعين

الطواعين المشهورة في الإسلام خمسة منها: **طاعون شبرويه في المدائن** سنة ست من الهجرة، **وطاعون عمواس في** أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ **وطاعون الجارف** سنة تسع وستين في شوال هلك في ثلاثة أيام كل يوم سبعون ألفاً، مات لأنس بن مالك فيه ثلاث وثلاثون ابناً، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعون ابناً؛ ومنها **طاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة**، كان يحصى في المربدة كل يوم عشرة آلاف جنازة.

وقال بعضهم: رأيت في المنام في أيام الطاعون أنه أخرج من داري اثنتا عشرة جنازة وكنا اثنتي عشرة نفساً فمات منّا أحد عشر، فما شككت في أني تمام العدة، فخرجت يوماً وعدت إلى داري فإذا لصّ قد دخل الدار يسرق ما فيها، فطعن ومات من ساعته فأخرجنا جنازته. ومات أهل دار ولم يبق فيها أحد فدخلوا الدار بعد أربعة أشهر، فإذا صبي في الدار يحبو، فنظروا فإذا كلبة تأتيه وترضعه، وكانت الدار تصبح وفيها خمسون وتمسي وليس فيها أحد. **وقال بعضهم:** تزوجت بامرأة ودخلت بها في أهلها، فخرجت وهي في عشيرتنا، فعدت فوجدتهم قد ماتوا كلهم وكان لا يجزع أحد على أحد لخوف كل أحد على نفسه. وأول ما أحدث: كيف أصبحت؟ وكيف أمسيت أيام الطاعون.

● مَنْ استصوبَ الهَرَبَ من الطاعونِ

تقدّم خبر عمر مع المغيرة في أول الكتاب، وأراد هشام أن يهرب من الطاعون **فقيل له:** لا تخرج فالخلفاء لا يطعنون. ولم يسمع بخليفة مات مطعوناً قط، **فقال لهم:** أتريدون أن تجربوا ذلك فيّ.

● النهيُ عن ذلك

كتب بعض عمال عمر إليه: إن الطاعون قد نزل بنا فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في إتيان قرية خربة، **فوقّع في كتابه:** إذا أتيت القرية الخربة فسلها عن أهلها والسلام.

وكتب شريح إلى صديق له هرب إلى النجف من الطاعون: إن المكان الذي أنت فيه يعين من لا يفوته طلب ولا يعجزه هرب، والمكان الذي خلفت لا يعجل إلى امرىء حمامه، وأنت وهم على بساط واحد وإن النجف من ذي قدرة لقريب.

● **مَنْ عَزَم على الهَرَبِ فَعَرَضَ له ما صَرَفَهُ**

قد تقدّم خبر عبد الملك حين هرب من الطاعون في هذا الفصل، وأراد رجل من أهل البصرة أن يهرب من الطاعون، فركب حماراً له ومعه غلام يتبعه فسأله أن يرتجز، فقال:

لـن يُسْبَـقَ الله عـلـى حـمـار ... ولا عـلـى ذي مـنـعـة طـيّـارِ
قـد يـصـبـح الله أمـام الـسـاري

فقال صدقت، وحطّ رحله ومات فيمن مات.

● **كثرةُ الوَباءِ**

كثر الموت سنةً بالبصرة **فقيل للحسن**: ألا ترى؟ **فقال**: ما أحسن ما صنع ربّنا، أقلع مذنب وأنفق ممسك ولم يغلط بأحد. **وإذا قيل له**: قل الموت **يقول**: ما يبقى أحد.

(٢)
وممّا جاءَ في الغمومِ والصبرِ والتّعازي والمراثِي

●

● **الأسبابُ الموجبةُ للحُزنِ**

قال يعقوب الكندي: أسباب الحزن فقد محبوب أو فوت مطلوب، ولا يسلم منهما إنسان. لأن الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد. **وقال الحسن**: الدنيا دار غموم فمن عوجل فجع بنفسه، ومن أُجّل فجُع بأحبابه.

وقال بعض أصحاب المنطق: من أراد أن لا يصاب بمصيبة فقد أراد ما لا يكون، لأن المصائب بالكون والفساد في الطبع فينبغي أن يكون منا على بال. إن جمع الأشياء التي تصل إلينا كانت قبلنا لغيرنا فانتقلت إلينا بشريطة ما كان لمن قبلنا.

● **النّهيُ عن اتخاذِ ما يورث الجزعَ ومدحُ فاعل ذلك.**

قال ابن الرومي:

وَمَـنْ سـرُّه أن لا يَـرى مـا يـسـوؤه ... فـلا يـتـخـذْ شيـئـاً يـخـافُ لـه فـقْـدا

وقيل لسقراط: مالك لا تجزع؟ **قال**: لأني لا أقتني ما يحزنني فقده.

● **مَنْ نَهى عن الجَزَع وبيَّن قِلّة عنايتِه**

قال النبي ﷺ: من انقطع رجاؤه مما فات استراح بدنه. **وقيل لرجل اشتد جزعه**: لو آمنت بالمرتجع لم تجزع، ولو اقتصدت في التمتع لم تضرع، فالجزع لا يلم ما تشعث ولا يرم ما انتكث. الجزع منقصة الحياة، ومن أعان على نقصان حياته فقد عظمت خطيئته.

وقيل: التأسف على الفائت تضييع وقت ثان إن كنت جازعاً لما أفلت منك، فاجزع على ما لم يصل إليك. الحزم التسلي عما لا يغني الغم فيه والاحتيال لدفع ما يندفع بالحيلة. **وقيل لحكيم**: الخوفُ أشدّ أم الحزن؟ **فقال**: الحزن لأن الخوف صار مكروهاً لما فيه من الحزن، فكما أن السرور غاية كل محبوب فالحزن غاية كل مكروه.

● ذهابُ الحُزنِ بعد انقضاءِ المدةِ

الحُزن ينضو عن ابن آدم كما ينضو الصبغُ عن الثوب ولو بقي لقتله. **قال المتنبي**:

وللواجد المكروبِ من زَفَراتِهِ سُكونُ عزاءٍ أو سُكونُ لُغُوبِ[1]

● حقيقة الصبر

قيل: الصبر حبس النفس على المكروه وعما تدعوك إليه. **وقيل**: الصبر صبران، صبرٌ على المكروه فيما يلزمك فعله وصبر عما يدعوك إليه الهوى. وسمع رجل آخر يقول: اللّهم أرزقني صبراً، **فقال له**: ما أراك تسأل الله إلا الغم.

● الحثُّ على دفعِ النّدْبِ بالصَّبرِ

قال النبي ﷺ: الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب. أفضل العدّة الصبر على الشدة. **وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه**: الصبر مطيّة لا تكبو، والقناعة سيف لا ينبو. إذا استهدف غرض الهم فارمه بنبال الصبر. **وقيل**: اجعل صبرك على النوائب كفاء شكرك على المواهب. الصبر عند النقم والشكر عند النعم.

وقال عمر رضي الله عنه: لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت. الصبر يناضل الحدثان والجزع من أعوان الزمان. وما في الشكوى إلا أن تحزن صديقك وتشمت عدوك. **وقال أنوشروان**: جميع مكاره الدنيا تنقسم إلى قسمين، ضرب فيه حيلة فالإضطراب دواؤه، وضرب لا حيلة فيه فالإصطبار شفاؤه، وقالت الفرس: كلمتان يقولهما العاقل عند نائبته، إحداهما هذه الحال خير ممّا هو شر منها، والأخرى لعل الله أن يجعل في هذا المكروه خيراً.

وكلمتان يقولهما الجاهل: لعل ما أصابني يدعو إلى شر منه والأخرى لو كان بدل هذا كذا وكذا من المصيبة، **قال شاعر**:

ولخيرِ حظّك في المصيبة أنْ يلقاك عندَ نزولها الصبرُ

● الصبرُ يُفضِي إلى الفَرَح والظفَرِ

الصبرُ على مرارة العاجل يفضي إلى حلاوة الآجل. إنك لا تنال قليل ما تحب إلا بالصبر على كثير ما تكره. حيلةُ مَنْ لا حيلة له الصبر. **قيل**: لكل شيء ثمرة وثمرة الصبر

---

(١) **الواجد**: الحزين ـ **اللُغوب**: الإعياء. أي أن المحزون لا بدّ له من سكون فإن لم يمكن عزاء أعياه الحزن فسكن عجزاً.

الظفر. **قال أنوشروان**: الصبر كاسمه وعاقبته العسل. **وقيل**: الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت. **وقيل**: مكتوب على باب الجنة من صبر عبر.

● حثُّ الجَزوعِ على الصَّبرِ وتحكيمُهُ بين الجَزعِ والصَّبر

قال أمير المؤمنين كرّم الله وجهه: إن صبرْتَ فأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك المقدور وأنت مأزور. **قال بعضهم**: رآني راكبٌ وأنا مكبٌ على قبرِ أبكي، **فقال**: اصبر فالصبر خير معية، فلم أصغ إليه، فولّى وهو يقول:

فإن تصبرا فالصبرُ خير معيّة ... وإن تجزعا فالأمر ما تَريانِ

وقال أبو راكد:

فإن صبرتَ فلم ألفظك من شبعٍ ... وإن جزعْتَ فعِلْقُ منفِس ذهبَا

وقال النابغة:

ألا أيُّها الباكي لأحداثِ دهرِه ... تحمّلْ على ما يُحدث الدهرُ فاصبرِ

فإن أنت لم تصبرْ لما كان جائياً ... وأبصرتَ تنكيراً لذاك فأنكرِ

● الحَثُّ على تَصوُّرِ النوائبِ والاستعدادِ لها لتخفَّ عند نزولِها

قيل: ما أمتع الدهر إلا ليمنع ولولا اغترار الجاهل بفوائده لخلت النفوس من الحسرة على نوائبه. **قيل**: لا تخلِ قلبك من عوارض الفكر وخواطر الذكر فيما تعروك به الأيام من ارتجاع ودائعها وحلول وقائعها. **وقيل**: من كان متوقعاً لم يُلف متوجعاً.

قال ابن الرومي:

ألم ترَ رزءَ الدهرِ من قبلِ كونِهِ ... كفاحاً إذا فكرت في الخلواتِ

فما لك كالمُرمي في مأمن له ... بنبلِ أتته غيرَ مرتقباتِ

فإنْ قلتَ مكروهٌ أتاني فجأة ... فما فرحَتْ نفسٌ مع الخطراتِ

ولا عوفصَتْ نفسٌ لِبلْوى وقد رأت ... عظاتٍ من الأيام بعد عظاتِ(١)

إذا بغتتْ أشياءٌ قد كانَ مثلُها ... قديماً فلا تعْتدها بغتاتِ(٢)

● الغمُّ يُمرِضُ البَدَن

سئل عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما عن الحزن والغضب **فقال**: أصلاهما واحد، وذلك وقوع الأمر على خلاف المحبة فأما فرعاهما فمختلفان فالمكروه ممن فوقك ينتج حزناً وممن دونك ينتج غضباً. **قال المتنبي**:

وحزنِ كلّ أخي حزنٍ أخو الغضَب

---

(١) **عوفصت**: من عفصه أي قلعه أو أثخنه في الصراع.

(٢) **بغتات**: جمع بغتة، وهي الفجأة.

وقيل: الأحزان تُسقم القلوب كما أن الأمراض تسقم الأبدان. وقيل: الغَمُّ يشيب القلب والهرم يشيب الرأس.

● النَّهيُ عن الإفراطِ في البكاء وإظهارِ الجَزَعِ على الأموات

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: إن الميت ليعذَّب ببكاء أهله. وأنكرت عائشة ذلك وقرأت: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(١) وقيل: معناه يُعذَّب بأفعاله التي يندب بها من غاراته وقتاله.

ودخلت أعرابية الحضر فسمعت بكاء من دار فقالت: ما هذا؟ أراهم من ربّهم يستغيثون ومن استرجاعه يتضجرون ومن جزيل ثوابه يتبرمون. وقال أبو سعيد البلخي: من أصابته مصيبة فأكثر الغم جعل الله عقوبته غماً مثله. قال الله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟﴾(٢) الآية. وقال ﷺ: النائحة إذا لم تنب قبل أن تموت أقيمت يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من كبريت.

● الرخصةُ في البكاء وإظهارُ الجَزَعُ ما لم يَكُنْ إفراطاً

دخل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على النبي ﷺ يوم موت إبنه إبراهيم، فوجد عينيه تذرفان، فقال: يا رسول الله ألست تنهانا عنه؟ قال: أنا ذو رحمة ولا يُرحم من لا يرحم. وإنما نهى عن النياحة، وأن يندب المرء بما ليس فيه. وسمع عمر رضي الله عنه باكية في جنازة فزجرها فقال النبي ﷺ: دعها فإن العهد قريب والنفس مصابة. وقام الحسن البصري على قبر أخيه فبكى شديداً فقيل له في ذلك فقال: ما رأيت الله عاتب يعقوب على طول بكائه على يوسف عليهما السلام. بل قال: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾(٣) وقيل لأعرابي أصبر فالصبر أجر، فقال: أعلى الله أتجلد؟ والله للجزع أحب إليّ، لأن الجزع استكانة والصبر قساوة. وقيل لفيلسوف: أخرج الحزن من قلبك فقال: لم يدخله بإذني فأخرجه بإذني. وأفرطت امرأة في الجزع على إبنها فعوتبت في ذلك فقالت: إذا وقع حكم الضروريات لم يقع عليها حكم المكتسبات، فأما جزعي فليس في الطاعة صرفه ولا في القدرة منعه ولي عذر للضرورة، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾(٤) وقال خالد بن صفوان: صبرك في مصيبتك أحمد من جزعك، وجزعك في مصيبة أخيك أحمد من صبرك.

---

(١) القرآن الكريم: النجم/ ٣٨.

(٢) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٥٣.

(٣) القرآن الكريم: يوسف/ ٨٤.

(٤) القرآن الكريم: البقرة/ ١٧٣.

● **نَفعُ البُكاءِ في دفعِ الأحزان**

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه: كنت إذا أصابتني مصيبة وأنا شاب لا أبكي وكان يؤذيني ذلك حتى سمعت أعرابياً ينشد:

لعلَّ انحدارَ الدمعِ يَعْقُبُ راحةً ... من الوَجدِ أو يَشفي نجيّ البلابلِ[1]

فسألته: لمن الشعر؟ فقال لذي الرمة فكنت إذا أصبت بكيت فاسترحت. قال العبق:

ويشفي منّي الوجدَ ما أتواجع

وقال المتنبي:

وقلّ غناءُ عبْرة تسكبانِها ... على أنّها تشفي الحرارةَ في الصّدرِ

● **قِلةُ نَفعِ البكاء**

قال أبو تمّام:

أجدر بجمرةِ لوعةٍ إطفاؤها ... بالدمعِ أن تزداد طولَ وقوعِ

وقال أراكة:

أعينيَّ إن كان البُكا ردَّها لكما ... على أحدٍ قبْلي فلا تترُكا جهْدا

وقال الموسوي:

وإن غبينَ القومِ منْ ظاعنَ الردى ... إذا جاءَ في جيشِ الرزايا بأدمعِ[2]

وقال آخر:

إن الدموعَ طليعةُ الأحزان

● **مَنْ سلا عن الولدِ أو سُليَ عنه بسلامتهِ في نفسه**

قيل لعبد الله بن عبيد الله بن طاهر: وقد مات له ولد ثم أتاه الخبر قبل عوده من جنازته بأن مات له آخر فانتظر حتى جهز، فدفنه وانصرف مع أصحابه ودعا بالطعام، فقيل له في ذلك، **فقال:** إذا سلمت الجلة فالسخل[3] هدر.

ودخل أبو العتاهية على الفضل بن الربيع يعزيه بابنه **فقال:** الحمد لله الذي جعلنا نعزيك به ولا نعزيه بك.

---

(١) **نجي البلابل:** تغريدها الشجي.

(٢) **غبين القوم:** الضعيف الرأي فيهم.

ظاعن: ارتحل مع ـ **الرزايا:** جمع رزية، وهي المصيبة الشديدة.

(٣) **الجلة:** جمع جليل، وهو السيد والعظيم ـ **السخل من القوم:** رذيلهم.

وقال الموسوي:

فتسلّ عن سيف طبعت غراره ... وأعزتَ صفحته سناً ومضاءً[1]

فالابن للأب إن تعرّض حادثٌ ... أولى الأنام بأن يكون فداءً

● مَنْ تَسلّى عنه أو سُلّي بأنه فتنةٌ وبلاء

كتب رجل إلى آخر: أما بعد، فإن الولد ما عاش حزنٌ لوالده وفتنة. وإذا قدمه فهو صلاة ورحمة. فلا تجزعنّ فيما أزال الله عنك من حزن ومن فتنة، ولا تزهد فيما أولاك من صلاة ورحمة. وعزّى رجل عبيد الله بن سليمان، **فقال**: لئن حرم الأجر ببرّك لقد كفى الإثم بعقوقك، ولئن فُجعت بفقده لقد أمنت الفتنة به.

● مَنْ تَسلّى بمالِهِ من الثواب

دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك وكان قد أصابه الطاعون. **فقال**: دعني أمس قرحتك. وكان يقال: إذا كان ليناً يرجى وإذا كان خشناً لا يرجى، فامتنع عبد الملك من أن يمسها فعلم عمر لم منعه، **فقال**: دعني أمسها فوالله لأن أقدمك فتكون في ميزاني أحب إليّ من أن أكون في ميزانك، **فقال**: والله لأن يكون ما تريد أحب إليّ من أن يكون ما أريد فلمسها، **فقال**: يا عبد الملك الحق من ربّك فلا تكونن من الممترين، **فقال**: ستجدني إن شاء الله من الصابرين.

وقال ﷺ: من مات له ولد فصبر أو لم يصبر جزع أو لم يجزع احتسب أو لم يحتسب لم يكن له ثواب إلا الجنة. ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه على قبره **فقال**: يا ذر شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك، فليت شعري ما الذي قلت وما الذي قيل لك اللهم إنك قد ألزمته طاعتك وطاعتي فإني قد وهبت له ما قصّر فيه من حقي، فهب لي ما قصر فيه من طاعتك، اللّهم ما وعدتني من الأجر على مصيبتي به فقد وهبته له، فهب لي من فضلك. **ثم قال عند انصرافه**: ما علينا بعدك من غضاضة، وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة، وقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك.

● مَنْ رأى المفقودَ من وُلدِهِ له دُونَ الباقي

قال زياد لرجل: أين منزلك **قال**: وسط البلد، قال كم لك من ولد؟ **قال**: تسعة. **فقال بعض من حضر**: أيها الأمير إنه يسكن المقابر وله ابن واحد، **فقال**: أجل، داري بين أهل الدنيا والآخرة ومات لي تسعة فهم لي وبقي واحد لا أدري أهو لي أم أنا له.

وقيل لأعرابي: كم لك من الولد؟ **قال**: لي عند الله خمسة وعندي ثلاثة. **وقال رجل للرشيد**: بارك الله لك في الماضين وآجرك في الباقين **فقال له**: أعكس تصب، **قال**: لا لأن

---

(١) غرار السيف: حده ـ مضاه: يقال: سيف ماضٍ: أي قاطع.

الله تعالى يقول ما عندكم ينفد وما عند الله باق.

● **التسلية عن الأب ببقاء الابن**

عزّى رجلٌ آخرَ بموتِ أبيه، **فقال**: مَنْ كنت مِنْ بقيته لَموفور وَمَنْ كنت خلفه لمجبور وَمَنْ كنت وليّه لمنصور:

قال المتنبي:

فإنك ماءُ الوردِ إن ذهبَ الوَرْدُ

وقال علي بن الجهم:

فما ماتَ من كنتَ ابنَه لا ولا الذي   له مثلُ ما سدى أبوكَ وما سَعى[١]

● **التّعزيةُ بالبنات**

نُعي إلى ابن عباس رضي الله عنهما بنتٌ له وهو في سفر. **فقال**: عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله وأجر ساقه الله. وماتت لعمر بن عبد العزيز بنت فأقبل الناس لتعزيته فأمر بحجبهم **وقال**: إنّا لا نُعزّى في البنات ولا الأخوات.

● **مَنْ فُجِعَ بمختصٍ به فلم يحزن لتصورُه قبلَ وقوعه**

دخل رجلٌ على حكيم وهو يأكل فقيل له: قد مات ابنك. **فقال**: قد علمت، ولم يقطع الأكل. **فقيل له**: ومن أين علمت ذلك؟ **قال**: من قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٢] وحضر المويذ عند المأمون بمرو وهو يكالمه إذ وردت عليه خريطة من الحسن فيها أخبار العراق وموت ابن المويذ، فقال المأمون: أحسن الله لك العوض وعليه الخلف، فأجابه بصالح الأدعية. فعجب المأمون **وقال**: أتدري ما أردت؟ **قال**: لا، **قال**: يقال إن ابنك مات. **قال** قد علمت ذلك. **قال** ومن أين علمت ذلك والخريطة الساعة وردت؟ **قال**: قد علمت ذلك يوم ولد. وهذا كما سئل أفلاطون **فقيل له**: ما علّة موت ابنك؟ قال وجوده. وقيل لعمر رضي الله تعالى عنه مثل ذلك، **فقال**: هذا أمر كنا نتوقعه قبل كونه فلما ورد لم ننكره. **وقال شاعر**:

وهل جزعٌ مجدٍ عليَّ فأجزعُ

وقال الطِّرماح:

ولمّا رأى أنّ الأسى غيرُ دافعٍ   عن المرءِ مقدوراً من الأمر سلّما

وقال:

هممتُ بأن لا أُطعِمَ الدهرَ بعدَهم   حياةً وكانَ الصبرُ أبقى وأكرَما

---

(١) سدى سلوه: نحا نحوه.   (٢) القرآن الكريم: الزمر/ ٣٠.

وقال المتنبي:

أرَدِّدُ ويلي لو قضى الويلُ حاجةً　　وأُكثِرُ لَهْفي لو شَفَى غُلَّةً لَهفُ[1]

● مَنْ ماتَ له عِدةُ بنين فَصَبِرَ

مات لأنس بن مالك رضي الله عنه في طاعون الجارف ثلاثون ابناً، ولعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أربعون ابناً، ولعبيد الله بن عمر رضي الله عنهما ثلاثون ابناً سنة أربع وستين، ومات لأعرابية ابن وأخ وزوج دفعة، فلم تبك، وقالت:

أفردني ممّن أحبُ الدهرُ　　ثلاثةٌ هم نجومٌ زهرُ

فإن جَزِعتُ إنّ ذا لعذرٌ　　وإن صبرتُ لا يُخيِّبُ الصَّبْرُ

ونظر رجل بالبصرة إلى امرأة فقال: ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من قلّة الحزن، فقالت: ما حزن كحزني: ذبح زوجي شاة ولي صبيان يلعبان فقال أحدهما للآخر: تعال أريك كيف ذبح أبي الشاة فذبحه ثم خاف فهرب إلى الجبل فرهقه ذئب فافترسه وخرج زوجي في طلبه، فاشتد عليه الحرّ فمات عطشاً فقيل لها: كيف صبرت؟ فقالت: لو وجدت في الحزن دركاً ما اخترت عليه.

● حَثُّ الإنسانِ أن يَستعمل من التسلّي عاجِلاً ما يعود إليه آجلاً

عزّى رجلٌ رجلاً فقال: إن رأيت أن تقدم ما أخرته الفجوة فتربح نفسك وترضي ربك. وأصيب ابن المبارك بابنٍ رجل، فدخل عليه مجوسي فقال: إن رأيت أن تفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام، فقال ابن المبارك: اكتبوا هذا. وعزّى أمير المؤمنين رضي الله عنه أشعب فقال: إن صبرت جرى عليك المقدور وأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك وأنت موزور.

● طولُ العهدِ يَقتضي التسلّي

اعتكفت فاطمة بنت الحسين على قبر زوجها سنة، فلما أرادت الانصراف سمعت قائلاً من جانب البقيع يقول: هل وجدوا ما سلبوا؟ فأجابه من الجانب الآخر: بل يئسوا فانقلبوا. وقيل لأم الهيثم: ما أسرع ما سلوت، فقالت: إني فقدت منه سيفاً في مضائه ورمحاً في استوائه وبدراً في بهائه، ولكن قلت:

قدِمَ العهدُ وأسلاني الزمن　　إن في اللّحدِ لمسلى والكَفَن

وكما تَبلى وجوهٌ في الثّرى　　فَكَذا يُبلى عليهن الحَزَنْ

وقال عمر لمتمم بن نويرة: ما بلغ من حزنك على أخيك؟ قال: بكيت عليه حتى ساعدت عيني العوراء الصحيحة. قال: ثم مه. قال: سلوت. وقيل: لم يخلق الله شيئاً إلا كان صغيراً فكبر إلا المصيبة فإنه خلقها كبيرة فصغرت.

---

(١) اللهف: التحسُّر على ما فات ـ الغلة: العطش.

● **التسليةُ بعد وُقوعِ المحذورِ**

اشتكى ابن لعمر بن عبد العزيز فجزع عليه ثم مات، فرؤي متسلياً. فقيل له في ذلك **فقال**: إنما كان جزعي رقة له ورحمة فلما وقع القضاء زال المحذور. **وقالت امرأة مات** واحدها فرؤيت حسنة الحال: أمّنني من المصائب بعد.

قال البحتري:

صعوبةُ الحزن تلقى في توقّده ... مستقبلاً وانقضاءُ الرزءِ إن يقعَا

وقال آخر:

فقد جرّ نفعاً فقدُنا لكَ إنّنا ... أمنّا على كلّ الرزايا من الجزعِ(١)

وقال:

وكنتُ عليهِ أحذر الموتُ وحدَه ... فلم يبق لي شيء عليه أحاذِرُ

ومرض ابن لجعفر بن محمد فجزع ثم مات، فلم يجزع، فقيل له **فقال**: أما بعد وقوع الأمر فلم يبق إلا الرضا والتسليم. **وقال بعضهم**: نزلت بامرأة ذات أولاد وثروة، فلما أردت الإرتحال **قالت**: لا تخلني إذا وردت هذا الصقع. ثم أتيتها بعد أعوام فوجدتها قد افتقرت وثكلت أولادها وهي ضاحكة مسرورة، فسألتها **فقالت**: إني كنت ذات ثروة وجاه وكانت لي أحزان فعلمت أن ذلك لقلة الشكر، وأنا اليوم بهذه الحالة أضحك شكراً لله تعالى على ما أعطاني من الصبر. ومن أحسن ما قيل في ذلك. **قول أوس بن حجر**:

أيّتها النفس أجملي جزعاً ... إن الذي تحذرين قد وقعا

وقيل: إذا استأثر الله تعالى بشيء فالْه عنه:

فلستُ أرجو ولستُ أخشى ... ما أحدثَتْ بعدَه الدهورُ

فليجهَدِ الدهرُ في مساتي ... فما يُرى بعدُ ما يُضيرُ

وقال:

ألا ليمُتْ من شاءَ بعدَكَ إنما ... عليكَ من الأقدار كانَ حَذَاريا

● **من تمنّى بعدَه زوالَ الدّنيا وموتَ الورى**

قالت أم جرير:

فلا وضعَتْ أنثى ولا آبَ واحِدٌ ... ولا ذرّ قرنُ الشمسِ بعْد جريرِ(٢)

قال محمد بن صالح:

قلْ للردى لا تغادِر بعدَه أحداً ... وللمنيّة من أحببتِ فاعتمدي

---

(١) الرزء: المصيبة ـ الجزع: الخوف.

(٢) ذر قرن الشمس: أي ظهرت ضوءها وأشرقت.

وقال المتنبي:

لا قلّبت أيدي الفوارسِ بعدَه رمحاً ولا حملتْ جواداً أربعُ

- **الحثُّ على التسلّي لقرب اللحوقِ بالميتِ والتمدُّح بذلك**

دخل الطائي على جعفر بن سليمان وقد توفي له أخ، فاشتد جزعه عليه، **فقال**: أذكر مصيبتك في نفسك تُنسِك فَقْدَ غيرِك. واذكر قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]، وخذ بقول الشاعر:

وهوّنَ ما ألقى من الموتِ أنّما أصابَك منه يا بنيّ مُصيبي

وكتب بعضهم: فيم الجزع ونحن على مدرجة المتوفى. وقال إبراهيم بن المهدي:

وإنّي وإن قدمتَ قبْلي لعالِمٌ بأني وإن أبطأت عنك قريبُ

وقال يحيى بن زياد:

وهوّنَ وجدي أنني سوفَ أغتدي على إثره يوماً وإن نَفّسَ العُمْرُ

- **الحثّ على التسلّي بمن أصابَه كمُصيبته والتمدح بذلك**

رُوي أنّ الإسكندر حكم له أنه لا يموت إلا بأرض سماؤه ذهب وأرضه حديد. فلما سقط من دابّته حمل على درع وظلل بترس من ذهب فلما أفاق ورأى ذلك فطن لما حكم له، **وقال**: قاتل الله المنجمّين، يقولون ولا يفسرون، فكتب إلى والدته أن أصنعي طعاماً وادعي له من لم تصبه مصيبة، فامتثلت فبقي الطعام ولم يأتها أحد، ففطنت أنه أرسل يعزيها، **وقال**:

وما أنا بالمخصوص من بين من أرَى ولكنْ أتَتْني نوبَتي في النّوائبِ

وتوفي ابن لمسلمة فاشتد جزعه حتى أمسك عن الطعام والشراب، فدخل في غمار الناس رجل رثّ الهيئة، **فأنشده**:

وطيّبَ نفسي عن شراحيل أنني إذا شئتُ لاقيْت امرأً ماتَ صاحبُه

فقال: ويحك، أعد فأعاده فدعا بالطعام. **قالت الخنساء**:

ولولا كثرةُ الباكينَ حولي على إخوانهم لقتَلْتُ نفسي

وما يبْكون مثلَ أخي ولكنْ أسلّي النفسَ عنه بالتأسّي

وقال حريث:

ولولا الأسى ما عشتُ في الناس بعدَه ولكنْ إذا ما شئتُ جاوبَني مثْلي

ونزل عروة بن الزبير بالوليد ومعه ابنه فضربته دابّة فأصبح ميتاً. ووقعت الأكلة في

---

(١) **القرآن الكريم**: الزمر/ ٣٠.

رجله فقطعت بالمنشار ولم يمسكه أحد، **فقال**: لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. ثم قدم قوم من عبس على الوليد وفيهم ضرير، **فقال**: نزلت ليلة في بطن واد ولا أعلم في الأرض عبسياً أكثر ما لامني، فطرقنا سيل ذهب بأهلي، ومالي غير بعير ومولود، فند البعير فتبعته، فسمعت صرخة الولد فرجعت، فإذا الذئب قد أكله، فرجعت للبعير وتعلقت بذنبه، فحطم وجهي فأعماني فأصبحت لا أهل ولا مال ولا عين. **فقال الوليد**: خذوا بيده إلى عروة ليتسلّى به.

وقال رجل لقوم عزاهم: ما منكم بدأت ولا إليكم انتهت، **وعكس ابن الرومي فقال**:

لـيسَ تـأسـو كـلـومُ غـيـري كـلُـومـي ... مـا بـهِ مـا بـهِ ومـا بِـي مـا بـي

وقال فيلسوف: لئن كنت تبكي لنزول الموت بمن أنت له محب، فلطالما نزل بمن كنت له مبغضاً. **وقال أفلاطون لرجل رآه مغموماً**: لو أحضرت قلبك ما فيه الناس من المصائب لقل همك.

● الحثُّ على التسلّي بموتِ النبي عليه السلام

قال ﷺ: من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي.

قال ديك الجن:

تـأمّـل إذا الأحـزانُ فـيـك تـكـاثـفَـت ... أعـاشَ رسـولُ الله أم ضـمَّـه الـقَـبْـرُ

رئي على قبر:

تـعـزَّ فَـكَـم لـكَ مـن أسْـوةٍ ... تـبـرّدُ عـنـك غُـلَـلَ الـحَـزَنْ

بـمـوت الـنـبـي وقـتـل الـوصـيّ ... وذبـحِ الـحـسَـيـن وسَـمِّ الـحَـسَـنْ

● التسلّي بأنه مُعزّى لا مُعزّى به

قال بعضهم: لا زلنا نعزّيك ولا نعزّي بك، **وقال أبو فراس**:

كـنِ الـمـعَـزّى لا الـمـعـزّى بـه ... إن كـانَ لا بـدّ مـن الـواحـدِ

لا بـد مـن فـقـدٍ ومـن فـاقـدٍ ... هـيـهـاتِ مـا في الـنّـاس من خـالـدِ

وقال المتنبي:

مـهـمـا يـعـزّ الـفـتـى الأمـيـرَ بـهِ ... فـلا بـإقـدامِـهِ ولا الـجُـودِ(١)

ومـن مُـنـانـا بـقـاؤه أبـداً ... حـتـى يُـعـزّى بـكـلّ مـولـودِ(٢)

---

(١) أي مهما عزاه الإنسان به مما يفقد له فلا عزاه بشجاعته ولا بجوده.

(٢) المنى: جمع مُنية، وهو الشيء الذي يُتمنى. يقول: نتمنى أن يبقى على الدوام حتى يتقدمه كل مولود فيُعزّى به.

● التسلية عمّن مَضى بِمن بقي

قال الحمدوني:

حـمـدت إلـهـي بـعـدَ عـروة إذْ نـجـا خراشٌ وبعضُ الشرِ أهونُ من بعضِ

وقال البحتري:

تـعزّ بـالـصـبـر واسـتـبدِل أسًى بـأسى فـالـشـمـسُ طـالِـعـةٌ إن غُـيِّـب الـقَـمَـرُ

وقال المتنبي:

قـاسـمـتـك الـمـنـونُ شـخـصَـيـن جـوراً جـعـل الـقِـسْـمُ نَـفْـسَـه فـيـكَ عَـدْلاً[1]

فـإذا قِـسْـتَ مـا أخـذْنَ بـمـا غـا دَرْنَ سـرّى عـن الـفـؤادِ وسـلّـى

وقيل لرجل ماتت امرأته نفساء: عظم الله أجرك فيما أباد وبارك لك فيما أفاد.

● التعزيةُ بمملوك

دخل إبراهيم ابن العباس على الواثق وقد أصيب بخادم كان مشغوفاً به، **فقال**: في بقاء السيد المالك عزاء عن المملوك الهالك.

● أدعيةٌ لذوي المُصيبة

جعل الله رزيته خاتمة الرزايا، وصب على أعدائه ديم المنايا. لا جرّعك الله مصيبة غيرها ولا أنالك قارعة سواها. لا نهشتك بعدها حيّة ولا لذعتك كيّة. جعل الله مصيبتك أدباً ولا جعلها غضباً. لقّاك الله الصبر ووقاك ما يحبط الأجر لا أنساك الله المصيبة بأعظم منها. وهب الله لك عمراً طويلاً وأجراً جزيلاً وصبراً جميلاً.

وقال رجل لابن عمر: عظّم الله أجرك **فقال**: بل جعل لي العافية، معناه أن تعظيم الأجر في تعظيم ما يؤجر عليه من المصيبة. **ويقال**: أخلف الله عليك لما منه عوض، وخلف الله عليك لما ليس منه عوض. **وقال يحيى البرمكي**: التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودّة.

● تَعازي الحمقاءِ

مات ابن لعبد الملك فجاءه ابنه الوليد يعزّيه **فقال**: يا بنيّ مصيبتي فيك أقدح في بدني من المصيبة بأخيك، **قال**: أمّي أمرتني بذلك. واغتم الحجّاج بموت صديق له وعنده شاميّ أوفده إليه عبد الملك في مهمّة. فقال الحجاج: ليت إنساناً يعزّيني عنه بأبيات. **فقال**: أقول أيها الأمير **قال**: قل، **فقال**: كل خليل سوف يفارق خليله بموت أو بصلب أو يقع فوق البيت أو يقع البيت عليه، أو يسقط في بئر، أو يكون سبب لا نعرفه. **فقال** الحجّاج: حسبك، فمصيبتي بأمير المؤمنين حيث أرسل مثلك في مهمّة أنستني هذه.

---

(١) يريد بالشخصين أختي سيف الدولة.

ودخل حمصيّ على عروة بن الزبير لما قطعت رجله، **فقال: أقطعت رجلك؟ قال:** نعم حبذا أفأنت مغتم. **قال:** كما يكون مثلي **قال: لا تغتم فإنك لو رأيت ثوابها لتمنيت أن الله قطع رجلك** ويديك وأعمى بصرك ودقّ صلبك.

وعزّى بعض الحمقاء جاراً له بامرأته **فقال:** أعظم الله أجرك، ورحم الظعينة فقد ماتت في يوم جيد يوم الثلاثاء، **فقيل له:** إن هذا اليوم جيد لإخراج الدم **فقال:** هو لإخراج الروح أجود.

● **الرزيّةُ فقدُ الأماثلِ لا فقدُ الأموال**

قال شبيب بن البرصاء:

لعمرك ما الرزيّة بالمطايا ... ولا الخيلِ الجياد ولا العبيدِ
ولكنّ الرزيّةَ كلُّ خرق ... من الفتيان متلافٍ مفيدِ[1]

وقال آخر:

لا أعد الإقتار عدماً ولكنّ ... فقْد من قد رزئْتُه الإعدامُ[2]

وقال لبيد:

إن الرزيّةَ لا رزيّةَ مثلها ... فقدانُ كلِّ أخ كضوءِ الكوْكَبِ

● **الموتُ يعاجلُ الأفاضلَ ويؤخر الأراذل**

هو الدهرُ لا يبقى عليه مقدم ... جوادٌ ولا وغدٌ من النّاس واضِعُ
بكلٍّ أراه فاجعاً غيرَ أنه ... إلى الحرّ والعِلق النفيس مسارِعُ

وقال أبو تمّام:

أن ينتجل حدثانُ الدهر أنفسَكم ... ويسلم الناس بين الحوْض والعَطَنِ[3]
فالماءُ ليس عجيباً أنّ أعذبه ... يفنى ويمتَدُّ عمْرُ الآجنِ الأسنِ[4]

وقال آخر:

يقودُ الزمانُ جيادَ الخيول ... ويبْقي الرُّذالَ على المُدودِ[5]

وقال آخر:

كريمٌ لزادٍ يحبسُه الوعاءُ

---

(١) **الخرق المتلاف:** الحمق المودي إلى الهلاك.

(٢) **الإقتار:** الحاجة والعوز ـ **عدماً:** فقراً.

(٣) **انتجل:** صفّى ـ **الحوض:** مكان الشرب ـ **العطن:** مبرك الجمال حول الماء.

(٤) **الآجن:** الفاسد.

(٥) **الرذال:** جمع الرذيل، وهو الدون والخسيس ـ **المدود:** جمع مدّ وهو كثرة الماء والمراد أن الزمان يمدّ للأراذل حبل الغيّ.

وقال الحمدوني:

إذا ما اتقيت على فرحة ... فكلُّ بلاءٍ بها مولَعُ

وقال آخر

وسهم المنايا بالذّخائرِ مولعُ

- **موتُ السني والصديق وبقاءُ الدنيء والعدوّ**

قال سعيد بن عبد الرحمن:

إنّ الزمانَ ولا تفنى عجائبُه ... أبقى لنا ذَنَباً واستأصَل الراسَا

وقال البسّامي:

حياةُ هذا كموْتِ هذا ... فلسْتَ تخلو من المصائِبِ

وقال الفقعسي:

لعمرُك إنّي بالخليل الذي لهُ ... عليّ دلالٌ واجبٌ لمفَجَّعُ[1]

وإنّي بالمَوْلى الذي ليْس نافِعي ... ولا ضائِري فقدانُه لمُمَتّعُ[2]

- **من عمّ به مصابُ النّاس**

قال الرقّاء:

تساوَتْ قلوبُ الناسِ في الحزْنِ إذ ثوت ... كأنّ قلوبَ الناس في حُزنها قَلْبُ

وقال سلم:

كادَت له مُهَجُ الأنامِ تَسِيلُ[3]

وقال آخر:

يشارِكُني في فقْده البدوُ والحَضَرُ

وقال الموسوي:

يموتُ قوْمٌ ولا يأسى لهُم أحَدٌ ... وواحِدٌ موْتُه هَمٌّ لأقوامِ

- **من اغتمّ بموته الجمادات**

قال أبو تمّام:

أظلمَتِ الآفاق من بعْده ... وعرّيت عن كلّ حسْنٍ وطيبِ

وقال آخر:

لَقَدْ حَزِنَتْ لفقْدِهِمُ الشُّهورُ

---

(١) و (٢) يقول إنه يفجع بالخليل الصاحب ولا يبقى له الدهر إلا المولى الذي لا يفيده فقده.

(٣) المهج: جمع مهجة وهي النفس أو الروح ـ الأنام: النّاس.

● من ذكر طولَ حُزنه على مَن رثاه

قال سلم:

وحزن كطولِ الدّهرِ باقٍ إذا مضت ... أوائلُه عادَت إلَيْنا الأواخِرُ

وقال آخر:

أأسرع الحزنُ في عقْلي وفي جسَدي

وقال آخر:

أصابَ غليلي عَبْرتي فأسالَها ... وعاد احتمامِي ليلَتي فأطالَها[1]

وقال أبو فراس:

أوصيكَ بالحزنِ لا أوصيك بالجَلَد ... جَلَّ المُصاب عن التعنيف والفَنَد[2]

أبكي بدمعٍ له منْ حسرتي مَدَدٌ ... وأستريحُ إلى صبرٍ بلا مَدَدِ[3]

وقال آخر:

وظلّتْ بي الأرضُ الفضاءُ كأنّما ... تصعدُ بي أركانُها وتجولُ

وقال أبو فراس:

يعزّون عنك وأين العزاءُ ... ولكنّها سُنّةٌ تُستحَبُّ

● مَنْ زادَ سوءُ حالهِ على حالِ الميت

قال المتنبّي:

بنَا منك فوقَ الرمل ما بِكَ في الرمْلِ ... وهذا الذي يُضني كذاك الذي يُبلي[4]

كأنّك أبصَرت الذي بي وخفتَهُ ... إذا عِشتَ فاخترتَ الحِمامَ على الثُّكلِ[5]

وقال الموسوي:

يفوزُ بالراحة الفقيـ ... ـد وللفاقدِ طولُ العَناءِ

● الراغِبُ عن الحياة لأجلِ مَن رثاه

قالت بثينة:

سواء علينا يا جميلَ بن معمر

وقال آخر:

طلّقتُ من بعدِه السرورَ ... وفرّغتُ فؤادِي للهَمّ والحُزْنِ

---

(١) غليلي: الحزن وحرارة الحب ـ الاحتمام: عدم النوم من الهم.

(٢) التعنيف: اللوم الشديد ـ الفَنَد: الخطأ وفساد الرأي.

(٣) المدد: العون والغوث.

(٤) يقول: إننا لشدة حزننا عليك قد صرنا موتى ونحن فوق الأرض كما أنت ميت تحت الأرض.

(٥) الحِمام: الموت ـ الثُّكل: فقدان الحبيب.

فـلـيـتَـنـي مـتّ إذ فـجـعـتُ بـه بـل لـيـتَـه لـم يـكُـن ولـم أكُـنِ

قال آخر:

ومـا فـي حـيـاةٍ بـعـد مـوتِـك طـائـلُ

● مَنْ أصابَهُ ما لو أصابَ الجِبال لهدّها

قال هدب:

أصِبْنـا بـمَـا لـو أنّ سـلْـمـى أصابَـهـا لـسـهْـل مـن أركـانِـهـا مـا تـوعّـرا

وقال البحتري:

ولـو أنّ الـجـبـالَ فـقـدْن إلـفـا لأوشـكَ جـامـدٌ مـنْـهـا يـذوبُ

● كَثرةُ البُكاء على الميت

قال أبو ذؤيب:

فـالـعـيْـنُ بـعـدَهـم كـأنّ حِـداقَـهـا سُـلَـت بـشـوكٍ فـهـي عُـورٌ تَـدْمَـعُ

وقال جرير:

أظنُّ انـهـمـالَ الـدمـعِ لـيـسَ بـمـنـتـهٍ عن العينِ حتى يضمحلَّ سوادُها

وقال أبو الغمر:

وحـلّـتْ وكـاءُ الـدمـع فـي وجَـنـاتـه كما انفجرَت عن مانهِنّ المنابعُ(١)

● مَنْ يستقِلّ لموْتِهِ البُكاء

قال شاعر:

لا أسـتـطـيـعُ سـوى الـدمـو ع وأسـتـقـل لـه الـدمـوعـا

وفي كتاب يقل له البكاء ولو كان يدمع الحشا. قال بعضهم:

إن الـمـغـيـرةَ فـوق نـوحِ الـنّـائـحِ

● الإنكارُ على مَنْ لا يغمُه الموتُ

قالت امرأة:

أيـا شـجـرَ الـخـابـورِ مـالـكَ مـورِقـاً كـأنـك لـم تـجـزَع عـلـى ابن طـريـفِ

قال الشماخ:

أبَـعْـدَ قـتـيـلٍ بـالـمـديـنـة أظْـلَـمَـتْ له الأرضُ تهتَزُّ العضاه بأسْوُقِ(٢)

---

(١) الوكاء: رباط القربة والوعاء والكيس وغيرها.

(٢) العِضاه: كل شجر عظيم له شوك.

وقال آخر:

أرى الأثلَ من بطن العقيقِ مُجاوري   مقيماً وقد غالَت يزيد غوائلُه[1]

وقال عبد الصمد:

ما للسَّماء عليهِ ليسَ تنفَطِرُ   وللكواكِبِ لا تهوي فتنتَثِرُ

● من اعْتَذرَ وتلهّفَ لبقائِهِ

قال بعضهم:

ومن عجب أن بتّ مستشعرَ الثّرى   وبتُّ بما زوّدتَني متَمَتِّعا

وقال آخر:

ولو أنني أنصفتُك الودُّ لم أقِم

وقال خليفة بن خلف:

أعاتبُ نفسي إن تبسّمتُ خالياً   وقد يضحَك الموتورُ وهو حَزينُ[2]

وقال الهذلي:

تقولُ أراه بعد عروة سالياً   فلا تحسَبي أن تناسَيْتُ عهدَه

● المُستقبِح بموتِهِ الصَّبر

قال ديك الجن:

إذا الصبرَ أهدى الأجرَ فالصَّبرُ مأثَمٌ   لديّ وتركُ الصَّبرِ فيك هو الأجرُ

وقال ابن الرومي:

لا أسألُ اللهَ حسْنَ مصطَبرٍ   فإنّه عنك يوم مصطبرِ

وحزنُ نفسي عليك من كرمٍ   وهو علَى منْ سِواك من خَوَرِ[3]

وقال آخر:

الصبر والأجر فيك إثمُ

وقال العتبي:

الصبر يُحمد في المصائبِ كلِّها   إلاّ عليك فإنّه مَذمومُ

وقال أبو تمّام:

وإن امرأً لم يمسِ فيك مُفجّعاً   بمجهودهِ في رأيهِ لمُفَجّعُ

---

(١) الأثل: شجر صلب الخشب جيّده يكثر قرب الماء في الصحارى ـ غالت: قتلت والغوائل الدواهي.

(٢) الموتور: من قتل له قتيل ولم يثأر له.

(٣) الخوَر: الضعف والانكسار.

وقال المتنبي:

أجد الحزنَ فيك حِفظاً وَعقلاً ... وأراهُ في الخَلْقِ ذُعراً وجَهلا[1]

● شقّ الجيب

نهى النبي ﷺ عن شقّ الجيوب. قال أبو سعيد البلخي: من أصيب بمصيبة فشقّ ثوباً وضرب صدراً فكأنما أخذ رمحاً يريد أن يقاتل به ربّه.

قال المتنبي:

علينا لكَ الإسعادُ إن كانَ نافِعاً ... بِشقّ قلوبٍ لا بِشقّ جُيوبِ

وقال أبو عطاء:

عشيةُ قامَ النائحاتُ وشُقّقَتْ ... جُيوبٌ بأيدي مآتمٍ وخُدودِ[2]

وقال رجل من طيء:

ولو لمْ يفارقْني عطيةُ لم أهُن ... ولم أُعطِ أعدائي الذي أَمْنَعُ
شجاعٌ إذا لاقى ورامٍ إذا رمَى ... وها أنا ذا ما أظلمَ الليلُ مُصْرَعُ[3]

وقال أبو الشّيص:

يا أيّها الدهرُ أقصِرْ عن تنقّصِنا ... فلستَ منتهياً عن غشمِنا أبدا[4]
أضحَى سنانُ قناتي بعدَ حدّته ... مرّت به عثراتُ الدهرِ فانقصَدا[5]

● زيارةُ القبورِ وتجديدُ الحُزنِ بها

قال النبي ﷺ: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً.

قال عبد الملك الحارثي:

أتيناه زوّاراً فأمجد ناقري ... من البثّ والداءِ الدخيل المُخامرِ[6]
وأبْنا بزرع قد نمَا في صدورِها ... من الوجْد يُسقى بالدّموعِ البوادِرِ[7]

وقال خلف بن خليفة:

وبالدير أشجاني فكَمْ من شجٍ له ... دوين المُصلّى بالبَقيع شُجونُ
ربىً حولَها أمثالُها إنْ أتيتَها ... تريننَك أشجاناً وهنّ سكونُ

---

(١) وعراً: صعباً.
(٢) شقّت الجيوب: كناية عن الحزن والنحيب.
(٣) مُصرع: مطروح.
(٤) غشمنا: ظلمنا.
(٥) انقصد: انكسر.
(٦) ناقري: السهم الذي يصيب الهدف - أمجد: أكثر - المخامر: المُداخل - خامره: داخله - أبنا: عدنا.
(٧) البوادر: المسرعات والمستبقات.

قالت أعرابية:

لقد كنتُ أعدو إلى قصْره ... فقد صرت أعدو إلى قبْرهِ
وكنتُ أراني غنيّاً به ... عن الناس لو مُدَّ في عُمْرِهِ

● العقرُ على قبر الميت

كانت عادة العرب أن تعقر على قبر ميتهم تعظيماً له، وهذا سوى ما يجعلونه من البلية، وهي ناقة توقف على قبر ميتهم إلى أن تموت ويزعمون أن الميت يركبها يوم الحشر.

قال زياد الأعجم:

وإذا مررتَ بقبره فاعقِر له ... وأنضَخ جوانب قبرهِ بدمائِها

ويقال إن زياداً دخل على المهلب فأنشده هذه القصيدة، فلما أتى على هذا البيت. قال له: هلا عقرت عليه يا أبا أمامة فرسك؟ فقال: إني كنت على مفرق ولو كنت على عتيق لفعلت. فاستحسن قوله، وقال لمن حضر مجلسه من ولده ومواليه: لينفذ كل واحد منكم إلى زياد فرساً من خيله فانصرف بعدّةِ أفراس.

وقال عبيد الله بن إسحاق:

فإن يكُ يا ابنَ المصطفى قبرُ سيِّدٍ ... تُعقر خيلٌ حولَه ونَجائِبُ
فقبرُك أهلٌ أن يُعقرُ حولَه ... رجالُ المعالي والنِساءُ الكواعبُ(١)

● تذكرُ المَيتِ وتصوُّر محاسِنِه

قالت الخنساء:

يذكّرني طلوعُ الشمسِ صَخراً ... وأذكره لكلّ مغيبِ شمسِ(٢)

وقالت كلثوم:

لم يخلُ من تمثاله بَصَري ... يوماً ولا من لفظه أُذُني
يا منْ تمثّل من مَحاسِنِه ... للعيْن مشبوحٌ بلا بَدنِ

● زيارةُ طيفِ الميت

قال ديك الجن:

جاءت تزورُ وِسادي بعد ما دفنَتْ ... فبتّ ألثُم خداً زانَه الجيدُ
فقلْت قرّة عيني قد نُعيتِ لنا ... فكيفَ ذا وطريقُ القبرِ مسدودُ

---

(١) يُعقر: يُقدم للذبح (كناية عن تقديم الأضاحي والقرابين).
(٢) وفي رواية: لكل غروب شمس.

قالتْ هناكَ عِظامي فِي ملحدهِ ... ينهشْن منها بناتُ الأرضِ والدودُ
وهذه النفسُ قد جاءَتْك زائرةً ... هذي زيارة مَنْ في القبرِ مَلحودُ

● **فِداء الميّت لو قُبِلَ عنه الفِداء**

قال متمّم:

فلو أخذت منّي المنيّةُ فديةً ... فديتُك منها بالسّوامِ وبالأهلِ

وقال إبراهيم بن إسماعيل:

أجاري لو نفسٌ فدَتْ نفس ميتٍ ... فديتُك مسروراً بأهلي وماليا

وقال البحتري:

بي لا بغيري تربةٌ محفورةٌ ... لكَ في ثراها رِمّةٌ وعِظامُ

● **مَنْ ذكر أنّه لو أمْكنَه دفعَ المَنيّةِ لَدفعَها**

قال الحميح:

فلو أني استطعتُ دفعتُ عنه ... ولكنّ باعهُ منْ لا يقيلُ

وقال ابن الرومي:

ولو كان هذا الموتُ قِرناً أطيقُه ... لما فاتَني إحْدى الليالي بثارِه[1]

وقال الفرزدق:

فلو كانتِ الأحداثُ يدفعُها امرؤٌ ... بعزّ لما نالتْ يداه عَريني

وقال الموسوي:

أتتْه المنيّةُ مُغتالةً ... رويداً تخلّلُ من سَيْرِه
فلم تغنِ أجنادُه حولَه ... ولا المُسْرعون إلى نَصْرِه

● **مَنْ ذكر أنّه لو حَضَرَ لدَفع قَاتِلَهُ**

قال سعيد بن علقمة:

وغيّبتُ عن قتلِ الحبابِ وليتَني ... شهدتُ حتاتاً يوم ضُرّجَ بالدم[2]
وفي الكفّ مني صارمٌ ذو حفيظةٍ ... متى ما يُقدم في الضّريبة يُقْدِمِ
فتعلم أحيا مالكٍ ولفيفُها ... بأن لسْت عن قتلِ الحتات بِمجرِمِ

وقال البحتري:

فوا أسَفي أن لا أكونَ شهدتُه ... فحاسَت شمالي دونَه ويَميني[3]

---

(١) **قرناً أطيقه**: أي أقدر على جبهه. (٢) **حتاتاً**: الحتات: اسم.
(٣) **فحاست شمالي**: من حاس الجزار الإهاب سلخة أو كشطه.

وإلا لقيتُ الموت أحمرَ دونَه ... كما كانَ يلقى الدهرَ أغبرَ دوني[1]

● من مات حَتْفَ أنفه وكان يخشى عليه القتل

قال لبيد يرثي أخاه وقد أصابته صاعقة فمات:

أخشَى على أربد الحتوفَ ولا ... أرهبُ نوءَ السِّماك والأسد[2]

فجعَني البرقُ والصواعقُ ... بالفارسِ يوم الكريهة لنجد

وقال كعب بن زهير:

لعمرُك ما خشيتُ على أبيّ ... مصارعَ بيْن قوٍّ فالسِّليّ[3]

ولكنّي خشِيتُ على أُبَيّ ... جريرة رُحمِهِ في كلّ حيّ[4]

وقال المتنبي:

نفَى وقع أطرافِ الرماح برمْحِهِ ... ولم يخشَ وقعَ النجم والدّبران[5]

ولم يدرِ أن الموت فوقَ شواتِه ... مُعَارُ جَناحِ مُحسنِ الطَّيَرانِ[6]

● من اختطفته المنيةُ لمّا أدرك المُشتَهى أو تَناهى

قال سلم الخاسر:

لما استظلّ بتاجِ الملكِ واجتمَعتْ ... له الأمورُ فمنقادٌ ومقسورُ

حطّت عليه بمقدارِ منيَّتُه ... كذاكَ تصنع بالنّاس المقاديرُ[7]

وقيل: وقوع المنية في إدراك الأمنية، **وذلك نحو قوله:**

إذا تمّ أمرٌ بدا نقصُهُ ... توقّ زوالاً إذا قيل تَمّ

وله باب.

● مَن الموتُ مُرديه مع كَثرةِ تَوَقّيه

قال رجل من بني أسد:

أبعدْتَ من يومِكَ الفرار فما ... جاوزتَ حتّى انتهى بك القدرُ

لو كان ينجي من الردى حذرٌ ... أنجاكَ ممّا أصابكَ الحَذَرُ

---

(١) **الدهر الأغبر:** الدهر الشديد.

(٢) **الحتوف:** الموت ـ **السماك والأسد:** من الكواكب ـ **النوء:** ما يرافق سقوط النجم من مطر أو إعصار.

(٣) **قو:** موضع. (٤) **الجريرة:** الجناية والذنب العظيم.

(٥) **النجم:** الثريا ـ **الدبران:** خمسة كواكب، من منازل القمر.

(٦) **الشواة:** جلدة الرأس، أي لم يدرِ أن الموت فوق رأسه كيفما توجّه.

(٧) **المقدار:** القضاء والقدر.

وقال أبو تمّام:

وقد كانَ لو رُدَّ غربَ الحِمام شديدَ توقٍّ طويلَ احتماءِ[1]

● التصامُمُ عن النعي والتوجُّع له

قال:

وفي السمْع عمّا خبّروا غدوةً وقْر[2]

وقال آخر:

أعلّلُ نفسي بالمرجمِ غيبةً وكاذبْتُها حتى أبانَ كذابُها

وقال اليربوعي:

ولما نعَى الناعي بزيد تغوّلتْ بي الأرضُ فرطَ الحُزنِ وانقطَع الظهرُ[3]

عساكرُ تغشَى النفس حتّى كأنني أخو سكرَةٍ دارتْ بهامِته الخمرُ

وقال الموسوي:

أبدي التصامُم عنه حين أسمَعُه عمداً وقد بَلَغ الناعون أسمَاعي

● مَنْ دعا على ناعِيه ودافِنيه

قالت الخنساء:

ألا ثكِلتْ أُم الذين غدَوا به إلى القبر ماذا يحملونَ إلى القبْر؟

وقال أبو فراعة:

لأمك الويلُ تَترى أيها الناعي أوجَعتَ سوداءَ قلبي أيَّ إيجاعِ[4]

● قومٌ تفانوا واحداً بعدَ واحد

قال رجل من خثعم:

نهلَ الزمانُ وعلّ غيرَ مصرّد من آل عتّاب وآل الأسود[5]

فاليومَ أضحوا للمنونِ وسبقه من رائحٍ عجلٍ وآخر مقتدِ

وقال ابن هرمة:

أنَهْبٌ للمنية يعتَريهم رِجالي أم هم درجِ السّيولِ[6]

---

(١) غرب الحِمام: سهم غرب: لا يعرف راميه، والحِمام: الموت.

(٢) الوقر: الحمل الثقيل. (٣) تغولت الأرض: انخفضت.

(٤) تترى: متابعة ـ سوداء القلب: مهجته.

(٥) نهل: شرب أول الشرب وعلّ شرب ثانية ـ غير مصرّد: أي غير قليل.

(٦) نهب المنية: هجوم الموت ـ يعتريهم: يصيبهم.

● مَنْ تُصيبُه كلَّ يومٍ مُصيبة

قال شاعر:

وتـقـرعُـنـي فـي كـلّ يـوم مـصـيـبـةٌ فقد صرتُ ذا أنس بقَرعِ المصائبِ[1]
لـعـمـرُك مـا تـعـفـو كـلـومُ مـصـيـبـةٍ على صاحبٍ إلاّ فُجعْتَ بصاحبِ[2]

● من قاسَمَتْهُ فأخذتْ النصيبين

قال المتنبي في سيف الدولة وقد ماتت أختاه فرثى الأولى:

قـاسـمـتـك الـمـنـونُ شـخـصـيـنِ جَـوْراً جـعـلَ الـقـسـمُ نَـفْـسَـهُ فـيـه عـدْلا

ثم ماتت الأخرى فقال:

قَدْ كان قاسَمَك الشخصين دهرُهما وعـاشَ درهـمـا الـمـفـدّى بـالـذهَـبِ
وعـادَ فـي طَـلَـبِ الـمـتـروكِ تـاركُـه إنـا لـنـغـفَـلُ والأيـامُ فـي الـطـلَـبِ
مـا كـان أقـصـر وقـتـاً كـان بـيـنَـهـمـا كأنه الوقتُ بين الوِرد والقَربِ[3]

● من اغتاله الموتُ وكان مِن خُدّامه

قال مسلم بن الوليد:

ألـم تـعـجـبْ لـه أنّ الـمـنـايـا فَـتَـكْـنَ بـه وهـنّ لـه جُـنـودُ

وقال بكر بن النطاح:

ألـم تـرَ لـلأيـامِ كـيـفَ تَـتَـابـعـتْ بـهِ وبـهِ كـانَـت تـذادُ وتُـدفَـعُ

● من استوحش فناؤه بموتِهِ

قال أبو حية النمري:

فـإن يـمـسِ وحـشـاً دارُه فـلـربّـمـا أقـامَ بـه بـعـدَ الـوفـودِ وفـودُ

وقال أبو تمام:

فـيـا وحـشـةَ الـدنـيـا وكـانـت أنـيـسـةً ووحـشَـةُ مَـن فـيـهـا لـمـصـرعِ واحـدِ

● الموصوفُ بأنه لو خُلّد أحد لخُلّد هو

قالت الخنساء:

لـو كـان لـلـدهـرِ مـالٌ كـان مـتـلـدَةً لـكـانَ لـلـدهـر صـخـرٌ مـالَ فـتـيـانِ

---

(١) تقرعني: تلمّ بي. (٢) الكلوم: الجراح.
(٣) القَرَب: سير الليل لورْد الغد.

قال أبو ذؤيب في قريب من هذا المعنى:

لو كان مدحةُ حيٍّ أنشرَت أحداً … أحيا أبا كُن يا ليلى الأماديحُ[1]

● **مَنْ بَقِيت نِعمتُهُ بعد موتِهِ**

قال أبو الزبرقان:

فماتَ وأبقى من تراثِ عَطائه … كما أبقَتْ الأنواء للحيَوانِ[2]

وقال أبو مطير:

فتى عِيش في معروفِهِ بعدَ موتِهِ … كما كانَ بعدَ السيْلِ مجْراه مرتعا[3]

وقال صرم:

أما مضيت فكالربيع بمائه … يعفو وتحسن بعدَه الآثارُ

● **مَنْ خَلّف العلى دون اللها**

قال مالك بن عمرو الحارثي:

ولما حضَرنا لاقتسامِ تراثِهِ … أصبْنا عظيمات اللها والمآثرِ[4]

وقال عمارة بن عقيل:

لم يكنْ موسِراً من المال لكنْ … موسراً من مكارمَ ومعالي

● **من يَحْسُن تأبينُه ومَدْحُهُ**

قال مطيع بن إياس:

يا خيرَ من يُحْسَنُ البُكاءُ به الـ … ـيوم ومن كان أمسِ للمدحِ

وقال البحتري:

مضى غيرَ مذمومٍ وأصبح ذكرُهُ … حِلى القوافي بين راثٍ ومادحِ

وقال آخر:

قد ماتَ قومٌ وهم في الناس أحياءُ

وقال العطوي:

وليس صريرُ النعشِ ما تَسْمعونه … ولكنّه أصلابُ قوم تَقصّفُ[5]

وليس بريح المسك ريحُ حنوطِهِ … ولكنه ذاك الثناءُ المُخلّفُ[6]

---

(١) **أنشرت**: أحيت.

(٢) **الأنواء**: جمع نوء، وهو النجم إذا مال للمغيب. وربما قصد إلى فعل الأنواء أي النجوم في حياة الحيوان.

(٣) **المرتَع**: المكان المُخصب. (٤) **اللها**: المقدار والحفنة ـ **المآثر**: الأعمال الحميدة.

(٥) **الأصلاب**: الحسب والنسب ـ **تقصّف**: تتكسر.

(٦) **الثناء المخلف**: المديح الباقي.

وقال آخر:

إذهبْ كما ذهبتْ غوادي مزنةٍ … أثنى عليها السهلُ والأوعارُ[١]

- **المرثيّ بالجود**

قال مروان بن أبي حفصة:

وكان الناسُ كلهم لمعنٍ … إلى أن زارَ حفرتَه عِيالا

وقال السلامي:

أما طِلابُ المعالي فاسْتُهينَ بِه … وأُكرِمت بعدَه الأوراقُ والذهبُ

وقال آخر:

أتاه الرّدى في زيّ عافٍ وإنما … أبى جودُه أن يَرْجِعَ الموتُ خائباً[٢]

- **مَنْ ماتَ بموتِهِ الجودُ والكرمُ**

قال شاعر:

سلوا عن المجد والمعروف أين هما … فقيلَ إنهما ماتا مع الحَكَم

وقال زياد الأعجم:

إن السماحة والمروءةَ ضمنا … قبراً يمرُّ على الطريقِ الراضعِ[٣]

وقال آخر

ولما مضى معنٌ مضى الجودُ وانقضى … وأصبحَ عرنينُ المكارِمِ أجْدَعا[٤]

وقال آخر:

ما درَى نعشُه ولا حاملُوه … ما على النّعشِ من عفافٍ وجودِ

وقال المتنبّي:

يحسبه دافنُه وحدَه … ومجدُه في القبر من صَحْبِه

- **مَنْ تَضمّن قبرُهُ عِزّاً ومنفعةً**

قال أبو الشّيص:

يا حفرة طولها خمسٌ إذا ذُرِعتَ … في خمسة قد دفنّا عِزّنا فيها

وقال ديك الجن:

عجبتُ لحفرةٍ حُشيتْ بِطوْدٍ … وقبرٍ حشوه بلدٌ رحيبُ

---

(١) **الغوادي**: جمع غادية، وهي السحابة التي تنشأ وتمطر غدوة ـ **الأوعار**: جمع وعر، وهو المكان الصعب والمخيف.

(٢) **في زي عافٍ**: في هيئة طالب المعروف. (٣) **الراضع (هنا)**: اللئيم.

(٤) **العرنين الأجدع**: الأنف المقطوع.

وقال التنوخي:

ولحدٍ حوى شمساً وأرضٍ تضمَّنَتْ ... سماءَ نجومُ المَجْدِ فيها ثواقِبُ

● مَنْ توجّعُ له المكارم

قال أوس بن حجر:

ليبكِ الضيفُ والمكارمُ والـ ... ـفتيانُ طرّاً وطامعٌ طمعا

وقال أشجع:

أنعى فتى الجودِ إلى الجودِ ... ما مثلُ من أنعى بموجودِ

وقال الخوارزميّ:

أعزّيكم أم أعزّي النّدى ... فما هُو دونَكم في الألمِ[1]

وقال أبو تمّام:

يُعزُّون عن ثاوٍ تُعزى بهِ العُلى ... ويبكي عليه الجُودُ والبأسُ والشِّعْرُ

● مَنْ فَقَد الآمالَ بموته

قال أبو تمّام:

توفيتُ الآمالُ بعد محمّدٍ ... وأصبحَ مشغولاً عن السَّفْرِ السفرُ

وقال:

وكانتِ الآمال مبسوطةً ... حتى إذا ماتَ طوينَاها

وقال دعبل:

ماتَ الثلاثةُ لما ماتَ مطّلبٌ ... ماتَ الرِجالُ وماتَ الرّغْبُ والرَّهَبُ

● المرثي بحفظ الجوار

قال بعضهم:

بمن يستجيرُ الحرُّ أقفرَ بيتُه ... إذا لم يجدْ في الأرض قرْضاً ولا فرْضا
ومن للأمورِ والمعضلاتِ إذا عَرَتْ ... ومن يُحسنُ الإبرامَ بعدَكَ والنقْضا[2]

وقال بعض بني أسد:

كانوا على الأعداء نار محرقة ... ولقومهم حُرماً من الأحرامِ

وقال آخر:

يا طالباً وزراً من ريبِ حادثةٍ ... أودَى سعيدٌ فلا كهفٌ ولا وَزَرُ[3]

---

(١) الندى: الكرم.

(٢) عرت: عرضت ـ الإبرام والنقض: عقد الاحلاف وفكها.

(٣) الكهف: ملجأ ـ والوَزَر: الملجأ أيضاً.

وقال أبو القاسم العلاء في الصاحب:

قام السعاةُ وكان الخوفُ أقعدَهم ... واستيقظُوا بعد ما نامَ الملاعِينُ
لا يعجبُ الناسُ لما ماتَ فانتشروا ... مضى سليمان فانحلَّ الشياطينُ

● **مَنْ ماتَ بموتِهِ مَن لم يَمُت**

قال شاعر:

ماتوا بموتِك غيرَ أنّ شخوصَهم ... نصبُ الهموم مقيمةٌ لم تُقبرِ

وقال امرؤ القيس:

فلو أنّها نفسٌ تموتُ بموتِهِ ... ولكنّها نفسٌ تساقطُ أنفسا

وقال هشام أخو ذي الرمّة:

ولم يكُ قيس هلكُه هلكُ واحدٍ ... ولكنّه بنيان قومٍ تهدّما

وقالت ليلى:

قتلتم فتًى لا يسقط الرعبُ رمحَهُ ... إذا الخيلُ جالتَ في قنا متكسّرِ

وقال الفرزدق:

ألا هَلَكَ المكسّرُ فاستراحتْ ... حوافي الخيل والحيّ الحريدُ[(١)]

لما أتى معاوية نَعْيُ عمرو بن العاص، أنشد:

ماذا رزئنا به من حيّةٍ ذكرٍ ... نضناضةٍ بالرزايا صلِّ أصلالِ[(٢)]

● **من هابته الحوادثُ فاشتفت بموتِهِ**

قال أبو الغمر:

وسألت عنه فقيل ماتَ لِما به ... قلتُ النّدى لا شك ماتَ لِما بِهِ[(٣)]
فكأنما ضنّ الزمان على الورى ... ببقائه أو هابه فبدا به

وقال محمد بن وهب:

كأنّ الموتَ صادفَ مِنك غُنماً ... أو استشفى بموتك من سُقامِ[(٤)]

● **مَنْ تَبَجّحَ به الموتُ وطابَ القبر**

فلان تباشرت القبورُ بموته وأشرقت المقابر بحفرته. **قال العقيلي:**

لئن أظلمَتْ من بعدِك الأرضُ وحْشةً ... لقد أشرقتْ أنساً إليك المقابرُ

---

(١) **الحريد**: الغاضب.

(٢) **النضناضة**: الحيّة التي تقتل من ساعتها إذا نهشت ـ **والصلّ**: الحية الخبيثة.

(٣) **الندى**: الكرم. (٤) **استشفى من سقام**: السقام: المرض والعلّة.

وقال الطائي:

مضى طاهر الأخلاقِ لم تبقَ بقعةٌ ... من الأرضِ إلا تشتهي أنها قبرُ

وقال:

أرادوا ليخفوا قبرَه عن عدوِّهِ ... فَطِيبُ ترابِ القبرِ دلَّ على القبْرِ

● **المرثي بالعلم**

أنشد أبو نواس أبا عبيدة في مرثية خلف الأحمر قوله:

أودى جُماعُ العلم مذ أودى خلفَ ... فليذُم من العياليم الخَسَفْ[1]

روايةٌ لا يجتني من الصحف

وفي أبيات كثيرة قال ما أحسنها وطوبى لمن يُرثى بمثلها، **فقال**: مت راشداً وعلي أن أرثيك بخير منها، ولما مات سفيان بن عيينة.

قال ابن مناذر:

راحوا بسفيان على نفسه ... والعلم مكسوين أسفانا[2]

لا يبعدنك الله من هالكٍ ... ورّثنا علماً وأحزانا

وقال آخر:

يبكيك للمجدِ أقلامٌ مهذبةٌ ... والأمر والنهيُ والديوانُ والعملُ

وقال التنوخي:

ثوى الفقهُ في قعرِ الثرى مذ ثوى به ... وغاصَت بِحارُ الشعرِ وانقطعَ النَظْمُ

ولو أنّ هذا الموتَ خَصْمٌ مفوّهٌ ... لأفحمه من عزّ ألفاظه خَصْمُ

● **المَرثي بالزُهدِ والعِبادة**

رأى رجلٌ ميتاً **فقال**: كان والله بالليل قوّاماً وبالنهار صوّاماً يجمع بين طرفي النهار والليل بالعبادة، كما قال الأفوه:

لقد أبقى مكانك في لؤيٍ ... وآل محمد خللاً مُبِينا

وليلٍ قد دأبتَ له بآيٍ ... من الفرقان بين الساجدينا

فآنس شخصُك الجدثَ المعفّى ... وأوحشَ قبرُك المتهجّدينا[3]

---

(١) **أودى**: ذهب بـ **العياليم**: جمع عيلم، وهو البئر الواسعة ـ **الخسف**: البئر المحفورة في صخر وماؤها لا ينقطع.

(٢) **أسفانا**: الأسفان الأسف مصدر أسف أي بالغ في الحزن والغضب.

(٣) **الجدث**: القبر ـ **المتهجّد**: الذي يصلّي الليل.

قال عبد الصمد بن المعذل:

لـو كـانَ يـبـكـي كـتـابُ الله مـن أحـدٍ ... لـطـولِ إلـفٍ بـكـتْـك الآيُ والـسـورُ

● **المختصُ بمرثية الأبوين**

قيل: موت الأبوين سد بابين من أبواب الجنة. **قال قتيبة بن مسلم لما ماتت أمه لأبي مجلز:** لقد سُدَّ دوني باب من أبواب الجنة **قال:** نعم وباب من أبواب النار لأنك ما كنت تأمن أن تعقها.

قال كشاجم:

أبـعـدَ مُـصـابِ الأمّ آلـفُ مـضـجـعـاً ... وآوي إلى خفْضٍ من العيْش أو ظلّ

سترضِعُ عيني قبرَها من دموعِها ... بما كلفته من رِضاعي ومن حمْلي(١)

رثـيـتُ لـنـصـلٍ يـأخـذُ الـمـوتُ جـفـنَـه ... وأعـجـبُ مـن فـرعٍ يـنـوحُ عـلـى أصْـلِ

وبكت صبية أباها، فقالت: واأبتاه تركتنا كالبُهم ليس لنا رعاة، واأبتاه تركتنا كالزرع ليس له مسقاة.

● **الفَجيعةُ بولدٍ صغير**

قال أحمد بن أبي طاهر:

بَـــدْرٌ لـــيـــل بَـــدْرَ الـــنـــقْــــ ... ـــصُ لـــه قـــبـــلَ تَـــمَـــامِـــهْ

كــــان نَــــوْراً مــــن ريــــاضٍ ... فــذوى قــبْــلَ ابــتــســامِــه(٢)

وقال أعرابي:

يــا غــائــبــاً مــا يــؤوبُ مــن سَــفَــرِه ... عــاجــلَــه مــوتُــه عــلــى صِــغَــرِه

شــرِبْــتَ كــأســاً أبــوك شــاربُــهــا ... لا بــدَّ مــنــهــا ولــو عَــلــى كِــبَــرِه

وقال المتنبي:

فـإن تـكُ فـي قـبـرٍ فـإنـك فـي الـحـشـا ... وإن تكُ طفلاً فالأسى ليسَ بالطِّفلِ(٣)

ومـثـلُـك لا يـبْـكـى عـلـى قـدْرِ سـنّـه ... ولـكـنْ عـلـى قـدر الـمـحـيـلـةِ والأصـلِ

بـنـفـسـي ولـيـدٌ عـاد مـن بـطـن أمـه ... إلـى بـطـنٍ أم لا تـطـرقُ بـالـحَـمْـلِ

وقـد مـدّتِ الـخـيـلُ الـعـتـاقُ عـيـونَـهـا ... إلى وقتِ تبديل الرِّكابِ من النَّعْلِ(٤)

---

(١) كلفته: تحملته وشقيت به.

(٢) النور: الزهر ـ قبل ابتسامه: قبل تفتح أكمامه.

(٣) أي إن تكن قد دُفنت في القبر فإنك مصوّر في القلب، وإن تكن طفلاً صغيراً فالحزن عليك ليس بصغير.

(٤) العتاق: الكرام ـ الركاب: ما توضع فيه الرجل من السرج.

ورِيعَ لـه جيش الـعـدوّ ومـا مـشـى   وجاشَتْ له الحربُ الضَروس وما تغلي[١]

وكتب: كاتب عاجله موته على صِغره وعاقصه رَداه قبل سفره، وقال التنوخي:

كغصنٍ ثنتْه الريحُ عنْد اعتدالِه   ريـاحٌ غـوادٍ بـالـرّدى وروائـحِ

- **التحسُّر على الوَلد**

قال أبو الشّيب:

بـأبـي وأمـي مـن عـبـاتُ حـنـوطَـه   بـيـدي وودّعـنـي بـمـاءِ شـبـابِـهِ

كـيـفَ الـسـلـوّ وكـيـفَ أنـسـى ذكـرَهُ   وإذا دُعـيـتُ فـإنّـمـا أُدعـى بِـهِ

وقال:

لـعـمرُكَ ما أبـقـى لـنـا الـدهْـرُ بـاقـيا   نَـقـرُّ بـه عـيـنـاً غـداةَ نـوُبُ

كـأنّـي وتـرتُ الـدهـرَ بـابـنٍ أفـادَه   على حِين كانت كبرةٌ فمشيبُ[٢]

وقال العتبيّ:

دفنتُ بكفّي بعضَ نفْسي فأصبحتْ   لـهـا دافـنٌ مـن نـفـسِـهـا ودفـيـنُ

- **المتوجِّعُ لموتِ البنين وَبقاءِ البنات**

قال أبو الغمر، وقد مات له خمس بنين وحصلت له خمس بنات:

مضى خمسةٌ وجهي بهم كانَ مشرِقاً   بخمسٍ بهنّ الوجهُ أسودُ سافِعُ[٣]

وقال العتبيّ:

ألا يـدرأ الـدهـرُ عـنّـا الـمـنـونـا   يُـبْـقـي الـبـنـاتَ ويُـفـنـي الـبَـنِـيـنـا

وكـنـتُ أبـا خـمـسـةٍ كـالـبـدورِ   وقـد فـقـأوا أعـيـن الـحـاسِـديـنـا

فـمـروا عـلـى حـادثـاتِ الـزمـان   كـمـرِّ الـدراهـمِ بـالـنّـاقـديـنـا

- **مرثية عروس**

امرأة مات عنها زوجها ليلة العرس، فقالت:

أبـكـيـكَ لا لـلـنـعـيـم والأنـسِ   بـل لـلـمَـعـالـي والـرمـح والـتـرْسِ

أبـكـي عـلـى فـارسٍ فُـجـعـتُ بـه   أرمـلـنـي قـبـلَ لـيـلـةِ الـعُـرسِ

وقال:

يـا قـرب مـأتـمِـهـا مـن الـعـرسِ

وقال صالح بن عبد القدوس:

وكـذاكَ الـدهـرُ مـأتـمُـه   أقـربُ الأشـيـاءِ مـن عَـرسـه

---

(١) ريع: أخيف ـ جاشت: غلت ـ الضروس: العضوض.

(٢) وترته: أثكلته وانتزعت منه.   (٣) السافع: الأسود المشبع حمرةً.

وقال المتنبي:

أتـهـنّ الـمـصـيـبـةُ غـافـلاتِ فـدمـعُ الـحـزنِ فـي دمـعِ الـدلالِ[1]

- **مَنْ قتل محبوبَه**

قال بعضهم وقد اتهم امرأته فقتلها:

يـا طـلـعـة طـلـعَ الـحِـمـام عـلـيْـهـا وجـنَـى لـهـا ثـمـرَ الـرّدى بـيـدَيْـهـا
رَوَيْـتُ مـن دمِـهـا الـثّـرى ولـطـالَـمـا روى الـهـوى شـفَـتـي مـن شـفـتَـيْـهـا
وذبـابُ سـيـفـي فـي مـجـالِ خـنـاقِـهِ ومـدامـعِـي تـجْـري عـلـى خـدّيْـهـا[2]

وقال ديك الجن وكان اتهم امرأته فقتلها ثم تبين له بطلانه:

تـبْـكـي وتـقـتُـلُ مـن تـحـبُّ فـقْـدُك مـن عـجَـبٍ عـجـيـبُ

وقال:

وآنـسـةٍ عـذبِ الـثـنـايـا وجـدْتُـهـا على خِطّة فيها لذي اللبِّ مألفُ
فأصلتُ حرَّ السيفِ في حُرِّ وجهها وقلبي عليها من جوَى الوجدِ يرجفُ[3]
فـخرّت كـمـا خرّت مـهـاةٌ أصابَـهـا أخـو قـنـص ومُـسْـتَـعْـجِـل متعسّفُ
سيقتُـلـني حزناً علـيْـهـا تأسّفي وهـيـهـات مـا يُـجْـدي عـليّ الـتأسّفُ

- **مرثيةُ عشيقة**

قال العبّاس:

ريـحـانـتـي واخـتُـلِـسـتْ مـن يـدي أبـكِـي عـلـيـهـا آخـر الـمـسـتـنَـدِ[4]
كـانـت يـداً كـانَـتْ بـهـا قـوّتـي فـاخـتـلـسَ الـدهْـر يـدِي مـنْ يَـدي

- **مَرثيةُ زوجة**

قال الفرزدق في مرثية امرأة حامل ماتت له:

وجـفـنُ سـلاح قـد رزئـتُ فـلـم أمِـت عـلـيْـه ولـم أبـعـث عـلـيـهِ الـبـواكِـيـا
وفـي جـفـنـهِ مـن دارمٍ ذو حـفـيـظـةٍ لـو أن الـمـنـايـا أخـطـأنَـه لـيـالِـيـا

وقال الموسوي:

إن لـم تـكـنْ نـصْـلاً فـغـمـدُ نُـصـولِ غـالـبَـتْ أحـداثَ الـزمـانِ بـغـولِ
أو لا تـكُـن بـأبـي شـبـولٍ ضـيـغَـمٍ تـدمـى أظـافـرُه فـأمّ شُـبـولِ[5]

---

(١) **الدلال:** التغنّج، أو الوقار. (٢) **ذُباب السيف:** طرفه الذي يضرب به.

(٣) **حُرُّ الوجه:** ما ظهر من الوجنة ـ **الجوى:** شدة الوجد ـ **يرجف:** يضطرب بشدة.

(٤) **آخر المستند:** آخر ما يستند إليه.

(٥) **الضيغم:** الأسد ـ **الشبول:** جمع شبل وهو ولد الأسد، **أم شبول:** اللبؤة.

● **مرثية ضال**

قال أعرابي يرثي أخاً له ضلّ:

فـلـو أنـه إذا جـاءه الـدهـرُ عـاديـا — أتـيـحَ لـه مـوتٌ وغـيـبَـةُ قـبْـرُ
إذاً لـصـبّـرتُ الـنـفـسَ ثـم احـتـسـبْـتُـه — وفي الصّبْر لي حسنُ المثوبةِ والأجرُ
ولـكـنْ طـوَتْ عـنّي الـمـقـاديرُ عِـلْـمَـه — فمـا لي به لـمّا تناءى شخصُه خبرُ
أمـوتٌ فـيُـسـلـى أم حـيـاةٌ فـيُـرتـجـى — أبـرٌّ أتـى مـن دون مـثـواه أم بـحْـرُ

وقال آخر:

رمى بـصـدور العـيسِ مخترقَ الصَّبا — فـلـم يـدرِ خـلـقٌ بـعـدَهـا أيـن يـمّـنـا

وسنان بن حارثة استهوته الجن فزعمت العرب أنها استفلحته الجن طلباً لكرم نجله وقارظ عنزة ممّن فقد. **وقيل**: إنه خرج مع خزيمة بن مالك وكان خزيمة يهوى ابنته، فانتهيا إلى بئر فيها معسل، فأرسله خزيمة. فلما **قال**: أجذبني **قال**: لا أفعل أو تزوّجني ابنتك. **فقال**: أخرجني لأزوجك فأما على هذه الحالة فلا، **فقال**: لا أفعل وتركه. وبه ضَرَبَ المثل الشاعرُ بقوله:

إذا مـا الـقـارظ الـعـنـزيّ آبـا[1]

وكان فيهم قارظ آخر فقده وفيه قيل:

وحـتّـى يـؤبَ الـقـارظـان كـلاهُـمـا — ويـنـشـر فـي الـقـتـلـى كـلـيـبٌ لـوائـلِ

● **مرثيةُ مصلوب**

قال الرقاشي: كنت من صنائع البرامكة فلما صلب جعفر أردت أن أبكي عليه إذا انتهيت إليه، فلم يمكنّي من حوله فمررت يوماً والدنيا خالية فبكيت، وقلت:

أمـا والـلّـهِ لـولا خـوفُ واشٍ — وعـيـنٌ لـلـخـلـيـفـة لا تـنـامُ
لـطُـفْـنـا حـولَ جِـذْعـك واسـتـلَـمْـنـا — كـمـا لـلـنـاس لـلـركْـن اسـتـلامُ[2]

فلما دخلت على الرشيد **قال**: إيه، أما والله لولا خوفُ واشٍ، فانتفضت وقلت: ما أحسب إلا الجن تأتيك بالأخبار. ولأبي الحسن بن الأنباري في أبي طاهر بن بقية أبيات متناهية في هذا المعنى:

عـلـوٌّ فـي الـحـيـاةِ وفـي الـمـمـاتِ — فـحـقٌّ أنـتَ إحـدى الـمـعـجـزاتِ
كـأنّ الـنـاسَ حـولَـك حـيـنَ قـامـوا — وفـودُ نَـداك أيـامَ الـصِّـلاتِ

---

(١) **القارظ العنزي**: هو رهم بن عامر خرج لطلب القَرَظ فلم يرجع ولا يدري ما كان من خبره فصار مثلاً في امتداد الغيبة، أو مثلاً للغائب الذي لا يرجى إيابه، **والقَرَظ** هو ورق السَّلَم يدبغ به.

(٢) **الركن**: المقصود بالركن البيت الحرام.

كـأنـك قـائـمٌ فـيـهـم خـطِـيـبـاً … وكـلّـهـم قـيـامٌ لـلـصّـلاةِ
مـددتَ يـديْـك نـحـوَهـم احـتـفـاءً … كـمـدّكـهـا إلـيـهـم بـالـهِـبـاتِ
ولـمـا ضـاقَ بـطـنُ الأرض عـنْ أن … يـضـمَّ عُـلاكَ مـن بـعْـدِ الـمـمـاتِ
أصـاروا الـجـوّ قـبـرَك واسـتـعـاضُـوا … مـن الأكـفـانِ ثـوبَ الـسّـافـيـاتِ[1]
لـعظـمِـك فـي الـنـفـوس تـبـيـتُ تـرعَـى … بـحـرّاسٍ وحـفـاظٍ ثـقـاتِ

وتمام ذلك مذكور في كتاب الأحداق

- **مرثيةُ المغني متعاطي اللهوَ والشِرْب**

قال دعبل في الموصلي:

سـيـبـكـي الـبـمُ مـن جـزعٍ عـلـيـه … وتـبْـكـيـه الـمـثـالِـثُ والـمـثـانـي[2]
وتـشـكـلُـه الـقـيـانُ وحـافـظـوهـا … ويـنـعـاه الـزِقـاقُ إلـى الـدّنـانِ

وقال آخر:

فـلـيـبـكـهـا الـخـمـرُ إذ مـاتَـتْ مـنـائـحُـهـا … ولـيـبـكـه الـرخّ والـفُـرزان والـشـاهُ[3]

وكان لخلاّد بن معزوه صديق، فلما مات خلاد جاء صديقه معزياً فأقام على قبره برهةً يكثر البكاء عليه، فعوتب على كثرة بكائه، **فقال**: كيف لا أتوجع على رجل ما أدخلنا مؤاجراً قط إلاّ قال لي تقدّم أبداً فإن قوي لي وإلاّ قوّاه وراضه. ومن مليح المراثي قال ابن الرومي في بستان المغنية:

بـسـتـانُ أُسْـقـيـتِ مـن مـدامِـعـنـا … لا مِـن سـواري الـغُـيـوثِ والـمَـطَـرِ
بـل حـقّ صُـهْـبـاك أن تـكـونَ مـن الـ … ـصـهـبـاءِ صـهـبـاء خـمـص أو هَـجَـر
بل من رحيقِ الجِنان يُختم بالمسْـ … ـك سـلافـاتُـه بـلا عـكَـرِ[4]
بل من نجيعِ القلوبِ يُمْزَج بالعطـ … ـفِ وصـفـوِ الـودادِ لا الـكَـدَرِ[5]

- **موتُ شرّيرٍ**

قيل: إذا مات الخيّر استراحَ من الدنيا، وإذا ماتَ الشرير استراحَتْ منه الدنيا، **وقال الحسن بن أيوب**:

مـاتَ يـحـيـى فـمـاتَ شـرٌ كـثـيـرٌ … ولـقـد كـانَ شـرُه يـسْـتَـطـيـرُ
إن مـوْتَ الأشـرارِ فـتْـحٌ عـظـيـمٌ … وغـيـاثٌ ونـعْـمَـةٌ وسُـرورُ

---

(١) **أصاروا**: حوّلوا وأمالوا ـ **السافيات**: من الرياح التي تحمل التراب وتثيره.
(٢) **البم**: أغلظ أوتار العود ـ **المثاني والمثالث**: من أوتار العود.
(٣) **الرخ**: الشراب الممزوج بالماء وغيره ـ **الفرزان والشاه**: الملكة والملك من أحجار الشطرنج.
(٤) **سلافات**: جمع سلافة: الخمرة المعتقة. (٥) **النجيع**: الدم المائل إلى السواد ـ **الكدر**: الغم.

ما شمِتنا بموتِ يحيى ولكن ... سرّنا أنّ شرّه مقبورُ

وقال الصاحب:

نعوا إليّ ابن دهشوذان عن كثب ... قلت إن صحّ هذا مات إبليسُ

ولما مات المكتفي وطولب الناس بالبقايا، قال أحمد بن واضح:

ماتَ الخليفةُ وانقضَتْ أوطارُه ... ممّا حوته يداهُ من دنياه

قد كانَ حيّاً وهو عنّا ميّتٌ ... فالآن لما ماتَ عاش أذاه

وقال مالك بن طوق:

فبُعْداً لا انقضاءَ له وسُحقاً ... فغيرُ مُصابِه الحَدثُ العظيمُ

وقال الصاحب لما مات أبو الحسن الطبري الطبيب:

قالوا أبو الحسنِ الطبيبُ قدِ انقضى ... فبكَتْ عليه مدامِعُ الإلحادِ

كلا بل الإلحَاد ماتَ بموتِهِ ... فكأنّما كانا على مِيعادِ

وقال أبو سهل المجوسي:

أريحُوا النفوسَ فلا تكثِروا ... حديثَ قِرانكم المقتَبلِ

فقد دلّنا موتُ هذا الخسيسِ ... على أن تأثيرَه في السَّفَلِ

- **الإستهانةُ بموتِ النساء**

قال النبي ﷺ: دفن البنات من المكرمات. **وقيل:** دفن الحَرم من أعظم النِعم.

وقال الفرزدق:

وأهونُ مفقودٍ إذا الموْتُ نالَه ... على المرءِ من أصحابه منْ تقنّعا(١)

- **أصحابُ الصنائعِ الخسيسةِ**

قال البقطري الكاتب يرثي غلاماً له يدعى مباركاً:

مُبارك من ذا يسوسُ الدو ... اب في القيْظ والليلة الشاتِيَة

ومن ذا يصبّ لنا في الجبابِ ... مياهاً إذا أصبحَتْ خالِيةِ

لقد كنتَ أخدمَ سوّاسِنا ... وأسلَمهم عندنا ناحِية

فوقاك ربّك نارَ السَّموم ... ولا زلتَ في عِيشة راضِيَة

قال جحظة في مرثية طبّاخ كان يسمّى صندل:

لقد عظمَت صائباتُ الرزايا ... وأودَت بصندلِ كفُّ المَنايا

---

(١) من تقنّع: يعني به موت المرأة التي تضع القناع أو الحجاب.

فمن للبوادرِ قبْل الطبيخِ ... ومن للمبزرِ قبْل القلايا[1]

● **نبشُ القبور**

قال عمرو بن هانيء الطائي: بعثنا أبو غانم المروزيّ على نبش قبور بني أمية، فانتهيت إلى قبر هشام فاستخرجته صحيحاً فما فقدت منه شيئاً إلا أطراف أنفه. إلا أنه كان كريشة فأحرقناه، ثم استخرجنا سليمان من أرض دابق فلم نجد إلا صلبه وجمجمته، وكذلك كان عبد الملك، ووجدنا معاوية كخط أسود كأنه رماد، ولم يوجد في قبر يزيد بن معاوية إلا عظم واحد، وما وجد من عظامهم أحرقناه.

● **ومن أنواع هذا الباب**

قال الجاحظ: ما سُمع في صفة النوائح المستأجَرات مثلُ قول الراجز:

كأنها نائحةٌ تَفجَّعُ ... تبكِي لميْتٍ وسِواها المُفجَّع

ونحوه:

بكى الشجوُ ما دونَ اللهى من حُلوقه ... ولم يكُ شجو ما وراءَ الحناجِرِ

وقال زياد الحارثي: رمسنا رجلاً في زمن أبي بكر فبكى رجل، **وقال**:

فبينما المرءُ في الأحياءِ مُغتبطٌ ... إذ صارَ في الرمس تعفُوه الأعاصيرُ

يبكي عليه غريبٌ ليسَ يعرفُهُ ... وذو قرابتِه في الحيّ مسْرورُ

فقال له بعضهم: أتعرف قائل هذا الشعر؟ **قال**: لا، **فقال**: هذا الميت والله قائلُه وذاك وارثه مسرور بماله، فأنتَ الغريب الباكي عليه نهاية الصبر أن لا تحدّث بمصيبتك أحداً ولا تذل نفسك عنده. الصبر على المصيبة يفلّ حدَ الشامت بها.

وقال محمد بن هريمة: أقبلت من مصر فلما انتهينا إلى باعينانا قعد صاحبي ليبول، **فقال له رجل شيخ**: هذا قبر عجيف، كان المعتصم قتله ههنا وألقى عليه هذا الحائط، **فقال الرجل**: سبحان الله رأيتني بهذا المكان وقد دعا لي عجيف بالسوط فبلت من خوفه، وها أنا أبول على قبره. الناس بين فرحٍ بمولود وترحٍ بمفقود.

---

(١) **البوادر**: جمع بادرة وهي اللحمة بين المنكب والعنق ـ **المبزر**: الذي يلقي الأبزار في القدر، وهذا ملائم لرثاء الطبّاخ.

في السماء والأزمنةِ والأمكنةِ والنباتِ والأشجارِ والنيرانِ

•

(١)

فما جاء في وَصْفِ الملوين[١] والسماء والنجوم

•

قال الإسكندر لبعض الحكماء: أيّما أول الليل أو النهار؟ **فقال:** هما في دائرة واحدة والدائرة لا يعرف لها أول من آخر ولا أعلى من أسفل، وجعلت العرب الليل قبل النهار في التاريخ، ولذلك أرخوا بالليل دون النهار وغلبوا التأنيث على التذكير في هذا الموضع خصوصاً.

ولذلك قال ابن مقبل في هذا المعنى:

فطافَت ثلاثاً بين يوم وليلةٍ

ولم يقل ثلاثة. وذُكر أنه وجد مكتوب على حجر قبل الإسلام بألف عام في بعض غيران نجد:

خدْنان لم يُريا معاً في منزل ... وكلاهُما يجْري به المِقدارُ[٢]

لونان شتّى يكسوان خلوقه ... ما عاورَتْه الريحُ والأقطارُ

قال شاعر على سبيل اللغز:

ما سبعةٌ كلّهم إخوان ... ليس يموتون وهُم شُبّان

لم يرهم في موضع إنسان

يعني أيام الأسبوع.

• **ومما يَدخُل في ذِكر الأيام**

دخل الكُميت على جعفر بن محمد عليهما السلام فدعاه إلى الغداء، **فقال:** إني صائم **فقال:** وأي يوم للصوم أحق من يوم قُتل فيه الحسين وقُبض فيه النبي ﷺ

(١) الملوان والملوين: الليل والنهار.

(٢) خدنان: مثنى خدن وهو الصاحب والصديق.

وكان المتوكل يتبرّك بيوم الأربعاء لأنه ولي فيه الخلافة وكان يكثر فيه ما يحبه، **وقال:**

وعندي نعمى الأربعاء جليلةٌ ... سأشكرُها حتّى أغيبَ في لحْدي
يقالُ ثقيلٌ وهو عندي مباركٌ ... بنفسي معيبٌ عيبُه زادَه عندي

- **السّماء**

قيل لأكمه: ما تشتهي؟ **فقال:** أن أرى وجه السماء. فقيل: وكيف اخترت ذلك؟ **فقال:** لقول الله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾[2] فهل شيء أحسن مما يخبر الله عزّ وجلّ أنّه زينه. ونظر أعرابي إلى السماء **فقال:** سبحان الذي أدّى حواشيك إلى غير علاقة ووكد أعاليك بلا تسنّم وأقل أسافلك بلا عمد.

وسئل حكيم عن مساحة طول السماء **فقال:** مسيرة يوم للشمس.

- **ماهيةُ الشمس**

اختلفوا في ماهية الشمس **فقال بعض الفلاسفة:** هي فلك أجوف مملوء ناراً له فم يجيش بهذا الوهج. **وقيل:** هي اجتماع أجزاء نارية يرفعها البخار الرطب. ثم اختلفوا في شكلها فقالوا: صفيحة عريضة، **وقيل:** كرة مدحرجة واختلفوا في مقدارها فقيل: مثل الأرض سواء. **وقيل:** هي أعظم منها **وقيل:** هي أصغر منها.

- **نعتُ الشّمْسِ**

قال بعضهم في وصفها:

وسائرةٌ لا ينقَضي الدهرَ سيرُها ... وليسَتْ على حيٍّ من النّاس تنزِلُ
لها صاحِبٌ لم تلقِه الدهرَ مرةً ... على أثرِها يمْشي يسيرُ ويعملُ

وقال بعضهم:

الشمس معرضةٌ تمورُ كأنها ... ترسٌ يقلّبه بحي رامحُ

وقال التنوخي:

والأرضُ من صبغ النبات كأنما ... أعلامُها مثلُ القميص المعلَم
أو مثل جامٍ من عقيقٍ أو كطا ... سٍ من زُجاجٍ بالمُدامةِ مفعَمِ[3]

---

(١) و (٢) القرآن الكريم: الصافات/ ٦، والملك/ ٥، والسجدة/ ١٢.
(٣) الجام: الإناء من فضة كالكأس يتّخذ للطعام والشراب.

● **الشمسُ قبلَ الطلوعِ**

قال أبو نواس:

قد اغْتدي والشَّمسُ في حِجابِها ... مثلَ الكِعابِ الرودِ في نِقابِها[1]

● **الشمسُ المستترةُ بالغيم**

وقال جندل الطوي:

جاءَ الشتاءُ واجتالَ غيمٌ أغبرُ ... وتطلَّعَتْ شمسٌ عليها مغفرُ[2]

وقال ابن الرومي:

شمسٌ تسايرُنا وقد بَعثتْ ... ضوءاً يلاحظُنا بلا لَهَبِ

وقال ابن طباطبا:

متى أبصرْتَ شمساً تحتَ غيمٍ ... ترى المرآةَ في كفِّ الحسودِ

يقابِلُها فيلبسُها غشاءً ... بأنفاسٍ تزايدُ في الصعودِ

وقال المهلبي:

والشمسُ حيْرى خلفَ غيمٍ عارضٍ ... وكأننا في ضوءِ ليلٍ مقمرِ

● **الشمسُ اللائحةُ من خللِ الغمامِ**

قال ابن المعتز:

تظلُّ الشمسُ ترمُقنا بلحْظٍ ... مريضٍ مدنَفٍ من خَلْفِ سِتْرِ

تحاولُ فتْقَ غيمٍ وهو يأبى ... كعنِّينٍ يحاولُ فَتْقَ بكرِ[3]

وقال ذو الرمة في وصف ذلك:

أصابَ خصاصةً فبدا كليلاً ... كلاوِ انغلَّ سائرُه انغِلالا

أي ضعيفاً ليس بشيء.

وقال آخر:

وشمسُ اللهِ مسرَجةُ الغِلافِ

● **الشمسُ الجانحةُ للغروبِ**

قال أبو النجم:

وصارَتِ الشمسُ كعينِ الأحولِ

---

(١) الكعاب: الفتاة التي نهد ثديها وأشرف ـ الرود: التي تمشي على مهل ـ النقاب: القناع الذي تجعله المرأة على أنفها فتستر وجهها.

(٢) المِغْفَر: زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة.

(٣) العنّين: الرجل الذي لا يأتي النساء ولا يريدهن ـ البكر: الفتاة العذراء.

وقال آخر:

والشمس كالمرآة في كفّ الأشل[1]

وقال ابن الرومي:

كأنّ حنوّ الشمس ثم غروبها ... وقد جعلت في مجنحَ اللّيل تمرضُ
تخاوصُ عينٍ ملءُ أجفانِها الكرَى ... يرنقُ فيها النومُ ثم تُغمِضُ[2]

وقال حميد:

والشمسُ قد نفضَتْ ورساً على الأفقِ[3]

وقال آخر:

وودَعتِ الدنيا لتَقضي نحْبَها

● الهلالُ لأوّل الشهر

قال ابن المعتز في وصفه:

أنظر إليه كزورقٍ من فضّة ... قد أثقلَته حمولةٌ من عَنبرِ

وقال الناجم:

البدرُ قد قابلَنا طالعاً ... كأنّه حزةُ بَطيخِ

وقال كشاجم فيه:

كشعيرةٍ من فضّةٍ ... قد رُكّبَت في خِنجَرِ

وقال الرفّاء:

ولاحَ لنا الهلالُ كشطرِ طوقٍ ... على لبّاتِ زرقاءِ اللباسِ[4]

وقال آخر:

سنانٌ لواه الطعْن في رأسِ عامِل

وقال ابن طباطبا

كالنون إذا خُطّتْ بماءِ الذهب

● البدرُ وقتَ طُلوعه

قيل لأعرابي: الشمس أحسن أم القمر؟ **فقال**: القمر أحسن والشمس أجهر. قيل: وكيف صار القمر أحسن؟ **قال**: لأن العيون عليه أجسر. **وقال بعضهم**: سافروا في هذه الليالي فإن أنس القمر يذهب وحشة السفر. **وقال أعرابي**: ما فقدت القمر إلا فقدت أخاً أنيساً. وقال الموسوي:

يا مَنْ بِغرّته الهلالُ أما ترى ... بدرَ الهلالَ وقد بَدا في المَشرقِ

---

(1) **الأشلّ**: من بيده أو بأحد أعضائه «شلل».
(2) **التخاوص**: غض البصر.
(3) **الورس**: نبات كالسمسم أصفر.
(4) **لبات**: قلادات.

كظريفةٍ نظرَت إلى عشاقها ... فتنقَّبَتْ خجلاً بِكُمٍّ أزرقِ[1]

وخرج أعرابي في ليلة مظلمة فضلَّ عن الطريق ثم طلع القمر فاهتدى، فرفع رأسه إلى القمر وقال: ماذا أقول لك إن قلت حسَّنك الله فقد فعل، وإن قلت رفعك الله فقد فعل.

وقال آخر يخاطب القمر: والله ما أبقيت لليل إلا اسمه. وزعم بعض العلماء أنَّ السواد الذي في القمر هو صورة ما قابله من سواد الأرض لأن القمر كالمرآة يقبل الصورة المقابلة لانصقاله.

● **الهلالُ الماحِقُ**

قال ابن المعتز في آخر شهر رمضان:

يا قمراً قد صارَ مثْلَ الهلالِ ... من بعْدِ ما صيَّرني كالخِلالِ
فالحمْدُ لله الذي لمْ أمُت ... حتّى أرانيكَ بهذا المِثالِ

وله في وصفه:

مثل القلامةِ قد قدّت من الظّفرِ[2]

● **الهلالُ في النهارِ**

قال ابن المعتز:

إذا الهلال فارقتْه ليلتُه ... يبدو لمَن يبصرُه وينعَتُه
كأنّه أسمَرٌ شابَتْ لحيتُهُ

● **القمر مع الشمس**

قال بعضهم:

قد أصبحَ الجوّ مثْلَ منتقِدٍ ... في كفّه درهمٌ ودينارُ

وقال ابن المعتز في وصفهما:

فكأنّه وكأنّها ... قَدَحان منْ خمْرٍ وماء

● **البدرُ المُبتدِىء مِن وراء الغيم**

قال بعضُهم:

البدرُ يأخذهُ غيمٌ ويترُكهُ ... كأنّه سافِرٌ عن خدّ ملْطوم

---

(١) **تنقبت:** تقنعت.

(٢) **القلامة:** ما سقط من طرف الظفر، وهي مثلٌ في الخِسة والحقارة.

وقال الرفّاء:

والبدرُ يظهر في السَّحاب كأنّه عذراءُ تنظُر من وراءِ سِجافِ[1]

● **القمر اللامع في الماء**

قال شاعر:

البدر يجنَح للغُروبِ كأنّما قد سلَّ فوقَ الماءِ سيفاً مذهَّبا

قال ابن المعتز:

البدرُ يضحَكُ وسْط دجلةَ وجهُهُ والماءُ يرقُصُ حولَنا ويصفِّقُ

فكأنّه فيها طِرازٌ مذهَّبٌ وكأنّها فيهِ رداءٌ أزرقُ

● **القمرُ المجتمعُ مع بَعْضِ النجومِ**

قال ابن المعتز:

وهلالُ شوالَ يلوحُ ضياؤه وبناتُ نعْش وقفٌ بإزائِه[2]

كبناتِه من مخلص لما بدا وجهُ الوزيرِ دعَا بطولِ بقائِهِ

وقال ابن طباطبا:

كأنّ الثريّا والهلالُ جلتْهما لي الشمسُ إذا ودَّعتْ كرْهاً نهارَها

كأسماء إذا باتَتْ عشاء وغادرَت لدينا دلالاً قرطَها وسوارَها

وقال عبد الله بن الخازن:

فأصبحَ بدْراً والثريّا تميمةً على جِيده خوفَ العيونِ الحواسِدِ

● **الكسوف والخسوف**

قال الرقاشي: حُكي أن الزنج كانت تعبد القمر والهند الشمس فألقى الله عليهما الكسوف والخسوف.

وقيل لما مات إبراهيم بن النبي ﷺ: كسفت الشمس فقال الناس: إن ذلك لموته. **فقال النبي ﷺ**: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما كذا فافزعوا إلى الدعاء.

بعضهم شبه القمر الذي بدا من الكسوف **فقال**: كأنه درهم بدر من سكة.

---

(١) **السجاف**: ما يُركَّب على حواشي الثوب.

(٢) **بنات نعش**: سبعة كواكب في جهة القطب الشمالي وتدعى الكبرى وقريباً منها بنات نعش الصغرى.

● **النجوم**

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[2] وقال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[4] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[5]

● **معرفة النجوم**

قيل لأعرابي: أتعرف النجوم؟ **قال**: وهل يجهل أحد سقف بيته. وقيل لآخر **فقال**: لا أعرف إلا بنات نعش ولو تفرقن. **وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه**: كفى بالمرء جهلاً إن ركباً وقوفاً على رأسه كل ليلة لا يسميهم، يعني النجوم.

● **المجرّة**

قال شاعر:

كَخَطٍ لجينٍ في الزبرجَدِ ممتّدِ

وقال آخر:

غصنٌ بأحداق النجوم وربقِ

وقال التنوخي:

وكأنما شرك المجرّة بينها ... ماءٌ تسرى في نباتٍ أخضرِ

وقال ابن طباطبا:

كأنّ التي حولَ المجرة أوردَت ... لتكرعَ في ماءٍ هناك صَبيبِ

● **خُرافاتُ للعربِ في النجوم**

قالت العرب: إن الدبران[6] خطب الثريا وأراد القمر أن يزوجه فأبت عليه وولّت عنه، **وقالت للقمر**: ما أصنع بهذا السبروت[7] الذي لا مال له فجمع الدبران قلاصه[8] يتمول بها، فهو يتبعها حيث توجهت يسوق قلاصه لصداقها.

---

(١) القرآن الكريم: الأنعام/ ٩٧.
(٢) القرآن الكريم: الرحمن/ ٥.
(٣) القرآن الكريم: الأنبياء/ ٣٣.
(٤) القرآن الكريم: الواقعة/ ٧٥.
(٥) القرآن الكريم: الحجر/ ١٦.
(٦) الدبران: منزل القمر وهو يشتمل على خمسة كواكب في برج الثور.
(٧) السبروت: الشيء القليل. (والقفر الذي لا نبات فيه).
(٨) قلاصه: إبله الطويلة القوائم.

وأن الجدي قتل نعشاً فبناته تدور به، وإن سهيلاً خطب الجوزاء فركضته برجلها فطرحته حيث هو، وضربها هو بالسيف فقطع وسطها. وإن الشعرى اليمانية كانت مع الشعرى الشامية ففارقتها، وعبرت المجرة فسميت الشعرى العبور، فلما رأتها الشاميّة بكت حتى عمصت عيناها فسميت الشعرى العميصاء.

● **وَصْفُ جُمَلٍ من النجوم غيرِ مُسمَّاةَ**

سميت الكواكب شواهد الليل قال النبي ﷺ: لا صلاة بعد العصر حتى يبدو الشاهد. وقيل في قول الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ إنها زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد. وقيل في قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾(١) إنها النجوم السبعة.

وشبه امرؤ القيس النجوم بقوله:

مصابيحُ رهبانٍ تشبّ لقفال(٢)

وفي وصفها:

دراهِمٌ قد نثِرَت ... على بساطٍ أزرقِ

وقال آخر:

درٌ على أرضٍ من الفيروزَج

وقال ابن طباطبا:

كأنّ اخضرارَ الجوّ صرحٌ ممرّدٌ ... وفيه لآلىء لم تُشَنْ بثُقُوبِ(٣)

وقال التنوخي:

كأنّ نجومَ الليل في ظلمَاته ... ثغورُ بني حامٍ بدَت للثاتِ

وقال البحتري:

كأنّ النجومَ المستسراتِ في الدجا ... شكال دلاصٍ أو عيونُ جَرادِ(٤)

وقال يحيى بن علي بن المهلب:

ترى الفلكَ الدوارَ زهراً نجومُه ... كقبّةِ ياقوتٍ بتِبْرٍ مدثّرا(٥)

وقال أبو بشر عبد الواحد بن علي بن أحمد بن سهل:

كأنّ السماءَ روضةٌ قد تفتّقَتْ ... أكِمَتُها والبدرُ في الأرضِ درهمُ

---

(١) القرآن الكريم: النازعات/ ٥. (٢) قِفال: القافلة المنصرفة إلى وطنها.

(٣) لم تشن: لم يداخلها عيب.

(٤) شِكال دلاص: الشكل: الحبل الذي تُقيّد به قوائم الدابة والدلاص البرّاق واللين.

(٥) المُدثر: المشتمل بالثوب والمتلفّف به.

● **تحيّر النجوم في الجوّ**

قال العبّاس بن الأحنف:

والنجم في كبدِ السماء كأنّه ... أعمى تحيّر ما لديه قائِدُ

وذكروا أن بشاراً كان يتعجب منه، ويقول لم يرض أن جعله أعمى حتى جعله بغير قائد.

● **الثريا**

قال ابن الطثرية:

إذا ما الثريّا في السّماء كأنّها ... جمانٌ وهي من سِلكه فتبدّدا

وقال ابن المعتز:

كأن الثريا هودَجٌ فوق ناقةٍ ... يخبّ بها حادٍ إلى الغربِ أبلجُ[1]

وله:

يتلو الثريّا كفاغرٍ شَرِهٍ ... يفتحُ فاه لأكْلِ عُنقودِ

ونحوه:

كعنقود ملاحيّةٍ حين نوّرا

وفي وصفها:

عنقودُ درّ في كرْمِ فيروزَج

وفيه:

ولاحَت لساريها الثريّا كأنّها ... على جانب الغربيّ قرطٌ مُسَلْسِلٌ

وقال آخر:

هيَ كأسٌ في شُروقٍ ... وهي قُرطٌ في غُروبِ

وقال الخبّاز البلدي:

ونجم الثريّا في السماءِ كأنّه ... على نِطْعٍ كيمخت ببادقِ عاجِ[2]

وقال محمد بن وهيب:

أما ترون الثريا ... كأنها عقد ريا

وقال كشاجم:

كأن الثريا راحةٌ تشبر الدجى ... لتنظر طال الليل أم قد تعرضا[3]

---

(١) **الثريا**: من الكواكب ـ **الأبلج**: الأبيض الحسن الواسع الوجه.

(٢) **النطع**: البساط الجلدي تقطع فوقه الرؤوس ـ **البيادق**: جمع بيدق وهي من حجارة الشطرنج والكيمخت معرّبة عن الفارسيّة.

(٣) **تشبر**: تقيس بالشبر ـ **الراحة**: الكف.

فأعجبْ بليلٍ بين شرق ومغرب يقاسُ بشبرٍ كيف يُرجى له انقضا

● **الجوزاء**

قد شبهت بفأرة تسبح وقينة ترقص وفساطيط[1] تركب، قال الراجز:

لابس درع قد تمطى من تعب

وقال آخر:

كراعٍ ساق بين يديه ثوراً بليداً قد أشال عصا طرود[2]

وقال ابن الزيات:

كأنّ كواكبَ الجوزاء لمّا سمَت وتعرّضتْ للمنكِبَيْنِ[3]

فتى حربٍ تقلّد قوسَ رامٍ وَقَلّدَ خصْره بقِلادتَيْنِ

● **الشّعرى**

قال ذو الرّمّة:

إذا أمست الشّعرى العبورُ كأنّها مهاةٌ علَت من رمْل يبْرين رابِيا

وقال آخر:

ولاحت الشّعرى وجوزاؤُها كمثْلِ زُجِّ جرّه رامِحُ[4]

وقال آخر:

كأنّما شعرتاه درّتا صدَفِ

وقال آخر:

كأنّما شعراه طرفُ باكيَةِ

● **سُهَيل**

قيل في تشبيهه:

قريعُ هِجانٍ عارض الشول حافِز[5]

وشُبّهَ مع النجوم براع وراء قطيع، وبرقيب، وبطرف أخزر، وبشبوب تأخر عن الصوار وقال آخر:

ولاحَ سهيلٌ من بعيدٍ كأنّه شهابٌ ينحيه عن الرّيح قابِسُ[6]

---

(١) **فساطيط**: جمع فسطاط، وهو بيت من شعر. (٢) **أشال**: رفع.

(٣) **كواكب الجوزاء**: أي كواكب برج الجوزاء.

(٤) **الزج**: الحديدة في أسفل الرمح، أو نصل الرمح.

(٥) **القريع**: فحل الإبل - **الهجان**: البيض الكرام من الجمال - **الشول**: الخفيف السريع في عمله.

(٦) **القابس**: طالب النار.

قال الأصمعي: وتقول العرب إذا طلع سهيل طاب الليل ورفع الكيل وللفصيل الويل، أي رفع كيل الحنطة وجاء كيل التمر، وخل لسان الفصيل أي منع من أمه. وقال الأعرابي إذا رأى سهيلاً لطم عين فصيله ويقول: مالك عندي قطرة.

- **المشتري**

قال ابن طباطبا:

كأن اكتتامَ المشتري في سَحابِه ... وديعَةُ سرَ في ضَميرِ مُذيعِ

وقيل لابن دلين المنجم: ما الدليل على أن المشتري سعد؟ **قال**: حسنه.

- **العَقرب**

قال ابن المعتز:

وصغت العقربُ للمغاربِ ... بذنَبِ كصَوْلجانِ اللاعِبِ

- **الجَدي**

قال ابن مسلمة:

الجدي كالفرسِ الحصَان شدَدْتَه ... بالسّرجِ إلا أنّه لا يَصْهلُ

- **المريخ**

وقال رجاء بن الوليد:

وكأنما المريخُ مقلةُ ناعسٍ ... حمراءُ نُبّه من لذيذ نُعاسِه

- **النسر**

قال ابن المعتز:

والنّسر قد بسَط الجناحَ محوّماً ... حتى تراه كطالبٍ لم يصْطَدِ

وقال ابن هرمة:

وتربّع النسران هذا باسِطٌ ... يهوى لسقطتِه وهذا كاسرُ

والحوت يسبَحُ في السّماء كسبحِهِ ... في الماءِ وهو بكلّ سبحٍ ماهرُ

- **الفرقَدان**

وقال ابن المعتز:

ورنا إليّ الفرقدان كما رنَت ... زرقاء تنظرُ من نقابٍ أسْودِ

وقال الموسوي في تشبيههما:

كأنهما إلفان قال كلاهما ... لشخص أخيه قل فإني سامع

● بنات نعش

قال ابن هرمة:

وبـنـاتُ نـعـش يـشـتَـدِذنَ كـأنّـهـا بـقـراتُ رمْـلٍ خـلـفَـهُـنَّ جَـآذرُ[1]

وقال التنوخي:

كـأنَّ بـنـي نـعْـشٍ نـسـاءٌ حـواسِـرُ قـرائـبُ قـد شـيَّـعْـنَ نـعـشَ قـريـبِ

وقال ابن طباطبا في وصف ليلة مقمرة:

ولـيـلـةٍ مـثـلِ يـوم شـمْـسِـهـا قـمَـرٌ بـدَتْ بـدوّ الـضُّـحـى ظـلاّء قـمـراء

يـا حـسـنـهـا لـيـلـة عـاد الـنـهـارُ بـهـا أنـسـاً وطـيـبـاً وإشـراقـاً ولألاء

وقال ابن المعتز:

بـيـضـاء قـمـراء أتـاهـا صـبـحـهـا وثـيـابُـهـا مـن ظـلـمـة لـم تُـدنـس

وقال آخر:

كـأنـمـا فـضـة ذابـت عـلـى الـبـلـد

● ظلمة الليل

قال بعض الأعراب: خرجت في ليلة حندس[2] قد ألقت على الأرض أكارعها[3] فمحت صور الأبدان فما كنا نتعارف إلا بالآذان. **وقال آخر:** سريت ليلة حين انحدرت أيدي النجوم وشالت أرجلها، فما زلت أصدع[4] الليل حتى تصدع لي الفجر.

وسأل هشام بن عبد الملك خالد بن صفوان **فقال:** كيف سيرك؟ **فقال:** قتل أرضاً عالمها وقتلت أرض جاهلها بينا أنا أسير ذات ليلة إذ عصفت ريح شديدة اشتدت ظلماؤها وأطبق سناؤها وطبّق سحابها، ونطق ذبابُها، فبقيت محرنجماً كالأشقر إنْ تقدم نحر وإن تأخر عقر، لا أسمع لواطىء همساً ولا لنائح جرساً، تدلت عليّ غيومها وتوارت عني نجومها، فلا أهتدي بنجم طالع ولا بعلَم لامع، أقطع محجَة وأهبط لجّة في ديمومة قفر بعيدة القعر، فالريح تخطفني والشول تخبّطني، في ريح عاصِف وبرق خاطِف، قد أوحشني أكامُها وقطعني سلامُها. فبينا أنا كذلك وقد ضاقت عليّ معارجي وسدّت مخارجي، إذا بدا نجمٌ لائح وبياض واضح وعرضت لي أكام محرملة[5]، فإذا أنا بمصانعكم هذه فقرّت العين وانكشف الرين وذهب الاين. **فقال هشام:** لله درك فما أحسن وصفك. **قال شاعر:**

هــو لــيــلٌ كــشــبــاب لــم يــطــر فــيــه مــشــيــبُ

---

(١) **جآذر:** جمع جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية.

(٢) **الحندس:** الليل شديد الظلمة. (٣) **أكارعها:** قوائم الدابة.

(٤) **أصدع الليل:** انشق. (٥) **أكام محرملة:** مزروعة ومصفوفة بالنبات والأزهار.

وقال آخر:

وجفنُ الليل مكتَحِلٌ بقارِ

ويقال: ليل في ثوب غراب.

وقال أبو الشيص:

وليلٍ يغرق الركبانُ في أمواجِه الخُضْر[1]

وقال التنوخي:

كان اسوداد الأفق بالليل ثاكل تسربل للإحداد ثوباً مسوّدا
كأنّ لنا منها بيوتاً حصينة مسوجاً أعاليها وساجا كسورها[2]

وقال ابن المعتز:

يا رب ليل ضاع مني كوكبه مشتبه مشرقه ومغربه
قد اكتسى برد الشباب غيهبه وقبض اللحظ فما يسيبه

● **الفجر**

قال الطائي: سمعت أعرابياً يقول: خرجنا حين انتفض صبغ الليل. وقال آخر: حين بارق الصباح يعترض وصبغ الليل ينتفض حين أشعل ناره وأنار آثاره. **وقال آخر:** خرجنا حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها، فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر. **وقيل:** تعرى رجاء عن فلقه ومثله افتر الصبح عن ثغره وحل معقود أزره. **وقال ابن المعتز:**

وقد رفعَ الفجْرُ الظلامَ كأنّه ظليمٌ على بيض ترفع جانبُه[3]

قال أبو نواس:

لما تبدّى الليلُ من حجابِه كطلعةِ الأشمطِ من جِلبابه[4]

وقال ذو الرمة:

وقد لاحَ للسّاري الذي كلّه السّرى على أخريَاتِ الليل فَتْقٌ مشهَرُ[5]
كلونِ الحصان الأنبط البطْنِ قائماً تمايلَ عنه الجلّ واللونُ أشقَرُ[6]

وقال ابن المعتز:

أما ترَى الصبْحَ تحت ليلَتِه كموقِدٍ بان ينفُخ الفخما

وله وأحسن:

قد أغتدى والليلُ في إهابه كالحبشيّ فرّ من أصحابِه

---

(١) **الحضر:** الاسم من أحضر الفرس إذا عدا عدواً شديداً.

(٢) **الساج:** الطيلسان الواسع المدوّر. (٣) **الظليم:** ذكر النعام.

(٤) **الأشمط:** الذي خالط بياض رأسه سوادٌ. (٥) **كلّه السرى:** أتعبه السير في الليل.

(٦) **الانبط:** ما تحت إبطه وبطنه بياض ـ **والجل:** ما يوضع على الدابة لتصان به.

والصّبحُ قد كشرَّ عن أنيابِه   كأنما يضحَك من ذهابِه

- **الفجرُ الطالع مع بعض النجوم**

قال ابن المعتز:

وكأنّ الصبحَ لما   لاحَ من تحت الثريّا
ملكٌ أقبَل في التا   ج يفدّى ويُحيّا

وله:

والصبحُ يتلو المشتري فكأنّه   عريانُ يمشي في الدُّجا بسراجِ

- **قوسُ قزح**

قيل: سمي بذلك لتقزّحه أي تلونه. **يقال:** قزحت القدر أي بزرتها وجعلت فيها توابل. **وقيل:** إن قزح إسم شيطان وزعمت العرب أن الظاهر أيام الربيع هو قوسه، ولذلك قال النبي ﷺ لا تقولوا قوس قزح وقولوا قوس الله، قال شاعر:

ولاحَ قوسُ اللهِ من تلقائِها   في أفقِ الشمس بزوق من نظر(١)
قد ظللت بحمرةٍ وخضرةٍ   وصفرةٍ كأنها بُردٌ حَبِر(٢)

وقال آخر:

كأنه قوسُ رامٍ والبروقُ له   رشقُ السهام وعينُ الشمسِ برجاسُ(٣)

وقال ابن المعتز:

لقد نسجَتْ أيدي الجنوبِ مطارِفاً   على الأفق دكْنا والحَواشي على الأرض
كأذيالِ خود أقبلَت في غلائلٍ   مصبّغة والبعض أقصَر من بعض(٤)

(٢)

وممّا جاء في الحر والبرد والرياح والسحاب والأمطار والمياه وما يتعلّق بذلك

●

- **وَصْفُ الهواءِ بالحر وقِلّةُ تحرّك الريح**

لقد حرّ الهواءُ فقيلَ هذا   هوى لَفَظتْه في الجوّ القلوبُ

---

(١) **قوس الله:** يريد قوس قزح.

(٢) **البُرد:** الثوب المخطط يلتحف به ـ **الحَبِر:** الموشى والمطرز.

(٣) **برجاس:** (فارسي) من النجوم، وهو المشتري.

(٤) **الخود:** الفتاة الشابه الناعمة ـ **الغلائل:** البطائن تلبس تحت الدروع أو تحت الثياب.

كـأن الأفـق جـاحـم كـمـبـرقـيـن فـمـا لـم يـحـتـرق مـنـه يـذوب

وسئل بعضهم: كيف كان الهواء البارحة؟ **قال**: مات ولم يكن له نفس. **وقال**: سدت الرياح فانسدت طرق الأرواح.

قال مضرس:

ويـومٌ كـأن الـشـعـريَيْـن بـكـفّـه يـدا طـابـخٍ حـثّ الـوقـود فـألـهَبـا

وقال آخر:

تـراهُ كـأنّ الـشـمْـسَ فـيـه مـقـيـمـةٌ على البيدِ لم تعرِفْ سوى البيدِ مذْهبا

وقال:

ولـيـل مـن الـشـعـرى يـذوبُ لـعـابُـه أفـاعـيـه مـن رمْـضَـائـه تـتـمَـلْـمِـلْ[1]

وقال:

ولـيـل كـتـنّـورِ الإمـاءِ سـجـرْنَـهُ والقينَ فيه الجِزْل حتى تضرَّما[2]

وقال نهشل بن جرى:

ويـوم كـأن الـمـصْـطـلـيـن بـحَـرِّهِ وإن لمْ يكن جمرٌ قعودٌ على الجَمْرِ[3]

ويقال: اصطلى فلان بوديقة[4] فشمله رقب جمر ومسه أو ثاجر[5]

- **وفي وصف السموم**

قال شاعر:

سـمـومٌ يـكـادُ الـجـلْـد مـنـهـا إذا بـدا لها الجِلْدُ من تحت الثيابِ يذوبُ

وقال الصاحب:

نـحـن والـلّـهِ مـن هـوائـكِ يـا جـر جـان فـي خـطّـة وخـطْـبٍ شـديـدِ
حـرّهـا يـنـضَـحُ الـجُـلـودَ فـإن هـبّـ ـت شِـمـالٌ تـكـدّرَتْ بـركـودِ
كـحـبـيـبٍ مـهـاجِـرٍ كـلّـمـا هـمّ بـوصْـلٍ أحـالـه بـصُـدودِ

- **الهاجرة**[6]

قال شاعر:

وهـاجـرةٍ يـشْـوي هـواءُ سـمـومِـهـا طـبـخـتُ بـهـا عـيـرانَـةً فـاشـتَـوَيْـتُـهـا

---

(١) **الرمضاء**: شدة الحر.

(٢) **سجرته**: أشعلته وأذكت ناره ـ **الجزل**: غليظ الحطب ـ **تضرّم**: استعرت ناره.

(٣) **المصطلي**: المستدفىء بالنار.

(٤) **الوديقة**: شدّة الحر ـ **الرقب**: الجزء العلوي من العود.

(٥) **الثاجر**: من الشجر وهو الورق الغليظ العريض.

(٦) **الهاجرة**: شدّة الحرّ في وسط النهار.

وقال شمردل:

وهـــاجـــرةٍ صـــادقٍ حـــرُّهـــا　　　تــكـــادُ الـشـيـــابُ بـهـــا تـلْـهَـبُ
كـــأنّ الـحـــرابـــي مـــن حـــرّهـــا　　　تـــروحُ بـــالـنّـــار أو تــضْــلـبُ[1]

وقال آخر:

والـشـمْـسُ حيرا لـهـا بـالـجوّ تـدويمُ

وقال آخر:

إذا الـشـمْـسُ فـي الأيام طـالَ ركـودُهـا

وقال آخر:

إذا الشمسُ مجتْ ريقَها بالكلاكِل[2]

● **صفةُ الحر**

وهـاجـرةٍ بـيـضـاءَ يـعـدي بـيـاضُـهـا　　　سـواداً كـأنّ الـوجْـه مـنـه مُـحَـمّـمُ

وقال آخر:

وانـتـعـلَ الـظـلّ فـصـارَ جـوْربـاً

وقال الأعشى:

حـتّـى إذا انـتـعَـل الـمـطـيّ ظـلالـهـا

وله:

كـالـظِـلّ حـيـنَ أحـرزَتْـه الـسّـاقُ

● **تحرك الرياح**

قيل: خرج أعرابيان في غداة باردة، **فقال أحدهما:** أري الشمال تنفس الصعداء، **وقال الآخر:** أراها تشعبّت على الجو. **وقال بعضهم:** جاءت الريح كأنها نسيم معشوق بعد هجير كأنه نفس مهجور.

● **ريحٌ شديدة**

قال المتلمّس:

ومستنسجٍ يستكشِفُ الريحُ ثوبَه　　　ليسقطَ عنه وهو بالثوبِ مُعصَمُ

وقال الفرزدق:

وركب كأن الريحَ تَطْلب عندَهم　　　لها ترَة من جذبها بالعَصائبِ[3]

وقال المهلب:

وريح يضلّ الروح عن مستقرّه　　　وتستلب الركْبان فوق الركائبِ
فلو أنها ريحُ الفرزدق لم يكُن　　　لها تِرةٌ من جذْبها بالعَصائب

---

(١) **الحرابي**: جمع حرباء وهي من الزواحف تتلوّن في الشمس بألوان مختلفة.

(٢) **الكلاكل**: جمع كلكل وهو الصدر، وريق الشمس الذي مجّته هو العرق المتصبب بفعل الهاجرة.

(٣) **الترة**: الثأر ـ **العصائب**: ما يُعصب به من منديل أو نحوه.

نصبْتُ لها وجْهي وأنصبَتْ صاحبي ... إلى أن حللنا في محلّ الحبائبِ[1]

وقال ابن أحمر:

عشواء تلتهِمُ الجبالَ وأجـ ... ـوازَ الفَلاة وبطنُها صفر[2]

وقال آخر:

ريحٌ لجوجٌ سهوةُ المجاري ... ابن أبي ربيعة في الشّمال والجنوبِ[3]

ضرائرُ أوطنّ العراص كأنّما ... أجلْن على ما غادر الحيّ منجلا[4]

وقال حميد:

جرت به هوجُ الرياحِ ذبولَها ... جرّ النساءِ فواضلَ الأذيالِ[5]

وقال ذو الرُّمة:

ثلاث مربّاتٍ إذا هِجْنَ هيْجَةً ... قذفْن الحَصَى قذْفَ الأكفّ الرواجِمِ[6]

وقيل: الرياح أربع: ريح تقسم السحاب، وريح تثيره فتجعله كسفاً، وريح تؤلف بينه فتجعله ركاماً، والشمال تفرقها وهي باردة، ولذلك **قال:**

وأتت على الأدنى شمالٌ مريّةٌ ... شآمية تزوى الوجوه بليلُ[7]

وأتتْ على الأقصى صَباً غير قرّة ... تذاءب منها مزرعٌ ومسيلُ[8]

- **الريحُ المستطابة والمتمنّاة**

أنشد المجنون:

أيا جَبلي نعْمان بالله خلّيا ... نسيمَ الصَّبا تخلص إلى نسيمُها

أجد بردها أو تشف منّي حرارةً ... على كبدٍ لم يبق إلا رسومُها

فإن الصّبا ريحٌ إذا ما تنفست ... على كبد حرّى تجلّت همومُها[9]

وقال يزيد بن الطثرية:

إذا ما الريحُ نحو الأثل هبّت ... وجدت الريحَ طيبةً جنوبا[10]

---

(١) **محل الحبائب**: لعلّه موضع ولكن لم نجده في المعاجم وربّما هو تحريف حباحب وهو بلد.

(٢) **صفر**: مرض في البطن يصفرّ منه الوجه، وهنا بمعنى الصفير.

(٣) **الريح اللجوج**: الشديدة الهوجاء.

(٤) **العراص والعرّاص**: السحاب ذو البرق والرعد.

(٥) **فواضل الأذيال**: الأذيال الطويلة.

(٦) **ثلاث مربّات**: أي ثلاث من الرياح الدائمة الهبوب.

(٧) **تزوي الوجوه**: تجعل الوجوه تميل وتنحني.

(٨) **تذاءبته الريح**: أتته من كلّ جانب.

(٩) **الصّبا**: الريح الناعمة مهبها من الشرق ـ **تجلّت همومها**: انفرجت.

(١٠) **الأثل**: شجر صلب الخشب جيّده يكثر قرب المياه في الأراضي الرملية.

وقال آخر:

ألا يا صَبا نجدٍ متى هِجتَ من نَجْدِ ... فقد زادَني مسْراك وجْداً على وجدِ

وقالت أم المثلم:

أتينا بريح المسْك خالطَ عنبراً ... وريح الخزامى باكَرَتها جنوبُها

وقال الموسوي:

وهبّت لأصحابي شمالٌ لطيفةٌ ... قريبةُ عهدٍ بالحبيب بليلُ

ترانا إذا أنفاسنا مُزجَت به ... نرنّحُ في أكوارِنا ونَميلُ

● كيفية البرد الشديد

قيل لأعرابي: ما أشد البرد؟ **قال**: إذا أصبحت الأرض ندية والسماء نقية والريح شآمية. وقيل لآخر. **فقال**: إذا دمعت العينان وقطر المنخران ولجلج اللسان. وقيل لآخر **فقال**: إذا نديت الدقعاء[١] وصفت الخضراء وهبت الجربياء. **وقيل لآخر**: أي اليوم أبرد؟ **فقال**: الأحص الورد والأزب الهلوف. فالأحص الورد يوم تصفو شماله ويحمر أنفه، والأزب الهلوف يوم تهبّ فيه نكباء فتسوق الجهام[٢] وسأل الرشيد بعض أصحابه عن شدّة البرد **فقال**: ريح جربياء[٣] في ظل عماء في غب سماء.

● وصفُ البرد

كان أعرابي يرتعد في يومٍ شاتٍ. **فقيل له**: تحوّل إلى الشمس. **فقال**: الشمس تحتاج اليوم إلى قطيفة. وقيل لرجل: ما أثقل جبتك. **فقال**: البرد أثقل منها.

قال وهب الهمداني:

يومٌ من الزمهرير مقرورُ ... عليه ثوبُ الصَّبا مزرورُ

كأنما حشو جواه آبن ... وأرضنا فرشُها قواريرُ[٤]

وشمسُه حرّة مخدّرة ... ليس لها من ضيائها نورُ

قال الشمسياطي في وصف شتاء:

ألقى كلاكله ببردٍ قارص ... حتّى غدا من في جهنم يخسَدُ

أخذه من أعرابي، قال:

فإن كنت ربّي مُدخلي في جهنم ... ففي مثل هذا اليوم طابَت جهَنّمُ

---

(١) الدقعاء: الأرض لا نبات فيها. (٢) الجهام: السحاب لا ماء فيه.

(٣) الجربياء: ريح الشمال.

(٤) آبن: ملبد بالغيوم السوداء ـ قوارير: جمع قارورة، وهي إناء مستطيل يجعل فيه الشراب والطيب ونحوهما.

وجد أعرابي البرد فقيل له: هذا لكون الشمس في العقرب، **فقال**: لعن الله العقرب فإنها مؤذية في الأرض كانت أم في السماء.

قال شاعر:

قد منع السماء من المسّ   وأمكن الجوّ من الحسّ

وقال أبو محمد المطراني:

وشتاء يخنق الكلب فلا يعلو هريرُه
كلّما رام هريراً زمّ فاهُ زمهريرُه[1]

هو من قول الراعي:

لا ينبح الكلبُ فيها غيرَ واحدة   حتى يلفّ على خرطومه الذنبا

قال الرشيد: ما أبلغ بيت في شدة البرد فأنشد هذا البيت بعضهم، فقال أبلغ منه:

وليلة قرّ يصطلي القوس ربُها   وأسهمَه اللاتي بها يتنبّلُ

فقال: حسبك ما بعد هذا شيء، **وقال ابن سمعون**: البرد بالريّ رافضي، يقول بالرجعة، أي متى ذهب رجع. **وقيل لأعرابي**: أما تجد البرد؟ **قال**: لا لأن العري اتصل على بدني فاعتاده كاعتياد وجوهكم. **وقيل لآخر**: ما أصبرك على البرد. **قال**: كيف لا يصبر عليه من طعامه الريح وسراجه الشمس وسقفه السماء؟

● **حمدُ البردِ في الشتاء**

قال عروة بن الزبير: خير شتائكم ما اشتد برده، وخير صيفكم ما اشتد حرّه. وكانوا يستعيذون من الشتاء البارد.

وقال الأصمعي: ما وقع طاعون قط في بلد إلا في شتاء سخن أو تعقبه مضرّة البرد. **وقال سعيد بن عبد العزيز**: البرد عدو للدين. وفي الخبر أن الملائكة لتفرح بذهاب الشتاء لما يدخل في فقراء أمتي. وكان ﷺ يتعوّذ من كلب الشتاء.

● **من شكا الفقر والقر**

صودف أعرابي يتكفّف ويقول:

جاء الشتاء ومسنا قرّ   وأصابنا في عيشنا ضُرُّ
ضرٌّ وفقرٌ نحن بينهما   هذا لعمر أبيكم الشرُّ

وقيل لشيخ: كيف أنت؟ **قال**: خَلَق في خَلَق.

---

(١) هرير الكلب: صوته دون نباح.

قال أبو الحسن الطوسي:

هجم البردُ والشتاء فما أمـ ... ـلك إلا روايةِ العربيّة
ويقلّ الغناء عنّي فنون الـ ... ـعلم إن عصفَت شمال عريّة

وقيل لأعرابي: ما أعددت للبرد؟ قال: شدة الرعدة وتقرفص القعدة وذرب المعدة.

وقيل: رماه الله بالحرّة تحت القرّة، أي العطش مع البرد.

● **جملةٌ من أوصافِ السّحابِ من نشئه وقطارِهِ**

قال ملحد الجرمي:

أرقتُ وطال الليلُ للبارق الرمضِ ... حثيث سرى مجتاب أرْض إلى أرضِ(١)
نساري من الإدلاج كدري مزنه ... نقضي بجذب الأرضِ ما لم نكن نقضي
تحنُّ بأغوار الفلاةِ قطارهُ ... كما حنّ نيبٌ بعضهن إلى بعض(٢)
كأن شماريخَ العلى من صَبيره ... شماريخ من لبنانَ بالطّول والعرضِ(٣)
يُباري الرياحَ الحضرميّات مزنُه ... بمنهمر الأوداق ذي قزع رفضِ(٤)
يغادرُ مخض الماءِ وهو محضُه ... على إثرهِ إن كان للماء من محضِ
يروي العروق الهامداتِ من البلا ... منَ العرفَج النجديّ ذو باد والحِمْض
وبات الحيّ الجون ينقض بالحيا ... كنهضِ المداني قيد بالموعثِ النقضِ(٥)

وقال الحسين بن دعبل:

أما ترى الغيثَ قد سالت مدامعُهُ ... كأنه عاشِقٌ يسطو به الذكرُ
جاءت موقرةَ الأطرافِ خاشعةً ... تكاد تُؤخذُ بالأيدي فتقتصرُ
راخت رياحُ الصَّبا ينظمن عارضَها ... حتى إذا نظمْنَه ظلَّ ينتشرُ
أضحَتْ له الأرضُ سكرى والثرى طربٌ ... والأفق مبتسِم والجدب مستترُ

● **السحاب المتدلية**

قال عبيد الأبرص:

دانٍ مسفٍ فويقَ الأرض هيدبُه ... يكادُ يدفعُه من قامَ بالراحِ(٦)

---

(١) **حثيث سرى**: سيره بالليل متواصل ـ **مجتاب**: من اجتاب البلاد: قطعها واجتازها.
(٢) **النيب**: النوق الهرمة المسنة.
(٣) **الشماريخ**: رؤوس الجبال ـ **الصبير**: شدّة البرد.
(٤) **الأوداق**: أودقت السماء: أمطرت ـ **ذو قزع**: ذو قطع من السحاب متفرّقة.
(٥) **الجون**: الأسود، والأسود الذي تخالطه حمرة ـ **الموعث**: الناقص الحسب.
(٦) **المسف**: المار على وجه الأرض ـ **الهيدب**: السحاب المتدلي الذي يقرب من الأرض./

وقال آخر:

ويسحَبُ ذيلَيْه على عفر التربِ

وقال آخر:

كأنه نعامُ تعلق بالأرجلِ

● **السحابةُ البطيئة**

جاءت تهادَى مشرفاً ذُراها   تحنُّ أُولاها على أُخْراها

وقال الأخطل:

إذا زعزعَتْه الريح جرّت ذيولَها   كما زحفَت عود ثمال تحمل[1]

وقال الحطيئة:

تزجي الصَّبا منقل السّحابِ كمَا   تزجي المطالي فصالَها سيْقا[2]

وقال آخر

سحابٌ يزحف زحفَ الكبير

وكان معقر قد كفّ بصره **فقال:** يا بنية ما ترين؟ **قالت:** سحابة عقاقه كأنها حولاء، ناقة ذات هيدب دان وسير وانٍ، **فقال:** يا بنية وائلي[3] إلى قفلة[4]، فإنها لا تنبت إلا بمنجاة من السيل.

● **السحاب المتحلبة المطر**

قال الحسين بن مطير:

كثرَت لكثرةِ وذقه أطْباؤه   فإذا تحلّبَ فاضَت الأطْباءُ[5]

وضروعُه عددَ النجوم وطلّه   إخلافه عددَ النجوم رواءُ[6]

ووصف أعرابي سحاباً **فقال:** لقحته الجنوب ومرته الصَّبا واستدرته الشمال **وقالت أعرابية:** نحبته الصبا ومرته الجنوب وانتجفته الشمال انتجافاً[7]

وقيل: أجود بيت في صفة السحاب **قول الهذلي:**

تلحقه ريحُ الجنوب وتقبل الشما   ل نِتاجاً والصَّبا حالبٌ يمْري

وقالت أعرابية: أحب السحابة الخرساء لأنها تخرس حتى تمتلىء ماء وتصب طبقاً[8] طبقاً يكون حبا.

---

(١) **الثمال:** الغياث، الذي يقوم بأمر قومه.

(٢) **تزجي:** تدفع ـ **المطالي:** من ماطل وهو من كرام فحول الإبل ـ **الفصال:** جمع فصيل وهو ولد الناقة.

(٣) **وائلي:** اطلبي النجاة، واتخذيه ملجأ.   (٤) **القفلة:** الشجرة اليابسة.

(٥) **الودق:** المطر ـ **الأطباء:** جمع طبي وهي حلمات الضرع من ذوات الخفّ والظلف والحافر والسّباع.

(٦) **طلّه:** نداه ـ **الرواء:** من الماء العذب.   (٧) **انتجفته ريح الشمال:** إستخرجته.

(٨) **طبقاً:** أي مطر طبق وهو المطر العام.

● **بكاء السحاب**

قال عبيد الله بن طاهر:

وجادَ بالقَطْر حتّى خلتُ أنّ له ... إلفاً نآه فما ينفَكُّ يبكيه

قال الطحاوي من شطر:

فما ترقا لهنّ مدامع[1]

وقال ابن ميّادة:

إذا ما هبَطن الأرضَ قد ماتَ عودُه ... بكَين به حتّى يعيشَ هشيمُ

● **ضحكةُ البرق وبكاؤه بالوذق**

قال الحسين بن مطر:

متضاحِكٌ بلوامِع مستعبرٍ ... بمدامعٍ لم تمرِها الأقذاءُ

فله بلا حزن ولا بمسرّة ... ضحِكٌ إذا أبصرتَه وبُكاءُ

● **ضحكُ الأرضِ من بُكاءِ السّماءِ**

قال الأبيض:

وللسماءِ بكاءٌ لَيْس عن حزنٍ ... وللرياض ابتسامٌ ليس من عجَبِ

وقال آخر:

والأرضُ تبسمُ عن بكاءِ سماءِ

وقال آخر وقد زاد:

فتضاحكَتْ زهراتُها بمسرّتها ... وبكَتْ سحائبُها بلا أحزانِ

● **الراعدة البارقة معاً**

قال شاعر:

كأنّما الرغد بها ثاكِلَةٌ ... نادبةٌ تخلطُ نوحاً بشَجى

فاقدَةٌ واحدَها تذكّرَت ... ما قدْ مضى من عيشِها ومن مضى

والبرقُ في حافاتِها يفعَلُ ما ... يفعلُه وجدُ الحزينِ في الحَشا

وقال الرياشي في قول يزيد بن المفزع:

الريحُ تبكي شجوَها ... والبرقُ يلمَع في غمامِه

أي: الريح تبكي والبرق يضحك. **كقولهم ويل الشجيّ من الخليّ.**

---

(١) **ترقأ المدامع:** تجفّ.

قال التنوخي:

ببرقٍ كأشجاني وقطرٍ كأدمُعي ... ورعدٍ كعولي للنوى ونحيبي

وقال وهب الهمداني:

الرعدُ في اصطكاكهِ خطيبُ ... والبرقُ في خلالِه لهيبُ

وقال آخر:

يحنّ كثكلى في نشيج بكائه ... ويضحَكُ فيه كالوليدِ تبسُّما

وقال بعض البلغاء في سحاب: زَجَرت الرعود أردافَه وأضحكت البروق أعطافه وجلبت الجنوب أخلافه.

- **وصفُ البرق**

برق كنبض العِرق وخفْق القلب وبطنِ شُجاع يضطرب.

ولمع المرائي في أكفّ الكواعِب.

وكسلاسل تبرٍ.

قال شاعر:

غابٌ تسنّمه ضرامُ توَقّدٍ ... وكأسيافٍ تُسلُّ وتُغمَدُ

- **سطورٌ كتبْن بماء الذهب**

قال عدي بن الرقاع:

وحتّى حسِبت البرقَ نارَيْن شبّتا ... بعلياء نجْد مابيني موقداهُما

وله:

نارٌ تعاود فيه العودَ جِدّتُه ... والنارُ تسفعُ عيداناً فتحترقُ

وقال آخر:

كثغر زنجيّة تفترّ ضاحِكةً ... تبدو مشافرُها طوراً وتنطَبقُ

وقال جرير:

يقولُ الناظرون إلى سَناه ... بذي بلقاء شمسٌ على نَهار

وقال آخر:

كأن بلقَ الخيل فيها تضرجُ

وقال آخر:

أبلق جالَ جلّه حينَ وثَب

وصف أعرابي سحاباً، فقال:

لما تراءَى نشوُه ... وتبدّى بدوُه

أضطرمت نارُه والتطمت بخاره

وقال آخر:

آض لنا ماءً وكان نارا[١]

● **الرعد**

قال الله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾[٢] وسمع عبد الملك صوت الرعد ففزع. فقال عمر بن عبد العزيز: هذا حس رضا الله فكيف ترى حس غضبه.

وقال آخر:

بأجوازه أسدٌ لهن بَرابِرُ[٣]

وقال آخر:

قد سبَّح الرعدُ به وكبَّرا

وقال أبو الغمر:

كأنّ الرعودَ بأرجائِه هديرُ مقاليتٍ في بطن واد[٤]

وقال التنوخي:

يحدو بها الرعدُ فإن كلّت زجَر كأنها والمزن دانٍ مكفَهِرْ
خُوف بالبرقِ فوافى يعتذرُ أو قارىء أمّ بقوم فجَهَرْ
متعتِعاً من أنفٍ ومن حصَر

وقيل في صوته كأنه عزيف الشيطان وحنينُ الثكلان، وكأنّه صوتُ الرحى. قال الشريف أبو الحسين علي بن الحسين الحسني:

فمن رواعِده حنّت صواهِلُه ومن بوارِقه انسلّت قواضِبُه[٥]

● **السحابةُ المُخضِبةُ المُمرِعَةُ**

قال امرؤ القيس:

ديمةٌ هطْلاء فيها وطف طبّقَ الأرض تحرى وتدُرّ[٦]

قال الخالدي: طبق الأرض بديع لم يلحقه فيه متقدم ولا متأخر، ومن تعاطى أخذه فضحته نفسه.

---

(١) آض: تحوّل، صار.
(٢) القرآن الكريم: الرعد/ ١٤.
(٣) برابر: أصوات هائجة.
(٤) المقاليت: جمع مقلتة وهي المهلكة.
(٥) الصواهل: أصوات الذباب في العشب ـ القواضب: السيوف القاطعة.
(٦) الديمة: المطر الدائم الهطول ـ الوطف: استرخاء السحب الممطرة ودنوها من الأرض ـ تحرى: تقصد ـ تدر: تسكب الماء.

قال أبو تمام:

ساريةٌ مسمجةُ القيادِ كم حملَت لمقتّر منْ زادِ[1]

ومن دواسنة جماد

وقال آخر

مقبلة والخصب في إقبالِها

قيل لامرأة: كيف المطر عندكم؟ **قالت:** غثنا ما شئنا. **وقال يونس لابن أبي الدفين:** كيف كانت سماؤكم؟ **قال:** ما تركت لنا هابطاً إلا أناقته ولا وادياً إلا فهقته ولا فارغاً إلا ملأته.

قال الحسين بن مطير:

لو أن من لججِ السواحل ماءَه لم يبقَ في لُججِ السواحل ماءُ

وخرج صعصعة بن صوحان إلى معاوية فيمن خرج إليه من وفد العراق بعد قتل علي كرم الله وجهه، فلقيه أعرابي، فأراد أن يختبر صعصعة في المنطق **فقال:** كيف تركت السماء خلفك؟ **قال:** تركته مدّ البصر وفوق مرتفعاً بغير عمد فيها الواحد الصمد. **قال:** فكيف تركت الأرض؟ **قال:** عريضة أريضة حامله للثقل منبتة للبقل، أهلها منها على شغل. **قال:** فكيف تركت المطر؟ **قال:** أسال الأدوية وعلا الأخبية وافعم الحفر ووبل القطر. **قال:** بالله أنت أنسيّ أم جني؟ قال بل أنسي سوى من شيعة علي من أمة بني مهدي.

وقال أعرابي: باكرنا وسميٌّ خلفه ولي فالأرض بساطٌ أُحكم نسجُه وبدا وشيه.

قال سيابة بن عاصم: أصابتني سحابة بحوران فوقع قطر صغار وقطر كبار وكان الصغار لحمة للكبار.

● غيمٌ ممَسك

قال شاعر:

دخانُ حريق لا يضيء له جمر

وقال آخر:

وكأنما كسِيَت جناحَ غراب

وقال آخر:

كسيت بأجنحَة الفواخت[2]

قال ابن المعتز:

لقد لبسَ الدّجنُ ثوبَ السما ءِ والأرض مِطرفه الأدكنا[3]

---

(١) **السارية:** السحابة التي تمطر ليلاً ـ **لامقتر:** الذي يضيّق النفقة على عياله.

(٢) **الفواخت:** جمع فاختة نوع من الحمام البريّ المطوّق سميت هكذا لأن لونها يشبه الفخت وهو ظلّ القمر.

(٣) **الدّجن:** الغيم المطبق ـ **الأدكن:** الشديد السواد.

وقال الرقّاء:

غـيـوب تـمـسِـكُ أفـقَ الـسـمـا ... وبـرقٌ يـكـتـبُـهـا بـالـذَّهَـب[١]

- **سحابٌ متدل**

قال عبيد بن الأبرص:

دانٍ مسفٌ فُوَيْقَ الأرض هيدبُهُ ... يكادُ يدفعُهُ مَنْ قامَ بالرّاح[٢]

فمن بنجوتِه كمَن بمحفلِه ... والمستكِنّ كمنْ يمْشي بقِرواحِ[٣]

- **غيم متفرع على السماء**

قال الوأواء الدمشقي:

أما ترى الغيْم ممتَدّاً سرادقُه ... على السّماء بتدريج وتعريج

كأن ذاكَ وذا قطنٌ يفرّقه ... تواترُ الندفِ في زرْقِ الدواويج[٤]

من قول ابن الرومي وقد نظر إلى غيم منقطع عن السماء، **فقال**: كأنه قطن يندف على بطانة زرقاء.

- **يومٌ متلونٌ بالصحو والغيم**

قال ابن طباطبا:

صحوٌ وغيْمٌ وضياءٌ وظلم ... مثل سرورٍ شابَه عارضُ غمّ

وقال آخر:

ألم ترَ هذا اليومَ أفنى نهارَه ... سحابٌ وإصحاءٌ وشمسٌ ووابلُ

أشبهَه إيّاك يا من صفاتُه ... صدودٌ وإعراضٌ ومنْعٌ ونائِلُ

وقال آخر:

أما ترى اليومَ ما أحلى شمائلَه ... صحوٌ وغيْمٌ وإبراقٌ وإرعادُ

كأنه أنتَ يا مَنْ لا نظيرَ له ... وغدٌ وخلْفٌ وتقريبٌ وأبعادُ

وقال بعضهم: مطر الربيع كغضب العشاق، أي لا يدوم. **قيل**: خلق الربيع كخلق الصبيان والملوك وتلونهم بالصحو والغيم.

---

(١) **الغيوب**: كل ما غاب عنك وما يسمع من وراء الغيب.

(٢) يصف السحاب ويقول هو دان قريب من الأرض أو مسف، وهيدبه أي ما تدلى منه لقربه يكاد يمسك براحة اليد.

(٣) **النجوة**: المكان البعيد ـ **بمحفله**: بمعظمه ـ **المستكن**: المستتر ـ **القرواح**: الأرض المستوية.

(٤) **الدواويج**: ضرب من الثياب واللفظة غير عربيّة (**انظر لسان العرب، مادة دوج**).

● **الجَهَام**[1]

قال شاعر في جهام أراق ماءه:

كـأن الـغـيـومَ خـيـولُ طـرادٍ أعـنـتـهـا فـي أكـف الـريـاح

وقال السري الرفاء:

كـحـلاء حـالـيـة بـكـت حتى انثنت مزهاء عـاطـل[2]

● **مَطَرٌ مضرٌ**

كلّ أمطر في القرآن فهو في العذاب. نحو: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾[3] وكل موضع فيه مطر فهو للرحمة. **قال أبو علي البصير:**

جـرى الـمـاءُ فـيـه مـن أسـافِلـه ومن أعاليه حتى ساخ منطلَقا

كـأنـنـي وعِـيـالـي فـي جـوانِـبـه طيور ماء على سكر قد التبقا

وقال:

مـن تـكـنْ هـذه الـسـمـاء عـلـيْـه رحـمـةً أو يـكُـنْ بـهـا مـسـروراً

أيـهـا الـغـيـث كـنـتَ بـؤساً وفـقْـراً لـي ولـلـنـاس حـنـطـةً وشـعـيـرًا

وقال فيه النبي ﷺ: اللهم حوالينا ولا علينا وكتب كاتب: فأتانا مطر مما سماه الله تعالى أذى، فحرب العمران وهدم البنيان فكم من قتيل تحت هدمه، وساهر تحت وكفه، وغريق في لجته، وصريع في هوته. **وقال أعرابي**: أصابنا مسافر يؤذي المسافر ولا يرضي الحاضر.

● **الثلجُ**

كـأن دقـيـقَ الـثـلـج عـنـد وقـوعِـهِ عـلـى الأرض قـطـرٌ أو دقـيـقٌ يُـغـرْبَـلُ

وقال رجل: السماء تنخل الدقيق، فسمعه عبادة **فقال**: قل لأمك تمسك الخمير

قال شاعر

وكـرسـفٌ يـنـدفُ فـي الـهـواء مـنـتـشـرٌ لـم يُـعـد فـي اسـتـواء[4]

مـثـل نـقـي الـفـضـة الـبـيـضـاء

وقال كشاجم في وصفه:

شـابَـت فـسـرت بـذاك وابـتـهـجَـت وكـان شـيـبـي بـالـشّـيـب مـسـتـكـرَهـا

ويشبه الثلج بالحبيب، وبلجين يسبك، وبآل يلمع ودراهم تنتثر وبقرطاس ينشر:

كـأنّ سـتـائـرَ الـكـافـورِ مـدّت بـهـا والـجـوّ عـريـانٌ سـلـيـبُ

---

(١) **الجهام**: السحاب القاتم لا ماء فيه.

(٢) **كحلاء**: سحابة سوداء كعين كحلاء ـ **المرهاء**: البيضاء والمرهاء مؤنث الأمره، وأرض مرهاء قليلة الشجر

(٣) **القرآن الكريم**: الشعراء/ ١٧٣. (٤) **الكرسف**: القطن.

● **البَرد**

قال الأخطل:

نَثرت على الحصباء كالحَصباء ... بل ألقَت على الرضراضِ كالرضراضِ[1]

وقال علي بن جبلة:

كأنّ قوالبَه بالعرا ... ء تلقى على الجلمَد الجلمَدا

وقال آخر:

جاءت تهادى في برودٍ من حِبَر ... تنثرُ داراً كان لو ذابَ مطَر

تطيرُ في الجوّ كنوّار الزهَر ... أو شررَ لو كانَ للماء شرر

● **الصّقيع**

قال الفرزدق:

وأصبح مبيضَ الصقيع كأنّه ... على سروات النبْت قطنٌ مُندَفُ[2]

وجاء بصراد كأنّ صقيعَه ... خلالَ البيوت في المنازِل كرسفُ[3]

● **اللثق**[4]

قال شاعر:

لقد صارَ وجهُ الأرض كلاء مزلة ... تمايل صاحبُها تمايل شارِب

وقال الصاحب: وقد ركب في وحل عظيم فترشش باللثق ثوبه:

لقد ركبت وكف الأرض كاتبة ... على ثيابي سطوراً ليس تنكتُم

فالأرضُ محبرّة والزاجُ من لثق ... والطرسُ ثوبي ونهى الأشهبِ القلمُ

● **إنقطاعُ المطر**

قيل لأعرابي: كيف خلفت ما وراءك؟ **فقال:** التراب يابس والأرض عابس.

وقال شاعر:

إن وجه البقاع ينتظِر القطـ ... ـرَ انتظارَ المحبّ رجعَ الرسولِ

وقال العباس بن المأمون:

متى تريكَ رياضُ الأرض أوجهَها ... إنْ لم يكُنْ لكَ لا طَلّ ولا مَطَرُ

● **ماهيةُ الماءِ وَوَصْفُهُ**

قال الحجاج لغلامه: ائتني بأعز مفقود وأذلّ موجود. فلم يفهم ما عناه، **فقال له ابن**

---

(١) **الرضراض:** الحصى الدقاق في مجاري الماء.

(٢) **السروات:** من النبات العاليات الرؤوس.

(٣) **الصّراد:** الغيم الرقيق الذي لا ماء فيه.

(٤) **اللثق:** الندى.

القرية: ائته بالماء.

وقال ابن يزيد لشراعة: ما تقول في الماء؟ **قال**: هو الحياة ويشركني فيه الحمار؛ **وقيل**: ليس للماء قيمة لأنه لا يباع إذا وجد ولا يبتاع إذا فقد، وسمي الماء نفساً في قوله:

أتجعلُ النفسَ التي تديرُ ... في مسْك شاةٍ ثم لا تسيرُ

ووصفه آخر فقال: هو مزاج الروح وصفاء النفس وقوى البدن، ومن فضيلته أن كل شراب وإن رقّ وصفا وعذب وحلا فليس يعوّض منه بل يطيب بممازجته ويعذب بمخالطته.

قيل للنظام: ما لون الماء؟ **قال**: لون إنائه وإذا بعد قعره تصوّر أسود. **وقيل**: الماء من جنس الهواء وكل واحد منهما يستحيل إلى الآخر لما بينهما من المناسبة ولا لون لهما.

وقيل: بعث ملك الروم إلى معاوية بقارورة **فقال**: اجعل فيها من كل طعام وشراب شيئاً فلم يدرِ، فقال ابن عباس: اجعل فيها الماء، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾(١)، فلما أتى به ملك الروم، **قال**: هذا فعل رجل من بيت النبوة. وقال الله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾(٢) فلم يذكره بأكثر مما في خليقته من السلامة من التغير الداخل عليه. وقال تعالى: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾(٣)، وهذا ملح أجاج.

قال شاعر:

مواقعُ الماءِ من ذي غلّة صادي(٤)

وقال بعض البلغاء في وصفه: وما ظنكم بشراب إذا ملح وخبث أنبت العنبر وولد القار، والماء لا يغذو ولا يرى من اغتذى به، واستدلوا على ذلك بأن كل سيّال إذا طبخ انعقد إلا الماء. وعلى قياسه **قالوا**: لا ينعقد في الجوف إذا طبخته الكبد، وإذا لم ينعقد لم ينبت منه لحم ولا عظم.

● **جريانُ ماءِ الأوديةِ**

قال ابن طباطبا:

يا حسنَ وادينا ومدّ الماء ... يختال في حليةٍ دكناء(٥)

فصبحُه يفترّ عن مساه ... في صخر عالٍ وفي ضوضاءِ

يحكي رغاءَ الناقة الكوماء ... ترى به مناطحَ الظّباءِ(٦)

جماء قد شدت إلى قرناء(٧)

---

(١) القرآن الكريم: الأنبياء/ ٣٠.

(٢) القرآن الكريم: محمد/ ١٥.

(٣) القرآن الكريم: الفرقان/ ٥٣.

(٤) الصادي: العطشان.

(٥) دكناء: تميل إلى السواد.

(٦) الناقة الكوماء: العظيمة والطويلة السنام.

(٧) جماء: ملساء الرأس ـ قرناء: ذات قرون.

وقال البحتري:

كـأن مـدادَ دجـلـةَ حـيـنَ جـاءت ... بـأجـمـعِـهـا هـلالٌ أو سـوارُ

وقال الولادي الأصبهاني:

كـأنـمـا زرنـرود الـسـؤر مـنـعـطـفـاً ... نـؤي حـوالـى خـبـاء مـدّه سـيـلُ[1]

وقال الشريف:

أمـا تـرى زر نـرود طـالـعـه ... غـيـمٌ فـأدى مـثـالَـه فـيـهِ
بـيـنَ بـيـاضٍ ودكـنـةٍ وتـكـاسـ ... ـيـر مـن الـمـوْجِ فـي حـواشـيـهِ
كـأنـه الـرمـلُ مـن زرود إذا ... الـحـيّـات يـزحـفـن فـي نـواحـيـهِ
حـسـبـتـه مـاءً عـلـى تـكـدّره ... أخـلـصَ وذي لـه وصـافـيـهِ
لـيـسَ عـجـيـبـاً مـنـك الـتـلـوّنُ لـي ... فـهـكـذا كـلّ مـن أؤاخـيـهِ

وقال ابن مندويه:

كـان اتـبـاعُ الـمـوجِ مـوجـاً أمـامـه ... حـثـيـثـاً تـهـادى فـيـلـقٌ إثـرَ فـيـلَـقِ
فـلـيـسَ بـنـاجٍ ذاً ولا ذا بـمـدركٍ ... ولا ذاك مع هذا مدى الدهر يلتقي

وقال آخر:

كـأنـمـا يـفـقُـده مـنْ يـشـهَـدُه

وقال المتنبي:

جـيـشـا وغًـى هـازمٌ ومـنـهـزمُ[2]

وكتب عمرو بن العاص إلى عمر رضي الله عنه: البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير كأنهم دود على عود.

- **السّيل الذاهِبُ بما يمرّ له**

قال امرؤ القيس:

فـأضـحـى يـسُـحُ الـمـاءَ فـي كـلّ بـقـيـةٍ ... يـكـبُّ عـلـى الأذقـانِ دوْحَ الـكـنـهـبُـل[3]
كـأنّ الـسـبـاعَ فـيـه غـرقـى عـشـيّـةً ... بـأرجـائـه الـقُـصْـوى أنـابـيـشُ عُـنـصـلِ[4]

قال ابن مندويه:

كـأنّ خـريـرَ الـمـاءِ عـنـد الـتـطـامِـه ... زفـيـرُ سَـعـيـرٍ فـي إنـاءٍ مُـخَـرّقِ[5]

---

(١) النرود: جمع نرد وهو النردشير لعبة فارسيّة ـ السؤر: ما يبقى في الإناء من ماء ـ النؤي: الحوض.

(٢) قوله: جيشاً وغى. . . الخ يصف حركة المدّ والجزر.

(٣) يكب على الأذكان: يرمي أرضاً، ودوح الكنهبل: شجر عظام.

(٤) العنصل: زهر ذو بصل ـ الانابيش: ما ظهر منه متفرقاً على وجه الأرض.

(٥) السعير: النار، جهنم.

وقال أشجع:

وكأن صوتَ الماءِ في حافاتِه ... زجلُ القيانِ تطارحُ الأصواتا

وقال آخر:

جداولُ صخبُ الأمواجِ خُراد

وقال المتنبي:

وأمواه يصِلّ بها حَصَاها ... صليلَ الحلي في أيدِي الغَواني[1]

وقال السري الكندي:

ما بيْنَ ألحانِ الحما ... مِ وبينَ ألحانِ الجداولِ

● **الماءُ الصافي**

قال العجّاج:

فشَنّ في الإبريق منه نزفا ... من رصف نازع سيلاً رصْفا[2]

وقال البحتري:

كأنما الفضّةُ البيضاءُ سائلةً ... من السبائكِ تَجْرِي في مجاريها

وقال الطرماح:

كمتْنِ اليماني سُلّ وهو صَقِيلُ

وقيل: لجين الماء على زمرد الحصباء وجدول مسجور كمهرق منشور ومنصل مشهور.

قال شاعر:

ماء كدرعٍ مفرغ من فضّة

وقال مسلم:

وماء كعين الشمس لا يقبل القَذَى

قيل: ماء كالصباح ومتن الصفاح.

وقال شاعر:

هو الجوّ من رقةٍ غيرَ أن ... مكانَ الطيورِ يطيرُ السمك

وأنشد ابن الأعرابي:

ومسيب خصر ثوى في ضلّة ... وإذا تحرّكه الرياحُ يزيفُ[3]

حلّت به بعْد الهدوّ نطاقها ... بالجودِ دهماءُ النتاجِ رجوفُ[4]

وقال الأصمعي: أحسن ما قيل في الماء قول امرىء القيس:

فلما استطابوا صُبَّ في الصحن نصفُهُ ... وجادوا بماءٍ غير طَرْقٍ ولا كَدِرْ[5]

---

(١) **الغواني:** جمع الغانية، وهي المرأة الجميلة. (٢) **شن الماء:** سال قطرة قطرة.

(٣) **المسيب:** الماء الجاري في كل اتجاه - **ثوى:** ثبت ومات - **يزيف:** يتبختر في مشيه.

(٤) **الدهماء:** الحديقة الخضراء تميل إلى السواد من خصبها - **رجوف:** تتحرك وتضطرب بشدة.

(٥) **الصحن:** قدح الخمر الكبير - **غير طرقٍ:** الصافي الذي لا كدر فيه.

بماءِ سحاب زلّ عن ظهرِ صخرةٍ   إلى بطنِ أخرى طيب ماؤها خصِرُ[1]

وقال ابن المعتز:

على جدولٍ ريّان لا يكتمُ القذى   كأنّ سواقيها متونُ المباردِ

وقال:

وقيعةٍ تصفو كعينِ الغرابِ   وجدولٍ كالسّيف منصلِتا

أراد بوقيعة المنهل.

- **الماء المتغيّر الكَدِر**

قال أبو بكر:

ولقد وردتُ الماءَ لونُ جمامه   لونُ الفريقة صفيت للمدنفِ[2]

فصدرتُ عنه ظامئاً فتركتُه   يهتزّ غلفقه كأنْ لم يُكشفِ[3]

قيل: الفريقة حلبة للنفساء.

وقال الأعشى:

وأصفر كالحنّاء طام جمامُه   إذا ذاقه مستعذب الماء يبصُقُ

وقال بعضهم في صفة ماء: هو إذا رمقه زيت وإذا ذقته ميت، يزوي الوجه شاربه ويتركه وإن جذبه الظمأ طالبه.

قال عبد الطيب:

ومنهل أجِنٌ في جمّه بعر   فما تسوقُ إليه الريحُ محلولُ

كأنّه في دلاءِ القومِ إذ نهلُوا   حمٌ على ودك في القِدر محلولُ[4]

- **البئرُ الصافية الماء**

قال الرفاء:

إنّي هديت لنعمة منكورة   فأثرتها من تربةٍ وصفاةٍ

بئرٌ كأن رشاءَها في مائها   سمراء قد ركضَت إلى مرآةٍ[5]

كافورةُ الصيفِ التي يحيى بها   منّا النفوسُ وحمّة الشهواتِ

طوقتها حجراً ولو أنصفتها   طوقتها بفرائد اللبّاتِ

قال ابن المعتز:

حفرتُها بيضاءَ منقورةً   في دمثٍ سهلٍ وطيءِ الترابِ

---

(١) **خصر**: صفة للماء البارد.

(٢) **الفريقة**: طعام يطبخ للمرأة النفساء ـ **المدنف**: المريض مرضاً شديداً.

(٣) **الغلفق**: الطحلب وهو الخضرة على سطح الماء.

(٤) **الودك**: الدسم في اللحم والشحم.   (٥) **الرشاء**: حبل الدلو.

تضمنُ ريّ الجيش للمستقي ... كأنّ دلوَيْها جناحا غرابِ

● الدولاب

قال القصّار البغدادي:

كأنّما رنّةُ الدولاب زامرةٌ ... وليس ناياتُها إلا سوانِيها[1]

كأنه حبشيّ فوق عاتقِه ... أولاده فهو في بحرٍ يُدانِيها

وقال الرفّاء:

ومشمّر في السير إلا أنه ... يسْري فيمنعه السّرى أن يقعُدا

وصل الحنين بعبرةٍ مسفوحةٍ ... حتّى حسبناه مشوقاً مُكْمَدا[2]

وقال:

فباتَ يسْرى ليلَه ولم ينَم ... ولم يجاوز سيرُه قيْدَ قدمِ

وقال علي بن الجهم:

وفوّارة ثارها في السماء ... فليسَت تقصُر عن ثارِها

تردّ على المزْنِ ما أسبلت ... على الأرضِ من فيْض مدرارِها[3]

وقال ابن أبي طاهر:

فوّارةٌ تمجّ منها ماءَ ... كما أذيبَت الفضّة البيضاء[4]

أمطرَت الأرض بها السّماء

قال ابن الصاحب: استظرف إجازة العجلي مع سوء معرفته بالشعر لعلي بن الجهم في صفة الفوارة، قوله:

تراها إذا صعدت في السّماء ... تعودُ علينا بأخبارها

● البِرْكة

قال علي بن الجهم:

أنشأتها بركةً مباركةً ... فبارَكَ الله في عواقِبِها

كأنّها والرياضُ محدقةٌ ... بها عروسٌ تُجلى لخاطِبها

من أي أقطارها أتيْتَ ... رأيتَ الحسْن حيرانَ في جوانِبها[5]

● المزملة[6]

قال الرّفاء:

مجروحةُ الخصْرِ غير داميةٍ ... كمَا تكون الجراحُ والندبُ

---

(١) **سوانيها:** جمع سانية وهي السانية أو الناعورة.

(٢) **المكمد:** الشديد الحزن.

(٣) **أسبلت:** أرخت.

(٤) شبه ماء الفوّارة بالفضّة الذائبة.

(٥) **أقطار البركة:** جوانبها.

(٦) **المزمّلة:** الجرّة أو الخابية.

كأنما الماء حين يبعثها ... ذوبُ لجينٍ ميزابه ذهبُ[1]

● السّفينة

قال أبو الشيص:

وبحر تحارُ العينُ فيه قطعتُه ... بمهنوءة من غير عرّ ولا جرَبِ[2]
عريضةِ صدْرِ الزورِ بهماء رسلةٍ ... سباد خليعِ الرأس مزمومةِ الذنبِ[3]
مجفرةِ الجبين جوفاءِ جونه ... نبيلة مجرى العرض في ظهرها حدب
مقتلةٍ لا تشتكي الأينَ والوجا ... ولا تشتكي عضّ النسوعِ ولا الدأبِ[4]

وقال بعضهم في وصفها: عذراء ملجمة الدبر تشمّر بفرسانها في البحر وتمتنع من المشي في البر.

وقال الفرزدق:

وواحلة قد عودوني ركوبَها ... وما كنت ركّاباً لها حينَ توحلُ
قوائمها أيدي الرجال إذا انتحَتْ ... وتحمِلُ من فيها قُعوداً وتحمِلُ

وقال البحتري:

ورمت سمت العراق أيانقٌ ... سخم الخدود لغامُهنّ الطحلَبُ[5]
من كلّ طائرة بخمس خوافقٍ ... دعج كما ذُعرَ الظليمُ الأحدبُ[6]

● الزورق

قال أبو نواس:

سخر الله للأمينِ مطايا ... لم تسخّر لصاحِب المحراب
أسداً باسِطاً ذراعَيه يسطو ... أهرت الشدقِ كالحَ الأنيابِ[7]
لا يعَانيه باللجامِ ولا السو ... طِ ولا غمزِ رجلِه في الرّكاب
ذات زورٍ ومنسرٍ وجناحـ ... ـينِ تشقّ العَباب بغدّ العبابِ[8]

---

(١) ميزابه: الميزاب قناة من معدن أو غيره يسيل بها الماء من السطح.

(٢) مهنوءة: شبّه السفينة بالناقة المهنوءة لأنها مطليّة بالقار ولكنها ليست جرباء ـ العر: الجَرَب.

(٣) الزور: ملتقى أطراف عظم الصدر ـ بهماء: لا تعرف وجهتها ـ رسلة: سهلة السير ـ سباد: من سبد الشعر حلقه.

(٤) الوجا: أي هي لا تعاني من ذبح أو نحوه ـ النسوع: حبل طويل تشد به الرحال.

(٥) سمت: جمع سموت، وهي الطريق والمحجة ـ أيانق: شبه المراكب بالنوق ـ اللغام: زبد أفواه الجمال ولغام هذه المراكب هو الطحلب.

(٦) خوافق دعج: أجنحة واسعة.

(٧) أهرت الشدق ـ كالح الانياب: الواسع الشدق ـ كالح الانياب: استعارة لأن الزورق على صورة الأسد.

(٨) الزور: الصدر ـ المنسر (هنا): رأس الزور والجناحان المجدافان.

تسبق الطيرَ في المساء إذا ما اسـ ... ـتعجلوها بجيئةٍ وذهابِ

- **الزبزب**[1]

قال ابن الواسطي:

كأنما السفن بأرجائها ... وهيَ على الماجريّاتِ
عقاربُ في رفع أذيالها ... تسري على أبطُن حيّاتِ

وقال آخر:

زبازب تحكي إذا سيّرت ... عقاربَ تجْري على زئبقِ

وقال آخر:

يا حبّذا سكرٌ به جدلني ... وعَودي في زبزبٍ كالأجدلِ[2]
تحسبها العقرب في صورتها ... سارت على بطن شجاع مرسل

- **ورود الماء**

قال شاعر:

ولا يردون الماء إلا عشية ... إذا صدر الورّاد عن كلّ منهلِ

وقال النمري في مشاركة الماء:

ولا أسقى ولا يُسقى شريبي ... وأمنَعُه إذا ما جاءَ مائي

وقال آخر:

لا أوردُ الماء عرْضي قبْلَ شاربَتي ... ولا أحنّ إذا ما حنّت النيب[3]

وقال آخر:

لنا إبلٌ لم نسقِها بعروضها ... وأحسابنا أخرى الليالي الغوابرِ[4]
إلا إن شربَ السؤرِ يزري بأهلِه ... وإن قيلَ نامَ في الدارِ والخواصرِ[5]

- **سقيُ الأرضِ وحكْمُ الطريق**

روي أن الزبير ورجلاً من الأنصار اختصما إلى رسول الله ﷺ في شرب ماء كان من نهر يمرّ بهم، وكانت أرض الزبير فوق أرض الأنصاري، **فقال النبي ﷺ**: يا زبير إسق أرضك، فإذا أرويتها فأرسل فضل الماء إلى أخيك. فقال الأنصاري: يا رسول الله لا يمنعك كونه ابن عمتك أن تقضي بيننا بالحق **فقال النبي ﷺ**: يا زبير إسق أرضك فإذا

---

(١) **الزبزب**: ضرب من السفن.
(٢) **الأجدل**: الصقر، شبّه الزبزب بالنسر أو الصقر.
(٣) **النيب**: الإبل المسنّة. (٤) **الغوابر**: الماضية.
(٥) **السؤر**: ما بقي في الإناء من الماء، جمع أسآر.

أرويتها فاحبس الماء حتى يبلغ الماء الجدر[1] ثم أرسل الماء إلى أخيك. قال الزبير: وهذا كان صريح الحكم.

وإنما كان النبي ﷺ أمر الزبير بالمعروف ومواساة أخيه فلما زاده القول قضى بينهما بصريح الحكم، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[2]

- **الضياع**

قال أبو منصور العدوي:

قدْ كانتِ الضيْعةُ فيما مضَى ... تغلُّ منْ يملكُها دائبَه

فصارَ منْ يملكُها يومَنا ... تغلُّ منْ مهجتهِ الذاهبَه

ستغرقُ الغلّةَ في خرجِها ... وتفضُلُ الكلْفَةُ والنائبَه

(٣)

وممَّا جاء في الربيع والخريف والأزاهير والأشجار والنبات

•

- **أصلُ النيروز[3] والمهرجان**

سأل المأمون أصحابه عن أصل النيروز والمهرجان[4] وصب الماء، فلم يخبره أحد **فقال:** الأصل في النيروز أن أبرويز عمر أقاليم إيران شهر، وهي أرض بابل، فاستوت له أسبابه واستقام ملكه يوم النيروز فصار سنة للعجم وكان ملكه ألفاً وخمسين سنة ثم أتى بعده بيور أسف وملك ألف سنة فقصدا فريدون وأسره بأرض المغرب وسجنه بأرض بجبل دياوند يوم النصف من ماء نهر فسمي ذلك اليوم مهرجاناً وصار سنة لهم تعظيمه فالنيروز أقدم من المهرجان بألفين وخمسين سنة.

وقيل: النيروز هو يوم ولد كيومرث بن هبة الله بن آدم، لأن الجدران اخضرت لمولده، وأثمرت الأشجار لغير إبانها **وقيل:** هو اليوم الذي أحرق الله تعالى فيه الظلمة بالنور، وخلق السموات والأرض، وكون الدنيا، وأمر الفلك بالدوران وأما صب الماء فهو قوم أصابتهم قحمة من الأزل، فقحطوا زماناً وانقطعت عنهم الأمطار وتموّتت مواشيهم ثم مطروا واستبشروا لطول عهدهم به فكان من رش من ذلك المزن سرّه وأعجبه، فجعلته العجم سنة إلى آخر الدهر.

---

(١) **الجدر**: جمع جدار، الحائط. (٢) **القرآن الكريم**: النساء/ ٦٤.

(٣) **النيروز**: هو عند الفرس أول يوم من أيام السنة الشمسيّة، وهو يوم فرح بوجه عام.

(٤) **المهرجان**: من أعياد الفرس واللفظة مركبة من مهر وجان ومعنى مهر المحبة ومعنى جان الروح فالمهرجان محبة الروح.

وقيل: فيهم نزل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ وقيل: هو اليوم الذي تكلم فيه زو بن طهماسف وقيل عيسى عليه السلام: وكان مات أبوه عن قحط شملهم وشمل الأقاليم فتكلم زو في المهد، وسأل الله تعالى أن يسقيهم، فسقاهم الله تبارك وتعالى وأما السذق فقيل: إن آدم لما زوّج بناته من بنيه وتموا مائة كانت هذه الليلة، فأوقدوا ناراً سروراً بذلك فجعلتها العجم عيداً. ومعنى السذق مائة.

وسئل بعضهم عن الخريف والربيع فقال: الخريف للفم، والربيع للعين، وذلك أنّ الربيع لا تكون فيه فكهة. وسئل عنه بعضهم فقال: الربيع لأهل الوبر[1] والخريف لأهل المدر[2]

● **مدح الخريف**

قال الباذاني:

ولا زلتَ في عيشةٍ كالخريفِ فإنّ الخريفَ جميعاً سِحَر

قال ابن المعتز:

إشربْ على طيبِ الزمان فقد حدا بالصّيفِ من أيلول أسرعُ حادِ[3]

وقال آخر:

وأشمنا باللّيلِ بردَ خريفه[4]

● **طِيبُ الربيعِ وحُسْنُهُ**

قال النبي ﷺ: ثلاثة يحيين القلب: النظر إلى الماء وإلى الخضرة وإلى الوجه الحسن.

وقال الشاعر:

أربعةٌ تحيا بهَا روحٌ ونفسٌ وبدنْ
الماءُ والخضرةُ والنذ مان والوجه الحسَنْ

وقال أبقراط[5]: من لم يبتهج لرؤية الربيع، ولا يتروع بنسيم أسحاره فهو عديم حس أو سقيم نفس.

وكتب عمر بن الخطاب إلى أمير الأجناد: مروا الناس أن يخرجوا إلى الصحارى أيام الربيع فينظروا إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها.

---

(١) **أهل الوبر:** أهل البدو.

(٢) **أهل المدر:** أي أهل المدن والقرى، أو الحضر، في مقابل البدر.

(٣) **حدا:** ساق ـ **الحادي:** سائق الإبل. (٤) **أشمنا:** جعلنا نشمّ.

(٥) **أبقراط، أو بقراط أو هيبوقراط** هو أحد أكبر أطباء الإغريق عاش في القرن الخامس قبل الميلاد. وهو من مواليد، جزيرة كوس.

قال أبو تمّام:

إن الـربيـع آثـرُ الأزمـان

وقال بعضهم: الربيع بهجة الدنيا ومجمع المنى وقال ابن المعتز:

أنظرْ إلى دنيا ربيعٍ أقبلَت ... مثلَ المهاةِ تبرّجَت لزُناةِ[1]

وقال آخر:

فالراحُ قد باحَتْ بأسرارِ النّدى ... فتنفسَ الريحانُ في الجنّاتِ[2]

وقال ابن محارب القمي:

تأمّلْ في ربيعِ الأرض وانظُرْ ... إلى آثار ما صنَع المليكُ[3]

عيونٌ من لجينٍ شاخصاتٌ ... كأن حداقَها ذهبٌ سبيكُ[4]

على قُضُبِ الزبرجَد شاهداتٌ ... بأنّ الله ليس له شَريكُ[5]

● **تفضيلُ الربيعِ على سائرِ الأزمنةِ ومفاضلةُ الصيفِ والشتاءِ**

قال الصنوبريّ:

إن كانَ في الصيفِ ريحانٌ وفاكهةٌ ... فالأرضُ مستوقدٌ والجوّ تنوّرُ

وإن يكنْ في الخريفِ النخْلِ مخترفاً ... فالأرضُ عريانةٌ والجوّ مقرورُ[6]

وإن يكنْ في الشتاء الغيثُ متّصلاً ... فالأرضُ محصورةٌ والجوُّ مأسورُ

ما الدهرُ إلا الربيعُ المستنيرُ إذا ... أتى الربيعُ أتاك النورُ والنُّورُ[7]

الأرضُ ياقوتةٌ والجوُّ لؤلؤةٌ ... والنبتُ فيروزجٌ والماءُ بَلوّرُ[8]

وقال النبي ﷺ: الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه.

● **الحثُّ على اللهو أيام الربيع وعلى التمتع بها**

قال أمير المؤمنين كرّم الله وجهه: إذا دخلت البساتين فأطل تأملها، فإن فيها جلاءً للبصر وارتياحاً للهم والفكرة وتكرمة للطبائع وتسكيناً للصداع.

قال ابن سكرة الرازي:

لا تَمْتي في المُدام ظالِمَتي ... لا سيّما والربيعُ قد هجَما

---

(١) شبه قدوم الربيع بالمهاة المتبرّجة وإلى مثل هذا المعنى أشار ابن الرومي، وهو يصف الطبيعة عند قدوم الربيع بقوله:

تبرّجَتْ بعد حياءٍ وخفَر ... تبرّجَ الأنثى تصدّت للذكر

(٢) الراح: الخمر. (٣) المليك: الله، خالق الوجود.

(٤) اللجين: الفضّة.

(٥) الزبرجد: حجر كريم كالزمرد، ومنه الزبرجد الأخضر، واللفظة فارسيّة.

(٦) المقرور: المقشعر من البرد. (٧) النور: الزهر.

(٨) الفيروزج: حجر كريم كالفيروز واللفظة فارسيّة.

لا تطمعي في إفاقتي وقِفي		حتّى يولّي الربيعُ منهزِما[1]

وقال آخر:

يا حبّذا النيروزُ من زائرٍ		جاءَ على أحسنِ أوقاتِه

فباكر القصْفَ على وجهه		وَوَقّرْنَ حق زياراته[2]

قال القاضي علي بن عبد العزيز:

قد صفَا الجوُّ واستحالَ نسيما		وتندّى الهواءُ وهو يميعُ

بشّرتنا أوائلُ الزهرِ بالور		دِ فكلّف صِبَاكَ ما تستطيعُ

وقيل لماسرجس: لِمَ كان أبصار أهل الرساتيق أصح وطعامهم ثقيل؟ **فقال:** ما أعرف لذلك علة إلاّ كثرة وقوع أبصارهم على الخضرة.

● **رياضٌ مونِقة**

قال أعرابي: أصابتْنا ديمةٌ على عهاد قديمة، فالناب يشبع قبل الفطيمة.

قال ابن المعتز:

وروضةٌ عذراء غيرُ عَانسَةٍ		خضراءُ ما فيها خَلاةٌ يابِسَةٌ[3]

فيها شموس للنهار وأرسه

والبيت الثاني من قول أكل المرار:

في حيثُ خالطَت الخزاعي عرفَجا		يأتيكَ قابسُ أهله لم يُقْبَسِ[4]

ووصف بعضهم الأرض فقال: غدت في بردة خضراء وغدت في زي عذراء، **قال ابن طباطبا:**

يا لَها جنّةٌ بدَتْ كعروسٍ		لم يكنْ حسنُ حليها مسْتَعارا

● **طيب رائحة الرياض**

قال ابن المعتز

كان غيابَ المسْكِ بينَ بقاعِها		تفتّحها أيدي الرياحِ اللطائفِ

قال الأخطل:

الآنفُ والطرفُ منه يسرحان معاً		في ميسمٍ أرجٍ أو منظرٍ قَشِبِ[5]

---

(١) **إفاقتي: الإفاقة:** التنبيه من النوم.		(٢) **القصف:** اللهو.

(٣) **العانسة:** التي لم تتزوّج ـ **الخلاة:** واحدة الخلى وهو العشب.

(٤) **العرفج:** جمع عرافج، نبات سهليّ.

(٥) **الأرج:** الرائحة ـ **القشب (هنا):** القشيب أي الجديد والقشب أيضاً الخَلَق (من الأضداد).

قال البازني:

وإذا تنفسّت الرياحُ حسبتَها مسكاً تنفس عن جيوبِ غواني[1]

قال ابن الرومي:

من نسيم كأنَّ مسراه في الأر واحِ مسرى الأرواحِ في الأجسادِ

قال ابن المعتز:

يا ربّ ليل سحر كلّه متضح البدز عليلُ النسيمِ
تلتقطُ الأنفاسُ برد النّدى فيه فتهديه لحرّ السمومِ

● ألوان الرياض المختلفة

قال التنوخي:

ربع الربيعُ فحاكت كفُّه حللاً بها عقدُ الهمومِ تحلَّلُ[2]
فمذبج ومحبرٌ وموشّحٌ ومفضضٌ ومدثّر ومهلّلُ[3]
فتختالُ ذا ثغراً وذا عيناً وذا خدًا يعضد تارة ويقبِّلُ

قال بارع:

وروضة دبّج الوسميّ حلّتَها وذبرتها يدُ الأنواء والحقبِ[4]

● شكر الأرض للمطر

قال ابن الرومي:

أصبحَتِ الدّنيا تروقُ من نظَر وأهالها مصطنعاً لمنْ شكَر
أثنَت على الأرضِ بالآء المطر[5]

ابن المعتز:

ما ترى نعمَةَ السماءِ على الأر ضِ وشكرَ الرياضِ للأمطار

● النبات المائل بالرياح

قال دعبل:

ضحوكٌ إذا لاعبته الرياحُ تأوّد كالشاربِ المُرجَحن[6]

قال ابن نوقة:

رياحينُها تهتزُّ كالبيض أزمعَتْ وداعاً فمالَت للعتاقِ قدودُها

---

(١) الجيوب: جمع جيب وهو القميص ـ الغواني: جمع غانية وهي المرأة التي غنيت بالحسن عن الزّينة.
(٢) و (٣) يقول: إنّ كف الربيع الخفيّة تنسج حللاً أي أثواباً جديدة بين مديح ومجد وموشح.
(٤) الوسمي: مطر الربيع ـ الأنواء: الأمطار.
(٥) الآلاء: النعم. (٦) تأوّد: انحنى واعوجّ.

قال آخر: عذارى يبايِنَّ الحديثَ المكتّما

وقال آخر: كالطامحِ المتمائِل المتكسّر

● **الطلّ على الأرضِ**

قال جحظة:

لم يبقَ في الأرض زهرٌ يشتكي مرُّها إلا وناظرُه بالطلّ مكْحولُ

وقال:

كأنّ بقاءَ الوبْلِ في جنَباتها بقيةُ دمعٍ فوقَ خدّ موَرّدِ

وقال آخر:

يطَلٍ كرشح فوق خدّ مورّد[1]

وقال آخر:

فشنّفَ أرضَه درراً ونظّمها الندى شَذَرا

قال الحمدوني:

إذا لطمَ الوسميُّ أحداقَ روْضها بكيْنَ معاً باللؤلؤِ المتفرّدِ

وقال:

وشابَتْ رؤوسُ غصونِ الجِنانِ وما ذلك الشيبُ إلا الشبابُ[2]

● **ترنُّمُ الأطيارِ أيامَ الربيعِ**

قال إبراهيم بن ساوة:

والطير في وكناتِها محتلةً فمرنمٌ ومزمزِمٌ ومغرِّدُ[3]

فكأنها تحكي الغريضَ ومعبدا أو كاد يحكيها الغريضُ ومعبدُ

قال أبو القاسم بن العلاء:

كأنّ صوادح الأطيار فيها جوارٍ والغصونُ لها ستائِرُ[4]

أخذه من الخباز البلدي حيث قال:

كأنّ القماري والبلابلَ بينها قيانٌ وأوراقُ الغصونِ ستائرُ[5]

قال ابن المعتز:

إني لأعجبُ من حمائِمِها كيفَ اهتدينَ لمعرب مخضِ

---

(١) **الطلّ**: الندى.

(٢) **شابت رؤوس الغصون**: كناية عن الزّهر، شبّهه بالشيب واعتبره شباباً للطبيعة من عطاء الربيع.

(٣) **الوكنات**: جمع وكنة، وهي عشّ الطائر.

(٤) **الطيور الصوادح**: المغرّدة. (٥) **القماري**: الحمائم.

هل كان نحويّ يعلّمها نصباً وبابَ الرفع والخَفْضِ؟

● **تغريدُ الذبابِ بالرياض**

قال ابن الرومي:

وغرّدَ ربعيّ الذبابِ خلالَه كما حثحثَ النشوانُ صنجا مشرَعا[1]
وكانتْ أرانينُ الذبابِ هناكم على شدواتِ الطّير ضرْباً موقّعا[2]

والأصل فيه قول عنترة:

وخلا الذباب بها فليسَ ببارحٍ غرِداً كفعْل الشّاربِ المترنّم
هزِجاً يحكّ ذراعَه بذراعِه قدحِ المكّب على الزّنادِ الأجذَمِ[3]

● **تشبيه المحبوب بالرياحين وتذكرهُ بها**

قال البحتري:

لما مشيْن على الأراكِ تشابَهت أغصانُ قضبانٍ به وقدودُ
في حلّتي حبْر ووشي فالتقَى وشيان وشيُ ربا ووشي بُرودِ[4]
وسفرْن فامتلأت عيون راقها وردان وردُ جنى وردُ خدودِ

قال الصاحب وقد شبّه خدود المحبوب بالمنثور:

شربنا على وجه الذي تيّمني بصَدّه[5]
فإنْ نأى فاذكـ ـرُه بالمنثور عند وردِه
من أبيضَ كوجهه وأحمرَ كخدّهِ
وأشهلَ كطرفِه وقد سطا بخَدّهِ
واصفرَ كسحنتي إذ راعني بصدّهِ
وصادق التوريدِ كالفِضّة بين جلْدِه
ذي أرجٍ كهَزلهِ وروعَة كجَدّه[6]
وقصر في العمْر قد شابَه عمْرُ وردِه
هذا وما يستطيعُ أنْ يذكرَني بقدّهِ
فالفضْل للظبْي الذي أصبحتُ عبْدَ عبْدِهِ

---

(١) **حثحث**: حرّك، اضطرب.

(٢) **الأرانين**: جمع رنين، وهو الصوت.

(٣) **هَزجاً**: مغنيّاً، الهزج الترنّم وضرب من الأغاني.

(٤) **البرود**: الأثواب المخطّطة، جمع برد.

(٥) **تيمه الحبّ**: ذلّله ـ **الصدّ**: النفور والهجر.

(٦) **الأرج والأريج**: الرائحة الطيبة.

● **ظلُّ أوراقِ الشجرِ**

قد أحسن المتنبي حيث قال:

وألقى الشرقُ منها في ثيابي دنانيراً تفِرُّ من البنانِ

قال مسكويه:

والشمسُ محجوبةٌ عنّا سوى لمعٍ يسقُطنَ من ورقِ الأشجارِ كالورقِ

● **نَفْعُ النرجسِ**

قال جالينوس[1]: من كان له رغيف فليجعل لصقه من النرجس، فإنه راعي الدماغ، والدماغ راعي العقل، **وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه**: تشمّموا النرجس ولو في اليوم مرة، فإن في قلب الأنسان حالة لا يزيلها إلا شم النرجس، **قال أبو نواس:**

غضّي جفونَك يا عيونَ النرجسِ كيما ألذَّ بقبلَةٍ من مؤنِسي

وقال آخر:

وتخالهنّ إذا هممت بقبلةٍ حَدقاً تفهمُ ما أقولُ فتنظر[2]

وقال آخر:

كأنما النرجسُ يحكي لنا عين محبٍّ أبداً تنظُرُ

لا يطرق الدهر لا شفافة تخوفاً من لحظه يقصرُ

ويشبه النرجس بالرقيب، **قال أبو نواس:**

لدى نرجسٍ غضِّ القِطافِ كأنه إذا ما منحناه العيونَ عيونُ

مخالفةٌ في شكلهنّ فصفرةٌ مكانَ سوادٍ والبياضُ جفونُ

وقال آخر:

مداهن تبْرٍ حشوهنّ عَقيقُ[3]

وقال آخر:

أحداقُ تبْرٍ في محاجِرِ فضّةٍ

● **وَصْفُهُ قامتَهُ**

قال شاعر:

ذابلاتُ الأجفانِ كالعاشِقِ الوا قفِ يشكُو الهَوى على فردِ ساقِ

وقال آخر:

غصنُ الزبرجدِ مرتدٍ ورقاً من فضّة لكَ أثمرَت ذهَبا[4]

---

(١) **جالينوس**: من أشهر أطباء اليونان الأقدمين، برع في علم التشريح. عاش في القرن الثاني للميلاد.

(٢) **الحدق**: العيون.

(٣) **التبر**: الذهب ـ **العقيق**: الخرز الأحمر.

(٤) **الزبرجد**: حجر كريم كالزمّرد.

قال الباذاني:

ورقٌ فوقَها دنانيرُ صفرٌ ... قد علت من زبرجَدٍ أنبوبا

وبالفارسية نركس ازمرددشه مرواريد فردوسته زوش كرميان بسته فنظموه بالعربية فقالوا:

وياقوته صفراء في رأسِ درّة ... مُركّبةٍ في قامَةٍ من زبرجَدِ[1]

● **ريحة**

قال ابن الرومي:

يا حبّذا النرجس ريحانةً ... لأنفِ مغبوق ومصبوح

كأنّه من طيبِ أرواحهِ ... ركّبَ من رَاحٍ ومن رُوحِ[2]

قال ابن طباطبا:

نرجسه ينسى الوَرى شكْلَه ... مثْلُ حبيبٍ فاتنٍ دلُّه

نسيمُه كالرّاحِ لو يختوي ... والروحُ لو يعقد مُتحلُّه

● **فَضلُ الوردِ ومحبّتُهُ**

قيل: إن ملك بابل أهدى إلى ملك أضول وردة، فأنكر ما رأى من شوكها وكافأه بأصول الغبيراء، لأن زهرتها تولد داء عظيماً إذا شمت. فلما أينعت أصول الورد عنده سرّ به، فندم على ما كان منه فأهدى إليه شجر الخلاف وهو دواء لما تولده الغبيراء. **وقيل:** كان المتوكل حرّم الورد على جميع الناس، **وقال:** لا يصلح للعامّة فكان لا يرى إلا في مجلسه.

وكان في أيامه يلبس الثياب الموردة ويفرشها ويورّد جميع الآلات ورفع صاحب الخبر إلى المأمون أنّ حائكاً يعمل العام كله لا يتعطّل في عيد ولا جمعة، فإذا طلع الورد طوى عمله وغرّد بصوت **وقال:**

طاب الزمانُ وجاء الوردُ فاصطبحُوا ... ما دامَ للوردِ أزهارٌ وأنوارُ

فإذا شرب مع ندمائه غنّى:

أشربُ على الورْد من حمراءَ صافيةٍ ... شهراً وعشراً وخمْساً بعْدها عَدداً

فلا يزال في صبوح وغبوق ما بقيت وردة فإذا انقضى عاد إلى عمله وأنشد:

فإن يبقِني ربّي إلى الوردِ أصطبِح ... وندمان صدقٍ حاكةٌ ونبيطُ

فقال المأمون: لقد نظر الورد بعير جليلة فينبغي أن نعينه على هذه المروءة. وأمر أن يدفع إليه في كل سنة عشرة آلاف درهم. **وقال الحسين رضي الله عنه:** حباني رسول الله ﷺ بكلتي يديه وردة وقال إنه سيد رياحين الجنّة ما خلا الآس.

---

(١) **الياقوت:** من الحجارة الكريمة ـ **الدرّة:** اللؤلؤة. (٢) **الأرواح:** الروائح ـ **الراح:** الخمر.

● **حُسْنُهُ**

قال خالد الكاتب:

عشية حيّاني بوردٍ كأنّه خدودٌ أضيفَتْ بعضُهن إلى بغضِ

وقال آخر:

كأنّ طلوعَ الوردِ والطلُّ فوقَه لثاتٌ عليها درّ ثغرٍ مفلّجِ[١]

وقال أزدشير: ياقوت أحمر وأصفر ودرّ أبيض على كراسي زبرجد يتوسطه شذور من ذهب.

● **ظهورُ الوردِ وتفتّحُهُ**

قال جحظة:

لقد نطقَ الدّراجُ بعْد سكوتِه ووافَى كتابُ الوردِ أنّي مقْبِلُ

قال الرقاشي:

إذا أقبَلَ الوردُ أهدى لنَا سروراً بأيامِه مقتبل

قال البحتري:

وقد نبّه النيروزُ في غسَق الدّجى أوائلَ وردٍ كنَّ بالأمس نُوّما[٢]

يقتّعها بردُ الندى فكأنّما تبثُّ حديثاً كان قَبْلُ مكتّما[٣]

● **قِلّة لبثِهِ**

قال ديك الجن:

للوردِ حُسنٌ وإشراقٌ إذا نظرتْ إليه عينُ محبٌّ هاجَهُ الطربُ

خاف الملالَ إذا دامتْ إقامتُه فصارَ يظهُر حِيناً ثم يحتجِبُ[٤]

قال أبو نواس:

زائر يهدي إلينا نفسَه في كلّ عامِ

قال ابن أبي البغل:

حبيب إذا ما زارنا قلّ لبثه وإن هو عنا غاب طال جفاؤه[٥]

وقال آخر:

أقام حتّى إذا أنِسْنا بقربه أسرعَ انتِقَالا

---

(١) **الثغر المفلّج:** المتباعد الأسنان.

(٢) **النيروز (هنا):** الربيع.

(٣) **يقتّعها:** وفي رواية يفتّحها.

(٤) **الملال:** السأم، الضجر.

(٥) **اللبث:** البقاء والإقامة.

وقال:

الـوردُ أحـسَـنُ زائـرٍ لـو لـمْ تـكُـنْ ... تـلـك الـزيـارة حـيـن زارَ لِـمـامـا[1]

● صِيانةُ الوَرْدِ

قال علي بن الجهم:

لـم يـضـحـك الـوردُ إلا حـيـنَ أعـجَـبـه ... حسنُ الرياض وصوتُ الطائرِ الغِردِ

لا عـذبِ الـلّـذّةُ إلا مـنْ يـعـذّبـه ... بـمـسـمـعٍ بـاردٍ أو صـاحـب نـكـدِ

قال جحظة:

أعـززْ عـلـيّ بـأن يـشـمّـك بـاخِـلٌ ... أوانَ تـرك نـواظـرِ الـسّـقَـطـاء

وقيل: إن كسرى مرّ بوردة ساقطة فقال: أضاع الله من أضاعك، ونزل عن دابته وتناولها وشرب في مكانها أقداحاً.

وقال بعض الكبار لأبي عبد الله الصائغ: قد جاء وردك يا أبا عبد الله يعني ورد الكلاب، فقال: وقد جاء ورد أمك، يعني ورد القحبة وقد نظم ذلك ابن طباطبا:

ولّـى الـزمـان وولـى ورد أمـكـم ... وجـاء وردُ أبـيـكـم يـا بـنـي الـعـررِ

● تفضيلُ الوردِ على النرجُسِ

قيل: الورد يبقى طول السنة رطباً ويابساً، والنرجس لا يبقى إلاّ شهراً. ولو يبس لم ينتفع به. ثم منافع الورد لا تحصى كثرة رطباً ويابساً وطِيباً ودواء، قال الصنوبري:

زعـمَ الـوردُ أنّـه هـو أبـهـى ... مـن جـمـيـعِ الأنـوارِ والـريْـحـانِ[2]

فـأجـابـتْـه أعـيـنُ الـنـرجـسِ الـغـضّ ... بـذلّ مـن قـولِـهـا وهـوانِ

أيّـمـا أحـسـن الـتـوردُ أم مـقـ ... ـلـةُ ريـم مـريـضـةِ الأجـفـانِ[3]

أم فـمـاذا يـرجـى لـمـحـمّـرَة الـخـدّ ... إذا لـمْ يـكُـنْ لـهـا عـيـنـانِ

فـزهـا الـوردُ ثـم قـال مُـجـيـبـاً ... بـقـيـاسٍ مـسـتـحـسـنٍ وبـيـانِ

إن وردَ الـخـدودِ أحـسـنُ مـن ... عـيـنٍ بـهـا صـفـرةٌ مـن الـيـرَقـانِ[4]

● تفضيلُ النَرْجُسِ على الوَرْدِ

قيل: النرجس إذا اجتني بقي شهراً، والورد لا يبقى إلا يوماً ثم يذبل، وهو كالعين، وهو أفضل من الورد الذي هو كالخدّ.

---

(١) الزيارة اللمام: أي القصيرة. (٢) الأنوار: الأزهار.

(٣) مريضة الأجفان: أي ناعسة الأجفان.

(٤) اليرقان: مرض يسبب اصفرار الجلد واللفظة يونانية.

قال ابن الرومي:

لِلنرجسِ الفضلُ برغمِ من زعَم ... على صنوفِ الوردِ والفضلُ قسَم

وله:

هذي النجومُ هيَ التي ربّتنَها ... بحيا السّحابِ كما يربّي الوالِدُ[1]

فتأمل الأخوينِ من أدناهما ... شبهاً بوالده فذاك الماجدُ

أين العيونُ من الخدودِ نفاسةً ... ورياسةً، لولا القياسُ الفاسدُ

● **تفضيلُ الآسِ على الوردِ وبالعكس**

كتب أبو دلف إلى عبد الله بن طاهر:

أرى وُدّكم كالوردِ ليسَ بدائمٍ ... ولا خيرَ فيمن لا يدومُ له ودُّ

وودّي لكم كالآسِ حسْناً ونضرةً ... له زهرةٌ تبقى إذا فني الوردُ

فأجابه:

وشبهتَ وُدّي الوردَ، وهو شبيهُه ... وهلْ زهرةٌ إلا وسيّدُها الوردُ

وودّك كآسِ المريرِ مذاقُه ... وليسَ له في الطيبِ قبلُ ولا بَعْدُ

وذهبت امرأة إلى معبّر[2] **فقالت**: رأيت زوجي أولاني باقة نرجس، **فقال**: يطلقك. **فقالت**: لمه، **فقال**: **لقول الشاعر**:

ليس للنرجس عهدٌ ... إنما العهد للآسِ

ولعليّ بن الجهم يفضل الورد على سائر الرياحين:

ما قابلَت قضبُ الريحان طلعتَه ... إلا تبينَتْ منه ذلّةَ الحَسدِ

● **الياسمينُ والآسُ**

كانَ مخنث ببغداد قعد يبيع الياسمين ويقول: من يشتري ريح المحبوب، ولون المحب، بقطعه؟ وتُطيّر بالياسمين لكون إلياس في أوله والمين في آخره. **قال ابن الرومي**:

ما أنصفَ الآسُ بالياسمين مشبهه ... والآسُ منه مكانُ الياء مفقودُ

والياسمينُ إذا حصلت أحرفَه ... فالياس منه مكانَ الياءِ معدودُ

إن الدليلَ على هذا تناثر ذا ... وإن ذاكَ على الأيام موجودُ

● **الشقائقُ**

قال أبو العلاء السروري ويُروى لابن دريد:

جامٌ يكون من العقيقِ الأحمرِ ... فرشتُ قرارتَه بمِسْك أذفرِ[3]

---

(١) حيا السحاب: المطر.

(٢) المعبّر: الذي يفسّر الأحلام.

(٣) أذفر: من ذفر الشيء، اشتدّت رائحته فهو أذفر وذفر النبت كثر

خرط الربيعُ مثاله فأقامه ... بينَ الرياض على قضيبِ أخضرِ[١]
والريحُ تتركُه إذا هبّت بهِ ... كالطافحِ المتمايلِ المتكسّرِ
فتراهُ يركَعُ ثم يرفَعُ رأسَهُ ... مُتَمايلاً كالعاشِقِ المتحيّرِ

وفيه:

جزعٌ وياقوتٌ وخرطُ زَبَرجُدِ[٢]

وقال الصنوبري:

أعلامُ ياقوتٍ نُشِـ ... ـرْنَ على رماحٍ من زَبَرجَدِ

وللقصار:

وكأنّه الحبشيّ يصبُغُ جسمَه ... فثيابُه مخضَلّةٌ بدمائهِ

وقال الصنوبري:

شقائق يحمِلْن الندى فكأنّه ... دموعُ التصابي في خدودِ الخرائدِ

● الأترج

قال ابن دريد:

جسمُ لُجَيْنٍ قميصُه ذهبُ ... زُرَّ على لعبَةٍ من الطّيبِ[٣]
فيه لمَن شمّه وأبصرَه ... لونُ محبّ وريحُ مَحْبُوبِ

وقال ابن العميد:

يقدّرها الرائي سبيكةَ عسْجدٍ ... على أنّها من فأرَةِ المِسْك أضوعُ[٤]
وما حكَت العشاقَ صفرةُ لونها ... ولكن لما قاسَى المحبّين تجزعُ

وقال أبو سعيد الرستمي:

وأترجة مدّت أصابعَ من ذهب ... لها أرجٌ من فأرةِ المِسْك منتهَبْ
تبدّت لنا والريحُ داجٍ ظلامُه ... كغابرِ نارٍ هزّه الريح فانشعَبْ[٥]

وقال كشاجم:

كأنّ أترجَها تميلُ بهِ ... أغصانُها حامِلاً ومحمولا
سلاسلُ من زبرجَدٍ حملتْ ... من ذهبٍ أصفرَ قناديلا

---

(١) الخرط: القطع.
(٢) الجزع: الخرز فيه سواد وبيض، واحدت جزعة ـ الزبرجد: حجر كريم يشبه الزمرد والجمع زبارج.
(٣) زرّ القميص: شدّ أزراره وأدخلها في العرى.
(٤) سبيكة عسجد: أي سبيكة ذهب ـ فارة المسك: نافجة المسك.
(٥) انشعب: تفرّق شعباً.

وقال ابن الرومي:

كـأنّـكـم شـجـرُ الأتـرجِ طـابَ مـعـاً   حـمْـلاً ونَـوْراً وطـابَ الـريـحُ والـورقُ

● **النارنجُ على الأشجار**

قال شاعر:

تـطـالـعُـنـا بـيـنَ الـغـصـونِ كـأنّـهـا   خدودُ عذارى في ملاحِفها الخضر

وقال التنوخي:

شـمـوسُ عـقـيـقٍ فـي قـبـاب زبـرجَـد

قال الصاحب:

كـأنّـمـا الـنـارنـجُ تـفّـاحُ الـذهَـبْ   أو فـرح قـنـديـل تـنـدّى كـالـلـهَـبْ

أو حـمـرةُ شـعـاعُـهـا يـمـضـي شـعَـبْ   أو ثديُ خودٍ ناهدٍ يحكي الكعَبْ(١)

● **الليمون**

قال محمد العبّاسي:

حـبّـذا الـلـيـمـونُ حـسْـنـاً   وبـــهـــاءً ونـــضـــارَه

هـــو ريْـــحـــانٌ أتـــى مـــن   أرضِ هـــنـــدٍ لـــلـــزيـــارَه

رامَ أن يـــشـــبـــهَـــه الـــنـــا   رنـــجُ خـــرْطـــاً واســـتـــدارَه

وتـــمـــنّـــى أن يـــبـــاهـــيـــ   ـه بـــأن يـــحـــكـــي اصـــفـــرارَه

ثـــم أعـــيـــاه فـــلـــم يـــلـــ   ـحَـــقْـــه فـــي زيّ وشـــارَه(٢)

لونُه والعرفُ والشكلُ فمِنْه مستعارَه

● **الدستبول**

قال شاعر:

كـكـرات طـيـقـانٍ تـخـالُ قـشـورَهـا   نـونَ الـقـسـيّ مـنـمـرات يـلـمَـع

وقال:

كـأنّـهـا مـن لُـبّ كـافـورةٍ   قـد غـمـرَت مـن رطْـبٍ رَطْـبٍ

● **اللفاح**

قال أبو علي بن أبي العلاء:

كـحـقّـةٍ مـن ذَهَـب   بـلا زوْرَد مـمـتّـعـا(٣)

---

(١) الخود: المرأة الشابة ـ الثدي الناهد: البارز.

(٢) يباهيه: ينافسه في البهاء والحسن ـ يحكي اصفراره: يشابهه ويماثله.

(٣) اللازورد: معدن يتخذ للحلي والصافي منه شفاف أزرق ضارب إلى الحمرة (واللفظة فارسيّة).

أو شـــعـــلـــةٍ وقـــدْ عَـــلا   دخـــانُـــهـــا وارتـــفَـــعَـــا

وقال أبو القاسم ابنه:

مـــا جـــوهـــرٌ مـــتـــنـــافـــسٌ   فـــيـــه كـــنـــد فـــي نـــدي[1]
ومـــشـــمّ مـــعـــشـــوقٍ تـــصـــا   دفَـــه عـــلـــى عُـــرْفٍ ذكِـــي
وكـــأنّ رائـــقَ شـــكْـــلِـــه   لـــمـــا بـــدا كـــرةُ الـــصـــبـــي
لـــولا ذوائـــبُـــه الـــتـــي   قـــد أشـــبَـــهـــت بـــيـــضَ الـــكَـــمِـــي[2]

- **حب النيل**

قال أبو الحسن الزاهري:

ولاحَ لـــنـــاظـــري بـــنـــاتُ وردِ   لـــحـــبّ الـــنـــيـــل تـــفـــضَـــح كـــلّ وردِ
كـــنـــونـــاتِ الـــلـــجـــيْـــنِ مـــطـــرقـــاتٍ   أســـافـــلُـــهـــا بـــمـــاءِ الـــلازوردِ

- **الخيري**[3]

قال ابن الرومي:

خـــيـــريّ وردٌ أتـــاك فـــي طـــبـــقٍ   قـــد مـــلا الـــخـــافـــقَـــيْـــن مـــن عَـــبَـــقِـــه[4]
قـــد خـــلـــعَ الـــعـــاشـــقـــون مـــا صَـــ   ـــنـــعَ الـــهـــجْـــرُ بـــألـــوانِـــهـــم عـــلـــى ورقِـــه

قال أبو العلاء السروي:

أهـــدى إلـــيّ فـــنـــونَ الـــشـــوْق والأرقِ   نـــســـيـــمُ رائـــحـــةِ الـــخـــيـــريّ فـــي الـــعـــبَـــقِ
كـــأنـــه عـــاشـــقٌ يـــهـــدي صـــبـــابَـــتـــه   صـــبـــحـــاً ويـــنـــشـــرُهـــا فـــي ظـــلـــمـــة الأفـــقِ

- **السوسن**

يشبه بأذناب الطواويس وبسبائك الفضة. قال ابن المعتز:

كـــقـــطـــنٍ مـــسّـــه بـــغـــضُ الـــبـــلَـــل

قال الموصلي:

كـــأنّـــمـــا زرقـــةُ أوراقِـــه   ذوائِـــبُ مِـــن لـــهَـــب الـــفَـــحْـــمِ

قال عبدان:

وقـــد زخـــرفَ الـــدنـــيـــا مـــلاعـــقُ ســـوسَـــنٍ   فـــمِـــنْ أزرقٍ غـــضّ الـــنـــبـــاتِ وأقـــمَـــرِ
كـــأعـــنـــاقِ طـــيـــرِ الـــمـــاءِ أوراقُـــهـــا حـــكَـــت   مـــنـــاقـــيـــرَهـــا صـــوراً بـــخـــدّ مـــقـــرّر

---

(١) الندّ: عود يتبخر به.
(٢) الذوائب: الضفائر ـ الكمي: البطل والفارس المدجّج بالسلاح.
(٣) الخيري: المنثور الأصفر.   (٤) عبقه: شذاه.

● **الجلنار**

قال الحمداني:

وجـلّـنـارٍ أحْـمـرَ ... عـلـى أعـالـي شَـجَـرَه
كـأنّ فـي رؤوسِـهِ ... أحـمـرَه وأصـفـرَه
قـراضـةٌ مـن ذهـبٍ ... فـي خِـرْقَـةٍ مُـعَـصْـفَـرَه

● **الأرجوان**

قال عبدان:

كـأنّ الأرجـوانَ ضـرامُ نـار ... بـلا شَـرَرٍ تـطـايـرَ فـي تَـوالِـي
كـأنّـا مـصْـطَـلـون بـهـا قـعُـوداً ... حـوالَـيْـهـا ومـا مـنّـا بـصـالِـي[1]

● **المرزجوش**

قال أبو الوفاء محمد بن عبد العزيز بن محمد بن سلمة الهذلي:

ومـرزجـوشٍ كـأنّ الـقـطْـرَ شـنّـفـه ... دراً كـمـا شُـنّـفَـت آذانُ أبْـكـارِ[2]
إذا أتـتْـه هـبـوبُ الـريـحِ جـاذبـةً ... كـأنّـه مـائِـلاً مُـصْـغٍ لأسـرارِ

● **وردُ العصفور**

قال ابن طباطبا:

ريـحـانـةٌ فـي اصـفـرارِ مُـهْـدِيـهـا ... شـبـهـتـهـا بـغـدَ فِـكْـرةٍ فِـيـهـا
أحِـبّـةٍ لـم تـصـخْ لـعـاذِلـهـا ... تُـسـدُّ آذانُـهـا بـأيْـدِيـهَـا

● **النيلوفر**

قال أبو عبد الله:

كـأن نـيـلـوفـرَه عـاشـقٌ ... نـهـارُه يـرمـقُ وجـهَ الـحَـبـيـبِ
حـتّـى إذا الـلـيـلُ بـدا وجـهُـه ... وانصرفَ المحبوبُ خوفَ الرقيبِ
أطـبَـقَ جـفـنَـيْـه عـسَـى فـي الـكَـرَى ... يـبْـصِـرُ مـن قـارعَـه عـنْ رقـيـبِ

وقال آخر:

ككاساتِ شربٍ في أكفّ وصائفٍ ... من السندِ عنهُنّ السواعِدُ حُسّرُ

---

(١) اصطلى بالنار: استدفأ بها.

(٢) المرزجوش أو المردكوش: نبات عطري له ورق دقيق وزهر صغير وله فوائد طبية واللفظة فارسيّة، والمردقوش أيضاً: الزعفران بالفارسيّة.

قال الزاهي:

ونَيلوفر مثلِ الكؤوسِ شممتُه ... حكَت ريحُه ريحَ المحبّ الموافِق

حكى رقدة المحبوب قبْل انفتاحِه ... وبعد انفتاحِ الجفنِ تسهيدَ عاشِق

● الآذريون[1]

قال ابن المعتز:

كان آذريونَها ... فوقَ سماءٍ هامِيَه[2]

مَداهِن من ذهبٍ ... فيها بقايا غالِيه[3]

وقال عبد الرحمن بن مندويه:

صِلاءُ جَمْر شبَّ في كانونِ

● الخُزَم[4]

قال ابن الرومي:

وخرمٍ في صبغة الطيالِسَه ... تحكى الطواويسَ غدَت مُطاوسَه[5]

كأنَّما تلك الفروعُ النامِسَه ... تغمِسُها في اللازورد غامِسَه[6]

قال ابن طباطبا

صِمامات وَشيٍ هُيِّئَت للمخازِن

● الأقحوان[7]

قال التنوخي:

وأقحوانٌ مكَان وردته ... دراهِمٌ بينَها دنانيرُ

وقال عبدان:

وتبسّم عن ثُغورِ الحَوْر فيها ... ثُغورُ الأقحوانِ من اللآلي

وقال آخر:

عيونُ الأقاحي ما خلقتنّ للبُكا ... فما بالُ مجرى الدمعِ منكُنّ منكَرُ

---

(١) القطر: المطر. (٢) الأذريون: جنس زهر من الأنبوبيّات برتقالي اللون.

(٣) الغالية: ضرب من الطيب.

(٤) الخُزم: نبات الشجر، والخُرم في اللغة الناعم والكثير الخير (انظر لسان العرب، مادة خرم، وإذا وردت اللفظة مصحفة فلعلّ المراد شجر الخَزَم وهو شبيه شجر الدوم ذو أفنان وبسر (انظر اللسان مادة خزم).

(٥) الطيالسة: الطيلسان الكساء الأخضر.

(٦) الفروع النامسة: من نمس ينمس نمساً معناه تغيّر الشيء الطّيب وفساده ـ اللازورد: الجيد منه معدن صافي شفاف أزرق ضارب إلى الحمرة والخضرة يتخذ للحلي.

(٧) الأقحوان: نبات أوراق زهره مفلّجة صغيرة يشبّهون بها الأسنان.

إذا ما سقاهُ الغيثُ كاساً من الندى تناوبَ سكْراناً وبالرّيح يسكرُ

- **الشاهشفرم**

قال أبو العويص:

وقامةُ ريحانٍ أنيقٌ نباتُها غذاها نميرُ الماءِ سقيا على قدرِ[1]
وفاحَ بنشرِ ريحِ الشمّ طيبٌ له نشواتُ المسْك في سائر العِطْرِ
فأصبح شاهاً للرياحين كلّها وليّس لها ما دام شيء من الأمرِ[2]

قال الزاهي في وصف الأوراق:

لها ورقٌ كواواتٍ صِغار

- **ما يتطيّرُ به مِنَ الرياحين**

قيل: في الياسمين يأس، وفي الخلاف خلاف، وفي التمام نميمة، والشقائق الشقاء، وفي البان البين[3]، وفي السفرجل سفر جل وفي السوسن السوء.

قال العبّاس بن الأحنف:

أهدَى له أحبابُه أترجةً فبكى وأشفقَ من عيافةِ زاجرِ
متطيرٌ لما أتتْه لأنه لونان باطنُه خلافُ الظاهرَ

قال ابن الشاه:

لا باركَ الله في النمام إنّ له اسماً قبيحاً من الأسماء مهجورا
لوْ لمْ ينَمّ على العشّاقِ سرُّهم ما كانَ فيهم بهذا الاسم مذْكورا

- **البنفسَج**

قال ابن المعتز:

أوائلُ النّارِ في أطرافِ كبريت

ولعبدان:

لكا لياقوتِ منه النّارُ لا بل ككبريتٍ خفيّ الاشتعَالِ

قال السروي:

كأنّه خضر ديباجٍ أحاطَ به من لا زَورَد فصوصٌ ذاتُ لألاءِ

وقال التنوخي:

زيّنها بنفسجٌ كأنّه فيروزجٌ قُطّعَ فيها أو خُرِط

---

(١) **الماء النمير** الماء الزاكي.

(٢) **الشفرم:** الريحان بالإعجميّة، والشاهشفرم كما قال أصبح شاهاً للرياحين: أي ملكاً للرياحين.

(٣) **البان:** شجر معتدل القوام، جمع بانة، ويشبّه به القدّ لطوله.

● **الخودان**

قال بعضهم:

وكـأنّ الـخـودانَ فـيـهـا لآلٍ ... مشرقات نُظِمْنَ في عُنقودِ[1]

● **الخطميّ**[2]

قال الحسن بن محمد:

وقد أظهر الخطميّ نوراً كأنه ... صحافٌ من الياقوتِ فيها ذرائرُ

● **الزعفران**

قال الباذاني:

كأنّ صبايا الزعفران إذا بدَتْ ... نصالُ سهامٍ أفردَتْ لا تركبُ

وقال الباذاني الأصفهاني:

ورد يعظم والترابُ محلّه ... وترى الكريمَ يعزُّ حينَ يهونُ

وقال محمد بن بحر:

هاكَ خذها عرائساً يتصدّ ... يْنَ صباحاً ويختفين مساءَ

يتفلّقن عن صبايا ثلاثٍ ... قد تعانقْنَ إلفةً وصفاءَ

وقال آخر:

كتخطيطِ المطرّزِ في الكمامِ ... بلامٍ ثم لامٍ ثم لامِ

● **القطنُ النابتُ**

قال أبو العويص:

نشا عن ضمور واستدارة قالب ... فصارَ عريضاً ناتىءَ القصّاتِ[3]

وأثمر تفاحاً بغير تفكّه ... طويلٌ على تفاحةِ الشَجَراتِ

نما وربا حتى تفتّقَ صلبُه ... بأربعِ فقراتٍ له حدباتِ

وإن بُزَّ عنه شحمُه وسديفُه ... تزيّد شدقُ الفحلِ للنزواتِ[4]

شبيهُ فمٍ لشاهينٍ ينقَضّ فاغِرا ... ليَلْهَمَ يغفوراً على وكراتِ[5]

---

(١) لآل: مخفّف لآلىء.

(٢) الخطميّ: زهر من فصيلة الخبّازيّات، له ساق طويلة ـ الذرائر: جمع ذرارة وهي ما تناثر من الذريرة وهي من ضروب الطّيوب.

(٣) نشا عن: أي نشأ عن بتخفيف الهمزة. (٤) السديف: شحم السنام.

(٥) الشاهين: طائر من الجوارح ـ فاغراً: من فغر فاه أي فتحه ـ اليعفور: الظبي الذي لونه كلون العَفَر أي التراب.

● **الكماة**

قال النبي ﷺ: الكماة بقية من المن وماؤها شفاء للعين. والعجوة من الجنة، وفيها شفاء من السحر والسمّ **وأنشد الأصمعي لرجل من بني بكر**:

وأشعثِ قد ناولتُه أحرش القوي ... أدرت عليه المدجنات الهواضِب
تخطّاه القناصُ حتّى وجدته ... وخرطومُه في نبْع الماءِ راسب

يعني بالأشعث فقيراً وبأحرش القوي كماة خشنة.

قال الراعي:

بأرضٍ يبينُ النقْعُ فيها قناعة ... كما انتصَ شيخٌ من رفاعة أجلَحُ[1]

● **اللبلاب**[2]

قال الواواء:

لبلابَتي أحسنُ لبلابَه ... قد حوَت الحسنَ وأسبابَه
كأنها بالغُصْنِ ملتفّة ... متيّمٌ عانقَ أحبابَه

● **الريباس**

قال المرادي:

ومكنونةٍ من بنات الثرى ... تجمّع في البابِ خطّابُها
تمد يداً برزَت كفُّها ... بحر الزمرّدِ عنابُها

● **الباقلاء**

قال كشاجم:

تخالُ فيه النور جزِعاً في سخبِ ... أو بُلقِ طير وقعَت على قُضُبِ[3]

قال الصنوبري:

ونيات باقلاء يشبهُ وردُه ... بلقَ الحَمام مُقيمةً أذنابَها[4]

وقال:

فصوصُ زمرّد في غلف درّ ... بأقماعٍ حكَتْ تقليمَ ظُفْرِ[5]

وقال آخر:

زبرجدٌ ضمِّن درّةً لبّست ... حريرةً بطِّنَت بكافورِ[6]

---

(١) **الأجلح**: المنحسر شعره ن جانبي رأسه.

(٢) **اللبلاب**: نبت يتعلّق على الشجر من فصيلة القرنيّات، أصفر الزهر.

(٣) **السخب**: السخاب قلادة من قرنفل ـ **القضب**: الأغصان، جمع قضيب.

(٤) **البلق**: البيض. (٥) و (٦) **الزمرّد والزبرجد** من الحجارة الثمينة.

● **البطيخ**

قال بعضهم في وصفه: هو فاكهة وأدم وأشنان وحلواء وعند العدم قعب للمدام ويطل في الحمام.

قال كشاجم:

وزائـــرٍ زارَ وقـــدْ تـــعـــطّـــرا ... أســرّ شــهْــداً وأذاعَ عــنــبــرا[1]
مــلــتــحــفــاً لــلــصّــيــن ثــوبــاً أصــفَــرا ... يــظــنّــه الــنــاظِــرُ إن يــقــدرا
دبّ الــوبــا بــشــمــنــه فــأنــشــرا

وإذا أردت الشراء للبطيخ فخذ أثقلها راساً وأعظمها فلساً وأخشنها مساً.

قال أبو طالب المأموني:

وحمْراءَ خلْناها أذاعَت وأضمرَت ... وقـدْ عـلّ بـرديْـهـا جـسـامٌ وعـنـدمُ
قـراضـةُ تـبْـر فـي صـفـائـح فـضّـة ... تضمّنها حقّ من الجزع مسهمُ[2]
إذا قـطّـعـت كـانـت سـفـائـنَ لـجّـةٍ ... وإن لم تُقطّع فهي عِكم محزمُ[3]

وله:

ريـاضـةُ مـسـكـيّـة عـسـلـيّـةٌ ... لـهـا لـونُ ديـبـاجٍ وعـرفُ مـدامِ

● **ولهُ في البطيخِ الهندي**

ومـبـيـضـة فـيـهـا طـرائِـقُ خـضـرةٍ ... كما اخضرّ مجرى السيلِ في صِيبِ الحَزْنِ
كـحـقـةِ عـاجٍ صـيـغَـت بـزبـرجـدٍ ... حوَتْ قطعَ الياقوتِ في قطعِ القُطْنِ[4]

● **القِثّاء**

قال الخوارزمي:

يـا ربّ قـثّـاءٍ بـرود الـمـوردِ ... درّ الـحـشـا زمـرّد الـمـجـردِ
سـخـت الـروس لـصـور الـمـقـلـدِ ... مـثـل ذنـابـى ريـش ديـكٍ أعـقـدِ
قد التوَى فوقَ الثرى الرطبِ النّدى ... كـمـا تـلـوّى أسـودٌ بـأسـودِ
ذي زغـبٍ وفـيـه لـيـنُ الأجـرد ... كالخدّ بين الملتحي والأمرد[5]
كـأنـه فـي الـلـونِ والـتـأوّدِ ... صـوالـجُ ركـبـن مـن زبـرجـدِ
يـكـادُ لـلـيـن ولـلـتـعـقّـد ... تـجـنـيـه ألـحـاظُ الـفـتـى قـبْـل الـيـدِ
مـاء كـطـعـمِ الـسـكّـر الـطـبَـرزد

---

(١) **العنبر:** ضرب من الطيب، والعنبر الزعفران.

(٢) **القراضة:** ما سقط بالقرض وقرض الشيء قطعه. (٤) **الحقة:** الوعاء الصغير.

(٣) **العِكم:** ما شدّ من الثوب، أو الكارة أو العدل. (٥) **الأمرد:** الشاب الذي طرّ شاربه ولم تنبت لحيته.

● **الباذنجان**

وصفه **بعضهم فقال**: كرات أدم قمعت بكيمخت وحشيت بصغار الدرّ وسط لبن حليب وقمعت بنفسجا.

● **الزَرْعُ والغَرْسُ**

قال النبي ﷺ: ما من رجل يغرس غرساً فيأكل من إنسان أو طائر أو بهيمة إلا كان له صدقة.

وقالت عائشة: التمسوا الرزق في خبايا الأرض.

وقال ابن الزبير: عليك بالزرع فإن العرب كانت تتمثل لذلك ببيت شعر:

تَتَبَّعْ خبايا الأرض وادع مليكَها لعلّك يوماً أن تُجاب فترزَقا

وقال بعض البلغاء: أجود الزرع ما غلظت قصبته وعرضت ورقته، وأدهامت خضرته، وعظمت سنبلته، والتفّت نبته.

وقيل لبعض الفلاسفة: ما بال الحشيش أنضر وأغضّ من الزرع؟ فقال لأن الحشيش ابن للأرض والأرض داية للزرع. **وقيل**: للزرع ألف آفة ليس فيها أعظم من جور السلطان.

وقال النبي ﷺ: إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن يقوم حتى يغرسها فليغرسها. **وقال ابن عباس**: المتوكل من يبذر.

● **البرّ**(1)

قيل: أفضل نابت وأحب مأكول البر. **وقال بعضهم**: ما ظنّك بشجرة فتنت آدم وحواء وأخرجتهما من الجنة إلى دار الكلفة والمهنة وعصيانهما للرحمن، **وقال لهما إبليس**: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا﴾ الآية.

● **مفاضلة البرّ والتمر**

قيل: غلة النخل العنا وغلة البر الغنى. **وقيل**: البرّ خبز والتمر أدم والخبز أفضل من الأدم. وقيل البرُ إذا أُكِلَ لا بد وأن يداس ويُذَرّى ويغربل ويعجن ويخمر، ثم لا يأكله بغير أدم إلا جائع، ومن أكله بغير طحن وخبز تولّد في بطنه الدود.

والتمر يؤكل من النخلة على أي نوع أردت، ثم منافعه لا تحصى. واختلف في البر والتمر إثنان عند محمد بن سليمان **فقال**: طالما اختلف في ذلك الأمم. **وقال لابن داحة**: اقض بينهما فقال لصاحب البرّ: خبرني أيهما أوجد في الجدب؟ **قال**: التمر. **قال**: فأيهما أبقى على الغرق؟ **قال**: النخل **قال**: فأيهما الحرق أسرع إليه؟ قال السنبل **قال**: أيهما أمنع من النار؟ **قال**: النخل. **قال**: أي الأرضين أعز؟ **قال**: أرض النخل. فقال سلمان: قد

---

(1) البرّ: القمح.

قضيت وفضلت النخل.

- **الكرم**

قال أبو نواس:

لنا هجمةٌ لا يدرأُ الذئبُ سخلَها ... ولا راعَها زر العجالةِ والخَطَرُ[1]

إذا منحت ألوانها مالَ صفرها ... إلى الجوّ إلاّ أن ألوانها خضرُ

قال إبراهيم بن المهدي:

سلافةُ كرمٍ تظِلُ النبيط ... ترفعُ منه عريشاً عريشاً[2]

إذا أنتَ قابلته خلته ... مطارفَ خضرا كُسين النقُوشا

قال الرفاء:

وشاحبةُ الظلالِ مقرطات ... ظروفُ الراحِ من زنجٍ ورومِ

قال أبو رافع الهروي:

كأنّ عناقيدَ العرائشِ فوقَنا ... زنوجٌ ورومٌ علّقوا بالحناجرِ

- **مدح النخل**

قال ابن المعتز:

ظلّت عناقيدُها يخرجن من ورقٍ ... كما احتبى الزنجُ في خضر من الورقِ

وقال النبي ﷺ: أكرموا النخل فإنها عمّتكم. **وقال:** خلق آدم والنخلة والعنبة والرمانة من طينة واحدة. **وقال:** نعمت العمّة لكم النخلة تغرس في أرض خوّارة وتسقى من عين خرّارة.

وقال ابن دريد: سألت أعرابياً فقلت ما أموالكم؟ **قال:** النخل. **فقلت:** أين أنتم من غيره **فقال:** النخل سعفها صلاء وجذعها غماء وليفها رشاء وفروها إناء ورطبها غذاء.

وقال جعفر بن محمد: نعمت العمّة لكم النخلة، وعمرها كعمر الإنسان وتلقيحها كتلقيحه.

وقيل: خير أموال الناس أشبهها بهم. ووصف خالد بن صفوان لهشام النخل **فقال:** هنّ الراسخات في الوحل المطعمات في المحل الملقحات بالفحل، تخرج أسفاطاً عظاماً وأوساطاً كأنها ملئت رياطاً[3] ثم تفتر عن قضبان اللجين منظومة باللؤلؤ المزين، فيصير ذهباً أحمر منظوماً بالزبرجد الأخضر، ثم يصير عسلاً في لحاء معلقاً في هواء ووصفها بعضهم **فقال:** شريعة العلوق سائحة العروق، صابرة على الجدوب، لا يخشى عليها عدو الذئب. **وقيل:** إن النخلة تقول للنخلة: أبعدي ظلك من ظلي، أحمل حملي وحملك. **وقيل:**

---

(١) **السخل:** الحمل. (٢) **السلافة:** الخمر. (٣) **الرياط:** الملاءة من قطعة واحدة.

الحرب الخفي أن تقرب النخلة من النخلة وهو كما قيل: الحرب الخفيّ إذكار الإبل. **وقال بعض البصريين**: النخلة تقتل نفسها سنة وصاحبها سنة لأنها تحمل سنة كثيراً وسنة قليلاً **قال شاعر**:

لـنـا عـلـى دجـلـةَ نـخْـل مـنـتـخـلٌ نـسـلـفُـه مـاءً فـيـعـطـيـنـا عـسَـلْ
مـسـطـر عـلـى قـوام مـعـتـدِل يُـسْـقـى بـمـاء وهـو شـيء فـي الأكـل

وقال أحيحة بن الجلاح وكان قومه لاموه في ابتياعه النخيل:

يلومونني في اشتراءِ النّخيل قو مـي وكـلُّـهـم يـعـذلُ
تـغـشـى الـحـبـوب بـأذنـابـهـا ويـجـلـبُ مـن ضـرعـهـا مـن عـلُ
نـعـم لـعـمّـكـم نـافـع وطـفـلٌ لـطـفـلـكـم يـؤمـلُ
هـي الـمـالُ والـظـلّ حـق الـظـلـيـ ـلِ والـمـنـظـر الأحـسـنُ الأجـمـلُ

وقيل: سمّي النخل نخلاً لأنه منتخل.

● **ذمُّ النخل ووصفُ الرديءِ منه**

عاب أعرابي النخل **فقال**: صعبة المرتقى بعيدة الهوى، مهولة المجتنى، دقيقة السلاء، شديدة المؤونة، قليلة المعونة، خشنة المس، ضئيلة الظل.

وأهدى رجل إلى جحظة[1] نخلة زعمها قرشية، فغرسها ولم يزل يتعاهدها حتى حملت، فإذا هي دقلة. فجاء الرجل فسأله عنها **فقال**: ما فعلت قرشيتك؟ **فقال**: هي قرشية من ولد زياد.

قال بعضهم في نخلة قطعت فجعلت جذوعاً:

إلـى الله أشـكـو هـجـمَـة هـجـريـة تـحـرمـهـا مـرّ الـسـنـيـن الـغـوابـرِ[2]
فـأضـحـت رذايا تحـمِل الطينَ بعدما تـكـون غـنـى لـلـمـقـتـريـن الـمـفـاقـرِ

● **خرص[3] النخل والكرم**

كان لخثعمة البكارى نخيل فجاء خارص، يخرص عليه فأخذ فاساً وجعل يضرب أصولها، ويقول أقطعها فاستريح، فقال عريفه أكفف فليس عليك إلا الحق فقال:

لـئـن كـان هـذا الـخـرصُ فـيـكـن دائـب فـأبـعـدَكـنّ الله مـن نـخـلات
أفـي كـل عـامٍ خـارصٌ غـيـرُ عـادلٍ تـصـعّـدُ مـن أفـعـالِـه زفـراتـي

---

(١) **جحظة**: شاعر عبّاسي مرّ ذكره سابقاً. (٢) **السنين الغوابر**: السنين الماضية.
(٣) **الخرص**: جريدة النخل.

- **شجر التفاح المثمر**

قال أبو العلاء السروي:

وأشـجـار مـن الـتـفـاح زهـر ... ثـقـلـن بـحـمـلـه ثِـقـلاً وبـيـدا
تـظـلّ الـريـحُ تـنـشـرُهـا عـلـيـنـا ... فـنـلـقـطُـهـا ونـحـسـبُـهـا خـدودا

- **نفع التفاح وحسنه**

روي أن أرسطاطاليس حضرته الوفاة فاستدعى ثلاثة من تلامذته، فعجز عن مناظرتهم، فاستدعى تفاحة اعتصم بها وبرائحتها ريثما قضى وطره.

وقال أبقراط: الحمرة في التفاح صديقة الجسم وريحه صديقة الروح.

وذكر التفاح بحضرة المأمون **فقال:** في التفاح الصفرة الرديئة والحمرة الذهبية وبياض الفضة ونور القمر تلذّها من الحواس ثلاثة: العين بلونها والأنف بشمّها والفم بطعمها وفي وصف احمراره قيل:

خـدودُ مـلاحٍ كـدّهـا لـومُ لائـمِ

وقيل:

خدودُ عذارى قد جمعن على طبَق

قال أبو نواس:

الـخـمـرُ تـفـاح جـرَى ذائـبـاً ... ذلـك الـتـفـاح خـمـرٌ جـمَـد
فـاشـرَب عـلـى جـامـدٍ ذا ذوب ذا ... ولا تـدَع فـرصـةَ يـومٍ لـغَـد

وقال الرفاء:

لـو جـمـدت راحُـنـا اغـتـدَتْ ذهـبـاً ... أو ذابَ تـفـاحُـنـا غـداً راحـا(١)

وقال المأمون: لو أن التفاح ينحلّ لكان قزحاً، ولو تجسّم قزحٌ غداً تفاحاً.

- **التفاحة المهداة**

وقال ابن المعتز:

تـفـاحـةٌ مـعـضـوضـةٌ ... صـارتْ رسـولَ الـقُـبـل

وقال أبو هفان:

تـفـاحـةٌ مـن عـنـدِ تـفـاحـةٍ ... بـالـمِـسْـك والـعـنـبـرِ نـفّـاحَـه(٢)
أخـذتُـهـا مـن كـفّ ظَـبـيٍ وقـد ... كـانـتْ إلـيـه الـنـفـسُ مـرتـاحَـه
مـا مـسّـهـا طـيـبٌ ولـكـنّـهـا ... بـاشـرَهـا بـالـكـفّ والـراحَـه

---

(١) الراح: الخمر.

(٢) نفاحة: مبالغة من نفح، أي شديدة الانتشار.

وقال:

أهدى لنا التفاحَ من كفّه ... يا ليتَه أهداهُ من خدّه

● **معاتبةٌ من أكلَ التفاح**

نظر بعض الفتيان إلى آخر وقد أقبل على أكل التفاح في بعض المجالس فقال:

يا ذا الذي يأكلُ التفاحَ من شرّه ... رِفْقاً فقدتك يا حتْفَ التحيّات

وقال أبو إسحاق بن العباس:

إن الذي يأكلُ تفاحة ... لمُستخِفٌ بمهاديها

وقال الخبزارزي في الاعتذار لأكلها:

أكلتِ تفاحة فعاتبني ... فتى رآها كخدّ معشوقهِ

فقال خذّ الحبيب تأكلُه ... فقلت: لا، بل أمصّ مِنْ ريقِه

وقال رجل لآخر أكل تفاحة حيّاه بها: أتأكل التحيّات فقال: والمباركات والطيّبات.

● **اختلاف الأمكنة في إدراك الأصناف بصنعاء**

تدرك الحنطة بصنعاء مرتين، والشعير والذرة ثلاث مرات وأربعاً، والعنب دفعتين. وعندهم نحو سبعين لوناً عنباً. ويدرك الموز كل أربعين يوماً وعندهم قصب سكر، وباقلاء ولوز وتين ورمان وسفرجل.

● **تعانق الأشجار**

قال بعضهم:

كأنّ فروعَها في كلّ ريحٍ ... جوارٍ بالذوائبِ ينتَضينا[1]

وقال أبو محلم:

نشاوى تثنيها الرياحُ فتنثَني ... ويلثمُ بعضَ بعضِها ثم يرجعُ

وقال سعيد بن حميد:

وترى الغصونَ إذ الرياحُ تنفَّستْ ... ملتفَّةً كتعانُقِ الأحبابِ

وقال التنوخي:

عذارى تبائَثْنَ الحديثَ المكتّما[2]

وقال آخر:

فكأنّما ينوي التعا ... نُقَ ثمّ يدركهُ الخَجَلُ

---

(١) الفروع: الأغصان المتفرّعة ـ اللوائب: جمع ذؤابة وهي ضفيرة الشعر.

(٢) ريث الحديث: أذاعه ونشره ـ الحديث المكتّم: المكتوم أي غير المذاع.

● **ارتجاسُ الريحِ في الشّجر**

قال التنوخي:

كـأنّ إرتـجـاسَ الـريـحِ فـي جـنـبـاتِـه إذاعـةُ شـكْـوى أو مـرارُ تـعـاتُـبِ

وقال عبدان:

أنّ رقــارقَ الأرواحِ فــيــهــا نـشـيشُ مـلْـهـوجَـاتٍ فـي الـمَـقـالِ[1]

● **السروُ**[2]

كان بعضهم يبغض السرو **ويقول: كأنه** نساء لابسات حداداً. وكان **يقول:** كان السرو ذنب عرس.

خرج عبد الله بن طاهر **فقال له رجل: قد** جئتك ببشارة، **قد** صدق الله **قولك حيث تقول:**

أيـا سـرْوتَـيْ بـسْـتـان زكـي سـلـمـتـمـا ومـن لـكـمـا أن تـسـلـمـا بـضـمـانِ
أيـا سـروتَـيْ بـسْـتـان زكـي سـلـمـتـمـا وغـال حـبـيـبـي غـائـلُ الـحـدَثـانِ

فقد سقطت إحداهما. **فقال له عبد الله:** ألم يكن بالرقة حمّى تشغلك؟ وأمر له بخمسة آلاف درهم، **وقال:** أخشى أن لا أحقق ظنك.

● **نورُ شجَرِ الخلاف**

قال أبو حاتم الورّاق:

كـأن نـور شـجـرِ الـخـلافِ أكـفُّ سِـنَّـوْرٍ بـلا خـلافِ
مـردودةُ الـبـرثـنِ فـي الـغِـلافِ

● **ضروبٌ من الأشجار**

أشجار **اللبان** لا تورق بل تحمل أغصانها. **الكندر** أطول الشجر عمراً. شجر **الزيتون** فإنه يقال إنه يبقى ثلاثة آلاف سنة وكل زيتونة بفلسطين فمن غرس اليونانيين، وكانوا قبل الروم.

والبقم ينبت من غير أن يغرس، **والساج** تتصاعد في الهواء ملساء مستوية لا تخرج أغصاناً، وغاية طول الشجر مائة وعشرون ذراعاً وأوراقها عراض في رأس الشجرة كل ورقة تقطع لرجل سراويل.

وأشجار **الكافور** طوال ولها أغصان وعلى رأسها ورق مثل الترس وفي نفس الشجر

---

(١) **النشيش:** صوت الماء وغيره إذا غلى.

(٢) **السرو:** أي شجر السرو، وهو من فصيلة الصنوبريّات.

عقد، فإذا أراد الرجل الكافور عمد إلى فهر فيعلوها به فيضربها، فإذا أحس بها أنها قد فجرت، عمد إلى حبل فقلع الشجرة وتناثر الكافور الرياحي منها، فيجتمع في كل شجرة نحو ثلاثين منها وأما ماء الكافور فإنه يعمد إلى الأشجار التي لم تعقر فيضرب بالقدوم مواضع العقد، ثم تؤخذ قلّة وتشد على وقع القدوم فيسيل ماء الكافور من تلك الضربة ويجتمع في تلك القلّة.

وبالزنج القرنفل ومشتريه يأتي بالدنانير فيضعها على ساحل البحر وينصرف إلى منزله فإذا أصبح عاد إليه، فيجد هناك القرنفل وتكون الدنانير قد حملت. وبها الخيزران ويقال إنه خيزرانه يبلغ طولها تحت الأرض ست فراسخ.

ولبعضهم في العوسج[١]:

عذرنا النخلَ في إبداءِ شوْكٍ ... يذود به الأناملَ عنْ جناهُ[٢]
فما للعوسجِ الملعون أبدى ... لنا شوْكاً بلا ثمرٍ نراهُ
تراهُ ظنّ فيه جنى كريماً ... فأبدى عدةً تحمي حِماهُ
فلا يتسلّخن لدفعِ كفّ ... كفاه لؤم مجناه كفاهُ

(٤)
وممّا جاء في الأمكنة والأبنية

•

• مكّة

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾[٣] وهي حرم إلى يوم القيامة. وأيّ ناحية من الكعبة يصيبها المطر فالخصب في تلك السنة في تلك الناحية. ومن علا الكعبة من العبيد فهو حرّ، وإن الذئب لا يصيد بها الظباء. وإن الطير لا يعلو الكعبة إلا وهو عليل، وإذا طار فانتهى إلى الكعبة افترق فرقتين. وشأن الفيل معروف.

• المَدِينة

تسمى طيبة فإنّ من دخلها وأقام وجد من تربتها وحيطانها رائحة ليس لها اسم في الأراييح، وأنواع الطيب تزداد بها طيباً وقال ﷺ: إن إبراهيم عليه السلام حرّم مكة وأنا حرمت ما بين لابتي[٤] المدينة. ونهى أن يعضد شجرها، وقال: لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، ولا يكون بها مجذوم قطّ. وقال: اللهمّ حبّب إلينا المدينة كحبّنا مكة وأشدّ

---

(١) العوسج: جنس شجر أغصانه شائكة.
(٢) يذود عن جناه: يدافع عن ثماره.
(٣) القرآن الكريم: العنكبوت/ ٦٧
(٤) بين لابتي المدينة: اللابة الحرّة من الأرض.

وبارك لنا في صاعها ومدّها، وانقل حماها واجعلها بالجحفة.

● **مِصْر**

لم يذكر الله تعالى شيئاً من البلدان باسمه سوى مصر، وذكرها في مواضع بالكناية **فقال**: وقال نسوة في المدينة **وقال**: فلن أبرح الأرض يعني مصر. وسئل بعضهم عن مصر **فقال**: عيش رخي وموت وحي

● **الكُوفَة**

قال ابن عباس: لو كانت البصرة أمة للكوفة فضلّت ما طلبت رغبة عنها.

وقال كوفي لبصري: أتمدّون أرجلكم مع أهل الكوفة، ولقد كانوا يقرؤون بقراءة أسلاف الحرمين. فجاء حمزة الزيات من الكوفة فقرأ بلغة لا تعرفها العرب فتتابع الناس على قراءته حتى سكان دور الخلفاء.

وكانت القضاة والفقهاء على أحكام سلفهم، حتى جاء أبو حنيفة فتتابع كل الناس على رأيه.

● **البصْرة**

قال الأحنف: نحن أعذب منكم برية وأكثر بحرية وأبعد سرية. **وقال خالد بن صفوان**: نحن أكثر منكم ساجاً وعاجاً وديباجاً وخراجاً ونهراً عجاجاً، **وقال**: مياهها قصب وأنهارها عجب وسماؤها رطب وأرضها ذهب، وتبقى النخلة بالبصرة مائة وعشرين سنة وتبقى كأنها قدح وما تطول نخلة بالبصرة إلا أعوجت. **وقيل**: تمثلت الدنيا على مثال طائر فمصر والبصرة جناحاها.

● **وصفُ جماعةٍ من البلدان**

قال الحجّاج لابن القرية: صف لي البصرة، **قال**: حرّها شديد وشرها عتيد. مأوى كل تاجر وطريق كل عابر. **قال**: **فواسط**، **قال**: جنة بين حمأة وكمأة[1] **قال**: **فالكوفة**، **قال**: نقصت عن حر البحرين وسفلت عن برد الشأم فطاب ليلها وكثر خيرها. **قال**: **فالشأم**، قال عروس بين نسوة جلوس أطوع الناس للمخلوق في معصية الخالق.

قال: **فخراسان**، **قال**: ماؤها جامد وعدوّها جاهد، بأسهم شديد وحرّهم عتيد. **قال**: **فكرمان**، **قال**: ماؤها وشل[2] وتمرها دقل[3] وعدوها بطل. إن قلّ الجيش بها ضاعوا وإن كثر جاعوا.

قال: **فأصبهان** قال في حاضرة من الأرض زائغة[4] من الطريق الأعظم. **قال**:

---

(١) **الكمأة والكمء**: جنس فطر يعيش تحت الأرض، يميل لونه إلى الغبرة.

(٢) **ماء وشل**: أي قليل. (٣) **تمرٌ دقل**: الدقل أردأ التمر.

(٤) **زائغة**: منحرفة.

وأحسن الأرض مخلوقة الريّ، وأحسن الأرض مصنوعة جرجان[١]، وأحسن الأرض قديمة وحديثة جندي سابور[٢] وهو شر البلاد.

ودخل **محمد بن عبد الملك الزيات على المأمون فقال**: صف لي **أصبهان** وأوجز. **قال**: هواؤها طيب وماؤها عذب وحشيشها الزعفران، وجبالها العسل؛ إلا إنها لا تخلو من خلال أربع: جور السلطان، وغلاء الأسعار، وقلة مياه الأمطار فأطرق ساعة، **وقال**: لعلّ تجارها مرابون وقُراءها منافقون.

وقال المأمون: صف لي فارساً قال فيه من كل بلد بلد.

وسئل أعرابي عن **شهرزور**[٣] **فقال**: إن رجالها لتوّق وعقاربها لبرق أي شائلة أذنابها.

وقال في بغداد: هي الشمطاء الحرقة والعجوز المتدللة والعمياء المتكحلة، والشملاء المختضبة. هواؤها دخان ونسيمها صدام تنقبض فيها أيدي المستغنين، وتصغر أنفس المفضلين. تجارها أسد مفترسون وصناعها لصوص مختلسون جارها حاسد ومزاجها فاسد.

● مضارّ البُلدانِ ومنافعُها

خيبر يحمّ بها كل يوم مقيموها دون الطارئين عليها:

ولكنّ قومي أصبحُوا مثْلَ خيبر ... بهـا داؤهـا ولا يـضـرُّ الأعـاديـا

وقيل حمى خيبر، **وطحال** البحرين، **ودماميل** الجزيرة، **وطاعون** الشأم. ومن أقام **بالأهواز** حولاً فتفقد عقله وجد فيه نقصاً بيناً. ومن أكثر الصوم **بمصيصة**[٤] خيف عليه الجنون.

وقصبة **الأهواز** تقلب من نزلها إلى طبائع أهلها، ومحمومها إذا نزعت عنه الحمى عادته من غير علة. وفي جبالها الأفاعي وفي بيوتها الحرارات.

وقيل من نزل **الكوفة** ولم يقرّ لهم بثلاث فليست له بدار بفضل أمير المؤمنين وماء الفرات ورطب المشان. ومن نزل **البصرة** ولم يقر لهم بثلاث فليست له بدار فضل عثمان والحسن ورطب السكر.

وقال حكيم بن جابر: قال الجوع أنا لا حق **بأرض العرب قالت الصحة**: وأنا معك.

● عجائبُ البُلْدان

بشيراز تفاحة نصفها في غاية الحلاوة ونصفها في غاية الحموضة. وبقرب

---

(١) جرجان: مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان، أخرجت العديد من الأدباء والعلماء (انظر معجم البلدان: ٢/١٣٩).

(٢) جندي سابور: مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه (انظر معجم البلدان: ٢/١٩٨).

(٣) شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان (معجم البلدان لياقوت: ٣/٤٢٥).

(٤) مصيصة: مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، على مقربة من طرسوس.

قرميسين[1] قرية يقال لها **كركان**[2] من أخذ من طينها ليلة الميلاد، وطيّن به داره وبيته أمن الغوائل إلى قابل.

وفي بعض **جزائر الصين** حيّات تبتلع الإبل والبقر، وقردة كالحمير **وبمصر** حجر من يمسكه في يده يتقايأ ما دام في يده. **والسف** حجر يطفو على الماء **والأبنوس والشير** يرسبان فيه **والمغناطيس** حجر يجذب الحديد، وإذا مسح بالثوم لم يجذب.

وبالأندلس السفلى **وبالهند** نار تشتعل في حجارة ولو رام أن يحمل منها شعلة لم تتّقد وبمدينة **ختن** من حدود الصين، طواحين كثيرة يدور الحجر الأسفل والذي فوقه قائم لا يتحرك. **وباذربيجان**[3] واد لا يقدر أحد أن ينظر إليه.

● أرضُ العَرَبِ

قيل: إن **نجداً** من **العذيب** إلى ذات عرق وإلى **اليمامة** وإلى **اليمن** وإلى جبلَيْ **طيء**، ومن ظهر **البصرة** وهو **المربد** إلى **وجرة**. وذات عرق أول **تهامة**[4] إلى البحر وإلى **جدّة**. وإن **المدينة** لا تهاميّة ولا نجديّة، **فإنها حجاز** فوق الغور ودون **نجد**. وأنها جلس لارتفاعها عن الغور ونجد

وقيل القرى العربية **مكة والمدينة والطائف واليمامة**، **فأما البحرين** فهو خلط فيه عرب وعجم.

● حدّ السّوادِ

من لدن **الموصل**[5] ماراً إلى ساحل البحر ببلاد عيان من شرقي دجلة. هذا طوله وأما عرضه فحدّه منقطع الجبل، من أرض **حاران** إلى منتهى طرف **القادسية** المتصل بالعذيب من أرض العرب، وعليه وقع الخراج والمساحة.

● الأبنيةُ المحْكَمَةُ

من ذلك **الخورنق** بناه **سنمار** لكسرى على فرات الكوفة، فلما صعده كسرى أعجب منه وخاف أن يبني لغيره مثله فقتله. **وقيل**: إنما قتله لقوله أعرف في أركانه موضع حجر إن نقضته تداعى هذا البناء كله. ومن ذلك مارد والأبلق الفرد، وفي المثل تمرد مارد وعز الأبلق.

وغمدان باليمن من أعجب ما بنى الملوك أربعة عشر غرفة بعضها فوق بعض، **فهدم الحبشة** بعضها وهدم **عثمان** بعضها، كما هدم آطام المدينة **والمشقر** وقصر **سنداد** بالكوفة وفيه يقول الأسود:

ماذا أؤمّلُ بعدَ آلِ محرّق ... تركُوا منازلَهم وآلَ إيادِ

---

(١) **قرميسين**: بلد معروف على مسافة من همذان. (٢) **كركان**: قرية بفارس (معجم البلدان: ٤/٥١٣).

(٣) **أذربيجان**: إقليم واسع غربي أرمينية.

(٤) **تهامة**: السهل الساحلي الضيّق الممتد من شبه جزيرة سيناء إلى أطراف اليمن.

(٥) **الموصل**: مدينة مشهورة تصل بين دجلة والفرات تقع على طرق دجلة وفي مقابلها خرائب نينوى.

أهـل الـخَـوَرْنـقِ والـسَّـديـر وبَـارقٍ   والـقـصـرِ ذي الـشـرفـاتِ مـن سِـنـدادِ

وبناء **الإسكندرية** وقد ذكره **النابغة** في قوله:

وخيّسِ الجنّ إني قد أذنتُ لهُم   يبنونَ تدمرَ بالصفّاحِ والعَمَدِ

وكان **المنصور** تقدّم بهدم إيوان **كسرى**، وحمل نقضه إلى **مدينة السلام**. **فقال له خالد**: لا تهدم بناء دلّ على فخامة قدر بانيه الذي غلبته وأخذت ملكه، فتعجز عنه فيدلّ ذلك على عجز منك، **فقال**: هذا الميل منك إلى المجوس، وأمر بهدمه فعجز عنه، **فقال**: يا خالد صرنا إلى رأيك، **فقال**: الآن أشير أن لا تكفّ عنه. فإن الهدم أيسر من البناء. ويتحدث الناس أنك عجزت عن هدم بناء بناه عدوّك.

وقال المأمون لما سمع هذا: قد حبّب إليّ هذا الخبر، أن لا أبني بناء يعجز عن هدمه.

والهَرَمان قيل كل هرم سمكه أربعمائة في الهواء مبنية بحجارة المرمر والرخام، وغِلظ كل حجر وطوله ما بين عشرة أذرع إلى ثمان أذرع، مهندم لا يستبين مسّاده إلا حادُّ البصر، عليها منقور كل عجب من الطب والطلاسم **ومكتوب عليه**: إني بنيتها فمن ادّعى قوة في ملكه فليهدمها، والهدم أيسر من البناء. وأراد بعض الخلفاء هدمها فإذا خراج مصر لا يقوم به فتركها.

وفي الخبر أن **الإسكندرية** بقيت مدة لا يدخلها، أحد إلا على بصره خرقة سوداء من بياض جصّها وبلاطها، وقيل بنيت في **ثلاثمائة سنة**، وكان فيها **ستمائة ألف من اليهود** خولاً لأهلها.

● اختيارُ بلدٍ دونَ بلَد

قيل: لا تقيموا ببلد ليس فيها نهرٌ جارٍ وسوقٌ قائمة وقاضٍ عدل. **وقيل**: لا تبنى المدن إلا على الماء والمرعى والخصب

● مدحُ الدورِ الواسعة

مر النبي ﷺ ببناء يبنى، **فقال**: أوسعوه. **وقيل**: خير المنازل ما سافر فيه البصر وأترع فيه البدن. **وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر**: تريد أن تبني دارك فاعلم أنّ عمرانها عمران قليل وخرابها خراب قليل، فاستوسع فإن الهمّة مع السعة. **وقال**: دارك قميصك فإن شئت فوسّعها وإن شئت فضيّقها.

وسئل بعضهم ما الغنى؟ **فقال**: سعة البيوت ودوام القوت. **وقيل لآخر**: ما السرور؟ **فقال**: دار قوراء[1] وامرأة حسناء، ويسار مع طول البقاء.

---

(١) الدار القوراء: الواسعة.

● **ذمّ الدور الواسعة**

دخل بعض الناس على كبير يبني داراً واسعة، كبيرة الدرع واسعة الصحن رفيعة السمك عظيمة الأبواب، **فقال**: أعلم أنك ألزمت نفسك مؤنة وعيالاً يقلّ حمل مثلهم ولا بدّ لك من الخدم والستور على حسب ما ابتنيته فقد حملت نفسك عناء معنياً.

● **ذمّ الدور الضيقة**

وصف رجل داراً ضيّقة **فقال**: أضيق من أفحوص[1] القطاة، وأضيق من بياض الميم ومن خرق الإبرة ومن عقد تسعين ومن مبعج الضبّ. وقيل شؤم الدار أن تكون ضيقة فيكثر سخط مالكها ولا يرضى بما قسم له فيها. وشؤم الدابة أن لا تكون فارهة، وشؤم المرأة أن لا تكون موافقة.

قال ابن المعتز:

ولكنها في دار سوء كأنها ... بقية ناوس على ساحل البحر[2]

وقال ابن الحجّاج:

في منزلٍ غمر الو ... قتُ أهلَه بالرّخاءِ
وقدّم السخاء حتّى ... يصحّ معنى الهجاءِ
خالٍ علَى كلّ حالٍ ... من سائرِ الأشياءِ
سوى كنوزٍ بطونٍ ... مكنوزةٍ في الخلاءِ
أخافُ فيه وأخشى ... من لا يخافُ هجائي
ومن ضِراطي وشعْري ... في وجْهه بالسّواءِ
جزاهمُ الله عنّي ... تصحيفَ معنَى الهجاءَ

● **الحثّ على إحكام البناء**

لما بلغ **عمر** رضي الله عنه أن سعداً وأصحابه بنوا بالمدر كتب إليهم: قد كنت أكره إليكم البنيان بالمدر. أما إذا فعلتم فعرضوا الحيطان وأطيلوا السمك وقاربوا بين الخشب.

ولمّا بنى **معاوية** رضي الله عنه داره باللبن دخلها **الروم فقالوا**: ما أجودها للعصافير فهدمها وبناها بالحجر. **وقال يحيى البرمكي**: ينبغي للإنسان أن يتنوق في دهليزه فهو وجه الدار ومنزل الضيف ومجلس الصديق إلى أن يؤذن له.

● **الدّارُ الحَسَنة**

دخل **المعتصم** على **خاقان** في داره عائداً له، والفتح[3] يومئذ غلام **فقال له**: يا فتح

---

(١) **الأفحوص**: الموضع الذي تفحص فيه القطاة التراب لتبيض فيه.

(٢) **ناوس**: أي الناووس وهو حجر منقور توضع داخله جثة الميت.

(٣) **الفتح**: يريد الفتح بن خاقان الذي أصبح وزير المتوكل، وهو تركي الأصل.

دارنا أحسن أم داركم؟ قال دارنا ما دام أمير المؤمنين فيها.

وقال جعفر بن سليمان ليس في الدنيا أحسن من داري قيل: كيف؟ قال: لأن العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد.

وقيل لأبي الدهمان أين دارك؟ فقال: إذا دخلت سكة بني العنبر، فالدار التي تدل على شرف أهلها هي داري. وقيل أجود الدور وأكثرها غلة ثلاثة دار البطيخ بسرّ من رأى[1]، ودار الزبير بالبصرة، ودار القطن ببغداد.

قال شاعر:

مـنـزلٌ فـيـه كـلّ مـا صـبَـتِ ... الـعـينُ إليـهِ مـن بـهْـجـةٍ وضـيـاءِ

وقال رجاء بن الوليد:

كـانَ الـربـيـعُ بـالـزخـارفِ أرضَـه ... وحسْنَ الـسّـماءِ بـالـكواكبِ سقْفهُ

وصف بعضهم دهليزاً فقال:

ودهـلـيزِ دارٍ فـيـه لـلـحُـسْـن بـهـجـةٌ ... ولـلـنـفْـسِ فـيـه لِـلّـذاذة أوطـارُ

إذا دخـلَ لـم يـخـتـبـر مـا وراءَه ... تـوهـمَـه مـن طـيـبـهِ أنـه الـدارُ

وقال عبدان:

دهـاليـزُنـا ضـاقَـتْ لـخوفِ نـزولِـهم ... كـأنّـا يـهـودٌ نـدخـلُ الـبـابَ سـجّـدا

● القُصورُ الرفيعَة

لما بنى عيسى بن جعفر بناءه بالبصرة، دخل إليه عبد الصمد فقال: بنيت أجلَّ بناء بأطيب فناء، وأوسع فضاء على أحسن ماء بين صرار ورعاء وحيتان وظباء، فقال عيسى: كلامك أحسن من بنائنا البحتريّ في الجعفرية:

مـخـضـرةٌ والـغـيـثُ لـيـسَ بـسـاكـبٍ ... مـبـيـضّـةٌ والـلـيـلُ لـيـس بـمـقـمـرِ

أربى عـلى هـمـمِ الـمـلوكِ وغـضّ من ... بنيـانِ كِسْرى في الزّمـان وقـيصَـرِ[2]

عـالٍ عـلـى لـحْـظِ الـعـيـونِ كـأنّـمـا ... ينظرْنَ منه إلى بياضِ المشتري[3]

مـلأت جـوانـبُـه الـفـضـاءَ وعـلّـقـتْ ... شـرفـاتُه قـطـعَ الـسـحـابِ الـمـمْـطِـرِ

وقال ابن عيينة

فـيـا حـسـنَ ذاك الـقـصـرِ من متـنـزهٍ ... بأفيح سهـلٍ غيرِ وعرٍ ولا ضـنْـك[4]

---

(١) سرّ من رأى: هي بلدة السامراء في العراق، بناها العباسيون سنة (٨٣٦م)، على مسافة ١٠٠ كيلو متر شمالي بغداد.

(٢) أربى: زاد ـ غضّ منه: قلّل من شأنه ـ كسرى: من ملوك الفرس ـ قيصر: ملك الروم.

(٣) المشتري: كوكب يتفاءل به، بخلاف المريخ الذي يتشاءم باسمه.

(٤) ضنك: ضيق.

بغرسٍ كأبكارِ الجواري وتربةٍ ... كأن ثراها ماءُ وردٍ على مِسْكِ
كأنَّ قصورَ القوْمِ ينظرْن حولَه ... إلى ملكٍ مترفٍ على منبر المُلكِ
يدلّ عليها مستطيلاً بحسنه ... ويضحكُ منها وهي مطرقةٌ تبْكي

وقال الأشعري في قلعة افتتحها المسلمون بخراسان:

محلّقةٌ دونَ السماءِ كأنّها ... غمامةُ صيفٍ زالَ عنْها سحابُها
فما يلحقُ الأروى شماريخَها الذرى ... ولا الطيْر إلا نسرُها وعقابُها[1]
فما روعت بالذئبِ ولدانُ أهلِها ... ولا نبحت إلا النجوم كلابُها

وقال أحد الخالديين:

وخرقاء قد تاهتْ على مَنْ يرومُها ... لمرقَبِها العالي وجانِبِها الصعْبِ
يزرّ عليها الجوُّ جيبَ غمامةٍ ... ويلبسُها عِقداً بأنجمهِ الشهْبِ

● **اختيارُ طرفِ البلدِ ووسطهِ**

قيل: الأطراف للأشراف وقيل لرجل: في أيّ موضع من القرآن الأشراف في الأطراف؟ قال: في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[2] فهذا أشرفهم وكان أقصى المدينة وطرفها.

وسأل الرشيد عبد الملك بن صالح عن منزله أهو لك؟ فقال: هو لك ولي بك. قال: كيف هواؤه وماؤه؟ قال أطيب هواء وأعذب ماء. قال: كيف ليله؟ قال: سحر كلّه.

● **أبنيةٌ متفاوتة**

استدان بعض الحمقاء خمسمائة درهم فأنفقها على مخزنه، فبلغ ذلك بعض إخوانه، فقال: ليت شعري ما يريد أن يخرأ فيه؟ وسأل رجل آخر: كم بيت في منزله؟ فقال صفة وكنيفان. فقال: هذا تقطيع رجل مبطون.

● **من بَنى بناءً نفعُه لغيره**

لما بنى الحجاج مدينة واسط قال لابن جامع: كيف ترى؟ قال: بنيته في غير بلدك وورثته لغير ولدك.

قال شاعر:

ألم ترَ حوشياً أضحى ويبني ... بناءً نفعُه لبني نفيلَه
يؤمل أن يعمرَ عمْرَ نوحٍ ... وأمرُ الله يأتي كلَّ ليلَه

---

(١) العقاب: من الطيور الجارحة.

(٢) القرآن الكريم: القصص/ ٢٠.

وقال:

لِـدُوا لـلـمَـوْت وابـنُـو لـلـخَـراب فـكـلُّـكـم يـصـيـرُ إلـى الـتـرابِ[١]

وبنى أزدشير[٢] بناء عظيماً فدخله هو ووزيره، **فقال**: هل فيه عيب؟ **قال**: عيب عظيم لا يمكنك إصلاحه. لك منه خروج لا دخولَ بعده، أو دخول لا خروج بعده. **فقال**: لقد نغّصته عليّ.

ودخل ابن السائب القاضي على المتّقي وقد بنى داره، **فقال له**: كيف ترى؟ **فقال**: تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنّات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً.

● الرغبةُ عنِ البناء

قيل ليزيد بن المهلب: مالك لا تبنى بالبصرة داراً؟ **فقال**: أنا لا أدخلها إلا أميراً أو أسيراً. فإن كنت أسيراً فالسجن داري، وإن كنت أميراً فدار الإمارة داري.

ومرّ رجل من الخوارج على دار تبني، **فقال**: من هذا الذي يقيم كفيلاً؟ **وقيل**: كل مال لا ينتقل بانتقالك فهو كفيل. ولما بنى مروان داره **قيل لأبي هريرة**: كيف ترى؟ **فقال**: بناء شديد وأمل بعيد وعيش زهيد.

● حرصُ الإنسان على البناء وذمُّ الاشتغال به

قيل خلق الله ابن آدم من تراب فهمته في حفر التراب، وخلقت المرأة من ضلع الرجل فهمتها في الرجل. **وقيل**: ليس في الأرض جواد ولا بخيل ابتاع داراً إلا هدم هذا وبنى هذا وإن قلّ.

ونظر الحسن إلى قصور لبعض المهالبة **فقال**: يا عجباً رفعوا الطين وركبوا البراذين[٣] واتخذوا البساتين وتشبهوا بالدهاقين، فذرهم في غمرتهم حتى حين.

ومر **عبد الله بن جعفر بعبد الله بن صفوان** فأدخله بساتين اتخذها **وقال له**: كيف ترى؟ **قال**: أراك خالفت ما قال لك إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ﴾[٤]، وأنت قد اتخذتها بساتين.

● المعيّر بأن شرفَه بناؤه

هجا بعضهم بني عميرة وكان لهم دار شريفة في الدور الشارعة على المسجد فقال:

بـنـو عـمـيـر مـجـدُهـمُ دارهُـم وكـلُّ قـومٍ لـهـمْ مـجـدُ

---

(١) إلى التراب: وفي رواية إلى يباب. (٢) أزدشير: من ملوك الفرس.

(٣) البراذين: جمع برذون وهو دابة الحمل الثقيلة، والتركيّ من الخيل.

(٤) القرآن الكريم: إبراهيم/ ٣٧.

كأنهم فقع بدوية ... ليس لهم قبلٌ ولا بعدُ

وهجا بعضهم بني عدي فقال:

ليسَ لهم مجدٌ سوى مسجدٍ ... به تعدوا فوقَ أطوارِهم

لو هُدمَ المسجدُ لم يُعرَفوا ... يوماً ولم يُسْمَعْ بأخبارِهم

وقال عمر الخارق:

قد رأينا حسنَ سابا ... طك والدارَ الجليلَه

وعلمنا أنّ فيها ... كلُّ ما يكفي قبيلَه

غيرَ أنّ الجنَّ لا تخسِن ... في خبرك حيلَه

وقال:

يا منْ تشرّفَ بالبُنيان يرفعهُ ... ليس التشرّفُ رفعَ الطين بالطّينِ

إذا أردتَ شريفَ الناس كلّهم ... فانظر إلى ملكٍ في زيِّ مسكينِ

وقال مسكويه:

لا يعجبنّك حسنُ القصرِ تنزلُه ... فضيلةُ الشمسِ ليسَتْ من منازِلها

● الجار

قيل: الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق. **وكان ابن المقفع** بجنب داره دار، وكان يستامها[1] وصاحبها يمتنع من بيعها. **فاتفق** أن ركب صاحب الدارين واحتاج إلى بيعها فعرضت عليه. **فقال:** ما قمت إذاً بحرمة الجوار إن رغبت من ابتياعها بعد أن باعها معدوماً. وحمل إليه ثمن الدار **وقال:** بقّ دارك عليك ورد هذا على دينك.

وساوموا جاراً لفيروز على داره بثمن **فقال:** هذا ثمن الدار فأين ثمن الجوار؟ **قالوا:** وهل يباع الجوار؟ **قال:** نعم لا أبيعه إلا بإضعافه دراهم فبلغ فيروز فأرسل إليه بثمن الدار.

● هدمُ دورِ السلاطين المتقدّمة

قيل لابن الزبير: أهدم دور بني أمية. **قال:** لا أفعل إن ظفرت بهم فهي مبنية أفضل وإن عطفت عليهم بأرحامهم فهو أجمل. فلما قتل ابن الزبير لم تمس لهم لبنة ولما همّ أهل البصرة بهدم دار زياد وانتخاب أهلها، **قال الحسن رضي الله عنه:** قلّ بلدة خربت الدار التي بنيت عليها إلا خربت وإن البصرة بنيت على دار زياد، **فانتهوا** عن ذلك.

● بيعُ الدار وابتياعُها

قيل: لتكن الدار أول الشيء الذي يبتاع وآخر ما يباع. **وقيل للأحنف:** أي المال أبقى وأوفى؟ **فقال:** المساكن والأرضون.

---

(١) استام يستام فلاناً السلعة: سأله تعيين ثمنها.

وقال ﷺ: من باع داراً أو عقاراً فلم يرد ثمنهما في مثلها، كان كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف. **وفي حديث آخر**: فذلك مال جدير أن لا يبارك فيه. وباع رجل داراً فلما أراد أخذ الثمن وأشهد، **قال البائع**: أما أنك قد أخذتها غليظة المؤنة قليلة المعونة، **فقال المشتري**: أما أنك قد أخذتها سريعة الذهاب بطيئة الاجتماع.

● **ذكرُ غلّةِ الدّار**

قيل: غلة الدار مسيل، وغلّة النخل كفاف، وغلّة الحب غنى. **وقال الحكم بن سعيد** قال لي ملك سرنديب: صف لي أهل البصرة، **فقلت**: قوم لهم نخل يأكلون فضول ثمارهم، وقوم لهم دور يكرونها، وقوم لهم أرقاء يستعملونهم، وقوم لهم أموال يغدون إلى الأسواق فيأكلون فضولها **فقال**: من كان معاشه من كراء منزله فلئيم، ومن استعمل الأرقاء فكلب ولكن أصحاب النخل بها.

● **نوادرُ في كِرائها**

دخل رجل ليكتري حجرة **فقال**: أين المطبخ؟ **قيل**: في الجيران من يطبخ لك. **قال**: فأين المخبز؟ **قيل**: هم يخبزون لك. **قال**: فأين المرتقى إلى السطح؟ **قيل**: على باب الدار ساحة يطيب النوم بها. **قال**: إن كانت حوائج الدار كلها خارجها فنحن خارجون ونربح الأجرة.

● **الرحاء**

قال بعض الشعراء فيها:

وضيفَيْن جاءا من بعيد فقربا ... على فرش حتّى اطمأنَّ كلاهُما
قريْناهما ثم انتزعْنا قِراهما ... لضيفينِ جاآ من بعيدٍ سِواهما

وقال:

أغدو علي كالناب في هِجارها ... الشارفِ النافرِ من حوارها
بصاحب قد ضجَ من إمرارها ... كأنَ فوقَ النار من غبارها
شيب عجوز شفّ من خِمارها

● **الحمام**

قال النبي ﷺ: بئس الحمّام يهتكُ العورة ويذهب الحياء

وقال الرفاء:

يتمشّى إلى النعيم الذي فيـ ... ـه صلاحُ الأجسادِ والأرواحِ
بيتُ ريفٍ تَرودُ عينُك فيـ ... ـه بسوادِ الطلى وبيضِ الفقاحِ

وقيل للمفضل الرقاشي: صفِ الحمّام، **فقال**: نعم البيت الحمّام يذهب

القشافة[١] ويعقب النظافة، ويهضم الطعام ويجلب المنام، وينفي الغضب ويقضي الإرب. قيل: قد مدحته، فذمّه قال: بئس البيت الحمام يهتك الأستار ويؤلف الأقذار ويحرق كالنار، وقال شاعر:

وبيتُ خزيٍ تَرى فيه العُراةَ كمَا يومَ القيامةِ موقُوفون للنار
أيدي عُفاةٍ وقد مدّت إلى ملكٍ يعطي الجزيلَ بقلْبِ غيرِ خوّار[٢]

ورد أعرابي الحضر فمر بحمّام فقيل له: أدخل وتطهر فدخل فَشجّ رأسه، فقال:

وقالوا تطَهّر إنه يومُ جمعةٍ فرحتُ من الحمّام غيرَ مطهّرِ
وزوّدتُ منه شَجّةً فوقَ حاجبي بفِلْسيْن إني بئسما كان متْجَري
وما تحْسِنُ الأعرابُ في السّوقِ مِشيةً فكيفَ ببيتٍ من رُخامٍ ومَرْمَرِ

وقال السريّ:

ذو قبّة كسماءِ والبدورُ لها جاماتُها في أعالي الجوّ تَنْسَرِجُ
حرّ وبردٌ وماءٌ والهواءُ بهِ معدل منْهُما ما شانَه عِوَجُ

وقال:

كأنّ ما قببَ من سقْفه قحفٌ من البلّورِ مكْبوبُ

وقال ابن المعتز:

وحمّامُنا كالعَجوز ويشقَى بها الواردُ
فبيتٌ له منتنٌ وبيتٌ له باردُ

● النورَة

قال السري الرفاء:

ومجرّد كالسيفِ أسلمَ نفسه لمجرّد يكسوهُ ما لا يُنْسَجُ
ثوبٌ تمزّقه الأناملُ رقّةً ويصيبُه الماءُ القراحُ فينهَجُ
وكأنّه لما انتهى في خضرةٍ ثوبانِ ذا عاجٌ وذا فيروزَجُ

وقال:

وقمص حجارة نسجت بماءٍ ويلبسُها الغَنِيُّ معَ الفقير

● الأطلالُ البالية

قال بكر بن النطاح:

لعبَ البلاءُ بطولِها ورسومِها لعبَ الصبابةِ في فؤادِ العاشقِ

---

(١) القشافة: سوء الحالة.

(٢) الخوّار (صيغة فعّال للمبالغة): الضعيف.

وقال معلى الطائي:

لَبِسنَ البِلى حتّى كأنَّ رسومَها طَعِمْنَ الهوى أو ذقنَ هجرَ الحبائبِ

وقال:

هو مُلْقى على الطّريقِ اللّيالي

وذكر أعرابي قوماً فقال: كانوا بدور جموع وجمال ربوع، فصارت منازلهم معتصر الدموع، جرت بها: الريح أذيالها وحطت بها الغيوث أثقالها وسلبتها الأيام جمالها.

● **الباليةُ بالمطَر**

قال ماني:

المزنُ يَمْحو بكفٍّ مالُه قلمُ[١]

وقال:

رهينةُ أرواحٍ وصوبُ رُعودِ

وقال بشّار:

وأبْدي البِلى فيها سُطوراً مبيّنَةً عباراتُها أنّ كلّ بيْتٍ سيدْثُرُ[٢]

وقال ابن المعتز:

وحِيطانٌ كشطرنجٍ صفوفٌ فما تنفكُّ تضربُ شاه ماتَا

وقال:

أرى سرّمرا مذ سنين كثيرة تزيدُ خَراباً كلَّ يومٍ وتذبُلُ[٣]
كأنّ بها داءً دخيلاً فجسمُها على ما بها منْ سقمِها يتسلّلُ

● **دارٌ شوهدَ منها النعيم**

قال:

لعهدي به والسّعدُ في جنباتِه وثغرُ نعيمُ الخفضِ يُبدي تبسّما

● **استقباحُ المنزلِ لارتحالِ الحبيب عنه**

قال سليمان المحاربي:

إذا لمْ تكنْ ليلى بنجْدٍ تغيّرتْ محاسِنُ دنيا أهلِ نجدٍ وطيبُها

وقال:

فما أحسنَ الدنيا وفي الدا رِ خالدٌ وأقبحَها لمّا تجهّزَ غازيا

وقال علي بن محمد:

إنّما الدارُ بالحلولِ فإنْ همُ فارقُوها فحيثُ حلّوا الديارا

---

(١) المزن: السحاب الممطر. (٢) سيدثر: الدثور: الزوال والفناء.

(٣) سرمرا: أي سرّ من رأى أو السامراء وهي مدينة في شمال العراق.

● **دارٌ خلَتْ عن كثب**

أنشد أحمد بن أبي طاهر:

أمـا الـطـلـولُ فـمـخـبـرا ... تٌ أنـهـم ظـعَـنـوا قـريـبـاً
لـم يـغـفِـهـا مـطـرٌ ولـمْ ... تـسـفُ الـريـاحُ بـهـا كـثـيـبـا
وطء الـنـعـالِ وأثـر مـفـ ... ـتَـرَش ومـغـتـسـلاً رطـيـبـا

● **الأطلال اللائحة**

مرّ الفرزدق بمؤدب ينشده صبي قول لبيد:

وجلا السـيـولُ عن الطـلـول كـأنـهـا ... زبُـرٌ تـجـد مـتـونَـهـا أقـلامُـهـا[1]

فنزل وسجد فقيل: ما هذا؟ **فقال:** أنتم تعرفون سجود القرآن، وأنا أعرف سجود الأشعار. وهذا البيت موضع سجدة.

وقال طرفة:

يلوح كباقي الوشْم في ظاهرِ اليَد

قال أبو نواس:

لـمـن طـلـلٌ تـزدادُ حـسْـنُ رسـوم ... عـلـى طول ما أقوَتْ وطيـب نَـسيمِ
تـجافَى البِلى عنهُنّ حتّى كـأنـمـا ... لـبِـسْـنَ عـلـى الإقـواءِ ثـوْبَ نَـعـيـمِ

وقال البحتري:

دمـنٌ مـواثِـلُ كـالـنـجـومِ وإن عـفَـت ... فـبـأيّ نـجـم لـلـصّـبـابـةِ تَـهـتَـدي

وقال مخلد الموصلي

لـم تـجـرِ فـيـهـا الـصّـبَـا إلا مـسـلـمـةً ... ولـم يـشُـنْ وجـهَـهـا الأرواحُ والـدّيمُ

● **عرفان المركوب المحال المعهودة**

قال المتنبي:

مررتُ على دارِ الحبيبِ فحمحَمَتْ ... جوادي وهلْ تشكُو الجيادُ المعاهد[2]
وما تـنـكرُ الـدهـمـاءُ من رسمِ منزلٍ ... سقتْها ضريبَ الشوْلِ فيهِ الوَلائد[3]

وقال السلامي:

أنـا الـمـشـوقُ فـمـا لـلـخـيـل والإبـل ... تـحـنّ قـبـلـي إذا مـرّتْ عـلـى طـلَـلِ

---

(١) **الزبر**: الكتب، جمع زبور. (٢) **حمحم**: ردّد صوته إذا رأى من يأنس به.
(٣) **الولائد**: جمع وليدة وهي الخادمة أو الأمَة أو المولودة.

- **استبدالُ الدار بأهلِها الوحوش**

قال بعضهم:

عهدتُ بها وخشاً عليها براقعُ وهذي وحوشٌ أصبحَت لم تبرقَعِ

وقال الوائلي:

فكَمْ آنسٍ بُدِّلَتْ منه بنافرٍ وحالي الشوى بذّلَتْ منه بعاطلِ(١)

وقال أبو سعيد الرستمي:

ظباءٌ سرت بالأبطحَيْن عواطِلا وكنتُ أراها في الرعاثِ وفي الحجلِ(٢)

- **الدارُ المتغيرةُ بالرياح**

قال ذو الرمّة:

رسومٌ كساها لونُ أرضٍ غريبةٍ سوى أرضِها منها الهباءُ المغربَلُ

وقال النابغة:

كأنَّ مجرّ الراسياتِ ذيولَها عليهِ قضيمٌ نمّقَتْهُ الرواسِمُ(٣)

وقال:

وأربَتْ بها الأرواحُ حتّى كأنّما تهادَيْن أعلى رتبة بالمناخِلِ

وقال الحماسي:

تعفوهُ بالغدوّ والأصائلِ كلّ هدوج ذات ذيلٍ ذائلِ

كأنّما يُنخَل بالمناخِلِ

وقال التنوخي:

كأنَ إرتجاس الريحِ في جنباتها إذاعةُ شكوى أو سرارُ تعاتُبِ

- **استطابةُ أرضِ المحبوبَ**

قل بعض الأعرابِ:

أرى كلَّ أرضٍ دمنتها وإن مضَتْ لها حجَجٌ تزدادُ طيباً ترابُها

وقال النميري:

تضوّعَ مِسكاً بطنُ نعمان إذْ مشَت به زينَبُ في نِسْوةٍ خفراتِ(٤)

---

(١) **الشوى**: ما هو ليس مقتلاً من الأعضاء، والشوى رذال المال.

(٢) **الرعاث**: القرط، جمع رُعْث.

(٣) **القضيم**: السيف، والصحيفة ـ **الرواسم**: جمع روسم وهو الخاتم وما يطبع به الطين، والرواسيم: كتب كانت في الجاهلية.

(٤) **النسوة الخفرات**: الحييات.

وقال:

استودعت نشرَها الريّاحُ فما ... تزدادُ إلا طيباً على القِدَمِ

● دارٌ تفانى سكانها

قال ذو الرمّة:

منازلُ ألآفٍ أتى الدهرُ دونَهم ... وما الدّهرُ والألاف إلا كذلِك

وقال أعرابي:

تشكو إليّ الدارُ فرقةَ أهلِها ... وعندي ما بالدارِ من فرقةِ الأهلِ

أخذه محمد بن حبيب فقال:

طللانِ طالَ عليهما الأمدُ ... درسَا فلا علَم ولا قصَدُ

لبسا البِلى فكأنّما وجَدا ... بعْد الأحبّةِ مثلَ ما أجِدُ

● محاورةُ الديّار ومجاوبتُها

قال ذو الرمّة:

وقفتُ على ربعٍ لميّةَ ناقتي ... فما زلتُ أبكي عندَه وأخاطبُه

وأسقيهِ حتّى كادَ مِمّا أبثّه ... تكلّمُني أحجارهُ وملاعبُه

● البكاءُ في الديارِ الدارسَة

قال بشّار:

وقفتُ بها صحْبي فظلّت عِراصُها ... بدمعي وأنفاسِي تراحُ وتمطرُ

وقال العتابي:

منازلُ لم تنظرْ بها العينُ نظرةً ... فتقلِع إلا عن دموعٍ سواكِبِ

وقال الصمة:

أخادعُ عنْ أطلالِها العينَ إنه ... متَى تعرفُ الأطلال عنك تذيعُ

● المنعُ من البكاءِ عليها ومساءلتها

قال البحتري:

لا تقِفي على الدّيار فإنّي ... لستُ من أربع ورسم محيلِ[1]

في بكائي على الأحبّة شغلٌ ... لأخي اللهوِ عن بُكاء الطلولِ

وقال أبو نواس:

يا كثيرَ النّوحِ في الدّمَنِ ... لا عليها بل على السكَنِ

---

(١) الرسم المحيل: الدارس.

سنةُ العشّاقِ واحدةٌ فإذا أحببتَ فاستكِنِ

وقال ابن المعتز:

إنّ دمعي لضائعٌ في رسومٍ وسؤالي عن المُحالِ محالُ

وقال:

أحسنُ من وقفةٍ على طلَلِ ومن بكاءٍ في أثر مُحتَمِلِ
كأسُ صبوحٍ أعطتْك فضلتَها كفُّ حبيبٍ والنقْلُ من قُبَلِ (١)

● معاتبةُ من لمْ يقِفْ عليها

قال إسحاق بن إبراهيم:

يا ذا الذي جازَ الديارَ ولمْ يقِفْ قفْ لا وقفْتَ أما ترَى أطلالَها
لو كنتَ ذا وجدٍ بساكِنها لما جاوزْتَها حتى أطلْتَ سؤالَها (٢)

● الاستسقاءُ للدار

قال أبو تمّام:

لا زلتِ ناضرةَ العِراصِ ولم تزلْ فيكِ الرياحُ ضعيفةَ الأنفاسِ (٣)

وقال ابن الرومي:

لا يحرِمِ اللّهُ الطلولَ الدرسَا أقاحياً وسوْسناً ونرجِسَا
يكادُ ريّاه إذا تنفّسَا ينشىء في تلك المواتِ أنفَسَا (٤)

وقال الوابلي:

سقيت رجوعَ الظاعنين فإنه غنى لك عن سُقْيا الغُيوثِ الهواطلِ

● الدعاءُ على الدار

قال زياد بن جملة:

إذا سقى الله أرضاً صوبَ غاديةٍ فلا سقاهُنّ إلا النارَ تضطرمُ (٥)

● تنكرُ الدار وعرفانُها

قال امرؤ القيس:

لِمَنْ طللٌ درستْ دارُه وغيّره سالفُ الأخرسِ

---

(١) الصبوح: خمر الصباح ـ النقل: ما يتناقله في مجلس الشراب من فستق وتفاح ونحوهما.
(٢) الوجد: المحبة.
(٣) العراص والعرصات: جمع عرصة وهي الساحة الواسعة أمام الدار.
(٤) ريّاه: رائحته. (٥) الغادية: السحابة الممطرة في الغدوة، باكراً.

تـنـكـره الـعـيـنُ مـن حـادث ويـعـرفـه شـغـفُ الأنـفُـسِ

وفيه:

تـعـرفـهُ الـعـيْـنُ ثـم تـنـكِـرهُ

وفيه:

فـتـعـرفـهُ عـيْـنـي ويـنـكـرهُ فَـمِـي

وقال البحتري:

وما أعرفُ الأطلالَ من بطنِ توضحَ لـطـولِ تـعـفّـيـهـا ولـكـن إخـالُـهـا

● **الأثافي والرّماد**

قال بشر:

كـأنّ خـوالـداً فـي الـدّار سـفـعـاً بـعـرصـتِـهـم حـمـامـاتٌ وقـوعُ

وقال جرير:

مَـطـايـا الـقـدْر كـالـحِـدا الـجـثـوم

وقيل: ما بقي إلا ثلاث سفع كحمام وقع، كانت مطايا القدور فانهلن في عرصة الدور، وقال شاعر:

أشاعتْ كـالـخيلانِ في خدِّ كاعبٍ وسفعٍ كنقطِ الثاء من كفّ كاتبِ[1]

وقال الكميت:

إلا ثـلاثـاً فـي الـمـقـا مَـة مـا يـحـولـهُـنّ نـاقـلُ
سـفـعُ الـخـدودِ كـأنّـمـا نـثـرتْ عـلـيـهـن الـمـكـاحِـلُ

وقال ابن المعتز:

عـفـا غـيـرُ سـفـعٍ مـاثـلاتٍ كـأنّـهـا خـدودُ عـذارى مسّهُـنَّ شُـحـوبُ[2]

وقال آخر:

رمـادٌ كـمـا طـارَ عـلـى بـوّ ظـائـر

وقال الراعي:

أنـخْـنَ وهـنّ أغـفـالٌ عـلـيْـهـا وقـد تـركَ الـصـلاءَ بـهـنّ نـارا

● **النؤي**

قال أبو تمام:

ونـؤيٍ مـثـل مـا نـقـصِـم الـسّـوارا[3]

وقال:

والـنـؤيُ أهـمـدَ شـطـرُه فـكـأنّـه تـحـتَ الـحـوادثِ حـاجـبٌ مـقـرونُ

---

(١) **الخيلان**: جمع خال ـ **الكاعب**: الشابّة التي كعب ثديها.
(٢) **السفع (هنا)**: حجارة الموقد. (٣) **النؤي**: الحوض حول الخيمة.

وقال:

ونؤيٍ كمقلى القَوسِ حالَتْ شحوبُه

وقال التنوخي:

وعـطـفـنـا نـؤيٍ كـنـونٍ عـرقـت

● **الوَتد**

قال ابن مقبل:

وقـلـدتُ أرسـانَ الـجـيـاد مـعـبـداً   إذا مـا ضـربـنـا رأسَـه لا يـرنـخُ
فـبـاتَ يـقـاسِـي بـعـد مـا شـجّ رأسَـه   فـحـولا جـمـعـنـاهـا تـشـبّ وتـضـرح

(٥)

وممّا جاء في المفازة

●

قال بعضهم:

وبـيـداءَ سـمـحـالٍ كـأنّ نـعـامَـهـا   بـأرجـائـهـا الـقـضـوى أبـاعـرُ هـمـلُ
ترى الـثـعـلـب الـحـولـيّ فـيـهـا كـأنـمـا   إذا مـا حـلَـلْـنـاهـا نـر حـصـان مـجـلـلُ

وقال بعضهم:

كـأنـمـا الـمـكـاءُ فـي بـيـدِهـا   سـرادقُ قـد أوقـدَتْـه الأصـلُ(١)

وقال:

تـخـالُ بـهـا راعـي الـحـمـولـةِ طـائـرا

● **الطريقُ الواضِحُ**

لاحبٌ كقرني الثعبان وكفرق الرأس وكحصير الراملات، قال شاعر:

كـأنـه نـشـطـب بـالـسـرو مـرمـول

وكالسحل اليماني وكظهر برجد.

وقال الراجز:

عــودٌ عـلـى عـودٍ لأقـوامٍ أول   يـمـوتُ بـالـتّـرْكِ ويـحـيـا بـالـعـمَـل

وقال آخر:

مـلـسُ الـحَـصَـى بـدرس مـا لَـم يـبْـسـس

---

(١) **المكاء**: جمع مكاكي طائر من القنبر وهو أبيض اللون ـ **الأصل**: جمع أصيل وهو الوقت من العصر إلى الغروب.

● **المفازةُ المهلكة للمطيّ**

وقال عمرو بن معدي كرب:

بـه جـيـف الـلـواغـب بـالـيـات ... كـأن عـظـامَـهـا الـرخْـمُ الـوقـوعُ[1]

وقال كثيّر:

بـدويـةٌ يـكـونُ بـهـا كـثـيـراً ... نـتـاجُ الـمـعـجلاتِ مـن الـسّـخـالِ

وقال الموسوي:

تـلقى الأحبّةُ قتلي في مسالِكها ... ديـاتـهـا فـي رقـابِ الـفـرز والأكـمِ

● **المفازة التي تضبح منها المطايا**

قال امرؤ القيس:

عـلـى لاحـب لا يـهـتَـدي لـمـنـارِه ... إذا ساقَه العودُ النباطي جرجَرا[2]

● **المفازة المجهولة**

وصف بعضهم مفازةً فقال: هي غبراء الجوانب مجهولة المذاهب، تقطع المطا ويحار فيها القطا.

قال علقمة:

ودويّـة لا يَـهـتـدي لـفـلاتِـهـا ... بـعـرفـان أعـلامٍ ولا ضـوء كـوكـبِ

وقال:

وفـي ذكْـرِهـا عـنـدَ الأنـيـسِ خـمـولُ

وسأل رجل أعرابياً عن مفازة فقال: صادفتها عانسة عذراء، فافترعتها بعيرانة[3] أدماء.

وقال الوزير الرئيس أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم:

وبهماء مثلِ الوهْم عذراء أعرَضَتْ ... فقالتْ لنا نكْحا وقلْنا لها خطْبا

● **المفازة الواسعة**

قال دعبل:

وفـضـاءٍ يـرجـعُ الـطّـرفُ بـهِ ... قـبـلَ أن يـرجـعَ مـأواه الـبـصَـرُ

وقال ديكُ الجن:

يـا ربَّ خـرقٍ كـأن الـلّـهَ قـالَ لـه ... إذا طوتْـك رقابُ القـومِ فـانـتشِرِ

---

(١) **اللواغب**: جمع اللاغب الضعيف.

(٢) **اللاحب**: الطريق الواضح.

(٣) **العيرانة**: الناقة.

وقال ذو الرمة:

دوٌّ ككفِّ المشتري غيرَ أنه ... بساط لأخفاف المراسل واسع

وقال:

مجهولةٌ تغتالُ خطوَ الخاطي

وقال المتنبي:

مهالكُ لم يصحَبْ بها الذئبُ نفسَه ... فلا حملتْ فيها الغرابَ قوادمُه[1]

وقال:

مشوّهةُ المعالمِ واليَفاعِ

وقال المأموني:

وكأن العرارَ راحةُ داعٍ ... أو مَطا ساجدٍ عليه ملاءُ

- **المفازة الموصولة بالأخرى**

وقال جابر بن حيي:

إذا زال رعنٌ عن يديها ونحرِها ... بدا رأسُ رعنٍ واردٍ متقدّمِ[2]

وقال آخر:

إذا قطعنا علَماً بدا علَمْ[3]

- **المفازة التي يلمَعُ فيها الآل**

وقال عدي بن الرقاع:

وإذا بدا علمٌ لهنّ كأنه ... في الآل حينَ يرى ذؤابةُ عالمِ

ووصف أبو النجم جبلاً في الآل فقال:

سائحٌ ماءهم بالرسوبِ

وقال المرقش في وصفه:

رؤوسُ رجالٌ في خليجِ تغامس

وقال آخر:

كأن أعلامَها في آلها القزع[4]

وقال آخر:

وقوض الآلِ ساحرةُ السّراب

---

(١) القوادم: الريش الطويل في جناح الطائر.

(٢) الرعن: أنف الجبل. (٣) العلم: الجبل.

(٤) الآل: السراب ـ القزع: قطع السحاب الصغار المتفرقة، وصغار الإبل.

● **المفازةُ التي تنخرقُ فيها الزياح**

خرق تنخرق فيه الرياح فتحسر طوراً وتلعب طوراً، **وقال مسلم:**

تمشي الرياحُ بها مرضى مولهةً ... حيْرى تلوذُ بأطرافِ الجلاميدِ

وقال الموسوي:

توهمتُ عصفَ الريحِ بين خروجه ... يسيرُ إلى سمْعي بسرّ يصمم

● **المفازةُ التي يعرفُ فيها الجان**

قال الأعشى:

وبلدة مثلِ ظهر الترسِ موحشةٍ ... للجنّ باللّيلِ في حافاتها زجَلُ(١)

وقال آخر:

شياطينُها في أوجهِ القوم كلّحُ(٢)

وقال حميد بن ثور:

وخرقٍ تحدّثُ غيطانُها ... حديثَ العَذارى بأسرارِها

● **المفازة التي تصيح فيها الأصداء**

وقال رؤبة:

وبلدةٍ عاميةٍ أعماؤهُ ... قد صخبَت في ليلةٍ أصداؤه

داع دعا لم أدر ما دعاؤه

وقال المرقّش الأكبر:

وتسمع تزقاءَ من البومِ حولَنا ... كما ضربَت بعْد الهدوّ النواقسُ(٣)

وقال ذو الرمّة:

يظلّ بها الحرباءُ للشمسِ ماثلاً ... على الجِذلِ إلا أنه لا يكبرُ

إذا حول الظل العشيّ رأيته ... حنيفاً وفي قرنِ الضّحى ينتصرُ(٤)

وقال:

كأن يدَي حربائها متشمّساً ... يدا مذنبٍ يستغفرُ الله تائبِ

وقال المرار:

كأن حرباءها يصلي بتنّور

---

(١) **الزجل**: الجلبة والصوت المرتفع. (٢) **كلّح**: عابسة مقطبة.

(٣) **النواقس**: أي النواقيس، جمع ناقوس، والناقوس الجرس.

(٤) **الحنيف**: المستقيم.

وقال ابن المعتز:

كأن حرباءها والشمسُ تصهرُه صالٍ دنا من لهيبِ النار مقرورُ[1]

(٦)

وممّا جاء في التغرب

•

• حمدُ التغرّب والسفر

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[2] **وقال النبي ﷺ** سافروا تغنموا، فإنكم إن لم تغنموا مالاً أفدتم عقلاً

وقال سافروا تصحوا. **وقيل**: السعي جناحُ الجدّ والزماع[3] أخو النجح. **وقيل**: من التوفيق رفض التواني، ومن الخذلان مسامرة الأماني.

وقيل: من لزم القرار سيم الصغار. **وقيل**: شمّر ذيلاً وأدرّع ليلاً اتخذ الليل جمل.

وكان بشر بن الحارث **يقول لأصحابه**: سيحوا فإن الماءَ إذا ساحَ طابَ وإذا وقف تغيّر.

• الحث على الانتقال من مكانٍ نبا بصاحبه والتمدّحُ بذلك

قيل: أوحش وطنك إذا كان في إيحاشه أنسك، واهجر منزلك إذا نبت[4] عنه نفسك.

وقف بهلول على قوم من أهل الأدب فقال لهم: كيف ترون قول الشاعر؟:

وإذ نـبـا بـكَ مـنـزِلٌ فـتـحـوّلِ

قالوا: جيّد، فضرط لهم **وقال**: إذا كان في حبس كيف يتحول؟ **قالوا**: فما عندك **قال**:

إذا كنتُ في دار يهينُك أهلُها ولم تكُ ممنوعاً بها فتحوّلِ

وقال أبو دلف:

وإذا الديارُ تنكّرتْ عن حالِها فدعِ المقامَ وأسرعِ التحويلا
ليسَ المقامُ عليك فرضاً واجباً في موطنٍ يذرُ العزيزَ ذليلا[5]

---

(١) **الصالي**: المستدفىء ـ **مقرور**: مرتجف من البرد.

(٢) **القرآن الكريم**: سورة الملك/ ١٥، **والنشور**: البعث، يوم القيامة.

(٣) **الزماع**: العزم والمضاء في الأمر.

(٤) **نبت عنه نفسك**: جفته.

(٥) **يذر**: يترك.

وقال المتلمّس:

وَلنْ يقيمَ على خسفٍ يُسامُ به ... إلا الأذلاّن عيرُ الحيّ والوتَدُ[1]
هذا على الخسفِ مربوطٌ برمّته ... وذا يشجّ فلا يُرْثي له أحد[2]

وقال قيس بن الحطيم:

وما بُغضُ الإقامةِ في ديار ... يهانُ بها الفتى إلا بلاءُ

وقال حرب بن خباب:

إذا ما اجتوتْني بلدةٌ لمْ أكنْ بها ... نسيباً ولم تسدذ عليّ المطامِعُ[3]

وقال البحتري:

ومنْ عادتي والعجزُ مِن غيرِ عادتي ... متى لا أرح عن منزلِ الذلّ أُدْلِجُ[4]

وقال أبو فراس:

إذا لمْ أجِد من بلدَةٍ ما أريدُه ... فعندي لأخرى عزمةٌ ورِكابُ

- **مخالفة العذّال في الترحّل والنهيُ عن مخافةِ نزول الأجل**

لما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب تعلّقت به عاتكة وهي تبكي وتقول قاتل الله القائل:

إذا ما أرادَ الغزوَ لم يثنِ همّه ... حصانٌ عليها نظمُ درّ يزينها[5]

وقال ابن جبلة:

وخافتْ على التطوافِ فَوْتي وإنّما ... تُصاد غرارُ الوحشِ وهي رتوعُ

وقال بشّار:

يخافُ المنايا إن ترحلتُ صاحِبي ... كأنّ المنايا في المقام مناسبُه

- **كراهةُ إطالةِ الإقامة بمكان**

قال أبو تمام:

وطولُ مقام المرءِ في الحيّ مخلِقٌ ... لديباجتيْه فاغترب تتجدّدِ[6]
فإنّي رأيتُ الشمسَ زيدت محبّةً ... على النّاس إذ ليسَتْ عليهم بسرَمدِ[7]

---

(١) **الخسف**: الذلّ.
(٢) **الرمة**: القطعة من الحبل.
(٣) **اجتوتني**: كرهتني.
(٤) **أدلج**: الإدلاج: السير في آخر الليل.
(٥) **الحصان**: المرأة العفيفة ـ **وقوله**: لم يكن همه أي لم يضعف همته أو إرادته.
(٦) **مخلق لديباجتيه**: أي يبلي ديباجتيه ـ **اغترب (هنا)**: أي هاجر.
(٧) **ليست بسرمد**: أي ليست دائمة الشروق.

وقال آخر:

السيفُ إن قرّ في الغمود صدَا

وقيل: الإغراب يعيد الجدّه ويفيد الحدّه، إذا أخلقك الوطن جددكَ الظعنُ لا يألف الوطن إلا ضيق العطن.

وقال يزيد بن المهلّب:

وإنّ لزومَ قعرِ البيت موتٌ ... وإن السيْرَ في الأرض النشورُ

● **النهيُ عن الإقامةِ بمكانٍ مخصِبٍ فيه هوان**

قال سعدُ بن ثابت:

ولسْنا بمتلين دار هضيمة ... مخافةَ موت إن بنا نبتِ الدارُ[1]

وقال المتنبي:

وما منزلُ اللذّات عندي بمنزلٍ ... إذا لمْ أجلَلْ عندَه وأكرمِ

● **تأسّفُ من يلحقُه إذلالٌ فيعسرُ عليه الانتقال**

قال شاعر:

أمالي في بلاد الله بابٌ ... يؤدّيني إلى سُبلِ النّجاحِ

بلى في الأرض متّسعٌ عريضٌ ... ولكنّي منعْتُ منَ البراحِ

وما يُغني العقابُ عيان صيدٍ ... إذا كان العُقابُ بلا جَناحِ

وقرىء على حائط بأسد أباد:

غيرتُ بين عزيمتَين كلاهما ... أمضَى عليّ من شَباة سنانِ

هِممٌ تشوّقُني إلى طلبِ العلى ... وهوى يشوّقُني إلى الأوطانِ

وقيل: إذا أعيا المقام في الوطن، أغنى الجلاء عن العطن[2]

● **إيثارُ اليسرِ في الغربةِ على العُسْر في الوطَن**

قيل: اليسر في الغربة وطن، والعسر في الوطن غربة. **وقيل:** إذا أيسرتَ فكل رحل رحلك، وإذا أعسرتَ اجتنبك أهلُك.

وقال عبد الملك للحارث: أي البلاد أحب إليك؟ فقال: ما حسنت فيه حالي وعرض فيه جاهي، لا كوفة أبي ولا بصرة أمي، خشونة الغربة مع الجدّة أوطأ من لين الموطن مع الفقر.

---

(١) **لسنا بمتلين:** من أتلاه أي أخلاه ـ **دار هضيمة:** أي دار ظلم وغضب، **والهضيمة أيضاً** طعام يعمل للميت ـ **نبت بنا الدار:** جفتنا.

(٢) **العطن:** مبرك الإبل.

وقال بزرجمهر: السعيد يتبع الرزق، والشقي يتبع مسقط الرأس، أخذه من قال:

ذو اللبّ تنزعُ للرفاعةِ نفسُه … وترى الشقيّ نزوعُه للموطنِ[1]

وقال المتنبي:

وما بلدُ الإنسانِ غيرُ الموافقِ … ولا أهلُه الأدنَوْنَ غيرُ الأصادقِ

قال أبو نواس: دخلت دار السلطان بمدينة السلام، فرأيت أبا دلف الكرخي متعلقاً ببعض ستائر الخاصة، وهو يقول:

طلبُ المعاشِ مفرِّقٌ … بينَ الأحبّةِ والوطَنِ

ومصيرُ جلدِ الرجا … لِ إلى الضَّراعةِ والوهَنِ

حتى يقادَ كما يقا … دُ النضوُ في ثِني الرسَنِ

ثم المنيةُ بعده … فكأنّه ما لم يكنِ

فقلت: أيها الأمير لو صرت إلى حجرتي، لأنشدتك بيتين يسليانك فجاء معي فأكل وشرب **وقال**: هات ما عندك فأنشدته:

إذا كنتَ في أرض عزيزاً وإنْ نأتْ … فلا تكثرنْ منها نِزاعاً إلى الوطَنِ

فما هي إلا بلدةٌ بعد بلدةٍ … وخيرُها ما كان عوناً على الزمَنِ

فسرّي عنه وحباني مالاً جمّاً.

● إيثارُ العسرِ في الوطن على اليُسْر في الغُربة

قيل: عسرك في وطنك أطيبُ من يسرك في غربتك. **وقيل**: إذا وجدت بعض القوت فالزم قعر البيوت. **وقيل**: إحفظ بلدا ربّاك. **وقيل**: بلدٌ أغذيتَ فيه السلامة فلا تزايله[2] **وقال**:

وإن اغترابي كي أنالَ معيشةً … وفضْلَ غنىً للوارثينَ خسارُ

● ذمّ الخروجِ عن الوطن

قيل الغربة ذلّة وكربة. وقد **قال النبي ﷺ**: من رضي بالذل فليس منّا. وقيل السفر سقر، ولكن غلط باسمه. وقيل السفر شعبة من جهنم، ولذلك **قيل**: لولا فرحة الأوبة لعذبت بالسفر.

وقال التنوخي:

مسيرٌ دعاه الناس سيراً توسّعا … ومعنى اسمه إن حققوه إسارُ

---

(١) **تنزع نفسه**: تحنّ وتشتاق.

(٢) **لا تزايله**: لا تفارقه ولا تتركه إلى سواه.

وقيل: عذابان لا يعرف قدرهما إلا من بلي بهما: السفر الشاسع والعذاب الواسع، وقال:

وإن اغترابُ المرءِ من غير خلّة ... ولا همّة يسمو بها لعجيب

وقال مروان:

إذا ما حِمامُ المرءِ حُمّ ببلدَة ... دعته إليها حاجةٌ وتَطرُّبُ[1]

وقال البحتري:

وإن اغترابَ المرءِ في غير بغيةٍ ... يطالبُها من حيفِ دهرٍ يطالبُه[2]

وقال الحسن رضي الله عنه في دعائه: اللّهمّ إنا نعوذ بك أن نملّ معافاتك. فقيل له في ذلك، فقال: أن يكون الرجل في خفض فتدعوه نفسه إلى سفره، وقيل - ما دار من يشتاق إلى السفر بدار سلامة.

● ذمّ الإقامة في غير الأهل

قيل: إذا كنت في غير قومك فلا تنسَ نصيبك من الذلّ، وقال:

نصيبك من ذلّ إذا كنتَ جاليا

وقال:

إذا كنت في قومٍ ولم تكُ منهمُ ... فكُلْ ما علفتَ من خبيثٍ وطيّبِ

الغريب كالفرس الذي زايل أرضه وفقد شربه فهو ذاوٍ لا يثمر وذابل لا ينضر وقال الأعشى:

ومن يغترب عن قومهِ لا يجدْ له ... على منْ له رهطٌ حواليْه مغْضَبا

وتدفنُ منه الصالحاتُ وإن يسيء ... يكن ما أساءَ النار في رأس كوكبَا

وقال:

ولم أر عزّا لامرىءٍ كعشيرةٍ ... ولم أر ذلاً مثل ناءٍ عنِ الأهْلِ

وقال أبو عيينة:

وقائلةٍ ماذا نأى بك عنهم ... فقلتُ لها لا علم لي فسلي القدَر

فيا سفراً أودَى بلهوي ولذّتي ... ونغّصني عيشي عدمتُك من سفَر

وروي أنه رئي القاسم بن عبيد الله فقيل له: ما خبرك؟ فقال:

وارحمتا للغريبِ في البلدِ ... النازحِ ماذا بنفسه صنعَا[3]

فارقَ أحبابه فما انتفعُوا ... بالعيشِ من بعْده وما انتفَعَا

---

(١) الحِمام: الموت. (٢) الحيف: الجور والظلم. (٣) البلد النازح: البلد النائي البعيد.

● **الحثُّ على إجمالِ المعاشَرة في السّفر**

قيل: لا تحمدنّ امرأً حتّى تجربَه في معاملة أو سفر. **وقيل**: السفر ميزانُ القوم. **وقيل**: سمّي السفر سفراً لأنه يسفر عن الأخلاق المحمودة والمذمومة.

وقال العطوي:

أكرمْ رفيقَك حتّى ينقَضي السفرُ إنّ الذي أنتَ موليه سينتَشِرُ
ولا تكنْ كلئامٍ أظهروا ضجَرا إن اللئامَ إذا ما سافروا ضجِروا

وقال أبو دلف:

وممّا يسكِنُ قلبَ الغريب رفيقٌ تطيبُ به الصّحْبَة

وأراد الحسن الحجّ **فقال له ثابت**: نصطحب، **فقال**: دعنا نتعايش بستر الله إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت[1] عليه.

● **الكثيرُ التقلّبِ في البلدان**

مدح بعضهم رجلاً **فقال**: يدّرع الليل ويستحقر السير، فيظل بموماة[2] ويمسي بغيرها:

أسْيَرُ في الآفاقِ من مَثَلِ

وقال البحتري:

تقاذفُ بي بلادٌ عنْ بلادٍ كأنّي بينَها خبرٌ شَرودُ

وقال آخر:

وذاكَ تروكٌ للفراشِ المُمَهّدِ

وقال أبو تمّام:

خليفةُ الحضرِ من يربع على وطَنٍ في بلدةٍ فظهورُ العِيس أوْطاني

وقال آخر:

وأيّ بلادٍ لم تطأْها ركائِبي

● **المُتشمّر في السّفر**

قال زياد بن جميل:

مخدّمون ثقالٌ في مجالسِهم وفي الرّحال إذا صاحبتَهم خدمُ

وقيل: فلان عبد أصحابه في السفر وسيّدهم في الحضر، **وقال شاعر**:

وعبْدٌ للصّحابةِ غيرُ عبْدِ

وقال هشام لرجل أراد سفراً: أخدم أصحابك وإيّاك أن تكونَ كلبَهم، فإن لكل رفقة

---

(١) **تتماقت عليه**: نتباغض بسببه. (٢) **الموماة**: الفلاة الواسعة لا ماء فيها.

كلباً ينبح دونهم، فإن كان خيراً أشركوه وإن كان شراً تقلّده دونهم.

● **مشاركةُ الرفيقِ في المركوبِ والزّاد**

قال ابن مسعود: كنّا يوم بدر ثلاثة على بعير، وكان أمير المؤمنين وأبو لبابة زميلَي رسول الله ﷺ وإذا دارت عقبتهما. **قالا:** يا رسول الله إركب ونمشي عنك، **فيقول:** ما أنتما بأقوى منّي وما أغنى بالأجر منكما.

وقال حاتم:

إذا كنتَ ربّاً للقلوص فلا تدعْ ... رفيقَكَ يمْشي خلفَه غيرَ راكبِ
أنخْها وأردفْه فإنْ حملتكما ... فذاكَ وإن كانَ العقَاب فعاقبِ

وقال آخر:

إذا ما خليلي ظلّ ينسِلُ خلفَها ... وفي ناقَتي فضْلٌ فلا حملَتْ رجْلي
ولَمْ يكُ من زادي له مثل مزودي ... فلا كنت ذا زادٍ ولا كنت ذا رحلِ

● **حمْدُ الإيغالِ[1] في السّير والتبجُّح به**

قيل لرجل: كيف كان سيرك؟ **قال:** كنت آكل الوجه، وأغرس إذا أسحرت، وأرتحل إذا أسفرت، فأسير الموضع وأجتنب الملمع. فجئتكم بمشي سبع.

وسار ذكوان من مكة في يوم وليلة، فقدم على أبي هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلّى العتمة **فقال له أبو هريرة:** حاج غير مقبول منه. **فقال:** لمه؟ **فقال:** لأنك نفرت قبل الزوال فأخرج كتاب مروان مؤرّخاً بعد الزوال. وحذيفة بن بدر أغار على هجاء بن المنذر بن ماء السماء فسار في ليلة مسير ثمان، وفيه يقول قيس بن الحطيم:

همَمْنا بالإقامةِ ثمّ سِرْنا ... مسيرَ حذيفَة الخيْر بنِ بدْرِ

● **ذمّ الإيغالِ في السّير**

في الحديث: إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. **وفي الحديث:** خيرُ الأمور أوساطها. وشرّ السير الحضحفة.

قال المرار:

نقطعُ بالنّزولِ الأرضَ عنّا ... وبُعْدُ الأرض يقطعُه النزولُ

● **الشاحب اللون لسفره**

يقال: فلان رجيع سفر، ووقيد سهر، **وقال المرار:**

وغبره تهجير ركبٍ يلفّهم ... سمومٌ أتتْ دونَ العجائبِ تلفَحُ[2]

---

(١) **الإيغال:** التوغل والإمعان في السير، **ويقال أيضاً** غذ إغذاذ السير وفي السير أسرع وحثّ مطيته.

(٢) **تلفح:** تصيب الوجه وتحرقه.

وقال:

نضوُ هوى بالَ على نضوِ سفَر[1]

وقال آخر:

أتـرك أنـقـاضـاً عـلـى أنـقـاض

وقال البحتري:

ردّ الهجيرُ لحاهُم بعْد شعلتِها سوداً فعادُوا شباباً بعدَما اكتهلُوا

● من غلبه النعاس لإدامةِ السّرى

قال شاعر:

فلانٌ يجودُ من صباباتِه الكرَى سقاهُ السُّرى خمْراً فصارَ به سكْرُ[2]

وقال كعب بن زهير[3]:

وأشعثُ رخوُ المنكِبَيْن بعثتُه وللنومِ منه في العِظام دبيبُ

وقال إسحاق:

ومعرّسٍ نبّهتُه فكأنّما نبّهتُ فهْدا[4]

● قطعُ المفاوزِ باللّيل

وقال عليّ بن جبلة:

وليلٍ بعيدٍ صبحُه من مسائهِ منوع السّرى لا يمتطيه هيوبُ

بنيتُ على أولاه أخراه فالتقى على العِيس منه مطلعٌ ومغيبُ

وقال أعرابي: جبت أودية الظلام وهجرت لذيذ المَنام، إلى أن وصلت إلى المرام، وقال شاعر:

ونضوتُ سربالَ المفاوزِ بالسّرى وجعلتُ أرديةَ السُّرى سِرْبالي[5]

وقال المتنبي:

وأسري في ظلامِ الليل وحْدي كأنّي منه في قمَرٍ مُنيرِ

---

(١) النضو: السهم الذي فسد من كثرة ما رمي به والنضو الثوب البالي، والمهزول المجرّد من اللحم.

(٢) الصبابة: الولع الشديد ـ الكرى: النوم ـ السرى: السير في الليل.

(٣) كعب بن زهير: شاعر مخضرم، أدرك الإسلام عرّض بالإسلام، ثم جاء النبي وأسلم فصفح عنه، وهو صاحب قصيدة «بانت سعاد» في مدح النبي ﷺ.

(٤) المعرّس: المستريح من السفر قبل الارتحال.

(٥) نضوت: خلعت ـ سربال: لباس ـ المفاوز: جمع مفازة، وهي الفلاة ـ الأردية: جمع رداء وهو الكساء.

● **قطع المفاوزِ بالهاجِرَة**

قال أعرابي: خرجت في هاجرة كادت النفوس لها تلتهب، والحرابي من شمسها تصطلب. **وقال النابغة**:

إذا الشمسُ مجّتْ ريقَها بالكَلاكِلِ[1]

وقال علقمة:

وقدْ علوتُ قتودَ الرحْلِ يسعفُني ... يومٌ تجيءُ به الجوزاءُ مسمومُ
حامٍ كأنّ أوارَ الشمسِ شاملُه ... دونَ الثيابِ ورأسُ المرءِ معمومُ[2]

● **من ألفته السّباع والمفاوز**

وقال تأبّط شرّاً:

أبيتُ بمغنى الوحشِ حتّى ألفتُه ... وتصْبح لا يحمي لها الدهرُ مرتَعاً

وقال أبو تمّام:

أبَنَّ معَ السّباعِ الماءَ حتّى ... لَخالتْه السُّباعُ منَ السّباعِ[3]

وقال المتنبّي:

صحبتُ في الفلوَاتِ الوحْشَ مُنفرداً ... حتّى تعجّب منّي القورُ والأكَمُ[4]

وقال الشنفرى:

ولي دونَكم أهلونَ سيدٌ عملسُ ... وأرقَطُ زهلولٌ وعرفاءُ جيْألُ[5]

● **المهتَدي بالنّجوم والعارفُ المفاوز**

وقال بشّار:

ويهماءَ يستافُ الترابُ دليلُها ... وليسَ له إلا اليمانيَّ مخلقُ[6]
تجاوزتُها وحْدي ولمْ أرهَبِ الرّدى ... دَليلي نجْمٌ أو حوارٌ محلّقُ[7]

وقال حميد:

تيهاءَ لا يتخطّاها الدليلُ بها ... إلا وناظرُه بالنّجمِ معقودُ

---

(١) **الكلاكل**: جمع كلكل، وهو الصدر.

(٢) **الأوار**: شدّة الحرّ - **الرأس المعموم**: المغطى بالعمامة.

(٣) **خالته**: ظنّته وحسبته.

(٤) **القور**: الجبل الصغير - **الأكم**: جمع أكمة، وهي المرتفع من الأرض.

(٥) **العملس**: الذئب الخبيث - **الأرقط**: النمر، **والأرقط** الأسود المشوب بنقط بياض، أو أبيض مشوب بنقط سواد - **الزهلول**: الأملس - **العرفاء**: الضبع الكثيرة الشعر - **الجيأل**: من أسماء الضبع.

(٦) **اليهماء**: الفلاة التي لا ماء فيها ولا يهتدى إلى طرفها - **اليماني**: السيف المنسوب إلى اليمن.

(٧) **الحوار**: التجاوب في الكلام.

وقال تأبط شراً:

يرى الوحشةَ الأنسَ الأنيس ويهتَدي بحيثُ اهتدَتْ أم النّجوم الشوابك

وقال آخر:

تـرَى الـلـيـلَ كـورا والـمـجـرَّةَ مـقـودا

وقال المتنبي:

وإنّي لـنـجْـمٌ يـهـتَـدي صـحـبـتي بـه إذا حـالَ من دونِ الـنّـجـومِ سـحـابُ

وقيل: فلان أدلّ من دعميص[١] الرمل لأنه بلغ آخر رمال بني سعد، ولم يبلغه غيره وعبد الله بن أريقط وهو الذي دل النبي ﷺ ليلة الهجرة وفلان أهدى من القطا ومن اليد إلى الفم.

● القادرُ على المشي

قال أعشى باهلة:

لا يـغـمـزُ الـسـاق مـن أيـن ولا وصَـب ولا يـعـضّ عـلى شرسوفه الـصـقرُ[٢]

وقال:

تـحـسـبـنـي مـحـجّـلاً سـبـطَ الـسـا قَـيْـن أبـكـي أن يـظـلَـعَ الـجـمـلُ[٣]

● المسرّةُ بالعودِ من السفرِ سالماً

قال ابنُ عيينة:

إذا نـحْـنُ عـدْنـا آيـبـيـنَ بـأنـفُـسٍ كـرام رجَـتْ أمـراً فـخـابَ رجـاؤُهـا

فـأنـفـسُـنـا خـيْـر الـغـنـيـمـةِ إنـهـا تـؤوبُ وفـيـهـا مـاؤُهـا وحـيَـاؤُهـا

وقال:

فـألـقَـتْ عـصـاهـا واسـتـقرّ بـهـا الـنّـوَى كـمَـا قـرّ عـيْـنـاً بـالإيـابِ الـمـسـافِرُ[٤]

وقال آخر:

رضـيـتُ مـن الـغـنـيـمَـةِ بـالإيـابِ

● مسرةُ الراجعِ بقضاء الحاجَة

قيل لأعرابي: ما السرور؟ قال: أوبةٌ بغير خيبة. وقال آخر: غيبةٌ تفيد غِنًى وأوبةٌ تعقبُ منىً وقال أبو تمّام:

مـا آبَ مـن آبَ لـمْ يـظْـفـرْ بـحـاجَـتـهِ ولـمْ يـغـبْ طـالـب لـلـنجـح لـم يـخـب

---

(١) الدعميص: دودة سوداء.

(٢) الأين: التعب والإعياء ـ الوصب: الوجع ـ الشرسوف: طرف الضلع المشرف على البطن.

(٣) ظلع يظلع الجمل: غمز في مشيه.

(٤) النوى: البعد، الوجه الذي يذهب فيه وينويه المسافر ـ الإياب: العودة، الرجوع.

وسأل الحجاج أصحابه: أي شيء أذهب للتعب؟ فقيل: التمريخ[١] وقيل الحَمام وقيل النوم وكان فيهم فيروز فقال ما شيء أذهب للتعب من قضاء الحاجة قال المؤلف وهذا من قولِ **القطامي**:

وقد يهونُ على المستنجحِ العمَلُ

● **الدعاءُ للمسافر**

كما يقال للمسافر استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، **وقال النبي ﷺ لرجل**: اللهم أطو له البعيد وهون عليه السير **وقال**: نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، ومن الحور بعد الكور. اللهمّ أنتَ الصاحب في السفر والخليفةُ في الأهل والوطن.

(٧)

ومِمّا جاءَ في الحنينِ إلى الأوطان

●

● **رضي الناس بمسقط رأسهم**

قال النبيّ ﷺ: لولا حبّ الوطن لخربت بلاد السوء. **وقيل**: بحب الأوطان عمارة البلدان.

وقال ابن عباس: لو قنع الناس بأرزاقهم قنوعهم بأوطانهم لما شكا عبد رزقه. **وقيل لأعرابي**: كيف تصبرون؟ على جفاء البادية وضيق العيش؟ فقال: لولا أن الله تعالى أقنع بعض العباد بشر البلاد ما وسع خير البلاد جميع العباد، وقال بعض الفلاسفة فطرة الرجل معجونة بحب الوطن.

● **فضلُ محبةِ الوطَن**

روي في الخبر: حبّ الوطن من طيبِ المولِد. **وقال أبو عمرو بن العلاء** مما يدلّ على كرم الرجل وطيب غريزته حنينه إلى أوطانه وحبه متقدمي إخوانه وبكاؤه على ما مضى من زمانه.

وقالت العجم: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة وإلى مسقط رأسها توّاقة. وسمع أبو دلف رجلاً ينشد:

ألقَى بكلّ بلادٍ إن حللتُ بها ... ناساً بناسٍ وإخواناً بإخوان

فقال: هذا الأم بيت قالته العرب، لقلة حنينه إلى الآلفه.

● **الحثّ على صيانةِ مسقط الرأس**

قيل: لا تجفُ بلداً فيه قوابلك، وأرضاً تبنكها[٢] قبائلك. **وقيل**: إحفظ بلداً

---

(١) **التمريخ**: مصدر مرّخ جسده: أي دهنه. (٢) **تبنكها**: تقيم فيها.

رشحك غذاؤه وأرع حمى أكنك[١] فناؤه وقيل: ميلك إلى بلدك من شرف محتدك.

● **حبّ مسقطِ الرأسِ وصعوبةُ مفارقتِه**

قال حفص الطائي: رأيتُ جارية تقود عنزاً فقلت: يا جارية أيّ البلاد أحب إليك؟ **فقالت**:

أحبُّ بلاد الله ما بين منعج ... إليّ، وسلمي إن تصوبَ سحابُها
بلاد بها نيطت عليّ تمائمي ... وأول أرض مسّ جلدي ترابُها[٢]

وقال ابن الرومي:

ولي وطنٌ آليتُ أن لا أبيعَه ... ولا أن أرى غيْري له الدهرَ مالِكا[٣]
عهدتُ به شرخَ الشباب ونعمَةً ... كنعمةِ قومٍ أصبحُوا في ظلالِكا[٤]
فقدْ ألفتْه النفسُ حتّى كأنّه ... لها جسَدان بأن غودرَ هالِكا
وحبّبَ أوطانَ الرجالِ إليهم ... مآربُ قضّاها الشبابُ هنالكا
إذا ذكروا أوطانَهم ذكرتهم ... عهودُ الصّبا فيها فحنوا لذلِكا

وقال آخر:

وكلّ نفس تحبّ محياها

وكفى بدلالة محبته قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ﴾[٥] الآية **وقال الشريفُ الموسوي**:

وفي الوطنِ المألوفِ للنّاس لذةٌ ... وإن لم ينلْنا العزّ إلا التقلبُ

● **المستشفي بتراب أرضه وريحِها**

لما أسر سابور[٦] ببلد الروم قالت له بنت الملك، وكان قد مرض وعشقته، ما تشتهي؟ **قال**: شربة من ماء دجلة وشمّة من تراب اصطخر[٧] فحملا إليه فبرأ. واعتلّ أعرابي فقيل له: ما تشتهي؟ **قال**: حسل[٨] فلاة وحسي قلاة.

وكان من عادة العرب إذا غزت أو سافرت حملت معها من تراب بلدها فتنشقه عند نزلة أو صداع.

● **من تشوّق مكان إلفه بعدما كرهه**

قال بعضهم:

ألفنا دياراً لم تكن من ديارنا ... ومن يتألف بالكرامةِ يألف

---

(١) **أكنك**: سترك.

(٢) **نيطت تمائمي**: علقت والتمائم جمع تميمة، وهي الحرز أو التعويذة التي تعلّق لدفع الروح الشريرة.

(٣) **آليت**: أقسمت وأخذت عهداً.

(٤) **شرخ الشباب**: ريعانه وأوّله.

(٥) **القرآن الكريم**: النساء/ ٦٥.

(٦) **سابور**: من ملوك الفرس.

(٧) **اصطخر**: مدينة في إيران.

(٨) **الحسل**: ولد الضبّ.

وقال:

نزلنا مكرَهين بها فلما ... ألِفناها خرجْنا مكرَهينا

وما حبّ البلاد بنا ولكن ... أمرُّ العيش فرقةُ مِنْ هوينا

● **الحنينُ إلى البادية والتبرّم بالحاضرة**

قال بعض الأعراب المتوجهين إلى خراسان في زمن عثمان رضي الله عنه يقول:

بلغتُ إلى حلوان والقلبُ نازعٌ ... إلى أهلِ نجْد أينَ حلوان من نجدِ

لجثجاثُ أرض حين يضربه الندى ... أحب وأشهى عندنا من جنى الوردِ[1]

قيل لزينب أم حسانة الضبية وهي قاعدة على حافة بركة في وسط رياض وأزاهر أما ترين حسن هذا المكان؟ فأطرقت ساعة وقالت:

أقولُ لأدنى صاحبي أسرّه ... وللعين دمعٌ يحدر الكحلَ ساكبُه[2]

أحبّ إلينا من صهاريج ملئت ... للعب ولم تَمْلح إليّ ملاعبُه[3]

فيا حبّذا نجدٌ وطيبُ هوائِه ... إذا أهضبَتْه بالعشيّ هواضبُه[4]

وريحُ صبا نجْدٍ إذا ما تنسّمتُه ... ضحىً وسرَت جنح الظلامِ خبائبُه[5]

فأقسمُ لا أنساه ما دمْت حيّةً ... وما دام ليلُ عن نهارٍ يعاقبُه

ولا زالَ هذا القلبُ مسقيّ لوعةٍ ... بذكراه حتّى يترك الماءَ شاربُه

● **الحنين إلى منزل لا يرجى لحوقه**

وقال لرجل من بني طهم:

أحنّ إلى نجدٍ وإنّي لآيس ... طوالَ الليالي من قفولٍ إلى نجْدِ

وقال:

يقرّ بعيني أن أرى رملَة الفضا

وقال آخر:

فلستُ وإن أحببتُ منْ يسكنُ الفضَا ... بِأولِ راجٍ راحة لا ينالُها

وقال المتنبي:

أحنّ إلى أهلي وأهوَى لقاءهم ... وأين من المشتاق عنقاء مُغْرِب[6]

---

(١) **الجثجاث**: لعلهالجثيث وهو غسيل النخل ـ **الندى**: الطلّ.

(٢) **يحدر الكحل**: يسيله ويجعله ينحدر. (٣) **الصهاريج**: أحواض الماء.

(٤) **أهضبته الهواضب**: نزلت فيه الأمطار أو دفعات المطر.

(٥) **الصبا**: ريح لينة مهبّها من جهة الشرق ـ **الخبائب**: جمع خبيبة وهي الشريحة من اللحم.

(٦) **عنقاء مغرب**: العنقاء طائر لم يوجد، **وقوله**: عنقاء مغرب كناية عن استحالة الشيء وبطلانه.

● **حمد سكون البادية وذمّه**

وقال شاعر:

ومـن تـكـن الـحـجـارةُ أعـجـبَـتْـه		فـأيّ أنـاسٍ بـاديـةٍ تـرانَـا

وقال ﷺ: من سكن البادية جفا ومَن اتبع الصيد لها ومن أتى السلطان فتن.

(٨)

وممّا جاء في النيران

●

● **ماهية النّار**

قال النظّام: النار اسم للحر والضياء، وهما جوهران صعادان. والضياء هو الذي يعلو إذا انفرد ولا يعلى. فإذا قيل أحرقت النار وسخنت، فذلك للحرّ لا للضياء.

وقال: النار مكنة في الأشياء كلّها، فإذا أطفئت نار الأتون فوجدنا حرّها ولم نجدها مضيئة فلأن حرّ النار يهيج تلك الحرارات فيظهرها، ولم يكن ثم ضياء فيظهر إذا خالطته النار فهو أشدّ كالصاعقة.

● **منفعة النار**

قيل: من أكبر المواعين الماء والنار ثم الكلأ والريح، ومنافعها يطول حصرها ويصعب ذكرها. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾[١] (الآية). وهي أعظم ما زجر به عن المعاصي. وقد جعلها الله تعالى من عذاب الآخرة فقد عذب في الدنيا بالغرق والرياح والحاصب، والرجم والمسخ والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ولم يبعث عليهم ناراً، وهي ما ركب منه العالم ولا يتعرّى شجر ومدر منها.

وقيل في الإخوان: هم بمنزلة النار قليلها ينفع وكثيرها يضرّ. وكانوا إذا تتابعت عليهم الأزمان وأحوجهم الاستمطار عقدوا في أذناب البقر شسعاً[٢] فصعدوا بها جبلاً وأوقدوها ناراً وضجوا بالدعاء.

وناراً كانوا يوقدونها في التحالف وقد ذكرناه في الإيمان وناراً كانوا يوقدونها خلف مسافر لا يريدون رجوعه.

قال شاعر:

وحـمـة أقـوام حـمـلـتُ ولـم أكـن		لأوقـدَ نـاراً خـلـفَـهـم لـلـتـنـدّمِ

---

(١) القرآن الكريم: يس/ ٨٠.

(٢) شسعاً: الشسع زمام للنعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها.

● حسنُ النّار ووصفُها

إذا وصفوا شيئاً بالحسن قالوا: ما هو إلا نار موقودة. وقالت امرأة: أنا والله أحسنُ من النار الموقدة. وقال قدامة في وصف الذهب: شعاعٌ مركوم ونسيم معقود.

ونظر مجوسيّ في مجلس الصاحب إلى لهيب نار فقال: ما أشرقها! فقال الصاحب: ما أشرقه وقوداً وأخساه معبوداً. الياس:

ما ترى النارَ كيفَ أسقمَها القرُّ ... فأضحت تخبو زماناً وتبصَرُ
وبدا الجمرُ والرمادُ عليها ... في قميصَين مذهب ومعنبَرُ

وقال أحمد بن الضحاك:

كأنما النارُ حينَ ترمُقُها ... وجمرُها من رمادِها يُحجَبْ
وجنَةٌ عذراء مسّها خجلٌ ... فالتهبَتْ تحت عنبرِ أشهَبْ

وقال الصاحب: الاصطلاء طيّب عند الامتلاء(١)

وقال شاعر:

وشعثاء غبراء الفروع منيفة ... بها توصفُ الحسناءُ أو هيَ أجمَلُ
دعوتُ بها أبناءَ ليلٍ كأنهم ... إذا أبصروها معطَشون قد أنهلوا

وقال الجريمي:

نارٌ كهادي الشقراء نافرةٌ ... تركضُ من حولِها أشافرُها

● النيرانُ التي جعلَها اللّهُ تعالى آية

كانت بنو إسرائيل إذا قرّب أحدهم قرباناً مخلصاً لله، نزلت نار فتأكله ومتى لم تنزل النار وبقي القربان على حالته دلّ على أن صاحبه مدخول النيّة. وهذه النار هي التي اقترحوها على النبي ﷺ فحكى الله عنهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ﴾(٢) (الآية) وقيل إن الحجّاج لما جنّق(٣) الكعبة جاءت نار فوقعت في المنجنيق فأحرقته فامتنعَ أصحابه من الرمي، فقال الحجّاج: إن هذه نار القربان دلّت على أن فعلكم متقبّل. ومن ذلك، النار التي قصدها موسى فكانت سبب نبوّته(٤) ومنه نار إبراهيم التي صارت برداً وسلاماً(٥) ومنه نار الحرّتين(٦) وذلك أنه ظهر

---

(١) عند الامتلاء: أي عند الشبع وامتلاء البطن أو المعدة بالطعام.

(٢) القرآن الكريم: آل عمران/١٨٩. (٣) جنّق الكعبة: ضربها بالمنجنيق.

(٤) قوله: النار التي قصدها موسى، إشارة إلى الآية رقم ١٠ التي وردت في سورة طه ونصّها: ﴿إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا لعلي آتيكم منها بقبس﴾.

(٥) قوله: نار إبراهيم إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ [الأنبياء: ٦٩].

(٦) نار الحرّتين: الحرّة: أرض ذات حجارة نخرة سود كأنّها أحرقت بالنّار.

في حرة بلاد بني عبس نار تسطع بالليل والنهار، ويظهر دخانها بالنهار، وكانت طيء تنقش فيها الإبل من مسيرة ثلاث. وربما ندرت منه عنق فتحرق ما تأتي عليه، فبعث الله خالد بن سنان وهو أول ولد إسماعيل عليه السلام، ولم يكن في أولاده غيره فاحتفر لها بئراً ثم أدخلها فيه والناس ينظرون، وهو يقول: كذب ابن راعية المعزى لأخرجن منها وجبيني يندى. ثم لما حضرته الوفاة قال إذا دفنتموني فاحضروا بعد ثلاث، فإنكم ترون عيراً أبتر يطوف بقبري، فإذا رأيتم ذلك فانبشوني أخبركم بما هو كائن إلى يوم القيامة. فلما حضروا بعد الثلاث ورأوا العير، اختلفوا قال ابنه: لا أفعل إني أدعى إذاً ابن المنبوش. وقدمت ابنته على النبي ﷺ فقال: هذه بنت نبيّ ضيّعه قومه، وبسط لها رداءه. وقيل: سمعت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقالت: كان أبي يتلو هذه السورة والمتكلمون[1] ينكرون ذلك. فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾. وخالد كان من الفدادين أعرابياً من أهل الوبر. وما بعث الله نبياً قط إلا من أهل القرى وسكان المدن.

● النيرانُ المعبودةُ المعظّمة

أما النار العلوية فقد عُبدَتْ. قال الله تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2] وقد يجيء في الأثر وسنة بعض الأنبياء تعظيماً على جهة المحنة وإيجاب الشكر على النعمة.

ويزعم أهل الكتاب أن الله تعالى أوصاهم وقال: لا تطفئوا النيران من بيوتي وأما المجوس فقد جاوزوا الحدّ حتى اتخذوا لها البيوت والسدنة[3] والوقوف[4] الكثيرة.

● نيران كانوا يوقدونها في أوقاتٍ مختلفة

إذا أرادوا حرباً وقصدوا جمعاً، يوقدون ناراً عظيمة يجعلونها أمارة[5] لاجتماعهم، قال عمرو بن كلثوم:

ونحنُ غداة أوقِدَ في خزازي ... رفدنا فوق رفد الرافدينا[6]

وقال الفرزدق:

ضربوا الصنائعَ والملوكَ وأوقدوا ... نارَين أشرفنا على النيرانِ

---

(١) المتكلمون: علماء الكلام الذين يدافعون عن قضايا الدين بالأدلّة العقليّة.
(٢) القرآن الكريم: النمل/ ٢٤.
(٣) السدنة: خدم الكعبة أو خدم بيت صنم، جمع سادن.
(٤) الوقوف: جمع وقف وهو حبس العين على ملك الواقِف، أو على ملك الله والتصدّق بالمنفعة.
(٥) الأمارة: العلامة.
(٦) خزازى: أي يوم خزازى وهو من أيام العرب.

ومنها النار التي يوقدونها ليحيروا بها الظباء بالليل ويهوّلوا على الأسد إذا حدقَ إليها.

● **ما يتراءى من النيران ولا حقيقةَ لها**

يحكى أن السعالي[1] توقد ناراً حوالي الإنسان تخوّفهم بها.

قال عبيد الأبرص:

لـلّـه درّ الـغـول أي رفـيـقـة ... لـصـاحـبِ قـفـرٍ خـائـف مـتـقـتـر
أرنّت بلحن فوق لحنٍ وأبعدتْ ... حـوالـي نـيـرانـاً تـبـوخ وتـزهـر

ونار حباحب وقيل أبي حباحب، وهو ما يكون من الأكسية ونحوها مما لا حقيقة له من النيران. **ونار البرق** وكل نار تحرق العود إلا نار البرق فإنها تجيء بالمطر. وتحدث حدة الشجر ونار اليراعة، وهي طائر كبعض الطيور بالنهار وإذا طار بالليل فهو كشهاب قبس، ويلمح لها لمع ينض[2] ويلمع من بعيد، فإذا دنوت منها لم ترها شيئاً. والعرب تقول أكذب من يلمع.

● **أنواعٌ مختلفة من ذلك**

قال بعضهم:

كـأنّ نـيـرانَـنـا فـي جـنْـب قـلـعـتـهـم ... مـصـقـلات عـلـى أرسـانِ قـصـارِ

وقال البحتري في حريق وقع في دار المعتز:

مـا كـانَ قـدر حـريـق إن بـنـيـت لـه ... وكـلّـنـا قـلـقُ الأحـشـاء حـرّانُ
تـفـاءلَ الـنـاس واشـتـدتْ ظـنـونُـهـم ... والـفـألُ مـنـه لـبـعـضِ الـنـاس تـبـيـانُ
وأيـقـنـوا أنّ تـنـويـرَ الـحـريـق هـو الـدّنـ ... ـيـا تـمْـلـكـهـا والـنـارُ سُـلـطـانُ

وقال بعض الحكماء: النيران أربع: **نار تأكل وتشرب** وهي نار المعدة، **ونار تأكل** ولا تشرب النار الموقدة، **ونار تشرب ولا تأكل**، وهي نار الشجر، **ونار لا تأكل ولا تشرب**، وهي نار الحجر.

● **مدحُ السراج**

قال النبي ﷺ: المصباحُ مطردة للشيطان، مذبّة[3] للهوام مدفعة[4] للصوص.

وقال النابغة:

ولا يـضـلّ عـلـى مـصـبـاحِـهـا الـسـاري

---

(١) **السعالي**: جمع سعلاة وهي أنثى الغول. (٢) **ينض**: يسيل قليلاً أو يرشح.
(٣) **المذبّة**: ما يذبّ أي يدفع به الذباب، جمع مذبّات ومذاب.
(٤) **المدفعة**: ما يدفع به اللصوص.

يضرب ذلك مثلاً للمصباح المضيء.

● **الزّند**

قالت العرب في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار. وقيل: أرح يديك واسترح إن الزناد مرح.

وقال ذو الرمّة وقد ألغز:

وسقطٍ كعيْن الديك عاودتُ صاحبي أباها وهيأ بالموضعه وكْرا
مشهرة لا تمكن الفحل أمّها إذا هي لم تميك بأطرافها قسْرا
أخوها أبوها والضوى لا يضيرُها وساق أبيها أمها اعتقرت عقْرا

وقال الأعشى:

ولو بتّ تقدح في ظلمةٍ صفاة تتيع لا ورَيْت نارا

وقال آخر:

وزندك أفضلُ أزنادِها

● **الدّخان**

يقال دواخن تنصب ودخان الرمث. **وقال في صفة ذئب:**

كأن دخان الرمث خالطَ لونه

وقال الراعي:

كدُخان مرتجل بأعلى تلعةٍ غرثان ضرم عرفجاً مبلولا[1]

والمرتجل الذي يطبخ رجل جراد أي جماعتها.

---

(١) التلعة: ما علا من الأرض ـ العرفج: نبات سهلي.

الحدّ الثالث والعشرون

في الملَك والجنّ

•

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه **قال**: ليس من خلق الله تعالى أكثر من الملائكة. وعن أبي نجيح عن مجاهد **﴿والمقسمات أمراً﴾** قال: الملائكةُ ينزلها الله تعالى بأمره على من يشاء. وعن مسلم عن مسروق **﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾**. **قال**: هي الملائكة. وعن الحكم وما ننزله إلا بقدر معلوم.

قال: بلغني أنه ينزل مع المطر أكثر من ولد آدم وولد إدريس يحصون كل قطرة وأين تقع ومن يرزق ذلك النبات.

وعن العلاء بن عبد الحكم عن ابن سابط في قوله تعالى: **﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾**[1]

قال في أم الكتاب كل شيء هو كائن إلى يوم القيامة. ووكّل به ثلاثة من الملائكة يحفظونه: فوكل **جبريل** بالكتاب أن ينزل به إلى الرسل، ووكّل جبريل بالهلكات إذا أراد الله أن يهلك قوماً ووكّله أيضاً بالنصر عند القتال.

ووكّل **ميكائيل** بالحِفْظ والقطْر[2] ونبات الأرض. ووكّل **عزرائيل** بقبض الأرواح فإذا ذهب الله بالدنيا جمع بين حفظهم وبين ما في أمّ الكتاب فيجدونه سواء.

وعن ابن عباس ويتلوه شاهد منه جبريل وعن النبي ﷺ أنه رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح.

وعن الربيع **﴿ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ﴾** **قال**: جبريل، وهو بالأفق الأعلى، **قال**: **﴿بالسماء الأعلى﴾** يعني جبريل، ثم **﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾** يعني جبريل، **﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾**. **قال على لسان جبريل**: **﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾** يعني جبريل رآه في صورته وعن النبي ﷺ أنه قال: الروحُ الأمين جبريل له ستمائة جناح من لؤلؤ قد نشرها مثل ريش الطواويس.

عن ابن شبابة، قال: يدبر الأمر أربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

---

(١) **القرآن الكريم**: الزخرف/ ٤.

(٢) **القطر**: المطر.

فجبريل على الريح والجنود، **وميكائيل** على القطر والنبات، **وملك الموت** على قبض الأرواح **وإسرافيل** يبلغهم ما يؤمرون به.

وعنه ﷺ أنه قال لجبريل لم أر ميكائيل ضاحكاً. **قال**: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار.

عن عليّ بن أبي طالب في **قوله**: يسألونك عن الروح، **قال**: ملك له سبعون ألف وجه فيها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبّح الله بكل اللغات.

عن ابن عبّاس قال: أتى نفر من اليهود إلى النبي ﷺ **فقالوا**: أخبرنا عن الروح ما هو؟ **قال**: جند من جنود الله ليسوا بملائكة لهم رؤوس وأرجل يأكلون الطعام. ثم قرأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[1] قال هؤلاء جند وهؤلاء جند. **وعن الأعمش قال**: سألت مجاهداً عن قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ **قال**: هم الملائكة.

(١)
وممّا جاءَ في إبليس والجِنّ

•

• حقيقةُ الجِنّ

الجنّ من الخلق التي لطفت أجسادها. ويشهد لحقيقته القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وذكر بعض الفلاسفة ممن لا يثبت القديم أن لا حقيقة للجن والملائكة.

• بعضُ التحذير الواردِ في الشريعة من الشيطان

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[2]، وذلك في آيات كثيرة. **وقال** ﷺ: خمروا آنيتكم وأوكئوا أسقيتكم وأجيفوا الأبواب، وأطفئوا المصابيح، وأكفتوا صبيانكم، فإن للشيطان انتشاراً وخطفة.

وقال ﷺ: لا تشربوا من ثلمة[3] الإناء فإنها كفل الشيطان.

• رجمُ الشياطين

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾[4] وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾[5]

---

(١) **القرآن الكريم**: النبأ/ ٣٨.

(٢) **القرآن الكريم**: المؤمنون/ ٩٨.

(٣) **الثلمة**: محلّ الكسر، الخلل.

(٤) **القرآن الكريم**: الملك/ ٥.

(٥) **القرآن الكريم**: الصافات/ ٦.

وحكى الله تعالى عنهم أنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرساً شديداً وشهباً (الآيات) وكان الشياطين يتسمعون ما يوحونه إلى أوليائهم. وقد زعم بعض الناس أن الله تعالى جعل الرجوم حجة لنبيه ﷺ وقال قوم ليس كذلك. فقد قال بشر:

فجالَ على نفَر كمَا انقضَّ كوكبٌ ... وقد حالَ دون النقْعِ والنقْعُ يسطَعُ[1]

وقال أمية بن أبي الصلت:

وترى شياطينا تروغُ مضافةً ... ورواغُها صبر إذا ما تطرَدُ[2]

تلْقَى عليها في السّماءِ مذلّة ... وكواكبُ تُرْمى بها فتعردُ

● **صرعُ الجنّ للإنسانِ وغيره**

عندهم أن الجن يصرع الإنسان لحبّه له. **وقيل**: إن فتى قبيحاً حصل جارية مليحة **فقال لها**: ما في الدنيا أملح منّي. فجاء إلى بابه يوماً فتى ظريف يطلبه فتطلّعت فرأته فلما عاد **قالت له**: ألم تقل إن ما في الدنيا أحسن منك؟ وقد جاء فلان يطلبك فرأيته أملح منك. **فقال الرجل**: يريد أن يقبحه في عينها: هو مليح لكن له جنية تصرعه كل شهر مرة. **فقالت**: لو كنت جنيته لصرعته ألفين.

واستدل على أن نتيجة الصرع من الجنّ بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[3] وقالوا في بعير مجنون: إنه لا يرى ما لا ترى الإبل. **وقالوا**: قد يجن الجن. وأنشد لدعلج الحكم:

وكيفَ يفيقُ الدهر كعبَ بنَ ناشب ... وشيطانُه عند الأهلةِ يصرعُ

● **تصوّرُ الجنِ للإنسان بصور**

تزعم العامة أن الجنّ تتصور بأي صورة تشاء، إلا الغول[4] فإنها تتصور في صورة امرأة، إلا رجليها فإنهما لا بد وإن يكونا رجلي حمار. وقاسوا ذلك بتصوير **جبريل عليه السلام** بصورة **دحية الكلبي**، وتصوّر **إبليس** بصورة **سراقة بن مالك**، وبصورة **الشيخ النجديّ**.

والغول تتصور للإنسان فتغوله أي تهلكه، ويقولون من ضربها ضربة قتلها. وإذا زيدت لم تمت ولو ضربت ألوفا. **قال شاعر**:

فقالتْ زدْ فقلْتُ رويْد أني ... على أمثالِها ثبتُ الجَنان

---

(١) **النقع**: الغبار.

(٢) **الرواغ**: مصدر راغ يروغ، أي حاد عن الطريق وذهب هكذا وهكذا.

(٣) **القرآن الكريم**: البقرة/ ٢٧٥.

(٤) **الغول**: حيوان لا وجود له.

● **من ادعى أنه قتله الجن**

قالوا: خرج علقمة بن صوفان في الجاهلية يريد مالاً على حمار ومعه سوط في ليلة، فإذا بشيء يدور ومعه سيف وهو يقول:

علقم إنك مقتول ... وإن لحمك مأكول

فقال علقمة: شق مالي ولك تقتل من لا يقتلك أغمد عني منصلك. فواثبه وضرب كل واحد صاحبه فخرّا ميتين. **وقالوا:** إن الجن قتلت حرب بن أمية، وفيه **قالت الجن:**

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفرِ ... وليسَ قربَ قبرِ حربٍ قبْرُ

وقتلت سعد بن عبادة وقالت:

قد قتَلْنا سيّدَ الخز ... رج سعدَ بن عباده[1]

ورميْناه بسهميْ ... نِ فلمْ نخط فؤادَه

● **من ادّعى أنه قتلَ الجنّ**

من ذلك ما روي أن تأبّط شراً قتل غولاً، وعاد إلى قومه وقد تأبّط رأسه، **فقيل:** تأبّط شراً. وروي أن عمر رضي الله عنه صرع جنياً.

● **ما نسبَ إليهم من الداء**

قالوا: الطاعون من الجنّ وسمّي رماح الجن، **قال:**

ولكنّي خشيتُ على أبي ... رماحَ الجنّ أو إياكَ جاري

● **الإستجارةُ بالجنّ**

كانت العرب إذا صار أحدهم في تيه من الأرض وخاف الجنّ **يقول:** رافعاً صوته، أنا مستجير بسيّد هذا الوادي ويصير له بذلك خفارة. ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[2] الآية.

● **رئيّ الشعراء**

ادّعى كثير من فحول الشعراء أنّ له رئياً يقول الشعر بفيه، وله إسم معروف من ذلك **مسحل شيطان الأعشى وفيه يقول:**

دعوتُ خليلي مسحَلاً ودعوا له ... جهنام جدعاً للهجينِ المذمّمِ

---

(١) **الخزرج:** قبيلة يمنية، وهي مثل الأوس من أصل واحد وقد رحلوا جميعاً من جنوبي جزيرة العرب إلى المدينة المنوّرة بعد خراب سدّ مأرب.

(٢) **القرآن الكريم:** الجن/٦.

وذكر أن خال مسحل هميم شيطان الفرزدق قال أبو النجم:

إنّي وكلّ شاعرٍ من البشر ... شيطانُه أنثى وشيطاني ذكَر

وقال آخر:

إنّي وإن كنتُ صغيراً سنّي ... فإنّ شيطاني كبيرُ الجنّ

● **رؤية الجنّ وسماعُهم وصحبتُهم**

روي أن ابن علاثة قضى بين الجنّ في دم. وقال ابن الأعرابي: نزلت بأعرابي فاستطبت ماءه فسألت عن مكانهم. فقال: هو كثير الجان. فقلت: أو ترونهم؟ قال: نعم مكانهم في ذلك الجبل وأومأ بيده إلى جبل يقال له سواج.

وقد ادعى عدّة من العرب أنهم رأوا خياماً وناساً ثم فقدوهم من ساعتهم، قال ذو الرمّة:

للجنّ بالليلِ في غيطانِها زجَلُ ... كما تناوحَ يومَ الريحِ عيشومُ[1]

وقال:

ورملٌ عزيفُ الجنّ في عقداتِه ... هزيزٌ كتضرابِ المغنّين بالطَّبْلِ[2]

ولا تتحاشى العرب من سماع الهاتف وذلك كثير. وقالوا: دويّ الفيافي عزيف الجن. وأصل ذلك أن من سكن الفيافي وتوحش وقلّت أشغاله ربما يتوسوس، فيتصور الصغير كبيراً ويتفرق ذهنه ثم يجعل ما يتصوره أحاديث فيحكيها. قال عبيد بن أيوب:

أخو فقرات حالفَ الجنّ واتقى ... من الأنسِ حتّى قد نقضتْ وسائله

● **من ادّعى أنه تجيبُه الجنّ**

يقال: فلان مخدوم إذا كان إذا عزم[3] على الجنّ أجابوه. فمنهم عبد الله بن هلال الحميري صديق إبليس، وكرباس الهندي وصالح الدبيري.

وقالوا: من أراد أن يحبه الجن فليتبخر باللّبان ويراعي سير المشتري[4] ويغتسل بالماء القراح، ويكثر من دخول الخرابات.

وقالوا إذا آخى الجنيّ أنسياً أخبره ووجد حسه ورأى خياله.

ومنهم الكهان نحو جارية جهينة وكاهنة باهلة وشق وسطيح. والعرّاف دون الكاهن.

● **من استهوته الجنّ**

قالت العرب: استهوت الجنّ سنان بن أبي حارثة يستفحلونه فمات فيهم. واستهووا طالب بن أبي طالب فلم يوجد له أثر قط. وعمرو بن عدي اللخميّ ثم ردّوه إلى جذيمة

---

(١) الزجل: عزيف الجن ـ العيشوم: نبت يتخشخش إذا هبّت عليه الريح.

(٢) عقدات الرمل: ما تعقد وتراكم من الرمل ـ الهزيز: دويّ الريح وصوت الرعد.

(٣) عزم على الجن: أي قرأ العزائم واحدتها عزيمة وهي الرقية، والمعزِّم: الراقي.

(٤) المشتري: نجم من السيّارات.

الأبرش. واستهووا عمارة بن الوليد بن المغيرة، ونفخوا في أحليله فصار مع الوحش.

وقالوا خرافة رجل استهوته الجنّ ثم عاد يخبر عنها، وبه ضرب المثل **فقيل**: المثل حديث خرافة.

وروي أن عمر رضي الله عنه استخبر المفقود الذي استهوته الجن ما كان طعامهم؟ **قال**: الفول. وقيل الرمّة وما لم يذكر إسم الله عليه.

● من ادّعى أنه من ولد الجنّ

ذكرت العرب أن عمرو بن يربوع من ولد السعالي. وذكر أبو زيد النحويّ أن سعلاة أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم. فلما رأت برقاً يلمع من نحو ديارهم حنّت فطارت إليهم، **وفيهم قال الشاعر**:

يا قاتل الله ابني السعلاةِ ... عمراً وقابوساً شرارَ النات

أي الناس. وذكروا أن جرهما من ولد الملائكة. واستدل على صحة تناسل الجن من الأنس بقوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[1] وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[2]

وزعموا أن النسناس تركيب ما بين الشقّ والإنسان.

● مساكنُ الجنّ

زعمت العرب أن الله تعالى لما أهلك الأمة الساكنة **وبار**، كما أهلك **طسماً وجديساً وعاداً وثمود**، سكنت الجن منازلهم وحمتها من كل من أرادها. وأنها أخصب بلد فإن دنا اليوم منه إنسان غالط حثوا في وجهه التراب فإن أبى الرجوع خبلوه. وإن من أراده ألقى على قلبه الصرفة حتى كأنهم أصحاب موسى في التيه.

وقيل في المثل: لا يهتدي لكذا حتى يهتدي لوبار وليس بذلك المكان إلا الجن والإبل الحوشية.

وقالوا شيطان الحماطة، وغول القفر، وجان العشر، وشيطان عبقر. ونسب كل شيء في الجودة إلى **عبقر** حتى قيل لم أر عبقرياً مثله.

● مراكِبُ الجنّ

ادعوا أن الجنّ يركب كل وحش من البهائم والطيور، إلا الأرنب لأنها تحيض. والضباع لأنها تركب أيور القتلى والموتى، إذا جيفت أبدانهم، والقرد وأنها لا تغتسل من الجنابة.

وقالوا يكثر ركوبها القنفذ والورل[3] وأنشدوا للجن:

وكلّ المَطايا قد ركبْنا فلم نجِدْ ... ألذَّ وأشهى من ركوب الجنادبِ

---

(١) القرآن الكريم: الإسراء/ ٦٤. (٢) القرآن الكريم: الرحمن/ ٥٦ و٧٤.

(٣) الورل: من الزواحف على خلقة الضبّ وهو طويل الذنب ودقيقه.

ولـمْ أرَ فـيـهـا غـيـرَ قـنـفـذ بـوقَـة   يـقـودُ قـطـاراً مـن عـظـيـم الـعـنـاكـبِ

وقالوا من قتل من أول الليل بعض هذه المراكب لم يأمن على فحل إبله. ومتى اعتاره غمّ أو مرض في ماله وأهله، حكموا بأن ذلك عقوبة من قتلهم.

● **ما نسبَ فعلُه إلى الجنّ**

نسب كثير من الناس أبنية محكمة إلى الجن واستدلوا على أنهم كانوا يبنون، بقول الله تعالى: فيهم ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾[1] وقال النابغة:

وخـيّـس الـجـنّ إنـي قـد أذنـتُ لـهـم   يـبـنـون تـدمـرَ بـالـصـفّـاح والـعـمَـدِ[2]

وقالوا للمأثور من السيوف عملته الجن. **وقالوا في الإبل** فيها عرقاء من سفاد الجن. حتى قالوا الحوشية من نسل حوش وهي إبل الجن. **والمهرية** منسوبة إلى فحل لهم وذهبوا إلى أن النبي ﷺ كره الصلاة في أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين. **وقال الجاحظ** جهلوا مجاز الكلام فحملوا اللفظ على غير جهته.

---

(١) القرآن الكريم: ص/ ٣٧.

(٢) خيّس: أي ذلّل ـ تدمر: بلدة بالشام بناها سليمان الحكيم ـ الصفّاح: الحجارة العراض الرقاق ـ العمد: السواري من الرخام وهي الأساطين جمع أسطوانة.

الحدّ الرابع والعشرون

في الحيوانات

●

(١)

فما جاء في الخيل والبغال والحمير

●

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾(١) وقال خالد بن صفوان: الخيل للإيغال(٢) والبغال للجمال، والحمير للأحمال.

وقال الحسن رضي الله تعالى عنه: الجفاء مع أذناب الإبل والمذلّة مع أذناب البقر، والسكينة مع أذناب الغنم، والعزّ في نواصي الخيل.

● **وصفُ البغل مدحاً وذماً والاعتذار لركوبه**

قال شاعر في مدحه:

البغلُ فيه لمَنْ يمارسُه ... صبرُ الحِمار وقوةُ الفرَس

وقال البحتري:

وأقبَّ نهْد للصواهِل شطرُه ... يومَ الفخَار وشطرُه للمسحَجِ(٣)
خرقٌ يتيهُ على أبيه ويدّعي ... عصبيةً لابنِ الصليبِ وأعوجِ
مثل المدرع جاءَ بين عمومةٍ ... في عاتقٍ وخؤولةٍ في الخزرجِ

وقيل: ما من شيء بين جنسين أخذ منهما الشبه على السواء كالبغل. وسئل بعضهم: على أي مركب كنت في الطريق؟ فقال: على التي بين الحمار والبغل.

وروي أنه وقع بين حيّين منازعة، فخرجت عائشة رضي الله عنها، وقالت: ائتوني ببغلة أركبها وأصلح بينهما، فقال ابن أبي عتيق: ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل كيف توقعينا بهم يوم البغلة؟ قال الجاحظ: وهذا الحديث من توليد الروافض. فأما عائشة فكان

---

(١) القرآن الكريم: النحل/ ٨.

(٢) الإيغال: مصدر أوغل في كذا: أدخله فيه، وفي السير أسرع.

(٣) الأقبّ (من الخيل): الضامر البطن والدقيق الخصر ـ النهد: البارز أو العالي الصهوة ـ المسحج: كل ما يجري دون الجري الشديد من الدواب.

أمرها أنفذ من أن تحتاج أن تركب وأي شيء يتفاقم حتى تحتاج عائشة فيه إلى الركوب ثم لا يعرف خبره.

وقال بعضهم في تفضيل الإناث منها:

عـلـيـكَ بـالـبـغـلـةِ دونَ الـبـغـلِ   مـركـبِ قـاضٍ وإمـامِ عـدلِ
وعـالـمٍ وسـيّـدٍ وكـهـلِ   تـصـلـحُ لـلـوحـلِ وغـيـرِ الـوحـلِ

ويضرب به المثل في تلوّن أخلاقه. قال الشاعر:

خـلـقٌ جـديـدٌ كـلَّ يـو   مٍ مـثـلُ أخـلاقِ الـبـغـالِ

وقال آخر:

مـتـلـوّن كـتـلـوّن الـبـغـلِ

لقي الرشيد موسى بن جعفر على بغلة فاستنكر ذلك، **وقال:** أتركب دابّة إن طلبت عليها لم تلحق وإن طلبت لم تسبق؟ **فقال:** لست بحيث أحتاج أن أطلب أو أطلب فإنها دابّة تنحط عن خيلاء الخيل، وترتفع عن ذلّة الحمير وخير الأمور أوساطها.

● وصفُ الحمار مدحاً وذمّاً

وصفُ الفضلُ بن عيسى الحمارَ **فقال:** هو أقرب الدواب داءً وأكثرها دواء وأكبرها جماحاً. أنفض مهوى وأقرب مرتقي. قد تواضع راكبه. ولو أراد أبو سيارة لركب في الموسم مهرياً وفرساً عربياً، لكنه ركب الحمار أربعين سنة، فعارضه أعرابي، **فقال:** الحمار إن وقفته أدلى وإن تركته ولى، كثير الروث قليل الغوث لا ترقأ به الدماء ولا تمهر[1] به النساء ولا يندى به الإناء.

ونظر الرقاشي إلى حمار فاره لمسلم بن قتيبة، **فقال:** قعدة نبي وبذلة جبار، ذهب إلى حمار عزير وحمار عيسى وحمار بلعم.

وقرّب إلى أبي لجيم حمار له ليركبه وهو والي البصرة، **فقال خالد بن صفوان:** أعيذك بالله أيها الأمير من ركوبه فإنه عير، والعير عار وشنار منكر الصوت بعيد الفوت متفرق الصحل، متورط في الوحل بسائره، مشرف ولراكبه مقرف. **فقال أبو لجيم:** أمصله. **فقال خالد:** اجعله لي. **فقال:** هو لك فعاد عليه راكباً. فلما بصر به، **قال:** ما هذا؟ **قال:** عير من نسل الكداد أصحر السربال محملج[2] القوائم يحمل الرجل ويبلغ العقبة، ويمنعني أن أكون جباراً.

وقيل: شر المال مالاً يزكى ولا يذكى يعني الحمير، لأنها لا تجب الزكاة في سائمتها.

---

(١) **تمهر به النساء:** أي يعطى مهراً لهنّ.

(٢) **المحملج:** من حملج الحبل إذا فتله فتلاً شديداً.

وكتب قيصر إلى الرشيد على سبيل المعاياة: إبعث إليّ بشر الطعام على شرّ الدواب مع شر الناس فبعث إليه جبناً على حمار مع خوزي.

وقيل: اصبر على الذلّ من الحمار. ويضرب المثل به في الصوت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[1] وقيل لأعرابي: ألا تركب الحمار؟ فقال: إنه عشرة منخرة، تبوع للحجرة. وقيل: الحمار مطية الدجال قال شاعر:

إن الحمارَ معَ الحمارِ مطيّة ... فإذا خلوتَ به فبئس الصاحبُ

وقيل لبعضهم: أي مركوب كلما كان أكبر كان أذلّ لصاحبه؟ فقال: الحمار. وقيل: لا تركب الحمار فإنه إذا كان سلساً أتعب يديك، وإن كان بليداً أتعب رجليك.

ولقي جحظة بعض أصحابه على حمار فقال: مالك اقتصرت على ركوب حمار، لا يساوي ثمن قضيمه؟ فأنشأ يقول:

لا تنكرنّي على حمار ... يضيعُ في مثله الشعيرُ
وكيفَ لا يمتطي حماراً ... مَنْ جُلُّ إخوانهِ حميرُ

وقال:

ولا عنْ رضا كان الحمارُ مطيّتي ... ولكنْ من يمشي سيرضى بما ركِب

(٢)
فضلُ الفَرَس

قال الله تعالى في الامتنانِ به: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2] ومن فضيلته أن النبي ﷺ أسهم له سهمين، ولم يجعل لراكبه المسلم إلا سهماً. وقال ﷺ: الخيل معقود في نواصيها الخير.

وقال رجل من الأنصار وقد روي لامرىء القيس:

الخيْرُ ما طلعَتْ شمسٌ وما غربتْ ... معلّق بنواصي الخيْل معصوبُ

ويروى أن النبي ﷺ أمرغ فرساً له، ثم جعل يمسحه بردائه، فقيل له في ذلك فقال: بتّ البارحة وجبريل يعاتبني في سياسة الخيل.

وكانت العرب لا تهنأ إلا بثلاث إذا ولد للرجل ذكر قيل له ليهنك الفارس، وإذا نبغ في الحيّ شاعر قيل لوالده ليهنك من يذب[3] عن عرضك، وإذا نتج مهراً قيل له: ليهنك ما تطلب عليه الثأر.

---

(١) القرآن الكريم: لقمان/ ١٩.
(٢) القرآن الكريم: الأنفال/ ٦١.
(٣) ذبّ عن: دافع، والعرض: كل ما يحامى عنه.

وقال الجاحظ: لم تكن أمة قط أشد عجباً بالخيل ولا أعلم بها من العرب، ولذلك أضيفت إليهم بكل لسان ونسبت إليهم بكل مكان، فقالوا: فرس عربي ولم يقولوا هندي ولا رومي ولا فارسي.

وعرض الحجّاج أفراساً وجواري وبين يديه أعرابي فخيّره بين فرس وجارية، فقال:

لَصَلصلةُ اللجَامِ برأسِ طِرفٍ   أحبّ إليّ من أن تنكحِيني
أخافُ إذا حللنا في مضيقٍ   وجدّ الركضُ أن لا تحملِيني[1]

● **الحثّ على إيثاره والإحسان إليه، والتمدحُ بذلك**

قال النبي ﷺ: من قدر على ثمن دابة فليشترها، فإنه تعينه على رزقه وتأتيه برزقها. وقال أبو ذرّ: ما من ليلة إلا والفرس يدعو ربّه ويقول: اللهم سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي بيده، فاجعلني أحب إليه من أهله وماله، اللهم ارزقه وارزقني على يديه.

وقال ابن سيرين لرجل: لم بعت فرسك؟ قال: لمؤنتها. فقال: تراه خلق عليك رزقه. وقال مالك بن نويرة:

جزَاني دَوائي ذو الخِمار ومنعتي   بما باتَ أطواه بني الأصاغرُ
رأى أنّني لا بالقَليل أمورهُ   ولا أنا عنه في المُواساة ظاهرُ

وقال يزيد العبدي:

قصرْنا عليْه بالمقبضِ لقاحَنا   رباعيةً أو بازلاً أو سُداسيا

وقال:

مفدّاة مكرّمةٌ علينا   تجاع لها العيالُ ولا تجاعُ

وقال:

هاجرتني يا بنتَ آلِ سعد   أأن حلبت لقحة للوردِ
جهلت من عناقه الممتدِ   ونظرتي في عطفهم الألدُ
إذا جيادُ الخيلِ جاءتْ تردى   مملوءة من غضبٍ وحرْدِ[2]

وقال:

تلومُ على أن أعطي الوردَ لقحة   وما تستوي والوردُ ساعةَ تفزعُ

وقال عامر بن الطفيل:

وللخيل أيامٌ فمن يصطبرُ لها   ويعرفُ لها أيامَها الخير تعقبُ

---

(١) المضيق: ما ضاق من الأماكن والأمور.

(٢) تردي (الفرس): ترجم الأرض بحوافرها ـ الحرد: الغضب والحَرَد استرخاء عصب يد البعير.

● **كونه معقِلاً**

قال شاعر:

إن الحصونَ الخيل لا مدرى القرى

وقال لبيد:

معاقلُنا التي نأوى إليها بنات الأعوجية لا السيوفُ(١)

وعن بعض الفرس: الخيلُ حصون منيعة، ومعاقل رفيعة. **وقيل:** لا حصن كالحصان ولا جنّة كالبِنان.

● **الأمرُ بإهانته وإعارتِه**

قال بعضهم:

أهينوا مطاياكم فإنّي رأيتُكُم يهونُ على البرذونِ موتُ الفتى النّدبِ(٢)

وقال آخر:

وإنّي إذا ما المرءُ آثرَ بغلَه على نفسِه آثرتُ نفْسي على بغْلي
وأبذلُه للمستعيرينَ لا أرى به علّةً ما دامَ ينقادُ للحبْلِ

● **مدحُ إناث الخيل**

قال ﷺ: عليكم بأناث الخيل فإن ظهورها وبطونها كنز. **وقيل له ﷺ:** أي المال خير؟ **فقال:** سكة مأبورة ومهرة مأمورة. **وقال:** بطون الخيل كنز وظهورها جرز.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الحصان لأمرت به فإنه أخفى للغارة والكمين، ولكن عليكم بالأناث.

● **مشاهيرُ الأفراس**

كان ملك الهند أهدى شبديز إلى كسرى، وكان من أزكى الدواب وأعظمها خلقاً وكان لا يبول ولا يروث تحته وكان ينخر ولا يزبد، وكان استدارة حافره ثلاثة أشبار، فبقي مدة ثم نفق. فلإعجاب كسرى به أمر بتصويره. فلما تأمل صورته استعبر.

ومن فحول الخيل عند العرب العسجد والوجيه والغراب ولاحق ومذهب ومكتوم.

وقال طفيل:

بناتُ الوجيه والغرابُ ولاحقٌ وأعوج ينمي نسبةَ المتسبب

وأشقر مروان من نسل **الذائد**، والذائد من ولد **بطين** من البطان، وهو الذي بعث الحجّاج إلى الوليد. ومن نسل **أعوج داحس** كان لعبسيّ بن جذيمة العبس، والغبراء لحمل بن بدر بن حذيفة. وتشامت العرب **بداحس** لوقوع الحرب بسببها.

---

(١) **الأعوجيّة:** الخيل المنسوبة إلى فحل يدعى الأعوجيّ.

(٢) **الفتى الندب:** السريع إلى الفضائل.

والعصا فرس جذيمة الأبرش، وقيل إن قيصر ركبها لما صار جذيمة في بلد الروم فركضها فلم تقف إلا على رأس ثلاثين ميلاً. ثم وقف هناك فبالت، فبنى على ذلك الموضع برج يسمى برج العصا.

وزهدم فرس عنترة، **والنعامة** فرس الحارث بن عباد. ومن أفراس النبي ﷺ **اللزاز** هداه المقوقس إليه من مارية، **والسكب واليعبوب** وبغلته دلدل وحماره **يعفور**. وله ناقتان **العضباء والقصواء. وكان لعلي رضي الله عنه بغلة يقال لها الشهباء، واليحموم والرقيب** فرسا النعمان. **والعباب** فرس مالك بن نويرة **وهسون** فرس الزبير بن العوام. **والغزالة** فرس خولان. **والحرون** لمسلم بن عمر. واشتراه بألف دينار. **وكامل** لزيد الفوارس **وقسام** لبني جعدة **والزائد** لمحمد بن عبد الملك.

● الماهرُ بالركوب العاجز

قيل:

لم يركبوا الخيل إلا بعدما كبروا

وقال آخر:

وإنـي لأرثـي لـلـكـريـم إذا غـدا ... على حاجةٍ عند اللئيم يطالبُه
وأرثـي لـهُ مـن وقـفـة عـنـد بـابـه ... كـمـرسـنـي لـلـطرف والعـلـجُ راكـبُـه

● اللازمُ لظهر الدّابة

يقال فلان حلس دابته **وقال شاعر:**

أراكَ لا تـنـزلُ عـن ظـهـره ... ولـو مَـن الـبـيـت إلى الـحَـبْـسِ

قال أمير المؤمنين: اضرب الفرس على العثار، ولا تضربه على النفار، **فإنه** يرى ما لا تراه، **وقال رجل لأمير المؤمنين:** متى أضرب حماري؟ **قال:** إذا لم يذهب إلى الحاجة كما ينصرف إلى البيت.

● المسْتغني عنِ الضرب

قال ثعلبة:

وتعطيكَ قبْلَ السوط ملْءَ عِنانِها

وقال ابن المعتز:

أضـيـعُ شـيء سـوطُـه إذ يـركـبُـه

وله:

حـسـنـا عليْها ظالـمين سياطَنا ... فـطـارتْ بـهـا أيـدِ سـراعٍ وأرجـلُ

● الخائِفُ من الضَرب

قيل: أكرم الخيل لأمهاتها أجزعها من السوط، وأكيس الصبيان أشدّهم بغضاً للكتاب، وأكرم المهار أشدها ملازمة لأمهاتها.

وقال علقمة يصف ناقة:

تلاحظ السوطَ شزْراً وهي ضامِرَة

وقال الكميت:

إذا اعصوصَبت في أنيق فكأنّما بزجرةٍ أخرى من سواهنّ تضربُ

● الجيدُ العذو

قيل لأعرابي: كيف عدو فرسك؟ قال: يعدو ما وجد أرضاً. وقيل لآخر، فقال: همّه أمامه وسوطه عنانه، وما ضربه أحد إلا ظلماً.

وقال أعرابي في صفة فرس وهو رخو العنان، كأن له في كل قائمة جناحاً. وذكر رجل فرساً فقال: كأنه شيطان، في أشطان إذا أرسل لمع لمع سحاب، أقرب الأشياء إليه الذي تقع عينه عليه.

ووصف ابن القرية فرساً بعثه الحجّاج إلى عبد الملك: بعثت بفرس حسن القدّ أسيل الخد، يسبق الطرف ويستغرق الوصف. وكتب عمرو بن مسعدة: يمرّ بالشاب مع قواه ويسير بالشيخ تحت هوان.

● لاحِقٌ غيرُ ملْحوق

عرض أعرابي فرساً للبيع، فقيل له: كيف هو؟ فقال: ما طلبت عليه إلا لحقت ولا طُلبت إلا فتّ. فقيل له: ولم تبيعه؟ فأنشأ يقول:

وقد تُخْرِجُ الحاجاتُ يا أمّ مالكٍ كرائِمَ من ربّ لهنّ ضنينِ

وقال المرقّش:

ويسبقُ مطروداً ويلحَقُ طارِداً ويَخرجُ من غمّ المضيقِ ويُخرجُ

قال الناشيء:

لم يعتصِمْ ذو مهرَب بفراقهِ يوماً ولاذَ ومطلب بلحاقه

وقال المتنبّي:

أدركتُه بجوادٍ ظهرُه حرَمُ

● المدركُ ما طلب

قال امرؤ القيس، وهو أولُ من ابتدعه:

بمُنجَردٍ قيدِ الأوابدِ هيكَلِ(١)

وقال الأسود:

قيدُ الأوابدِ والرّهان جوادُ

---

(١) المنجرد: القصير الشعر ـ قيد الأوابد: كناية عن السرعة، فجواده يدرك الوحوش فلا تقوى على الفرار فكأنه يقيدها ـ هيكل: ضخم.

وقال عمارة بن عقيل:

وأرى الوحْشَ في يَميني إذا ما كانَ يوماً عنانُه بشِمالي

وقال ابن مقبل:

ولا ينفعُ الوحْشُ منه أن تحذَرَه كأنه معلّق منها بِخطافِ[1]

● **المشبّه بالوحشيات**

قال مالك بن نويرة:

وكأنّه فوقَ الجوالبِ جاليا ريمٌ تضايقُه كلاب أخضعُ

وقال الجعديّ:

كلفتُها شيدا أزلّ مصدرا

وقال آخر

رحيل كسرحانِ الفَضا المتأوّبِ

● **المشبّه في السرعَةِ بالطيور**

كأنه فتخاء[2] كاسر وكأنما يهفو بتمثالِ طائرِ.

وقال امرؤ القيس:

كأنّ غلامي إذا علا حالَ متنِه على ظهرِ بازٍ في السّماء محلّقُ

وقال آخر:

تحسبُه يطيرُ وهو يغدو

وقال مروان:

أقبلَ ينقضّ انقضاضَ الكوكبِ كأنه بازٌ هَوى من مَرْقَبِ
يطلبُ صيْدا في فضاءِ سبسبِ لجائعٍ في وكرهِ مزغبَ[3]

● **المشبّه بالدلاء**

قال أبو النجم:

يهوي هويّ الغربِ من رشائِه أخطأهُ المُفرغ مِن أهوائِهِ[4]

وقال ابن نويرة:

كالدلْوِ خانَ رشاؤُها المتقطّعُ

وقال آخر:

هويَ دلْو خانَه الكربُ

---

(١) الخطّاف: حديدة حجناء يختطف بها. (٢) الفتخاء: العقاب اللينة الجناح.

(٣) السبسب: الفلاة ـ الوكر: عش الطائر ـ المزغب: فرخ الطير الذي يعلوه الزغب.

(٤) الرشاء: الحبل.

● **المشبَّه بالماءِ الجاري والمَطر**

قال ابن المعتز:

أســرعُ مــن مــاءٍ إلــى تــصــويــبِ

وقال المرقّش الأكبر:

يجمّ جمومَ الحِسي جاشَ مضيقُه وجرّده من تحتِ ذيلٍ وأبلَجِ[1]

قال زهير:

كشؤبوبِ غيثٍ يحفش الأكم وابلُه[2]

● **المشبَّهُ بالريح والبرق والنجم**

وقال نصيب الأصغر:

هيَ الريحُ إلا خلقها غير أنّها تبيتُ غوادي الريح حيثُ تُقيلُ

وقال آخر:

سليلُ ريحٍ لقحَتْ من برقِ

وقال امرؤ القيس:

إذا ما جرى شأوين وابتلّ عطفُه تقولُ هوى الريح مرّت بآثارِ[3]

وقال آخر:

كأنّه لمعَةٌ من عارضٍ بردِ

وقال أبو العتاهية:

قد خلفَ الريحَ حسرى وهي تتبعُه ومرّ يختطِفُ الأبصارَ والنظَرا

وقال ابن الرومي:

تراه كالنجم خرّ منصلِتاً إثرَ العفاريتِ والشياطينِ

● **السابقُ الطرفَ والوَهْم**

قال أبو النّجم:

يسبقُ طرفَ العينِ من مضائِه

● **في وصْفِهِ**

طِرف يسبق الطّرف ويفوتُ الوهم.

---

(١) **يجمّ الفرس**: يترك فلا يركب ـ **الحِسي**: السهل إذا استنقع فيه الماء ـ **جاش (الوادي)**: غزر وامتدّ، والصدر غلى غيظاً.

(٢) **الشؤبوب**: الدفعة من المطر ـ **الوابل**: المطر الغزير ويحفش وابله الأكم أي يظهر نباتها، **يُحفش (الليل)**: يملأ الوادي.

(٣) **الشأو**: الشوط أو الأمد.

وقال المتنبي:

أربُعـهـا قـبْـل طـرفِـهـا تـصِـل

وقال الناشىءُ في وصفه:

مـثـلُ دعـاءِ مـسـتـجـابِ إنْ عـلا أو كـدعـاءِ نـازلٍ إذا هـبَـط

- **المشبّه بالنّار والغليان**

شدّ كإضرام الحريق، كمعمعة السعف الموقد، كحَريق في غريق، إذا جاش حميُه غليُ مرْجَل.

- **تواتر أيديها وأرجلِها في العدْو**

قال بكرُ بن النطاح:

كـأنـمـا الـيَـدان والـرجْـلان طـالِـبَـتـا وتـرٍ وهـاربـان[1]

وقال العماني يصف فرساً محجّلاً:

كـأن تـحْـتَ الـبـطـنِ مـنـه أكـلـبـاً بـيْـضـاً صِـغـاراً يـنـهَـشْـن الـمـنـقـبَـا[2]

وقال ابن خلف:

وكـأنـمـا جـهـدت ألـيـتُـه أن لا تـمـسّ الأرضَ أربُـعُـه

وقال آخر:

وكـأنّـمـا يـرفـعْـن مـا لا يـوضَـعُ

وقال الموسوي:

كـأنّـه فـي سـرعـان الـوخْـد يـلـعـبُ فـي أرسـاغِـه بـالـبـردِ[3]

- **الحاذقُ بالناورد**

قال كشاجم:

مـاءٌ تـدفّـقَ طـاعَـةً وسـلاسَـةً فـإذا اسـتـدرّ الـحـضـر مـنـه فـنـارُ[4]

وإذا عـطـفـتَ بـه عـلـى نـاورده لـتـديـرَه فـكـأنـه بـرْكـارُ

وقال المتنبي:

تـثْـنـي عـلـى قـدرِ الـطـعـان كـأنّـمـا مـفـاصـلُـهـا تـحْـت الـريـاحِ مـراودُ[5]

وقال الصاحب:

لـه دورُ نـاورد عـلـى قـدرِ درهَـم

---

(١) **الوتر**: الثأر.

(٢) **الأكلب**: الكلاب ـ ينهشن: يعضضن ما يتناولنه بالفم ـ المنقب: الموضع الذي ينقبه البيطار من بطن الدّابة.

(٣) **الأرساغ**: جمع رسغ وهو الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل، أو المفصل بين الساعد والكفّ.

(٤) **الحُضر**: من أحضر الفرس إذا عدا شديداً. (٥) **المراود**: جمع مرود وهو محور البكرة.

وقال امرؤ القيس:

لـه وثـبـاتٌ كـوثـبِ الـظِّـبـاء	فـوادٍ خـطـار ووادٍ مـطَـر

وقال آخر

وأجْـرد مـا يـثـبـطُـه الـخـطـارُ

● المثيرُ الغبار

قال طفيل:

إذا هبطَتْ سهلاً حبستْ غبارَها	بجانبهِ الأقصى دواخنُ تنصبُ

وقال الخوارزميّ:

يخفُ لوطئِها التربُ البليدُ

وقال ابن المعتز:

يرفعُ نقعاً كدخانِ العرفجِ	أو مثلِ ندفِ الكرسفِ المنفجِ(١)

● تابعُ الخيول

قال شاعر:

يخرجْن من تحتِ الغبارِ عوابسا	كأصابعِ المقرورِ أقعى فاصطَلى(٢)

وقال ضمرة بن ضمرة:

كالتمر ينثرُ من جرابِ الجزْم

● الهِمْلاجُ(٣)

قال عمر بن عبد العزيز: ما شيء تركته لله فتاقت نفسي إليه، إلا ركوب الهماليج.
وقال مسلم: ما بقيت لذة إلا ركوب الهماليج وقتل الجبابرة.

● السبقُ

قال ﷺ: الخيل تجري بأحسابها فإذا كان يوم الرهان، جرت بجدود أربابها وكانت لرسول الله ﷺ ناقة لا تسبق، فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فصعب على النبي ﷺ فقال: حقّ على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه.

وكان عمر رضي الله عنه يأمر أن يجري الفرس من رأس الميدان وهو أربعة فراسخ.
وسابق عبد الملك بين بنيه فسبقَ الوليد وثنى سليمان وجاء مسلمة بعدهما، فقال عبد الملك لقبيصة الخزاعي أتروي قول الشني:

نهيتكم أن تحملوا هجناءَكم	على خيلكم يومَ الرهان فتدركُ(٤)

---

(١) النقع: الغبار ـ العرفج: ضرب من النبات ـ الكرسف: القطن.
(٢) المقرور: المرتجف من البرد ـ أقعى (السبع): جلس على مؤخره ـ اصطلى: استدفأ.
(٣) الهملاج: البرذون الحسن السير.
(٤) الهجناء: جمع هجين وهو الذي أبوه عربيّ وأمّه أمة غير محصنة ـ يوم الرهان: يوم السباق، والرهان مصدر راهن رهاناً ومراهنة. على الخيل: سابقه.

فتنفر كفاه ويسقط سوطه ... وتبردُ ساقاه فلا يتحركُ
وما يستوي المرآن هذا ابنُ حرّة ... وهذا هجينٌ ظهرُه مشتركُ

فقال مسلمة: قد قال حاتم خيراً من هذا:

وكائن ترى فينا من ابنِ سبيةٍ ... إذا لقي الأبطالَ يطعنُها شزْرا

(الأبيات) فسرّ عبد الملك به وقبّله بين عينيه.

● مفاضلةُ ألوانِها

قال النبي ﷺ: لو جمعت خيول العرب في صعيد واحد لجاءت وسابقها أشقر.

وقال: خير الخيل الأدهم الأرثم[1] المحجل ثلاثاً، المطلق اليمين فإن لم يكن أدهم فكميت على هذه الهيئة واستشار أعرابي النبي ﷺ في شراء فرس، فقال: اشتره أغرّ محجّلاً مطلق اليمين تغنم وتسلم.

وقال ﷺ: اليمن في شقر الخيل. **وقال بعض الحكماء:** إن طلبك صاحب أشقر فعليك بالحَزن[2]، فإن الأشقر رقيق الحافر. وإن طلبك صاحب أدهم، فعليك بالوحل فإنه رديء القوائم. وإن طلبك صاحب كميت، فعليك بالجدد[3] فعسى أن تنجو.

قال محمد بن سلام لم يسبق الحلبة أبلق[4] قطّ ولا بلقاءُ وزعموا أن الشيات[5] كلها نقص وضعف، والشية كل لون دخل على لون.

قال الله تعالى: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾[6] وكل حيوان إذا اسود شعره أو صوفه كان أقوى لبدنه، ولا خير في البقع. وكذلك البلق من الخيل والبرق من الحمل والتيس.

● أحوالُ ألوانِها

قال ابن عباس كان ﷺ يستحب الشقر من الخيل، **وقال ﷺ** إذا اعتددت فرساً فاعتده أقرح أرثم ومحجل الثلاث مطلق اليمين، فإنها ميامين فإن لم يكن أدهم فكميت ثم أغرّ تغنم وتسلم، إن شاء الله تعالى. **وقال سلمة:**

كميتٌ غيرُ مخلفةٍ ولكن ... كلون الصفّ حلّ به الأديمُ

وقال المرار:

فهو وردُ اللون تزأرهُ ... وكميت اللونِ ما لم يزأر

وقال السلامي في أغرّ أرثم:

نظنّ نجماً منيراً فوق غرّته ... وأنهُ بهلال ظلّ يلتثِمُ

---

(١) **الأرثم:** الفرس في طرف أنفه بياض.
(٢) **الحزن:** المرتفع والغليظ من الأرض.
(٣) **الجلد:** الأرض الغليظة والمستوية.
(٤) **الأبلق:** الأبيض.
(٥) **الشيات:** جمع شية وهي النمنمة والنقش، من وشي يشي وشياً وشيّة الثوب حسّنه بالألوان ونقشه.
(٦) **القرآن الكريم:** البقرة/ ٧١.

وقال ابن المعتز في محجّل الواحد مطلق الثلاث:

ومحجلٌ غير اليمين كأنه ... متبخترٌ يمشي بكم مسبلِ

وقال أبو تمام في أبلق:

مسودُ شطرٍ مثلَ ما اسودَّ الدُّجى ... مبيضّ شطر كابيضاضِ المهرقِ

- **التحجيلُ**

قال ابن المعتز في كمَيت:

وقارح أربُعه أصواؤه ... كأنما من دمهِ غِشاؤهُ[1]

- **الأغرّ المحجّل**

قال البحتري:

تتوهمُ الجوزاءَ في أرساغهِ ... والبدرَ غرةَ وجههِ المتهلّلِ[2]

- **الغُرّة**

قال شاعر:

تخالُ بياضَ غرّتِها أسراجاً

وقال آخر:

كأنما الشعرى على وجههِ[3]

وقال ابن نباتة:

تطلعُ بينَ عينَيْه الثريّا

وله:

وكأنما لطمَ الصّباحُ جبينَه ... فاقتصَّ منه فخاضَ في أحشائِهِ

وقال المتنبي:

وعينَي إلى أذنَي أغرّ كأنه ... من الليلِ باقٍ بين عينيه كوكَبُ

- **ما يتفادى منه من الشيات**

كان ﷺ يكره الشكال وهو أن تكون اليد اليمنى والرجل اليسرى أو بالعكس مختلفين، أنشد أبو عبيدة:

إذا عرقَ المهقوعُ بالمرءِ أنعظَت ... حليلته وازداد حراً عجانُها[4]

وقيل آنق الخيل المهقوع وهو الذي في عرض زوره دائرة، وكانوا يستحبونه حتى أراد رجل شراء مهقوع مرة فامتنع صاحبه من بيعه، فقرأ المشتري هذا البيت فصار يتفادى منه.

---

(١) **القارح**: الذي شقّ نابه وطلع ـ **الأصواء**: جمع صوّة وهي ما غلظ وارتفع من الأرض، والصوة الحجر يكون دليلاً في الطريق.

(٢) **الغرّة**: البياض في جبهة الفرس.

(٣) **الشعرى**: الكوكب الذي يطلع في الجوزاء وطلوعه في شدّة الحرّ.

(٤) **المهقوع من الخيل**: الذي تكون به الهقعة وهي دائرة في وسط زور الفرس.

● **المَرَح**

وصف أعرابي فرساً فقال هو شيطان في أشطان وقال بشر:

مُـهـارشَـةُ الـعـنـانِ كـأنّ فـيـهـا ... جـراءةَ هـبـرةٍ فـيـهـا اضـطـرابُ

وقال آخر:

كـأنّ بـه لـسـعـةَ زنـبـورِ

وقال غيلانُ بن حريث:

يـكـادُ مـمّـا يـزدهـيـه أشـرُه ... يـطـيـرُ لـولا أنّـنـا نـوقّـرُه[1]

وقال أبو تمّام:

كـأنّـمـا خـالـطَـه أولـقٌ ... أو خامرَتْ هامتَه الخندريسُ[2]

وقال:

كـأنّـه سـكـرانُ أو عـابِـثٌ ... أو ابـنُ رب حـدثَ الـمـولِـدِ

وقال الموسوي:

يُزجون جرداً لا تقرّ على الثّرى ... مرحاً كأن الترب شوكُ قَتَادِ[3]

● **الشديدُ الصَّهيل**

قال شاعر:

بـاجـشّ الـصـوتِ يـعـبـوبِ[4]

وقال مزرّد:

أجشّ صهيليّ كأنّ صهيلَه ... مزاميرُ شرْبٍ جاوبتْها الجَلاجِلُ[5]

وقال الموسوي:

ويـصـهَـلُ فـي مـثْـلِ قـعْـرِ الـطَّـوَى ... صـهـيـلاً يـبـيـنُ لـلـمُـعْـرِبِ

وقال البحتري:

وكـأنّ صـهـلَـتَـه إذا اسـتـعـلَـى بـهـا ... رعـدٌ يـقَـعْـقِـعُ فـي ازدحـام غـمَـامِ

● **الطامحُ العينِ والرأسِ**

قال مزرّد:

يُرى طامحَ العينَيْنِ يرنُو كأنّه ... مؤانسُ ذعرٍ فهوَ بالأذنِ خائلُ

---

(١) **يزدهيه**: يحمله على الزهو والعجب.

(٢) **الأولق**: المسّ من الجنون ـ **الهامة**: الرأس ـ **الخندريس**: الخمر.

(٣) **يزجون**: يقودون ـ **الجرد**: الخيل ـ **لا تقرّ على الثرى**: أي سريعة تنهب الأرض عدواً ـ **القتاد**: نبت كثير الشوك.

(٤) **اليعبوب**: الفرس السريع الطويل من باب التشبيه بالنهر الشديد.

(٥) **الشرب**: جمع شارب ـ **الجلاجل**: الأجراس الصغيرة، جمع جلجل.

وقال المتنبي:

وينظرْنَ من سودٍ صوادقَ في الدّجى ... يرَيْنَ بعيداتِ الشّخوصِ كما هيا

وقال زُهَيْر:

وملجمُنا ما إن ينالُ قذالُه ... ولا قدماه الأرضَ إلا أنامِلُه

● **الموصوفُ بالطّول**

مدح أعرابي فرساً وراكبه، **فقال**: كان والله طويل العذار أمين العثار، إذا رأيت صاحبه عليه حسبته بازاً على مرقب، معه رمح تقصر به الآجال.

وقال عديّ بن الرقاع:

لا يكادُ الطويلُ يبلغُ منه ... حيثُ يثنى من المقَصّ العذارُ(١)

● **الطويلُ العنق**

قال قطريّ لرجل: اشترِ لي فرساً. **قال**: لا علم لي بنجابته، **قال**: اشتره ونصفه عنقه ومنه أخذ أبو النجم:

يكاد هاديها يكون شطرَها

وقال امرؤ القيس:

ومشنانةٍ في رأسِ جذعٍ مشذبِ(٢)

● **دقّة الأذُن**

وأنشد العماني الرشيد:

كأن أذنَيْه إذا تشرفا ... قادمة أو قلماً محرّفا

فخطأه فيه ثم قال لأصحابه: كيف يجب أن يقال؟ فأعياهم. **فقال**: تخال أذنيه كأن هواديها أعلام وآذانها أقلام، وقيل إذن مرهفة مؤللة. ولبعضهم:

مقدودةُ الآذانِ أمثال القُدودِ(٣)

● **سعةُ العَيْن**

قال بعضهم:

وعينٌ لها حدْرّة بدرةٌ ... وشقت مآقيهما من أخر(٤)

وقال آخر:

عينٌ كعينِ البكر حينَ تديرُها ... بمحجرِها تحتَ النّصيفِ المُنقبِ(٥)

---

(١) **العذار**: جانب اللحية، وما سال من اللجام على خدّ الفرس.

(٢) **الجزع المشذب**: الذي قشر ما عليه من الشوك.

(٣) **مقدودة**: مقطوعة، من قدّ أي قطع ـ **القدود**: جمع قدّ.

(٤) **الحدرة**: من العيون المكتنزة.

(٥) **النصيف**: كل ما غطى الرأس من خِمار أو عمامة.

● **الجَبْهَةُ**

لـهـا جـبْـهـةٌ كـسـراة الـمِـجـنّ حـذقـه الـصـانـعُ الـمـقـتَـدِرُ

● **العُرف**

وأسـحـم ريّـانُ الـعـسـيـبِ كـأنّـه عثاكيلُ قِنْوٍ من سَميحةِ مرطبِ[1]

● **الذّنَب**

وقال امرؤ القيس:

لـهـا ذنَـبٌ مـثْـلُ ذيـلِ الـعَـروسِ تـسُـدُّ بـهِ فـرْجَـهـا مـن دبُـرِ

وقال طفيل:

وأذنـابـهـا وحـفٌ كـأنّ ذيـولَـهـا مـجـرا شـاء مـنْ سَـمِـيـحَـة مـرطـبِ

● **سَعَةُ الشَدَقِ**

قال شاعر:

وهـيَ شـدْقـاء كـالـجَـوالِـقِ فـوهـا مـسـتـجاف يـضـلّ فـيه الـشّـكـيـمُ[2]

وقال الفلاح:

أشـدقَ رحـبُ الـمـنكـبَيْـن شـرجَـبٌ إنْ يُلْقَ في شدْقَيه كلبٌ يذْهَبُ[3]

ونحوه للطفيل:

وأن يـلْـقَ كـلـبٌ بـيـن لـحـيَـيْـه يـذْهـب

● **سعة المِنْخَر**

لـهـا مِـنْـخَـرٌ كـوِجـار الـضّـبـاعِ[4]

وقال آخر:

لـهـا مـنْـخَـرٌ مـثْـل جـيْـب الـقَـمـيـص

وقال بشر:

كـأن حـفـيـفَ مـنـخـرِهـا إذا مـا كـتـمْـن الـربـو كِـيـرٌ مـسْـتـعـارُ

وقال بعضهم: يمنع عنه وقوعَ البهر منخر في السعة كنَهْر

● **الواقصُ الذّباب بطَرْفهِ**

قال المرقّش:

بـمـحـالـةٍ تـقـض الـذبـابَ بـطَـرْفـهـا

---

(١) **الأسحم:** الأسود أو السحاب الأسود ـ **العثاكيل:** جمع عثكول وهو في النخل بمثابة العنقود في الكرم.

(٢) **الشدقاء:** مؤنث الأشدق وهو الذي يلوي شدقه تفصّحاً، **والأشدق** الواسع الشدق ـ **الجوالق:** جمع جولق وهو العدل من الصوف أو الشعر واللفظة فارسيّة ـ **الشكيم من اللجام:** الحديدة المعترضة في فم الفرس.

(٣) **الشرجب:** الفرس الطويل القوائم. (٤) **الوجار:** مأوى الضبع.

وقال ابنُ مقبل:

تـرى الـنـعـراتِ الـخـضـرَ تـحـت لَـبـانـه فُـرادى ومـثْـنـى أصـعـقَـتْـهـا صـواهِـلُـه[١]
فـريـسـاً ومـغـشـيّـاً عـلـيـه كـأنـمـا خـيـوطَـه مـأوى لـواهـن قـاتِـلَـهُ[٢]

● الضَّامِرُ

وقال عمرو بن معدي:

تـقـولُ لـهـا الـفـوارسُ إذ رأوه تـرى مَـسَـداً أُمِـرّ عـلـى الـرِّمَـاحِ[٣]

وقال آخر:

كـأنّـهـا هَـراوةُ مـنْـوال[٤]

وقال آخر:

كـقِـدح رامٍ طـار عـنـه شـذبـه[٥]

وقال آخر:

جـوداءُ مـثْـل هـراوةِ الـمـغْـراب[٦]

● المحفر

يصفونَ جيادَ الخيلِ بسعة الجوف قال: ببطنه يعدو الذكر، وقيل: لم يسبق الحلبة أهضم قط.

وقال الجعديّ:

حـيـطَ عـلـى زفـرة فـتـم ولـم يـرجـع إلـى دقـة ولا هـضـم

● الصُّلْب

قال امرؤ القيس:

كجُلمودِ صخرٍ حطّه السيلُ منْ عَلِ

وقال طرفة:

وأَروَع نـبـاض أحـد مُـلَـمْـلَـم كمرداةِ صخرٍ في صَفيح مصمّدِ[٧]

● الليّنِ المفَاصل

قال البحتري:

لانـت مـفـاصـلُـه فـخـيـل بـأنّـه لـلـخـيـزرانِ مـنـاسِـبٌ بـعـظَـامِـه

وقال المتنبّي:

مـفـاصِـلُـهـا تـحـت الـرِّمـاحِ مـراودُ

---

(١) تحت لبانه: اللبان: الصدر ـ أصعقتها: أصابتها بصاعقة.

(٢) الفريس: القتيل ـ الواهن: الضعيف. (٣) المسد: الحبل.

(٤) الهراوة: العصا الضخمة. (٥) القدح: السهم قبل أن ينصل ويراش.

(٦) الجوداء: مؤنث الأجود، والجمع أجاويد، والأجود الأكرم.

(٧) الصفيح: وجه كلّ شيء عريض ـ المصمد والمصمود: المقصود.

● **القوائِمُ**

قال امرؤ القيس:

عظيمُ الشظى عبلُ الشوى شنج النَّسا[١]

وله:

لـهـا ثـنـن كـخـوافِـي الـعـقَـابِ[٢]

وقال سليم الجعدي:

كـأنَّ تـمـاثِـيـلَ أرسـاغِـه رقـابُ وعـولٍ عـلـى مـرقَـبِ

● **الحافِرُ المنقعِب**

قال عوف بن الوليد:

لـهـا حـافِـرٌ مـثـل قـعْـب الـولـيـد تـتـخـذُ الـفـأرُ فـيـه مـغَـارا

ويقال حافر كالقدح المكبوب. **وقال الموسوي:**

وكـمْ قـرعَ الـدفُ مـن حـافـرٍ تـخـالُ عـلـى الأرض قـعـبـاً يـكـب[٣]

● **الصّلبُ الحافِر**

قال امرؤ القيس:

وتـخْـطـو عـلـى صُـمّ صِـلابٍ كـأنـهـا حـجـارةُ غـيـلٍ وارسـاتٍ بـطِـحْـلـبِ[٤]

أخذه الجعدي فقصر عنه، وإن كان قد بسط:

كـأن حـوافـيـه مـدبـراً حـفـيـن وإن كـانَ لـم تـحـطـبِ

حـجـارةُ غـيـلٍ بـرضـراضـة كـسـيـن طِـلاء مـن الـطـحْـلـبِ[٥]

وقال آخر:

حـامـلٌ تـحْـت رسـغِـه جُـلْـمُـودا

وقال رؤبة:

يـرمِـي الـجَـلامـيـدَ بـجُـلْـمـود مِـدق

وقال شملعة بن الأخضر:

إذا قـرعـت سـنـابـكُـهـا بـحَـزْن جـعـلْـنَ حـزونَـةَ الأجْـبـال هَـارا[٦]

---

(١) **الشظى**: عظيم مستدق لازق بالركبة أو بالذراع أو عصب صغار فيه ـ **عبل الشوى**: أي غليظ القوائم ـ **الشنج**: المتقبّض والمتقلّص ـ **النسا**: عرق من الورك إلى الكعب.

(٢) **الخوافي**: الريشات الخفية في جناح الطائر ـ **العقاب**: طائر من الجوارح.

(٣) **القعب**: القدح الضخم الغليظ.

(٤) **الغيل**: الأجمة ـ **الطحلب**: نبات شديد الخضرة ينمو من الرطوبة ليس له جذور يغطي الصخور أحياناً كما يوجد على الشجر.

(٥) **الرضراضة**: الحجارة التي تترضرض أي تتحرك على وجه الأرض.

(٦) **الحزن**: المرتفع الغليظ من الأرض ـ **هاراً**: الهاري: الضعيف الساقط أو المنهدم.

وقال ابن المعتز: وحـــافـــرٌ أزرقُ كـــالـــفـــيـــروزج

● **المؤثّر بحوافِره في الصّفا**

قال ابن المعتز:

يـطـبـعُ صـمّ الـصّـفـا حـوافـرُه طـبْـعَ الـخـواتـيـم لـيـنَ الـطّـيـنِ

وقال المتنبّي:

تـمـاشَـت بـأيـدٍ كـلّـمـا وافَـتِ الـصّـفـا نـقـشْـن بـه صـدْرَ الـبُـزاةِ حـوافِـيـا[1]

وقال البيغا:

وكـأنّـمـا نـقـشَـتْ حـوافِـرُ خـيْـلـهِ لـلـنـاظـريـنَ أهِـلّـةً فـي الـجَـلْـمَـدِ

● **معوذ رائق**

قال سلمة بن حوشب:

تـعـوذ بـالـرقـي مـن غـيـر خـبـلٍ ويُـعْـقـدُ فـي قـلائِـدهـا الـتـمـيـمُ

وقال ابن المعتز:

يـكـادُ لـولا اسـمُ الإلـهِ يـضـحَـبُـه تـأكـلُـه عـيـونُـنـا وتـشـربُـه

● **هيئته مقبلةً ومدْبِرة**

قال امرؤ القيس:

إذا أقـبـلـتْ قـلـتْ دبّـاءة من الحُضْر مغموسةٌ في الغُدُرْ[2]

وإن أدبـرَتْ قـلـتْ أثـفـيَّـةٌ مـلـمـلـمَـةٌ لـيـس فـيـهـا أثـرْ[3]

وإن أعـرضَـتْ قـلـت سـرعـوفَـةٌ لـهـا ذنَـبٌ خـلـفَـهـا مـسـبـطِـرْ[4]

وقال البحتري:

وكـأن فـارسـه وراءَ قـذالـه ودقٌ فـلـسْـتَ تـراه مـن قـدّامـه[5]

● **ما يحمَدُ من أوصافِ أعضائِه مجموعَة**

سأل الحجّاج ابن القرية ما يحمد من الخيل؟ فقال إذا كان **قصير** الثلاث **طويل** الثلاث رحب الثلاث **صافي** الثلاث فهو الجواد. **أما القصير** فالعسيب والساق والظهر،

---

(١) **الصفا**: الصخر ـ **يقول**: إن هذه الخيل الجرد تسير بأيد تؤثر عند الوطء بالحجارة مثل صدور البزاة، أي إن حوافرها شديدة وصلبة.

(٢) **الدباءة**: الجرادة الملساء ـ **الحُضر**: العدو ـ **مغموسة في الغدر**: أي مرتوية.

(٣) **الأثفية**: الصخرة المستديرة ـ **الململمة**: الصلبة ـ **الأثر**: الندوب والخدوش.

(٤) **الرعوفة**: الجرادة ـ **المسبطر**: الممتد.

(٥) **القذال**: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس ـ **الودق**: المطر.

والطويل الاذن والنحر والسالفة، **والرحب** المنخر والجوف واللبان، **والصافي** الأديم والعين والحافر.

قال خباب:

وقدْ أغدو بطرفِ هيكلٍ ذي مَنعة سكب حديدِ الطرف والمنكب والعُرقوبِ والقلْبِ
عريضِ الخدْ والجبهةِ والصهوةِ والجنْبِ

وقيل: الفرس يسرع بسعة إبطه وجلده وبطول عنقه وعظم حفرته. وأغار زهير على حيّ من أحياء بكر بن وائل، فأصيب بعضهم فأتته جارية تسأله عن أبيها **فقال:** ما كان تحت أبيك؟ **قالت:** طويل بطنها قصير ظهرها هاديها شطرها، **فقال:** إن صدق وصفك فقد نجا.

● **أوصافٌ مختلفَةٌ**

قال بعضهم:

طِرفٌ تبين للبصير وغيرِه فيه النجابَةُ جارِيا ومقوَدا

وقال المتنبّي:

إذا لم تشاهِد غيرَ حسنِ شياتِها وأعضائِها فالحسْنُ عنك مغيبُ

وقال البحتري وقد استوهب فَرساً مسرجاً ملجماً:

والطرف أجلبُ زائرٍ لمؤنةٍ ما لم يزرْك بسرجه ولجامِه

● **كثرةُ عرق الخيلِ وقلته**

ترى الماءَ من أعطافِه يتحلّبُ

وقال أبو النجم:

كأنه في الخيْل وهو سامِ مشتملٌ جامَاً من الجِمامِ(١)

وقال آخر:

كأنّ على أعطافِه ثوبُ مائح

وعاب الأصمعي أبا ذؤيب بقوله:

إلا الحميم فإنّه يتبضّع

وقال امرؤ القيس:

فأدركَ لم يعْرَق مناطُ عِذارِهِ

● **أثرُ العَرَق**

قال طفيلُ الغنوي:

كأن يبيسَ الماءِ فوْق متونِها أساريرُ ملحٍ في متُونِ مجرب

---

(١) الجام: الكأس (واللفظة فارسية).

وقال عبيد: تراها من يبيسِ الماء شُهْبا

وقال المرار:

كعقبانِ الظلالِ ترى عليْها يبيسَ الماء تحسبُه صَقِيعا

● **البَليدُ**

قيل: اغتفرْ من الدواب كل شيء إلا البلادة، فإن راكبها مركوب. وسئل بعضهم أي البراذين شر؟ **قال:** الغليظ الركبة الكثير الجلبة الذي إذا أرسلته **قال:** أمسكني، وإذا أمسكته **قال:** أرسلني.

ونظر رجل إلى برذون عليه راوية **فقال:**

ما المرءُ إلا حيث يجعلُ نفسه

لو هملج[1] في سيره ما جعل راوية. **وقيل** لمكاري بارك يريد العصا **فقال:** إنّما أغتم لو أراد بزما ورد، **قال شاعر:**

لو سابق الذرّ مشدوداً قوائمُه يومَ الرهان لكانَ الذرُّ يسبقُه
أو فرّ يومَ الوغى والنملُ يطلبُه لكانَ قبل ارتدادِ الطرفِ يلحقه

● **الموصوفُ بالعيوب**

باع رجل فرساً **فقيل له:** هل فيه من عيب؟ **فقال:** لا الاقر وكأنه قثاءة، ومشش كأنه سفرجلة، ودخس[2] كأنه بطيخة. **فقيل:** هو بستان لا برذون.

وقال الحارثي:

دموجٌ برجليْه وقوعٌ بصدرِه عضوضٌ بفيه طامِحٌ متخبِطُ[3]

وقال محمد بن جهور:

لي برذون حرونٌ جرد نفخي دخس رخوُ العَصَب

● **الموصوفُ بالهُزال والكِبَر**

قيل لرجل على فرس هزيل: ما أرى فرسَك يروى من الشعر إلا **قول عنترة:**

ولقد أبيتُ على الطّوى وأظلّه حتّى أنال به كريمَ المأكلِ[4]

وقيل لمزبد: ما بال حمارك يتبلّد إذا أخذ نحو المنزل وحمير الناس إلى منازلهم أسرع؟ **فقال:** لمعرفته بسوء المنقلب.

وقال محمد بن موسى القاساني:

فلا تنكر بجهلِك فضلَ مهْري فمُهْري من ملائكَة الدوابِ

---

(١) **هملج في سيره:** مشى مشية سهلة في سرعة.
(٢) **الدخس:** السمين المكتنز.
(٣) **دموج:** أي مستحكم.
(٤) **الطّوى:** الجوع.

بلا تبنٍ يعيشُ ولا قضيم ... ولا الموجودِ من بزد الشرابِ
سوى ورقِ الحجارةِ أو خليطٌ ... يثيرُ الريح مع ظلّ السحابِ
ويقضمُ كلّ يوم كفّ شمس ... إذا ما الشمسُ حانَتْ لاغترابِ
وإن يعطَشْ وردتُ به هجيرا ... على نهر يلوحُ من السرابِ

وقال بعضهم:

برذون عمران أبي عباد ... يذكرُ كسرى وزمانَ عادِ[1]
كأنّما أضلاعُه هوادِ ... كأنّه في السوقِ والقِيادِ
سفينةٌ تدفَع بالمرادي[2]

وقال أبو دلامة يصف فرسه:

وكانت قارحاً أيام كِسرى ... وتذكر تبُّعاً عند الفصالِ
وقد مرّت بقرْن بعد قرنٍ ... وآخرُ عهدِها بهلاك مالي

وكتب أبو العيناء إلى عبيد الله بن يحيى: أما بعد أعلم الوزير أن ابنك محمداً حمل عبدك على دابة تسوء الأولياء وتستر الأعداء، تقف بالنثرة[3] وتعثر بالبعرة[4]، كالقربة عجفاً[5] والشنة دنفاً[6]، تسعل وتحبق معاً، تضحك النسوان وتلعب الصبيان. ولقد ركبتها فمن وقفة وحبقه وسعلة. فمن قائل يقول: نق شعيره، وآخر يقول: التقط واحتفظ، وآخر يقول: إقطع قوائمه، واجعله مسراحاً وآخر يقول: لا تمرّ به على العلاف فتخنقه العبرة.

وقال ابن طباطبا:

قارحٌ ملجمٌ بالإيوان عندي ... مثلُ شيخ إذا تعاطى الخسارَه
هبْك صيّرته بالإيوانِ مهرا ... كيف تحتالُ إن أردنا فرارَه

قال شاعر:

كأنَّ خضيعة بطنِ الجوا ... د وعوعة الذئب بالفدفد[7]

● النهي عن الخصي

قال لما غز النبي ﷺ تبوك عمل رجلاً من الأنصار على فرس وأمره إذا نزل أن ينزل قريباً منه شوقاً إليه وشهوة إلى صهيله. فلما قدم النبي ﷺ المدينة سأل

---

(١) البرذون: التركي من الخيل ـ عاد: من العرب البائدة.
(٢) المرادي: خشبة تدفع بها السفينة. (٣) النثرة: المرّة أو القطعة من نثر.
(٤) البعر: رجيع ذوات الخف والظلف، جمع بعرة.
(٥) عجفاً: أي هزيلاً أو نحيلاً.
(٦) دنفاً: الدنف: المريض.
(٧) الفدفد: الفلاة أو المكان الغليظ، المرتفع.

الأنصاري عن الفرس قال: خصيناه. فقال مه مثلت به أعرافها أدفاؤها وأذنابها مذابها التمسوا نسلها وباهوا بصهيلها المشركين

(٣)

وممّا جاء في النّعم

•

• وصف النعم وتفضيلُ بعضِها على بعض

قال أهل اللغة: النعم اسم يشمل الغنم والبقر والإبل. **وقال ﷺ**: الغنم بركة موضوعة، والإبل جمال لأهلها، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة.

وقال أيضاً الفخر في أهل الخيل والسكينة في أهل الغنم. وقيل لابنة الحسن ما تقولين في مائة من المعز؟ قالت غنى قليل فمائة من الغنم؟ قالت غنى قليل فمائة من الإبل؟ قيل منى وقيل ما خلق الله نعماً خيراً من الأبل إن حملت أثقلت، وإن سارت أبعدت. وإن حلبت أروت. وإن نحرت أشبعت. وقيل: الإبل طويلة الظمء بعيدة الروحة، بسيطة المشية ثقيلة الحمل، وكل ظهر له كالعيال.

• المتبجح بمُلْكِ الإبل

وقال إبراهيم بن العبّاس:

لنا إبل غرّ يضيق بها الفضا ... وتفتُر عنها أرضُها وسماؤُها
فمِنْ دونها أن تستباحَ دماؤُنا ... ومن دوننا أن تُستباح دماؤُها
حمى وقرى فالموْتُ دون مرامِها ... وأيسَرُ خطبٍ يومَ حق فناؤُها

وقال المرار:

لهمْ إبلٌ لا من دياتٍ ولم تكُنْ ... مُهوراً ولا مِنْ مكسبٍ غيرِ طائلِ(١)
محبسة في كلّ رسل ونجدةٍ ... وقد عرفت ألوانُها في المعاقِلِ

• وصفُها

وقال أبو جرول:

مخاض كسن الظبي لم أرَ مثلَها ... سناء قتيلٍ أو حلوبة جائعِ

وقال القطامي:

طوالُ القنى ما يلعنُ الضيفُ أهلَها ... إذا هو رغَى وسَطها بعد ما يسري

---

(١) يقول إن إبلهم ليست من أموال الديات أو من مهور النساء ولا من مكسب بخس.

جفارٌ إذا صافَت هضابٌ إذا شتَتْ　　وبالصيفِ يردون المياهَ على العشْرِ
يعضّ عليها الحاسدون بنانهم　　وليْس بأيديهم غِناي ولا فقْري

● **ألوانُ الإبلِ وتفضيلُ بعضِها**

قال حنيف الحناتم: وكان آبل الناس الرمكاء[1] نهيّة تصغير نهية، والحمراء صبراء[2] والحمراء غزراء، والصهباء سرعاء. وفي الإبل أخرى إن كانت عندي لم أبغها وإن كانت عند غيري لم أشترها. لأنه لا يبيعها إلا العيب.

وقال أبو نصر النعامي هجّر على حمراء، وأسر بورقاء[3] وصبّح القوم على صهباء. **قيل**: ولم ذاك؟ قال: لأن الحمراء أصبر على حرّ الهَواجر، والورقاء على السرى والصهبة أحسن الألوان حين ينظر إليها.

وقيل: ورق الإبل أصفاها، والصهب أنقاها، والدهم أبهاها، والخمر أضناها، أي أكثرها ولداً والأدم أو ضؤها، والرمد أوطؤها.

● **المتشابهةُ الألوان**

وقال ذو الرمّة:

إذا انتجت منها المثاني تشابَهت　　على العودِ إلا بالأنوفِ سلائلُه

أي تشابهت على أمهاتها لكونها على نجاد واحد فلا يعرفن إلا بالشم.

● **الإبل المختلفةَ الألوان**

قال بعض اللصوص يصف إبلاً سرقها من أحياء مختلفة:

تسألني الباعةُ أي دارها　　لا تسألوني وأنظروا ما نارها
كلّ نجارٍ في الورَى نجارُها　　وكلّ نار العالمين نارُها[4]

والنار السمة. كردوس المراثي فيها:

أتسألني عن نارِها وديارِها　　وذلك علمٌ لا يحيط به الطمسُ

أي الخلق.

● **الإبلُ المعلَمَةُ**

قال الراجز:

كلّ علاة توّجَت بنارها　　قيلَ تمام القوم في نجارِها[5]

---

(١) **الرمكاء**: التي لونها بلون الرماد.
(٢) **صبراء**: الشديدة الصبر.
(٣) **الورقاء**: مؤنث الأورق وهو الذي لونه لون الرماد.
(٤) **النجاد**: الأصل.
(٥) **العلاة**: الناقة الجسيمة المشرفة.

ومن السمات العلاط والخياط والمحجر والخطاف والغراب والخطام والكشاح والجباب.

وقيل بعير محلق وطهور وأحزب والميسم مباح في الشريعة كان يسم إبل الصدقة وكانت القصوى والعضباء ناقتا رسول الله ﷺ موسومتين ومن منفعة السمة أنها إذا عرفت للرئيس لم تطرد عن الماء قال:

قـد سُـقـيـت آبـالـهـم بـالـنّـار والـنـارُ قـد تُـشـفـى مـن الأوارِ[1]

- **إبلٌ غيرُ معلمة**

ربما يترك البعير غير معلم إما لأن إغفالها كالعلم لها أو يكون ذلك ضنا من صاحبها بها لكرمها.

قال:

ولا عـيـش الأكـل صـهـبـاء غـفـل

وقال:

تـنـاول الـحـوضَ إذا الـحـوضُ شـغـل ومـنـكِـبـاهـا خـلـفَ أوراكِ الإبـلِ

وقال:

مـن كـلّ حـمـراء يـقـاع الـمـنـتـمـى يـكـرمُـهـا أربـابُـهـا إن تـوسـما

- **وصفُ البعير بالسرعة والقوة**

وصف أعرابي ناقة فقال تقطع الأرض عرضاً وترض الحجارة رضا وتنهض في الزمام نهضاً سريعة الوثوب بطيئة النكوب مروح شروب، **وقيل لآخر**: كيف ناقتك؟ **فقال**: عقاب إذا هوت وحية إذا التوت طوت الفلاة وما انطوت.

وقال شيبة بن عقال: أقبلت من اليمن أريد مكّة ومعي ثلاث جمال فصحبت يمنياً على ناقة فوقعت بي جمل بعد جمل حتى بقيت راجلاً فخفت أن يفوتني الحج. **فقال اليمني**: أتطيب نفسك عمّا معك وتردفني؟ **فقلت**: نعم. فنزل وقدم رحله فكاد يضعه على عنقها، **ثم قال**: خذ حر متاعك إن لم تطب نفسك عنه، ففعلت وأرد فني فجعلت تعوم بنا عوماً كأنه ثعبان حتى انتهى بي إلى الموقف. **فقال**: إن لي حاجة إليك إن لا تذكرها فإن هذه آثر عندي من كل مال في الدنيا أدرك عليها الثأر وأصيد عليها الوحش وأوافي عليها الوسم من صنعاء كل عام.

- **تحريكُ الأيدي والأرجل في المشي**

قال رؤبة:

كـأن أيـديـهـن بـالـقـاعِ الـقـرق أيـدي جـوارٍ يـتـعـاطَـيْـن الـورق

---

(١) **الأوار**: الحرّ والأوار الدخان والعطش.

وقال آخر:

يدا سابحٍ في غمرةٍ يتبوع[١]

وقال آخر:

يدا مغول خرقاء تسعدُ ما تما

وقال آخر:

كأنها نائحةٌ تفجع ... تبكي لميت وسواها الموجَعُ

وقال الشمّاخ:

كأن ذراعيها ذراعا مدلة ... بعيد الشبابِ حاولَت إن تعذَرا

وقال القضامي:

عوج فواج إذا حثّ الحداةُ بها ... حسبتَ أرجلَها قدّام أيديها

وصف أعرابي بعيره فقال في صفة قوائمه: وضعها تعليل ودفعها تحليل.

- **رميُ الحصى بالأخفاف**

وقال امرؤ القيس وعنه أخذ الشعراء:

كأنّ الحصى من خلفِها وأمامِها ... إذا نجلته رجلُها حذفُ أغسرا[٢]

كأنّ صليلَ المروِ حينَ تشذّهُ ... صليلُ ذيوفٍ يتقِذن بعبقَرا[٣]

قال عبدة بن الطيب:

ترَى الحصَى مشمخرا عن مناسِمها ... كما تخلخَل بالوغل الغرابيلُ[٤]

قال ابن المعتز:

كأنّ يديْها وهي تسترفضُ الحصَى ... يدا ناقدٍ أو نابلٍ لم يسدّدِ[٥]

- **الخائفُ من الضّرب والزّجر**

وصف الكميت ناقة فقالة:

بزجرة أخى من سواهن تضربَ

قال إبراهيم بن هرمة:

تكادُ تخرجُ من بينِ الجبّال إذا ... ما قالَ غير لأخرى غيرها عاجِ

---

(١) **السابح**: الفرس السريع. (٢) **الحداة**: جمع الحادي، وهو سائق اللإبل.

(٣) **المرو**: الحجارة ـ **الذيوف**: الدراهم الزائفة ـ **عبقر**: ولد في أرض العرب تصوروا أنه ملكوت بالجن وشياطين الشعراء، ونسبوا إليه كلّ عمل خارق فقالوا رجل عبقري.

(٤) **مشمخراً**: مرتفعاً ـ **المناسم**: جمع منسم وهو خف البعير.

(٥) **تسترفض الحصى**: تفرّقه.

وقال آخر:

سوطُها لنقْرِ الخفي ... ويَداها لزجرِ الرّحى

وقال آخر:

كأن السَّيرَ يلسعُها ... إذا غرّد حاديهَا

وقال طريح:

تكاد تخرجُ من أنساعِها مرَحاً ... إذا ابن أرض عوَى بالبيدِ أو ضبحا

وقال الشماخ:

وتقسم نصفَ الأرض طرفاً أمامَها ... ونصْفا تراه خشية لسوطِ أزورَا

أخذه مسلم بن الوليد فقال:

تمشى العرضنة قد تقسم طرفَها ... وضحَ الطريق وخوفَ وقعِ المحصد

● **المشبه بالريح والبرق**

قال نصيب:

هي الريحُ إلا خلقها غير أنها ... تبيت غوادي الريحِ حيثُ تقيلُ

قال بكر بن النطاح:

كأنّ قوائمَه في المسيرِ ... رياحٌ تطارد بالقفرِ

وقال:

أي قلوص راكِب تُراهَا ... من ذكر الريح فقد سمّاها(1)

أو نعتَ البرقَ فقد كنّاها

● **المشبه بالطير**

وصف رجل بعيره فقال: ركبته كأنه نعامه أو عارته الأجنحة حمامه، مسلم:

إلى الإمامِ تهادينا بأرجلِنا ... خلقٌ من الريح في أشباهِ ظُلمان(2)

قال أبو سعيد المخزومي:

إليكَ خليفةَ الرحمن طارَت ... ولم أر قبلها خفاً يطيرُ

● **المشبه بالوحشيات**

قال زهير:

كأن كوري وأنساعي وراحلَتي ... كسوتُهنّ شبوباً من لظى لهبَا(3)

---

(1) القلوص: الإبل الفتيّة الشابة.

(2) الظلمان: جمع ظليم وهو ذكر النعام.

(3) الكور: الرحل.

وقال لبيد:

كأخنس ناشط جادَت عليه ... ببرقةِ واجفِ إحدى الليالي

وكل ذلك يدخل في صفة الوحشيّات.

● **المشبّه بالسفينة**

قال المثقب:

كأنّ الكورَ والأنساعَ منها ... على قرواء ماهرة دقين

يشقّ الماءَ جؤجؤها وتعلو ... غوارب كلّ ذي حدب مصين(١)

وقال أبو النجم:

كأنه إذ خطّ في الزمام ... قرقور ساجٍ مرسَل الخِطام

فهو يشقّ الماء بانتحام

وقال النابغة:

يستن في ثني الجَديل وينتَحي ... فعلَ الخليةِ في الخليجِ الجاري

● **القليل المبالاة ببعد المفاوز**

وقال الحطيئة:

إذا نظرت يوماً بمؤخّر عينِها ... فإلى علم بالغورِ قالَت لهُ أبعد

● **المتقدّم على ما يسايره من المطايا**

قيل لأعرابي كيف بعيرك؟ قال: يتدرع المطايا إذا ما شته بغباره ويخدن إذا برك في آثاره، لا يبرك خفياً يتقدمه فهو كما قال:

موكلَة بالأقدمين فكلّما ... رأت رفقةً فالأولون لها تضبو

وقال أبو نواس:

تذرُ المطيّ أمامَها فكأنها ... صف تقدمهنّ وهي إمام(٢)

أخذه ابن المعتز وأبدع فقال:

وهي إمام الركب في ذهابها ... كسطرِ بسمِ الله في كتابِها

وقال المتنبي:

يمشي إذا عدتِ المطيّ وراءَها ... ويزيدُ وقتُ جمامِها وكلاله(٣)

---

(١) **الجؤجؤ** (من الطائر أو السفينة): الصدر. (٢) **تذر**: تترك ـ **المطي**: الدابة التي تركب.

(٣) **الجمام**: جمّ جِماماً وجَماماً الماء تركه يجتمع والجِمام معظم الماء، وجمّ جُماماً الفرس: ترك ولم يركب ـ **الكلال**: التعب والإعياء.

● **ما يعجَز الحادِي عن إدراكه**

وقال:

كـيـفَ تـرى مـرّ طـلـي حـيـاتـهـا ... والـحـادي الـلاغـب مـن حـداتِـهـا[1]

وقال الأعشى:

حـمين لعراقيبِ الحصَى وتركنَه ... بـه نـفـس عـالٍ يـخـالـطُـه بـهْـرُ

وقال آخر:

وإذا انـتـقـصـت إلى الـمـفـازةِ غـادرَت ... زيـداً يـبـغـلُ خـلـفَـهـا تـبـغـيـلا[2]

أي لا يدركها الحادي السريع

● **المترقّص من الإبل**

وقال المثقب:

وتـرقـصُ فـي الـمـسـيـرِ كـأنّ هـرا ... يَـبـاريـهـا ويـأخـذُ بـالـوضـيـنِ[3]

وقال الممزّق:

تـرى لـو تـراءَى عـنـدَ مـعـقـد غـرزِهـا ... تـهـاويـل من إجـلاء دهـر مـعـلّـق[4]

وقال آخر:

كأن بها من طائف الجن أولقا

● **الساكنُ من الآبل**

قال ذو الرمّة:

تـضْـغـي إذا شـدّهـا بـالـكـور جـانـحـةً ... حتّى إذا ما استَوى في غرزها تثِبُ

وقال آخر:

تـمْـشـي إذا مـا هـزّت الـسـوالِـفـا ... مشيَ الـعـذارى هـزّت الـمـطـارِفـا[5]

● **المؤثر في الأرض بثفناته**

قال ابن المعتز:

كـأنّ الـمـطـايـا إذ غـدوْنَ بـسـحْـرةٍ ... تـركْـن أفـاحـيـصَ الـقـطَـا فـي الـمـنـازلِ

وقال المثقب:

كـأنّ مـواقـعَ الـشـفـنـاتِ مـنـهـا ... مـعـرّس بـاكـرات الـوردِ جـونِ

---

(١) **الحادي**: سائق الإبل.

(٢) **يبغل**: يبلّد.

(٣) **الوضين**: الهودج بمنزلة الحزام للسرج.

(٤) **الغرز**: ركاب الرحل من جلد.

(٥) **المطارف**: جمع مطرف وهو الرداء من الخز.

كأنّ مناخَها يلقى لجامَا ... على معرابها وعلى الوجينِ[1]

- **الخفيفُ الوطْء لسرعتِه**

قال بعضهم:

خفية وطء الجرس لو أن حمرا ... تخطاه في إعشاشه لم يطيّر

- **المجترّ**

قال المثقب:

وتسمعُ للذبابِ إذا تغنّى ... بتغريدِ الحمام على الرّكون

وقال النابغة:

له صريفٌ صريفَ القعْو بالمسَد[2]

- **الضامرُ**

قال الأعشى:

كتوم رغا إذا ضجَرت وكانَت ... نقية ذود كتم للرّغاء[3]

وقال الكميت:

كتوم إذا ضجّ المطيّ كأنما ... تكرم عن أظلافِهن وترغب

- **الرغاء**

قال الكميت:

كأن رغاءَهن بكلّ فجّ ... إذا ارتحلُوا نوائحُ معْوِلات[4]

وقال كعب:

أرى إبلي ليسَت تهجنّ كأنّما ... تعاورنَ أنبوباً أجشّ مثقبا

- **اللغام**

قال أبو النجم:

كأنّه من زبَد الأفكلِ ... مبرنَس في كرسُف لم يغزَل[5]

وقال أبو نواس:

يكتَسي عثنونُه زبدا ... فيحلاه إلى منحَره[6]

---

(١) **الوجين**: العارض من الأرض.

(٢) **الصريف**: الصياح من نشاط أو فرح ـ **القعو**: الخطّاف من حديد، أو ما يضمّ البكرة إذا كان من خشب ـ **المسد**: الحبل.

(٣) **الرغاء**: صوت الإبل.

(٤) **المعولات**: النائحات والرافعات صوتهن بالبكاء.

(٥) **الأفكل**: الجماعة من الناس ـ **المبرنس**: لابس البرنس وهو ثوب غطاء الرأس جزء منه.

(٦) **المنحر**: العنق، الجيد.

ثم تذروهُ الرياحُ كما طارَ قطن الندفِ عن وتَره

وقال آخر:

لغام كبيتِ العنكبوت الممدّد

- **الضامر المهزول**

قال جرير:

خرقاءُ ضربها الوجيفُ كأنها جفن طويَت به نجاديات[1]

وقال الشمّاخ:

كأنها وقد براها الأخماس شرائحُ النبع براه القواسُ

وفيه وقيد دبره ورجيع سفر كأنه مشحب أو هلال في ظلمة أعجف.

وقال سلم الخاسر:

عيسى تباري بعد طولِ كلالِها مثل الأهلّةِ قد ذهبْن محاقا[2]

- **القطامي**

طواها السّرى فالنسعُ يجري كأنّه وشاحُ فتاةٍ دقّ عنه مخاصره

- **المعيبات**

قال بعضهم: ركبت ناقتي فامضيتها حتى انضيتها أزجيها على الوحي وأير بها على الحفا فعقالها إذا أنيخت كلالها قال إبراهيم بن هرمة:

جعلَ الوجَى بذراعِ كل نَجيبَةٍ قيداً أمر بغير كفّي فاتِر[3]

وقال الراعي:

كأنّ لها برحْلِ القوْم بوّا وما إن طيّها إلا اللغُوب[4]

وقال الممزّق:

نتاج طليحاً ما تراعى من الشذَى لو ظلّ في أوصالِها الغلّ يرتَعي[5]

- **القويّ الصليب**

قال الراعي:

نمَت كتفَاها إلى حارك أشمّ كما أوفد المنبَرُ

---

(١) **الوجيف:** السقوط من الخوف، الاضطراب. (٢) **الأهلة:** جمع هلال ـ **المحاق:** آخر الشهر القمري.

(٣) **الوجي:** الحفا ـ **النجيبة:** الناقة مؤنث النجيب وهو النفيس في نوعه.

(٤) **البوّ:** ولد النّاقة، أو جلد الحوار يحشى تبناً ويقرب من أم الفصيل فتخدع وتعطف عليه فتدرّ ـ **اللّغوب:** الضعيف الأحمق والتعب الشديد الإعياء.

(٥) **الأوصال:** الأطراف ـ **الغل:** الحقد أو الغش.

وقال آخر:

جـلـديّـة كـأتـان الـضـحْـل عُـلـكـوم

ويقال هي كبرمشيد المسيب:

وكـأن قـنـطـرةً بـمـوضِـع كـورِهـا ملـسـاءَ بـيـن غـوامـضِ الأنـسـاعِ

وقال آخر:

كـأنّ مـواقـعَ الـغـربـانِ مـنـهـا مـنـاراتُ بُـنـيـن عـلـى جَـمـاد

وقال بعض العلماء وصف القطامي نوقه بما لو وصف به امرأة لكان أشعر الناس فقال:

يـمْـشـيـنَ رهْـواً فـلا الأعـجـاز خـاذلـةٌ ولا الـصـدورُ على الأعـجازِ تـتّـكـلُ[1]

● العَيْنُ

قال بعضهم:

فـلاة أعـيـنِـهـا نـزحُ الـقـواريـر[2]

● مدحُ المعز وتفضيلُها

قيل: العتاقُ معز الخيل، والبراذين ضأنها، وإذا وصفوا الرجل بالضعف والموق قالوا: ما هو إلا نعجة من النعاج، وإذا مدحوه قالوا: فلان ماعز من الرجال وفلان أمعز من فلان وقيل شعر المعز كشعر الإنسان وهو به أشبه وإليه أقرب.

وقيل: سمي بالعنز كما سمي بالكبش فقيل: عنز اليمامة وعنز وائل وماعز بن مالك، وقيل أحمق من راعي ضأن ثمانين.

وروي عن النبي ﷺ أمسحوا رغام الشاء ونقّوا مرابضها من الشوك والحجارة فإنها من الجنة. وقال: ما من مسلم له شاة إلا وقدس كل يوم مرة فإن كانت له شاتان قدس كل يوم مرتين.

● تفضيلُ اللحم الضأن والمعز

يقال للطيب الطعام فلان يأكل من رؤس الحملان، ولم يقولوا رؤوس المعز ضان وشواء الضان هو المنعوت. وقال بعض الأطباء إيّاك ولحم الماعز فإنه يورث الهم ويحرك السوداء ويورث النسيان ويفسد الدم وقيل شحم ثوب المعز وكليتها أطيب من الحمل قال شاعر:

كـأنّ الـقـومَ شـووا لـحـمَ ضـأنٍ فـهُـم نـعـجـون قـد مـالـتْ طـلاهُـم[3]

---

(١) رهواً: سيراً سهلاً. (٢) النزح: مصدر نزحت البئر قلّ ماؤها.

(٣) فهم نعجون: نعج الرجل، أكل لحم الضأن فثقل على معدته فهو نعِج - الطّلى: جمع الطلية والطلاة: العنق.

والمصروع إذا أكل لحم الضأن اشتد ما به في أوان الصرع في مبادىء الأهلة وانتصاف الشهور. جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني اتخذت غنماً رجوت نسلها ورسلها وإني لا أراها تنمو. قال ما ألوانها؟ قالت: سود. فقال: عفّري أي أخلطي بها بيضاء قال الزاخر:

لهفي على عنزين لا أنساهما　　كأن ظل حجر صُغراهُما
وصانع مغطرة كبراهُما

وقال آخر:

أعددتُ للضَّيف وللرّفيق　　حمراءَ من معز أبي مرزُوقِ
تلحَسُ خدّ الحالبِ الرفيقِ　　بلين المَس قليلِ الريقِ
كأنَ صوْت شنجِها العتيقِ　　نحيحُ ضبّ حنقٍ فتيقَ(١)
في حجر ضاقَ أشدّ الضيقِ

وفي صفتها:

تحلبُ رسلاً طيّبَ المَذاق

قال امرؤ القيس:

لنا غنَمٌ نسوقُها غزارٌ　　كأنّ قرونَ جلّتها عصيّ
فتملا بيتَنا أقطًا وسمْنا　　وحسبُك من غنىً شبَعٌ وريّ(٢)

● نعتُ التَيس

قال مخارق بن شهاب المازني وكان سيدا يصف تيس غنمه:

وراحَتْ أُصَيلانا كأنَّ ضروعَها　　دلاءٌ وفيها واتد القرْن لبلَبُ(٣)
لهُ رعثان كالشنور وغيره　　شريح ولونٌ كالوذيلة مذهَبُ(٤)
وعينٍ أحمّ المقلتَيْن ووغرة　　يواصها دانٍ من الظلْف مكتبُ
أبو الحوّ والغرّ اللواتي كأنّها　　من الحسْن في الأعناق جزْع مثقبُ
ترى ضيفَها فيها يبيتُ بغبطةٍ　　وضيفُ ابن قيس جائعٌ متحوّبُ

ووفد قيس هذا على النعمان فقال له: كيف مخارق فيكم؟ فقال: سيد كريم يمدح

---

(١) الشنج: التقبّض والتقلّص في الجلد من حرّ أو برد ـ النحيح: تردّد الصوت في الصدر ـ الضب: حيوان من الزواحف شبيه بالحرذون ـ فتيق: ما ينفتق سمناً.

(٢) الأقط: نوع من الجبن.

(٣) لبلب: لبلب التيس إذا نبّ عند السفاد، وقوله: واتد القرن لبلب أراد شفقته على المِعزى التي أرسل فيها فهو ذو لبلبة عليها أي ذو شفقة (انظر لسان العرب، مادة لبب).

(٤) الوذيلة: القطعة من لحم السنام ـ والألية لون مذهب: أي بلون الذهب.

تيسه ويهجو ابن عمه. وقيل: فلان أعلم من تيس بني حمان زعموا أنه نفظ سبعين عنزا بعد أن فريت أوداجه وحكى أن ثوراً وثب على نقرة بعد أن خصي فأحبلها.

● **حملُ الشاةِ ولادتها**

قال الأصمعي: الوقت الجيد في حمل الشاة أن تخلى سبعة أشهر بعد ولادتها ويكون حملها خمسة أشهر فتلد في السنة مرة فإن حمل عليها في السنة مرتين فذلك الأمغال يقال أمغل.

وقيل لأعرابي بأي شيء تعرف حمل شاتك **فقال**: إذا ترزم حياؤها وزجت شعرتها، واستفاضت خاصرتها.

● **ذمّ العنز**

إشترى رجل من طيء عنزاً بثمانية دراهم من ابن عم له يقال له حميد فلم يحمدها **فقال**:

لقَدْ لقيتُ من حميدٍ داهيَه ... من أعورِ العيْنِ مَشُوم الناصيَه[1]
قد باعَني الغولَ بأرضٍ خاليَه ... أعجبني ضرعٌ لها كالداليه
فقلْت ما هذا بجدٍ غاليه ... ليتَ السباعَ لقيتْها عاديه
أسألُ ربَّ النّاسِ منها العافيه

(٤)
وممّا جاءَ في الوحشيّات

●

● **البقَر**

تسمّى مولعَة لتولع جسدها، ومذرعة لكون طرفها أسود وسائرها أبيض وتوصف بأنّها مخدمة الشرى وخنساء لخنس أنفها وذيالاً لطول ذنبها **قال الجعدي**:

ووجها كبرقوع القَنَاة ملمعا ... وروقين لما يعد وإن تقشرا

وقال لبيد في وصف بقرة وحش أكل وحيش ولدها:

أفَتِلْك أم وحشيّة مسبوعة ... خذلت وهاديةُ الصوارِ قوامُها
لمعفر فهد تنازع شلوه ... غبش كواسبُ ما يمنّ طعامُها

● **الثّور**

يوصف باللهق لبياضه وبالزهرة ولذلك قال:

ولاحَ أزهَرُ مشهورٌ بنقبتِه ... كأنه حينَ يغلو عاقرَ لهب

---

(١) مشوم: مخفّف مشؤوم - الناصية: شعر مقدّم الرأس.

- **العاقر الرمل**

قال النابغة:

كأنّ رحلي وقد زالَ النهارُ بنا ... بذي الجَليلِ على مُسْتأنِسٍ وحِدِ
من وحشِ وجرة موشى أكارعُه ... طاوي المصيرِ كسَيف الصيقل الفردِ[1]

وقال آخر:

وانقضّ كالدريّ يتبعُه ... نقعٌ يثور تخالُه طنبَا

وقال الطرماح:

يبدُو وتضمرُه البلادُ كأنّه ... سيفٌ على شرفٍ يُسَلّ ويُغْمَدُ

وقال لبيد في سرعته:

يشقّ خمائِلَ الدهْنا يداه ... كمَا لعبَ المقامِرُ بالفِيالِ[2]

وقال آخر:

يقابلُ الريحُ روقيه وكلكلَه ... كالهرّ في تنحي ينفخُ الفخما

ويقال به داء الظباء إذا لم يكن به داء كأن جعفر بن سليمان أحضر على مائدته بالبصرة يوم زاره الرشيد البان الظباء وصلاها وسمنها، فاستطاب طعمها فسأله عن ذلك فغمز جعفر بعض الغلمان فأطلق عن ظباء معها خشفانها فمرت في عرصة الدار تجاه عينه مقرّطة مخضّبة **قال أبو ذؤيب:**

فما أمّ خشفٍ بالفلاةِ مشدن ... تنوشُ البريرَ حيثُ نال اهتصارُها
موشّحة بالطرتين دنا لها ... جنى أيكة تضفو عليها قصارها

وقال ذو الرمّة يصف ظبيةً تصون خشفها:

إذا استودعته صفصَفا أو صريمةً ... نحّته ونصّت جيدَها بالمناظرِ
حذاراً على وسْنان يصرعه الكرَى ... بكلّ مقيل عن ضعاف فواتِر
وتهجرُه إلا اختلاساً بطرفِها ... وكمْ من محبّ رهبة العينِ هاجِر

وقال:

رأتْ مستخيراً فاسترابَت بشخْصه ... بمسحنية يبدو لَهَا ويغيبُ

يعني بالمستخير الصائد الذي يخور خور الغزال فإذا التفتت الظبية علم أنها مغزل، فيطلب غزالها.

---

(١) وجرة: واد في أرض العرب ـ **طاوي المصير**: ضامر ـ **الصيقل**: شحّاذ السيوف.

(٢) **الدهنا**: مخفف الدّهناء، والدّهناء صحراء جزيرة العرب الجنوبيّة وهي المعروفة بالربع الخالي ـ **الفيال**: مخفّف الفئال وهي لعبة قوامها دفن شيء في التراب ثم قسمه نصفين والسؤال عن الشيء الدفين في أي القسمين يكون، واللعب بالفئال كان معروفاً عند عرب الجاهلية.

قال أبو ذؤيب في صفة غزال ضعيف:

إذ هيَ جاءتْ تقشعرّ مكاهـا ... ويشرقُ بينَ الليثِ منها إلى القفلِ[1]
ترَى حمشاً في صدرِها ثم إنها ... إذا أدبرَت ولّت بمكتنزٍ عبْلِ

وفي وصف الكناس قال بعضهم:

وبيتٍ تخفقُ الأرواح فيه ... خلالَ الليل مغموم النهار
تمارشه صوانِع مشفقات ... على خرقٍ تقومُ بالمداري[2]

● جماعة الوحشيات

قال زهير:

بها العينُ والآرامُ يمشين خلفة ... وأطلاؤها ينهضْن من كلّ مجثمِ

وقال آخر:

فأدبرن كالجزع المفصّل بينه ... بجيدٍ معمّ في العشيرةِ مخولِ

● الزرافة

تكون بأرض النوبة وتسمى بالفارسية اشتركا وبلشك كأنه بقرة نمر وزعموا أنها ولد النمرة من الجمل. ولو جعلوا الفحل النمر والأنثى الناقة كان أقرب في الوهم فللزرافة خطم الجمل وجلد النمر ورأس الإبل، وظلفها.

والزرافة طويلة اليدين منحنية إلى مآخرها وليس لرجليها ركبتان وهذا كقولهم كاوميش لما أشبه الثور والكبش واشتر مرك لما أشبههما لأن بين هذين الجنسين تلاحقا.

● الفيلُ

الفيل والزندفيل جنسان كالبخت والعراب، وكالبقر والجاموس وكالخيل والبراذين. وهي لا تنتج عندنا ولا تنبت أنيابها وزعمت الهند إنّ نابي الفيل قرناه وخرجا من الحنك أعقفين، ويدل على ذلك أنه مصمت الأعلى مجوف الأسفل كالقرن. وأنه لا يعضّ به، وإنما يستعمله استعمال القرن.

وأصل لسان كل حيوان إلى داخل وأصل لسان الفيل إلى خارج.

وقالت الهند لولا أن لسان الفيل مقلوب لتكلم وخرطومه أنفه وبه يوصل الطعام إلى جوفه. وهو بين الغضروف والعصب. وبه يقاتل ومتى اغتلم لم يملك، وعاد وحشيا وأكبر الأيور أيره قال:

لما بصرتُ بأير الفيل أذهلَني ... عن الحمير وعن تلك البراطيل

---

(١) المكتنز: من الاكتناز وهو تجمّع اللحم والامتلاء ـ العبْل: الممتلىء.
(٢) المداري: جمع مدراة وهي المشط.

واجتمع عند أبرويز تسعمائة وخمسون فيلاً ولم تجتمع عند ملك قط ووضعت فيلة عنده ولم تنتج بالعراق وكانت حمير والتبابعة والمقاول والعباهلة والكيسوم من ملوك الحبشة يكرمون الفيلة ويركبونها.

● **ابن طباطبا**

أعجب بفيل آنس وحشيّ ... بهيمةٍ في صفةِ الأنسي
يفهَمُ عن سائسِه السنديّ ... غيب معاني رمزْه الخفيّ
أقبَل في سرباله الغميّ ... يزهى بسجزء منه طارونيّ
مملّس الجلباب فاختيّ ... يخطو على أساسِه القويّ
مثل الدلي الموثق المبنيّ ... سائسه عليه ذورقيّ
منتصب منه على كرسيّ ... خرطومُه كجعبةِ التركيّ
يعلو بشطر منه خابوطيّ ... ناباه في هولَيهما المحشيّ
كمثلِ قرنٍ ناطح طوريّ ... سبْحان ربّ قادر عليّ
سخره للسائب النوبيّ

● **الكلب**

الكلبُ موصوفٌ بالسرقة والتشمم ويسمى فلحس. وفلحس إسم طفيلي وهو يرجع في قيئه ويشغر ببوله في جوف أنفه. ومن مدائحه حفظه على أهله وحراسته وفي أرحامها أعجوبة لأنها تلقح من جميع أجناس الكلاب بخلاف الغنم وتؤدي شبه كل واحد. وأناثها تحيضُ كل سبعة أيام وعلامة ذلك ورم أطبائها[١] ولا تقبل السفاد في ذلك الوقت ويعتريها عند الولادة هزال وأكثرها مما تضع إثنا عشر جرواً وربما وضعت واحداً وجراؤها لا تتهارش بل يؤثر بعضها بعضاً بالطعام. وإناثها أطول عمراً.

والسلوقية كلما أسنّ كأن أقوى على المعاظلة[٢] بخلاف سائر الحيوانات.

وكل كلب إذا أسن كأن صوته أجهر. ومن أمثالهم أصبر على الهوان من كلب وألأم من كلب على جيفة.

والكلب أنجس ما يكون إذا اغتسَل

ومنها:

حتّى تنام ظالع الكلاب

وأنظر من كلب، وأسمع واشم منه. وعلى أهلها جنت براقش، وهو إسم كلبة نعم

---

(١) الأطباء: حلمات الضرع، جمع طبي.

(٢) المماظلة (في الكلام): عقد الكلام وكزره والمعاظلة الركوب.

مكلب في بؤس أهله. اجع كلبك يتبعك. سمّن كلبك يأكلك. أجوع من كلب حومل مطل كنعاس الكلب.

● **أسماؤه**

سحام ومقلى القنيص وسلهب وجدلاً والرهان والمتناول.

وقال أبو محجن في رجل يسمى وثاباً ويسمّي كلبه عمراً:

ولـــوهـــيـــا لـــه الله مـــن الـــتـــوفـــيـــق أســـبـــابـــا
لـــســـمـــى نـــفـــســـه عـــمـــرا وســـمـــى الـــكـــلـــب وثـــابـــا

● **جواز قتله**

قال النبي ﷺ لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها وإذا وجدتم الكلب البهيم الأسود فاقتلوه فإنه شيطان.

وقال أمير المؤمنين اقتلوا الجان ذا الطفيتين والأسود البهيم. وفي الخبر أنّ دية كلب الصيد أربعون درهماً، ودية كلب الدار زنبيل تراب، حق على القاتل أن يؤديه وعلى صاحب الكلب أن يقبله.

● **تحريمُ أكله**

أكله محرّم وبنو أسد يعيرون بأكله، ولذلك قال:

إذا أســدي جــاعَ يــوْمــاً بــبــلــدةٍ وكــان ســمــيــنــاً كــلــبُــه فــهــو آكــلُــه

وقال مخاطباً بعضهم:

لــو خــافَــك الله عــلــيــه حــرمــه

● **ما يجوزُ إرتباطهُ من الكلاب**

قال النبي ﷺ من اقتنى كلباً ليس بكلب صيد ولا حرث ولا ماشية نقص من أجره كل يوم قيراط. **وقال**: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً.

● **محاربةُ الكلب والوحشيات**

قال امرؤ القيس في صفة ثور وكلب:

فــأنــشــبَ أظــفــارَه فــي الــنــســاء فــقــلْــتُ هــتــكْــتَ إلا تــتــنــصَّــرُ
فــكــرّ إلــيــه بــمــيــراتــه كــمــا خــل ظــهــر الــلــســان الــمــجــر

قال أبو ذؤيب:

والــدهــرُ لا يــبــقــي عــلــى حــدثــانــه ســيــب أقــرّتــه الــكــلابُ مــروعُ(١)

---

(١) **أقرته**: من القرى وهو طعام الضيف ـ **مروع**: من روع (ه): أفزعه وجعل الخوف يخامره.

شعف الكلابِ الضارياتِ فؤاده   فإذا يرى الصبْح المصدقَ يفزعُ
ينهشْنه ويذودهن ويحتَمي   عبْل الشوى ذو طرّتين مولعُ

● صيدُ الكلب

قال أبو نواس:

لما تبدّى الصبحُ من حجابِهِ   كطلعة الأشمَط من جلبابِه(١)
هجنا بكلبٍ طالما هجْنا به   ينشف المقود من جذابِه
ما كانَ مشنيه لذى أسلابه   متْناً شاعَ لجّ في انسيابه
كأنّما الأظفورُ من قنابِه   موسى صَناع ردّ في نصابِه(٢)

وقال:

أنعتُ كلباً أهله في كدِّه   قد سعدَت جدودُهم بجدِّه
فكلّ خيرٍ عندَهم من عنده   يظلّ مولاه لهُ كعبدِه
ذا عزّة محجّلاً بزندِه   تلذّ منهُ العينُ حسْنَ قدِّه

يا لك من كلبٍ نسيج وحدِه

● الفهد

كبارُها أقبل للآداب من صغارها، بخلاف سائر الحيوانات وهو أنوم خلق. فإنه نومه مصمت، وجميع الحيوانات تشتهيه ويستدل بريحه على مكانه. وربما يصطاد بالصوت الحسن يصغى إليه وإناثها أصيد من ذكورها **قال ابن طباطبا في وصفه:**

لهوتُ فيه بصيدِ راكبَةٍ   نازلةٍ كل وقت إيماء
تركيةِ الوجه حينَ تنعتُها   روميةُ المقلتَيْن كحْلاء
أبرزَها الحسنُ في مشهرة   قد فوفت مثلَ وشي صنعاء
يضاحِكُ الصبْح من ملمَعها   داجيةٌ شيبَت بقَمْراء
يراقب الوحشُ في مراتعها   بعينِ واشٍ ورعي حِرْباء

● الأسد

الأسَدُ سيّد السباع **قال المتوكل الليثي:**

وردٌ تظَلّ له السّباعُ تطيعُه   طوعَ العُلوج تلينُ للأسوارِ

ويقلّ نسله لأن ولدها يجرح رحمها فتعقم وتقصد إذا قربت مملحة فتضع فيها

---

(١) **الأشمط:** الذي خالط بياض رأسه سواد.

(٢) **القناب:** المخلب ـ **الصناع:** المرأة الحاذقة في العمل.

الحمل خوفاً من النمل، لأن ولدها ككتلة شحم، فيقصده النمل. ولذلك قال المتنبي:

يرد أبو الشبْل الخميسَ عن إبنه ... ويسلمُه عند الولادة للنملِ

واستوصف عبد الملك أبا زبيد أن يذكره نثراً فقال له: عينان حمراوتان مثل وهج التنور كأنما نقرا بالمناقير، في عرض حجر لونه ورد، وزئيره رعد، هامته عظيمة وجبهته شتيمة، نابه عنيد وشرّه عتيد، إذا استدبرته قلت أفرع. وإذا استقبلته قلت أقرع. إذا مشي تبهنس، وإذا أتى اللّيل إعلنكس تبوأ وتجسس. فقال: حسبك لقد وصفته بصفة خلته يثب عليّ. قال:

ضرغامةٌ أهرت الشدقَيْن ذو لبد ... كأنّه برنسا في الغاب مدرع

وقال الفرزدق:

هزبرٌ هريتُ الشدقِ ريبال غابة ... إذا سار عزته يداه وكاهلُه[1]

شتيم المحيا لا يخاتل قِرنه ... ولكنّه بالصحصحان ينازلُه

وقال ابن هرمة:

أسدٌ في الغيل يحمي أشبُلا ... قلّما يعتادهُ فيه القرمْ

مطرقٌ يكذب عن أقرانِه ... ينقضُ الكلم إذا الكلم التأمْ

وقال المتوكل الليثي:

فهابوا وقاعي كالذي هبّ حادراً ... شتيم المحيا خطوه متدانِ

تشبه عينيه إذا ما فجأته ... سراجين في ديجورة يقدانِ[2]

كأنّ ذراعيْه لِبْدةُ نحره ... خضبْن بحناء فهُنّ قوانِ

أزب هريت الشدْقِ وردٌ كأنّما ... يعلي أعالي لونِه بدهانِ

مضاعف طيّ الساعدَيْن مصنر ... همُوس دجى الظلماءِ غير جبانِ

● الذئب

قصد ذئب الفرزدق فألقى إليه ربع مسلوخة كانت معه فلما ارتحل عارضه فقال:

وليلة بتْنا بالعريتَيْن ضافَنا ... على الزّاد ممشوقُ الذراعيْن أطلسُ

تلمسنا حتّى أتانا ولم يزَل ... لدن فطمته أمّه يتلمّسُ

فقاسَمْتُه نصفَيْن بيني وبينَه ... بقيةَ زادي والركائِبُ نُعّسُ

---

(١) الهزبر: الأسد ـ هريت الشدق: واسع الشدق ـ الريبال: مخفّف رئبال وهو من أسماء الأسد ـ عزّته: قوّته.

(٢) الديجورة: الظلمة.

وكانَ ابنُ ليلى إذا قرى الذئبَ زادَه ... على طارقِ الظلماء لا يتعبّسُ[1]

وقال النجاشي:

وماء كلونِ البوْلِ قدْ عادَ آجِنا ... قليلٌ به الأصواتُ جاوزتُه مخلِ
وجدْتُ عليه الذئبَ يعوي كأنّه ... خليعٌ خلا من كلّ مالٍ ومن أهلِ
فقلْتُ له يا ذئبُ هل لك في أخٍ ... يواسي بلا أثرٍ عليك ولا نَخْلِ
فقالَ هداكَ اللّهُ للرشدِ إنّما ... دعوْتِ لمّا لم يأتِه تبعٌ قبلي
فلستُ بآتيه ولا أستطيعُه ... وهاكَ سَقِني إن كان ماؤك ذا فضلِ
فقلْت عليك الحوضُ إنّي تركتُه ... وفي صدرِه فضْلُ القلوصِ من السخْلِ
فطرب فاستعوى ذئاباً كثيرَة ... وعدت كلانا من هواه على شغْلِ

وقال آخر:

ينامُ بإحدى مقلتَيْه ويتّقي ... بأخرى الأعادي فهو يقظان نائِمُ

وقال كعب بن زهير وكان قد رامه قومه أن يشتري غنما:

تقولُ حياي من عوفٍ ومن جشمٍ ... يا كعْبُ ويحَك لم لا تشتري غنَما
منْ لي بهنّ إذا ما أزمة جلبَت ... ومن أويس إذا ما أنفُه رزمَا
أخشى عليها كسوباً غيْرَ مدّخر ... عاري الأشاجع لا يشْوي إذا ضغما[2]
إنْ يغدُ في سرعةٍ لا يثنِه بهر ... وإن عدا واحداً لا يتّقي الظلمَا[3]

وقيل: أغدر وأخبث وأكسب من ذئب، **وقيل:** من استودع الذئب ظلم.

● **الخنزير**

إنما أظهر الله تحريمه لأن كبار القبائل وملوكها تستطيبه وتأكله، ولم يكن كالقرد إذا عافته النفوس. ونظر معاوية في وجه بعض نصارى الشأم فرآه بضّاً فقال الخمر على هالة الخنزير وهو ضرار. ربّما طلب عرقاً مندفناً فيحفر خريب أرض ويفسد فساداً كثيراً.

وليس في ذوات الأنياب أشدّ ناباً منه والذكر يقاتل في زمان هيَجه ومتى قلع إحدى عينيه هلك. وأما فرخ الخطّاف وفرخ الحية فإن عينها إذا قلعت تعود صحيحة وخطمه يسمى الخرطوم تشبيهاً.

---

(١) **ابن ليلى:** ليلى أم الفرزدق لهذا قيل له ابن ليلى ـ **قرى الذئب زاده:** أطعمه من زاده.

(٢) **الأشاجع:** عروق ظاهر الكف أو أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف.

(٣) **البهر:** انقطاع النفَس.

(٥)

وممّا جاء في الطيور جميعها

●

الطيور ثلاثة أضرب: سباع وبهائم ومشترك بينهما. فالسباع تتغذى باللحم والبهائم تتغذى بالحبّ، والمشترك يأكل النوعين. وجميعها تتنوع نوعين: **قواطع وأوابد** وكرامها تسمى **الجوارح**، وضعافها **البغاث**، وصغارها **الخشاش** قال:

خشاشُ الطيرِ أكثرُها فراخاً   وأمّ الصقرِ مقلاةٌ نزورُ

وفي المثل هو كالطائر الحذر. وقيل ريش كل طائر إثنا عشر على عدد البروج وما يطير به سبعة على عدد الكواكب السبعة. وجناح الطائر يداه، والحمام يدفع بهما كما يدفع ذو اليد بيده.

● **العُقاب**

هي من سيد الطيور موصوفةٌ بطول العمر وصدق البصَر والسرعة تتغدى بالعراق. وتتعشى باليمن. وريشُها فروها في الشتاء، وخيشُها في الصيف. **وقيل لبشّار**: لو خيّرك الله أن تكون حيواناً أيها كنت تختار؟ **فقال**: العقاب لأنها تبيت حيث لا يبلغ سبع وتحيد عنها سباع الطيور، ولا يرسل شيء من الجوارح إلى الصيد إذا كانت معه خوفاً منه.

وقال صاحب المنطق(١): العقاب جافية لأولادها لا تحمل على نفسها في الكسب لها وأشعارهم تدل على خلافه.

قال دريد:

لها ناهضٌ في الركبِ قد مهدت لهُ   ما مهدت للبعْلِ حسناءُ عاقِرِ

وقيل: أَحزم من فرخ العقاب، لأنها تتحرك على شعف(٢) الجبال خشية السقوط ولو كان مكانه فرخ أهلي أسقط.

قال امرؤ القيس:

كأنّ قلوبَ الطيرِ رطْباً ويابِساً   لدى وكرِها العنّاب والحشَف البَالي(٣)

وقال الهذلي:

ولقَدْ غدوتُ وصاحِبي وحشية   تحت الرداءِ بصيرةٌ بالمشرفِ

---

(١) **صاحب المنطق**: هو الفيلسوف اليوناني أرسطو.

(٢) **شعف الجبال**: رؤوسها، جمع شعفة.

(٣) يشبه في هذا البيت قلوب الطير الرطبة التي تخطفها العقبان بالعنّاب، واليابسة منها بالحشف وهو التمر الرديء.

حتى انتهيت لي فراش عزيزة ... سوداءُ روثة أنفِها كالمخصفِ[1]

يعني بالوحشية الريح والفراش عزيزة عش العقاب والمخصف المخرز.

● **النسر**

طويل العمر، وتخاف أنائها الخفاش على فراخها، فتفرش وكرها بورق لئلا يقربه الخفاش. وقيل يرتفع في الهواء ثمانية عشر ميلاً وينحط على ثمانية فراسخ.

قال الهذلي:

إذا ما غزا بالجيش حلّق فوقه ... عصائبُ طير تهتدي بعصائبِ[2]

يصاحبُهم حتى يغزن مغارةً ... من الضاريات بالدماء الذوارب[3]

● **البازي**

كلّ رعاث صاغه صائغٌ ... لم يدّخر عنه التحاسينا

منسرُه أكلفُ فيه شقا ... كأنه عقدُ ثمانينا

ومقلة أشرة آماقها ... تبر يروق الصير فينا

قال أبو نواس:

قد اغتدي بشفرة معلّقه ... مبتكراً بزرق وزرقه

كأنّ عينيّها لحسن الحدقة ... نرجسة نابتة في ورقه

قال جهم ابن أخت أبي عمرو بن العلاء:

كأنّ جناح حفيفِه إذ ... تدلّى من الجو برقٌ بدا

● **الكَرْكَدن**

قد أنكره بعضهم وأجروه مجرى عنقاء مغرب، وقيل إنه ذكر في الزبور. **وصاحب المنطق** سمّاه الحمار الهندي. أيّ مكان حلّ به ذهب منه جميع الحيوان هيبة له. ويقال إن قرب نتاجها بما أخرج الولد رأسه ويأكل الحشيش ثم يرجع يفعل ذلك أياماً ثم تضع.

● **عنقاء مغرب**

بالفارسية سيمرك كأنه بنفسه ثلاثون طيراً. ولم يوجد إلا صورته على البسط والجدر. **ويقال في المثل:** هو عنقاء مغرب لما لا يوجد وما لا يطمع فيه.

قال أبو تمام:

وذاكَ له إذا العنقاءُ صارَت ... مُرَبَّبَة وشبَّ ابنُ الخصيِّ[4]

---

(١) **المخصف**: المخرز. (٢) **العصائب**: الجماعات، جمع عصابة.

(٣) **الضاريات**: الكواسر من الحيوانات ـ **الذوارب**: من ذرب ذرباً وذروبة السيف كان حاذاً.

(٤) **العنقاء**: طائر وهمي أشرنا إليه ـ مرَبّبة: مرباة ـ **شبّ ابن الخصيّ**: أي صار كخصيّ ولد.

وزعم ابن الكلبي أنها كانت على عهد حنظلة بن صفوان بني الرس وكانت طويلة العنق، فبذلك سميت عنقاء. فاختطفت غلاماً فغربت به فسميت مغرِباً ثم دعا عليها فاحترقت ولا نسل لها.

● **السمَنْدَل**

قيل: هو طائر هندي يدخل في أتون النار فلا يحترق له ريش، **قال**:

وطــائــرٍ يــســبَــحُ فــي حــاجــم كــمــاهــر يــسـبَـح فــي غــمْــرِ[1]

وقد حكى عن المأمون أن الطحلب الذي على وجه الماء إذا جفف لا تحرقه النار وكذلك الفلفل الأبيض.

● **الظّليم**

من أعاجيبه اغتداؤه الصخر والجمر وإذابة حوصلته ذلك **قال أبو النجم**:

والــمــرءُ يــلْــقــيــهُ إلــى أمــعــائــه وفــيــهِ مــن شــكْــل الــبَــعــيــر الــمــنــسـم

والوظيف والعنق والخزامة في أنفه، ومن الطائر الريش والجناح والذنب والمنقار والبيض ولذلك **قيل**:

كــمــثــل نــعــامــة تــدْعــي بــعــيــرا تــعــاظــمــهــا إذا مــا قــيــل طِــيــري

فــإنْ قــيــلَ إحــمــلِــي قــالَــتْ فــإنّــي مــن الــطــيْــر الــمــرتــب فــي الــوكــورِ

قال بشّار:

وكــنْــتُ كــالــهــيــقِ غــدا يــبــتَــغــي قــرنــاً فــلــم يــرجــع بــإذنَــيْــنِ[2]

وهو موصوف بصدق التشمم يعرف ريح القانص من أكثر من غلوة **قال**:

يــســتــخــبرُ الــريــح إذا لــمْ يــســمَــع بــمــثــل مــقــراعِ الــصــفــا الــمــوقــع

وأشد ما يكون عدواً إذا استقبل الريح وفي عنقه **يقول أبو قلابة**:

كــأنّــهــا والــريــحُ تــصــري وتــذر أيــر حــمــارٍ فــيــه ســمْــعٌ وبــصَــر

وقد قلب هذا المعنى **جحشويه فقال** في صفة الأير:

كــأنّــه والأكــفّ تــمــرســه عــنــق ظــلــيــمٌ بــغــيْــر مــنْــقــارِ

ومتى كسرت إحدى رجليه لا ينتفع بالأخرى **قال شاعر**:

إذا انكسَرَت رجْلُ النعامةِ لم تجدِ على أختِها نهضاً ولا باستها حبْوا

---

(١) **الغمر**: الماء الكثير، ومعظم البحر.

(٢) **الهيق**: ذكر النعام، **والظليم** من الرجال المفرط الطول.

وربما تركت بيضَها فلم تهتدِ إليه فتذهب إلى بيض أخرى فتحضنه قال شاعر:

كتاركةٍ بيضَها بالعراءِ وملبسة بيضَ أخرى جناحا

وقال الأخفش:

تظلّ بها ربدُ النعامِ كأنها إذا ما تزجى بالعشيّ حواطِبُ

قال علقمة:

كأنها خاضِبٌ زعر قوادمه أجنَى له باللوَى شرى وتنوم[1]

ووصف بالجبن فقيل أجبن من نعامة وشالت نعامة فلان وخف رياله وقيل أحمق من نعامة وفيه:

أسيف من الجسان ضلت أباعرُه

قال ذو الرمة:

وبيض كشفْنا في الدّجى عنْ متونِها

وقال آخر:

هجوم عليها نفسه غيرَ أنه متَى يرم في عينَيْه بالشّخص ينهَضْ

يقلّبُ للأصواتِ من كلّ جانب صِماخاً كبيتِ العنْكبوتِ المغمَضْ[2]

● الكَروان

هذه اللفظة تقال للواحد والجمع والعامة تقول الكيروان بن الحباري، قال شاعر:

ألم ترَ أنّ الزبدَ بالتمرِ طيّبٌ وأن الحباري خالَةُ الكَروانِ[3]

وقيل:

أطرق كرَى أن النعام في القِرى

أي يا كروان قيل الكركي تتحارس بالليل فلا تنام حتى يحرسها أحدها فالحارس يقوم على إحدى رجليه ليسقط أن غلبة النوم فتتناوب على ذلك.

● الغُراب

يقال له حاتم لأنه يحتم بالفراق ويتشاءم به في عامة كلامهم وقد تيمّن به بعضهم فقال:

وقالوا غرابٌ قلت غربٌ من النوى

ويسمى ابن داية لأنه يقع على داية البعير الدبر فينقره وهو قوي البدن لكنه من لئام

---

(١) القوادم الزعر: القليلة الشعر والمتفرّقة.

(٢) الصماخ: خرق الأذن الباطن، الماضي إلى الرأس، جمع أصمخة، وصمخ.

(٣) الكروان: طائر من رتبة طوال الساق وفصيلة دجاجيّات الأرض، جمع كراوين، ومؤنثه كروانة.

الطيور ولا يعاف القاذورات ولا يتعاطى الصيد وهو يسر السفاد. وقيل: إنما يسافد بالمنقار وفرخه أقذر وأنتن من الهدهد.

وقد مدح لقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾[1] الآية وذمّ بأنه بعثه نوح من السفينة ليأتيه بخبر الماء فاشتغل بأكل الجيفة، ويوصف بالقزل[2] والخجل.

قال كعب بن زهير:

وحمش بصير المقلتين كأنه إذا ما مشى مستقبل الريح أقزلُ

ويوصف بحدّة البصر وصحة البدن.

قال الشاعر في وصف رجل طويل العمر صحيح البدن.

قد أصبحت دارُ آدم خربت وأنتَ فيها كأنك الوتدُ

تسأل غربانها إذا حجلت كيف يكونُ الصداعُ والرمَدُ

ويدعى أعور على سبيل القلب، قال الكميت:

وصحاح العيون يدعين عورا

ويقال في المثل: أزهى من غراب، وأسود من حلك الغراب وحنكه، وليس غرابه بمطار للساكن، وجد فلان ثمرة الغراب لأنه لا يقصد إلا الأجود الأطيب، ولا أفعله حتى يشيب الغراب.

قال ذو الرمّة:

ومستشحجَاتٌ بالفِراقِ كأنها مشاكيلُ من صيابَة النّوب نوحُ[3]

شبّه الغربان الشاحجات بنساء من النوب ثاكلات وقال:

كأن الشاحجات بجانبيها نساءٌ جئْنَ من حبش ورومِ

- **القطا**

سمّي بذلك لحكاية صوته. قال أبو وجرة:

وهنّ ينشبْنَ وهناً كلّ صادقة باتت تباشرُ عما غير أزواج

حتّى سلكْنَ الشوى منهنّ في مسَك من نسلِ جوّابة الآفاقِ مهداجِ[4]

---

(١) القرآن الكريم: المائدة/ ٣٤.

(٢) القزَل: أقبح العرج، من قزل أي مشى مشية الأعرج.

(٣) المستشحجات: شحج شحيجاً (البغل أو الغراب): صوّت أو غلظ صوته، والشاحج: حمار الوحش، وبنات شحّاج: البغال، والشواحج: الغربان.

(٤) الهمداج: الناقة التي تحن على ولدها.

وإنما قال غير أزواج لأنها لا تبيض إلا أفراداً وهو موصوف بالهداية. يقال أهدى من قطاة وأصدق من قطاة.

قال ابن المعتز في وصفها عند حمل الماء إلى فرخها:

وكأنها وغدوا قطاة صبحت ... زرقَ المياه وهمّها في المنزلِ
ملات دلاة تستقلّ بحملها ... تدآم كلكلها كمفْرِ الحنظَلِ
وغدَت كجلمودِ الغداف يقلها ... واف كمثلِ الطيلَسان المخمل[1]

وقال ذو الرمّة:

ومستخلفات من بلادِ تنوفة ... لمصفَرّة الأشداقِ حمر الحواصِلِ

أي يستقين الماء لفراخ لم ينبت عليهن الزغب، قال حميد:

قرينة سبع أن تواترن مرّة ... ضربن فصفت أرؤسٌ وجنوب

● الحمام

قال المثنى: لم أر شيئاً في الرجل والمرأة إلا رأيته في الحمامة. رب حمامة لا تريد إلا ذكرها، وأخرى لا تمنع يد طالبها، وحمامة لا تزيف[2] إلا بعد شدّة، وأخرى تزيف حالة يرومها الذكر وذكر له أنثيان يحضن معهما. وآخر يقتصر على واحدة.

وكان غرض الحمام بالجماع طلب الذرية وهو أكثر الاشياء تغزلاً وتصنعا من التقبيل والتنشيط وكره كثير من الناس كونها في بيت الفارغات من النساء، خشية أن تدعوهنّ إلى طلب الرجال. وكل طائر يرجع كالقمري والفاختة والورشان واليمامة واللعوب تسمين حماماً.

قال بعضهم يصف لونه:

كأنّ بنخرها والجيدِ منها ... إذا ما أمكنت للناظرينا
مخطا كأن من قلم دقيق ... فحط بجيدِها والنحْرَ نونا

قال أعرابي:

مزبرجَةُ الأعناق نمر ظهورُها ... مخطمة بالدرّ خضرٌ روائعُ[3]
ترى طُرراً بين الخوافي كأنها ... حواشي برودٍ أحكمَتْها الوشائِعُ[4]

---

(١) الغداف: غراب كبير ضخم الجناحين، والغداف الشعر الطويل الأسود، أو الجناح الأسود.

(٢) تزيف: تنفش.

(٣) مزبرجة: مزيّنة، ومحسنة ـ مخطّمة: مشدودة على المخطم أو الخطم، والخطم الأنف.

(٤) الخوافي: الريش الناعم في جناح الطائر ـ البرود: جمع برد وهو الثوب المخطّط ـ الوشائع: جمع وشيعة، وهي خشبة يلفّ عليها ألوان الغزل، اللفيفة.

ومن قطَعِ الياقوتِ صيغَت عيونُها خواضب بالحناء منها أصابِعُ

وقال:

مطوّقة كسبت زينَة بدَعْوة نوحٍ لها إذا دعَا

وذلك **قيل:** إن نوحاً لما بعث الغراب ليأتيه بخبر الماء، فاشتغل بأكل الجيفة بعث في أثره الحمامة. فدعا له بأن يطوقه بطوق يتوارثه عنه بنوه فطوقه من دعائه، **وقيل** إن غناءه بكاء على هديل[1] مات في زمن نوح عليه السلام ومن مليح ما قيل في ذلك **قول ابن المعتز:**

وبكيتُ من حزَن كنوحِ حمَامة دعتِ الهديلَ فظلّ غيرَ مجيبِها

ناحَتْ ونحنا غيرَ أن بكاءَنا بعيوننا وبكاؤها بقلوبِها

واستوصف المهدي محمد بن عزيز القاضي حماما، **فقال:** قد قدقد الحكم وقوم تقويم القلم، يمشي على عنمتين، ويلتقط بدرتين، وينظر من جمرتين، تروبه العبة وتكفيه الحبّة.

ونظر النبي ﷺ إلى رجل يتبع حماماً **فقال:** شيطان يتبع شيطاناً.

وقال أيضاً كونوا بلها كالحمام. وقيل لشيخ: **من علمك هذا؟ قال:** من علّم الحمامة تقليب البيض لتعطي الوجهين نصيبهما من الحضن.

● **القمري**

قال بعض الكتاب في وصفه:

سجعَتْ هاتفةُ الوُرْ ق عناها شحْطُ بيْنِ[2]

ذاتُ طوْقٍ مثلِ خطّ الـ ـنونِ أقنى الطرفَيْنِ[3]

وترَى ناظرَها يلـ ـمَعُ في ياقوتَتَيْنِ

تُخرِجُ الأنفاسَ من ثقْبَيْنِ كاللؤلُؤتَيْنِ

وقال كشاجم:

وفجعْتُ بالقمْريّ فجْعةَ ثاكِلٍ وفقدتُ منهُ أمتَعَ السمّارِ

لونُ الغمامةِ والغمامةُ لونه ومناسب الأقلام بالمنقارِ

ومُطوّقٌ من صنعِ خلقَةِ ربّه طوقَيْنِ خلْتُهما منَ النّوارِ

ولطالما استغنيْتُ في غسَقِ الدّجى بهديرهِ عنْ مطربِ الأوْتارِ

---

(١) **الهديل:** فرخ الحمام. (٢) **الشحط:** البعد ـ **البين:** الفراق.

(٣) **الأقنى (من الأنوف):** ما ارتفع وسط قصبته وضاق منخره.

● **القبج**[1]

قال أبو علي البصير في وصفه:

ولابسةٍ ثوباً من الخزّ أذكنا ... ومن أخضرِ الديباجَ رانا ومعْجَرا
مُقلّدَةً في النّحر سبْحةَ عنْبرِ ... علَى أنّها لم تلتَمِس أنْ تعْطَرا
لها مقْلتا جزْعٍ يَمانٍ تَحمّلَت ... جفونُهما من موْضع الكُحْل عُصْفُرا
مطرزة الكمّينِ طرزاً تخالُها ... بتقويمِها من حلكَةِ الليل أسْطُرا

وقال ابن طباطبا في وصفه في المجلس:

ومسجنٍ يهوى القتالَ ممنع ... عن قِرنه ذي صرخةٍ ودُعاءِ
بادِي التمَلْمُلِ خلفَ حائطِ سجْنه ... حب البرازِ مُجيب كلّ نداءِ
في مجْلسٍ ضنْكٍ يودّ لو أنه ... لاقَى مبارزَه بجنْب فضاءِ
فقد السّلاحَ فجال أعزَلَ جولَة ... ومضَى إلى الهيْجاءِ ذَا خُيَلاءِ
في حلّة دكْناءَ قد رفعَتْ لهُ ... من جانبَيْه بيُمْنَةِ السّيراءِ[2]
متشمّراً متبَخراً متكبّراً ... متطَوّقاً بعمامَةٍ سوداءِ

● **الديك والدجاج**

يوصف الديك بالشجاعة والصبر والقوة على السفاد والسياسة للإناث، ويأخذ الحبّ فيلقيه إلى الأناث، وبه عنى قولهم أسمح من لاقطة. فإذا هرم لم يفعل ذلك وقال ثمامة: إن ديكة مرو تطرد الدجاج عن الحبّ لطبع البلدة وعن النبي ﷺ لا تسبوا الديكة فإنها تدعو إلى الصلاة. وروي عنه أيضاً أنه قال: إنّ مما خلق الله تعالى ديكاً عرفه تحت العرش وبراثنه في الأرض السفلى إذا ذهب ثلثا الليل ضرب بجناحيه **وقال**: سبّوح قدّوس، فعند ذلك تضرب الديكة أجنحتها وتصيح.

وقيل: إنما لا يطير لأنه اجتمع مع الغراب عند خمار يشربان فأخذا منه خمراً فشرباه فذهب الغراب ليحمل الثمن وترك الديك مرتهناً فعلق الرهن فقصه الخمار ومن العجائب ذو ريش أرضي وذو جلد هوائي يعني الديك والخفاش.

قال أعرابي:

دقوع الشوَى حمْر الصّياصي كأنّها ... شيوخٌ من الأعراب حمْر المعالِم[3]

---

(١) **القبج**: طائر يشبه الحجل معرب (كبك بالفارسية).

(٢) **السيراء**: الذهب الخالص أو برود مخطّطة يخالطها الحرير.

(٣) **دقوع**: من دقع أي رضي بالدون من المعيشة، لصق بالتراب، **والديقوع** الجوع الشديد ـ **الشوى**: الأطراف ـ **الصياصي**: جمع صيصية وهي شوكة الحائك التي يسوّي بها السدى واللحمة.

قال آخر:

مـمّـا يـؤرقـنـي لـيـلاً ويُـسْـهِـرُنـي	من صـوتِ ذي رعـثـات سـاكـنِ الـدّارِ
كـأن حـمـاضـة فـي رأسـهِ نـبـتَـتْ	من أوّل الـصـيْـفِ قـد هـمّـت بـأثـمـارِ

قال ابن المعتز:

بـشّـرَ بـالـصّـبْـحِ هـاتِـفٌ هـتَـفـا	بـشـر بـالـلّـيـلِ بـعـدَمـا انـتـصَـفـا
مـذكـراً بـالـصـبـوحِ هـاجَ بـهـا	كـخـاطِـبٍ فـوقَ مـنـبـرٍ وقَـفَـا
صـفّـق إمـا ارتـيـاحـه لـسـنـا الـفـجْـ	ـرِ وأمـا عـلـى الـدّجـى أسِـفـا

وفي المثل أغيرُ من الديك وأشجع، وشراب أصفى من عين الديك، وأسلح من دجاجة ساعة الأمن. وقيل هو كالفروج إذا كاس في الصغر وحمق في الكبر وقال النبي ﷺ: نعم متاع البيت الدجاج يقرين الضيف، ويعنّ على نوائب الدهر.

● **الحباري**(1)

تنحسر دفعة واحدة فيبطيء نبات ريشها فربما تموت كمداً، ولذلك قال الشاعر:

وزيـد مـيـت كـمـد الـحـبـارى

وقيل: مسلاحها سلاحها، وذلك إن لها خزانة بين دبرها وأمعائها، إذا دنا الصقر رمته به فيلتزق ريشه. فهي في سلاحها كالظّربان في فسائه، والعقرب في إبراتها. وهي حسناء اللون ترتبط لحسنها وهي أحسن الطيور طيراناً تصاد بظهر البصرة فيوجد في حوصلتها الحبّة الخضراء غضة لم تتغير، وهي علوية أو ثغرية أو جبلية، قال ديك الجن:

وسَـرَتْ جـاريـاتٌ فـوْقَ طـود	أشـبـهـهـا بـمـشـيـخـة جـلـوس

● **الغرنوق**

وهو من طير الماء موصوف بالحذر، ومتى طار ترفع في الهواء خشية السباع ويقوم على إحدى رجليه حذراً لئلا ينام. وسئل من صاد في يوم مائة غرنوق عن الحيلة في ذلك، فقال: أخذت قرعة يابسة فجعلت لها عينين وألقيتُها في الماء حتى آنست بها الغرانيق ثم جعلت رأسي فيها وانغمست في الماء وكلّما دنوت من واحد قبضت على رأسه وغمسته في الماء ودققت جناحه وتركته يطفو فوق الماء حتى انتهيت إلى الآخر

قال أبو نواس:

سـودُ الـمـآقـي صـفـر الـحـمـالِـقِ	كـأنّـمـا يـضـفـرن مـن مـعـالـقِ
صـرصـرة الأقـلام فـي الـمـهـادق

قال الكميت:

كـأنّ بـنـات الـمـاء فـي حـجُـراتـه	نـبـيـط قـعـودٌ لابـسـاتُ الـبـرانـسِ

---

(1) الحبارى: طائر أكبر من الدجاج الأهلي وأطول عنقاً يضرب به المثل في البلاهة.

● **الحِرْباء**

إذا انتصف النهار علا في رأس شجرة كراهب في صومعة. **قال ذو الرمّة:**

إذا جعَل الحرباء يبيض لونَهُ ... ويخضرّ من لفح الهَجير غباغبُه[1]
وسبّح بالكفَّين سبحاً كأنه ... أخو فجْرة عال به الجذْع صالبُه

● **العصفور**

تجعل العرب الخرق والحمر والقنبر من العصافير، وهو يساكن الناس ومتى فارق الإنسان داره فارقها.

وإذا كان زمان البازي اجتمعت في البساتين فإذا انقضى زمانه عادت إلى الدور على أمارات معروفة. وهو كثير السفاد كثير الشفقة على الولد متى خاف عطباً عليه اجتمع جماعة فطرن حواليه واجتهدن في خلاصه.

وإذا خرج من وكره لا يستقر. وكذلك البلبل لكنّ البلبل كذلك ما دام في القفص ويخرب البيوت والسقوف ويجلب الحيات لو لوعها بأكله. وفي المثل هو في حلم عصفور، وبكر بكور العصفور.

● **المُكاء**

قال شاعر:

إذا غرّد المكاءُ في غير روضَةٍ ... فويلٌ لأهل الشاءِ والحمراتِ

وإنّما قال ذلك لأن المكاء لا يكاد يوجد إلا في الرياض.

قال امرؤ القيس:

كأنّ مكاكيّ الجِواءِ غديّة ... صبِحْنَ سُلافاً من رحيقٍ مُفلفَلِ[2]

وقيل: إن حية أكلت بيض مكاء فأخذت حسكة بمنقارها وجعلت تفرفر على رأسها حتى فتحت فاها فألقتها فيها فماتت، وفيه قال:

فربما قتَل المكاءُ ثعبانا

● **الخطّاف**

قال أبو منصور الديلمي:

وطيرٍ يبشّرنا بالمَصيف ... زيارتِهِ أرضنا كلّ حينِ
يضم جناحَين كالخنجرَيْن ... على ذَنَب يشبه البارحَينِ
بسجع حكى هذيانَ الرياضِ ... من السّند يتبعُه بالأنينِ

---

(١) **الغباغب:** جمع غبغب اللحم المتدلي تحت الحنك من البقر والديك.

(٢) **السلاف:** الخمر ـ **الرحيق المفلفل:** الخمر ممزوجة بحبّ الفلفل.

قال الكندي:

تقسّم زوارٌ من الهند سقفنا ... خفافٌ على قلب النديم شِفاقُ
أعاجِم تلتذ الخصامَ كأنها ... كواعِب زنج راعهنّ طلاقُ
أنس بنا أنس الإماءة تجننت ... وشيمتُها غدر بنا وأباق

قال أبو نواس:

كأن أصواتها في الجو إذ سطعت ... صك الجلاد إذا ما جزت الشعار

● الهذهد

قال ابن عبّاس: كان سليمان بن بن داود، إذا فقد الماء في بريّة دلّه الهدهد لأنه إذا نقر وجه الأرض عرف ما بينه وبين الماء. **قيل:** فكيف يجهل الفخ إذا دنا منه؟ قال: إذا جاء القدر عمي البصر، ولم يغن الحذر. والعرب تقول فترعنه قبر أمه لأنه جعل قبرها على رأسه برأيها ونتن ريحة من الجيفة المدفونة في رأسه. **وقال صاحب المنطق:** الهدهد لما اتخذ العش من الزبل ترقي فيه ريشه فلذلك خبث ريحه.

وقال بعضهم: الهدهد تكلف. واستدل بقوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾[1]

● الرخمة

وتسمى الأنوق وتنسب إلى الحمق، شاعر:

وذات إسمين والألوانُ شتى ... وتحمقُ وهي كيسةُ الحَويل

وقال محمد بن سهل ما أحمقها وهي تحضن بيضها وتحمي فرخها وتحب ولدها ولا تمكن من نفسها ألا زوجها، وتقطع في أول القواطع وترجع في أول الرواجع ولا تطير في التحسير، ولا تغتر بالشكير، ولا ترب بالوكور ولا تسقط في الحفير. أي إذا رأت الحفير هربت منه. والصيادون يستدلّون به على قطاع الطير. **وقيل:** أعز من بيض الأنوق.

● البُوم

يعادي الغداف ولا يقوى عليه بالنهار. وهو يهجم على الغداف بالليل في أوكاره فيأكل فراخه ـ وهو موصوف بالشؤم.

وقيل لصياد ـ معه بومتان كبيرة وصغيرة ـ بكم؟ **فقال:** الكبيرة بدرهم، والصغيرة بدرهمين. **قيل له:** ولم ذلك؟ فقال لأن شؤمه في إقبال.

● الخُفاش

هو طائر بلا ريش إنما هو لحم وجلد. ولا يطير في ضوء ولا ظلمة، لقوة بصره وكثرة شعاع عينه فيلتمس فيما بين الوقتين رزقه.

---

(١) القرآن الكريم: النمل/ ٢٠.

وهو يصيد البعوض وقيل إن أنثاه تحيض وترضع كالأرنب وماله منقار وله أسنان حداد ويصير على الطعام. ونهى عن قتله وقتل الضفدع. وقيل: إن أنثاه تحمل ولدها تحت جناحها، ترضعه في طيرانها وتتجنب ورق الدلب حيث كان. وفيه قال ابن المعتز:

أبى علماءُ النّاس أن يعلمونني ... وقد ذهبوا في الشعْر في كلّ مذهَب
بجلدةِ إنسانٍ وصورةِ طائرٍ ... وأظفارِ يربوع وأنيابِ ثعلبِ[1]

● **البيغاء**

من غريزته أن من كلمها نصب لها مرآة وكلّمها من خلفها، حتى تعتاد الكلام

(٦)
ومما جاء في الهوام والحشرات

●

● **السنّور**

يشبه الإنسان في أمور شتّى في العطاس والتثاؤب والتمطي وغسل الوجه والعين. **وقيل**: إن الأصل في خلقه أن أصحاب نوح عليه السلام تأذوا في السفينة بالفار فسألوا نوحاً عليه السلام أن يسأل ربّه، فخرج السنّور من عطسة الأسد فصاده. وتأذوا بالعذرة فخرج من سلحة الفيل الخنزير فأكله.

ومتى رأى السنور الفأر زلق وإن كان بمعقل خوفاً منه وهو يأكل الحشرات كالخنفساء وبنات وردان[2] والحيّة وكل ذات سمّ وقد تأكل أولادها. وقيل إن ذلك لبرّها[3] بهم. والضبّ تأكل ولدها لعقوقها[4] فقيل أبرّ من هرّة واعقّ من ضبّ.

وهي كثيرة الأسماء غير الصفات: **يقال لها** القطّ والضيون والهرّ والسنّور. وأسماء الأسد أكثر صفات. وروي أن أعرابياً صاد سنّوراً فلم يعرفه فتلقاه رجل **فقال**: ما هذا السنور؟ وتلقاه آخر **فقال**: ما هذا الهر؟ وآخر **فقال**: ما هذا الضيون؟ وآخر **فقال**: ما هذا القط؟ **فقال الأعرابي**: إني أحمله وأبيعه فيسجعل الله لي منه يسرا فلما حمله إلى السوق، **قيل**: بكم؟ **قال**: بمائة. **قيل**: إنه يساوي نصف درهم، فرمى به **وقال**: لعنه الله فما أكثر أسماءه وأقلّ نفعه.

وكان النبي ﷺ امتنع من دخول دار قوم فيها كلب **فقيل له**: إنك تدخل دار فلان وفيها هرّ، **فقال**: الهرّ ليست بنجسة إنها من الطوافين عليكم والطوّافات.

---

(١) **اليربوع**: نوع من القواضم يشبه الفار قصير اليدين طويل الرجلين وله ذنب طويل.
(٢) **بنات وردان**: الصراصير. (٣) **برّها به**: أي محبتها ووفائها.
(٤) **العقوق**: العصيان والنكران.

وقال عليه الصلاة والسلام: عذبت امرأة في هرة سجنتها فلم تطعمها ولم تسقها. وقيل: إنّما يستر خرءه لئلا يشم الفأر ريحته فيهرب. ولابن العلاّف البغدادي فيه مرثية مختارة أولها:

يا هرّ فارقتنا ولم تعُد ... وكنت منّا بمنزلِ الوَلَد

وقال ابن طباطبا في هرّة لم تكن تصيد الفأر

وسنّورة سالَمَت فأرَها ... فبينَهما أبداً هدْنَه

تدور وفي فمِها جوزةٌ ... وشيءٌ أصابته من جننه

لتنصبَ للفأر فخابَه ... كذا القِرنُ مختتلٌ قِرنَه[1]

وتبصرها مثل حواءةٍ ... لها رقيَة ولها دخْنَه

بها تخرجُ الفأر من جحرها ... وما ذاك عيب ولا هُجْنَه

فمَن لم يوافِقه شربُ الدوا ... ء للحصر يستعمل الدخْنَه

وقيل كان لركن الدولة سنّور يألف مجلسه فكان بعض أصحابه أراد حاجة تعذر الوصول إليها فكتب قصته ووجد السنور خارج الحجرة فشدّ القصة في عنقه وأرسله فرآه ركن الدولة فأخذها وقرأها ووقّع فيها.

● **الثعلبُ**

موصوف بالرَوَغان والخبث والنذالة. **قال بعضهم**: أروغ من ثعلب ومن فرط خبثه أنّه يجري مع كبار السباع وفي حديث العامة أن الثعلب متى كثرت عليه البراغيث يتناول صوفة ثم يدخل رجليه في الماء، فلا يزال يغمس بدنه في الماء أوّلاً فأولاً حتّى يجتمعن في خطمه. فإذا غمس خطمه في الماء اجتمعن في الصوفة ثم يتركها في الماء ويثب خارجاً. ونضيبه أي قضيبه في صورة أنبوبة أحد شطريه أعظم، وهو في صورة مثقب والآخر عصب ولحم. يولع بأكل القنفذ **ويقال** إنه يقلبه على ظهره ثم يبول على بطنه فيعتريه الأشر[2] فيتمدّد فيبقر بطنه.

● **الأرنبُ**

قيل: إنها تحيض والذكر منها الحزن وقضيبه على صورة قضيب الثعلب. **وقيل**: إنها تنام مفتوحة العين، وتطأ على مواخير القوائم كيلا تعرف الكلاب أثرها. وهو قصير اليد وليس يعرف بقصر اليد؛ أسرع من الأرنب، والعرب تزعم أن من علق عليه كفّ أرنب لم تصبه عين ولا سحر، لأن الجنّ تهرب منه إذ ليست من مطاياها لمكان الحيض وهي أحسن الأشياء صيداً لتدبيرها وتدبير الكلب عليها.

---

(١) مختتل: اسم فاعل من اختتله أي خدعه.

(٢) أشر: الواحد إشر وأشرة المنشار أسنانه والأَشُر والأَشَر التحزيز في الأسنان.

● **الضبّ**

يوصف بالكيس[١] لأنه لا يبني بيته إلا على رابية خشية السيل.

قال الشاعر:

سقَى الله أرضاً يعلَمُ الضبّ أنها بعيدٌ من الآفاقِ طيبةُ البَقْلِ
بنى بيتَه منها على رأسِ كديةٍ وكلّ امرىء في حرفةَ العيْش ذو عَقْلِ[٢]

وقيل: أنه يعد العقرب للحارش حتّى إذا أدخل يده لسعته. وهو مسالم ويضع من البيض سبعين، ويأكل كل حسلة. **وقيل:** أعقّ من الضب. ويضرب الحيّة بذنبه فيقتلها وله تركان أي أثران، **قال:**

حِسْلٌ له تِرْكان كانَ فَضيلة على كلّ حافٍ في البلاد وناعلِ

وقيل: إنما هو واحد ولكن له طرفان كلسان الحية. وهو طويل الذماء[٣] صابر على الماء. يتبلغ بالنسيم طويل العمر.

قال:

لو أنني عمرت سنّ الحِسْل

وقيل في المثل: أخدع من ضبّ، وهو خبّ ضب. وقيل بالنمر يخدع الضب وأما لحمه فقد روي أنه عليه الصلاة والسلام امتنع من أكله، **وقال:** إنه ليس بطعامي وأكله خالد بن الوليد فلم ينكر عليه. **وقال:** فيه فقيه لرجل كان يأكله إعلم أنك أكلت شيخاً من مشيخة بني إسرائيل يعني أنه مسخ **قال:**

وسكنُ الضبابِ طعامُ الغريب ولا تشتهيه نفوسُ العَجَم

فقال من عارضه:

فأنت لو ذقتَ الكشى بالأكباد لما تركت الضبّ يغدو بالوَاد[٤]

● **القِرْدُ**

يُضحك ويُطرب ويحكي ويتناول بيده الطعام ويضعه في فمه. وله أصابع وأظفار وإذا سقط في الماء يغرق كالإنسان قبل أن يتعلم السباحة ويتزاوج ويتغاير تغايرهم، **فقال:**

قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أو عَجوزٌ تلطمُ[٥]

---

(١) **الكيس:** الظريف الفطن، الحسن الفهم.
(٢) **الكدية (هنا):** الأرض الصلبة الغليظة. (٣) **الذماء:** بقيّة الروح.
(٤) **الكشى:** جمع كشية شحمة بطن الضبّ أو أصل ذنبه.
(٥) شطر بيت من قصيدة للمتنبيّ في هجاء كافور الإخشيدي.

● **الدبّ**

أنثاه إذا وضعت ولدها رفعته في الهواء أياماً تهرب به من الذرّ من مكان إلى مكان إلى أن تشتد أعضاؤه.

● **القُنفُذ**

جعل سلاحه شوكه وهو يأخذ الحيّات فيأكلها يقبع رأسه حتى يأتي عليها. **وقال ابن الزبير** في رجل خاشنه وهو يخطب ثم سكت: ماله ضبح ضبح الثعلب ثم قبع قبوع القنفذ.

● **الجُرَذ والفأر**

ولا أتبع الجاراتِ بالليل قابعاً قبوعَ القرنبا أخلفته محاجرهُ

قيل: إن الجرذ يعادي العقرب وإذا جعلاً في إناء واغْد ولم يمكنهما الخروج تحاربا تحارباً عجيباً ومتى ربط فأران بطرفي حبل تهارشا أعجب هراش وإذا خليا مراً على وجوههما. فإذا خصي واحد أكل صواحبه. وللفأر تدبير في السرقة تأتي القارورة الضيقة فتخرج منها الدهن بذنبها **وقيل** أسرق من ذبابة ومن جرذ. **قال**:

فكُنْ جرذاً فيها تخونُ وتسرقُ

وهو قصير الذماء بخلاف الضبّ. ويقتله الشيء اليسير وكثير من الناس ممّن لا يخاف الأسود يخافه ويهرب منه. وفي الحديث أن الفأرة الفويسقة[١] تجذب الفتيلة فتجذ بها فتحرق على أهل البيت كحل العيون وقضّ الرقاب، والزباب صمّ. **قال**:

فهم زباب حائر لا تسمع الآذان رعدا

والخلد منها أعمى. **واليرابيع** ضرب منها تطأ على زمعاتها[٢] لتزوي[٣] موضع وطئها لئلا تقص، وتتخذ النافقاء والقاصعاء والداماء والراهطاء[٤] ليفلت من باب إذا أخذ عليه باب. **وقيل**: إنما استخرج الروم الاحتيال بالمطامير والمخارق على تدبير اليربوع.

● **الجَراد**

تعمد الجرادة إلى الصخرة الملساء التي لا يعمل فيها المعول فتغرس ذنبها فيها فتصير كالأخدود لها فتنتر فيها أي تبيض، فيخرج منها الدبى فتصفر فيقال لها **اليرقان** ثم تصير فيها خطوط سود وصفر فيقال **مسيح** ثم يبدو حجم جناحها كثيفاً ثم ينبت جناحها ويحمر فيقال لها **الغوغاء** ثم يقال **الخيفان** ويقال للجرادة **أم عوف**:

تنفضُ بردتَيْها أمّ عوف كأنّ رجيلتيها مِنْجلان

---

(١) **الفويسقة**: مصغر الفاسقة وهي الفأرة، سميت بذلك لخروجها من حجرها على النّاس.

(٢) **الزمعات**: جمع زُمْعة وهي القطعة، والزَمَعة التلعة الصغيرة.

(٣) **تزوي**: من زوي الشيء منعه. (٤) **الراهطاء**: حجر اليربوع ومثله النافقاء والقاصعاء. الخ.

وبردتاها أي جناحاها.

قال سعيد بن عبد الرحمن:

مـن كـلّ كـنـعـان تـراهُ أحـدَبـا | كـأنّ سـرجـاً جـيّـداً مـضـبّـبـا
عـلـى قـراه ثـابـتـاً مـركـبـاً | لـم يـجـعَـلِ الـلّـهُ عـلـيـه مـركَـبـا

وقال أعرابي:

مرّ الـجـرادُ عـلى زرعي فـقـلْـت لـهـا | إيـاك أغـنـي فـلا تـولَـع بـإفـسـادِ
فـقـامَ مـنـهـا خـطـيـبٌ فـوقَ سـنـبُـلـةٍ | أنـا عـلـى سـفـرٍ لا بـدّ مـنْ زادِ

وقال عوف بن دروة في وصفها:

قـد خـفـتُ أن يـحـدرَ بـالـمـصـعـرين | ويـتـرك الـدّيـن عـلـيـنـا والـديْـن
زحـفٌ مـن الـجِـيـفـان بـغـد الـزحـفـين | مـلـعـونـةٌ تـسْـلـخُ لـونـاً لـونـيْـن
كـأنّـهـا مـلـتـفّـة فـي بـرديْـن | تـنـحـى عـلـى الـشّـمـراخِ مـثـل الـفـاسَـيْـن

أو مـثـلَ مـنـشـارٍ غـلـيـظ الـحَـرْفـيـن

● **العنكبوت**

قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[1]، وذلك أجناس:

جنس رديء ينسج على وجه الأرض فيجعله خارجاً، وأطرافه داخلة. فإذا انتهى إليها ما يأكلها تناولها.

وجنس حاذق يسدي بيته ويلحمه فإذا وقع عليه ذباب تثبت، فإذا وهن نقله إلى خزانته فمصّ رطوبته ثم رمى ما تشعث منه من بيته وإنما تنسج الأنثى وأما الذكر فإنه ينقض وولدها أكيس من الفروج ساعة يولد.

وجنس يصيد الذباب صيد الفهد يقال له الليث له ست عيون. **قال الجاحظ**: لا ينبغي أن يكون في الدنيا أصيد من فهد الذباب لأنه لا يطير ويصيد ما يطير ويصيد ما يصيد، لأن الذباب يصيد البعوض، وخديعتك الخداع أعجب. وجنس طويل الأرجل إذا مشت على جلد الإنسان بثر[2]

● **الورل**

لا يتخذ البيوت إبقاءً على برثنه، ويعلم أنه سلاحه الذي به يقوى. وله ذنب يؤكل ويستطاب، ويقتل الضبّ ويشدخ رأس الحيّة ثم يبتلعها لا يضرّه سمّها. وهو كثير التوقف والتلبث إذا مشى.

---

(١) القرآن الكريم: العنكبوت/ ٤١.
(٢) بثر: جمع بثرة وهي الخرّاج الصغير.

وتزعم المجوس أن أهرمن[1] لما قسّم الشرور والسموم كان أخذ من الجرذ شراً فحضر وقد قسم الشر فتداخلها الحسرة فتراها متى اشتدت تتذكر ما فاتها لتباطئها فتقوم وتتحسّر.

● **الخُنفُساء**

موصوفة بالصبر. وربما غرز على ظهرها شوكة فتجول كأنها عقرت. وربّما تكون في العلف فيأكلها البعير فمتى وصلت إلى جوفه حيّة قتلته. وهي موصوفة باللجاج، **قال**:

أشدّ لجاجَاً من الخُنفُساء

● **أمّ حبين**

دويبة أصغر من الحِرْباء كدرة المسراة، بيضاء البطن. **وقيل لأعرابي** ما تأكلون؟ **قال**: ما دبّ ودرج إلا أم حبين، **فقال**: لتهن أم حبين العافية.

● **الظِرْبان**

على خِلْقةِ الكلْب الصينيّ أخبث دابة مساءة لا يقوم لفسوها شيء. وتأتي جحر الضبّ فتفسو فيه وتضيق عليه حتى تدار به فيأخذه ويأكله ويسمى مفرق النعم لأنها إذا فست فيها ابدت تأذياً بفسوها **وقيل**: فسا بينهم الظربان إذا تفرّقوا.

● **الوجرة**

دويبة كالغطاءة حمراء تلزق بالأرض **وقيل** وجر صدره إذا التزق بالعداوة التزاق تلك بالأرض، وهذا كما يقال للحقود ضبّ.

● **العضرفوط**

دويبة لا خير فيها تذكر العرب أنها لا تبول ألا تشعر بذنبها تلقاء القبلة والحيّات تأكله.

● **الجُعَل**

يموت من ريح الورد ويعيش بالرّوث.

قال المتنبّي:

كما تضرّ رياحُ الورد بالجُعَل

وتحرس القوم. فكلما قام قائم منهم لحاجته تبعه وهو يدحرج الجعر.

قال يهجو:

حتّى إذا أضحى تدري فاكتحل ... بجارتيه ثم ولّى فنبل

رزق الأنوقين قرينا والجعل

---

(١) **أهرمن**: مبدأ الشر عند الفرس الأقدمين، ونقيضه أرمُزد وهو مبدأ الخير.

وله جناحان لا يكادان يُريان إلا إذا طار

● **النمْل**

يدّخر في الصيف للشتاء، ويخرج باللّيل متى خاف بالنهار. وعادته أن ينقر القطمير[١] من الحبّة ويفلقها أنصافاً. فإذا كان حبّ الكزبرة فلقه أرباعاً، لأن أنصافه تنبت من بين الحبوب ولها حسّ وشم عجيب. وينقل أضعاف جسمه مائة مرّة، ومتى عجز عن حمل شيء ذهب إلى صواحبه فيتبعنه، ويكلّم بعضها بعضاً، بدلالة قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾[٢] قال:

لو أنني أوتيتُ علْم الحكل ... علْم سليمان كلامَ النمل[٣]

والنمل تأكل الأرضة، ومتى رأى بالجرادة والخنفساء عقراً تعرض لهما فأكلهما. وإذا لم يكن لهما عقر لم يأكلهما.

وحكى عن بعض المهندسين أنه أخرج طوقاً محمى من صفر فرمى به فاشتمل على ذرة فلم يمكنها أن تتخلص من جانبه لما لقيها من وهج النار فعادت إلى وسط الدائرة فوجدها قد ماتت في موضع رجل البرحكار، وربّما طار.

وقيل: إذا أراد الله بنملة شراً أنبت لها جناحين وفيه:

فما ذو جناح له حافرٌ ... وليس يضرّ ولا ينفَعُ

وعنى بحافره قوائمه وبهما يحفر.

● **الحيّة**

موصوفة بالقوّة. وكل ممسوح لا رجل له ولا يد فقويّ البدن. ويُقطع ذنبُها ولا تموت طويل الذماء. وقيل: لا تموت حتف أنفها. وهي أصبر شيء على الجوع مع شرهها وسرعة ابتلاعها. فإذا تنسّمت اكتفت به وربما تأتي البقرة فتشتمل على فخذها فتلتقم خلفها فلا تستطيع البقرة إن تترمرم فلا تزال تمصه حتى تمتلىء فيعرض حينئذ في ضرعها داء أو تموت. وتسلخ كل عام مرتين وربّما يبقى في عنقها ما نفض من جلدها:

لها ربقَة في عنقِها من قميصِها ... وسائرُه عنْ متنِها قد تقدّدا

وليس لرأسها عظم ولذلك يسرع إليها الهلاك إذا هشم. وفيها ذات شعور وقرون. وثلاثة لا تنفع معها الرقية: الثعبان والهنديّة والأفعى.

والشجاع ما تقوم على ذنبها وثواثب وقيل: في رمال بلعم حيّة تصيد الطائر فإذا

---

(١) القطمير: القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة. يقال: ما أصبت قطميراً، أي ما أصبت شيئاً.

(٢) القرآن الكريم: النمل/١٨.

(٣) الحكل: ما يسمع له صوت، يقال تكلّم كلام الحكل أبي كلاماً لا يفهم.

انتصف النهار واشتد الحر انغرست كأنها خشبة فتجيء الطير تحسبها عوداً فتركبها فتبلعها. **وقيل**: كانت الحيّة في صورة جمل فمسخها الله تعالى عقوبة لها حين طاوعت إبليس وشقّ لسانها وإنما تخرج لسانها إذا خافت لترى عقوبة الله.

وقال النبي ﷺ: فيها ما سالمناهن منذ حاربناهنّ ومن ترك شيئاً منها فليس منّا.

وقال الإمام علي: اقتلوا الجان وذا الطفيتين، والكلب الأسود البهيم **وقالت عائشة**: من نقتل حية فخاف آثارها فعليه لعنة الله، خلف:

وحـنـش كـأنّـه رشَـاء ... ذنـبُـه ورأسُـه سـواء
يـهـرب مـن طـلـعـتـه الـرّقـاء ... لـهـا إذا أبـصـرتـهـا اسـتـحـذاء
قـد لـوّحـتـه الـشـمـسُ والـهـواء ... فـسـمـتـه سـيّـان والـقـضـاء

قال أسدي في وصفه:

ولـو عـضّ حـرّ فـي صـفـاة إذاً ... لا نـشـبَ أظـفـارَه فـي الـصـفـا

وقال عنترة:

لـعـلّـك تـمـنّـى مـن أراقـمِ أرضِـنـا ... بـأرقـم يـتـقـي الـسـمّ مـن كـل مـنـطّـف
تـراهُ بـأجـوازِ الـهَـشـيـم كـأنّـمـا ... عـلـى بـرزده أخـلاف بـرد مـفـوّف(١)
كـأنّ بـضـاحـي جـلـده وسـراتِـه ... ومـجـمـعِ لـيّـتـيـه تـهـاويـلَ زخـرف
إذا نـسـل الـحـيـات بـالـصّـيـف لـم تـزل ... يـشـاغـرنـا فـي جـلـدة لـم تـعـرف

● العقربُ

لا تسبح ولا تتحرك في الماء، جارياً كان أو راكداً. وحتفُها في ولدها إذ حان وقت ولاده بقر بطنها فتموت، وفيه:

وحـامـلـة لا يُـكـمِـلُ الـدهـر حـمْـلَـهـا ... تموتُ ويبقَى حمـلُـهـا حينَ تُعْطَبُ

والقاتلةُ بموضعين **شهرزور** وقرى **الأهواز**. وهي التي يقال لها الجرارة.

والعقارب يلسع بعضها بعضاً فتموت وربما ضربت الطشت فتخرقه وتبقى إبرتها فيه وتلسع الأفعى فتقتلها.

وقيل: إذا لسعت من لسعت أمه عقرب وهي حامل تموت العقرب ولا تضره. وتقصد العقرب بالليل الأصوات، ولا تضرب المغشيّ عليه ولا النائم حتّى يتحرك وشرّ ما تضرّ الملدوغ إذا كان خارجاً من الحمام لسخونة بدنه وتفتح مسامه.

---

(١) **الهشيم**: النبات أو العشب اليابس ـ **البرد**: الثوب المخطّط ـ **المفوّف**: الثوب الرقيق، أو الثوب الذي فيه خطوط يبقى على الطول.

• البَعوض

وأجناسُه البقّ والجرجس والشذان والفراش والأذى. وللبعوض خرطوم ولكنه يخرجه ويطويه.

وقال بعضهم رأيت البعوضة تغمس خرطومها في جلد الجاموس كما يغمس الرجل إصبعه في الثريد. وكان يطير عن ظهره فيسقط الغصن فيقيء ما في جوفه، ثم يعود.

وأنشد في مجلس يونس قول جرير:

يصرّ عن ذا اللب حتّى لا حراك به ... وهنّ أضعفُ خلْق الله أركانا

قال: ما أراه يصف إلا البراغيث والبعوض.

قال الهذلي في صوتها:

كأنّ وغى الخموشِ بجانبيْه ... مآتيمُ يلتدِمنَ على قتيلِ[1]

وقال الكميت:

به حاضرٌ من غيْر جنّ يروعُه ... ولا حاضراه ذو أثاثٍ وذو رحلِ

وقال الراجز:

مثل السفار دائمُ طنينها ... ركّب في خرطومها سكينها

وقال أبو جروة في صفة قارص:

تبيتُ جارتُه الأفعى وسامره ... رمدٌ به عاذر منهنّ كالجرَبِ

يعني بالرمد البعوض والعاذر الأثر وقال:

وليلة لم أدرِ ما كرَاها ... أمارسُ البعوضَ في دُجاها

كلّ زجولٍ خفَق حشَاها ... لا يطرب السامع مِن غِناها

وقال:

إذا تغنينَ غناءَ الزطّ ... وهن مني بمكان القرْط

فثق بوقع مثلِ وقع الشرط

• البَراغيثُ

تستحيل بقاً كما أن الدعموص يستحيل فراشاً قال:

ليلُ البراغيث عنّاني وأنصبني ... لا باركَ الله في ليل البراغيثِ[2]

كأنهنّ وجلْدي إذ خلوْن به ... أيتامُ سوء أغاروا في مواريث

---

(١) **يلتدمن:** يضطربن.

(٢) **أنصبني:** أتعبني كثيراً.

وقال:

ألا يـا عـبـادَ الله مـنْ لـقـبـيـلـة ... إذا ظهرتْ في الأرض شد مغيرها
فلا الـديـن ينهاها ولا هـي تنتهي ... ولا ذو سلاح من معد يضيرها

وقال أبو الشمقمق:

يـا طـولَ يَـوْمـي وطـولَ لـيـلـتِـه ... فـلـيـهـن بـرغـوثـه بـجـذلـتِـه
قـد عـقـدت بـنـدهـا عـلـى جـسـدي ... واجـتـهـدت فـي اقـتـسـامِ جـمـلـتِـه

وقال:

ألا ربَّ بـرغـوث تـركْـتُ مـجـدّلاً ... بأبيض ماضي الشفرتَيْن صقيلِ

يعني أظفاره.

وصف أعرابي البراغيث فقال: ما آذى صغارها وأطفر كبارها وأخفى انطمارها وأقبح آثارها.

وحضر أعرابي حلقة يونس فأنشد رجل لأبي الحسين بن أبي البغل:

إذاع ما عـرَانـي شار بـالـدّمى انـثـنـى ... وغـنّـى غـنـاء الـشـاربِ الـمـتـرنـمِ
يـديـنُ بـأديـانِ الـمـجـوس كـأنّـمـا ... يـقـولُ لـه أصـحـابُـه أشـرَب وزمـزمِ

وكتب ابن ثوابة إلى ابن مكرم نحن نبعض فهل تبعضون؟ فكتب إليه نحن نبعض ونبرغث ونبقق.

● القمْلُ

القمل يعتري من العرق والوسخ من الثوب والشعر. وقيل: يعتري من أكل التين ويكون في رأس الأسود الرأس أسود، وفي أخضب الشعر بالحمرة أخضب. وفي الأخصف خصيفاً، وفي الأبيض.

وقيل: هكذا كحرّة بني سليم كلّ ما فيها من حيوان أسود بلاد الترك كل ما فيها على ألوان بلادهم ومن زيبق ذهب قمله ويزيله لبس الحرير فأذن لهما. ويكثر القمل في الدجاج والحمام إذا لم يغسلا وكذلك في القرد وتراه أبداً يتقمّل ويضع قمله في فيه.

● القُراد

يخلق من عرقَ البعير ووسخهِ كالقمل من الإنسان. والقراد إذا كان صغيراً قمقامة ثم يكون حنانة ثم قراداً ثم حلمة. ويقال له: القل والطلح والعقير والبرام والقرشان.

وقيل: أسجع من قراد وألزق منه وأذل وأفطن من حلمة ويقال فلان يقرد فلاناً أي يحتال عليه، وأصله أن يؤخذ قراد البعير ليسكن ثم يجعل الخطام في عنقه.

● **السّمك**

الأجناس المائية موصوفة بالخمول وليس فيها خصلة من الفطنة، إلا ما يحكى عن صيد الجرذان ودابة تحمل الغريق حتى تؤدّيه إلى الساحل.

والتبوظ ضرب من السمك ينتهي إلى الشبكة فلا يستطيع النفوذ: منها فيعلم أنه لا ينجيه إلا الوثوب، فيجمع جراميزه قيد رمح فيثب ويغوص في الطين أيام الجزر.

والسمك قيل يكون له اللسان والدماغ في الماء العذب لا الملح البحتري في بركة:

يقمْنَ فيها بأوساط مجنّحة كالطيرِ ينقَضّ من جوّ خوافيها[1]

● **السرطان**

له ثمان أرجل ويستعين مع ذلك بأسنانه فكأنه يمشي على عشر وعيناه في ظهره وينسلخ من جلده في السنة سبع مرات، ويتخذ جحراً له بأبان أحدهما يشرع إلى الماء والثاني إلى اليبس. ومتى انسلخ سد الباب الذي في الماء لئلا تدخل عليه الحيّة فتأكله وترك الباب الذي يلي اليبس لتصيبه الريح فيعصب لحمه.

● **السلحفاة**

تكون بريّة وبحريّة وتصيد الحيات وتبيض في الشطّ، وفيها يقول محمد بن عبد الملك:

وسلحفاةٍ سمح سكونُها والحركَه
شبّهتها بذيميّ ساقطٍ في المعركَه
مستتر بترسِهِ عمّن عسى أن يهلكَه

● **الضّفدَع**

يتعيش في الماء ويبيض في الشطّ، ولا عظم له، وقد يتخلق من الأرض إذا أصابها المطر، تراه غبّ المطر إذا كان ديمة في الضحاضح[2] حيث لا بحر ولا نهر ولا بئر، حتى يزعم ناس أنها كانت في الحساب. وقيل: إن المخ في خراسان يكبس في الأزاج ويحال بينه وبين الريح والهواء والشمس فمتى انخرق في تلك الخزانة خرق فدخله الريح استحال الريح كلّه ضفادع.

ولا ينق الضفدع في الماء إلا إذا أدخل فيه حنكه الأسفل ومتى أبصر إنساناً أو القمر أو الفجر أمسك عن النقيق وتولع الحيات بأكله.

---

(١) **ينقضّ**: الانقضاض هو الاندفاع من أعلى الجوّ وفي رواية: ينغضّ أي يتحرك.

(٢) **الضحاضح**: الضحضاح الماء اليسير أو القريب القعر.

قال الشاعر:

ضفادعُ في ظلماءِ ليلٍ تجاوبَت فدلّ عليها صوتُها حيّةَ البحر

وقيل في الخرافيات إن الضفدع كان ذا ذنب فسُلبه لما راهن على الصبر عن الماء. وفي قرآن مسيلمة لعنه الله: يا ضفدع كم تنقّين نصفُك في الماء ونصفُك في الطين. لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين. ونهى النبي ﷺ عن قتله.

قال الخوارزمي:

أرّقني والديكُ لم ينطِقِ صوتُ غريقٍ نصفُه لم يغرَقِ
وجاحظ العيْن ولما يخنِقِ بلحظِ مخنوقٍ ولفظِ أشرقِ

وفيه:

كعقد الناكحِ حين ينزلُ

- **التمساح**

لا يكون إلا في نيل مصر، ويأكل الإنسان. **وقيل:** إن بطنه كقباء[1] مفروج وكل شيء يأكل بالمضغ دون الإبتلاع فإنه يحرك فكّه الأسفل إلا التمساح فإنه يحرك الأعلى.

- **التنّين**

ينكره أكثر الناس إلا بعض الشاميين يزعم أنه إعصار فيه نار يخرج من بخار الأرض فلا يمرّ على شيء إلا أحرقه.

(٧)

وممّا جاء في أحوال الحيوانات وطبائعها

•

- **المتزاوجة من الحيوانات**

ليس التزاوج إلا في ذي رجلين دون ذوات الأربع، وذلك في الإنسان والحمام وأجناسها. وأما الدجاج والحجل فإنها تمكن كل ذكر من نفسها

- **البائِضَة والوالِدَة**

كل ما لا أذن ظاهرة لجنسه فإنه يبيض وماله أذن ظاهرة فإنه يلد ولا يبيض. وما يبيض على **ثلاثة أضرب:** هوائي ومائي وأرضي. **فالطائر منها ما يبيض** في السقوف والأجذاع كالخطاطيف، **ومنها ما يبيض** على شعف الجبال، حيث لا يوصل إليه كالرخم

---

(١) **القباء:** ثوب يلبس فوق الثياب.

والمائية منها ما يبيض في الأرض ويحضن كالبق **والضفدع والسلحفاة والسراطين** تبيض في بيوت لها في شطوط الأنهار لها بابان والأرضيّ كالحيّة والضب.

- **ما يكثرُ نسلُه وما يقلّ**

السمك يكثر منسلها ويأكل بعضها بعضاً. وكذلك **الضبّ** يخرج سبعين حسلاً ولولا أن بعضها يأكل بعضاً لصارت الصحاري ضباباً. **والخنزيرة** تضع عشرين خوصاً لكن يموت أكثرها لعجزها عن تربيتها. ويخرج من جوف العقرب عقارب كثيرة.

قال صاحب المنطق: نسل الأسد يقل جداً لأنه يجرح الرحم فتعقم[1]، والجوارح من الطيور يقلّ فراخها والبغاث[2] يكثر.

قال:

بغاثُ الطير أكثرُها فراخاً ... وأمّ الصقر مقلاةٌ نزُور[3]

وأقلّ الخلق عدداً وذرأ **الكركدن**. فأما الطيور فما تزق وتحضن **كالحمام** لم يكن لها أكثر من فرخين ما تلقم فزاد الله في عدد فراخه، **والعقارب والضباب والسمك** وكل مالا تحضن ولا تزق ولا تلقم كثير أولادها جداً.

- **ما يكسبُ وقتَ ما يولد**

الفروج والعنكبوت والفأر والجري والنحل

- **ما يكونُ من غير تناسل**

البعوض والبق والبرغوث لا يكون من توالد تخلق من عفن المياه، **وقيل**: الكمأة قد تتعفن فتتولد منها الأفعى.

- **ما تناسلَ من الأجناس المختلفة**

أما البغل فمعروف والذئب والضبع يتسافدان وولدهما السمع، والذئب، والكلبة وولدهما الديسم.

وقال صاحب المنطق: تتوالد السلوقية من الثعلب، والثعلب يسفد الهرة الوحشية.

وحكي عن صاحب الطيور أنا رأينا كثيراً منها يتسافد، ورؤي أشياء عجيبة من أولادها. وادّعى جهلة أن **الزرافة** تنتج من بين الإبل الوحشية، **والبقرة الوحشية** لما رأوا اسمه بالفارسية اشتركاً وبلنك، أي بعير وبقر ونمر، **وقالوا في الجاموس** إنه بقر وضأن، ولم يقولوا في النعامة هذا، وإن سمي اشتر مرك. وادّعوا تسافد الجن والأنس واستدلوا

---

(١) **تعقم**: تصاب بالعقم فلا تلد.

(٢) **البغاث**: أصغر من الرخم، وهو بطيء الطيران.

(٣) **النزور**: كلّ شيء يقلّ.

على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[1] وقالوا الواقواق من نتاج بعض الحيوانات وبعض النبات

● القوةُ على الجِماع

الإنسان يغلب جميع الحيوانات في السفاد لأن ذلك دائم منه في جميع الأزمنة وعلى جميع الأحوال. والإبطاء في الفراغ للجمل والورل والذبان والعناكب والضفادع والخنازير.

وأما الكلاب والذئاب فتلتحم وكذلك الذبان **وقال النوشجان**: أقبلت من خراسان، في بعض طرق أجبالها فرأيت أثر ست أرجل أكثر من ميلين فسألت **فقيل لي** أن الخنزير في زمن الهياج يركب ذكره الأنثى. وهي ترتع وتمرّ فهذا أثرهما وكثرة عدد الجماع من العصافير. وكل جنس يحبل إلا البغل فإنه وإن أحبل لم ينم وقفط[2] تيس بني حمار مشهور.

● المتسافِد ذكورُه

الخنازير والحمار والحمام كل ذلك، للذكر الذكر، وللأنثى الأنثى

● ما يتغايرُ

يتغاير الخنزير والحمل والفرس إلا أنها لا تتزاوج وحمار الوحش يغار ويحمي أناثه الدهر كله، وأجناس الحمام تتزاوج ولا تتغاير والقرد يتزاوج ويتغاير.

● أشرافُ الحيوَانات

قيل: أشرف السباع ثلاثة: الأسد والببر والنمر. **وأشرف البهائم ثلاثة**: الكركدن والفيل والجاموس وأشرف **المركوبات**: الخيل والإبل. **وأشرف الطير** العقاب.

وقيل: الرياسة في الهواء للعقاب، وفي الماء للتمساح وفي الغياض للأسد.

وقيل: الطير هوائي والسمك مائي يعني أكثر استقرارهما في هذين الموضعين.

ومن الحيوان ما لا يصلح أمره إلا بالرئيس كالنحل والغرانيق والكراكي، وأما الإبل والحمير والبقر فالرياسة لفحل الهجمة ولعير العانة[3] ولثور الربرب[4] **وقيل**: لكل شيء سادة حتّى النمل.

● ما يتعادى من الحيوانات

قيل: أشد العداوة عداوة الجوهر وما يتعادى على ضربين: ضرب يعادي جنس

---

(١) **القرآن الكريم**: الإسراء/ ٦٤.

(٢) **القفط**: يكون لذوات الظلف وهو شدّة لحاق الذكر للأنثى، من قفطها أي سفدها.

(٣) **العانة**: القطيع من حمر الوحش. (٤) **الربرب**: القطيع من بقر الوحش.

جنسه. وذلك نوعان: أحدهما كل نظير صاحب كالأسد والفيل فإنهما يتقاتلان وكل قد يقتل الآخر. **والفرس المائي** يقتل التمساح ويتغالبان. **والحيّة وسام أبرص** يتقاتلان والأسد والنمر والأسد والجاموس.

ومنها ما لا يضرّ الآخر ولا يقوى الآخر عليه كالسنور مع الجرذ، والذئب مع الشاة، والدجاج مع ابن آوى، والحمام والشاهين والشاة أشد فرقاً من الذئب منها من الأسد.

والدجاج يخاف ابن آوى أكثر ما يخاف الثعلب والحمام أشد فرقاً من الشاهين منه للبازي والصقر.

- **القويّ المتفادي من الضعيف**

الجاموسُ يخشى البعوض خوفاً شديداً، ينغمس في الماء والفيل يهرب من الهرّة.

وقيل: إنما يهرب من الأسد إذا ظنّه سنوراً عظيماً. والحية إذا أصابها خدش تسلّط عليها الذرّ[1] فيهلكها. واللبوة إذا وضعت قصد الذرّ شبلها فيأكله، **ولذلك قال المتنبّي**:

يذبّ أبو الشبل الخميسَ عن ابنه ويسلمه عند الولادة للنمل[2]

- **ما تقوى أناثها**

كلّ صنف من الحيوان ذكورها أجرأ وأقوى إلا الفهد والذئب واللبوة.

- **الأكلة للناس من السباع**

الأسد والنمر والببر[3] **وقيل** لا يعرض ذلك للناس إلا بعد الهرم والعجز عن الصيد. **والذئب** أشد الناس مطالبة فإن عجز عوي مستغيثاً بالذئاب.

- **الآكل بعضها بعضاً**

السمك يأكل بعضه بعضاً أكلاً ذريعاً **والذئب** متى رأس ذئباً أدمى أكله لا محالة:

قلْتُ وكنْتُ كذئب السوءِ لما رأى دَماً بصاحبِهِ يوماً أحالَ على الدمَ

والجِرذ إذا خصي أكلها أصحابها.

- **الصابرة عن الطعام**

الحيّة وسام أبرص والعضاة والتمساح تسكن في أعشتها الأربعة الأشهر الشديدة البرد، فلا تطعم شيئاً وسائر الحيوانات تسكن بطن الأرض كذلك كل همج لا تبرز في الشتاء إلا النمل والذرّ والنحل فإنها تدّخر ما يكفيها.

- **المدّخرة**

الإنسان والنملة والذّرة والجرذ والفار والعنكبوت والنّحل.

---

(١) **الذرّ**: النّمل. (٢) **الخميس**: الجيش. (٣) **الببر**: نوع من السباع الهنديّة.

● إختلافُ الحيوانِ في الأكل

الحيوان على ثلاثة أضرب: المشتركة كالإنسان والعصفور والغراب والسمك تأكل الحيوانات والنبات. والآكلة للحم في غالب الأمر كالحمام. ثم تختلف فمنها ما يأكل جنساً واحداً كالنحل تأكل العسيل والعنكبوت يعيش من مصّ الذباب.

● إختلافُ مشيها

من الحيوان ما لا يسيح بالمشي، فالضبع عرجاء تخمع، والذئب أقزل أشنج النسا كأنه يتوخّى إذا مشى، والأسد إذا مشى ينخلع كأنه رهيص. والسنور والفهد في طريق الأسد. والغراب يحجل كأنه مقيد. والجراد يمشي ويطير والعصفور يثب ويجمع رجليه معاً. وكذلك القنبر والحمُر وما أشبهها والقطاة مليحة المشي مقاربة الخطو وبه شبه مشي المرأة قال:

فـدفـعـتُـهـا فـتـدافـعَـت مـشـيَ الـقـطـاة إلـى الـغَـديـر[1]

والذباب يمشي مشياً سبطاً، والبرغوث يمشي ويثب وسمي طامر بن طامر لوثوبه. وكلّ ذي أربع وذي إثنين إذا تكسر إحدى رجليه تحامل على الأخرى إلا النعامة قال:

وإنّـي وإيّـاه كـرِجْـلَـي نـعـامـة

● الطويلةُ العمر.

ممّا يوصف بطول العمر الحيّة، فإنه يقال لا تموت حتف أنفها، ويقطع ثلث جسمها فتعيش، إن سلمت من الذرّ. والدخال يقطع بنصفين فيمران في الطريقين. والضبّ طويل الذماء مع هشم[2] الرأس والطعن الخائف الذي لا يحتمله غيره.

ويقال اللهم واقية كواقية الكلاب وذلك لسلامتها من الآفات والكبش تقطع إليتيه فيعيش.

● ما يحدّ بصره

الفرس والهدهد والعقاب والنسر. وأما السنّور والفأر والجرذ والسباع فإنّها تبصر بالليل كما تبصر بالنهار والخفاش يبصر فيما بين الضوء والظلمة لكثرة شعاعها في بصرها. وأما ما يبصر بالليل فالأسد والسنور والنمر والأفعى.

● ما يصدُق سمعهُ

قيل: أسمع من قراد لأنه يسمَع تحرّك البعير فيقصده وإن كان قد أتى عليه سنون. والفرس والقنفذ والدلدل.

---

(١) هذا البيت من قصيدة للمنخّل الجاهلي، قالها في المتجرّدة امرأة النعمان.

(٢) هشم الرأس: كسره.

● **الموصوفُ باللجاج**

الخنفُساء والذّباب لا ينطرد وإن طرد، والدودةُ الحمراء ترومُ الصعود إلى السقف كلمّا سقطت عادَت.

● **الحاذِقُ بالبِناء**

الزنبورُ يعمَل بيوتنا مدوّرة كأنّها من كاغد[1] مزردة[2] والسُّرفة[3] تبني بيتاً حسناً وقيل أصنع من سرفة وكذلك التبوظ[4]

● **الحاذِقُ بالنسج.**

العنكبوتُ ودودُ القزّ تخرج القز من جوفها.

● **ما يَحيض**

الكلبُ والأرنب والضبع والخُفاش، **وقيل**: ذوات الأربع كلها تحيض.

● **الموصوفُ بالحمق**

الرخمة والحباري وأنثى الذئاب، وتسمى **الجهيزة**، **لأنها** تتكفّل ولد الضبع وتترك ذا بطنها. **قال**:

كمرضعةٍ أولادَ أخرى وضيعَت ... بني بطنِها هذا الضّلال عنْد القصْدِ

والضبعة والنعجة والعنز، وكذلك الطاووس والقدرج مع حسنها والزرافة.

● **الموصوفُ بالجُبْن**

العقعق والغراب والعصفور والصقر والصفرد.

● **ما يصدقُ شمّه**

الذئب صادق الإسترواح، **ولذلك قيل**:

يستخبرُ الريحَ إذا لَمْ يسمع ... بمثْل مقراعِ الصّفا الموقعِ[5]

وجلّ **الوحشيات** على ذلك **والنعامة** صادقة الشمّ. وأعجب من ذلك **الذرّة** نحو أن يشمّ رجل جرادة يابسة فيتهافت عليها. **والفرس** يتشمّم رائحة الحجر من مسيرة ميل ومن ذلك **السنّور والكلب** ويبلغ من صدق شمه أنه يقصد الحجرة فيشمّها فتعرف الكلاب بتشممه وجار الضبع فتقصده.

---

(١) **الكاغد**: القرطاس (واللفظة فارسية).

(٢) **المزرّدة**: ذات العقد المتداخلة مثل زرود الدرع.

(٣) **التبوظ**: من باظ يبيظ ويبوظ إذا قرّ ماء الرجل في الرّحم.

(٤) **السّرفة**: دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتاً من دقاق العيدان.

(٥) **الصفا**: الصخرة.

● **ما يَنسَلِخ**

كل ذي جسد محرز فإنها تسلخ **كالحية** والسرطان كل طائر لجناحيه غلاف **كالجعل** والدبر والسلخ للطير تحسرها، وللحوافر **عقائقها**، وللإبل طرح **أوبارها** وللجراد **جلودها** وللأيائل **قرونها** وللأشجار **ورقها وللاسروع** أن يصير فراشاً وللبعوض أن يصير **دعموصاً**.

● **ما يتناسَل**

قيل: إن البعوض يصير دعموصاً، والبعوض يستحيل برغوثاً، والأسروع فراشاً والذباب والزنابير أول ما يتولد يكون دوداً، ثم يتطور.

وقيل: العقاب والحدأة يتبدلان فيصير الذكر أنثى وهذا غريب. **وقيل**: ليس ذلك بأغرب من الشجرة التي تثمر البلوط سنة، والعفص سنة. **وقيل**: الضبع سنة أنثى وسنة ذكر ولم تذكر العرب ذلك.

● **ما يكونُ وحشياً وغيره.**

الفيل والسنانير والحمير والظباء. **فالظباء** تسمّى عفراً، **والتيوس** الوحشيّة نعاجاً وهي بالمعز أشبه. وليس بينها وبين الظباء تسافد. **والخنزير** وحشيّ وغير وحشي، وهو ذو ظلف ولا مشابهة بينه وبين ذوات الأظلاف بغير ذلك.

وليس في الإبل وحشيّ إلا **وحوش الإبل** فيما يزعمون.

ومما يكون أهلياً ولا يكون وحشياً الكلب وأما الضبع والذئب والأسد والنمر والببر.

فلا تكون إلا وحشيّة وكذلك الثعلب وابن آوى.

وقد يعلم الأسد فينزع نابه ويطول في الناس لبثه ومع ذلك **يتشزن**(١) ولا تؤمن **عرامته**(٢) وخبر من ربي الذئب ثم أكل شاته قد ذكر، وحكي أن بعضهم ضرى أسداً فاصطاد به، وذئباً فصاد به الظبي، وزنبوراً فاصطاد به الذباب.

ومن الوحشيات ما إذا صار مع الناس يترك السفاد، ومنها ما يترك الطعام كالصالحية.

● **ما يعايشُ النّاس**

الكلب والسنّور والفرس والبعير والحمار والبغل والغنم والبقر ونحو ذلك ومن الطيور الدجاج والحمام والخطاف والزرزور والخفاش والعصفور، وليس فيها **أطول عمراً** من البغل ولا **أقصر عمراً** من العصفور. وعلل ذلك بقلّة السفاد وكثرته.

● **ما يتكفّل بوُلد غيره**

الذئب وتقدّم، والنعام تحضن بيض غيرها وحمل على ذلك **قول الشاعر**:

---

(١) **تشزن**: اشتد وغلظ.

(٢) **العرامة**: من عرم عَرَامة: مرح وكان شرساً، فسد.

كـتـاركـةٍ بـيـضَـهـا بـالـعَـراء   ومـلـبـسـةٍ بـيَـض أخـرى جـنـاحـاً

والدجاجة تحضن بيض الحمام وبالعكس. وكاسر العظام يتعهد فرخ العقاب، وذلك أنها تفرخ ثلاثاً فتعجز من شرهها عن تربية ما فوق الاثنين.

● **الكاسيةُ بالليل**

البوم والصدى والهامة والصونع والخفاش وغراب الليل. والبومة تدخل على كل طائر في بيته بالليل تأكل فراخه. والبعوض قد يؤذي بالنهار.

● **ما يحضنُ البيضَ وما لا يَحْضن**

الطيورُ تحضنُ، والضبّ لا يحضن بل يغطيها بالتراب وينتظر أيام انصداعها، ثم ينبش عنها التراب.

● **ما يتعين مكانُه وما لا يتعين**

الخلد والفأرة والنمل والنحل والضبّ لها مساكن معلومة تأويها. وأما أكثر الطيور فلا تتخذ بيتاً ترجع إليه، بل ذكورها سيّارة وإناثها يقمن إلى تمام خروج الفراخ من البيض وتذهب.

وأكثر الطيور قواطع كالخطاف والزرزور والغراب والحدأة وأما السمك فكذلك. منها ما يجيء من أقصى البحار كأنه تتحمض بحلاوة الماء وعذوبته.

● **ما ادعي فيه المسخ**

إختلف الناس في المسخ. فأكثر الدهريّة يجحدون ذلك، وأقروا بالخسف والطوفان. وجعلوا الخسف كالزلزلة. **وقال بعضهم**: لا ينكر أن يفسد الهواء في ناحية فتتغير تربتهم فيعمل ذلك في طباعهم على الأيام، كما عمل في الزنج والصقالبة فتصير القوة من جنس أرضهم ألا ترى أن جراد البقول وديدانها خضر والقمل في رأس الشباب أسود، وفي المخضوب أحمر.

ولم ير أهل الكتاب أقروا بالمسخ غير أنهم أجمعوا على أن الله تعالى جعل امرأة لوط حجراً. وأجازاً أكثر المسلمين ذلك. فقال بعضٌ: إن الممسوخ لا يتناسل ولا يبقى إلا بقدر ما يصير موعظة وعبرة. وبعض أجاز تناسله حتى جعلوا الضبّ والكلاب من أولاد تلك الأمم.

وقالوا في الوزغ إن أباها لما نفخ في نار إبراهيم وفي نار بيت المقدس أصمّه الله تعالى وأبرصه فكل سام أبرص من ولده حتى صار في قتله أجر عظيم.

وعن عروة أن النبي ﷺ قال للوزغ الفويسق والحيّة كانت صورة إبل فلما أعانت إبليس مُسخت.

وقالت العرب: إن الله تعالى مسخ عطارد تشبيها بهذا. **وقال الجاحظ** قلت لعبيد الكلابي وكان مشغولاً بالإبل أبينكم وبين الإبل قرابة؟ **قال**: نعم، خؤلة فقلت: مسخك الله بعيراً، **فقال**: إن الله لا يمسخ أنساناً على صورة كريم بل لئيم. وقيل كانت الفأرة يهودية طحّانة والأرضة يهودية والضبّ يهودياً، ولا يضيفون شيئاً من ذلك إلى النصرانية.

● ما ادّعي تكليفه

زعم بعض الناس أنّ الأشياء كلّها مكلّفة وأنها أمم تجري مجرى الناس، وتأوّل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾[2] الآية وقال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾[3] والطير. واتبعوا ظاهر الآيات.

والعقرب والحية والغراب والوزغ[4] والكلب عاصيات معاقبات.

وقالوا: لم يكن من خشاش[5] الأرض إلا كان يطفىء النّار عن إبراهيم عليه السلام، إلا الوزّغ فإنها كانت تنفخها.

● المنسوب إلى مكان من البهائم

ذئب الخمر وأرنب الخلة[6] وتيس الرمل وضبّ السحاب، وهو نبت يحسن حاله به، وقنفذ برقة[7] وشيطان الخماطة[8]، وغول القفر، وجان العشرة. وكان لهذه الأشياء اختصاص بهذه الأمكنة وقوة. وذلك غير ممتنع.

وكان يقال من دخل تبّت كان مسروراً من غير سبب، ما دام بها. ومن أقام بالموصل حولاً ثم تفقد عقله وجده ناقصاً.

وقيل حمّى خيبر[9] وطحال البحرين ودمامل الجزيرة وجرب الزنج.

● جملة من اختلاف الخلق.

كل حيوان أصل لسانه إلى داخل إلا الفيل. وكل سمك في العذب بلسان ودماغ وكل ذي عين من ذوات الأربع، فالأشفار لجفنها الأعلى، إلا الإنسان فللأعلى والأسفل.

---

(١) **القرآن الكريم**: الأنعام/ ٣٨.
(٢) **القرآن الكريم**: الأحزاب/ ٧٢.
(٣) **القرآن الكريم**: سبأ/ ١٠.
(٤) **الوزغ**: ضرب من الزحافات والوزغ الرعشة، الارتعاد، الجبان.
(٥) **حشاش الأرض**: ما يبس من النبات.
(٦) **الخلة**: ما فيه حلاوة من النبات.
(٧) **برقة**: الأرض الغليظة ذات الحجارة.
(٨) **الخماطة**: كلّ شجر لا شوك فيه.
(٩) **خيبر**: واحة على الطريق بين المدينة ودمشق.

وكل حيوان ذي صدر فصدره ضيق إلا الإنسان والفيل والبقر. وللجواميس أربعة أخلاف[1] في بطونها، وللشاة خلفان، وللناقة أربعة، وللسنّور والكلب ثمانية أطباء[2] والخنزيرة كثيرة الأطباء. وللفهد أربعة وللظبية إثنان.

واللحية تكون للرجل والديك والتيس. والجمل له القنون[3] والكوسة[4] من السمك في بطنه شحم طيّب إن اصطادوه ليلاً وإلا فلا.

● **أحوال جماعة من الحيوانات**

قيل: الضفدع إذا أبصر النار تحيّر ولم ينق. والخنفساء والجعل إذا دفنا في الورد ماتا وفي العذرة يحييان.

قال المتنبّي:

كـمـا تـضـرّ ريـاحُ الـوردِ بـالـجُـعَـل

وإذا دخلت **الخنفساء** في إست الحمار غشي عليه ولا يفيق حتى تخرج. **والزنبور** إذا غرق في الزيت مات ويحيا بالخلّ. **والذباب** إذا غرق في الماء مات وإذا دفنته بعد في التراب حيي.

والأسد إذا رأى قربة منفوخة انهزم، واللبوة تضع ولدها حين تضعه شبلاً ميتاً فيأتيه أبوه في الثالث فينفخ في منخرية فينبعث، وتضع **الذئبة** ولدها لحماً لا صورة له ثم تلحسه حتى تستوي صورته.

من لدغته **العقرب** فأدخل في إسته قطعة جليد برأ وقيل بل هذا لمن لدغه **الزنبور**. والمرأة إذا لدغت فجومعت برئت.

زبد الجمل الهائج يذهب العقل. إذا مدت على باب البيت **شعرة من ذنب فرس** عتيق لم يدخله البعوض ما دامت الشعرة ممدودة. **الحمار** إذا أكل خرء الثعلب مات، **والفأرة** إذا أكلت المرداسنج ماتت، وإذا حفي **الكلب** فدهن إسته ذهب حفاه. **والثور** إذا دهن إسته لم يحف.

والقنفذ لا ينام **والفهد** لا يسهر **والغداف** إذا أخرج فرخه هرب منه لأنه يخرج أبيض فيجتمع عليه البعوض لزهومة رائحته فيبتلع منها ما يقيمه. إذا رأت الحية إنساناً عرياناً تهرب منه النمل لا يتوالد من تزاوج لكنه يلقى في الأرض شيئاً يسيراً فيصير بيضاً ثم يتصور.

---

(١) **أخلاف**: جمع خلف وهو حلمة الضرع. (٢) **الأطباء**: جمع طبي وهي حلمة الضرع.

(٣) **القنون**: جمع قنة وهو الجبل الصغير.

(٤) **الكوسة**: من كاس يكوس على رأسه انقلب، والكوسة هنا للسمك في مقابل القفة للجمل.

(٨)

وممّا جاء في الصيد والذبائح

●

● ما يجوزُ أكلهُ من الصيدِ وما لا يجوزُ

قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾[١] وقال عدي بن حاتم: سألت رسول الله ﷺ فقلت: أنا قوم نصيد بهذه الكلاب، **فقال**: إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه، فكل ما أمسك عليك وإن قتل، إلا أن يأكل الكلب فإن أكل الكلب فلا تأكل. فإني أخاف أن يكون مما أمسك على نفسه.

وقال عدي: يا رسول الله أرمي الصيد فلا أجده إلا بعد ثلاثة. **قال**: إذا رأيت أثر سهمك فيه تعلم أنه قتله، فكل. وفي حديث آخر: ما تجد أثر سبع. وفي حديث آخر وما تأخر عنك للغد فلا تأكله فإنك لا تدري أرميتك قتلته. وفي رواية كُلْ ما أصميت[٢] ودع ما أنميت. **وقال جابر**: نهي عن صيد كلب المجوسي.

● جوازُ أكلِ ما صيدَ بالقوس.

قال أبو ثعلبة: **قال** رسول الله ﷺ كُلْ ما ردّت إليك قوسك. وفي آخر ذكياً أو غير ذكي. **وروى عدي بن حاتم عنه** ﷺ: ما أصاب بحدّه فكل وما أصاب بعرضه فلا تأكل. وفي آخر: إن أتيته وقد سبقك بنفسه فكل، وإلا فلا تأكل حتّى تذكى.

● ما ذبحَ بغير سكين

قال عدي: قلت يا رسول الله إني أرسل كلبي فيأخذ الصيد فلا أجد ما أذبحه به إلا المروة والعصا، **فقال**: أجر الدم بمائئت وأذكر اسم الله عليه. **وقال** ﷺ: إذا أنهرت الدم فكل، وفي حديث ما خلا السنّ والعظم.

● النهي عن المثلةِ بالحيوان والحثّ على تحسين الذّبح.

قال النبي ﷺ: لعن الله من يمثل[٣] بالحيوان. ونهى أن تصبّر البهيمة وأن يؤكل لحمها إذا ضرب، **وقال** ﷺ: لا تتخذوا الروح غرضاً: **وقال**: إن الله كتب الإحسان في كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليد[٤] أحدكم شفرته وليرح ذبيحته.

---

(١) **القرآن الكريم**: المائدة/ ٥. (٢) **أصميت**: أصمى: رمى الصيد فقتله.

(٣) **مثل بالحيوان**: نكلّ به، عذّبه.

(٤) **ودَى يدي الشيءُ**: سال، وقيل الوادي لأن الماء يدي فيه أي يسيل ويجري.

● **من تجوزُ منه الذكاه**

قال أبو العشر الدارمي عن أبيه: قال: قلت: يا رسول الله أما تكون الذكاة إلا في اللبة والحلق؟ **قال:** بلى لو طعنت في حلقها لأجزأ عنك. وسئل ﷺ عن ذبيحة النصارى لكنائسهم وأعيادهم، **فقال:** إن لم تأكلوها فإني آكلها فأطعموني. **وقال ابن عباس:** نهى النبي ﷺ عن ذبيحة نصارى العرب وذبيحة الغلام. وروى جابر عنه ﷺ أنه سئل عن ذبيحة المرأة والصبيّ، **فقال:** إذا ذكر اسم الله عليه فلا بأس. وكانت العرب تقول ما ذكر اسم الله عليه فلا تأكلوه. وما ذبحتم لغير الله فكلوه فأنزل الله تعالى: ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه، وإنه لفسق.

الحد الخامس والعشرون

في فنون مختلفة

•

(١)
كلماتٌ من الحِكَم في أبوابٍ مختلفة

•

أجمعوا على أن الظَفَر مأسور بالصَبْر، والقُدْرة مقرونة بالحِيلة، والإدراكُ موصول بالتأني.

كتب كسرى إلى قيصر أخبرني بأربعة أشياء ما أخالها إلا عندك ما عدو الشدة وصديق الظفر ومدرك الأمل ومحتاج الفقر وفي كتاب جاودان ثلاثة لا يصدّقون: صبر الجاهل على المصيبة، وعاقل أبغض من أحسن إليه. وحماة أحبّت كنتها

وثلاث لا يستصلح فسادهن: العداوة بين الأقارب، وتحاسد الأكفاء، والركاكة في الملوك.

وثلاث لا يفسد صلاحهنّ: العبادة في العلماء، والقناعة في المستبصرين، والسخاء في ذوي الأخطار.

وثلاث لا يشبع منهن: العافية والحياة والمال.

وقيل: إذا رأيت الفيل يمشي على الشرف فأطلبه في البئر. وقيل: ستة لا تخطئهم الكآبة: فقير قريب العهد بالغني، ومكثر يخاف على ماله، وطالب مرتبة فوق قدره، والحسود والحقود وخليط أهل الأدب وهو غير أديب.

وقالت الهند: ثلاث يسرعن إلى العقل الفساد: طول الكفاية، والتعظيم الدائم وإهماء النفس.

وقيل أربعة تضيع: سراج في نهار، ومطر في سبخة[1]، وطعام عند غير ذي شهرة وزفاف بكر إلى عنين.

---

(١) السبخة: الأرض ذات النز والملح.

وقال مسلم بن قتيبة: لا يجب الصبي أن يكون سخياً فإنه لا يعرف فضل السخاء، وإنما يعطي ما في يده ضعفاً.

وقال الأصمعي المهلكات أربع: الكبر والحسد والبخل والحرص.

وقال معاوية ثلاثة ما اجتمعن في حرّ: مباهتة الرجال وغيبتهم، وملال أهل المودة.

وقيل: إنما يحسن الاختيار لغيره من يحسنه لنفسه. **وقال صالح بن عبد القدوس:** ما شيء إلا وفيه منفعة، **فقال** بعض من حضره: لو علق رجل بإحدى يديه أي منفعة فيه؟ **قال:** لا يعرق إبطه.

النية أساس الأعمال والأعمال، ثمار النيّات.

وقالت الترك: حفظ مرتبة خير من خفض مرتبة.

وقال أبو الأسود الدؤلي: إذا كنت في قوم فحدّثهم بقدر سنك، وخاطبهم بلفظ محلك، ولا ترتفع عن الواجب فتستقل، ولا تنحط فتحتقر.

أربعة لا تكتم: العقل والحمق والغنى والفقر، **قيل:** سمّي الجار لتجيره والصديق لتصدقه، والرفيق لترفق به.

قيل: ما استقصى حرّ قط. قال الله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾[1]. فلم يعاتب النبي ﷺ حفصة على ما كان منها. **قال الأقطع** رفيق الصناديقي: وقعت إلى بلدة قاصية من خراسان فسألوني هل تعرف شيئاً من شعر الصاحب **فأنشدتهم:**

بـوذّي لـو يـهـوى الـعـذولُ ويـعـشَـقُ[2]

فقال فضولي: هذا للبحتري، **فقلت:** لقد قال ذلك رجل بنيسابور فضرب ثلاثمائة سوط. فسكت عمّي أبو الحسن الصوفي على الرئيس أبي الفضل:

أنـــا إنْ لـــم أكُ أهـــوا ك فــرأســي فــي حِــرِ أمــي[3]

توقيع للصاحب:

وإذا أردتـم أن تـسـروا عـامـراً فـتـعـمّـدوا بـصـنـيـعـكـم أصـهـارهـا

قال القاضي أبو الحسن: استعار رجل من الخلاد شعره **فقال:** يا بني نحن أكلنا شعر الطائي والبحتري ومن يجري مجراهما. وهؤلاء أكلوا شعر النابغة حتى خرؤا مثل هذا الشعر. وأنت إذا أكلت شعري فأي شيء تخرأ؟

قال حكيم الحياء: يمنع من عمل السيئات، والحمية تمنع من عمل الحسنات.

قال أبو عبد الرحمن خالد بن الأصم لأبي العتاهية: أي خلق الله أصغر؟ **قال:** الدنيا

---

(١) القرآن الكريم: التحريم/ ٣.
(٢) العذول: اللائم.
(٣) الحِر: بتخفيف الراء الفرج.

لأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة. **قال**: بلى أصغر منها من عظمها. **ثلاث يخبلن العقل**: الخصومة الدائمة، والدين الفادح والمرأة السليطة[1].

وقال أبو يوسف: تعلّموا كل علم إلا النجوم، فإنه يكثر الشؤم، والكيمياء فإنه يورث الإفلاس، والجدال في الدين فإنه يورث الزندقة.

من هانت عليه نفسه فلا تأمنن شرّه. **قال حكيم**: من الذي بلغ جسماً فلم يبطر واتبع الهوى فلم يعطب، وجاور النساء فلم يفتتن بهنّ، وطلب إلى اللئام فلم يهن، وواصل الأشرار فلم يندم، وصحب السلطان فدامت سلامته؟

قيل: جماع خير الدنيا والآخرة في **ثلاث**: أجر وشكر وذكر. فالأجر ثواب الله الذي لا يكون أجمع منه نفعاً وأدوم ولا أكرم منزلة، والذكر فوق منزلة الشكر، ودون منزلة الأجر لأن الأجر أشد اشتمالاً على جميع الخلق.

● حِكاية

يقال إن المنصور أشخص[2] رجلاً من الكوفة سعى به أن عنده أموالاً لبني أمية فلما مثل[3] بين يدي المنصور، **قال**: أيها الرجل أخرج لنا من ودائع بني أمية التي عندك؟ **فقال**: أورائهم أنت يا أمير المؤمنين أم وصيّهم؟ **قال**: لا. **قال**: فلم أدفع أموالهم إليك؟ **قال**: إن بني أمية خانوا المسلمين وأنا القائم بأمرهم. **قال**: عليك بيّنة أن هذا المال من تلك الخيانات، فقد كان للقوم أموال من وجوه شتّى فإن ثبتَ على حكم خرجت منه.

فأطرق ساعة ثم قال: يا ربيع خلّ الرجل. **فقال الرجل**: ما عندي مال ولكن رأيت الاحتجاج أقرب إلى الخلاص فإن رأى أمير المؤمنين أن يحضر خصمي فلعله يفلجني بالحجة، فإن في مالي سعة فبعث المنصور إلى الساعي فأحضره **فقال**: يا أمير المؤمنين إن هذا الساعي عبد لي أبق[4] وقد سرق لي مالاً فهدّده فاعترف.

● العجب

العجب ما عدم فيه العادة. ولذلك قيل الدهر **أبو العجب** لإتيانه بما لم تجر عادة بمشاهدته. **وقيل**: للنظام أي شيء أعجب؟ **قال**: الروح **وقيل لأبي عصل فقال**: السمّ. **وقيل**: لسلم الخلال. **فقال**: النار. **وقيل لأبي شمر فقال**: الذكر والنسيان. **وقيل لبطليموس فقال**: تدبير الفلك.

قال ابن الرومي:

وعـجـيـب الـزمـانِ غـيـرُ عـجـيـبِ

---

(١) **المرأة السليطة**: الطويلة اللسان.
(٢) **أشخص رجلاً**: بعث به.
(٣) **مثل بين يديه**: حضر.
(٤) **العبد الأبق**: الخارج عن الطاعة.

قال الطائي:

إلا إنّـهـا الأيـامُ قـد صـرْن كـلـهـا عـجائبَ حتّى ليسَ فيها عجائبُ

وذكر أن أفلاطون سأل جماعته عن العجب. فقال: كل ما حضره حتى انتهى إلى بقراط فقال: العجب ما لا يعرف سببه.

قال الخبزارزي:

عـجـبـتُ وأعـجـبُ مـنّـي امـرؤٌ رأى مـا رأيـتُ ولـم يـعـجَـب

وقال بعضهم: لو سرقت الكعبة ما بقيت الأعجوبة أكثر من أسبوع.

(٢)
ذكرُ خصالٍ معدودة

● **خصلة محمودة**

قال أنوشروان: وعنده جماعة ليتكلم كل واحد بكلمة نافعة. فقال الموبذ: الصمت المصيب أبلغ حكمة.

وقال مهنود: تحصن الاسرار أنفع رأي. وقال مهادر: لا شيء أنفع للرجل من المعرفة بقدر ما عنده من الفضل وحسن الاجتهاد في طلب ما هو مستحق له.

وقال موسى: الاحتراز من كل أحد أحزم رأي وقال بزرجمهر: لا يروح المرء على نفسه بمثل الرضا بالقضاء. فقال أنوشروان: كل قد قال فأحسن ولا خلاص لأحد إلا التثبت للإختيار والاعتقاد للخيرة.

● **خِصلتان**

قال ﷺ: منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا. وقال بعضهم: شيئان لا يستطيع الرجل فراقهما ظلّه وعقله. إثنان يهون عليهما كل شيء: العالم الذي يعلم العواقب، والجاهل الذي لا يدري ما هو فيه. شيئان ينبغي للعاقل أن يحذرهما الزمان والأشرار. شيئان يديران الناس القضاء والرجاء.

فسد جلّ الأمور ومن خصلتين إذاعة الأسرار وائتمان أهل الغدر.

خلّتان في الجاهل سرعة الإجابة وكثرة الالتفات. اثنان يستحقان البعد: من لا يؤمن بالمعاد ومن لا يستطيع غضّ بصره وكفّ جوارحه[1] من المحارم.

● **ثلاثُ خصال**

ثلاثةٌ تضر بأربابها: الإفراط في الأكل اتكالاً على الصحة، والتفريط في

---

(١) الجوارح: جمع جارحة هي العضو الجسم والحاسّة من الحواس.

العمل اتكالاً على القدر، وتكلف ما لا يطاق اتكالاً على القوة.

ثلاثة من لم تكن فيه لم يجد طعم الإيمان: حلم يردّ به جهل الجاهل، وورع يحجزه[1] عن المحارم، وخلق يداري به الناس.

ثلاثة من كنّ فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وما إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الظلم، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

ثلاثة هنّ للكافر مثلهن للمسلم: من استشارك فأنصحه، ومن ائتمنك على أمانة فأدّها إليه، ومن كان بينك وبينه رحم فصِلها.

وقال إبليس: إذا ظفرت من ابن آدم بثلاثة لم أطالبه بغيرها: إذا أعجب بنفسه واستكثر عمله وتمنى على بليّة.

ثلاثة لا يمنّ بها أحد فيسلم: صحبة السلطان، وإفشاء السرّ إلى النساء وشرب السم للتجربة.

ثلاثة تزيد في الانس بين الإخوان: الزيارة في الرجال والحديث على المائدة ومعرفة الأهل والحشم.

● أربعُ خِصال

قال ﷺ أربع من الشقاء: جمود العين، وقساوة القلب، والإصرار على الذنب، والحرص على الدنيا.

وقال أمير المؤمنين: من استطاع أن يمنع نفسه أربع خصال فهو خليق بأن لا ينزل به من المكروه ما ينزل بغيره: اللجاجة والعجلة والعجب والتواني. فثمرة اللجاجة الحيرة، وثمرة العجلة الندامة، وثمرة العجب البغضة، وثمرة التواني الذلّة.

كليلة أربع خصال من حسن النظر: الرضا بالزوجة الصالحة، وغضّ البصر، والإقدام على الأمر بمشاورة، وكظم الغيظ[2]

أربع خصال إذا أفرط فيهن المرء استهوته: النساء والصيد والقمار والخمر.

أربع خصال يُمتِنّ القلب: الذنب على الذنب، وملاحاة الأحمق، وكثرة مصاقبة النساء والجلوس مع الموتى. **قيل:** ومن الموتى؟ **قال:** كل عبد مترف وكل من لا يعلم فهو ميت.

أربعة تجرىء على الذنوب: الحرص والتواني والرغبة في الدنيا والاستخفاف بالذنوب.

أربع القليل منها كثير: الوجع والنار والدين والعداوة.

---

(١) حجزه عن المحارم: منعة من اقترافها.

(٢) كظم الغيظ: كبحه.

أربعة يختبرون عند اللقاء: الشجاع، والأمين بالأخذ والإعطاء، والأهل والولد عند الفاقة، والإخوان عند النوائب.

● **خمسُ خصال**

أمير المؤمنين **خمس خصال يذهبن ضياعاً:** سراج في الشمس، ومطر في سبخة، وامرأة حسناء زفت إلى عنين[1]، وطعام اجتهد صاحبه فيه فقدم إلى شبعان أو إلى سكران. ومعروف صنعته إلى من لا يشكرك عليه.

قال أزدشير[2]: أوصيكم بخمسة فيهن راحة أبدانكم ودوام سروركم وصلاح أموركم:

الرضا بالقسم **والقمع[3]** لفاحش الحرص **والتنزه** من الحسد **والتعزي** عند مضنون به أدبر ومرجوّ فات **وترك السعي** فيما لا يوافق نجحه وتمامه. فإن من لم يرض بما قسم له طالت معتبته. ومن فحش حرصه ذلّت نفسه ومن أتى إلى المنافسة والحسد لمن فوقه لم يزل مغموماً ومن أطال أساه على ما أدبر عنه لم يزل مهموماً فيما لا منفعة فيه. ومن شغل نفسه بتمني الأشياء لم يخل قلبه من الأحزان وحمل على نفسه عبأ ثقيلاً ليس للراحة فيه غاية. ومن سعى فيما لا تمام له كانت عاقبته الحسرة والندامة.

قال ابن المقفع: المشتطون[4] في خمسة متندمون: المفرط إذا فاته العمل، **والمنقطع** عن إخوانه إذا نابته النوائب، **والمستمكن** من عدوه ثم يفوته لسوء تدبيره، **والمفارق** للزوجة الصالحة إذا ابتلي بالطالحة، **والجريء** على الذنوب إذا حضره الموت.

خمسة أقبح شيء فيمن كن فيه: الفسق في الشيخ، **والحدّة** في السلطان **والكذب** في ذي الحسب، **والبخل** في ذي الغنى، **والحرص** في العالم.

خمسة المال أحب إليهم من أنفسهم: المقاتل بالأجرة، **وحفار** القنى والآبار، **والتاجر** في البحر، **والرقاء[5]** يتعرّض للسع الحية للطمع، **والمخاطر** على شرب السم.

● **ستُّ خِصال**

قال معاوية: ستة أشياء تعرف في الجاهل:

الغضب من غير شيء، **والكلام** من غير نفع، **والعطية** في غير موضعها، **وإفشاء** السر، **والثقة** بكل أحد، **وقلّة** معرفة الصديق من البدو.

---

(١) **العنين**: الذي لا يأتي النساء ولا يريدهنّ.

(٢) **أزدشير**: من ملوك الفرس.

(٣) **القمع**: مصدر قمع يقمع (فلاناً): قهره وذلّله وصرفه عمّا يريد.

(٤) **المشتطون**: جمع مشتط، وهو الذي يفرط أو يتباعد من الحقّ والصواب، ويجاوز الحدود، واشتط أيضاً ظلم أو غالى في الثمن.

(٥) **الرقّاء**: الماهر في استعمال الرُّقية أو الرُّقية وهي أن يستعان للحصول على أمر بقوى تفوق قوى الطبيعة.

ستة من مات منها فهو قاتل نفسه: من أكل طعاماً قد أكله مراراً فلم يوافقه، ومن أكل فوق ما تطيقه معدته، ومن أكل قبل أن يستمرىء[1] ما قد أكل، ومن رأى بعض أخلاط جسده قد همّ بهيجان ورأى دلائل ذلك فلم يستدركها بالأدوية الممكنة، ومن أطال حبس الحاجة إذا هاجت به، ومن أقام بالمكان الموحش وحده.

ستة أشياء لا ثبات لها: ظلّ الغمامة، وخلة الأشرار، وعشق النساء الثناء الكاذب، والمال الكثير، والسلطان الجائر.

لا يوجد العجول محموداً، ولا الغضوب مسروراً، ولا الحرّ حريصاً، ولا الكريم حسوداً، ولا ذو الشره غنياً، ولا الملول ذا إخوان.

لا خير في القول إلا مع الفعل، ولا في المنظر إلا مع المخبر، ولا في المال إلا مع الجود، ولا في الصدق إلا مع الوفاء، ولا في العفة إلا مع الورع، ولا في الحياة إلا مع الصحة والأمن والسرور.

لا فقر كالحرص، ولا بلاء كالشره، ولا غنى كالقناعة، ولا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق.

قال ابن المقفع: العجب آفة العمل، واللجاجة قعود الهوى، والحمية سيف الجهل، والبخل لقاح الحرص، والمراء لقاح الشنآن[2]، والمنافسة أخو العداوة.

● سبعُ خِصال

المرأة بزوجها، والولد بوالده، والمتأدب بمؤدبه، والجند بقائده، والناسك بالدين، والعامة بالملوك، والملوك بالتقوى، والعقل بالتثبّت.

سبعة يهزأ منهم: مدّعي الشجاعة، وشدّة النكاية في الأعداء وبدنه سليم لا أثر فيه، ومنتحل الزهد والاجتهاد وهو غليظ الرقبة، والمرأة الخليّة تعيب ذات زوج، والعالم يناظر الجاهل ويماريه، والمفضي بسرّه من لا يجرّب، والمودع ماله من لم يختبره، والمحكّم بينه وبين خصمه من لا يعرفه.

سبعة يكثرون السخط: الملك المترف، والشيخ القلق، والسفيه، والأديب العديم الحلم، والباذل نصيحته للأخرق، والمكلف العمل بغير رفق.

● ثمان خصال

ثمانية أن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم: الجالس على مائدة لم يدع إليها، والمتأمر على ربّ البيت، وطالب النصر من أعدائه، وطالب الفضل من اللئام، والداخل بين إثنين

---

(١) استمرأ يستمرىء (الطعامَ): استطيبه أو وجده مريئاً أي طيّباً.
(٢) الشنآن: البغضاء.

من غير أن يُدخلاه، والمستخفّ بالسلطان، والجالس مجلساً ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لم يسمع منه.

الأدب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين، والتوفيق خير قائد، والاجتهاد أربح بضاعة، ولا مال أعود من العقل، ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا ظهير[1] أوثق من المشورة، ولا وحدة أوحش من العجب.

● **تسع خصال**

تسعة لا يتامون: مدنف[2] لا طبيب له، والكثير المال يخاف على ماله، والهامّ بدم يسفكه، ومتمنّي الشر للناس العامل في غشهم، والمحارب يخاف البيات، والغارم لا مال عنده، والعاشق لا ينال بغيته، والمطلع على السوء من أهله، والمغصوب ماله.

● **عشر خصال**

عشرة يمتحنون عند أعمالهم: المقاتل عند الحرب، والقِنَعُ عند الحاجة، وذو التؤدة عند الغضب، والتاجر عند المبايعة، والصديق عند الشدائد، والعالم عند العلم والناسك عند الصبر على العبادة، والجواد عند العطاء، والأمين عند الوديعة.

عشرة تقبح في عشرة أصناف: ضيق الذرع[3] في الملوك، والغدر في الأشراف، والكذب في القضاة، والخديعة في العلماء، والغضب في الإبرار، والحرص في الأغنياء، والسفه في الشيوخ والمرض في الأطباء، والتهزؤ في الفقراء، والفخر في القراء.

(٣)

حكايات دالة على رقاعة قائلها

●

زعموا أن الصخور كانت ليّنة وأن كلّ شيء يعرف وينطق وإن الأشجار والنخيل لم يكن عليها شوك. **قال**:

قــد كــانَ ذا كــم زمــنَ الــقــحــل   والــصــخــرُ مــبــتَــلّ كــطــيــن الــوَحْــل

وقيل: إن الشوك اعتراها في صبيحة اليوم الذي ظهرت فيه العتاة[4] رأى أحمق نوراً **فقال**: ما أحسنه من بغل، لولا أن حافره مشقوق.

قال حكيم لعليل: كل الثلج فقال وأرمي بثفله. **حكى ابن مرداس** عن بعض الثناة أن

---

(١) **الظهير**: القويّ الظهر، والظهير المعين. (٢) **المدنف**: المريض.

(٣) **ضيق الذرع**: أي غير مقتدر، ونقيضه سعة الذرع.

(٤) **العتاة**: جمع العاني وهو المستبد الجبّار.

مطراً أجرف سنبله، وبرقت برقة فقال: ما أحسن ما عملت أسرجت له حتى لا تفوته حبّة.

وكان كوشيد دخل بيته فنطع باب داره فغضب، وحلف لا يدعه في داره واتخذ باباً آخر إلى شارع آخر، فاجتمع أهل المحلة يسألونه أن يرضى عن بابه وتشفعوا عنده فرضي، وسألوه أن يعمل لهم دعوة لصلح الباب ففعل ودعاهم.

ودخل بعض الكبار الحمام فسرق ثوبه فقال له الحمّامي: لعلك جئت بلا ثوب.

وكان بأصبهان رجل يعرف بميمة بن بطل حمل لبداً إلى السوق ليبيعه، فسيم بثمن بخس، فقال: إذا كان كذلك أنا أحق به ودفع ثمنه إلى الدّلال وحمله إلى داره.

نظر حمصيّ إلى منارة فقال لصاحبه: ما أطول قامة الذين بنوا هذه، فقال يا أحمق إنما بنوها على الأرض ثم أقاموها.

أتى نصراني عبد الله بن الهيثم فقال: أريد أن أسلم على يديك فقال: يا ابن الزانية تريد أن توقع بيني وبين عيسى بن مريم.

نظر رجل في جبّ[1] فرأى شخصه فدعا أمه وقال: إن في البئر لصاً فنظرت فرأت شخصها فقالت: ومعه قحبة.

ماتت امرأة حائك بشيراز فحرق سراويله، فقال له في ذلك، فقال: المصيبة ما نالت إلا هذه الناحية.

وقيل لمزيد: موسى لطم عين ملك الموت فاعورّ، فقال: دعوه فإنّ طريق الأصلع على أصحاب القلانس.

قيل لأبي العبّاس بن الأصبهي لم لا تصلي؟ فقال: السورة القصيرة أستحي أن أقرأها، والطويلة لا أحفظها.

قال بعضهم: رأيت شيخاً بحمص الإمام يخطب، وهو يشكر الله تعالى. فسألته عن حاله فقال: صعد المنبر هذا تسعة كلهم زمروا بأيري أليس ذا نعمة؟. لما مات العطوي ازدحم الناس إلى جنازته وكان له ابن معتوه فتنحى جانباً، وقال: كلوه بسم الله بخلّ وخردل.

(٤)

حكايات عن البهائم

●

روي أن أرنباً وثعلباً تحاكما إلى الضبّ فقالا جئناك لتحكم بيننا يا أبا الحسل. قال: في بيته يؤتى الحكم. فقال الأرنب: إني جنيت ثمرة. فقال: حلواً جنيت. فقال: إن هذا

---

(١) الجبّ: البئر.

أخذها منّي. فقال لنفسه بغى الخير، فقال: وإني لطمته. فقال: البادىء أظلم. فقال: فلطمني. قال: كريم أنتظر فقال أحكم بيننا. فقال: حدث حديثين امرأة فإن لم تفهم فأربعا يعني وفي طريقته في الحكم.

وحكى أن عدي بن أرطاة بن إياس بن معاوية، قاضي البصرة جلس في مجلس حكمه وعدي أمير، وكان أعرابي الطبع. فقال له: يا هناة أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط. قال: فاسمع مني، قال: للاستماع جلست. قال: إني تزوجت امرأة قال: بالرفاء والبنين، فقال: وشرطت لأهلها أن لا أخرجها من بينهم، فقال الشرط أملك أوف لهم به. قال: وأنا أريد الخروج. قال: في حفظ الله. قال فاقض بيننا قال: قد فعلت.

وقيل: إن الثعلب نظر إلى عنقود فلم ينله فقال إنه حامض:

أيها العاتبُ سلمى أنتَ منها كثُعالَه
رامَ عنقُوداً فلمّا أبصرَا العنقودَ طالَه
قالَ في هذا حامض لمّا رأى أنْ لا ينالَه

روى أن ضبعاً صادت ثعلباً فقال لها: منّي عليّ أم عامر، قالت: اختر خصلتين إما أن آكلك أو أخصيك. فقال لها: تذكرين يوم نكحتك قالت: لا. فانفتح فوها فأفلت الثعلب فضربت العرب المثل: قالت: عرض علي خصلتي الضبع.

وزعموا أن الفيل والحمار تجمعا في مرعى فطرد الفيل الحمار، فقال: لم تطردني وبيننا رحم؟ قال: وما هي؟ قال: إن في غرمولي شبهاً من خرطومك، فقبل منه.

بلع ذئب عظماً وبذل لكركي أجرة على أن يخرج العظم من حلقه، فأدخل الكركي رأسه فأخرج العظم ثم قال للذئب: هات الأجرة فقال: أنت لم ترض أن أدخلت رأسك في فم الذئب ثم أخرجته سالماً حتى تطلب الأجرة أيضاً.

وقيل للحمار: لم لا تجتر؟ قال: أكره مضغ الباطل. وهذا كمثل الأعرابي لما أرمي إليه علك فقال: تعب الحنجرة وخيبة المعدة.

لقي كلب أصبهاني كلباً رازياً بالريّ فقال له: ما أطيب أصبهان إني أرى الخبّازين يرمون بالرغفان على قارعة الطريق. فقال الكلب الرازي: لا أعمل خيراً من الخروج إلى أصبهان. فلما خرج أوّل ما لقي دكان خبّاز من الطريق الذي يشرع[١] إليّ دولكاباذ فجاز[٢] بها، وأخذ الخباز يطرح الخبز على الوجه والكلب أخذ يأكل. فنظره الخبّاز فأحمى السفود[٣] ومدّه إلى خرطومه وتناول سبخة يرميه بها، فقال الكلب: عليّ هذا السعر.

---

(١) شرع إلى (الطريق): نفذ، وأشرع الباب إلى: فتحه.
(٢) جاز بها: مرّ بها وتجاوزها.
(٣) السفود: حديدة يشوى عليها اللحم.

تصاحب ثعلبان فلقيا أسداً فقال أحدهما للآخر: ما الحيلة؟ **فقال**: عليّ الحيلة. **فقال** الأسد: ما الخبر؟ **فقالا**: إنا ورثنا أغناماً من أبينا ونريد أن نقسمها بيننا. **قال**: أين هي؟ قالا: قريب. فتبعهما حتّى أتيا إلى مجرى ماء يخرج من بستان، **فقال أحدهما للآخر**: أدخل فأخرج الأغنام. فدخل فأبطأ **فقال أخوه**: أنظر إلى بطنه حتى أدخل أخرجه من الغنم. فدخل وجلس الأسد ينتظر فصعدا إلى السطح فقالا: اذهب فقد اصطلحنا. فغضب الأسد وزأر فقالا: لا تكن بارداً فما رأينا من يغضب من صلح الخصمين غيرك.

اشتكى الأسد فعاده السباع كلها إلا الثعلب. **فقال الذئب**: أنظر إلى الثعلب كيف استخف بك؟ فلم يأتك. وتطاير الخبر إلى الثعلب فأتاه، **فقال له الأسد**: يا ابن الفاعلة تأخرت عن الخدمة. **فقال**: إني مذ بلغني مرضك كنت في طلب دواء لك حتّى وجدته. **قال**: وما هو؟ **قال**: لا يصلح إلا مرارة الذئب **فقال** وأنّى لي بذلك؟ فقال أنا آتيك به، فإذا أتاك فاقتله وتنال مرارته. فأتاه به فقفز إليه الأسد فأفلت وعدا بدمه فتبعه الثعلب. **فقال**: يا صاحب السراويل الأحمر، إذا جلست عند الملوك فاعقل كيف تتكلم؟ وقيل للثعلب: أتحمل كتاباً إلى الكلب وتأخذ مائة دينار؟ **فقال**: أما الكراء[1] فواف، ولكن الخطر عظيم.

ووقع ثعلبان في شرك صياد **فقال**: أحدهما للآخر: أين نلتقي يا أخي؟ **فقال**: في الفرّايين بعد ثلاث.

ودخل كلب مسجداً فبال في المحراب، وكان هناك قرد، فقال له: أما تستحي تبول في المحراب؟ **فقال**: ما أحسن ما صوّرك حتى تتعصب له.

وزعموا أن أسداً وذئباً وثعلباً اشتركوا فيما يصيدون فاصطادوا حماراً وظبياً وأرنباً. **فقال**: الأسد للذئب: اقسم بيننا واعدل. **فقال**: أما الحمار فلك، وأما الظبي فلي، وأما الأرنب فللثعلب فغضب الأسد وضربه ضربة أندر[2] رأسه، فوضعه بين يديه. **ثم قال للثعلب**: أقسم بيننا وأعدل. فلما رأى الثعلب ما صنع بالذئب خشي أن يصيبه مثله، **فقال**: أما الحمار فلك تتغذى به، وأما الأرنب فخلالاً تتخلل به فيما بينك وبين الليل، وأما الظبي فلك تتعشى به. **فقال له الأسد**: ويحك يا ثعلب ما ينبغي لك إلا أن تكون قاضياً من علّمك هذا القضاء؟ **قال**: الرأس الذي بين يديك.

نظر سقراط إلى شوك في الماء وعليه حيّة، **فقال**: ما أشبه الملاح بالسفينة.

وزعموا أن البازي قال للديك: ما أرى في الأرض أقل وفاء منك **قال**: وكيف؟ **قال**: أخذك أهلك بيضة فحضنوك ثم خرجت على أيديهم وأطعموك في أكفهم، ونشأت بينهم حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طرت ههنا وههنا، وصحت وصوّت[3] وأخذت أنا من الجبال فعلّموني وألفوني ثم يخلّى عنّي فآخذ صيدي في الهواء فأجيء به إلى

---

(١) الكراء: الأجرة.

(٢) أندر رأسه: أزاله عن موضعه.

(٣) صوّت: رفع صوته عالياً.

صاحبي. **فقال له الديك**: إنك لو رأيت من البزاة في سفافيدهم مثل الذي رأيت أنا من الديوك كنت أنفر مني؟ وفي أمثال الهند أن ثعلباً قيض على أرنب فقال له الأرنب: والله ما هذا لقوتك ولكن لضعفي.

وقف جدي على سطح فمرّ به ذئب فأخذ الجدي يشتمه **فقال**: لست تشتمني إنما يشتمني المكان الذي تحصنت به.

كانت أفعى نائمة فوق حزمة شوك فحملها السيل، فقال ذئب لا تصلح هذه السفينة إلا لهذا الملاح.

أراد ثعلب أن يصعد على حائط فتعلق بعوسجة فعقرت يده فأخذ يلومها **فقالت**: يا هذا قد أخطأت حين تعلقت بي ومن عادتي أن أتعلق بكل شيء.

وقف كلب على قصّاب فأخذ يكثر النبح **فقال له**: إن ذهبت، وإلا ضربت رأسك بهذه القطعة من اللحم، وتشاغل عنه[1] فوقف الكلب ينتظر ثم **قال**: تضرب رأسي بشيء ولا أمر.

دخلت فأرة الحمام فلما خرجت رأت سنوراً فقال لها طاب حمامك **فقالت**: لو لم أرك يا ابن البظراء.

وقيل: إن جملاً وحماراً توحشا فوجدا مرعى خالياً يرتعان فيه، **فقال الحمار** يوماً وقد بطرا: إني أريد أن أغني. فقال الجمل: اتق الله فينا فإني أخشى أن ينذر بنا فنؤخذ، **قال**: لا بد ثم نهق فسمعته قافلة مارة فأخذوهما. فأبى الحمار أن يمشي فحمل على الجمل، فمرّوا به في عقبه. **فقال الجمل**: إني طربت لغناك المتقدّم وأريد أن أرقص رقصة. فقال الحمار اتق الله إني أسقط فلا تفعل فرقص فأسقط الحمار فوقصه[2]

قال وهب: قال النمر اللهم إن جلدي الذي خلق على أثر من تزين به بقدر أن يترك عليه.

بعث ابن هبيرة إلى المنصور في الحرب: بارزني فامتنع **فقال**: لأسبقن امتناعك ولأعيرنك[3] به. **فقال**: مثلنا في ذلك مثل خنزير **قال الأسد**: قاتلني، **فقال**: لست بكفوئي ومتى قتلتك لم يكن لي عزّ بقتل خنزير. فقال الخنزير لأخبرن السباع بنكولك[4] **فقال**: احتمال تعيرك أهون من التلطخ بدمك.

---

(١) **تشاغل منه**: غفل عنه.

(٢) **وقصه**: من وقص عنقه أي كسرها، **ووقصت به الدابة**: رمت به، **ووقص الشيء**: عابه.

(٣) **عيّره به**: عابه.

(٤) **النكول من الأمر أو الشيء**: النكوص والجبن.

(٥)
أمثال من أبواب مختلفة

●

● ما قرع عصا عصا إلا سرّ قوماً وساء آخرين ● نعم كلب في بؤس أهله. مصائب قوم عند قوم فوائد.

● قوس ولا وتر وسهم ولا قد، وعين ولا نظر ونحل ولا عسل.

● متى تقل تقل● الضبع تأكل ولا تدري ما قدر استها ● ما شم حمارك أي ما غيرك.

(٦)
من أمثال العوام

●

● عصفور مهزول على خوانك خير من كركي على خوان غيرك ● الحبّ لغيري ونقل الحشيش عليّ● لا تسبّ أمي اللئيمة فأسب أمك الكريمة ● إن لم يجيء معك فاذهب معه● تمرة وزنبور ● كل ما بكر شرّ ● لا تأكل خبزك على خوان غيرك ● أنا أجره إلى المحراب وهو يجرني إلى الخراب ● باع كرمه واشترى معصرة ● أعتق من الحمأة أقدم من الحنطة● أحمق من الجمل الذي يضرب إسته ويصيح رأسه ● إذا لم تجده لم تجلده ● طريق الأقرع على أصحاب القلانس ● حيث تقطع يخرج الدم ● ذهب الحمار يطلب قرنين فرجع بلا أذنين● كأنه بلع عيراً فبقي ذنبه خارجاً ● من لا يثق بإسته لا يشرب الإهليلج ● ضرطت فلطمت عين زوجها ● من يظفر من وتد إلى وتد يدخل أحدهما في إسته ● من أكل على مائدتين احتنف ● المنخل جديد سبعة أيام من كان له دهن دهن إسته● من لم يقاوم الحمار تعلق بالأكاف ● كل ما في القدر تخرجه المغرفة ● من كان دليله البوم كأن مأواه الخراب● من كان طبّاخه الجعران ما عسى أن تكون الألوان● الخصيّ ابن مائة سنة وإسته ابنة ستين ● إذا بطر الحائك اشترى بخبزه رماناً●قامت البنت تعلم الأم النيك● من استحى من ابنة عمه لم يولد له منها ● لا يشعر الشبعان ما يقاسيه الجائع ● ماش خير من لاش ● إذا كان بولك صحيحاً فأرم به وجه الطبيب ● البحر ملآن والكلب يلحس بلسانه ● من عبَد الله في خلق الله شيء لا يشبه صاحبه فهو سرقة ● ليس كل من سود بيته يقول أنا حداد ● ولا كل من دمعت عيناه يقول أنا طباخ● أحوج ما تكون إلى اليهودي يقول اليوم السبت● تذاكر عاميان الأطعمة، فقال أحدهما: السمك أحب إليّ من اللحم فقال الآخر شجّة[1] يشجّني القصاب خير من قبلة يقبلني السمّاك.

---

(١) الشجّة: الجرح في الرأس.

(٧)
ولهم أمثال بإزاء أمثال

●

يقولون المولى يرضى والعبد يشق إسته بإزاء السيد يعطي والعبد يألم ● لا يعرف مفساه من محساه، بإزاء لا يعرف قبيلاً من دبير. لا في حرها ولا في إستها، بإزاء لا في العير ولا في النفير(١) بالكلمة اللينة تخرج الحيّة من جحرها بإزاء لطف الكلام يخدع الكرام. هو يضرط من إست واسع، بإزاء هو يغرف من بحر. قدم خيرك ثم أبرك بإزاء قدّم خيراً تجده. الساجور(٢) خير من الكلب بإزاء الجل خير من الفرس. تبخرنا ففسونا فلا لنا ولا علينا بإزاء ما ربحنا ولا خسرنا.

● **ومما يضادّه**

لا تفعل الخير لا يصيبك الشر، بإزاء افعل الخير ودعه. لا يكون بعد الظمأ إلا موت مريح، بإزاء غمرات(٣) ثم ينجلين. النسيئة(٤) نسيان والتقاضي هذيان، بإزاء القرض فرض. الجماعة مجاعة بإزاء طعام الإثنين يكفي الأربعة. ويد الله مع الجماعة.

● **ما كره من الكلام**

قال النبي ﷺ: لا يقل أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل قست وكأنه كره أن ينسب الخبث إلى نفسه. **وقال أيضاً**: لا يقولنّ المملوك ربّي وربّتي ولكن سيدي وسيدتي. **وقال أيضاً**: لا تسبّوا الدهر فإن الله هو الدهر. **قال عبد الرحمن بن مهدي** عنى قولهم وما يهلكنا إلا الدهر.

ونهى ﷺ أن يقال قوس قزح، **وقال** قولوا قوس الله فإن قزح شيطان. كانوا ينسبون إليه هذا المتلون أيام الربيع عن ابن عمر ومجاهد أنهما كرها أن يقال استأثر الله بفلان بل يقال مات. وكرهوا أن يقول قراءة فلان وسنة أبي بكر وعمر، وكره مجاهد مسيجِد ومصيحِف.

وقال عمر رضي الله عنه: لا يقول أحدكم أهريق ماء ولكن ليقل أبول. وسأل عمر رجلاً شيئاً **فقال**: الله أعلم. فقال عمر قد خزينا إن كنا لا نعلم أن الله أعلم. إذا سئل أحدكم عن شيء إذا كان لا يعلمه **قال**: لا علم لي بذلك. وسمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقول اجعلني من الأقلين. **فقال**: عليك من الدعاء بما يعرف وكره عمر بن عبد العزيز قول الرجل: ضعه في إبطك. **فقال**: هلا قلت تحت يدك.

---

(١) **لا في العير ولا في النفير**: مثل يضرب للرجل لا يصلح لمهم ويُحتقر لقلّة نفعه.

(٢) **الساجور**: خشبة تعلّق في عنق الكلب يقال: جعل في أعناقهم سواجير أي أغلال.

(٣) **الغمرات**: الشدائد، جمع غمرة. (٤) **النسيئة**: التأخير والتأجيل.

قال الحجّاج لأم عبد الرحمن بن الأشعث عمدت إلى مال الله فجعلته تحت ذيلك، فقال الغلام فوضعته تحت إستك فزجره تفاديا من القذع[1] والرفق. وقال مسعود لا تسموا العنب كرماً فإن الكرم هو الرجل المسلم. سمع الحسن رجلاً يقول: طلع سهيل فبرد الليل، فقال: إن سهيلاً لم يأت ببرد. وقال ابن عباس لا تقولوا والذي خاتمه على فمي إنما يختم الله على فم الكافر، وكره أن يقال انصرفوا عن الصلاة وقال قولوا قد قضوا الصلاة. وكره مجاهد أن يقال دخل رمضان وقال: قولوا دخل شهر رمضان وكره أن يقال ضرّة بل يقال جارة، ويقول لا تذهب من رزقها بشيء.

(٨)
حكايات متفرقة من أبواب مختلفة

•

قال أعرابي لرجل: أكتب لابني تعويذاً قال: ما اسمه؟ قال: فلان قال وأمه قال ولم عدت عن اسمي قال لأن الأم لا يشكّ فيها. قال اكتب فإن كان ابني فعافاه الله وإن لم يكن فلا شفاه الله. من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره. قيل للحسن بن سهل ما بال كلام الأوائل حجة؟ قال: لأنه مر على الاسماع قبلنا فلو كان ذيلاً لما تأدّى[2] إلينا مستحسناً.

قال بعضهم: ما رأيت أعق[3] من أربعة أشياء: الدينار إذا كسر، والذراع إذا عقر والطومار[4] إذ نشر، والثوب إذا قصّ.

عاد عروة بن الزبير إلى الشام إسماعيل بن بشار فقال عروة لغلامه: أنظر كيف ترى المحمل؟ قال: معتدلاً فقال إسماعيل: الله أكبر ما أعدل الحق والباطل قبل الليلة، فضحك عروة. لما دخل الشعبي على عبد الملك قال: أنا الشعبي فتبسّم عبد الملك وقال أما علمت أنه لا يدخل علينا لا من نعرفه فرأى الأخطل وهو يقول أنا أشعر الناس فقال: من هذا؟ فقال: أما علمت أن الملوك لا يسألون فاعتذر وقال أنا سوقة ولا أعرف مثل هذا. ومن يوثق لي؟ فقال: أمير المؤمنين فقال عبد الملك: إذا صرت كفيلاً فمن الحاكم؟ كان تميم الداري خطب أسماء بنت أبي بكر في جاهليته فماكس[5] في المهر فلم يزوّج.

فلما جاء الإسلام جاء بعطر ليبيعه فساومته أسماء فماكسها فقالت له: طال ما ضرّك مكاسك فاستحى منها لما عرفها وسامحها في البيع.

كانت بنت سعيد بن العاص عند الوليد بن عبد الملك فلما مات عبد الملك لم تبكه

(١) القذع: القذر والفحش.

(٢) تأدّى إلينا: وصل إلينا، جاءنا.

(٣) الأعق: من العقوق وهو نقيض البِرّ، والعاق الجاحد الناكر الجميل.

(٤) الطومار: الصحيفة.

(٥) ماكس (ه): استنقصه واستحطّه في الثمن.

فقال لها الوليد: ما يمنعك من البكاء على أمير المؤمنين ولا مصيبة أجل من فقده **فقالت**: ما أقول أستزيد الله في سلطانه حتى يقتل لي أخاً آخر. **فقال**: أي والله لقد كسرنا ثناياه وقتلناه. **قالت**: لقد علمت من شقت إسته بالململول. **قال**: ألحقي بأهلك ألذ من الرفاء والبنين.

وقف يزيد بن عبد الملك على حائك وإلى جانبه فرس رائع مربوط فجعل يتعجب منه **فقال**: ما رأيت كاليوم فرساً كأنه بغلة فأعجب يزيد به، فقال وأريك ما هو أعجب وأخرج سيفاً كأنه بقلة فساومه يزيد فيه بأربعة آلاف دينار فأبى **وقال** أريك، أعجب من ذلك ثم رفع ستراً فبدت جارية كفلقة قمر، **فقال**: هل لك أن تنزل عنها بألف دينار فأبى **وقال**: ولمَ أريتنيها قال لتعلم أن الله له نعم على أقنا الناس.

وقال بعض الأنصار: من أدمن إتيان المساجد رأى فيها ثماني خصال: أخاً مستفاداً وعلماً مستظرفاً وآية محكمة، ورحمة منتظرة، وكلمة تدل على هدى، وأخرى تردّ عن ردى، وترك الذنوب حياء أو خشية.

شكا أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فردّه مع محمد بن سلمة الأنصاري وأمره أن يطوف في مساجدهم يسألهم عن سيرته فجعلوا يقولون: خيراً، حتى أتى مسجد بني عبس فقام أسامة بن زيد العبسي **فقال**: كنت والله لا تعدل في القضية ولا تعزو في السيرة، ولا تقسم بالسويّة **فقال**: اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره وأدم فقره ولا تنجيه من معاريض الفتن فرؤي شيخاً كبيراً يمشي على محجن[1] فيقول شيخ أعمى أدركته دعوة العبدالصالح.

دخل بعض الشعراء على أمير **فأنشده**:

إن الأمـيـرَ يـكـادُ مـن كـرمٍ ... أن لا يـكـونَ لأمّـه بـظَـر

فقال أعطوه شيئاً لئلا يهذي، وأحب أن لا يعود يمدحنا.

ودفع رجل إلى خياط ثوباً ليخيطه فقال لأخيطنه لا تدري أقباء أم قميص؟ فقال لأمدحنك ببيت لا تدري إهجاء أم مديح وكان الخياط أعور فقال فيه:

خـاط لـي عـمـرو قـبـا ... لـيـت عـيـنـيـه سـوا

ولما أنشد النابغة النعمان **قوله**:

تـخـفّ الأرض مـا بـنْـتَ عـنـهـا ... وتـبـقَـى مـا بـقـيـت بـهـا ثـقِـيـلا[2]

غضب وقال: لا أدري أهجوتني أم مدحتني؟ **فقال**:

حـلـلـت بـمـسـتـقـر الـعـزّ مـنْـهـا ... وتـمـنـع جـانـبَـيْـهـا أنْ تـزولا

---

(١) **المحجن**: العصا المنعطفة الرأس.
(٢) **بان عن**: بعد ونأى.

فرضي كل موضع اعتدت فيه السلامة فلا تزايله. وقال المأمون يوماً لمن عنده أنشدوني بيتاً يدل على أنه لملك فأنشد قول امرىء القيس:

أمِنْ أجلِ إعرابيةٍ حلّ أهلها … جنوب الملا عيناك تبتدران

فقال: ما هذا مما يدل على ملكه، قد يكون لسوقة إنما ذلك قول يزيد بن عبد الملك:

إسقِني من سلافِ ريقِ سُلَيْمى … واسقِ هذا النديمَ كأس عُقار[1]

فأشارته إلى هذا النديم دلالة على أنه ملك، وقوله:

ولي المَحْضُ من ودّهم … ويغمزهُم نائِلي[2]

سئل بعضهم عن بلد، فقال:

به البقّ والحمّى وأسد حففْته … وعمروُ بنُ هند يعتدي ويجورُ

(٩)
مفردات من الأبيات البديعة

●

قال طرفة:

أبا منذر أفنيتَ فاستبْقِ بعضَنا … حنانَيْك بعضُ الشرّ أهونُ من بعضِ[3]

وقال النابغة:

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمّه … على شَعَثٍ أيّ الرجالِ المهذّب[4]؟

وقال آخر:

لعمرُكَ ما شيءٌ مررتَ بذكرِه … كآخر يأتي بغتةً فيروعُ[5]

وقال آخر:

يمونني الأجر العظيم وليتني … نجوتُ كفافاً لا عليّ ولا ليا[6]

وقال أبو نواس:

ولما قرعنا بابَه قام خائفاً … وبادرَ نحوَ الباب ممتلئاً ذعرا

---

(١) السلاف: الخمر.

(٢) المحض من الودّ: خالص الودّ والمحبّ ـ النائل: العطاء.

(٣) حنانيك: أي رحمتك، والحنان: الرقة والبركة.

(٤) الشعث: الخلل والتفرّق والغضاضة، وأصله من شعث الشعر إذا اغبرّ وتلبّد وشعث شعثاً الأمر: إذا انتشر.

(٥) يروع: يخيف ويفزع.

(٦) الكفاف: مقدار اللجاجة من غير زيادة ولا نقصان والكفاف من الرزق ما أغنى من الناس.

وقال أبو تمّام:

كالبكرْ توحشُها مضاجعُ بعلِها والحيض علتها وليس بحائضِ[(١)]

وقال الخبزارزي:

كنْ في الجماعاتِ حيثُ كانُوا فالموْت عرسٌ مع الجميعِ

وله:

مالي أحوط حولَ دجلة حائِطاً لولا اعتراضُ حماقَتي وفُضُولي

ما أهون الموت على النوائح

وقال إسماعيل:

صاح أبصرت أو سمعت براعِ ردّ في الضرع ما قَرى في الحلابِ

وقال آخر:

وأترك الشيءَ أهْواه فيعجبني أخشَى عواقبَ ما فيهِ منَ العارِ

وقال آخر:

فلو أنّ لي تسعينَ قلْباً تشاغلَت جميعاً فلم يفزَع إلى غيرِها قلْبُ

وقال آخر:

دلاً على حِيلة فيها لنَا فرجُ إن الدليلَ على خير كمَنْ فعَلا

وقال آخر:

ولي ظنّان بينهما رجاءٌ يكذّب سوءَ ظنّي حسْنُ ظنّي

وقال هارون المعتصم:

إذا ما خانَني يوماً جوادِي جعلْتُ الأرضَ لي فرسَاً وثِيقاً[(٢)]

وقال آخر:

وأسرعُ نسياني الذي لا يهمّني ونسيانِي الشيءَ المهمّ قليلُ

وقال آخر:

أنتَ واللّهِ حِمارٌ قاعِدٌ بينَ حَميرِ

وقال آخر:

هوّن الأمرَ تكُنْ في راحَةٍ قلّما هوّنتَ أمْراً لا يهونُ[(٣)]

---

(١) توحشها: تشعرها بالوحشة ـ المضاجع: المراقد جمع مضجع وهو موضع الاضّجاع.

(٢) الفرس الوثيق: المحكم. (٣) هوّن الأمر: جعله سهلاً غير شديد الوطأة.

وقال المتنبي:

لِلّه حالٌ أرجّيها وتخلِفُني ... وأرتَجي كونها دهْري وتمطلُني

وقال محمد بن يحيى:

قتلتُ أعزّ من ركبَ المطايا ... وجئتُكَ استليتُكَ في الكلامِ
يعزّ عليّ أنْ ألقاكَ إلا ... وفيما بيننا حدّ الحسامِ
ولكنّ الجناحَ إذا أصيبَت ... قوادمُه أسفّ على الآكامِ

وقال الطاهر:

ولم أرد بدبة قبله ... يدق على بابه دبدبَه

وقال أبو القاسم التنوخي:

تخيَّر إذا ما كنتَ في الأمرِ مرسِلاً ... فمبلغُ آراءِ الرّجالِ رسولُها

وقال آخر:

إذا تخازرتُ وما بي من خزَر ... ثم كسرت العينَ من غير عَوَرِ(١)
وجدتُني ألوي بعيد المستمر ... أحمِل ما حملتُ من خيرٍ وشرّ

وقال أبو القاسم الأعمى:

إن الجديدَ إذا ما زيدَ في خلقٍ ... تبيّنَ النّاسُ أن الثوبَ مرقوعُ

وقال ابن طباطبا:

آمنّ سربلَه الاشـ ... ـفاقُ سربالَ المروعِ

وقال الخبزارزي:

أحبّ فمَن ذا الذي كلفهُ ... وملّ فمَن ذا الذي أستعطفَه
فلا أحَدٌ في الرّضى سرّه ... ولا أحدٌ في القِلى عنّفَه
وكنّا كمَا قد علِمت ... فماذا التعدّي وماذا السّفَه
وفي النّاس من يتجنّى الذنوبَ ... وإذا قدْ تجاوزَ حدّ الصفَه
وما كلّ منْ كان ذا قوّة ... يُناوي الضعيفَ إذا استضعفَهَ(٢)
ويزعمُني صَدَفاً خالِياً ... من الدرّ في مثل ما صرفَه
ولو شئت عرفتُه من أنا ... وإن كانَ بي جيّد المعرفَه
وفرعونُ يعرفُ من ربّه ... ولكنّ طغيانه سوّفَه
وسل من تعرض لي بالهجا ... وعن عرضِه أينَ قد خلفَه

---

(١) تخازر: ضيّق جفنه ليحدّد النظر.

(٢) يناوي: مخفّف يناوىء أي يقاوم ويعاند.

وقال ابن الرومي:

وامتناعُ النفسِ مما تشتهي ... خشيةَ الإنفاقِ نقصٌ في النسَب

والبحتري:

أضيعُ في معشري وكمْ بلدٍ ... يعدّ عودَ البكاءِ من حطبِه

وقال جحظة:

إذا الشهرُ هلّ ولا رزقَ لي ... فعدى أيامه باطلُ

وقال المتنبّي:

توهّم القوم إن العجز قربنا ... وفي التقرّب ما يدعو إلى التهَم

وقال ابن الرومي:

توقّي الداءِ خيرٌ من تصدٍّ ... لأيسرِه وإن قربُ الطَبيبُ[1]

وقال آخر:

خرجْنا لم نصِد شيئاً ... وما كانَ لنَا أفلِتَ

وقال المتنبّي:

خذُوا ما أتاكم بهِ واعذرُوا ... فإنّ الغنيمةَ في العاجِلِ[2]

وله:

ذكر الفتى عمرَه الآتي وحاجتَه ... ما فاتَه من فضولِ العيش أشغال

وقال ابن طباطبا:

طمعتَ يا أحمقَ في قمرِها ... لو أمكنَ القمر قمرناها[3]

وقال أبو حكمية في حرب محمد والمأمون:

تجافَت بيَ الأحزان عنْ كل مرقدِ ... وأرمضَني ما فيه أمةُ أحمَدِ

وما ضرّ قوماً يسفكون دماءَهم ... صفا الملك للمأمونِ أو لمحمّدِ

وقد نصبُوا حرباً تحرق بينَهم ... لكلّ رقيق الشفرتَينِ مهنّدِ

وقال الخبزارزي:

فمن شغَل قلبي بما نلتُه ... ذهلتُ بهِ عن جميعِ الأمورِ

وقال آخر:

كأنّ من بشاشتِنا ظللْنا ... بيومِ ليسَ منْ هذا الزمانِ

---

(١) يريد أن يقول ما هو مشهور: درهم وقاية خير من قنطار علاج.

(٢) المعنى: خير البرّ عاجله.

(٣) القمر: مصدر قمره أي غلبه في القمار والقِمار كل لعب يشترط فيه أن يأخذ الغالب من المغلوب شيئاً.

وقال الخبزارزي:

لـيْـسَ لـلـمـشـغـلَـب حـظٌ فـي غـزالٍ عـنـد ذئـبِ

وقال المتوكل:

لا أعـدم الـذمّ حـيـنَ أُخْـطـي ولـيسَ لـي فـي الـصّـواب حـمْـدُ

وقال ابن الرومي:

ولـيْـسَ حـصـولُ فـائـدةٍ حُـصـولاً إذا مـا أخـطَـأ الـغـرضَ الـحـصـولُ

وقال الصنوبريّ:

وتـجـشّـم الـمـكـروهِ ليسَ بـضـائرٍ ما خـلـتُـه سَـبـبـاً إلى الـمـحـبـوبِ(١)

وقال الموسوي:

وسـرّ الـفـتـى حـمـل الـنّـجـادِ وربّـمـا رأى حتفَه في صفحتَيْ ما تقلّدا(٢)

وقال البحتري:

والـشـيءُ تـمـنـعُـه تـكـونُ بـفـوْتـه أحرَى من الـشـيءِ الـذي تُـعْـطـاه(٣)

ونحوه:

إذا لـمْ تـسـتـطِـع شـيْـئـاً فـدعْـه وجـاوزْه إلـى مـا تـسـتـطـيـعُ

وقال آخر:

تـعـلـمْـتُ فـعـلَ الـدهـرِ حتّى سبقتُه فـأنـسَـانـي الـتـلـمـيـذُ فـعْـلَ الـمـعـلّـمِ

وقال آخر:

وأراكَ تـشـكـو الـدهـرَ تـظـلـمُـه كـلّ امـرىءٍ عـاشـرتـه دهـرُ

وقال ابن نباتة:

فـهـو كـالـشّـمْـسِ بـعْـدُهـا يـمـلا الـبـدْ رَ وفـي قُـربِـهـا مَـحـاقُ الـهِـلالِ(٤)

وقال أبو تمام:

قـد كـنـتُ كـالـسـائـلِ الأيـامَ مـجـتـهِـداً عن ليلةِ القدر في شعبانَ أو رجبِ

وقال آخر:

ومـن راحَ ذا حـرصٍ وجـبْـنٍ فـإنّـه فـقـيـرٌ أتـاه الـفـقـر من كـلّ جـانـبِ

قال قدامة: أصح الأقسام في الشعر قول زهير:

---

(١) تجشم المكروه: تكلفه على مشقه، والمكروه ما يكره من المصائب والصعاب.

(٢) النجاد: حمائل السيف ـ الحتف: الموت ـ ما تقلد: ما حمل.

(٣) فوت الشيء: مصدر فات فوتاً الأمر أي ذهب عنه.

(٤) محاق الهلال: عدم رؤيته، والمحاق آخر الشهر القمريّ أو الليالي الثلاث من آخره.

(١٠)
أبيات منقولةٌ من الفارسية

●

قال بعضهم:

ترى الديك فوقَ السطْح في كلّ ساعة ... وتنكر إن كانَ الحمارُ على السطْحِ

وقال محمد الأموي:

إذا ما كنتَ في طرفي كساءٍ ... ولم يكن الكساء يعم كلّك

فلا تتبسطنّ فيه ولكن ... على قدر الكباء فمدّ رجلك(١)

وقال:

وما ليْس يشبه أربابَه ... فلا شكّ في أنّه منْ سرَق

وقال:

وحقّ لمَن قد صحّ تمييزُ عقلِه ... إذا ما رأى الدينارَ أن يترَك الفِلْسا

وقال آخر:

فانظرْ لذاك فليسَ يعلمُ كلّ ما ... في الخفّ غيْرُ اللّهِ والإسكافِ

وقال ابن طباطبا:

مثلي كبائعِ طشته بشرابهِ ... سراً لئلا يعلَم الجيرانُ

لما تملى ظلّ في غثيانه ... يشكو الصّداع فعاده الأخذان(٢)

فدعُوا بطشتٍ كي يقيءَ فقالَ مه ... لو كانَ طشتٌ لم يكُنْ غثيانُ

وقال ربيعة الرقي:

فأنتَ كذئبِ السوءِ إذ قالَ مرّة ... لعمروسة والذئبُ غرثانُ مرملُ(٣)

أأنتِ التي في كل قولٍ سبيتني ... فقالت متى إذا قال ذا عامٌ أولُ(٤)

فقالت ولدتُ العامَ بل رمتَ غدرةً ... فدونَك كلْني لا هنا لك مأكلُ

وقال طريح:

وإذا استَوَت للنمْل أجنِحَةٌ ... حتّى يطيرَ فقد دنا عطبهُ

وقال بعضهم:

وقد خرقَ الأشواقَ شبعانُ مرتوٍ ... فقَال رغيفٌ واحد يشبِع الخَلْقا

---

(١) الكباء: القماش.

(٢) الغثيان: من غثي غثياناً أي اضطربت نفسه وكاد يتقيأ.

(٣) غرثان: جائع. (٤) سبيتني: أسرتني.

وقال:

لاطِمُ الأشفى مضرّ كفّه ومرامي الدهر رام كبده

وقال:

لا تقصُدنّ كلّ دخانٍ ترى فالنار قد توقدُ للكيّ

وقال آخر:

ومن يرومُ نزولَ البثر عن غرضٍ فليس في الشرط أن يخصي مراقيها

وقال آخر:

منْ لسعته حيّة مرّة تراهُ مذعوراً من الحَبْلِ

وقال آخر:

إذا سقَط الجدارُ ولمْ يغبّر فما بعْد السقوطِ لهُ غبارُ

وقال آخر:

كدود نشا في الحلّ ليس ببارحٍ كأنْ ليس في الدنْيا مكانٌ يعاد لهُ

وقال آخر:

ما رسولٌ للّيث إلا عنقُه فلهذا عنقُ الليثِ غليظُ

(١١)

تمثل كل ذي صناعةٍ بصناعتهِ

●

● سأل الرشيد بختيشوع عن حرب شاهدها، **فقال**: لقيناهم في صحن مقدار البيمارستان، فما كان مقدار ما يختلف الرجل مقعدين حتى صيرناهم في أضيق من المخنقة، ثم قتلناهم بمبضع ما سقط إلا على كل رجل.

● سئل جعفر الخيّاط عن حرب فقال لقيناهم في صحن مقدار الطيلسان فما كان مقدار ما يخيط الرجل درزا حتى تركناهم في أضيق من الحر ثم قاتلناهم فلو طرحت إبرة ما وقعت إلا على زرّ رجل.

● وسئل معلم **فقال**: لقيناهم في صحن مقدار الكتاب فما لبثوا إلا مقدار ما يقرأ فتى مقدار عشر حتى تركناهم في أضيق من الرقم فقتلناهم في أقل ما يكتب صبي لو حين قال بعضهم:

مشق الحبّ في فؤداي لو حين فأغرى جوانحي بالتلاقي

قيل لجارية عربية: بم تعرفين الصبح؟ **قالت**: إذا برد الحلي. **وقيل** ذلك لنبطية **فقالت**: إذا جاءني الغائط

(١٢)
معارضات

●

١ - عرضت جارية على المهدي فقال لبشار امتحنها فقال:

أحـــمـــد الله كـــثـــيـــراً

فقالت:

حـــيـــنَ صـــيـــرتُ ضَـــريـــرا

فقال: اشتر الملعونة فإنها حاذقة.

عارض أبو العنبس البحتري في قوله:

مـــن أي ثـــغـــر تـــبـــسّـــم

فقال:

مـن أي سـلـح تـلـتـقـيـم ... وبـأيِّ كـف تـلـتـطـم

أدخـلـت رأسـك فـي الـحـرم ... .

فولّى البحتري **فقال أبو العنبس:**

وعـــلـــمـــت أنـــك تـــنـــهـــزم

٢ - قال ميمون بن مهران: رأيت البارزي وحاله متماسكة فسألته **فقال:** كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء **فقال:** لست أقبل إلا ممّن قال مثل قول البحتري:

لـو أنّ مشـتـاقـاً تـكـلّـف فـوق مـا ... فـي وسْعه لسَعى إليك المـنبَرُ(١)

فرجعت إلى داري وأتيته، **فقلت:** قد أتيتك بأحسن مما قال البحتري في المتوكل:

ولـو أن بـردَ الـمـصـطـفـى إذ لـبـسـتَـه ... يـظـنّ لـظَـنّ الـبُـرْدُ أنـك صـاحـبُـه(٢)

وقـالَ وقـد أعـطـيـتـه ولـبـسـتَـه ... نـعَـم هـذِهِ أعـطـافـه ومـنـاكِـبُـه

فقال: ارجع إلى منزلك وافعل ما آمرك به فبعث إليّ سبعة آلاف دينار، **وقال:** إدخر هذه للحوادث بعدي ولك الجراية والكفاية ما دمت حياً.

قال وهذه حالة شبيهة:

كـمـا كـانَ بـعـد الـسـيْـل مـجـراه مـرتَـعـاً

---

(١) **فوق ما في وسعه:** أي فوق طاقته.

(٢) **البرد:** الثوب المخطّط، **وبرد المصطفى:** برد النبي ﷺ.

٣ ـ **وكان بشّار يعطي أبا الشمقمق في كل سنة مائتي درهم فأتاه سنة فقال**: هات جزيتك. **فقال**: أي جزية هي **قال**: هو ما تسمع. فقال بشار له. لأهجونك، فقال أبو الشمقمق:

إنـي إذا مـا شـاعـر هـجـانـيَـه ولـجّ فـي الـقـول لـه لـسـانـيَـه

بشار يا بشّار فقال بشّار وأمسك وعلم أنه يكملها بقوله: يا ابن الزانية. **وقال** لا يسمعن هذا منك أحد ودونك الدراهم.

وروي أنه أتاه مرة فامتنع من أعطائه فقال قد سمعت الصبيان يقولون:

إن بـشـاراً لـديـنـا مـثـل تـيـس فـي سـفـيـنـة

فرفع مصلاه عن دراهم وقال له: خذ هذه ولا تكن راوية للصبيان.

٤ ـ **اجتمع ثلاثة جنب غدير يقال له بطياثا فقال أحدهم**:

نـلـنـا لـذيـذ الـعـيـش فـي بـطـيـاثـا

فقال الآخر:

وقـد حـشـنـا الـقـدح احـتـشـاثـا

فارتج على الثالث فقال:

وأم عـمـرو طـالـق ثـلاثـاً

فقيل له في ذلك فقال:

جـلـسـت عـلـى طـريـق الـقـافـيـة

٥ ـ **ودخل الغالي على أبي عباد الوزير وهو عليل فأنشده**:

حـالـفَـك الـفـضـلُ والـكـمـالُ والـبـذلُ والـجـاهَ والـنـوالُ(١)

فقال:

حـالـفَـني الـسـقـمُ والـسـعـالُ ونـقـرسٌ مـا إن لـهُ زوالُ(٢)

وقال بعضهم مررت بجارية ذات جمال فأنشدتها:

ويـح نـفْـسـي وكـيـفَ لـي أن أنـيـكَ الـتـي أرى

فقالت:

ذاك شـيءٌ يـبـيـحُـه فـي الـوَرى كـلُّ مـن يـرى(٣)

---

(١) **البذل**: الجود ـ **النوال**: العطاء.

(٢) **السقم**: المرض ـ **النقرس**: داء معروف يأخذ في الرجل، وهو يحدث في مفاصل القدم وفي إبهامها.

(٣) **يبيحه**: يجعله مباحاً والمباح نقيض المحظور.

هـو لـلـضـيـف عـنـدنـا   أول الـــزاد والـــقِـــرى

٦ ـ **قال الجمّاز:** دخلت على الرشيد وبين يديه طبق فيه ورد، **فقال:** قل في هذا شيئاً فقلت:

كـأنـه خـدّ مـحـبـوب يـقـبّـلـه   فـمُ الـحـبـيـب وقـد أبـدى بـه خـجـلا

فقالت جارية على رأسه، ألا قلت:

كـأنّـه لـونُ خـدّي حـيـن تـدفـعـنـي   يـد الـرشـيـد لأمـر يـوجـب الـغـسـلا

فضحك وقال: قومي لننظر.

٧ ـ **قصد أعرابي المأمون فقال:** قد قلت شعراً، **فقال:** أنشده، **فأنشد:**

حـيّـاك ربُّ الـنـاس حـيّـاك   إذ بـجـمـال الـوجْـه رداكَـا

بـغـداد مـن نـورك قـد أشـرقـت   وأورقَ الـعـودُ بـجـدواكـا

فأطرق المأمون ساعة ثم أنشد:

حـيّـاك ربّ الـنّـاس حـيّـاك   إن الـذي أمـلـت أخـطـاكَ

أتـيـت شـخـصـاً كـيـسُـه قـد خـلا   ولـو حـوَى شـيـئـاً لأعـطـاكَـا

فقال: يا أمير المؤمنين أن بيع الشعر بالشعر رباً فاجعل بينهما محللاً فضحك وأمر له بمال.

وقيل من أحسن شعر القدماء قول عبيد:

الـلّـيـلُ لـيـلٌ والـنـهـارُ نـهـارُ

فأنشد ما جنّ ذلك فقال:

الـقـرعُ قـرعٌ والـخـيـارُ خـيـار   والـدب دبّ والـحـمـارُ حـمـارُ

٨ ـ اجتمع قوم عند رجل فلم يحضره شيء فرهن قطيفته، **ولما قعدوا للشراب غنى المغنّي:**

أتـرَى الـذيـن تـخَـمّـلـوا جـنـوا

فقال صاحب البيت:

فـــلا أدري أجـــنــــوا أم لا؟   فاستغربوا ضحكاً وخلصوا قطيفته

(١٣)

كلماتُ مجانين

●

١ ـ **خرف النمر بن تولب فكان هجيراه:** أصبحوا الضيف أغبقوا الراكب. وخرفت

امرأة فكان هجيراها: زوّجوني زوجوني. فقال عمر لأصحابها: ما لهج[1] به أخو عكل خير مما لهجت به صاحبتكم.

٢ ـ **كان سكران يمرّ بشيراز فتلقّاه ابن ممشاد المعدل فأخذ السكران بأيره وقال:** أيترك القاضي أن أدخل هذا في بنته. **فقال:** إن أحتاج إلى ختن[2] وارتضاك فنعم ومرّ.

٣ ـ **ومزّق مجنون ثوب رجل وقال:** علوان الرّفاء يريده كما كان.

٤ ـ **وكان بهلول يتشيع فقال:** إسحاق الكندي كثر الله في الشيعة مثلك. وكان يغنّي بقيراط ويسكت بدانق، وكان جيد القفا وكان يعبث به كل من يمرّ فحشاً قفاه بالعذرة، وجلس على قارعة الطريق، فكل من صفعه يقول له: شمّ يدك.

٥ ـ **وبعث الرشيد إلى بهلول فأحضره وأجلسه في صحن الدار وأم جعفر تراه من** حيث لا يراها، وعيسى بن جعفر جالس، فقال الرشيد: يا بهلول عدّ لنا المجانين **فقال:** أولهم أنا. **قال:** هيه. **قال:** وهذه، وأشار إلى موضع أم جعفر فقال له عيسى: يا ابن اللخناء تقول هذا لأختي. فقال بهلول: وأنت الثالث يا صاحب العربدة[3] فقال الرشيد: أخرجوه. **فقال:** وأنت الرابع.

٦ ـ **وعدا عيناوة يوماً بين يدي الصبيان فدخل داراً وصعد سطحها وأشرف على الصبيان، وقال:** من أين أبلاني الله بكم؟ فقال له رجل في الدار: أرجمهم بالحجارة، **فقال:** أخاف إن رجعوا إلى آبائهم يقولوا إنه بدا يحرّك يديه فيأخذوني فيغلوني[4] ويقيّدوني.

وأخذ الطائفُ مجنوناً فأمر به إلى الحبس **فقال:** إني حلفت أن لا أحبس عن منزلي، فضحك منه وأطلقه. وأخذ أعرابي إدعوا أنه سكران، **فقال** الوالي استنكهوا الخبيث فلم يشمّوا رائحة، فقال قيئوه فقال: تضمن عشائي أصلحك الله.

(١٤)
حكمُ مجانين

٠

١ ـ **وعظ بهلول الرشيد وهو متوجه إلى الحج فقال:** ما هكذا حج رسول الله ﷺ ثم **قال له:** هل لك في جائزة تقضي بها دينك؟ **فقال:** الدين لا يقضي بالدين أي ما تعطيني ليس هو لك.

---

(١) **لهج به:** أغري به فثابر عليه.
(٢) **الختن:** الزوج.
(٣) **العربدة:** سوء الخلق.
(٤) **يغلوني:** يقيّدوني بالأغلال.

٢ ـ **ونظر بهلول إلى مجنون يوم العيد وهو يقول**: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم فلطمه بهلول على وجهه **وقال**: ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه.

٣ ـ **وعدا مجنون من صبيان ثم دخل داراً وكان ثمّ رجل له ذؤابتان فقال له**: يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً؟ فأغلق الباب وأتاه بطبق تمر، **وقال**: كل فأخذ يأكل والصبيان يصيحون **فقال**: فضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب.

٤ ـ كان مجنون تؤذيه الصبيان فقال له رجل: تريد أن أطردهم؟ **فقال**: نعم وتنطرد معهم. **وقيل لمجنون**: فيم يسعى هذا الخلق؟ **قال**: فيما لا يجدونه. هم يطلبون الراحة وهي لا تكون في الدنيا.

٥ ـ قال الرشيد لبهلول من أحب الناس إليك؟ **قال**: من أشبع بطني. **قال**: فأنا أشبع بطنك فأحببني **قال**: الحب لا يكون نسيئة.

٦ ـ **استقبل جعيفر امرأة صبيحة فبادر إليها واعتنقها فاجتمع الناس فضربوه فقال**:

علّقوا اللحم للبزا ... ةِ على ذروتي عدَن
ثم لاموا المحبّ فيـ ... ـه على خلعه الرسَن
لو أرادوا عفافه ... نقبوا وجهه الحسَن[1]

٦ ـ ومثل هذه الحكاية وإن لم تكن مما نحن فيه ـ ما روي أن ابن زيدان كان عند يحيى بن أكثم يملي عليه فقرص خدّه فغضب فأنشأ يقول:

أيا قمَراً خمشتُه فتغضبًا ... وأصبح لي من تيهه متجنّبًا[2]
إذا كنتَ للتخميش والعضّ كارهاً ... فكُن أبداً يا سيدي متنقّبًا
ولا تظهر الأصداغ للناس فتنةً ... وتجعل منها فوق خدّك عقربًا
فتقتلَ مُشتاقاً وتفتنَ ناسِكا ... وتتركَ قاضِيَ المسلمين مُعذّبًا

(١٥)

خرافاتٌ على سبيل التهكّم

●

١ ـ **رأى حمدويه المخنث بمكان منكر صاحب شرطة فقعد على روثة يريه أنه يخرأ.**

---

(١) **نقبوا وجهه**: ستروا وجهه بالنقاب وهو القناع.

(٢)**خمشته**: خدشته، لطمته ـ **التيه**: الزهو والكبر.

فلما دنا منه قام **فقال له**: ما كنت تفعل؟ **فقال**: كنت أخرأ فإذا تحته روث **فقال**: أتروث هذا؟ **فقال**: مالك وهذا، كل إنسان يخرأ ما يريد.

٢ ـ قيل لعبد الرحمن القاضي: لِمَ سمّي العصفور عصفوراً؟ **قال**: لأنه عصى وفر. **قيل**: فالطفشل، **قال**: لأنه طفا وشال.

٣ ـ جعل سخفاء واحداً منهم على جنازة فمرّ بهم جحا فقالوا له: صلّ على هذا الفقير الغريب فصلّى. فلما كبّر ضرط والتفت إليهم **وقال**: إن كان على صاحبكم دين فاقضوه، فهذا من ضغطة القبر. **وقال له أبوه**: قبر هذا الجب فقبره من خارج **فقال**: ويحك إنما يقبر من داخل **فقال**: اقلبوه.

٤ ـ قال علي بن عبد العزيز القاضي:

قـوم إذا خـرؤا خـلّـوه وانـصـرفُـوا ... ألـيْـس ذا كـرمـا نـاهـيـك مـن كـرمِ

وقال:

لـقـيـتُ أبـا يـحـيـى عـشـيـةَ جـئـتُـه ... كـريـمَ الـمـحـيـا طـاهـر الـبـشـرِ وأقـلـب

كـريـمٌ كـنَـصْـل الـسـيـفِ يـهـتَـزّ لـلـنّـدى ... كـمـا اهـتـزّ مـاضٍ لـلـضـريـبـةَ واقـلـب[1]

وأيـرُ حـمـارٍ داخـلٌ فـي جِـرِ أمـه ... ولا تـقـلـبَـن هـذا فـلـيـس بـو اقـلـب[2]

٥ ـ قال بعضهم: ركبت سفينة من بغداد إلى واسط، فإذا أنا بشيخ له رواء وهيبة. وكنّا جماعة رفقة كل منّا يشتهي مداعبة الشيخ ويتحاماه لهيبته، إلى أن بلغنا المقصد، **فقلت للشيخ**: أوصني. **فقال**: إذا جاءتك الريح فأرسلها ولو بين الركن والمقام. **فقلت**: زدني، فقال يا بنيّ إذا ملكت جارية فاستعن بدبرها على قبلها يكن لك من كان. **فقلت**: زدني فقال يا بنيَ النيك من قدّام يضعف الركبتين فإيّاك أن تستعمله في الصيف خاصة، والنيك بغير بزاق أنظف للكف، **ثم قال**: تمسّك بهذه الأربعة تكن لقمان زمانك.

٦ ـ قال المبرّد سأل رجل فقيهاً، فقال: علّمني. **فقال**: أنا مستعجل فخذ جملتها أجحد ما عليك وادّع ما ليس لك واستشهد بشهود غيب، وأخّر اليمين إلى أن تنظر فيها

٧ ـ كان رجل وامرأته يبوّلان في الفراش فاتفقا أن يتعاقبا في النوم ويحتفظ كل بصاحبه. فنام الرجل وسهرت المرأة قابضة على متاعه فلما همّ بالبول نبهته. فقام وبال

---

(١) **الندى**: الكرم ـ **اهتز ماض**: الماضي: السيف ـ **الضريبة**: موقع الضرب من الجسد، والضريبة أيضاً: الطبيعة والسجيّة.

(٢) **الجِر**: الفرج.

ونامت المرأة من بعده فقبض على متاعها فلما همّت بالبول، كانت :نزّ من جانب إذا قبض على جانب.

٨ ـ **ولّى أبو العير أبا العجل وكتب له عهداً نسخته:** يا أبا العجل وفّقك وسدّدك وليتك خراج ضياع الهواء ومساحة الهباء وكيل ماء الأنهار وعد الثمار، وصدقات البوم وكيل الزقوم وقسمة الشوم بين الهند والروم. وأجريت لك من الأرزاق بغض أهل حمص لأهل العراق وأمرتك أن تجعل ديوانك ببرقة(١) ومجلسك بأفريقية، وعيالك بميسان(٢)، واصطبلك بهمدان(٣) وخلعت عليك خفّي حنين، وقميصاً من دين، وسراويل من سخنة عين فدر في عملك كل يوم مرتين والحمد لله على ما ألهمنا فيك فقابلنا بالشكر فيما نوليك.

٩ ـ **قالت جارية مات أبوها:** واأبتاه واخيلاه فقالت لها امرأة: ويلك ومتى كان له خيل؟ **قالت:** كان يريد أن يشتري.

١٠ ـ **ونظر مزيد إلى أهل الكوفة** وقد أخرجوا صبيانهم للإستسقاء **فقال:** لو كان دعاؤهم مستجاباً لما بقي في الأرض معلم. أسلم نصراني **فقالت أمه:** سخنت عينك محمد بعد لم يعرفك وعيسى تبرأ منك.

١١ ـ **وكان أعرابي يمدح أميراً فضرط فقال:** والله أنه لينطق كل عضو مني بمدح الأمير.

١٢ ـ **وقال المأمون لأعرابي:** إن عددت من جوارحك عشرة أولها كاف أعطيتك عشرة آلاف درهم. فقال كوع كرسوع كبد كفل كف كشح كعب كاهل كرش. وولّي الأعرابي فإذاً إنسان يبوّل فعاد وقال كمرة فأعطاه.

(١٦)

فتاوى على سبيل الحماقة

●

١ ـ **قيل لابن مجاهد ما أول الدخان؟ قال:** الحطب الرطب. **وقيل:** أين في القرآن الهريسة؟ **قال:** بقرة صفراء وفومها وأضربوه ببعضها، وفار التنور، ولتركبن طبقاً عن طبق. ذهب طبري إلى مفت **فقال:** كنت في صلاتي، فخرج من دبري

---

(١) **برقة:** عاصمة منطقة في ليبيا.

(٢) **ميسان:** منطقة جنوب العراق على شط العرب.

(٣) **همدان:** بلدة في فارس.

شيء. **فقال**: أكان مثل حمصة؟ **قال**: أكبر. **قال**: كبندقة؟ **قال**: أكبر، **قال**: كجوزة؟ **قال**: أكبر. **قال**: أراك قد خريت.

٢ ـ **وقال بعضهم** رأيت جملاً بحمص يتبع بقرة فقلت أهذا ولدها؟ فقالوا: لا، بل يتيم في حجرها.

٣ ـ **مرّ العتابي بمنصور النمري فرآه كئيباً فسأله، فقال**: امرأتي عسرت ولادتها. **فقال**: أكتب على حرها هارون **فقال**: ما هذا أتهزأ بي؟ **فقال**: أعني قولك في هارون:

أن أخلف القطر لم تخلف مواهبه ... أو ضاق أمر ذكرناه فيتّسع[1]

٤ ـ **كان بعض أهل نصيبين شديد الغفلة**، وكان يسوق عشرة أحمرة فركب حماراً منها، وعدّها فرآها تسعة. فنزل وعدها فوجدها عشرة **فقال**: أمشي وأربح حماراً أجود.

(١٧)

بلاغات من لم يختلف للكتاب

١ ـ **كتب معاوية بن مروان إلى الوليد بن عبد الملك**: بعثت إليك بقطيفة خزّ أحمر أحمر فكتب إليه: قد وصلت وأنت أحمق أحمق والسلام.

٢ ـ **قال أبو القاسم بن بابك الشاعر أنشدني ابن القراني لنفسه**: أنت يا ابن شيار أنت تحكم في الدين كزار غير فرار. ولست كالقاضي الذي يتبع العار. وأمير المؤمنين الطائع أطال الله بقاءه وأدام عزّه وتأييده وسعادته وكفايته لك مختار. فقلت: لم طولت هذا البيت فقال هو خليفة ولا يجوز أن ينقص دعاؤه.

٣ ـ **قال دعبل: كان لي صديق يقول شعراً فاسداً فقال يوماً**:

إن ذا الـحـبّ شـديـدُ ... لـيـس يـنـجـيـه الـفـرار

ونـجـا مـن كـان لا يـأ ... مـن مـن ذلّ الـمـخـازي

فقلت هذا لا يجوز. فالبيت الأول راء والثاني زاي. **فقال**: لا تنقطه.

قلت: فالأول مرفوع والثاني مجرور. **فقال**: أنظر إلى حماقته. أقول له: لا تنقطه وهو يشكله.

٤ ـ **وقال محمد بن العبّاس لوكيل**: ما حال غلتنا بالأهواز؟ **فقال**: أما متاع أمير

---

(١) **القطر**: المطر ـ يقول إن ممدوحه لا يتأخر له عطاء، وقد يخلق المطر دون أن تخلف مواهبه فهي دائمة لا تزول.

المؤمنين فقائم على سوقه. وأما متاع أم جعفر فمسترخ. **وقال بعضهم**: احتمجت من الخديعتين يعني الأخدعين.

٥ ـ **كان عبد الله بن عوانة يقول**: الحمد لله واصطأفر الله، والله فأكبر، **وقال** المشي إلى بيت الله أعني به الطلاق الثلاث، ثلاثين حجّة. أحرار لوجه الله وسبيلي حبيس في دواب الله فقلت موفقاً إن شاء الله تعالى.

٦ ـ **قال رجل للرئيس بن العميد** إذا رأيت وجهك رأيت الباءة يريد البهاء **فقال** إذا وجهي سقنقور[١] أنشد عبد الله بن فضلويه:

قـيـامـة يـوم لا دواء لـه	إلا الـطـلاء وإلا الـطـيـب والـطـرب

فقيل له: ويلك إنما هو يوم الحجامة[٢] **فقال**: أعذروني فإني لا أعرف النحو ولبعض أهل خراسان:

أنـا شـذره أنـا هـذبـه	أنـا زيـن الـخـطـبـون
ولـنـا بـاب اش هـشـت	كـربـه بـسـيـبـرمـون
ولـنـا رهـوذة	كـل يـوم دهـمـون
يـحـمـلـوه كـل يـوم	ذي سـوى مـا يـطـبـخـون

وقال:

ولـنـا بـرج حـمـام كـان جـدي قـد بـنـى	
فـيـه بـيـض وحـمـام	ودجـاج ورنـا
أحـسـنـت والله أمـي	حـيـن جـاءت بـأنـا

وقال رجل: لأعين الطبيب إني لأجد في بطني وجعاً لا أدري ما هو؟ **قال**: فخذ أيش هو، واجعل فيه ما اسمه ودقّه بقول أنت.

(١٨)

لعب الاعراب

●

● **البقيري** وهو جمع تراب يقطع نصفين ويقال خذ أيهما شئت.

● **وعظيم وضاح** عظم يرمي به أحد الفريقين فمن وجد من الفريقين ركب

---

(١) **السقنقور**: ضرب من الزحافات في البلاد الحارة، يقال له التمساح البريّ واللفظة يونانية.

(٢) **الحجامة**: المداواة بالمحجم وهو شيء كالكأس يفرغ من الهواء ويوضع على الجلد فيحدث تهيّجاً ويجذب الدمّ بقوة.

أصحابه الفريق الآخر من الموضع الذي وجد فيه إلى الموضع الذي رموا به.

● **والحظيرة** أن يرمي أحد الفريقين بمخراق من خلفه فإن عجزوا عن أخذه رموا به إليهم، فإن أخذوه ركبوهم.

● **الدارة** التي يقال لها الخراج، **والشبحة** التي يقال لها نجو بالفارسية.

● **ولعبة الضبّ** أن يصور الضبّ ثم يحوّل أحدهم وجهه فيضع يده على موضع فيقول عين الضب أو ذنبه أو كذا. فإن أخطأ ركب هو وأصحابه، وإن أصاب حوّل وجهه فيصير هو السائل.

●

تمّ بحمد الله الجزء الثاني من كتاب:
محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء
للراغب الأصبهاني رحمه الله.
وذلك في يوم الثلاثاء:
٢٣ شهر شوّال عام ١٤١٩هـ
الموافق
٩ شباط عام ١٩٩٩

الناشيء

كتاب «محاضرات الأدباء»

●

فهرس الجزء الثاني

الحدّ الثاني عشر

●

في الإخوانيات ٥

الحدّ الثالث عشر

●

في الغزل وما يتعلّق به ٤٣

الحدّ الرابع عشر

●

في الشجاعة وما يتعلق بها ١٤٦

الحدّ الخامس عشر

●

في التزويج والأزواج والطلاقِ والعفةِ والتديث ٢٢٠

الحدّ السادسَ عَشَر

●

في المجونِ والسُّخفِ ٢٦٤

الحدّ السابع عشر

●

في خَلْقِ الإنسان ٣٠٥

الحدّ الثامن عشر

●

في الملابس والطيب ٣٧٥

الحدُّ التاسعَ عشر

●

في ذمّ الدنيا ونُوبِهَا ٣٩٤

الحدّ العشرون

●

في الدياناتِ والعباداتِ ٤١٠

الحدّ الحادي والعشرون

●

في الموت وأحواله ٥٠١

الحدّ الثاني والعشرون

●

في السماء والأزمنةِ والأمكنةِ والنباتِ والأشجارِ والنيرانِ ٥٥٨

الحدّ الثالث والعشرون

●

في الملَك والجنّ ٦٦٠

الحد الرابع والعشرون

●

في الحيوانات ٦٦٧

الحد الخامس والعشرون

●

في فنون مختلفة ٧٤٢

الناشيء